مصادر الاشتراكية العلمية

# مراسلات ماركس أنجلز

ترجمة الدكتور فؤاد أيوب



عنوان الكتاب الأصلي بالانكليزية

K. Marx F. Engels

# Selected Correspondences

Foreign Publishers' House

Moscow *1955*

٦٢٧٣ ـ ١٩٧٦/١٠/١٧
طبعة أولى ٣٠٠٠ ـ ١٩٨١

## تنبيه من المترجم

لا تشتمل المجموعة الراهنة سوى على جزء ضئيل من المجموعة الغنية جداً للرسائل التي حررها ماركس وانجلز والتي نشرتها مؤسسة ماركس ـ إنجلـز في الاتحاد السوفييتي .

وقد نقلت هذه المجموعة الى العربية عن الترجمة الانكليزية الصادرة في موسكو عن دار النشر باللغات الأجنبية عام ١٩٥٣ .

**ف . إ . لينين**

## في مراسلات ماركس ـ إنجلز

... ان قيمتها العلمية والسياسية عظيمة جداً . فلا يقف ماركس وانجلز هنا أمام القارىء بصورة مجسمة جريئة فحسب ، بقامتها المليئة ، بل ينكشف محتوى الماركسية النظري الغني جداً بأعظم الوضوح ، لأن ماركس وانجلز يعودان في الرسائل مراراً وتكراراً الى أكثر مظاهر تعاليمهما تنوعاً ، مؤكدين ومفسرين ـ واحياناً متناقشين ومقنعين بعضهما بعضاً ـ الأشياء الأحدث (بالنسبة الى الآراء السابقة) ـ والأهم ، والأصعب .

فأمام القارىء يمر ، بألوان براقة باهرة ، تاريخ الحركة العمالية في سائر أنحاء العالم ـ في مراحلها الحاسمة الأهم وفي نقاطها الأكثر جوهرية . والأثمن من ذلك أيضاً تاريخ سياسة الطبقة العاملة . ان ماركس وانجلز يناقشان المبادىء الأهم لعرض المهمات السياسية للطبقة العاملة في أكثر المناسبات تنوعاً وفي بلدان مختلفة من العالمين القديم والجديد ، وفي برهات تاريخية مختلفة . ولقد كانت المرحلة التي تغطيها المراسلات مرحلة انفصلت فيها الطبقة العاملة عن الديموقراطية البورجوازية ، مرحلة قامت فيها حركة مستقلة للطبقة العاملة ، مرحلة تحددت فيها المبادىء الأساسية للتكتيك والسياسة البروليتاريين . وبقدر ما تتوفر لنا الفرصة في أيامنا الحاضرة لنلاحظ كيف تعاني الحركة العمالية في مختلف البلدان من الأنتهازية بنتيجة ركودة البورجوازية وتفسخها ، وبنتيجة استغراق اهتمام القادة العماليين في التفاهات اليومية ، وقس على ذلك ـ تتعاظم قيمة ثروة المواد المحتواة في هذه المراسلات ، وهي تظهر فهماً بالغ العمق للأهداف التحويلية الأساسية للبرولتياريا ، وتقدم تحديداً مرناً بصورة غير مألوفة للمهمات التكتيكية المطروحة من وجهة نظر تلك الأهداف الثورية ، دون تقديم ادنى تنازل للانتهازية أو التبجح الثوري .

واذا شاء المرء أن يحدد بكلمة واحدة بؤرة المراسلات بأكملها اذا جاز التعبير، النقطة المركزية التي تتقارب نحوها الكتلة الكاملة للأفكار التي يصير التعبير عنها ومناقشتها - **فهي الجدلية** اذن . ان الشيء الذي كان يستحوذ على اهتمام ماركس وانجلز أكثر من أي شيء آخر، الشيء الذي كرسا له الأمور الأعظم جوهرية والأكثر جدة، الشيء الذي يشكل التقدم البارع الذي حققاه في تاريخ الفكر الثوري، قد كان تطبيق المادية الجدلية على إعادة صياغة الاقتصاد السياسي بكامله، بدءاً من أسسه وصعوداً - على التاريخ، والعلوم الطبيعية، والفلسفة، وسياسة الطبقة العاملة وتكتيكها .

(من كتاب لينين : **ماركس - إنجلز - الماركسية** ،
موسكو - ١٩٥٣ ، الصفحة ٧٤ - ٧٦ من الطبعة الانكليزية)

# مراسلات مختارة ١٨٤٣ ـ ١٨٩٥

# ١٨٤٣

## ١
## ماركس إلى أ . روج

### على سطح مركب متوجه الى د .آذار ١٨٤٣

أسافر حالياً في هولندا . وبقدر ما يتضح لي من الصحف المحلية والفرنسية ، فألمانيا تعاني قدراً كبيراً من العثار ، وأحوالها تسير من سيء الى أسوأ باستمرار . اسمح لي أن أؤكد لك أنه حتى اذا كان المرء لا يملك القدر الأدنى من الشعور بالكرامة الوطنية ، فأنه يملك إحساساً بالعار الوطني ، حتى في هولندا . إن أتفه الهولنديين مواطن على أي حال ، بينما أعظم الألمان ليس بمواطن . ولا تسل عن الأحكام التي يصدرها الأجانب بحق الحكومة البروسية ! إن الاجماع الرهيب يسود ؛ وليس لدى كائن من كان أية أوهام بعد الآن بشأن هذا النظام وطبيعته الوضيعة . وهكذا كان للمدرسة الجديدة بعض الفائدة على أي حال . إن معطف الليبرالية الرائع قد سقط ، فاذا الطغيان الأذم يقف أمام العالم أجمع في عريه التام .

وإن هذا لكشف أيضاً ، وإن يكن من طبيعة مناقضة . تلك حقيقة تميط اللثام لنا على الأقل عن فراغ وطنيتنا ، وبشاعة نظامنا الدَوْلي ، وتعلمنا أن نحجب وجوهنا خجلاً . وإنك لتحدجني باسماً وتقول : ماذا تُرانا نكسب من هذا ؟ لا تُصنع الثورات انطلاقاً من الاحساس بالعار . وإني لأجيب : إن العار نفسه يضارع ثورة ؛ إنه في حقيقة الأمر انتصار الثورة الفرنسية على الوطنية الألمانية التي هزمت من قبلها عام ١٨١٣ . إن العار نوع من الغضب يصبُّ المرء جامه على نفسه . واذا

ما كانت أمة بأسرها تعاني من الاحساس بالعار حقاً وفعلاً ، فهي أذن أسد متربص على أهبة الاستعداد للوثوب . وأعترف أننا لا نعثر في ألمانيا حتى على الاحساس بالعار بعد ؛ بل الأمر على النقيض من ذلك ، فهؤلاء الأوغاد لا يبرحون وطنيين . وعلى أي حال ، فأي نظام قمينٌ بأن يطرد منهم هذه الوطنية إن لم يكن ذلك النظام السخيف للفارس الجديد ؟[1] إن ملهاة الطغيان التي تُمثل معنا تضارع في خطرها عليه ما كانت عليه المأساة من خطر ذات يوم بالنسبة الى آل ستوارت وآل بوربون . وحتى اذا لم تؤخذ هذه الملهاة لزمن طويل على حقيقتها ، فإنها ستشكل ثورة مع ذلك . إن الدولة شيء بالغ الجد والخطورة بحيث لا يمكن تحويلها الى مجرد تهريج .وقد يتاح لمركب يغص بالمجانين أن يتخبط مع الريح على غير هدى لفترة طويلة من الوقت ، بيد أنه سيمخر في اتجاه مصيره بالضبط لأن هؤلاء المجانين يحسبون أنه لن يفعل ذلك . وإن هذا المصير هو الثورة المدخرة لنا .

---

(١) فريديريك وليم الرابع .

# ١٨٤٤

## ٢

## انجلز الى ماركس

**بارمن ، في ١٩ تشرين الثاني ١٨٤٤**

... إنه لمن المحال إقناع جونغ وجمهرة من الآخرين بأن فارقاً مبدئياً يقوم بيننا وبين روج ؛ فهم لا يبرحون يعتقدون أن تلك مجرد تفاهات شخصية . وحين يقال لهم إن روج ليس شيوعياً يميلون الى عدم تصديق ذلك ويعتقدون أنه من المؤسف أن يُعرض بصورة طائشة عن «سلطة أدبية» مثله ! ما عسى أن يقول المرء في مثل هذه الحال ؟ لا بدَّ للمرء أن ينتظر حتى يطلق روج مرة أخرى إحدى حماقاته العملاقة التي يمكن أن تُعرض أمام هؤلاء القوم على حقيقتها . ولا أدري ، فجونغ هذا لا يبدو أنه الشخص المناسب . فالفتى ليس على قدر كافٍ من الحزم .

إننا نعقد في الوقت الحاضر اجتماعات عامة في كل مكان بغرض إنشاء جمعيات لتقدم العمال . تلك طريقة رائعة من أجل تحريك أصحابنا الألمان ومن أجل توجيه إنتباه البورجوازيين الصغار الى القضايا الاجتماعية . وتنظم هذه الاجتماعات بصورة مرتجلة وبدون طلب أذن من الشرطة . وفي كولونيا شغل جماعتنا نصف المقاعد في اللجنة الخاصة بوضع الأنظمة ؛ وفي إلبرفيلد كان واحد على الأقل عضواً في اللجنة ، وبمساعدة العقلانيين هزمنا الأتقياء شر هزيمة في اجتماعين : إن كل ما يمت بصلة الى المسيحية قد استبعد من الأنظمة بأغلبية ساحقة في الاقتراع . ولقد طربت كثيراً وأنا أراقب هؤلاء العقلانيين وهم يجعلون أنفسهم موضعاً لسخرية عظيمة بمسيحيتهم النظرية وإلحادهم العملي . كانوا يعتبرون ، من وجهة نظر مبدئية ، أن المعارضة المسيحية على حق ، لكن المنسيحية التي لا بد أن تشكل في آخر الأمر

قاعدة المجتمع ، كما قالوا هم أنفسهم ، يجب عمليا ألا تذكر بكلمة في الأنظمة . إن المبادىء يجب أن تشتمل على كل شيء ما عدا المبدأ الحيوي للمجتمع ! ولقد كان هؤلاء الصبية عنيدين جداً في التمسك بموقفهم السخيف بحيث لم تكن لي حاجة للتفوه بكلمة واحدة ، فحصلنا على تلك الأنظمة التي ما كان في مقدورنا أن نتمنى أفضل منها في الشروط الراهنة . ولسوف يعقد اجتماع آخر يوم الأحد القادم ، وهو اجتماع لن يكون في مكنتي حضوره على أي حال ، لأني قاصد ويستفاليا غداً .

إني غارق حتى أذني في الصحف والكتب الانكليزية التي أصنف منها كتابي عن شرط البروليتاريين الانكليز[1]. واتوقع أن أنتهي منه في منتصف كانون الثاني أو آخره ، إذ أنهيت قبل أسبوع أو أسبوعين العمل الأصعب الذي هو ترتيب المواد . لسوف أقدم الى الانكليز لائحة اتهام رائعة . فانا أتهم البورجوازية الانكليزية أمام العالم أجمع بجريمتي القتل والسرقة ومختلف أنواع الجرائم الأخرى على نطاق جماهيري ، كما أكتب مقدمة انكليزية سوف أطبعها بصورة منفصلة وأرسلها الى قادة الأحزاب الانكليزية ورجال الأدب ، وأعضاء البرلمان . ولسوف يتذكرني هؤلاء الفتيان . وعلى أي حال فمن البدهي أني أخاطب الجارة كي تسمع الكنة ، أقصد البورجوازية الألمانية التي أقول عنها بوضوح كافٍ أنها لا تقل عن البورجوازية الانكليزية سوءاً ، سوى أنها لا تضاهيها شجاعة وحزماً وحذقاً في طرق استغلال العمل المأجور . وحالما أنتهي من ذلك فأني سأداعب تاريخ التطور الانكليزي الاجتماعي ، وهو ما سيكلفني جهداً أقل كثيراً لأن المواد اللازمة له جاهزة ومرتبة جميعاً في رأسي ، ولأن الأمر كله واضح كل الوضوح في ذهني . وفي هذه الأثناء سأكتب بعض الكراسات ، وعلى الأخص ضد ليست ، وذلك حالما يتوفر الوقت لي ...

---

(١) ف . إنجلز : **شرط الطبقة العاملة في انكلترا** !

## ١٨٤٥

## ٣

# إنجلز الى ماركس

[بارمن ، في ٢٠ كانون الثاني ١٨٤٥]

... ما يسعدني بوجه خاص هو هذا التأقلم للأدب الشيوعي في ألمانيا الـذي أصبح الآن (١) fait accompli . فلقد بدأ هذا الأدب قبل عام في التأقلم خارج ألمانيا ، في باريس ، أو بالأحرى بدأ يشاهد الوجود فقط ، وهذا هو الآن يئيد على أذهان الألمان البسطاء . الصحف ، والمجلات الاسبوعية ، والمجلات الشهـرية ، والمجلات الفصلية ، واحتياطي متقدم من المدفعية الثقيلة ـ وجميعها في أفضل نظام . لقد تم هذا كله بسرعة شيطانية حقاً ! وقد أتت الدعاية السرية ثمارها أيضاً ـ فكلما قصدت كولونيا ، أو نزلت الى حانة هنا ، وجدت مزيداً من التقـدم ، ومهتـدين جدداً . إن اجتماع كولونيا قد حقق المعجـزات : فالمرء يكتشف بصـورة تدريجية جماعات شيوعية منفصلة تطورت سراً ، بدون أي عون مباشر من جانبنا .

إن **جيميننو تجيزه فوشنبلات** ، التي كانت تصدر فيما مضى مع **المجلة الرينانية** ، هي بين أيدينا أيضاً في الوقت الحاضر . لقد تسلمها ديستر وسوف يرى ما يمكن صنعه . لكن ما نحتاج اليه الآونة أكثر من أي شيء آخر هو زوجان من الأعمال الضخمة في سبيل توفير إسناد جوهري لأولئك العديدين من أنصاف المثقفين الذين يودون أن يسووا المسائل بأنفسهم لكنهم عاجزون عن تحقيق ذلك . اعمل على أن تنهي عاجلاً كتابك عن الاقتصاد السياسي(٢) ، حتى اذا كان لا بدَّ لك أن تظل غير

---

(١) حقيقة واقعة .

(٢) المقصود هو نقد السياسة والاقتصاد السياسي ، وهو مؤلف وضع ماركس مسودته لكنه لم يكمله . وقد نشرت المقاطع العريضة من هذا المخطوط للمرة الأولى عام ١٩٣٢ في موسكو .

راضٍ عنه حتى درجة كبيرة . لا أهمية لذلك . لقد نضجت الاذهان ، وينبغي لنا أن نطرق الحديد وهو حامٍ . وإن أشيائي الانكليزية لن تقصِّر في مفعولها هي الأخرى ـ فالحقائق باهرة جداً . ومهما يكن من شيء ، فقد كنت أتمنى لو أني أملك مزيداً من الحرية لأنجز أشياء عديدة سوف تكون في الوقت الراهن أشد إقناعاً وفعالية ضد البورجوازية الألمانية . نحن المنظرين الألمان ـ وهذه حقيقة تبعث على الضحك ، لكنها علامة على الزمان الذي نعيشه وعلى تلاشي الكبرياء الوطنية الألمانية ـ لا نستطيع بكل بساطة أن نمضي في تطوير نظريتنا ؛ بل إنه لم يكن في مقدورنا أن ننشر نقد الهراء . لكن الأوان قد حان أخيراً . ولذا يجب أن يكون ذلك الشيء جاهزاً قبل نيسان . أصنع ما صنعته أنا . حدد تاريخاً ينبغي لك عند انقضائه أن تكون قد انتهيت منه ، واعنَ بأن يُطبع الكتاب في الحال . واذا كان هذا مستحيلاً هناك(1) ، فاطبعه في مانهايم ، أو دار مشتادت ، أو أي مكان آخر . لكنه يجب أن يصدر عاجلاً . أما أنك وسعت **النقد النقدي** (2) حتى عشرين ملزمة مطبوعة ، فهذا ما كان مفاجأة لي بالأحرى ، بيد أنه سيعود بالخير ، لأن أشياء كثيرة تصبح بهذه الطريقة في متناول الأيدي ، والا بقيت مغلقاً عليها في درجك زمناً لا يدري أحد كم سيطول . واذا تركت اسمي على صفحة الغلاف مع ذلك ، فسوف يبدو هذا غريباً ، لأني لم أكتب على وجه التقريب سوى ملزمة . وكما اخبرتك ، فأني لم أحصل بعد على أية انباء من طرف لونتال ، كما لم أسمع شيئاً عن صدور الكتاب الذي من المؤكد أني انتظره بكل لهفة ...

... إني أحيا هنا حياة لا يمكن لأعظم بورجوازي صغير أن يتوق الى أفضل منها ـ حياة هادئة ، مطمئنة ، ملأى بالتفاني والمحترمية . إني أقعد في غرفتي وأعمل ، ولا أخرج الى أي مكان على وجه التقريب ، كما أني رصين بقدر رصانة أي ألماني . واذا ما استمر الأمر على هذه الحال ، فاني أخشى أن يصفح الرب القدير عن كتاباتي ويدخلني السماء . ويمكنك أن تكون على ثقة من أنني بدأت اكتسب

---

(1) في باريس

(2) كارل ماركس وفريدريك انجلز: **العائلة المقدسة ، أو نقد النقد النقدي . ضد برونو بوير** .

شهرة طيبة هنا في بارمن . بيد أني قرف ومتعب من ذلك كله . أني أريد ان أغادر هذا المكان في عيد الفصح ، والأغلب أني سأقصد بون ... إن البيع بالمفرق بغيض جداً ، وبارمن بغيضة جداً ، وطريقتهم في تمضية الوقت بغيضة جداً ، وقبل كل شيء فأنه لأمر بغيض جداً الا يكون المرء بورجوازياً فحسب ، بل صناعياً بورجوازياً يناهض البروليتاريا بكل فعالية . إن اياماً قليلة قضيتها في مصنع والدي كشفت لي مرّة أخرى عن بشاعة ذلك كله ، هذه البشاعة التي كانت قد بهتت في ذهني حتى درجة ما . ولقد كنت أنوي بالتأكيد ان أظل في عمل المبيعات هذا أطول وقت يناسبني فقط ، ومن ثم أكتب شيئاً يحظره البوليس ، بحيث يمكنني أن أجتاز الحدود بكل طيبة خاطر . لكنني لن أستطيع أن أحتمل ذلك حتى ذلك الحين . ولولا أني مضطر لأن أسجل يومياً في كتابي أبشع الروايات عن المجتمع الانكليزي ، فأعتقد اني كنت صدئت في هذه الاثناء ؛ بيد أن هذا التسجيل احتفظ على الاقل بدمائي تغلي غضباً . ولعل المرء يستطيع ،وهو شيوعي ، أن يظل في وضعه الظاهري بورجوازياً وحيواناً يبيع بالمفرق طالما إنه لا يكتب ، اما أن يقوم بالدعاية الشيوعية الواسعة ويشتغل في الوقت نفسه بالمبيعات والصناعة ، فهذان لا يتفقان . كفى . سوف أغادر هذا المكان في عيد الفصح . أضف الى ذلك الحياة المضجرة في كنف أسرة بروسية مسيحية راديكالية كلياً ـ لا يمكنني أن أطيق ذلك مدة أطول . قد أنتهي آخر الامر الى التحول الى بورجوازي صغير ألماني ، والى إدخال النفاق البورجوازي الصغير الى الشيوعية .

والآن ، لا تجعلني أنتظر طويلاً رسالة منك كما صنعت بك هذه المرة . تمنياتي الى زوجتك التي لا أعرفها بعد ، والى جميع من يستأهل التحية . وفي هذه الاثناء ، واصل الكتابة الى العنوان نفسه . وإذا ما غادرت ، فإن رسائلك سترسل إلي .

المخلص

ف . إ

# ١٨٤٦

## ٤

## ماركس الى ج . برودون

بروكسل ، في ٥ أيار ١٨٤٦

عزيزي برودون

كثيراً ما نويت أن أكتب إليك منذ غادرتُ باريس ، لكن ظروفاً خارجة عن ارادتي أعاقتني عن ذلك حتى الآن . اسمح لي أن أؤكد لك أن السبب الوحيد في سكوتي قد كان الأعمال التي ترهقني وإنشغالي في الأعباء المترتبة على تبديل المسكن وما شابه .

والآن ، فلنأت مباشرة الى medias res(١) . لقد نظمت مع صديقين لي ، فريديريك إنجلز وفيليب جيغو (وكلاهما في بروكسل) ، مراسلة متواصلة مع الشيوعيين والاشتراكيين الألمان(٢) سوف تتناول مناقشة المسائل العلمية ومراقبة المنشورات الشعبية ، كما ستتناول الدعاية الاشتراكية التي يمكن القيام بها بهذه الوسائط في المانيا . وعلى أي حال، فسوف يكون الهدف الرئيسي من مراسلاتنا إقامة الاتصال بين الاشتراكيين الألمان والاشتراكيين الفرنسيين والانكليز ، وإبقاء الأجانب على اطلاع على الحركات الاشتراكية التي سوف تجري في ألمانيا ، وإعلام الألمان في ألمانيا عن تقدم الاشتراكية في فرنسا وانكلترا . وبهذه الطريقة سيكون في الامكان عرض الخلافات في الرأي على الملأ . ولسوف يترتب على ذلك تبادل في الآراء ، كما سيضمن قيام النقد غير المتحيز . تلك خطوة ينبغي للحركة الاجتماعية أن تقوم بها في تعبيرها

---

(١) الأمر الهام

(٢) إشارة الى لجنة المراسلة الشيوعية في بروكسل التي أنشأها ماركس وانجلز من أجل تبادل الرسائل مع الجماعات الشيوعية في ألمانيا والخارج . وقد رفض برودون في رسالته الجوابية التعاون . معلناً أنه يعارض الأساليب الثورية في النضال .

**الأدبي** كيا تتحرر من تحديداتها **القومية** . وحين يحين أوان العمل ، فمن المؤكد أنه سيكون من الأهمية بمكان عظيم بالنسبة الى الجميع أن يكونوا مطلعين على الأوضاع القائمة في الخارج وفي الوطن على حد سواء .

وفضلاً عن الشيوعيين في ألمانيا ، فإن مراسلاتنا ستشمل الاشتراكيين الألمان في باريس ولندن . وفي هذه الأثناء أقيمت علاقاتنا مع انكلترا ، أما بشأن فرنسا فنعتقد جميعاً أنه ليس في مقدورنا أن نجد مراسلاً أفضل منك . وانت تعلم أن الانكليز والألمان قدروك حتى الآن أفضل من تقدير مواطنيك لك .

وهكذا ترى أن المقصود مجرد استهلال مراسلات منتظمة وتوفير التسهيلات لها من أجل متابعة الحركة الاجتماعية في البلدان المختلفة ، وجعل هذه المراسلات باعثة على الاهتمام ، دسمة ومنوعة ، وهو أمر لا يستطيع عمل فرد واحد أن يحققه .

اذا قبلت اقتراحنا ، فإن أجور البريد عن الرسائل المرسلة منا إليك ومنك إلينا ستدفع هنا ، فالمال المجموع في ألمانيا قد كان الغرض منه تغطية نفقات المراسلة .

وإن العنوان الذي سنطلب منك أن تكتب إليه هنا هو عنوان السيد فيليب جيغو ، شارع بودنبروك ، رقم ٨ ، وهو الذي سيوقع أيضاً الرسائل من بروكسل .

وليست بي حاجة لأن أضيف أنه ينبغي لك أن تحوط بأعظم الكتمان جماع هذه المراسلات ؛ فلا بد لأصدقائنا في ألمانيا من التصرف بأقصى قدر من الحذر حتى لا يتعرضوا للأخطار .

ارسل الينا جواباً عاجلاً ، وكن على ثقة من الصداقة الوفية .

المخلص لك كلياً

**كارل ماركس**

## ٥

## انجلز إلى ماركس

**باريس ، في ١٨ ايلول ١٨٤٦**

في الحقيقة أني ارتكبتُ بحق بردون ظلماً صارخاً في رسالتي اليه بخصوص

العمل . وبما أنه ليس في تلك الرسالة مجال ، فلا بدَّ لي أن أصلح خطيئتي هنا . فأنت ترى أني حسبته ارتكب بعض الهراء التافه ، هراء يدخل ضمن حدود الأشياء التي تبدو معقولة . وقد عُرِضت القضية البارحة على بساط البحث من جديد ، وهذه المرة من أجل مناقشة جامعة ، فعلمت في سياق هذه المناقشة أن ذلك الهراء الجديد هو في واقع الأمر هراء **يتجاوز كل الحدود** . تصورذلك . إن على البرولتياريين أن **يقتصدوا** كي يبتاعوا حِصصاً صغيرة من الأسهم . ولسوف تُنشأ بواسطة هذه الأسهم (ومن المؤكد أنه لن يُباشر الأمر بأقل من ١٠٠٠٠ ـ ٢٠٠٠٠ عامل) ورشة واحدة أو عدة ورشات بادىء ذي بدء ، تنتسب الى صناعة واحدة أو عدة صناعات . ولسوف يُستخدم في هذه الورشات قسم من المساهمين ، وتباع المنتجات بادىء الأمر بسعر المواد الخام وقوة العمل الى المساهمين (الذين لن يضطروا بذلك الى دفع أي ربح على الاطلاق) ، ومن ثم يباع الرصيد ، إن كان ثمة رصيد ، بالسعر الجاري في السوق العالمية . وبما أن رأسمال الجمعية سوف يتضخم بفضل القادمين الجدد أو المدخرات الجديدة للمساهمين القدامى ، فإنه سيوظف في بناء ورشات جديدة ومعامل جديدة ، وهكذا دواليك ، حتى يصبح **جميع** البروليتاريين مستخدمين ، وحتى تُشترى **كل** القوى المنتجة المتوفرة في البلاد ، وبذلك تفقد الرساميل الموجودة بين أيدي البورجوازية القوة على التحكم في قوة العمل وعلى إنتاج الربح ! وهكذا يُلغى الرأسمال بفعل «إيجاد سلطان لا بد للرأسمال ، يعني نظام الفائدة .» (التحويل الغروناني(١) للحق الذي كانت الحكومة تملكه سابقاً في droit d'aubaine(٢) وقد سلطت عليه الأنوار حتى درجة ما) «أن يتلاشى أمامه اذا جاز التعبير» . إنك لتستطيع أن ترى بعد بكل وضوح الحشو البرودوني الأصلي الطنان يتألق من خلال هذه العبارة التي كررها بابا ايزرمان ما لا يحصى من المرات والتي حشرت من ثم في رأسه من قبل غرون ، إن ما يجول في خاطر هؤلاء القوم ليس أكثر أو أقل من **شراء فرنسا بأكملها** في الوقت الراهن ، وربما العالم بأسره فيما بعد ، بواسطة المدخرات البروليتارية ،

---

(١) نسبة الى غرون

(٢) الاستيلاء على تركة الأجنبي بعد وفاته .

بشرط أن يتخلوا عن الربح أو الفائدة على رأسمالهم . هل خطر في بال أنسان قط هذا المخطط العبقري ، وهل لن يكون الطريق أقصر بما لا يقاس ، طالما أنه لا بد من القيام بمثل هذه المأثرة ،إذا عمدنا بصورة مباشرة الى سك قطع الفرنكات الخمسة من الفضة المحتواة في بريق القمر ؟ وإن اولئك الحمقى هنا (أقصد العمال الألمان) يؤمنون بهذا الهذيان . إن فتياناً يعجزون عن تدبير أمورهم بحيث يحتفظون بستة قروش في جيوبهم كي يحتسوا شيئاً من الشراب في الأمسيات التي تجمعهم في حانة ما يريدون أن يبتاعوا toute la belle France[1] بمدخراتهم . إن روتشيلد وطاقمه ليسوا سوى نفر تافه الى جانب ملوك المال العمالقة هؤلاء . يكفي هذا كي يسبب للمرء نوبة من المرض . إن غرون هذا قد شوش اذهان اولئك الفتيان أيما تشويش ، حتى أن أسخف العبارات تتردد بصورة أكثر معقولية في أذانهم من أبسط الوقائع المستخدمة كحجة اقتصادية . إنه لمما يثير الحنق أن يكون المرء ملزماً بعد بمعارضة مثل هذا الهراء الهمجي . بيد أنه لا بدَّ من الصبر ، ولن أفلت هؤلاء الفتيان حتى أطرد غرون من الميدان وأنظف جماجمهم المحشوة بالحماقات ...

## ٦

## إنجلز الى لجنة المراسلات الشيوعية في بروكسل

## رسالة اللجنة رقم ٣

**باريس ، في ٢٣ تشرين الاول ١٨٤٦**

ليس ثمة شيء كثير يقال بشأن القضية مع الستراوبنجريين هنا ، والشيء الرئيسي هو أن نقاط الخلاف المتنوعة التي اضطررت حتى الآن لحسمها مع الشباب قد سويت جميعاً في الوقت الراهن . لقد طرد نصير غرون الرئيسي وتلميذه ، بابا ايزرمان ، وانهار كلياً ما للباقين من نفوذ على كتلة الشباب ، وحصلت على قرار ضدهم اقترع عليه بالاجماع .

---

(١) فرنسا الجميلة بكاملها .

واليك ما حدث باختصار :

لقد نوقش المشروع البرودونـي الخاص بالجمعية طوال ثلاث ليال ، وكانت العصابة بكاملها على وجه التقريب ضدي بادىء الأمر ، لكن لم يتبق معارضون لي آخر الأمر سوى ايزرمان وأتباع غرون الثلاثة الآخرين . وكانت النقطة الرئيسية هي إثبات ضرورة الثورة العنيفة ، وعلى العموم البرهان على أن الاشتراكية الحقيقية التي ينادي غرون بها ، والتي استمدت حياة جديدة من الترياق البرودونـي ، هي ضد برولتيارية ، وبورجوازية صغيرة ، وستراوبنجيرية[1] . ولقد ثارت حفيظتي في النهاية من جراء التكرار الدائم لنفس الحجج من قبل معارضي فشننت على الستراوبنجيريين هجوماً مباشراً أثار استياءاً عظيماً بين أنصار غرون ، لكنه أتاح لي أن أستدرج ايزرمان النبيل الى **هجوم مكشوف** على الشيوعية . وعندئذ انهلت عليه جلداً لا هوادة فيه بحيث لم يعاود الظهور مطلقاً .

وإني لأستخدم الآونة الممسك الذي قدمه ايزرمان لي ـ الهجوم على الشيوعية ـ وعلى الأخص لأن غرون لم يتوقف طوال الوقت لحظة واحدة عن التآمر ، فهو يتنقل بين الورشات داعياً الناس الى مقره أيام الآحاد ، الخ ، الخ ، . وفي يوم الأحد التالي للجلسة آنفة الذكر ارتكب **هو نفسه** تلك الحماقة التي لا حدود لها فهاجم الشيوعية في حضور ثمانية أو عشرة من الستراوبنجيريين . عندئذ أعلنت أنه يجب ، قبل أن أشترك في أي مناقشة لاحقة ، أن نجري اقتراعاً على ما اذا كنا نجتمع في هذا المكان كشيوعيين أم لا . واذا كان الأمر كذلك ، فيجب أن نعمل على ألا تتكرر مرة أخرى تلك الهجمات على الشيوعية التي من نمط ذلك الهجوم الذي شنه ايزرمان ؛ واذا لم يكن الأمر كذلك ، اذا هم كانوا مجرد أفراد عابرين يناقشون مسائل عابرة هناك ، فأني لا أبالي بهم مثقال ذرة اذن ، ولن أعود مرة أخرى . وارتاع أنصار غرون لذلك أيما ارتياع ، وقالوا إنهم يجتمعون «في صالح الجنس البشري» ، وفي سبيل استنارتهم الخاصة، فهم أناس تقدميو التفكير، وليسوا عقائديين ضيقي الأفق،الخ، الخ، وبعد فمن المؤكد أنه من المحال تسمية أفاضل مثلهم «أفراداً عابرين» . والأكثر من ذلك

---

(١) نسبة الى ستراوبنجر Straubinger ، أي الحرفي البورجوازي الصغير .

أنه لا بد لهم أن يعرفوا باديء الأمر ما هي الشيوعية على وجه الدقة (هؤلاء الكلاب الذين يسمون أنفسهم شيوعيين منذ سنوات ولم يأبقوا إلا خوفاً من غرون وايزرمان اللذين تسللا الى صفوفهم تحت راية الشيوعية !) . ومن الطبيعي أني لم أتعثر في شرك مطلبهم اللطيف فأخبرهم ، هم الجهلة ، بكلمتين أو ثلاث كلمات ما هي الشيوعية . وأعطيتهم تعريفاً بسيطاً حتى الدرجة القصوى ، وهو تعريف لا يتناول اكثر من النقاط الخصوصية المطروحة على بساط البحث ، وإذ يفترض مشاعية السلع يستبعد المسالمة او التلطف أو الاعتبار حيال البورجوازية أو الستراوبنجيريين ، وأخيراً الشركة المساهمة البرودونية باحتفاظها بالملكية الفردية وكل ما يشتمل ذلك عليه . وفضلاً عن ذلك ، فإن هذا التعريف ما كان يتضمن شيئاً يمكن أن يوفر الفرصة للاستطرادات أو التملص من الاقتراع المقترح . وهكذا حددت أهداف الشيوعية بالطريقة التالية :

١ ـ تحقيق مصالح البرولتياريا بصورة متعارضة مع مصالح البورجوازية ؛ ٢ ـ إنجاز ذلك من خلال إلغاء الملكية الخاصة والاستعاضة عنها بمشاعية الخيرات ؛ ٣ ـ عدم الاعتراف بأي وسيلة من أجل تنفيذ هذه الاهداف غير الثورة الديموقراطية العنيفة .

ونوقشت هذه الأمور طوال أمسيتين . وفي الأمسية الثانية انحاز أفضل الثلاثة من أنصار غرون الى جانبي بعد ما استشعر مزاج الغالبية ، أما الآخران فكانا يتناقضان طوال الوقت دون أن يلاحظا ذلك . وإن بعض الفتيان الذين لم يسبق لهم قط أن تحدثوا من قبل قد فتحوا أفواههم فجأة وأعلنوا أنهم يقفون الى جانبي بكل حزم ، ولم يكن أحد حتى ذلك الحين قد اتخذ هذا الموقف سوى جونغ . وإن بعض هؤلاء الرجال الجدد ، على الرغم من أنهم كانوا يرتعشون في خوف قاتل من أن يستولي الارتباك عليهم ، قد تحدثوا بصورة ظريفة جداً ، وكان يبدو عليهم على العموم أنهم يتمتعون بذكاء صحي تماماً . وباختصار ، فحين انتهى الأمر الى الاقتراع أعلن الاجتماع أنه شيوعي بمعنى التعريف السابق الذكر بثلاثة عشر صوتاً ضد صوتين هما صوتا الرجلين اللذين استمرا على اخلاصهما لغرون ـ وقد أعلن أحدهما في وقت لاحق أن حنيناً عظيماً الى الاهتداء كان يجتاحه ...

# ٧

# انجلز الى ماركس

## [باريس ، حوالي ٢٥ تشرين الأول ١٨٤٦]

عزيزي ماركس

تلقيت ذلك العمل ضد كرييج . جيد تماماً . وما دمت وقعت لوحدك فلا بدَّ أن ينسب كرييج إليَّ شخصياً اللهجة المتعجرفة للوثيقة الأولى(١) ، وسوف يحرّق الارم بعد هذه الوثيقة الثانية ، لكن ذلك سواء بالنسبة الي . وإنه ليستطيع ، اذا كان هذا يرضيه ، أن يصورني في خبثه الشخصي أسود كالحاً للستراوبنجيريين الأميركيين .

لسوف يتبين لك من رسالتي الى اللجنة كيف اجتذبت الستراوبنجيريين هنا الى جانبي . ويعرف الشيطان أني لم أوفرهم . فقد هاجمت أسوأ مستبقاتهم وأخبرتهم أنهم ليسوا بروليتاريين البتة . لكن ما أروع بعدئذ كيف تصرف ذلك النصير لغرون بطريقة عادت علي بفائدة عميمة وأساءت اليه في الوقت نفسه .

أعتقد أنه سيكون في مقدوري أن أتغلب على المصاعب مع الستروابنجيريين هنا . إن هؤلاء الناس لجهلة بصورة مروعة في الحقيقة وغير مهيئين على الاطلاق بفعل ظروفهم الحياتية . ليس ثمة أي منافسة على الاطلاق فيما بينهم : فالأجور ثابتة دائماً عند نفس المستوى ، كما ان الصراعات مع المعلم لا تدور حول مسألة الأجور مطلقاً ، بل حول «كبرياء العامل المياوم» ، الخ . وإن محلات الثياب الجاهزة تؤثر بصورة ثورية في الخياطين الآن . لو أنها لم تكن مهنة على هذا القدر من التعفن !

لقد صنع غرون مقداراً مخيفاً من الضرر . لقد أحال كل الأشياء التي كانت محددة في أذهان هؤلاء الناس الى مجرد أحلام يقظة ومطامح أنسانية النزعة ، الخ . لقد

---

(١) الوثيقة المقصودة هي بيان معروف بعنوان «**منبر الشعب** ، يصدرها هرمان كرييج» ، وقد حرره ماركس وانجلز وأرسلته لجنة المراسلات في بروكسل الى جميع لجان المراسلة الشيوعية . وكان هذا البيان عرضاً لآراء هرمان كرييج ، رئيس تحرير الصحيفة النيويوركية **منبر الشعب** واحد ممثلي «الاشتراكية الحقيقية» . ولقد استعاض كرييج عن نضال البروليتاريا الطبقي بالتبشير العاطفي بالمحبة والعدالة وما شابه .

حشا رؤوسهم ، بدعوى مهاجمة شيوعية وايتلنغ وغيرها من أنماط الشيوعية العقائدية ، بالعبارات الأدبية والبورجوازية الصغيرة الغامضة ، وادعى أن كل ما عدا ذلك متاجرة بالأنظمة . وإن المنتسبين أنفسهم ، الذين لم يكونوا من أنصار وايتلنغ في يوم من الأيام ـ أو أن عدداً ضئيلاً منهم على الأكثر كان من أنصاره ـ قد اجتاحتهم المخاوف الوهمية من «شيوعية الخبز»(١) وكانوا على استعداد تام ـ على الأقل قبل اتخاذ القرار ـ لأن ينساقوا مع أكثر الأحلام وهمية ومع المشاريع السلمية الهادفة إلى إسباغ السعادة على الجنس البشري ، الخ .، بالأحرى من «شيوعية الخبز» هذه . إن الاضطراب الذي لا حدود له يسود هنا بلا منازع .

أرسلت قبل أيام الى هارنيي هجوماً خفيفاً على نزعة المسالمة عند الديموقراطيين الأخويين(٢) . وفضلاً عن ذلك ، فقد كتبت اليه من أجل الابقاء على المراسلة معكم .

المخلص

إ .

## ٨

## ماركس الى ب . ف . أنينكوف

**بروكسل ، في ٢٨ كانون الأول ١٨٤٦**

عزيزي السيد أنينكوف

كنتَ تلقيتَ ردي على رسالتك المؤرخة في الأول من تشرين الثاني قبل زمن طويل لولا أن صاحب المكتبة التي أبتاع كتبي منها أرسل لي في الأسبوع الماضي كتاب السيد برودون **فلسفة البؤس** . ولقد قرأته خلال يومين حتى يكون في استطاعتي أن أعطيك في الحال رأيي فيه . وبما أني قرأت الكتاب في عجلة كبيرة فلن أستطيع الدخول في التفاصيل ، لكني أستطيع أن أخبرك عن الانطباع العام

---

(١) Loffel Kommunismus

(٢) **الديموقراطيون الأخويون** منظمة كانت موجودة في لندن بين ١٨٤٥ و ١٨٥٣ . وكانت تتألف من الميثاقيين Chartists من انصار الجناح اليميني وثوريين هاجروا من بلدان اوروبية مختلفة .

الذي تركه في فحسب . واذا شئت فيمكنني أن أدخل في التفاصيل في رسالة ثانية .

ولا بد لي من الاعتراف بكل صراحة بأني وجدت الكتاب رديئاً على العموم ، ورديئاً جداً . وإنك لتضحك أنت نفسك في رسالتك من «رقعة الفلسفة الألمانية» التي يتبرج بها السيد برودون في هذا الكتاب عديم الشكل والمدعي ، لكنك تفترض إن الحجة الاقتصادية لم تتلوث بالسم الفلسفي . وما أبعدني أنا الآخر عن أن أنسب نقائص المحاكمة الاقتصادية الى فلسفة السيد برودون . إن السيد برودون لا يعطينا نقداً كاذباً للاقتصاد السياسي لأنه صاحب نظرية فلسفية سخيفة ، لكنه يعطينا نظرية فلسفية سخيفة لأنه يخفق في فهم النظام الاجتماعي القائم حالياً في son engrénement[1]،هذا كي نستخدم كلمة استعارها السيد برودون ، مثلها مثل كثير غيرها ، من فوريه .

لماذا يتحدث السيد برودون عن الله ، وعن العقل العمومي ، وعن عقل البشرية اللاشخصاني الذي لا يخُطىء أبداً ، والذي كان على الدوام مساوياً لذاته عبر جميع العصور ، والذي يكفي المرء أن يملك الوعي الصحيح عنه كما يعرف الحقيقة ؟ لماذا يستنجد بالهيغلية الراهنة ليضفي على نفسه مظهر المفكر الجريء ؟

إنه يزودك هو نفسه بمفتاح هذا اللغز : إن السيد برودون يرى في التاريخ سلسلة من التطورات الاجتماعية ؛ إنه يجد التقدم وقد تحقق في التاريخ ؛ وأخيراً يجد أن البشر ، بوصفهم أفراداً ، لا يعرفون ما كانوا يصنعون ،وقد أخطأوا بشأن حركتهم الخاصة ، وهذا يعني أن تطورهم الاجتماعي يبدو للوهلة الأولى متميزاً ومنفصلاً ومستقلاً عن تطورهم الفردي . وهو لا يستطيع أن يفسر هذه الحقائق ، ولذا فإن فرضية العقل العمومي الذي يتظاهر تأتي في وقتها تماماً . وليس اسهل من اختراع الأسباب الصوفية ، يعني عبارات تفتقر الى الحس السليم .

لكن حين يعترف السيد برودون بأنه لا يفقه شيئاً عن تطور البشرية التاريخي ـ وإنه ليعترف بذلك باستعماله كلمات طنانة مثل العقل العمومي ، والله ، الخ ـ أفلا يعترف أذن بصورة ضمنية وبالضرورة بأنه عاجز عن فهم التطور الاقتصادي ؟

---

(١) تشابكه .

ما هو المجتمع ، كائناً ما كان شكله ؟ نتاج فعل البشر المتبادل . هل البشر أحرار في اختيار هذا الشكل أو ذاك من المجتمع ؟ أبداً . افترض حالة خصوصية لتطور امكانات الانسان الانتاجية تحصل على شكل خصوصي للتجارة والاستهلاك . افترض مراحل خصوصية لتطور الانتاج والتجارة والاستهلاك تحصل على تركيب اجتماعي مقابل ، وتنظيم مقابل للأسرة ، وللمراتب أو الطبقات ، وباختصار تحصل على مجتمع مدني مقابل . افترض مجتمعاً مدنياً خصوصياً تحصل على شروط سياسية خصوصية ليست هي سوى التعبير الرسمي عن المجتمع المدني . ولن يفهم السيد برودون هذا قط لأنه يعتقد أنه يأتي عملاً عظيماً حين يحتكم من الدولة الى المجتمع المدني ـ يعني من خلاصة المجتمع الرسمية الى المجتمع الرسمي .

ومن نافلة القول أن نضيف أن البشر ليسوا أحراراً في اختيار **قواهم الانتاجية** ـ التي هي أساس تاريخهم بأسره ـ لأن كل قوة انتاجية هي قوة مكتسبة ، نتاج فاعلية سابقة . وبالتالي فالقوى الانتاجية نتاج طاقة بشرية عملية ؛ بيد أن هذه الطاقة هي نفسها مشروطة بالظروف التي يجد البشر أنفسهم فيها ، بالقوى الانتاجية الحاصلة من قبل ، بالشكل الاجتماعي الذي يوجد قبل أن يوجدوا ، والذي لا يخلقونه ، والذي هو نتاج الجيل السابق . ومن جراء هذه الحقيقة البسيطة، الا وهي أن كل جيل جديد يجد نفسه مالكاً للقوى الانتاجية التي اكتسبها الجيل السابق ـ وهي تخدمه على اعتبارها المواد الخام من أجل الانتاج الجديد ، يقوم تماسك في التاريخ البشري ، ويتشكل تاريخ بشري هو تاريخ للبشرية بقدر ما تكون قوى الانسان الانتاجية ، وبالتالي علاقاته الاجتماعية ، أكثر تطوراً . وبالتالي فانه يتبع ذلك بالضرورة أن تاريخ البشر الاجتماعي ليس هو قط شيئاً سوى تاريخ تطورهم الفردي ، سواء أكانوا واعين له أم لا . ان علاقاتهم المادية هي أساس جميع علاقاتهم . وإن هذه العلاقات المادية هي مجرد الأشكال الضرورية التي تتحقق فيها فعاليتهم المادية والفردية .

إن السيد برودون يخلط ما بين الأفكار والأشياء . فالبشر لا يتخلون قط عما يملكونه ، لكن هذا لا يعني أنهم لا يتخلون قط عن الشكل الاجتماعي الذي اكتسبوا

فيه بعض القوى الانتاجية . إن الامر على النقيض من ذلك ، اذ أنهم ملزمون ، حتى لا يحرموا من النتيجة التي تم التوصل اليها ويفقدوا ثمار الحضارة ، أن يبدلوا جميع أشكالهم الاجتماعية التقليدية حالما لا يعود أسلوبهم في تدبير التعامل متفقاً مع القوى الانتاجية الحاصلة . وإني لأستخدم كلمة «التعامل» هنا بمعناها الأوسع ، كما نستعمل كلمة Verkehr في الألمانية . ومثال ذلك أن الامتيازات ، وإقامة النقابات الحرفية ، ونظام العصور الوسيطة التنظيمي ، قد كانت أشكالاً اجتماعية تقابل وحدها القوى الانتاجية الحاصلة والشرط الاجتماعي الذي كان موجوداً من قبل والذي نشأت هذه المؤسسات انطلاقاً منه . ولقد تكدس الرأسمال تحت حماية نظام النقابات الحرفية والتنظيمات ، كما تطورت التجارة ما وراء البحار ، ونشأت المستعمرات . بيد أن البشر كانوا يفقدون ثمار هذه الامور جميعاً لو أنهم حاولوا أن يحتفظوا بالأشكال التي نضجت تلك الثمار تحت درعها . ومن هنا انفجرت صاعقتان ـ ثورتا عام ١٦٤٠ وعام ١٦٨٨ . إن جميع الأشكال الاقتصادية القديمة ، والعلاقات الاجتماعية المقابلة لها ، والشروط السياسية التي كانت التعبير الرسمي عن المجتمع المدني القديم ، قد دُمرت في انكلترا . وهكذا فالاشكال الاقتصادية التي ينتج البشر ويستهلكون ويتبادلون فيها هي أشكال **انتقالية وتاريخية** . وإما يكتسب البشر إمكانات انتاجية جديدة فانهم يبدلون نمط انتاجهم ، ومع نمط الأنتاج جميع العلاقات الاقتصادية التي هي مجرد العلاقات الضرورية لهذا النمط الخصوصي في الانتاج .

هذا ما لم يفهمه السيد برودون ، وأقل من ذلك برهن عليه . ان السيد برودون ، العاجز عن اقتفاء أثر حركة التاريخ الحقيقية ، يقدم مشهداً وهمياً يدعي بكل وقاحة أنه مشهد جدلي . إنه لا يستشعر أي ضرورة للحديث عن القرون السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر ، لأن تاريخه ينبثق في مملكة الخيال الضبابية ويرتفع بعيداً فوق الزمان والمكان . وباختصار ليس هو تاريخاً ، بل سقط هيغلي بال ، ليس هو تاريخاً دنيوياً ـ تاريخ الانسان ـ بل تاريخ مقدس ـ تاريخ الأفكار . وليس الانسان من وجهة نظره سوى الأداة التي تستخدمها الفكرة أو العقل الأبدي كي تتجلى للعيان . إن **التطورات** التي يتحدث عنها السيد برودون تُفهم على اعتبارها تطورات من ذلك النمط الذي يتم في الاحشاء الصوفية للفكرة المطلقة . واذا ما أنت

مزقت القناع عن هذه اللغة الصوفية فإن ما تؤول اليه هو أن السيد برودون يعرض عليك النظام الذي تترتب فيه المقولات الاقتصادية ضمن ذهنه الخاص . ولن يتطلب الأمر مني جهداً كبيراً لأثبت لك أنه نظام ذهن بالغ الاضطراب.

ويبدأ السيد برودون كتابه بمقالة مطولة عن القيمة التي هي موضوعه المدلل . ولن اتعرض اليوم لدراسة هذه المقالة المطولة .

إن سلسلة التطورات الاقتصادية للعقل الابدي تستهل مع تقسيم العمل الذي هو بالنسبة الى السيد برودون شيء بسيط تماماً . لكن ألم يكن نظام الطوائف تقسيماً خاصاً للعمل أيضاً ؟ ألم يكن نظام النقابات الحرفية تقسيماً آخر للعمل ؟ وهل لم يكن تقسيم العمل في ظل نظام المانيفاكتورة ، الذي بدأ في انكلترا في أواسط القرن السابع عشر وكانت نهايته في القسم الأخير من القرن الثامن عشر ، مختلفاً كذلك كل الاختلاف عن تقسيم العمل في الصناعة الكبيرة الحديثة ؟

إن السيد برودون لبعيد جداً عن الحقيقة بحيث يهمل حتى ما يوليه الاقتصاديون العاديون عنايتهم . فحين يتحدث عن تقسيم العمل لا يستشعر أية ضرورة لذكر السوق العالمية . حسناً . ومع ذلك أفلا ينبغي أن يكون تقسيم العمل في القرنين الرابع عشر والخامس عشر ، حين لم تكن ثمة مستعمرات بعد ، وحين لم يكن لأميركا وجود بعد بالنسبة الى أوروبا ، ولم تكن آسيا الشرقية موجودة بالنسبة اليها إلا عبر القسطنطينية ، مختلفاً بصورة أساسية عما كان عليه في القرن السابع عشر بعدما تطورت المستعمرات ؟

وليس هذا بكل شيء . أيكون التنظيم الداخلي للأمم برمته ، أتكون علاقاتها الدولية جميعاً شيئاً آخر سوى التعبير عن تقسيم خصوصي للعمل ؟ وهلا ينبغي أن تتغير هذه العلاقات عندما يتغير تقسيم العمل ؟

لقد كان فهم السيد برودون لقضية تقسيم العمل ضئيلاً جداً بحيث لا يأتي مطلقاً على ذكر انفصال المدينة عن الريف ، هذا الانفصال الذي جرى في ألمانيا على سبيل المثال من القرن التاسع حتى القرن الثاني عشر . وهكذا فإن هذا الانفصال هو ، بالنسبة الى السيد برودون ، قانون أزلي طالما أنه لا يعرف أصله أو

تطوره . وإنه يتحدث طوال كتابه كما لو أن هذا الخلق لنمط خصوصي في الانتاج سوف يستمر حتى نهاية الزمان . ان كل ما يقوله السيد برودون عن تقسيم العمل هو مجرد خلاصة ، والأكثر من ذلك أنها خلاصة سطحية جداً وناقصة جداً ، لما قاله من قبله آدم سميث وألوف غيره .

إن التطور الثاني (١) هو الآلات ، والعلاقة بين تقسيم العمل والألات علاقة صوفية تماماً بالنسبة الى السيد برودون . إن لكل نوع من تقسيم العمل أدواته الخاصة من أجل الانتاج . ومثال ذلك ان الناس لم يصنعوا كل شيء بأيديهم بين منتصف القرن السابع عشر ومنتصف القرن الثامن عشر ، بل كانت لديهم أدوات ، وأدوات بالغة التعقيد فضلاً عن ذلك ، مثل الأنوال ، والمراكب ، والرافعات الخ .

وهكذا فليس ثمة ما هو أسخف من اشتقاق الآلات من تقسيم العمل بصورة عامة .

ويمكنني كذلك أن ألاحظ ، بالمناسبة ، أن السيد برودون فهم بصورة ضئيلة جداً أصل الآلات التاريخي،لكن فهمه لتطورها كان أقل من ذلك أيضاً.ويستطيع المرء أن يقول إنه حتى عام ١٨٢٥ ـ فترة الأزمة العامة الأولى ـ ازدادت طلبات الاستهلاك على العموم بصورة أسرع كثيراً من الانتاج ، وكان تطور الآلات العاقبة الضرورية لحاجات السوق . ومنذ عام ١٨٢٥ ، كان اختراع الآلات وتطبيقها ، بكل بساطة ، نتيجة الحرب الدائرة بين العمال والمستخدمين . لكن هذا لا ينطبق سوى على انكلترا . وأما بشأن الأمم الأوروبية ، فقد أجبرت على تطبيق الآلات من جراء المزاحمة الانكليزية سواء في أسواقها الداخلية أم في السوق العالمية . وأخيراً كان تطبيق الآلات في اميركا الشمالية ناجماً عن المزاحمة مع البلدان الأخرى وعن نقص الأيدي العاملة على حد سواء ، يعني عن انعدام التناسب بين سكان أميركا الشمالية واحتياجاتها الصناعية . وإنك لتستطيع أن تتبين من هذه الوقائع مبلغ

---

(١) للعقل الأبدي

الحصافة التي يبديها السيد برودون حين يستحضر شبح المزاحمة على اعتبارها التطور الثالث ، أو نقيضة الآلات !

وأخيرا وعلى العموم ، فإنه من السخف كلياً أن تُجعل الآلات مقولة اقتصادية جنباً الى جنب مع تقسيم العمل ، والمزاحمة ، ونظام الأئتمان الخ .

فليست الآلات مقولة اقتصادية أكثر من الثور الذي يجر المحراث . إن تطبيق الآلات في يومنا الراهن هو إحدى علاقات نظامنا الاقتصادي القائم ، لكن الطريقة التي تُستخدم الآلات بها تتميز كلياً من الآلات بحد ذاتها . إن البارود بارود ، سواء استخدم لجرح المرء أم تضميد جراحه (١) .

وإن السيد برودون ليتجاوز نفسه حين يسمح للمزاحمة ، والاحتكار ، والضرائب أو الضابطة الأمنية ، وميزان التجارة ، والائتمان والملكية ، بأن تتطور داخل رأسه بالترتيب الذي أتيت على ذكرها به . إن جميع المؤسسات الائتمانية على وجه التقريب تطورت في انكلترا في مطلع القرن الثامن عشر ، قبل اختراع الآلات . ولم يكن الائتمان العام سوى طريقة جديدة من أجل زيادة الضرائب وتلبية المطالب الجديدة التي خلقها صعود البورجوازية الى السلطة . وأخيراً فإن المقولة الأخيرة في نظام السيد برودون تتشكل من **الملكية** . ومن جهة أخرى فإن تقسيم العمل وجميع مقولات السيد برودون الأخرى هي في العالم الواقعي علاقات اجتماعية تشكل بمجموعها ما يعرف بالملكية في يومنا الحاضر ؛ وليست الملكية البورجوازية خارج هذه العلاقات سوى وهم ميتافيزيائي أو فقهي . أما ملكية عصر آخر ، الملكية الاقطاعية ، فتتطور في سلسلة من العلاقات الاجتماعية المختلفة كلياً . وحين يقيم السيد برودون الملكية من حيث هي علاقة مستقلة يرتكب أكثر من مجرد خطيئة في الطريقة : إنه يبين بكل وضوح أنه لم يدرك الرابطة التي توحد جميع أشكال الانتاج **البورجوازي** ، وأنه لم يفهم الطابع **التاريخي والانتقالى** لأشكال الانتاج في عصر مخصص . إن السيد برودون ، الذي لا يعتبر مؤسساتنا الاجتماعية منتجات تاريخية ،

---

(١) تلاعب بالألفاظ . فكلمة **Powder** تعني في وقت واحد البارود والمسحوق الذي يستعمل لتضميد الجروح .

والذي لا يستطيع أن يفهم أصلها أو تطورها ، لا يمكنه أن ينتج سوى نقد عقائدي لها .

وهكذا يضطر السيد برودون أن يلتجيء الى وهم كيما يفسر التطور . إنه يتوهم أن تقسيم العمل ، والأئتمان ، والآلات ، الخ .، قد ابتكرت جميعاً كيما تخدم فكرته الثابتة ، فكرة المساواة . وإن تفسيره لساذج بصورة جليلة . إن هذه الأشياء قد ابتكرت في مصلحة المساواة ، لكنها انقلبت ضد المساواة لسوء الحظ . ويشكل هذا حجته بكاملها . وبكلام آخر فإنه يطلق افتراضاً ليس له مسوغ ، ومن ثم يستنتج ، نظراً لأن التطور الفعلي يعارض وهمه لدى كل خطوة أن هناك تناقضاً ما . وإنه ليخفي عنك حقيقة أنه ليس للتناقض وجود إلا بين أفكاره الثابتة والحركة الواقعية .

وهكذا لم يدرك السيد برودون ، والسبب الرئيسي في ذلك افتقاره الى المعرفة التاريخية ، أن البشر حين يطورون إمكاناتهم الانتاجية ، يعني حين يعيشون ، فهم يطورون بعض العلاقات فيما بينهم ، وأن طبيعة هذه العلاقات يجب ان تتبدل بالضرورة مع تغير الامكانات الانتاجية ونموها . إنه لم يدرك أن **المقولات الاقتصادية مجرد تعابير تجريدية** عن هذه العلاقات الفعلية ، وهي لا تظل صحيحة إلا أثناء قيام هذه العلاقات . وبالتالي فإنه يقع في خطيئة الاقتصاديين البورجوازيين الذين ينظرون الى هذه المقولات الاقتصادية على اعتبارها أزلية وليس على اعتبارها قوانين تاريخية ما هي قوانين إلا من أجل تطور تاريخي خصوصي ، من أجل تطور محدد للقوى الانتاجية . وهكذا فإن السيد برودون ، بدلاً من أن يعتبر المقولات السياسية ـ الاقتصادية تعابير تجريدية عن العلاقات التاريخية الاجتماعية الواقعية الانتقالية ، لايرى في العلاقات الواقعية ، بفضل انقلاب صوفي ، سوى تجسيد تلك التجريدات . وإن هذه التجريدات نفسها صيغ كانت هاجعة في قلب الله الآب منذ بداية العالم .

لكن سيدنا الطيب برودون يسقط هنا في اختلاجات فكرية قاسية . فاذا كانت جميع هذه المقولات الاقتصادية انبثاقات من قلب الله ، اذا هي كانت حياة الانسان الخفية والأبدية ، فكيف حدث أن هناك أولا مثل هذا الشيء الذي هو التطور ،

وثانياً أن السيد برودون ليس محافظاً ؟ إنه يفسر هذه التناقضات الواضحة بمجموعة كاملة من المتضادات .

ولنأخذ مثالاً يسلط الضوء على هذه المنظومة من المتضادات .

إن **الاحتكار** شيء حسن ، لأنه مقولة اقتصادية ، وبالتالي إشعاع من الله . وإن المزاحمة شيء حسن لأنها مقولة اقتصادية هي الأخرى . لكن ما ليس هو بالشيء الحسن هو واقع الاحتكار وواقع المزاحمة . والأسوأ من ذلك أيضا هو حقيقة أن المزاحمة والاحتكار يلتهمان بعضهما بعضاً . ما العمل ؟ لما كانت هاتان الفكرتان الأبديتان لله تتناقضان ، فإنه يبدو من الجلي في نظره أن في صدر الله كذلك تركيباً لكلتيهما تعدّل فيه المزاحمة شرور الاحتكار والعكس بالعكس . ولن يظهر بنتيجة الصراع بين الفكرتين سوى الجانب الحسن منهما وحده . ويجب على المرء أن ينتزع هذه الفكرة السرية من الله ومن ثم يطبقها ، فتسير الامور اذن على خير ما يرام ؛ إن الصيغة التركيبية التي تهجع مختفية في ظلمة العقل اللاشخصاني للانسان يجب أن تُكشف للعيان . ولا يتردد السيد برودون لحظة واحدة في التقدم على اعتباره الكاشف لها .

لكن انظر لحظة واحدة الى الحياة الواقعية . إنك لا تجد في الحياة الاقتصادية للوقت الراهن المزاحمة والاحتكار وحدهما ، بل تجد تركيبهما أيضاً ، هذا التركيب الذي ليس هو **صيغة** بل **حركة** . إن الاحتكار ينتج المزاحمة ، والمزاحمة تنتج الاحتكار . بيد أن هذه المعادلة ، وهي أبعد ما تكون عن القضاء على مصاعب الوضع الراهن ، كما يتوهم الاقتصاديون البورجوازيون أنها تفعل ، تؤدي الى وضع أشد تعقيداً وغموضاً . وبالتالي فاذا أنت غيرت القاعدة التي تنهض عليها العلاقات الاقتصادية في الوقت الراهن ، اذا انت دمرت النمط الحالي للانتاج ، فانك لن تدمر اذن المزاحمة والاحتكار وتضادهما فحسب ، بل ستدمر فضلاً عن ذلك وحدتهما ، تركيبهما ، الحركة التي هي التوازن الفعلي للمزاحمة والاحتكار .

وسوف أقدم اليك الآن مثالاً على جدلية السيد برودون .

إن **الحرية والعبودية** تشكلان تضاداً . ولا حاجة بي الى الحديث عن جوانب

الحرية الجيدة والرديئة ، كما لا حاجة بي الى التوقف ، عند الحديث عن العبودية ، عند جوانبها الرديئة . إن الشيء الوحيد الذي يجب ايضاحه هو جانبها الحسن . ولسنا نعالج العبودية غير المباشرة ، عبودية البروليتاريا ، بل العبودية المباشرة ، عبودية الأجناس السوداء في سورينام ، وفي البرازيل ، وفي الولايات الجنوبية لأميركا الشمالية .

إن العبودية المباشرة تشكل محوراً لتصنيعنا اليوم يضاهي الآلات ، ونظام الائتمان ، الخ . فلا قطن بدون العبودية ، ولا صناعة حديثة بدون القطن . لقد جعلت العبودية للمستعمرات قيمة ، والمستعمرات خلقت التجارة العالمية ، والتجارة العالمية هي الشرط الضروري من أجل الصناعة الآلية الكبيرة . وهكذا فالمستعمرات لم تزود العالم القديم قبل أن تبدأ تجارة العبيد سوى بعدد ضئيل من المنتجات ، وهي لم تحدث أي تغيير مرئي في وجه الأرض . وبالتالي فالعبودية مقولة اقتصادية بالغة الأهمية . إن أميركا الشمالية ، وهي البلد الأكثر تقدمية ، سوف تتحول بدون العبودية الى أرض رعوية . ويكفيك أن تمسح أميركا الشمالية من خارطة الأمم حتى تحصل على الفوضى ، والانحطاط التام للتجارة والحضارة الحديثة . لكن العمل على زوال العبودية يعني مسح أميركا من خارطة الأمم . ولذا فنحن نجد العبودية ، من جراء كونها مقولة اقتصادية ، في كل أمة منذ بداية العالم ، والأمم الحديثة انما عرفت فقط كيف تقنع العبودية في بلدانها الخاصة ، بينما هي تستوردها علناً الى العالم الجديد . وبعد هذه الملاحظات عن العبودية ، كيف سيستطرد صاحبنا الفاضل السيد برودون ؟ إنه سيبحث عن التركيب بين الحرية والعبودية ، عن الوسيلة الذهبية أو التوازن بين العبودية والحرية .

لقد ادرك السيد برودون على أفضل وجه حقيقة ان البشر ينتجون الثياب ، والكتان ، والحرائر ، وتلك جدارة عظيمة من جانبه أن يكون قد أدرك هذا القدر الضئيل ! إن ما لم يفهمه هو أن هؤلاء البشر ، وفقاً لمؤهلاتهم ، ينتجون أيضاً **العلاقات الاجتماعية** التي يهيئون في ملئها الثياب والكتان . ولقد فهم أقل من ذلك أيضاً ان البشر ، الذين ينتجون علاقاتهم الاجتماعية بصورة متفقة مع انتاجيتهم

المادية ، ينتجون أيضاً **الافكار** ، **والمقولات** ، يعني التعابير المثالية المجردة عن هذه العلاقات الاجتماعية ذاتها . وهكذا فليست المقولات أبدية أكثر من العلاقات التي تعبر عنها . إنها منتجات تاريخية وانتقالية . بيد أن الأمر على النقيض من ذلك بالنسبة الى السيد برودون ، إذ أن التجريدات ، المقولات ، هي السبب الأولي . فعنده أنها هي التي تصنع التاريخ ، وليس البشر هم الذين يصنعونه . إن **التجريد ، المقولة من حيث هي مقولة** ، يعني منفصلة عن البشر وعن فعالياتهم المادية ، هي بكل تأكيد خالدة ، غير متبدلة ، وغير متحركة ؛ إنها مجرد أحد أشكال وجود العقل الخالص ، الأمر الذي لا يعدو كونه أسلوباً آخر للقول بأن التجريد من حيث هو تجريد هو مجرَّد . ياله من لغو رائع !

وهكذا فإن العلاقات الاقتصادية ، باعتبارها مقولات ، هي بالنسبة الى السيد برودون صيغ أبدية لا أصل لها ولا تطور .

ولنطرح ذلك بطريقة أخرى : إن السيد برودون لا يقرر بصورة مباشرة أن **الحياة البورجوازية** هي بالنسبة اليه **حقيقة أبدية** ؛ إنه يقرر ذلك بصورة غير مباشرة حين يؤله المقولات التي تعبر عن العلاقات البورجوازية في صورة الفكر . إنه يأخذ منتجات المجتمع البورجوازي على اعتبارها كائنات أبدية قامت بصورة عفوية ، تتمتع بحياة خاصة بها ، حالما تتقدم الى ذهنه في صورة المقولات ، في صورة الفكر . وهكذا فإنه لا يرتفع فوق الأفق البورجوازي . ولما كان يعمل بواسطة الأفكار البورجوازية التي يفترض سلفاً حقيقتها الأبدية ، فإنه بنشد تركيباً ، توازناً لهذه الأفكار ، ولا يرى أن الطريقة الراهنة التي تتوصل بها الى التوازن هي الطريقة الممكنة الوحيدة .

وفي الحقيقة أنه يفعل ما يفعله جميع البورجوازيين الطيبين . إنهم يخبرونك جميعاً بأن المزاحمة ، والاحتكار ، الخ .، هي في المبدأ ، يعني من حيث هي افكار مجردة ، القاعدة الوحيدة للحياة ، لكنها تعاني في الممارسة من نقائص كثيرة . إنهم يريدون جميعاً المزاحمة بدون النتائج القتالة للمزاحمة . إنهم يطلبون جميعاً المحال ، يعني شروط الوجود البورجوازي بدون النتائج الضرورية لهذه الشروط . وليس بينهم من

يفهم ان الشكل البورجوازي للانتاج شكل تاريخي وانتقالي ، تماماً مثلما كان الشكل الاقطاعي . وإن هذه الخطيئة لتنشأ عن كون الانسان البورجوازي هو بالنسبة إليهم الاساس الوحيد لأي مجتمع ؛ إنهم لا يستطيعون أن يتخيلوا مجتمعاً يكف فيه البشر عن كونهم بورجوازيين .

وهكذا فالسيد برودون doctrinaire(١) بالضرورة . فالحركة التاريخية التي تقلب العالم الحالي رأساً على عقب ترتد عنده الى قضية اكتشاف التوازن المضبوط ، التركيب ، لفكرتين بورجوازيتين . وهكذا يكتشف الفتى الذكي ، بفضل حصافته ، فكرة الله المستترة ، وحدة فكرتين منعزلتين ـ وهما ليستا بمنعزلتين إلا لأن السيد برودون عزلهما عن الحياة العملية ، عن الانتاج الراهن الذي هو مزيج الحقائق التي تعبر عنهما . ففي مكان الحركة التاريخية الكبرى الناشئة عن النزاع بين القوى الانتاجية التي سبق للبشر اكتسابها وعلاقاتهم الاجتماعية التي لم تعد تتفق بعد الآن مع تلك القوى الانتاجية ؛ في مكان الحروب الرهيبة التي تتهيأ بين الطبقات المختلفة داخل كل أمة وبين الأمم المختلفة ؛ في مكان فعل الجماهير العملي والعنيف الذي يمكن به وحده حل هذه النزاعات ـ في مكان هذه الحركة العريضة والمديدة والمعقدة ، يضع برودون الحركة المتقلبة لذهنه الخاص . وهكذا فرجال المعرفة هم الذين يصنعون التاريخ ، الرجال الذين يعرفون كيف يختلسون أفكار الله السرية ، وليس على عامة الناس سوى أن يطبقوا اكتشافاتهم . ولسوف تفهم الآن السبب في كون السيد برودون العدو اللدود لكل حركة سياسية . فحل القضايا الراهنة لا يقوم بالنسبة اليه في العمل العام بل في الدورانات الجدلية لعقله الخاص . ولما كانت المقولات هي القوى المحركة بالنسبة اليه ، فليس من الضروري تغيير الحياة العملية بهدف تغيير المقولات ، بل الأمر على النقيض من ذلك تماماً ، اذ ينبغي للمرء أن يغير المقولات ، وسوف تكون عاقبة ذلك تغيير للمجتمع القائم .

ولا يسأل السيد برودون ، في توقانه الى مصالحة التناقضات ، ما اذا كان ينبغي

---

(١) مذهبي

قلب أساس هذه التناقضات بالذات . إنه لأشبه ما يكون بذلك المذهبي السياسي الذي يريد أن يكون الملك ومجلس النواب ومجلس الأعيان أجزاء متكاملة من الحياة الاجتماعية ، أو مقولات أبدية . إن كل ما يسعى اليه صيغة جديدة يقيم بها توازنا بين تلك القوى التي يقوم توازنها على وجه الدقة في تلك الحركة الفعلية التي تكون فيها القوة الواحدة المنتصرة على القوة الأخرى تارة وعبدة لها تارة أخرى . وهكذا كان عدد من المفكرين التافهين منشغلين في القرن الثامن عشر في البحث عن الصيغة الحقيقية التي ستحقق التوازن بين الطبقات الاجتماعية ، من نبالة ، وملك ، وبرلمان ، الخ . ، وقد استيقظوا ذات صباح ليجدوا أنه لم يعد هناك بعد الآن ، في واقع الأمر ، أي ملك أو برلمان أو نبالة . لقد كان التوازن الحقيقي في هذا التضاد هو قلب جميع العلاقات الاجتماعية التي كانت تخدم كأساس لتلك الوجودات الاقطاعية ولتضادات هذه الوجودات الاقطاعية .

ولما كان السيد برودون يضع الأفكار الأبدية ، مقولات العقل الخالص ، في جانب واحد والكائنات البشرية وحياتها العملية ، التي هي عنده تطبيق تلك المقولات ، في جانب آخر ،فإن المرء يجد عنده منذ البداية ثنائية بين الحياة والأفكار ، بين النفس والجسد ، وهي ثنائية تتكرر في أشكال متعددة . وانك لتستطيع أن تتبين الآن أن هذا التضاد لا يعدو كونه عجز السيد برودون عن فهم الأصل الدنيوي والتاريخ الدنيوي لهذه المقولات التي يؤلهها .

لقد أضحت رسالتي منذ الآن طويلة جداً بحيث لا أستطيع أن أتحدث عن الدعوى السخيفة التي يرفعها السيد برودون ضد الشيوعية . ولكنك توافقني مؤقتاً على أن رجلاً لم يفهم حالة المجتمع الفعلية لا يتوقع منه إلا أن يكون فهمه أقل للحركة الساعية الى قلب تلك الحالة ، والتعابير الأدبية عن هذه الحركة الثورية .

إن النقطة الوحيدة التي اتفق فيها كل الاتفاق مع السيد برودون هي نفوره من أحلام اليقظة العاطفية ذات النزعة الاشتراكية . ولقد سبق لي ، من قبله ، أن اثرت قدراً كبيراً من العداء ضدي بسبب سخريتي من هذه الاشتراكية العاطفية ،

الطوباوية ، البلهاء.ولكن ألا يغرِّر السيد برودون بنفسه بصورة غريبة حين يجعل عاطفيته البورجوازية الصغيرة - إني أقصد بياناته الخطابية عن البيت ، والحب الزوجي ، وجميع التفاهات المماثلة الأخرى - في تعارض مع العاطفية الاشتراكية التي تذهب عند فوريه على سبيل المثال الى أعمق كثيراً مما تصل اليه التفاهات المدعية لصاحبنا الفاضل برودون ؟ وإنه ليعي هو نفسه كل الوعي خواء حججه ، وعجزه المطلق عن الحديث عن هذه الأمور ، فينفجر في عواصف عنيفة من الهياج ، والصخب ، والغضب الصالح ، فيزبد ، ويلعن ، ويتهم ، وينادي بالويل والثبور ، ويضرب صدره ويتباهى أمام الله والانسان بأنه لم يتدنس بالشرور الاشتراكية ! إنه لا ينتقد جدياً النزعات العاطفية الاشتراكية ، أو ما يعتبره كذلك ، بل يلقي بحرمانه ، مثل رجل قدسي ، أو مثل البابا ، في وجه الخطاة المساكين ويترنم بأمجاد البورجوازية الصغيرة وبالأوهام الرعوية والعشقية البائسة للموقد المنزلي . وليس هذا بالأمر الطارىء . ذلك أن السيد برودون هو من رأسه حتى أخمص قدميه فيلسوف البورجوازية الصغيرة واقتصاديها . ففي مجتمع متقدم يصبح **البورجوازي الصغير** بالضرورة ، من جراء مركزه بالذات ، اشتراكياً من جهة واحدة واقتصادياً من جهة ثانية ، يعني أن عظمة البورجوازية الكبيرة تشدهه ، وهو يتعاطف مع آلام الشعب . إنه في وقت واحد بورجوازي ورجل من الشعب . وإنه ليتملق نفسه ، في اعماق ذاته، لأنه رجل غير منحاز قد وجد التوازن الصحيح الذي يزعم أنه شيء مختلف عن الوسيلة الذهبية . إن بورجوازياً صغيراً من هذا النمط يمجد **التناقض** لأن التناقض أساس وجوده . وليس هو نفسه شيئاً آخر سوى التناقض الإجتماعي في حالة الفعل ، ولا بدَّ له أن يبرر في النظرية ماهيته في الممارسة ، وقد كان للسيد برودون جدارة كونه لسان الحال العلمي للبورجوازية الصغيرة الفرنسية - وهي جدارة أصيلة ، لأن البورجوازية الصغيرة سوف تشكل جزءاً مكملاً من جميع الثورات الاجتماعية الوشيكة .

كنت أتمنى أن أرسل كتابي عن الاقتصاد السياسي مع هذه الرسالة ، لكنني لم أتمكن حتى الآن من طبع هذا المؤلف ، مع نقد الفلاسفة والاشتراكيين الألمان الذي

حدثتك عنه في بروكسل [1] . إنك لن تصدق قط ما يصطدم به نشر مؤلف من هذا النمط من مصاعب في ألمانيا ، من جانب الشرطة من جهة واحدة ، ومن جانب باعة الكتب من جهة ثانية ، هؤلاء الذين يشكلون هم أنفسهم الممثلين المنحازين لجميع تلك الاتجاهات التي أهاجمها . أما فيما يتعلق بحزبكم ، فلا يقتصر الأمر على كونه فقيراً ، بل إن فئة واسعة من الحزب الشيوعي الألماني ناقمة عليَّ أيضاً بسبب معارضتي لطوباوياتها وبياناتها الخطابية .

المخلص لك

**كارل ماركس**

**حاشية** : يمكنك أن تسألني عن السبب في كتابتي اليك بالفرنسية الرديئة بدلاً من الألمانية الجيدة . ذلك أني أعالج كاتباً فرنسياً .

أكون شاكراً لك جزيل الشكر اذا لم تؤخر ردك طويلاً ، بحيث أستطيع أن أعرف ما اذا فهمت أفكاري الملفوفة بالفرنسية الهمجية .

---

(١) إشارة الى نقد السياسة والاقتصاد السياسي والايديولوجية الألمانية .

## ١٨٤٧

## ٩

# انجلز الى ماركس

## [باريس ، في ٢٣ ـ ٢٤ تشرين الثاني ١٨٤٧]

عزيزي ماركس

لم يتقرر مجيئي إلا هذا المساء فقط . فليكن اذن ـ السبت مساء في اوستند،فندق لاكورون ، عند البركة تجاه محطة سكة الحديد مباشرة ، والأحد صباحاً عبر المياه (١). واذا أنتم أخذتم القطار الذي بين الرابعة والخامسة فسوف تصلون الى هناك حوالي الوقت الذي أصل فيه .

واذا لم يكن هناك ، خلافاً لتوقعاتنا ، أية سفينة نقل متجهة الى دوفر ، فاكتب إلي بهذا الشأن في البريد العائد . ومعنى ذلك أنك ما دمت ستستلم هذه الرسالة صباح الأربعاء ، فلا بدَّ لك أن تستعلم عن الأمر في الحال ، واذا كان هناك ما تكتبه لي فيجب أن توضع الرسالة في مركز البريد الرئيسي في مساء اليوم نفسه ، وأعتقد قبل الساعة الخامسة . وهكذا فاذا شئت أن تعدل شيئاً في موعد اجتماعنا ، فسوف يكون هناك وقت لذلك . واذا لم أتلق أية رسالة حتى صباح الجمعة ، فأتصور أني سألتقي بك وبتيديسكو السبت مساء في لاكورون . وسوف يكون لدينا اذن متسع من الوقت لنتحدث عن الأمور . يجب أن يكون هذا المؤتمر حاسماً ، **طالما أن الأمور جميعاً ستسير على هوانا هذه المرة ...**

---

(١) الاشارة الى الرحلة التي قام بها ماركس وانجلز الى لندن لحضور المؤتمر الثاني للعصبة الشيوعية الذي انعقد في تشرين الثاني ١٨٤٧ . وقد تبنى المؤتمر المبادىء البرنامجية الرئيسية التي قدمها ماركس وكلف ماركس وانجلز بوضع برنامج للعصبة .

أعِدْ التفكير قليلاً في دستور الايمان . أعتقد أنـه من الأفضـل أن نتخلى عن الشكل التعليمي ونسمي الشيء : **بيان شيوعي** . وبما أنه لا بد من سرد قدر متفاوت من التاريخ فيه فليس الشكل الذي اتخذه حتى الآن بالشكل الملائم مطلقاً . إني أجلب معي ما صنعته هنا[1] ؛ وهو في شكل قصصي بسيط ، لكنه مصاغ بصورة بائسة ، وبسرعة مخيفة . إني أبدأ : ما هي الشيوعية ؟ ثم باستقامة الى البروليتاريا ـ تاريخ نشأتها ، والاختلاف عن الشغيلة السابقين ، وتطور التضاد بين البروليتاريا والبورجوازية ، والأزمات ، والنتائج . وفيما بين ذلك مختلف أنواع المسائل الثانوية ، وفي الختام سياسة الشيوعيين الحزبية ، وذلك بقدر ما يجب الاعلان عنها . وإن ما لدي هنا لم يعرض كله للمصادقة حتى الآن ، لكن اذا استثنينا بعض التفاصيل الصغرى فإن في نيتي أن أعيد صياغته في شكل يخلو على الأقل من كل ما يعارض آراءنا ...

---

(١) **مبادىء الشيوعية** لفريديريك انجلز . وهي المسودة الأولى لبيان الحزب الشيوعي .

# ١٨٤٨

# ١٠

## انجلز الى إ . بلانك

**باريس ، في ٢٨ آذار ١٨٤٨**

.. إن البورجوازيين الكبار والعمال يتجابهون بصورة مباشرة ، بينما يلعب البورجوازيون الصغار دوراً وسيطياً ، لكنه دور ذليل جداً . ومهما يكن من شيء ، فإن هؤلاء الأخيرين يملكون الأغلبية في الحكومة المؤقتة (لامرتين ، ماراست ، دوبون دي لور ، ماري ، غارنيه ـ باجيه ، وكريميو أحياناً أيضاً) . إنهم يتأرجحون كثيراً ، وتتأرجح الحكومة المؤقتة معهم . وبقدر ما تزداد الأمور هدوءاً يزداد ميل الحكومة وحزب البورجوازية الصغيرة نحو البورجوازية الكبيرة ، وبقدر ما تضطرب الأمور يزداد تضامنهم من جديد مع العمال . هكذا كانت الحال مؤخراً ، حين أصبح البورجوازيون من جديد وقحين بصورة مخيفة ، بل سيروا ٨٠٠٠ رجل من الحرس الوطني الى سيتي هول احتجاجاً ضد مرسوم أصدرته الحكومة المؤقتة ، وعلى الأخص ضد تدابير صارمة اتخذها لودرو ـ رولان ، ونجحوا بالفعل في إخافة أغلبية الحكومة ، وكان أكثر الجميع ذعراً ذلك المخنث لامرتين الذي انكر لودرو إذن بصورة علنية . لكنه في الغداة ، في ١٧ آذار ، سار ٢٠٠٠٠٠ عامل الى سيتي هول ، وعبروا عن ثقتهم المطلقة في لودرو ـ رولان ، وأجبروا غالبية الحكومة ولامرتين على سحب قرارهم[١] . وهكذا فإن جماعة الاصلاح[٢] (لودرو ـ رولان وفلوكون ولويس بلان وألبر

---

(١) في ١٦ آذار ١٨٤٨ ، قام فريق من الحرس الوطني بمظاهرة احتجاج ضد المرسوم الذي أصدرته الحكومة المؤقتة بشأن إلغاء وضعهم الممتاز . وكان هذا العمل المضاد للثورة من قبل البورجوازية حافزاً للبرولتياريا «للانحياز الى صف الجمهورية البورجوازية التي بدا لها أنها في خطر» (ماركس) .

(٢) جماعة الاصلاح La Réforme ، وهي صحيفة ناطقة باسم الجمهوريين الديموقراطيين البورجوازيين الصغار ، وقد صدرت في باريس من ١٨٤٣ حتى ١٨٥٠ .

وأراغو) تغلبوا من جديد في الوقت الحاضر . إنهم يمثلون العمال بصورة أفضل من أي أعضاء آخرين في الحكومة برمتها ، وهم شيوعيون دون معرفة منهم . ومن سوء الحظ أن لويس بلان الصغير يستجر على نفسه قدراً كبيراً من السخرية بغروره وخططه البلهاء . ولسوف يجد نفسه ذات يوم وقد فقد الاعتبار كلياً . لكن لودرو ـ رولان يتصرف بصورة رائعة جداً .

وإنه لمن الحظ العاثر أنه لا بدّ للحكومة أن تقطع الوعود من جهة واحدة ، وهي لا تستطيع الوفاء بها من جهة ثانية ، لأنها لا تملك الشجاعة على تأمين الوسائط النقدية المطلوبة باجراءات ثورية مناهضة للبورجوازية : الضرائب التصاعدية المتصلبة ، وضريبة التركات ، ومصادرة ملكيات جميع المهاجرين ، وحظر تصدير الذهب ، ومصرف حكومي . إن جماعة **الاصلاح** يحملون على قطع الوعود ، ثم يصبح من المحال عليهم ، من جراء اتخاذ التدابير المحافظة الأكثر مفاجأة للعقل ، أن يفوا بوعودهم .

وهناك عنصر جديد واحد فقط في الجمعية الوطنية تجب إضافته ـ الفلاحون الذين يشكلون خمسة أسباع الأمة الفرنسية ، وهم من أنصار حزب البورجوازية الصغيرة لصحيفة **ناسيونال** (١) . وإنه لمن المرجح أن يكسب هذا الحزب وأن يسقط جماعة **الاصلاح** . عندئذ تندلع ثورة أخرى . وإنه لمن الممكن أيضاً أن يدرك النواب ، حين يصبحون في باريس ، كيف تسير الأمور هنا ، وأن جماعة **الاصلاح** وحدهم يستطيعون الاحتفاظ بالسلطة مدة طويلة . لكن هذا ليس مرجحاً .

وإن تأجيل الانتخابات لمدة اسبوعين هو كذلك نصر لعمال باريس على الحزب البورجوازي ...

## ١١

## ماركس الى محرر صحيفة «أليا» (فلورنسا)

[كولونيا ، في ٣ أيار ١٨٤٨]

سيدي العزيز

(١) ناسيونال National ، صحيفة صدرت في باريس في ١٨٣١ ـ ١٨٥٠ ، وكانت تنطق باسم الجمهوريين البورجوازيين المعتدلين .

سوف تصدر هنا في مدينة كولونيا ابتداء من الأول من حزيران القادم صحيفة يومية جديدة سوف تسمى **المجلة الرينانية الجديدة** ويصدرها الهر كارل ماركس . ولسوف تتبع هذه الصحيفة هنا في الشمال نفس المبادىء الديموقراطية التي تمثلها **ألبا** في ايطاليا . وهكذا لا يمكن أن يكون ثمة مجال للارتياب في الموقف الذي سنتخذه من القضية المعلقة بين ايطاليا والنمسا . لسوف ندافع عن قضية الاستقلال الايطالي ، ونشتبك في قتال مميت مع الطغيان النمساوي في ايطاليا وفي بولونيا على حد سواء . إننا نمد يداً ودية الى الشعب الايطالي ونريد أن نبين له أن الأمة الألمانية ترفض أي نصيب في الاضطهاد الذي ينزله ببلدكم نفس الرجال الذين حاربوا الحرية دائماً في بلدنا أيضاً . ولسوف نصنع كل ما هو ممكن كي نهيىء الوحدة والتفاهم الودي بين أمتين كبيرتين وحرتين حملهما نظام شائن في الحكم على الاعتقاد حتى الآن بأنهما متعاديتان . ولذا فسوف نطالب بسحب القوات العسكرية النمساوية الوحشية من ايطاليا دونما تأخير وبتمكين الشعب الايطالي من إعلان ارادته ذات السيادة فيما يتعلق بشكل الحكم الذي يرغب فيه .

وإننا لنقترح عليك ، كيما نظل على اتصال بالشؤون الايطالية ونوفر لك الفرصة للحكم على صدق عهدنا ، أن نتبادل صحيفتينا ، يعني أن نرسل اليك **المجلة الرينانية الجديدة** وترسل الينا **ألبا** يومياً . إننا نأمل مخلصين أن توافق على هذا الاقتراح ونطلب منك أن تباشر إرسال **ألبا** بأسرع وقت ممكن بحيث يمكننا الانتفاع منها حتى في أعدادنا القليلة الأولى .

واذا كان في مقدورك أن ترسل الينا مواد اعلامية أخرى أيضاً ، فإننا نسألك أن تزودنا بها ، مؤكدين لك اننا سنبذل من جانبنا أقصى الاهتمام لجميع الأشياء التي يمكن أن تخدم قضية الديموقراطية في أي بلد .

تحياتنا وصداقتنا .

الدكتور **كارل ماركس**

ناشر

## ١٢

# إنجلز الى إ . بلانك

### كولونيا ، في ٢٤ أيار ١٨٤٨

...وفيما عدا ذلك ، فإن بارمن أبعث على الضجر من أي وقت مضى ، وهي موضع الحقد العام على تلك النتفة من الحرية التي يملكونها . إن هؤلاء الحمير يعتقدون أن العالم لا يوجد إلا ليتيح لهم تحقيق الأرباح الوفيرة ، وبما أن ثمة ركودة في الوقت الحاضر فهم يطلقون صراخاً بغيضاً . اذا كانوا راغبين في الحرية فلا بدَّ لهم أن يدفعوا ثمنها . ولا بدَّ للفرنسيين والانكليز أن يدفعوا ثمن هذه الحرية أيضاً ، لكنهم يحسبون هناك أنهم سوف يحصلون على كل شيء مجاناً . إن الأمور هنا أفضل حتى درجة ما ، لكن ليس حتى درجة كبيرة .فلا يبرح البروسيون كما كانوا فيما مضى ، والبولونيون يوصمون بأحط النعوت ، وعند كتابتي هذه الأسطر **تُقصف مايانس من قبل البروسيين** لأن حرس المواطنين اعتقل بعض الجنود المشاكسين السكارى . وإن الجمعية الوطنية ذات السيادة في فرانكفورت تسمع القصف ولا يبدو أنها تتحرك [١] . وفي برلين ينفق كامبهوازن وقته بلا جدوى ، والرجعيون والرسميون والسادة النبلاء يزدادون استبداداً كل يوم ، ويرهقون الشعب ، والشعب يتمرد ، وبلادة كامبهوازن وجبنه يقودانا بصورة مباشرة نحو ثورات جديدة . هذه هي ألمانيا اليوم !
وداعاً .

المخلص
ف . إ .

---

(١) قصر برلمان فرنكفورت العاجز (١٨ أيار ١٨٦٨ ـ ١٨ حزيران ١٨٤٩) نشاطاته على مساجلات عقيمة عن دستور الرايخ بدلاً من أن ينظم الجماهير من أجل صراع حازم ضد الحكم المطلق وتقسيم ألمانيا الأقليمي .

## ١٨٤٩

## ١٣

## انجلز الى جيني ماركس

**فيفيي ، في ٢٥ تموز ١٨٤٩**

عزيزتي السيدة ماركس

لا بدَّ أنك تعجبين ، مثلك مثل ماركس ، لأنكما لم تسمعا من أخباري منذ زمن طويل . هذه هي الأسباب : يوم كتبت الى ماركس (من كايزر سلوترن) ، وردت الأنباء عن احتلال هومبورغ من قبل البروسيين وبذلك انقطعت الاتصالات مع باريس ، فلم يعد في مقدوري ارسال الرسالة وذهبت الى ويليش . وفي كايزر سلوترن اجتنبت أي اهتمام في الثورة المزعومة (١) . لكن حين وصل البروسيون لم أستطع أن أقاوم الرغبة في خوض الحرب أيضاً . ولما كان ويليش الضابط الوحيد الذي يملك بعض الكفاءة ذهبت اليه وأصبحت مساعداً له . ولقد اشتركت في أربعة اشتباكات كان اشتباكان منها على قدر لا بأس به من الأهمية ، وعلى الأخص الاشتباك الذي وقع في راستات ، واكتشفت أن التهور في الهجوم الذي يُبالغ في التبجح به هو الصفة الأكثر عادية التي يمكن للمرء أن يتحلى بها . إن أزيز الطلقات النارية مسألة تافهة تماماً ، وعلى الرغم من قدر كبير من الجبن فإني لم أشاهد عشرة أشخاص تصرفوا خلال الحملة كلها بطريقة جبانة **أثناء القتال** . لكنه كان هناك قدر كبير من «الحماقة الشجاعة» . وختاماً ، فقد خرجت سالماً في كل مكان ، وأرى أن اشتراك أحد أفراد **المجلة الرينانية الجديدة** في القتال كان أمراً جيداً ، لأن جميع الغوغاء الديموقراطيين كانوا في بادن وفي بالاتينيت ، وهم يتبجحون بالأعمال البطولية

---

(١) soi-disant ، بالفرنسية في النص الأصلي .

التي لم يصنعوها قط ، وكان لا بدّ أن نسمع نفس القصّة من جديد : إن السادة من **المجلة الرينانية الجديدة** لأجبن من أن يقاتلوا . لكن أحداً من بين جميع الأسياد الديموقراطيين لم يقاتل ، وكنت أنا وكينكل المقاتلين الوحيدين . ولقد تطوع كينكل في فرقتنا كفارس ، وأبلى بلاء حسناً في أول اشتباك اشترك فيه . ولقد سحجت رصاصة رأسه ، وأخـذ أسيراً .

وبعد ما غطت فرقتنا تراجع جيش بآدن انتقلنا الى سويسرا متأخرين أربعـاً وعشرين ساعة عن جميع الآخرين ووصلنا البارحة الى هنا ، في فيفيي . ولقد كان من المحال بصورة مطلقة بالنسبة الي أن أكتب سطراً واحداً خلال الحملة والمسيرة عبر سويسرا . لكني أعجّل فأفشي المعلومات وأكتب اليك بأسرع وقت طالما أني سمعت ـ في مكان ما في بادن ـ ان ماركس اعتقل في باريس . إننا لم نستطع قط الاطلاع على الصحف ، وبالتالي لم نتحقق من أي شيء على الاطلاق ، ولم أتمكن مطلقاً من التأكد مما اذا كان ذلك صحيحاً أم لا . وإنك لتستطيعين أن تفهمي القلق الذي يساورني اذن ، واني لأطلب منك أن تردي الي عاجلاً راحة الذهن بتزويدي بمعلومات واضحة عن مصير ماركس . وبما أني لم أسمع أي تأكيد عن اعتقال ماركس فلا تزال الآمال تراودني بأن تكون الاشاعة كاذبة . وعلى أي حال ، فأني لا أستطيع أن أشك في أن يكون درونك وشابر سجينين . لكن كفـى . اذا كان ماركس لا يبرح طليقاً فأرسلي اليه من فضلك هذه الرسالة واطلبي اليه أن يكتب الي في الحال . واذا وجد أنه ليس آمناً في باريس فانه سيكون آمناً تماماً هنا في ناحية فود . إن الحكومة تعتبر نفسها حمراء ونصيرة للثورة الدائمة . وينطبق الأمر نفسه على جنيف . إن سكيلي الذي من تريف موجود هناك ، وقد كان واحداً من الذين تسلموا القيادة في فرقة مايانس .

سأمضي على الأرجح الى لوزان أو جنيف حالما استلم بعض المال من البيت وأقرر ما يجب عمله . إن الضجر يراودني من فصيلتي التي قاتلت بشجاعة ، وليس لدي ما أفعله هنا . إن ويليش شجاع في المعركة ، هادىء الأعصاب ، ماهر ، وهو يجد اتجاهه عاجلاً ؛ أما خارج المعركة فهو ايديولوجي متعب أكثر أو أقل و «اشتراكي

حقيقي» . وإن معظم الرجال في الفرقة الذين يستطيع المرء أن يتحدث اليهم قد تلقوا الأمر بالانتقال الى مكان آخر .

لو كنت على يقين فقط من أن ماركس طليق ! وكثيراً ما خطر لي أني كنت ، وأنا في حمأة الرصاصات البروسية ، في مركز خطورته أقل كثيراً من مركز الآخرين في ألمانيا ، وعلى الأخص ماركس في باريس . ولذا أرجو أن تخلصيني عاجلاً من هذه الحالة من الشك .

في خدمتك كلياً

**انجلز**

## ١٨٥١

## ١٤

## ماركس الى انجلز

لندن ، في ٧ كانون الثاني ١٨٥١

عزيزي انجلز

أكتب اليك اليوم لأطرح أمامك مسألة نظرية صغيرة ، من طبيعة سياسة ـ اقتصادية طبعاً .

أنت تعلم ، كي نبدأ من البداية ، أن الريع وفقاً لنظرية ريكاردو لا يعدو كونه الفارق بين تكاليف إنتاج منتج الأرض وسعره ، أو كما عبر عن ذلك دائماً الفارق بين السعر الذي يجب أن تباع به منتجات الأرض الأردأ كيما تغطي النفقات (وربح المزارع المستأجر والفائدة متضمنان دائماً في النفقات) والسعر الذي يمكن أن تباع به منتجات الأرض الأفضل .

وإن زيادة الريع تثبت ، وفقاً لتفسيره الخاص لنظريته :

١ ـ أنه يتم اللجوء الى أنواع من الأرض متزايدة الرداءة أبداً ، أو أن نفس المقدار من الرأسمال المعين بصورة متتالية لنفس الأرض لا يعطي نفس المنتج . وباختصار : إن التربة تتدهور بصورة مطردة مع اضطرار السكان الى طلب المزيد منها . إنها تصبح أقل خصوبة نسبياً . وههنا وجد مالتوس الأساس الواقعي لنظريته عن السكان ، وههنا يفتش تلامذته الآن عن ملاذهم الأخير .

٢ ـ لا يمكن للريع أن يرتفع إلا حين يرتفع سعر القمح (على الأقل وفقاً لقوانين الاقتصاد) : ولا بدّ له أن ينخفض مع هبوط هذا السعر .

٣ ـ حين يرتفع ريع بلد بأسره فلا يمكن تعليل ذلك إلا بحقيقة أن قدراً كبيراً جداً من الأرض الأفقر نسبياً أخضع للزراعة .

إن هذه الافتراضات الثلاثة يناقضها التاريخ في كل مكان .

أ ـ ليس ثمة شك في أن أنواعاً أفقر وأفقر من الأرض تخضع للزراعة مع تقدم الحضارة . لكن ليس ثمة شك كذلك في أن هذه الأنماط الأفقر من الأرض هي ، بنتيجة تقدم العلم والصناعة ، جيدة نسبياً بالمقارنة مع الأنماط الجيدة السابقة .

٢ ـ منذ ١٨١٥ انخفض سعر القمح ـ بصورة غير منتظمة لكن ثابتة ـ من ٩٠ شلناً الى ٥٠ شلناً ودون ذلك ؟ وكان هذا قبل إلغاء قانون الحبوب . وقد ارتفع الريع بثبات . هكذا الأمر في بريطانيا . وكذلك الأمر في القارة في كل مكان ، Mutatis Mutandis (١)

٣ ـ نجد في كل بلد ، كما لاحظ بيتي من قبل ، أنه حين ينخفض سعر القمح يرتفع الريع العام للبلد .

والنقطة الرئيسية في هذا كله هي بعد في توفيق قانون الريع مع تقدم خصوبة الزراعة بصورة عامة ؛ وتلك هي بعد كل شيء الطريقة الوحيدة لايضاح الحقائق التاريخية ، ومن جهة ثانية للتخلص من نظرية مالتوس لا عن تدهور «الأيدي» فحسب ، بل عن تدهور الأرض أيضاً .

أعتقد أنه يمكن ايضاح المسألة بكل بساطة بالطريقة التالية :

فلنفترض أن سعر القمح في مرحلة معينة من الزراعة سبعة شلنات للمد الواحد ، وأن فداناً من الأرض من أجود الأصناف ، يغل ريعاً قدره عشرة شلنات ، ينتج ٢٠ بوشلاً . فالمحصول بالفدان الواحد يساوي اذن ٢٠ في ٧ أو ١٤٠ شلناً . وفي هذه الحال ، فإن تكاليف الانتاج تبلغ ١٣٠ شلناً ، وبالتالي تكون ١٣٠ شلناً ثمن منتج الأرض الأردأ المستثمرة زراعياً .

ولنفترض أن تحسيناً عاماً طرأ على الزراعة الآن . ونحن حين نفترض ذلك نسلم جدلاً في الوقت نفسه بأن العلم والصناعة والسكان ينمون أيضاً . وإن زيادة عامة في خصوبة الأرض مردها الى التحسين تفترض هذه الشروط سلفاً على اعتبارها متميزة من الخصوبة الناجمة عن حادثة موسم صالح .

---

(١) مع التغييرات الضرورية .

ولنقل إن سعر القمح هبط من ٧ الى ٥ شلنات للمد الواحد ، وأن الأرض الفضلى ، رقم ١ ، التي كانت تنتج من قبل ٢٠ بوشلاً أصبحت الآن تنتج ٣٠ بوشلاً . إنها تغل اذن ، بدلاً من ٢٠ في ٧ أو ١٤٠ شلناً ، ٣٠ في ٥ أو ١٥٠ شلناً . وهذا يعني ريعاً قدره ٢٠ شلناً بدلاً من الريع السابق الذي كان قدره ١٠ شلنات . وإن الأرض الأفقر التي لا تدر ريعاً على الاطلاق يجب أن تنتج ٢٦ بوشلاً ، ذلك أن الثمن الضروري لهذا المقدار من القمح ، وفقاً لافتراضنا السابق ، هو ١٣٠ شلناً ، و٢٦ في ٥ تساوي ١٣٠ . واذا كان التحسين ، يعني التقدم العام للعلم الذي يسير يداً بيد مع التقدم العام للمجتمع ، ونمو السكان ، الخ ، ليس على قدر كافٍ من الشمول بحيث تستطيع الأرض الأفقر المستثمرة زراعياً أن تنتج ٢٦ بوشلاً ، فإن ثمن القمح لا يمكن أن ينخفض اذن حتى ٥ شلنات للمد الواحد .

وكما كانت الحال من قبل ، فإن الريع الذي يبلغ ٢٠ شلناً يعبر عن الفارق بين تكاليف الانتاج وسعر الحبوب على الأرض الأجود ، أو بين تكاليف الانتاج على الأرض الأردأ وتكاليف الانتاج على الأرض الأجود . وتظل قطعة الأرض الواحدة ، نسبياً ، على قدر عقمها السابق بالمقارنة مع قطعة الأرض الأخرى .. بيد أن **الخصوبة العامة** قد ازدادت .

إن كل ما افترض مسبقاً هو أنه اذا هبط سعر القمح من ٧ إلى ٥ شلنات ، فإن الاستهلاك ، أو الطلب ، يزداد بالنسبة عينها ، أو أن الانتاجية لا تتجاوز الطلب الذي يمكن توقعه حين يكون السعر ٥ شلنات . ومهما يكن هذا الافتراض كاذباً كلياً اذا هبط السعر من ٧ الى ٥ شلنات من جراء محصول وفير بصورة استثنائية ، فإنه افتراض ضروري حين يكون الارتفاع في الخصوبة متدرجاً ، يحققه المنتجون أنفسهم . وعلى أي حال ، فإننا لا نعالج هنا الا الامكانية الاقتصادية لهذه الفرضية .

ويترتب على ذلك أن :

١ً ـ الريع يمكن أن يرتفع على الرغم من أن سعر منتج الأرض يهبط ، ومع ذلك **يظل قانون ريكاردو صحيحاً** .

٢ً ـ قانون الريع ، كما صاغه ريكاردو في شكله الأبسط ، بصورة مستقلة عن إعداده ، لا يفترض خصوبة التربة المتناقصة ، لكنه يفترض بصورة مسبقة فقط (**على الرغم من كون خصوبة التربة العامة تزداد مع تطور المجتمع**) درجات **مختلفة** للخصوبة الخاصة بقطع الأرض المختلفة ، أو نتائج مختلفة من التوظيف المتتالي للرأسمال في الأرض نفسها .

٣ً ـ بقدر ما يكون تحسين الأرض أعم تكثر أنواع الأرض التي يشملها ، ويكون ريع البلد بأسره قابلاً للارتفاع رغم أن سعر القمح يهبط على العموم . واذا أخذت المثال الوارد الذكر أعلاه ، فان المسألة الوحيدة ستكون كم هو كبير عدد قطع الأرض التي تنتج أكثر من ٢٦ بوشلاً بسعر ٥ شلنات بدون أن تكون ملزمة بأن تنتج ٣٠ بوشلاً تماماً ؛ وهذا يعني ما هو قدر التنوع في نوعية الأرض ما بين الدرجة الأجود والدرجة الأردأ . ولا علاقة لهذا البتة بمعدل ريع الأرض الأجود . إنه لا يؤثر **مطلقاً** ، بصورة مباشرة ، في معدل الريع .

وأنت تعلم أن لب الموضوع فيما يتعلق بالريع هو أن الريع يخُلق بتسوية أسعار المنتجات الناتجة عن تكاليف الانتاج المختلفة ، لكن هذا القانون الخاص بسعر السوق لا يعدو كونه قانوناً للمزاحمة البورجوازية . لكنه حتى اذا أبطل الانتاج البورجوازي ، فان العثرة التي سوف تظل قائمة هي أن التربة تصبح أقل خصوبة نسبياً وأن العمل نفسه ينتج بصورة متتالية أقل مما كان ينتج ، على الرغم من أن الحالة التالية القائمة في ظل النظام البورجوازي لن تدوم ، ألا وهي أن المنتج الذي تغله الأرض الأجود غالي السعر مثل الأرض الأردأ . ووفقاً لما قيل أعلاه لا بدَّ أن يسقط هذا الاعتراض .

أرجوك أن تعطيني رأيك في الموضوع ...

## ١٥

## انجلز الى ماركس

**مانشستر ، في ١٧ تموز ١٨٥١**

... وأخيراً أصبحت اشتراكات الصحيفة في حالة نظامية هنا وتمكنت آخر الأمر من

رؤية وثيقتنا القديمة [1] في **كولينسيشة زيتونغ** . وبالمناسبة فإن **اوغسبرجر زيتونغ** تورد في مقالة بعنوان «دريسدن» بقلم كاتب يبدو أنه حسن الاطلاع في مجالات أخرى أن نوثجونغ ، بنتيجة ممارسات جائرة بحقه في جلسات التحقيق معه ، أذعن أخيراً وقدم اعترافات شاملة . وعلى أي حال فإني أرى أنه من الممكن تماماً أن يكون محققون حاذقون قد أحرجوه سريعاً وأوقعوه في أشد التناقضات جنوناً . ويقال إن موظفاً بروسياً ذهب الى هناك لينتزع المزيد منه ، كما يقال ان ملك هانوفر رفض إقامة الدعوى في أملاكه ، على الأقل بتلك الطريقة الفظة المطبقة في بروسيا ، وهامبورغ ، الخ . ويبدو أن رسالة ميكل تعززذلك . وكما تعلم ، فقد اعتقل مارتنز في هامبورغ . وبالمناسبة ، فليس هنالك ما يثبت حماقة البروسيين بصورة أفضل من التفتيش المنزلي في دار «كارل على الراين» الذي كان مشتبها أيضاً بانتسابه الى العصبة الشيوعية والذي لم توجد في حوزته سوى رسائل من رافو !

إن الوثيقة القديمة لا يمكن أن تسيء الى المعتقلين إلا بالفقرة الوحيدة عن «المبالغات» . أما الفقرات الأخرى فهي موجهة جميعاً ضد الديموقراطيين ولن تزيد من خطورة مركز السجناء إلا اذا جابهوا لجنة للمحلفين نصف ديموقراطية النزعة . لكن اذا حكمنا من المظاهر فإنهم سيقدمون أمام لجنة محلفين منتقاة بكل عناية أو فدرالية ، هذا اذا قدموا الى المحاكمة قط . ولقد كانت هذه الاشياء نفسها مسجلة ، في شكل أعيدت صياغته حتى درجة بعيدة ، في وثيقة بورجرز [2] من قبل ، هذه الوثيقة التي ضبطت منذ البداية . وبالمقابل ، فإنه من المحسنات الكبيرة من مختلف وجهات النظر أن الشيء نشر وانتقل بين الصحف . إن الجماعات المتخفية المنعزلة من الشيوعيين الناشئين ، التي ليست معروفة على الاطلاق لكن التي لا بدّ استقرت بصورة متطابقة مع التجربة الماضية ، في مختلف ارجاء ألمانيا ، ستجد في ذلك سنداً

---

(١) الاشارة الى أول **نداء من اللجنة المركزية الى العصبة الشيوعية** (آذار ١٨٥٠) الذي حرره ماركس وانجلز . وإن هذا النداء الذي صادرته الشرطة البروسية قد نشر في الصحافة البورجوازية بمناسبة اعتقال أعضاء اللجنة المركزية للعصبة وتهيئة المحاكمة الشيوعية في كولونيا .

(٢) النشرة الدورية للجنة كولونيا المركزية للعصبة الشيوعية المؤرخة في ١ كانون الأول ١٨٥٠ ، التي بعث بهابورجرز مع مسودة أنظمة العصبة في وقت واحد .

ممتازاً ؛ وإنه ليتضح من المقالة نفسها في **اوغسبرجر زيتونغ** أنه كان لذلك الشيء تأثير فيها مختلف تماماً عن الاكتشافات الأولى . وإن طريقتها في تقديم المحتويات تبين أنها فهمت ذلك «العمل الجنوني» بصورة جيدة تماماً ـ والحقيقة أنه لم يكن هناك أي سوء فهم على الاطلاق .

وفيما عدا ذلك ، فإن الرجعية الاقطاعية توجه ضرباتها بصورة محمومة جداً وعشوائية جداً ، بحيث أن الحملة المخوفة بأسرها لا تخلق أدنى انطباع في البورجوازية . وإنه لمما يبعث على الضحك تماماً أن نراقب الأن **كولينسيشة زيتونغ** وهي تبشر يومياً بأنه «يجب عبور البحر الأحمر» وتعترف بجميع أخطاء دستوريي عام ١٨٤٨ . وفي الحقيقة ، اذا ما عين كليست ـ ريتزوف رئيساً(١) على كوبلنز ، وباتت تلك **كروز زيتونغ**(٢) الضعيفة أشد بذاءة يوماً بعد يوم بدعاباتها التفهة وقوافيها الحقيرة ، فما عسى ان تفعله المعارضة الدستورية المثقفة الرزينة ؟ مما يؤسف له أن **كروز زيتونغ** ليست لدينا هنا . لقد جعلت اطلع على مختلف انواع المقتطفات منها . إن الاسلوب البروسي المبتذل كلياً ، الزقاقي ، نتن الحماقة ، الذي تسخر به هذه الوريقة الدنيئة من عظماء الشأن الدستوريين ، المحترمين ، الميسورين واللبقين ، ليتجاوز كل خيال . وإذا كان أناس من طراز بيكيراث وغيره من هذه العشيرة يمكن بعد أن يمتلكوا ذرة واحدة من احترام الذات والقدرة على المقاومة ، فمن المؤكد أنهم سيفضلون المعاملة السيئة والتصرفات المهينة لتلك الصحيفة الرينانية العامية **بيردوشيس**(٣) وكل الارهاب الاحمر على المعاملة التي لا بدَّ لهم أن يتحملوها يوماً في الوقت الحاضر على أيدي **السادة الاقطاعيين** (٤) **وكروز زيتونغ** ...

لكن اولئك الكلاب يستحقون ما جرى لهم لأنهم شجبوا أفضل المقالات في **المجلة**

---

(١) Oberpräsident

(٢) Kreuzzeitung الاسم الذي كان يشير به الناس عامة الى نيو بروسيششيه زيتونغ ، وهي صحيفة يومية تصدر في برلين ، وتنطق باسم السادة الاقطاعيين البروسيين .

(٣) Le Pére Duchesse ، صحيفة كان يصدرها هيبرت وقد ظهرت أثناء الثورة البورجوازية الفرنسية في أواخر القرن الثامن عشر ، وكانت شديدة الشعبية بين فقراء المدن .

(٤) Junkers.

**الرينانية الجديدة** على اعتبارها «قدحاً مبتذلاً» . ألا فلتحشر فكرة الفارق الآن في تلك الرؤوس الفارغة . ولسوف يتوقون بعد لأن يستعيدوا ، بصورة مناقضة ، الاحتقار الأتيكي **للمجلة الرينانية الجديدة** ...

## ١٦

## انجلز الى ماركس

**[مانشستر ،حوالي ٢٠ تموز ١٨٥١]**

عزيزي ماركس

أرد اليك طيه الوثائق . أحب رسالة ميكل . إن الفتى يفكر على الأقل ، ومما لا ريب فيه أنه سيثبت آخر الآمر صلاحه اذا ما غادر البلاد لبعض الوقت . ولا ريب أن مخاوفه بشأن الأثر المنافي الذي ستتركه وثيقتنا المنشورة الآن في الديموقراطيين لها مبرراتها في منطقته ؛ بيد أن هؤلاء الديموقراطيين من الفلاحين المتوسطين البدائيين في سكسونيا الواطئة ، الذين كانت **كولينسيشة زيتونغ** تلحس أحذيتهم مؤخراً وتعرض التحالف عليهم ، هم من هذا النوع تماماً ، وهم أدنى كثيراً من البورجوازيين الصغار الديموقراطيين في المدن الكبرى ، هؤلاء الذين يسيطرون عليهم على أي حال . وإن هذه الديموقراطية البورجوازية الصغيرة الطبيعية ، على الرغم من أن هذه الوثيقة وخزتها بعنف ، هي نفسها معتصرة ومضطهدة كثيراً بحيث لا يمكن إلا أن تنتهي بصورة أسرع كثيراً ، جنباً الى جنب مع البورجوازية الكبيرة ، الى ضرورة عبور البحر الأحمر . ولسوف يستسلم الفتيان أكثر فأكثر لضرورة قيام حكم قصير من الارهاب من قبل البروليتاريا ـ ولا يمكن أن يدوم طويلاً على أي حال لأن المحتويات الايجابية للوثيقة هي في الحقيقة سخيفة جداً بحيث لا يمكن أن تقوم مسألة حكم دائم لمثل هؤلاء الناس ، أو التنفيذ الحازم لمثل هذه المبادىء ! وبالمقابل فإن الفلاح الكبير والمتوسط في هانوفر ، الذي لا يملك شيئاً سوى أرضه ، والذي يتعرض منزله ومزرعته وحظائره ، الخ ... لجميع الأخطار من جراء الخراب المتوقع لجميع شركات التأمين ، والذي أصبح فيما عدا ذلك ، منذ أيام أرنست اوغسطوس ، يتذوق تماماً جميع مسرات

المقاومة القانونية ـ إن هذا الملاك الألماني قوي الشكيمة سوف يعنى جيداً بألا يمخر البحر الأحمر قبل أن يضطر لذلك .

ووفقاً لرسالة بيرمباخ ، فإن هوبت هو الخائن ، لكنني لا أستطيع أن أصدق ذلك . ومهما يكن من أمر ، فلا بدَّ من التحقيق في هذه القضية . ومن المؤكد أنه يبدو مما يثير الريبة أن يكون ، بقدر معرفتي ، هوبت طليقاً بعد . وإن فكرة رحلة الى هامبورغ تنطلق من غوتنجن أو كولونيا يجب التخلي عنها . ولا يمكن القول ما هي المعلومات التي يمكن الحصول عليها في هذا الشأن من سجلات المحاكمة أو الاجراءات القضائية ، أو متى يمكن الحصول عليها . واذا كان ثمة خيانة فيجب ألا تُنسى ، وإنه لمن المستحسن أن تعاقب بصورة مثالية في أول فرصة .

آمل أن يطلق سراح دانيلز عاجلاً ؛ إنه على أي حال الرجل الوحيد في كولونيا الذي يملك عقلاً سياسياً ، ولسوف يكون في مقدوره ، على الرغم من كل الرقابة البوليسية ، أن يواصل تسيير الأمور في الصراط المستقيم .

ولنعد من جديد الى تأثير وثيقتنا في الديموقراطيين . يجب على ميكل أن يأخذ بعين الاعتبار على أي حال أننا أرهقنا هؤلاء السادة باستمرار ودونما انقطاع بالكتابات التي كانت في آخر الأمر بيانات حزبية بصورة تزيد أو تنقص . فما الداعي اذن الى هذا الصياح بشأن برنامج لا يفعل سوى أن يلخص بطريقة هادئة جداً ، وعلى الأخص لا شخصية البتة ، ما نشر قبل زمن طويل ؟ أينكرنا تلامذتنا القاريون اذن ويتورطون مع الديموقراطيين الى أبعد مما تسمح به سياسة الحزب وشرف الحزب ؟ اذا كان الديموقراطيون قد أثاروا صخباً ثورياً من جراء الانعدام الخالص للرأي المعارض فمن هو المسؤول عن انعدام الرأي المعارض ؟ لسنا نحن المسؤولين بكل تأكيد ، بل على الأرجح الشيوعيون الألمان في ألمانيا . ويبدو في الحقيقة أن تلك هي العقبة . إن أي ديموقراطي يتحلى ببعض الذكاء لا بدَّ أنه عرف بصورة مسبقة ما يجب عليه أن يتوقعه من حزبنا ـ فلا يمكن للوثيقة أن تكون قد احتوت شيئاً كثيراً جديداً بالنسبة اليه . واذا هم عقدوا تحالفاً مؤقتاً مع الشيوعيين فقد كانوا يدركون على خير وجه شروط هذا التحالف وديمومته ، وما كان يمكن أن يخطر لكائن من كان ، فيما عدا

الفلاحين المتوسطين والمحامين الهانوفريين ، أن يفترض أن الشيوعيين تحولوا منذ ١٨٥٠ عن مبادىء **المجلة الرينانية الجديدة** وسياستها . من المؤكد أن فالديك وجاكوبي لن يحلما قط بمثل هذه الأمور . وعلى أي حال ، فلا يمكن لأية منشورات مْن هذا النمط أن تصنع شيئاً مع المدى الطويل ضد «طبيعة الأشياء» أو ضد «مفهوم العلاقة» كما كان يمكن لشترنر أن يقول ، وسرعان ما سوف تستعيد صيحات الديموقراطيين وتحريضاتهم زخمها التام من جديد ، فيتقدمون يداً بيد مع الشيوعيين . ولقد عرفنا طوال الوقت أن هؤلاء الناس سوف يلعبون معنا لعبة قذرة على أي حال غداة تنتهي الحركة ـ ولا يمكن لأية دبلوماسية أن توقف ذلك .

ومن جهة أخرى فقد سررت أيما سرور من الحقيقة التالية ، ألا وهي أن جماعات شيوعية صغيرة تتشكل ، كما افترضت ، في كل مكان على أساس **البيان** . لقد كان ذلك هو بالضبط ما نفتقر اليه ، باعتبار ضعف جهازنا الاداري القيادي حتى الآن . إنه ليمكن العثور على الجنود دائماً دونما متاعب اذا كان الوضع قد نضج بما فيه الكفاية من أجل ذلك ، لكن امكانية الحصول على جهاز قيادي لا يتألف من العناصر الستراوبنجرية ويمكنّ من القيام بانتقاء أعرض من الجهاز الحالي الذي لا يتألف الا من خمسة وعشرين رجلاً يتحلون ببعض الثقافة هي امكانية سارة جداً في الحقيقة . ويكون من الحسن أن نصدر توصية عامة بأن تُجرى الدعاية في كل مكان بين شغيلة المكاتب . فاذا كان لا بدَّ من تشكيل ادارة فليس يُستغنى عن هؤلاء الفتيان : إنهم معتادون على العمل المرهق ومسك الدفاتر الواضح ، والتجارة هي المدرسة العملية الوحيدة من أجل الكتبة الخدومين . إن محامينا ، الخ .. لا يصلحون لهذا العمل . إن كتبة لمسك الدفاتر وتقديم الحسابات ، رجالاً موهوبين ، على ثقافة جيدة من أجل صياغة البرقيات ، والرسائل ، والوثائق ـ هذا ما نحتاج اليه . إني أستطيع أن أنظم ، بستة كتبة ، فرعاً ادارياً أبسط بما لا يقاس ، وأفضل ترتيباً وأكثر عملية مما أستطيع بستين مستشاراً حكومياً ومشاوراً مالياً بيروقراطياً . بل إن هؤلاء الأخيرين لا يستطيعون أن يكتبوا بصورة مقروءة ، وسوف يفسدون جميع الدفاتر بحيث لا يستطيع المرء أن يعرف رأسها من ذنبها . وباعتبار أن المرء ملزم أكثر فأكثر

بالاستعداد لمثل هذا الاحتمال ، فليست المسألة بعديمة الأهمية . وفيما عدا ذلك ، فإن الكتبة معتادون على العمل الميكانيكي المتواصل ، وطلباتهم أقل ، كما أنه من الأسهل وقايتهم من حياة الكسل والتخلص منهم اذا لم يكونوا صالحين .

إن الرسالة الى كولونيا قد أرسلت ـ لقد بذلت لها عناية جيدة . اذا لم تصل الى هناك فلست أدري ما عساه يحدث . وعلى أي حال ، فليس مما ينصح به كثيراً استعمال عنوان تشولز ـ إنه أحد المدراء السابقين ![1]

## ١٧

## ماركس الى ج . ويديمير

**لندن ، في ١١ ايلول [١٨٥١]**

... كان لا بدَّ للسنيور مازيني أن يعلم هو الآخر أن هذا هو الوقت من أجل حل الحكومات المؤقتة «الديموقراطية» ، فقد استقالت الأقلية من اللجنة الايطالية بعد معارك عنيفة . كان المفروض فيه أن يكون أكثر الجميع تقدماً .

إني أعتبر سياسة مازيني خاطئة بصورة أساسية . فهو يعمل في مصالح النمسا كلياً بتحريضه ايطاليا على قطع العلاقات في الوقت الحاضر . ومن جهة أخرى يتوانى عن التوجه الى ذلك القسم من ايطاليا الذي تعرض للاضطهاد طوال قرون ، أي الفلاحين ، وبذلك يهيىء موارد جديدة من أجل الثورة المضادة . إن السنيور مازيني لا يعرف سوى المدن بنبالتها الليبرالية ومواطنيها المستنيرين . أما الاحتياجات المادية لسكان الريف الايطاليين ـ الذين استنزفوا وأضعفوا بصورة منهجية وخبِّلوا مثل الايرلنديين ـ فهي بكل تأكيد دنيئة جداً من أجل الكلمات المحلقة لبياناته الايديولوجية الكوسموبولويتية الكاثوليكية الجديدة . لكنه من المؤكد أنه مما يتطلب الشجاعة إخبار البورجوازية والنبالة بأن الخطوة الأولى نحو استقلال ايطاليا هي تحرير الفلاحين التام وتحويل نظامهم في المحاصصة الى ملكية بورجوازية حرة . ويبدو أن

---

(١) للمجلة الرينانية الجديدة .

مازيني يعتقد أن قرضاً مقداره عشرة ملايين فرنك أكثر ثورية من كسب عشرة ملايين من الكائنات البشرية . وإني لأخاف جداً من أن تعمد الحكومة النمسوية **نفسها** ، اذا ما تدهورت الأحوال ، الى تغيير نظام الملكية في ايطاليا وإصلاحه على الطريقة «الغاليسية»(١)

أخبر درونك أني سأكتب اليه خلال أيام قليلة . أطيب التمنيات لك ولزوجتك من زوجتي ومني . أعد التفكير في موضوع سعيك الفعلي الى الاستقرار هنا .

المخلص

**ك . ماركس**

## ١٨

## ماركس الى إنجلز

[لندن] ، **في ١٣ ايلول ١٨٥١**

... انقسمت اللجنة الايطالية أيضاً ، وقد انسحبت منها أقلية كبيرة . ويصف مازيني هذا الحدث بكآبة في **صوت الشعب** . ويقال إن الأسباب الرئيسية لذلك هي : الله في المحل الأول. فهم لا يريدون الله . ثانياً ، وهذا سبب أكثر خطورة ، إنهم يتهمون المعلم مازيني بالعمل في مصالح النمسا حين يبشر بالعصيان ، يعني حين يعجل به . وأخيراً يصرون على التوجه بصورة مباشرة الى المصالح المادية للفلاحين الايطاليين ، وهو ما لا يمكن القيام به دون الهجوم من جهة أخرى على المصالح المادية للبورجوازية والنبالة الليبرالية ، اللتين تشكلان الكتيبة المازينية الكبرى . إن هذه النقطة الأخيرة لفائقة الأهمية . اذا لم يعمد مازيني أو أي شخص آخر يضع نفسه على رأس التحريض الايطالي الى تحويل الفلاحين هذه

---

(١) أعلنت الحكومة النمسوية عام ١٨٤٨، في سعيها لاستخدام الفلاحين الغاليسيين في سحق حركةالتحرر الوطني البولونية ، إلغاء الخدمات الاقطاعية في غاليسيا . ومهما يكن من أمر ، فقد أصدرت قوانين في وقت لاحق فرضت على الفلاحين تعويضات مالية .

المرة بصورة صريحة وفورية من Métayers [1] إلى ملاكين أحرار (إن وضع الفلاحين الايطاليين مروع ؛ لقدخضتالآن في قلب القصة القذرة تماماً) ، فإن الحكومة النمسوية ، في حالة الثورة ، سوف تلجأ الى الطرق الغاليسية . ولقد هددت سلفاً في **لويد** [2] «بتغيير تام في أشكال الملكية» و«تدمير النبالة المشاغبة» . واذا لم تنفتح عينا مازيني بعد ، فهو ثور إذن . صحيح أن مصالح التحريض متورطة هنا . من أين له أن يحصل على ملايينه العشرة من الفرنكات اذا كان سيعارض البورجوازية؟ ومن أين له أن يحتفظ بخدمات النبالة اذا كانت ستخبر أن النقطة التالية في جدول الأعمال هي نزع ملكيتها ؟ هذه مصاعب لمثل هذا الدياغوجي من المدرسة القديمة ...

## ١٩

## انجلز الى ماركس

**مانشستر ، في ٢٣ أيلول ١٨٥١**

... إن الانقسام بين الايطاليين مدهش بالضبط . إنه لشيء رائع أن حاكماً ماكراً مثل مازيني تعترضه أخيراً الاعتبارات المادية ، وذلك في بلده بالذات . لقد كانت إحدى النتائج الجيدة للثورة الايطالية أن أكثر الطبقات عزلة انجرفت هناك أيضاً في الحركة وأن حزباً جديداً ، أكثر راديكالية من الهجرة المازينية القديمة ، تكوّن الآن ، وهو يدفع السنيور مازيني بعيداً بصورة تدريجية . ووفقاً للتقارير الصحفية أيضاً ، فإن **المازينسمو** يفقد الاعتبار فيما يبدو حتى في نظر الناس الذين ليسوا هم بالدستورين ولا بالرجعيين ، والذين يستخدمون ما تبقى من حرية الصحافة في بيمون كي يشنوا الهجمات على مازيني ـ وهي الهجمات التي تخفق الحكومة في فهم أهميتها . وفيما عدا ذلك ، فإن الثورة الايطالية تتفوق حتى درجة بعيدة على الثورة الألمانية في فقرها بالأفكار وغناها بالكلمات . إنه لمن حسن الحظ أن بلداً لا يملك

---

(١) المستأجرون ، وهم الفلاحون العاملون بالمحاصصة في النظام السائد في فرنسا وايطاليا

(٢) Lloyd ، صحيفة محافظة كانت تصدر في فيينا في عام ١٨٤٨ ـ ١٨٥٤ .

عملياً في مكان البروليتاريين سوى الرعاع(١) يملك المستأجرين على الأقل . وإن الاسباب الأخرى التي يقدمها المنشقـون الايطـاليون لباعثـة على الفـرح هي الأخرى ، كما أنه من الامور الجيدة كل الجودة أيضاً أن العصبة الوحيدة من المنفيين التي بقيت حتى الآن دون انقسام ، بصورة علنية على الأقل ، سوف تكون حالياً في حالة خصام ...

## ٢٠

## انجلز الى ماركس

[مانشستر ، في ٢٦ ايلول ١٨٥١]

عزيزي ماركس

بقدر ما يتعلق الأمر بتاريخ الحرب لتيشو(٢) ، فهو من وجهة النظر العسكرية أيضاً ضحل بصورة هائلة ، ومزور بصورة مباشرة في بعض المواضع . وفيما عدا الحقيقة العميقة القائلة أن القوة يجب أن تجابه بالقوة ، والاكتشاف المنافي للعقل بأن الثورة لا يمكن أن تكون ظافرة إلا اذا كانت عامة (وبالتالي ، حرفياً ، اذا هي لم تجابه أية مقاومة على الاطلاق ، ووفقاً للمعقول اذا كانت ثورة بورجوازية) ؛ وفيما عدا أن النية الطيبة في ان تسحق «السياسة الداخلية» المشؤومة ، يعني الثورة بالخاصة ، من قبل دكتاتور عسكري ، لم تكتشف بعد على الرغم من كافينياك وويليش ؛ وفيما عدا هذه الصيغة السياسية العظيمة المغزى للنظرة التي يتخذها هؤلاء السادة عن الثورة ، فلا بدّ لنا أن نأخذ بعين الاعتبار ما يلي ، من وجهة النظر العسكرية :

١ ـ إن الانضباط الحديدي ، الذي يستطيع وحده أن يضمن النصر ، هو العكس تماماً من «تأجيل السياسة الداخلية» ومن الدكتـاتورية العسكرية . من أين يصدر

---

(١) في النص الاصلي lazarroni ، وهو اسم يطلق في ايطاليا على العناصر المعدمة التي لا تنتسب الى أية طبقة . وقد استخدمتها الحكومات المطلقة مراراً وتكراراً في صراعها ضد البورجوازية .

(٢) **معالم الحرب القادمة** ، دراسة بقلم الملازم تيشو ، رئيس اركان الجيش الثوري في بادن في ١٨٤٩ . نشر في **نيويوركر ستاتزيتونغ** .

هذا الانضباط ؟ لا بدَّ أن السادة اكتسبوا على أي حال بعض التجربة في بادن وبالاتينيت . إنها لحقيقة واضحة أن تفكك الجيش وتراخي الانضباط التام كانا حتى الآن شرطاً ونتيجة لكل ثورة ظافرة . لقد احتاجتِ فرنسا من ١٧٨٩ حتى ١٧٩٢ أن تعيد تنظيم جيش يعد ٦٠٠٠٠ ـ ٨٠٠٠٠ رجل فقط ـ وذلك هو جيش دوموريير ـ وقد تفكك هذا الجيش نفسه من جديد ، ولم يكن هناك إذا جاز التعبير أي جيش منظم في فرنسا حتى آخر عام ١٧٩٣ . ولقد تطلبت المجر من آذار ١٨٤٨ إلى منتصف عام ١٨٤٩ حتى تشكل جيشاً منظماً بصورة لائقة . ومن أدخل الانضباط الى الجيش في الثورة الفرنسية الأولى ؟ ليس الجنرالات هم الذين فعلوا ذلك ، هؤلاء الذين لم يكتسبوا النفوذ والسلطة على الجيوش المرتجلة إلا بعد بضعة انتصارات في الثورة ، بل الارهاب الذي مارسته السلطات المدنية في تنفيذ سياستها الداخلية ...

## ٢١

## انجلز الى ماركس

### [مانشستر] ، في ٣ كانون الأول ١٨٥١

«Représentants de la France, déliberez en paix» (١). وأين يستطيع السادة أن يتداولوا في سلام أعظم مما في براكات دورسي ، التي تحرسها كتيبة من chasseurs de vincennes. (٢)

لقد بلغ تاريخ فرنسا مرحلة المهزلة العليا . أيمكن أن يتصور شيء أبعث على الضحك من هذا التقليد المضحك للثامن عشر من بروميز المنفذ في زمن السلم من قبل أتفه إنسان في العالم كله ، بمساعدة جنود مستائين ، ودون مصادفة أية مقاومة البتة ، وذلك بقدر ما يستطيع المرء أن يحكم على الأمور في الوقت الراهن ؟ ويا للروعة التي تم بها ضبط جميع الحمقى القدماء ! إن أمكر ثعلب في فرنسا بأسرها ،

---

(١) «يا ممثلي فرنسا ، تداولوا في سلام !»

(٢) قناصة فانسين .

تيير العجوز ، وأحذق محام أمام القوس ، السيد دوبان ، قد وقعا بكل سهولة ، مثلهما مثل السيد كافينياك بفضيلته الجمهورية البلهاء ومثل شانغارنيه المتبجح ، في الشرك الذي نصبه لهما أشهر أحمق في هذا القرن . وفي سبيل إكمال اللوحة ، برلمان مهلهل مع اوديلون بارو بوصفه «لوف فون كالب» ، واوديلون هذا نفسه مطالباً باعتقاله نظراً لمثل هذا الخرق للدستور ، ولكن دون أن ينجح في حملهم على سوقه الى فانسين ! إن القصة برمتها قد ابتكرت خصيصاً من أجل وولف الأحمر : فهو الوحيد الذي يستطيع من الآن فصاعداً أن يكتب تاريخ فرنسا . هل قام في يوم من الايام **انقلاب**(١) في العالم ببيانات أسخف من هذا الانقلاب ؟ والمباهاة النابليونية السخيفة ، والاحتفال بعيد التتويج وباوسترليتز ، والمضاربة على الدستور القنصلي ، وهلم جراً ـ أما أن مثل هذا الأمر يمكن أن ينجح ولو ليوم واحد ، فهذا ما ينحط بسادتنا الفرنسيين الى مستوى صبياني لم يكن له معادل قط .

لقد كان اعتقال خطباء «النظام» الكبار رائعاً ، واعتقال تيير الصغير وشانغارنيه الجريء أمراً ممتازاً تماماً . كذلك كانت جلسة البرلمان المهلهل في الدائرة العاشرة رائعة ، والسيد بيرييه يهتف «عاشت الجمهورية!» من النافذة ، حتى اعتقلت الجماعة بأسرها في النهاية وسجنت بين صفوف من العساكر في باحة للبراكات . ومن ثم نابليون الأحمق ذاك ، الذي حزم حقائبه على الفور كي ينتقل الى التويلري . لو أن المرء عذب نفسه طوال سنة كاملة لما استطاع أن يخترع مهزلة أروع .

وفي المساء ، حين ألقى نابليون الأحمق نفسه أخيراً في ذلك السرير الذي ما أكثر ما اشتاق اليه في التويلري ، فلا بدَّ أن الأبله السخيف أخذ في الحقيقة يتساءل عما يبغيه . قنصلية بدون قنصل أول ؟ لا مصاعب داخلية أعظم مما كان من مصاعب ، على العموم ، خلال السنوات الثلاث الأخيرة ، ولا ضائقة مالية استثنائية ـ حتى في كيس نقوده الخاص ـ ولا تهديد من جانب الأئتلاف عند الحدود ، ولا سان برنار يجب عبوره ، ولا مارنغو يجب كسبها ! إن ذلك ليكفي ، في الحقيقة ، لحمل كائن من

(١) Coup d'état

كان على اليأس . والآن ليس ثمة حتى جمعية وطنية لتدمر الخطط العظمى لهذا العبقري المنكر ؛ لا ، ذلك أن الحمار الكبير هو اليوم ، على أي حال ، حر وطليق ومطلق السلطة مثل الرجل العجوز الكبير عشية الثامن عشر من برومير ، وهو طليق اليدين تماماً . بحيث لا يستطيع أن يمتنع عن عرض ذاته الحمارية في جميع الاتجاهات . يا للمنظور المروع الخاص بانعدام المعارضة !

لكن الشعب ، الشعب ! إن الشعب لا يأبه مقدار ذرة بهذا الشأن كله ، وهو مسرور مثل طفل بهبة حق الانتخاب ، ومن الأرجح أنه سيستخدمها مثل طفل أيضاً . ما عساه ينتج من تلك الانتخابات المضحكة يوم الأحد بعد اسبوع اذا ما وصلنا الى هذه المرحلة قط ؟ لا صحافة ، ولا اجتماعات ، والحكم العرفي بكل وطأته ، وعلى قمة ذلك كله الأمر بأنتخاب النواب خلال أربعة عشر يوماً .

لكن ما الذي سينتج عن هذه الحماقات ؟ «اذا نظرنا اليه من وجهة نظر التاريخ العالمي» ، فإن موضوعاً رائعاً للخطابة يعرض لنا . مثال ذلك : لا يبرح أمامنا أن نرى ما اذا كان نظام بريتوري لأيام الأمبراطورية الرومانية ، الذي كان يفترض دولة شاسعة الأبعاد منظمة كلياً على أسس عسكرية ، وايطاليا مقفرة من السكان ، وانعدام البروليتاريا الحديثة ، ممكناً في بلد ممركز جغرافياً وكثيف السكان مثل فرنسا ، يملك بروليتاريا صناعية كبيرة . أو : ليس للويس بونابرت حزب خاص به ؛ لقد داس بالأقدام الآورليانيين والشرعيين ، ولا بدَّ له الآن أن يقوم بانعطاف نحو اليسار . وإن الانعطاف الى اليسار يعني العفو العام ، والعفو العام يعني الصدام ، الخ . أو أيضاً : إن حق الانتخاب العام هو أساس سلطة لويس نابليون ، وهو لا يستطيع مهاجمته ، وحق الانتخاب العام هو **الآن** متنافر مع وجود لويس نابليون . ومواضيع تأملية مماثلة أخرى يمكن نسجها بصورة رائعة . لكن بعد الذي رأيناه البارحة لا يمكن الاعتماد على الشعب في أي أمر على الاطلاق ، وإنه ليتراءى بالفعل كما لو أن هيغل العجوز في قبره يتصرف كما لو كان روح العالم ويوجه التاريخ ، آمراً بكل إخلاص أن يعاد نشر ذلك كله مرتين ، مرة على اعتباره مأساة عظيمة ومرة على اعتباره مهزلة حقيرة ، مع كوسيديير مكان دانتون ، ولويس

بلان مكان روبسبير ، وبارتيليمي مكان سان جوست ، وفلوكون مكان كارنو ، وذلك المغفل برفقة أول اثني عشرية من الملازمين الرازحين تحت عبء الديون من الذين التقطهم لا على التعيين مكان العريف القصير(١) وكوكبته من الماريشالات . وهكذا وصلنا مسبقاً الى الثامن عشر من برومير .

لقد كان سلوك الشعب الباريسي سخيفاً بصورة صبيانية . ليس ذلك من شأننا : اذا كان الرئيس والجمعية يغتالان بعضهما بعضاً ، فما يعنينا من ذلك ! لكن أن يجد الجيش القحة على أن يفرض حكومة على فرنسا ـ ومثل هذه الحكومة فضلاً عن ذلك ـ فان هذايعني الشعب بكل تأكيد،ولسوف يأخذ الرعاع في التساؤل عن نوع الاقتراع العمومي «الحر» الذي سوف يمارس الآن «للمرة الأولى منذ عام ١٨٠٤ !»

أما كم سيمضي روح العالم ، الذي من الواضح أنه منزعج جداً من البشرية ، في قيادة هذه المهزلة بعد ، وما اذا كنا سنشاهد القنصلية والامبراطورية وعودة الملكية ، الخ ... تمر أمام أعيننا في سياق عام واحد ، وما اذا كانت السلالة النابليوية أيضاً ستجلد في شوارع باريس قبل أن تصبح مستحيلة في فرنسا ، فهذا ما لا يعرفه الا الشيطان وحده . لكنه يخيل الي كما لو أن الأمر سيتخذ مسيرة مجنونة بصورة مرموقة ، وكما لو أن البورجوازيين الصغار الفرنسيين سيصادفون اذلالاً مذهلاً .

وحتى اذا افترضنا أن لويس نابليون وطد مركزه في الوقت الحاضر ، فإن مثل هذا الهراء السخيف لا يمكن أن يستمر على أي حال ، حتى اذا كان الفرنسيون قد هووا الى الحضيض الأدنى . لكن ماذا بعد ذلك ؟ إن هنـاك ذلك الأحمر الصغير اللعين على مرأى النظر ، هذا واضح جداً ، واذا كان السيد بلان ولودرو ـ رولان قد حزما حقائبهما البارحة بعد الظهر ، فقد يفتحانها من جديد اليوم . إن صوت الشعب الراعد لم يستدعهما بعد .

هنا في ليفربول وضع هذا الشأن حداً مفاجئاً للتجارة ، لكنهم في ليفربـول يتاجرون من جديد بعنفوان متجدد ، والسندات الفرنسية لم تهبط إلا بنسبـة ٢ بالمائة .

---

(١) نابليون الأول

وفي هذه الظروف ، فإن محاولاتنا للظهور في الصحافة البريطانية باسم جماعة كولونيا(١) يجب أن تنتظر طبعاً .

فيما يتعلق بالمقالات من أجل **تريبيون**(٢) ، التي من المؤكد أنها نشرت فيها في هذه الأثناء ، أكتب بالانكليزية الى ناشر **تريبيون** . قد يكون دانا غائباً ، لكن من المؤكد أن رسالة تتعلق بالعمل سوف يُردُّ عليها . اخبره أن من واجبه أن يبين بكل وضوح ، في البريد العائد ، إلامَ صارت هذه الأوراق ، واذا كانت قد استخدمت فالمطلوب منه أن يرسل، بالواسطة نفسها ، نسخاً من **التريبيون** تتضمنها ، باعتبار أن أية نسخة لم تحفظ هنا ، ونحن لا نستطيع ، اذا لم تكن أمام أعيننا من جديد المقالات التي أرسلت من قبل ، أن نعمد بعد انقضاء مثل هذه الفترة من الزمن الى الاستمرار في الأعداد التالية من المجموعة (٣)

لابدَّ أنه كان من المشاهد المسلية مراقبة أثر الأنباء الواردة من فرنسا في **طغمة** المهاجرين الأوروبيين . لقد كنت أود أن أشاهد ذلك .

في انتظار أن أسمع منك

المخلص

ف . إ .

## ٢٢

# ماركس إلى انجلز

**لندن في ٩ كانون الأول ١٨٥١**

عزيزي

بما أني ذهلت تماماً من جراء هذه الأحداث المأسوية الهزلية التي وقعت في باريس ،

---

(١) المحامون في محاكمة الشيوعيين في كولونيا .

(٢) **نيويورك ديلي تريبيون** : صحيفة بورجوازية يسارية صدرت عام ١٨٤١ ، وقد أسهم ماركس وانجلز في تحريرها في الخمسينات وأوائل الستينات .

(٣) الأشارة الى كتاب انجلز :**ألمانيا: الثورة والثورة المضادة** .

فقد تأخرت عليك في الجواب . ما كنت أستطيع أن أقول ، كما قال ويليش : عجباً ، إننا لم نتلق نصائح من باريس ! وما كنت أستطيع ، مثل سكابر . أن ألقي خطباً لا تنتهي أمام قدح من الجعة عند شارتنر في سبيل إنقاذ الوطن الأم ، نام سكّابر وبعض من أتباعه ليلتين عند شارتنر بدعوى القيام بالحراسة . إن هؤلاء السادة ، مثلهم مثل لوف فون كالب وشركاه ، قد حزموا أمتعتهم ، لكن بما ان الحيطة هي الجانب الأفضل من الاقدام ، فقد قرروا ألا يشحنوها إلا بعدما «تتقرر» النتيجة .

هل قرأت نداء لويس بلان **البؤساء** ؟ (١) في الغداة احتج برنار لو كلوبيست ضد الادعاء بأنه وقّع هو الآخر هذا التفجع ...

والآن ما عساني أكتب اليك عن الوضع ؟ من الواضح جداً ما يلي : إن البروليتاريا دمّرت قواها . ففي هذه الاثناء ربح بونابرت المباراة لأنه استبدل في الليل الاقتراع السري بالاقتراع العلني . ولقد اشترى الجيش بالمليون ليرة سترلينية المختلسة فعلياً من المصرف ، على الرغم من ايضاحات دارغو المختلفة : أتراه سينجح في انقلاب ثانٍ اذا ما جاءت نتيجة الاقتراع ضده ؟ وهل ستذهب الغالبية الى الصناديق ؟ لقد رحل آل اورليان الى فرنسا . إنه لمن الصعب، بل من المحال على وجه التقريب ، التنبؤ بخاتمة مأساة بطلها كرابولنسكي . وعلى أي حال يبدو لي أن الوضع تحسن بالأحرى منه تدهور من جراء الانقلاب . ان التغلب على بونابرت أيسر من الأمكانية المتوفرة للتغلب على الجمعية الوطنية وجنرالاتها . ولقد كانت دكتاتورية الجمعية الوطنية واقفة عند البوابة .

إن خيبة أمل تيشوف وشركاه رائعة بكل بساطة ، هؤلاء الذين أعتبروا الجيش الفرنسي رسلاً مباشرين للثالوث الديموقراطي : **حرية** ، **مساواة** ، **إخاء** . يا لهم من مساكين ! وإن السيدين مازيني ولودرو ـ رولان ليستطيعان أيضاً أن يغفوا بكل طمأنينة حالياً . لقد كانت الكارثة سقوط المغتربين . وإنه ليتضح الآن أنهم في الثورة دون غرض على الاطلاق . إن هؤلاء السادة قرروا ، كما ترى ، أن يعلقوا التاريخ

---

(١) نداء الى الشعب الفرنسي. نشره فريق من المهاجرين الفرنسيين في لندن يتزعمهم لويس بلان بشأن انقلاب الثاني من كانون الأول ١٨٥١ .

العالمي حتى عودة كوسوث . وبالمناسبة ، فإن اكتتاب البنسات لمصلحة هذا الأخير جمع في لندن ١٠٠ بنساً بالضبط .

تحياتي

المخلص

ك . م .

## ٢٣

## انجلز الى ماركس

### مانشستر ، في ١١ كانون الأول ١٨٥١

عزيزي ماركس

أعيد اليك طية رسالة رينهاردت وكذلك رسالة بيّبر اللتين احتفظت بهما بعض الوقت بسبب أحداث كولونيا .

يبدو أن شيئاً لم ينتج عن الحملة الكبرى للمشردين السبعمائة الى باريس ، هذه الحملة التي بوقت لها الصحف بكل ذلك الضجيج . وفيما عدا ذلك فإن لويس بلان الصغير ، وفقاً لتأوهات الألم المتجددة الصادرة عنه والمرددة في عدد اليوم من **ديلي نيوز** ، هو في أمان في الوقت الحاضر ، حتى يُزعم أنه ليس موجوداً في لندن . لقد كانت المناحة الأولى إلهية بالمقارنة مع مناحة اليوم . الشعب الفرنسي ـ الكبرياء النبيلة ـ الشجاعة التي لا تقهر ـ حب الحرية الأبدي ـ المجد للاقدام البائس ـ وبالتالي فإن الفتى الصغير يحقق انعطافاً نحو اليمين ويبشر بالثقة والوحدة بين الشعب والبورجوازية . انظر برودون ، **نداء الى البورجوازية** ، الصفحة الثانية . وهذه المحاكمة! اذا كان العصاة هزموا فذلك لأنهم ليسوا «الشعب الحقيقي» ، «فالشعب الحقيقي» لا يمكن أن يهزم . واذا كان «الشعب الحقيقي» لم يقاتل ، فذلك لأنه لم يكن راغباً في القتال من أجل الجمعية الوطنية . وصحيح أن في مكنة المرء أن يعترض هنا بأن «الشعب الحقيقي» اذا انتصر مرة سوف يكون هو نفسه دكتاتوراً ، لكن بما أنه أُخِذ على غرة فإنه لم يفكر في الأمر ، وفضلا عن ذلك فما أكثر ما غرر به !

ذلك هو منطق الديموقراطيين الحقير القديم ، الذي يجد رواجاً كبيراً كلما أصيب الحزب الثوري بهزيمة . وحقيقة الأمر في رأيي أن البروليتاريا لم تقاتل هذه المرة في كتلة واحدة لأنها كانت واعية لضعفها وعجزها ، ولسوف ترضى باذعان قدري بدورة جديدة من الجمهورية والأمبراطورية وعودة الملكية والثورة الجديدة حتى تجمع قوة جديدة بقضاء بضع سنوات من البؤس في ظل حكم نظام شديد التطرف قدر الامكان . ولا أقول إن الأمور سوف تتخذ هذا الشكل بالذات ، لكن يبدو لي أن تلك هي النظرة الغريزية الأساسية التي سادت بين أهل باريس يومي الأربعاء والخميس وفي أعقاب إعادة الاقتراع السري وما ترتب على ذلك من انسحاب البورجوازية يوم الجمعة . وإنه لمن الهراء أن نقول إن تلك لم تكن في حال من الاحوال فرصة سنحت للشعب . اذا كانت البزوليتاريا ستنتظر حتى تقرر الحكومة مصيرها (البروليتاريا) ، حتى يقع صدام يتخذ فيه النزاع شكلا أحد وأوضح منه في حزيران ١٨٤٨ ، فلا بدَّ لها أن تنتظر طويلاً . إن المرة الاخيرة التي طرح الأمر فيها بين البروليتاريا والبورجوازية ، وبصورة متميزة تماماً وقتذاك ، قد كانت بخصوص قانون الاقتراع لعام ١٨٥٠

لكن الشعب فضل في ذلك الحين الا يقاتل . لقد كان هذا ، والاشارة المتصلة الى ١٨٥٢ ، برهاناً بحد ذاته على الاعياء ، وهو برهان كان كافياً لنا ، باستثناء حالة الأزمة الاقتصادية ، لنضع نبوءة بالغة الرداءة من أجل عام ١٨٥٢ أيضاً . فمنذ إلغاء الاقتراع العام ومنذ إقصاء البروليتاريا عن المسرح الرسمي أصبح من المبالغ فيه حقاً أن نتوقع من الاحزاب الرسمية أن تطرح المسألة بصورة تناسب البروليتياريا . وكيف كانت الأمور في شباط ؟ لقد ظل الشعب في ذلك الحين في معزل عن الأحداث مثله حالياً . ولا يمكن أن يُنكر في حال من الأحوال أنه حين يسمح الحزب الثوري في أوضاع ثورية بأن تتخذ الأمور انعطافات حاسمة دون أي تدخل من جانبه ، أو اذا تدخل دون أن يخرج من المعركة ظافراً ، فإنه يمكن للمرء أن يكون على يقين جيد من أن هذا الحزب يجب أن يعتبر منتهياً لبعض الزمن . الشاهد على ذلك العصيانات بعد ترميدور وبعد ١٨٣٠ ، أما السادة الذين ينادون

اليوم بصوت مرتفع أن «الشعب الحقيقي» ينتظر فرصة ملائمة فيتعرضون لخطر النزول بصورة تدريجية في نفس المركب الذي نزل فيه اليعاقبة الذين لا حول لهم ولا قوة للاعوام ١٧٩٥ ـ ١٧٩٩ والجمهوريون للأعوام ١٨٣١ ـ ١٨٣٩ كما يتعرضون لسقوط اعتبارهم كلياً .

كذلك لا يمكن أن يُنكر أن تأثير إعادة الاقتراع السري على البورجوازية ، والبورجوازية الصغيرة ، وأخيراً على **عدد كبير من البروليتاريين أيضاً** (جميع التقارير توحي بذلك) قد كان إلقاء نور خاص على شجاعة الباريسيين وبصيرتهم . ومن الواضح أنه لم يخطر قط للكثيرين أن يفكروا كم كانت المسألة التي طرحها لويس نابليون دنيئة وما هي الضمانات المتوفرة على أن نتائج الاقتراع سوف تسجل بصورة مضبوطة ؛ لكن معظمهم اكتشفوا الخدعة من دون ريب وقالوا في انفسهم مع ذلك أن الأمور جميعاً على ما يرام حالياً ، **لو وجدت ذريعة فقط من أجل عدم القتال** .

ووفقاً لرسالة رينهاردت والكشوف اليومية الجديدة عن الأفعال الدنيئة التي يرتكبها الجنود ، وبالخاصة عن تطاولاتهم في الجادات العامة ضد جميع المدنيين دونما تمييز ، كائناً من كانوا ، عمالاً ام بورجوازيين ، حمراً أم بونابرتيين ؛ ووفقاً للأنباء المتراكمة عن العصيانات المحلية حتى في أنأى الزوايا حيث لم يكن أحد يتوقع مقاومة ؛ ووفقاً لرسالة أحد النواب الفرنسيين ، وهو تاجر حالياً في عدد الأمس من **ديلي نيوز** ، فإن النداء الى الشعب يتخذ فيما يبدو اتجاهاً غير مرضٍ بالنسبة الى بونابرت . إن كتلة البورجوازية في باريس لا يبدو في واقع الأمر أنها تستسيغ هذا النظام الجديد بما يحمله من قوانين النفي (١) المفروضة عليها . إن الارهاب العسكري يتطور بسرعة كبيرة وهو شديد التأجج ، كما إن ثلثي فرنسا في حالة الحصار . وإني لأعتقد بعد هذا كله أن كتلة البورجوازية لن تذهب الى صناديق الاقتراع ، وأن هذه المهزلة الانتخابية لن تثمر شيئاً على الاطلاق ، لأنه في جميع المحلات المشكوك فيها

---

(١) إن مرسوم الثامن من كانون الثاني ١٨٥١ قد خول شرطة المحافظات السلطة على النفي دون محاكمة بحق «جميع المشتركين في الجمعيات السرية» . وكان جميع الجمهوريين يمكن أن يحشروا في هذه المقولة . وقد نفى عدد كبير من المواطنين اشتبه بميولهم الجمهورية تحت حكم الأشغال الشاقة بقرار مما سمي اللجان المختلطة المشكلة في كانون الثاني ١٨٥٢ .

حيث سيذهب خصوم لويس نابليون الى الصناديق بأعداد كبيرة سوف يتشاجر رجال الدرك مع الناخبين بحيث يلغى الانتخاب برمته هناك . وعندئذ سوف يعلن لويس نابليون أن فرنسا بأسرها non compos montis (١) وينادي بأن الجيش هو المخلّص الوحيد للمجتمع . وعندئذ تنكشف هذه العملية القذرة بكاملها انكشافاً تاماً ، ولويس نابليون منتصب في وسطها . لكن المسألة يمكن أن تتخذ خلال هذا الاقتراع المضطرب بالضبط اتجاهاً قبيحاً جداً فيما اذا كان يمكن بعد ، في ذلك الوقت ، توقع مقاومة جدية ضد حكومة قائمة .

ويستطيع ذلك الفتى أن يكون على ثقة من مليون صوت من بين الضباط والجنود ، كما أن في البلاد نصف مليون بونابرتي أيضاً ، إن لم يكن أكثر من ذلك . وإن نصف مليون من سكان المدن الجبناء ، إن لم يكن أكثر ، سوف يلقون بأصواتهم في الصناديق الى جانبه . أضف الى ذلك نصف مليون من الفلاحين الحمقى وتسامح بمليون صوت للأخطاء في الاحصاء ، تحصل على ثلاثة ملايين ونصف مليون صوت . أكثر مما حصل عليه حتى نابليون العجوز في امبراطورية ضمت الضفة اليسرى من نهر الراين بأكملها مع بلجيكا ، يعني ما يساوي بالتأكيد اثنين وثلاثين مليوناً من السكان . لماذا لا يرضى بهذا القدر كبداية ؟ واذا هو حصل على هذا العدد ، ربما مع مليون صوت ضده ، فما أسرع ما يأسر البورجوازية اذن . لكن لعله لن يحصل على المليونين ونصف المليون ، ولعله لا يستطيع الاحتيال بحيث ينال مليوناً زائداً من الأصوات بواسطة الأخطاء في الجمع ، على الرغم من أن ذلك يعني توقع الشيء الكثير من إخلاص الموظفين الفرنسيين . ومهما يكن من أمر ، فإن قدراً كبيراً يتوقف على التدابير التي سوف يكون ملزماً باتخاذها في هذه الأثناء . وعلى أي حال ، فمن ذا يستطيع أن يمنع الموظفين من أن يحشوا كلا من صناديق الاقتراع بعدة مئات من أوراق نعم ؟ ليس ثمة صحافة بعد الآن ـ ولا انسان ليحقق في ذلك .

ومهما يكن من شيء ، فإنه من الأمور السيئة بالنسبة الى كرابولنسكي أن الاعتمادات تنخفض من جديد ، وبالنسبة الى لويس بلان أنه لا بدّ له حالياً من

---

(١) معتوهة

الاعتراف بانكلترا على اعتبارها بلداً حراً .

إن الحمر سيحصلون خلال بضعة أشهر على فرصة أخرى لاثبات همتهم ، ربما حتى في الانتخابات . لكن اذا ما عمدوا الى الانتظار حتى وقتذاك ايضاً ، فاني سأتخلى عنهم ؛ وعندئذ لن توفر لهم حتى الأزمة الاقتصادية الأردأ سوى هزيمة جيدة تقصيهم بصورة نهائية عن المسرح لسنتين من الزمن . ما نفع هذه الغوغاء اذا هي نسيت كيف تقاتل ؟

هل بيبر في لندن من جديد ؟ كنت أريد أن أطلب منه أن يعنى بقضية تتعلق بالكتب في فرانكفورت ولا أعلم ما اذا كان لا يزال موجوداً في برايتون .

أسوأ الأمور أنك سوف تصادف حالياً مصاعب مع لوفنتال . سوف يكون أفضل الأمور أن توقع العقد معه .

سوق ليفربول ـ هادئة على اسعار الأمس . سوق مانشستر ـ ثابتة . إن بعض التجارة الفائضة توجه الى المشرق . لا يبرح المشترون الألمان مبتعدين عن السوق .

المخلص

**ف . إ .**

# ١٨٥٢

# ٢٤

# ماركس الى ج . ويديمير

**لندن ، في ٥ آذار ١٨٥٢**

عزيزي ويدي .

أخشى أن الأمور اختلطت حتى درجة ما لأني أرسلت ، وقد أخطأت فهم رسالتك الأخيرة ، الرزمتين الأخيرتين كما يلي : «مكتب الثورة ، رقم ٧ ، شامبر ستريت ، صندوق ١٨١٧» .

إن هذا «الصندوق ١٨١٧» اللعين هو سبب الفوضى ، اذ كتبت لي أن أضيف هذا الملحق الى «العنوان القديم» دون أن تميز العنوان الأول من العنوان الثاني . لكنني آمل أن تتضح المسألة قبل وصول هذه الرسالة ، بالخاصة أن رسالة الجمعة الفائتة تضمنت الرقم ٥ المفصل تماماً من مقالتي (١) ولقد مُنعت من اتمام الرقم ٦ ، الحلقة الختامية ، في هذا الأسبوع . اذا صدرت صحيفتك من جديد ، فإن هذا التأخير لن يسبب أي توقف طالما أنك تملك مؤونة جيدة من المواد .

إن مقالتك ضد هاينزن ، التي أرسلها انجلز إلي متأخرة لسوء الحظ ، جيدة جداً ، فهي قاسية ورقيقة في وقت واحد ـ وهو خليط يجب أن يتوفر في أية مجادلة جديرة بهذا الاسم . لقد أطلعتُ إرنست جونس على هذه المقالة ، وتجد طيه رسالة إليك يراد منها النشر . ولما كان جونس يكتب بصورة غير مقروءة ، مع اختزالات ، ولما كنت أفترض أنك لم تصبح انكليزياً كاملاً بعد ، فأني أرسل لك مع الرسالة الأصلية نسخة هيأتها زوجتي ، وفي الوقت نفسه الترجمة الألمانية ، اذ يجب عليك أن تطبع كليهما جنباً الى

---

(١) كارل ماركس : ١٨ برومير لويس بونابرت ، وقد نشر للمرة الأولى عام ١٨٥١ في العدد الأول من صحيفة الثورة التي كان ويديمير يصدرها في نيويورك ١٨٥٢ .

جنب ، الأصل والترجمة . وتستطيع أن تضم الى الرسالة من جونس الاضافة التالية : فيما يتعلق **بجورج جوليان هارنيي** ، الذي هو أحد ثقات الهر هاينزن ، فقد نشر **بياننا الشيوعي** في صحيفته **الجمهوري الأحمر** مع هامش يقول إنه «الوثيقة الأكثر ثورية التي أعطيت للعالم في يوم من الأيام» ، وقد ترجم في **المجلة الديموقراطية** التي يصدرها المقالات التي كتبتها في **المجلة الرينانية الجديدة** عن الثورة الفرنسية [1] ، هذا الأثر من الحكمة الذي «قتله» الهر هاينزن . وإنه ليرجع قراءه ، في مقالة عن لويس بلان ، الى تلك المقالات على اعتبارها «النقد الحقيقي» للقضية الفرنسية . وفيما عدا ذلك ، فليس في انكلترا حاجة الى الاعتماد على «المتطرفين» وحدهم . فاذا ما أصبح أحد أعضاء البرلمان في انكلترا وزيراً فلا بدّ أن يعاد انتخابه ، بحيث كتب **دزرائيلي** ، وزير الخزانة الجديد ، الى ناخبيه في الأول من آذار يقول :

«سوف نسعى الى انهاء هذا النزاع بين الطبقات الذي مارس خلال السنوات الأخيرة تأثيراً بالغ الضرر في رفاهية المملكة» .

وقد علقت **التايمس** على ذلك في الثاني من آذار :

«... اذا كان ثمة ما يقسم الطبقات في يوم من الأيام في هذا البلد بصورة تتجاوز المصالحة ، ولا يدع فرصة لسلام عادل وشريف ، فسوف يكون الضريبة على القمح الأجنبي» .

وفيما اذا توهم «عصامي» جاهل مثل هاينزن أن الأرستقراطية هي **مع** قانون الحبوب والبورجوازية ضده ، لأن تلك تبتغي «**الاحتكار**» بينما تبتغي هذه «**الحرية**» ـ إن فاضلاً من هذا النمط لا يمكن أن ينطق بالمتضادات إلا في هذا الشكل الايديولوجي ـ فيجب أن يلاحظ أن الأرستقراطية الانكليزية في القرن الثامن عشر كانت مع «حرية» «التجارة» ، وأن البورجوازية كانت مع «الاحتكار» ـ وهو نفس الموقف النسبي الذي نصادفه في هذه اللحظة بالذات بين هاتين الطبقتين في «بروسيا» حيال «قانون الحبوب» . إن **المجلة البروسيانية الجديدة** هي أعنف نصير لحرية التجارة .

---

(١) الأشارة الى كتاب ماركس **الصراعات الطبقية في فرنسا ، ١٨٤٨ ـ ١٨٥٠** .

وأخيراً ، فقد كنت في مكانك ألفت على العموم انتباه الديموقراطيين الى أنهم يحسنون صنيعاً بأن يتعرفوا بادىء الأمر الى الأدب البورجوازي قبل أن يتجرأوا على الثرثرة بحق معارضيه .. ومثال ذلك أنه يجب على هؤلاء السادة أن يدرسوا الأعمال التاريخية لتييري وغيزو وجون ويد وغيرهم كما يستنيروا بشأن «تاريخ الطبقات» الماضي . ويجب عليهم قبل أن يحاولوا انتقاد نقد الاقتصاد السياسي أن يتعرفوا الى المبادىء الأساسية للاقتصاد السياسي . ويكفي المرء أن يفتح مؤلف ريكاردو الضخم على سبيل المثال كي يجد هذه الكلمات الافتتاحية لمقدمته على الصفحة الأولى :

«إن منتج الأرض ـ كل ما يشتق من سطحها بفضل التطبيق الموحد للعمل والآلة والرأسمال ـ يقسم بين **ثلاث طبقات** من الجماعية هي صاحب الأرض وصاحب الرأسمال الضروري من أجل زراعتها والشغيلة الذين تزرع بفضل عملهم» .

أما أن المجتمع البورجوازي في الولايات المتحدة لا يبرح بعيداً عن تحقيق النضوج الكافي من أجل جعل الصراع الطبقي واضحاً ومفهوماً ، فهذا ما يثبته على أبرز صورة ك . هـ . كاري (من فيلاديلفيا) ، وهو الاقتصادي الأميركي الوحيد الذي يملك بعض الأهمية . إنه يهاجم **ريكاردو** ، الممثل (المتحدث) الأكثر كلاسيكية للبورجوازية والخصم الأشد رزانة للبروليتاريا ، على اعتباره رجلاً تؤلف أعماله ترسانة للفوضويين والاشتراكيين وجميع أعداء النظام البورجوازي للمجتمع . ولا يلومه وحده ، بل يلوم مالتوس وميل وسيي وتورنز وويكفيلد وماك كالوش وسنيور وهويتلي ور . جونس ، وآخرين ، وهم العقول الموجهة بين اقتصاديي اوروبا ، لأنهم يمزقون المجتمع ويهيئون للحرب الأهلية اذ بينوا أن الأسس الاقتصادية للطبقات المختلفة لا بد أن تؤدي الى تناحر ضروري ومتعاظم أبداً ما بينها . ولقد جرب أن يدحضهم ، وفي الحقيقة ليس على طريقة هاينزن الأبله بربط وجود الطبقات بوجود الامتيازات **السياسية والاحتكارات** ، بل بمحاولة إثبات أن **الشروط الاقتصادية** ـ الريع (الملكية العقارية) ، **والربح** (الرأسمال) ، والأجور (العمل المأجور) ، بدلاً من أن تكون شروطاً للصراع والتناحر هي بالأحرى شروط للمشاركة والتوافق . ومن الطبيعي أن كل ما يثبته هو أنه يعتبر الشروط «المتخلفة» للولايات المتحدة «شروطاً طبيعية» .

والآن فيما يتعلق بي ، فلا يعود الي فضل في اكتشاف وجود الطبقات في المجتمع الحديث أو الصراع فيما بينها . إن مؤرخين بورجوازيين قد عرضوا قبلي بوقت طويل التطور التاريخي لهذا الصراع الطبقي ، ووصف اقتصاديون بورجوازيين التشريح الاقتصادي لهذه الطبقات . إن ما جلبته من جديد هو البرهان : ١ً ـ على أن **وجود الطبقات** لا يرتبط الا **بأطوار تاريخية معينة من تطور الانتاج** ؛ ٢ً ـ على أن الصراع الطبقي يقود بالضرورة الى **دكتاتورية البروليتاريا** ؛ ٣ً ـ على أن هذه الدكتاتورية نفسها لا تمثل سوى انتقال نحو **إلغاء جميع الطبقات** ونحو **مجتمع لا طبقي** . إن المغفلين الجهلة من أمثال هاينزن ، الذين لا ينكرون الصراع الطبقي فحسب بل ينكرون وجود الطبقات أيضاً ، إنما يبرهنون على أنهم ، رغم نباحهم المروع كله والمظاهر الانسانية النزعة التي يتخذونها ، يعتبرون الشروط الاجتماعية التي تسود البورجوازية في ظلها بوصفها المنتج النهائي للتاريخ ، بوصفها القمة التي يستطيع هذا التاريخ بلوغها (١) ، وأنهم ليسوا سوى خدام للبورجوازية ، وبقدر ما يعمى هؤلاء المغفلون عن ادراك عظمة النظام البورجوازي وضرورته العابرة تكون عبوديتهم أبعث على الاشمئزاز .

تناول من الملاحظات الواردة أعلاه كل ما تجده مناسباً . وفيما عدا ذلك ، فأن هاينزن أخذ منا «المركزية» في مكان «جمهوريته الاتحادية» ، الخ . وحين تصبح الآراء التي ننشرها في الوقت الحاضر عن الطبقات مجرد ترهات وجزءاً من معدات «صاحب الحس السليم» ، فإن هذا الوغد سوف ينادي بها إذن بقدر كبير من الضوضاء على اعتبارها المنتج الأخير «لبصيرته الخاصة» ويباشر في العواء ضد مضيِّنا قدماً في تطوير القضية . وهكذا فقد نبح بفضل «بصيرته الخاصة» ضد الفلسفة الهيغلية طالما كانت هذه الفلسفة تقدمية ، وهذا هو الآن يلتهم الفتات التافهة من هذه الفلسفة التي تقيأها روج دون أن يهضمها .

سوف يصلك طية ختام المراسلات المجرية . يجب أن تجرب أن تنتقي شيئاً منها ـ اذا كانت صحيفتك قائمة ـ خاصة وأن **زيميري** ، رئيس الوزراء المجري السابق ،

---

(١) non plus ultra ، باللاتينية في النص الأصلي .

وعدني حين كان في باريس أن يكتب مقالاً مطولاً لك **بتوقيعه الخاص** .

اذا تدبرت أمرك لاصدار صحيفتك فارسل **مزيداً** من النسخ بحيث يمكن توزيعها على نطاق أوسع .

المخلص

**ك . ماركس**

## ٢٥

# انجلز الى ماركس

**[مانشستر ،] في ١٨ آذار ١٨٥٢**

... وعلى أي حال ، الآن وقد جُنَّ اوكونر العجوز نهائياً ، فإن جونس يحسن صنيعاً اذا ألقى بكل ثقله في الميزان . هذه هي فرصته ، واذا ما مُني المواطن هايفيفوراه [١] بالاخفاق الذريع فضلاً عن ذلك ، فإن نجاحه يصبح مؤكداً . واذا ما أصدرت حكمي بالاستناد الى الأشياء التي أشاهدها ، فإن الميثاقيين في حالة من الانحلال التام والانهيار ، وهم في الوقت نفسه يعانون من نقص كبير في الناس الصالحين للاستخدام بحيث إما أن يتبددوا كلياً وينقسموا الى عصابات ، وبذلك يضحون عملياً مجرد ذيل للماليين [٢] ، وإما أن يعيد فتى كفؤ تنظيمهم على أساس جديد كل الجدة . وقد انطلق جونس في الصراط المستقيم ، ويمكننا أن نقرر بصورة واضحة أنه ما كان يستطيع قط دون عقيدتنا أن يقع على الطريق القويمة وما كان يتبين قط كيف أن حقد العمال الطبقي الغريزي ضد البورجوازية الصناعية ، وهو الأساس الممكن الوحيد من أجل إعادة تنظيم حزب الميثاق ، لا يمكن الاحتفاظ به فحسب ، بل يمكن توسيعه أيضاً ، وتطويره ، وجعله أساساً للدعاية المستنيرة . هذا من جهة ، ومن جهة ثانية كيف يمكن للمرء أن يكون تقدمياً وأن يعارض في الوقت نفسه اشتياقات العمال الرجعية وأوهامهم . وفيما عدا ذلك ، فإن المعلم هارنيي سوف يتعرض لمفاجأة اذا ما

---

(١) جورج هارنيي .

(٢) ينوه انجلز بالجمعية البرلمانية الوطنية والاصلاحية المالية التي يتزعمها قادة التجار الحرة برايت وكوبدن وآخرون . وفي أوائل الخمسينات من القرن الماضي تبني الجناح اليميني من الميثاقيين سياسة التقارب مع هذه العصبة البورجوازية .

استمر على هذا الغرار. إن عصبة المتحمسين التي تؤيده سوف تسرحه في القريب العاجل، ولن تنقذه حتى صور كوسيجكو و «الوطنيين» الآخرين التي يضعها في الأوراق الهزيلة التي يعرضها ...

## ٢٦

## جيني ماركس الى أ. كلاس

### لندن، في ٢٨ تشرين الأول ١٨٥٢

عزيزي السيد كلاس

مما لا ريب فيه أنك تابعت المحاكمة الشنيعة للشيوعيين في **كولينسكيه زيتونغ**. إن جلسة الثالث والعشرين من تشرين الأول أعطت القضية بأسرها انعطافاً مهيباً وهاماً، في مصلحة المتهمين حتى درجة كبيرة، بحيث جعلنا جميعاً نستشعر بعض الراحة. ويمكنك أن تتصور كيف أن «حزب ماركس» ناشط ليل نهار، وكيف أنه يعمل برأسه ويديه وقدميه. إن سائر مزاعم الشرطة أكاذيب. إنهم يسرقون، ويلفقون، ويحطمون المكاتب ليفتحوها، ويقسمون الايمان الكاذبة، ويحنثون بأيمانهم، ويزعمون أن لهم الحق في أن يفعلوا ذلك ضد الشيوعيين الذين هم خارج نطاق المجتمع! إن شعر الرأس يقفّ في الحقيقة لدى مشاهدة هذه الأمور جميعاً، والطريقة التي تستولي الشرطة بها، وبالخاصة أكثر النماذج دناءة منها (١)، على جميع وظائف وزارة العدل، فتدفع سادتْ الى المؤخرة، وتقدم قصاصات ملفقة من الورق، واشاعات خالصة، وتقارير، ومسموعات، على اعتبارها حقائق فعلية، ثابتة قضائياً، على اعتبارها أدلة دامغة. ولا بدَّ أن تقدم جميع البراهين على التلفيق من هنا؛ وهكذا لا بدَّ لزوجي أن يعمل لذلك طوال النهار، حتى ساعة متأخرة من الليل. إنه لا بدَّ من توفير الشهادات الخطية من الملاكين على نحو مقبول، كما لا بدَّ من التصديق رسمياً على خط ليبكنخت ورينغز، الرجلين المتهمين بكتابة المذكرات، في سبيل إثبات التزوير من جانب الشرطة. ومن ثم لا بدَّ من ارسال جميع الأوراق في

(١) الاشارة هنا الى ولهلم ستيبر، رئيس الشرطة السياسة البروسية.

ست الى ثماني نسخ الى كولونيا بالطرق الأشد التواء ، عبر فرنكفورت ، وباريس ، الخ .، لأن جميع الرسائل الموجهة الى زوجي ، وكذلك جميع الرسائل المرسلة من هنا الى كولونيا ، تفتح وتصادر . إن المسألة كلها هي في الوقت الحاضر صراع بين الشرطة وزوجي الذي يوجه اليه اللوم عن كل الأمور : الثورة بأسرها ، وحتى مسار المحاكمة ... إن النضال ضد هذه السلطة الرسمية المزودة بالمال وبجميع معدات القتال ليبعث في الحقيقة على الاهتمام الفائق ، بحيث سيكون المجد المترتب عليه عظيماً جداً فيما اذا خرجنا منه ظافرين ، طالما أن المال والسلطة وكل شيء تقف من جانب واحد ، في حين لا ندري نحن في كثير من الأحيان من أين نحصل على الورق من أجل الرسائل الواجب كتابتها ، الخ ، الخ ..

لقد أصدر فرايليغرات وماركس وانجلز وولف اليوم البيان الموجود طيه (١) . وإننا نرسله الى **التريبيون** اليوم . يمكنك أنت الآخر أن تنشره ...

لقد تلقينا لتونا أكداساً من عناوين الأعمال ورسائل الأعمال الزائفة من ويرث وانجلز لاستخدامها في ارسال الوثائق والرسائل ، الخ . ولقد وصلت في هذه اللحظة بالذات بعض الأعداد من **كولينسكيه زيتونغ** تحمل أخبار حمل جديد من الاهانات التي لا تصدق . وقد ذهبت برقيتان في وقت واحد الى عناوين الأعمال . إن مكتباً كاملاً قد أقيم في شقتنا . فاثنان أو ثلاثة يكتبون ، وآخرون يقضون المهمات ، بينما آخرون أيضاً يجهدون في جمع البنسات كي يمكنوا الكتاب من الاستمرار في الوجود وتقديم البراهين ضد العالم الرسمي القديم على هذا الانتهاك الذي لم يسبق له مثيل . وفي هذه الأثناء ، فإن أولادي المرحين الثلاثة يغنون ويصفرون ، وكثيراً ما ينالون توبيخاً شديداً من والدهم . يا لها من فوضى !

وداعاً أيها العزيز كلاس . لا تنسَ أن تكتب من جديد الى أصدقائك عاجلاً . مع الأذن من السلطات العليا ؛

**جيني ماركس**

---

(١) بيان للدفاع عن المتهمين في المحاكمة الشيوعية في كولونيا ضد التهجمات الافترائية من جانب **التايمس** و**ديلي نيوز** .

# ١٨٥٣

# ٢٧

## انجلز الى ج . ويديمير

**مانشستر ، في ١٢ نيسان ١٨٥٣**

... شققت طريقي لتوي عبر الحملات القديمة (أقصد تلك الحملات منذ **١٧٩٢**) ؛ إن الحملات النابليونية بسيطة جداً بحيث يصعب أن يضل المرء فيها . واذا أخذنا جميع الأمور بعين الاعتبار ، فإن جوميني هو في الحقيقة أفضل المؤرخين لهذه الحملات . أما العبقري الطبيعي كلوزويتس فلا يفتنني كلياً ، على الرغم من القطع العديدة الرائعة التي كتبها . وبالنسبة الى المستقبل القريب ، يعني بالنسبة **لنا** ، فأن الحملة الروسية لعام **١٨١٢** هي أهمها ـ فهي الحملة الوحيدة التي لا تبرح قضايا استراتيجية رئيسية فيها لم تحل . فليس في ألمانيا وايطاليا خطوط للعمليات ممكنة الصنع سوى تلك الخطوط التي قررها نابليون ؛ أما في روسيا ، بالمقابل ، فلا تبرح الأمور جميعاً مضطربة وغامضة . إن مسألة ما اذا كانت خطة العمليات التي وضعها نابليون عام **١٨١٢** قد تطلعت منذ البداية الى تقدم مباشر على موسكو أو في الحملة الأولى الى التقدم حتى الدنيبير ودفينا فقط تنهض لمواجهتنا من جديد حين نبحث عن جواب على مشكلة ما يجب أن يصنعه جيش ثوري في حالة هجوم ناجح على روسيا . ويخيل الي أن هذه المسألة يمكن حلها في الوقت الحاضر عن طريق البحر فقط : في المضائق والدردنيل ، وعند بطرسبورغ وريغا واوديسا ـ هذا طبعاً اذا تركنا الحظ خارج حساباتنا وباشرنا بتوازن تقريبي في القوى كنقطة انطلاق لنا . ومن المؤكد أننا نترك خارج الحساب أيضاً أية تحركات **داخلية** في روسيا ، كما أن ثورة نبيلة ـ بورجوازية في بطرسبورغ ، مع ما يترتب عليها من حرب داخلية داخل البلاد ، هو أمر يقع داخل حدود الامكانات تماماً . وقد سهل السيد هرتزن القضية كثيراً على

نفسه (**تطور الأفكار الثورية في روسيا**) حين تقدم على الطريقة الهيغلية باقتراح بناء جمهورية روسية ديمقراطية ـ اشتراكية شيوعية ـ برودونية يرأسها الثلاثي باكونين ـ هرتزن ـ غولوفين بحيث لا يمكن أن يخفق مطلقاً . وبالمناسبة فإنه من المشكوك فيه جداً أن يكون باكونين على قيد الحياة بعد . ومهما يكن من أمر ، فإنه من العسير جداً غزو بلاد على هذا القدر من الاتساع ، والامتداد ، وتبعثر السكان ، مثل روسيا . وأما الأقاليم البولونية السابقة الواقعة الى هذا الجانب من دفينا ودنييبر ، فلم أشأ أن أسمع شيئاً عنها منذ علمت أن جميع الفلاحين هناك اوكرانيون ، بينما النبلاء وحدهم وبعض سكان المدن من البولونيين ، وأن إعادة بولونيا لن تعني بالنسبة الى الفلاح هناك سوى إعادة الحكم القديم لطبقة النبلاء بكل عنفوانه ، كما كانت الحال في غاليسيا الاوكرانية عام ١٨٤٦ . ففي هذه المناطق ، أعني خارج مملكة بولونيا بالخاصة ، لا يكاد يوجد سوى ٥٠٠٠٠٠ بولوني !

وعلى أي حال ، فإنه من الحسن أن تصادف الثورة هذه المرة خصماً قوي الشكيمة في صورة روسيا ، وليس أولئك الفزاعات كما في عام ١٨٤٨ .

وفي هذه الأثناء تظهر مختلف أنواع الأعراض . إن ازدهار القطن هنا يبلغ حالياً ارتفاعات تبعث على الدوار ، بينما الفروع الفردية لصناعة القطن (المواد الخام والشغيلة) تعاني حالة من الهبوط التام . ويعتمد المضاربون على الخلاص من هذا الاحتيال بالأنخراط فيه بالجملة (بناء السكك الحديدية بالاموال البريطانية) في اميركا وفرنسا فقط ، أما هنا فبالمفرق ، بالقطعة الواحدة ، وبذلك يفسدون تدريجياً جميع السلع بالغش . إن الطقس غير العادي كلياً الذي ساد هنا في الشتاء والربيع قد أفسد على الأرجح موسم الحبوب ، واذا ما أعقب ذلك ، كما هي الحال عادة ، صيف غير طبيعي ، قضي على الموسم . وفي رأيي أن الازدهار الحالي لا يمكن أن يستمر أبعد من الخريف . وفي هذه الاثناء ، فإن الوزارة البريطانية الثالثة خلال عام واحد تجعل من نفسها مهزلة ـ وهذه هي الوزارة الممكنة الأخيرة دون تدخل مباشر من جانب البورجوازية الراديكالية . إن الهويغ والتوري والائتلافيين يمنون جميعاً بالهزيمة دورياً ، ليس من جراء نقص في الضرائب ، بل من جراء فائض فيها . إن هذا ليسم السياسة بأكملها كما يسم العجز المطلق الذي تعاني منه الأحزاب القديمة . واذا ما تعثر الوزراء

الحاليون . فلن يكون في الامكان حكم بريطانيا دون توسيع كبير لجمهور الناخبين ؛ ومن الأرجح أن يتفق ذلك مع انفجار الأزمة .

إن المد الطويل للازدهار قد جعل من المحال تقريباً على بونابرت السيىء الحظ أن يحتفظ بكرامته - إن العالم قد ضجر ، وبونابرت يضجر العالم . ومن سوء الحظ أنه لا يستطيع أن يتزوج مرة جديدة كل شهر . ذلك المحتال والسكير والغشاش سوف يكسر رقبته لأنه مضطر الى وضع كتاب انجل **مرآة الأمير**(١) موضع التطبيق ، ولو لمجرد المظاهر وحدها . لقد فقد الوغد صوابه وهو يمثل دور «والد بلاده» . إنه لا يستطيع حتى أن يباشر حرباً ؛ فلدى أدنى حركة من جانبه يصطدم بصفوف مرصوصة تتألق بالحراب . وفضلاً عن ذلك ، فإن السلم يمنح الفلاحين الوقت المرغوب فيه جداً من أجل التفكير في كيف أن الرجل الذي وعد بسحق باريس لمصلحة الفلاحين يجمّل باريس حالياً باموال الفلاحين ، بينما الرهونات والضرائب تنمو بالاحرى من أن تنقص بالرغم من كل شيء . وبكلمة واحدة ، فإن ثمة منهجاً هذه المرة في الطريقة التي تتطور الاحداث بها ، وهذا أمر مليء بالوعود .

في بروسيا انغمست الحكومة ، بفعل ضريبة الدخل ، في متاعب كبيرة مع البورجوازية. فالبيروقراطيون يجمعون الضرائب بوقاحة كبيرة ، ويمكنك أن تتصور الفرحة التي يستطلع بها هؤلاء المحبرون النبلاء أسرار التجارة ودفاتر جميع رجال الأعمال . وإن والدي نفسه ، هذا البروسي بنسبة واحد بالمائة ، يغلي غيظاً . لا بدَّ لهؤلاء الناس أن يتذوقوا الآن بركات الحكومة الدستورية - الأبوية - البروسية «الرخيصة» حتى الثمالة . ومن المؤكد أن دين الحكومة البروسية ، الذي كان يبلغ قبل ١٨٤٨ حوالي ٦٧ مليون تالر ، قد تضاعف أربع مرات منذ ذلك الحين ، وهؤلاء هم يرغبون منذ الآن في الاقتراض من جديد ! ولا بدَّ من القول إن الملك السمين سوف يعرق بعض الشيء بكل غبطة مرة أخرى ، كما حدث له في أيام آذار ، اذا ما ضمن فقط أن هذه الاعتمادات ستوفر له حتى موته السعيد . لكن لويس نابليون ساعده على

(١) Fürstonopiegel ، مجموعة قواعد للسلوك ونصائح للأمراء .

انهاض الزولفرن (١) على قدميه من جديد ، وكان لا بدَّ للنمسا أن تتراجع عن موقفها خوفاً من الحرب ، «والآن أطلق يا رب نفس عبدك الى اللحد بسلام» .

ويبذل النمساويون قصارى جهدهم كي يحملوا ايطاليا على التحرك من جديد ؛ لقد كانت البلاد حتى فتنة ميلانو مستغرقة كلياً في التجارة والازدهار ، حتى درجة أن هذا الأزدهار كان يتلاءم مع الضرائب . واذا ما استمر هذا كله لشهرين آخرين ، فإن اوروبا ستكون مهيأة بصورة رائعة ، ولن تحتاج سوى لزخم الأزمة . وبالاضافة الى ذلك ، فإن الازدهار العمومي والمديد الذي لم يسبق له مثيل ـ وذلك منذ أوائل ١٨٤٩ ـ قد جدد قوة الأحزاب المنهكة (بقدر ما لم تكن قد اهترأت كلياً ، كما هي حال الملكيين في فرنسا) بسرعة أعظم كثيراً مما كانت الحال عليه بعد عام ١٨٣٠ مثلاً ، حين كانت شروط الأعمال ، في جملتها ، مضطربة وباهتة طوال فترة مديدة من الزمن . وفيما عدا ذلك ، فإن البروليتاريا الباريسية وحدها ، والمجر وايطاليا في وقت لاحق ، قد كانت عام ١٨٤٨ متعبة من جراء نضالات جدية : لم تكن الانتفاضات في فرنسا بعد حزيران ١٨٤٨ تستأهل الذكر في واقع الأمر . وعلى أي حال ، فانها لم تدمر سوى الأحزاب الملكية القديمة . ومن ثم فإن هناك النتيجة الهزلية للحركة في سائر البلدان ، اذ لم يكن ثمة ما هو جدي أو هام سوى سخرية التاريخ العملاقة وتمركز موارد الحرب الروسية . ونظراً لهذه الأمور جميعاً فانه يتراءى لي من المحال كلياً ، حتى من وجهة النظر الأرزن ، أن يستمر الوضع الراهن ما بعد ربيع عام ١٨٥٤

وإنه لمن الأمور الحسنة جداً أن يتقدم حزبنا هذه المرة في ظل نذر مختلفة كل الاختلاف : فجميع السخافات الاشتراكية التي كان لا بدَّ من الدفاع عنها بعد عام ١٨٤٨ ضد الديموقراطيين الخالصين والجمهوريين الألمان الجنوبيين ، وهراء لويس بلان ، الخ ، وحتى الأشياء التي كنا مضطرين الى التقدم بها كي نحصل على تأييد آرائنا في الأوضاع الألمانية المبلبلة ـ هذه الأشياء جميعاً يدافع عنها خصومنا حالياً ـ روج ، وهاينزن ، وكينكل ، والآخرون . إن مقدمات الثورة البروليتارية ، التدابير

(١) Zollverein ، الاتحاد الجمركي الألماني الذي كان يضم عدداً من الدول الألمانية بزعامة بروسيا ، وكان موجوداً منذ الأول من كانون الثاني ١٨٣٤ حتى تشرين الثاني ١٨٤٨ ، وقد جدد عام ١٨٥٣ . ولم تنضم النمسا اليه قط .

التي تهيىء ساحة القتال وتشق الطريق لنا ، مثلاً الجمهورية الواحدة وغير المنقسمة ، الخ ، هذه الأشياء التي لم يكن لنا بدٌّ وقتئذ من الدفاع عنها ضد الناس الذين كان يجب أن يكون عملهم العادي والطبيعي هو تحقيقها ، أو على الأقل المطالبة بها - هذه جميعاً تعتبر في الوقت الحاضر أموراً مسلماً بها . فالسادة قد تعلموا . إننا ننطلق هذه المرة مباشرة من البيان[1] ، وذلك على الاخص بفضل محاكمة كولونيا التي اجتازت الشيوعية الألمانية فيها امتحان شهادتها الثانوية (وبالخاصة في شخص روزر) .

ومن المؤكد أن هذه الأمور جميعاً تخص النظرية ؛ أما في الممارسة فسوف نكون ملزمين ، كما هي الحال دائماً ، بالضغط في سبيل تدابير حازمة والقسوة المطلقة قبل كل شيء . وتلك هي المشكلة . إن لدي شعوراً بأن حزبنا سوف يضطر ذات صباح رائع ، بفضل حيرة الآخرين جميعاً وترهلهم ، لأن يستلم السلطة وينفذ آخر الأمر اجراءات ليست هي ذات مصلحة مباشرة بالنسبة الينا ، لكنها في مصلحة الثورة العامة ومصلحة البورجوازية الصغيرة الخاصة ؛ وبهذه المناسبة فسوف نكون ملزمين ، تحت ضغط السكان البروليتاريين ، مقيدين بتصريحاتنا وخططنا المطبوعة الخاصة - المفسرة بقدر أعظم أو أقل من الخطأ ، والمدفوعة الى المقدمة في نضال الحزب بقدر أعظم أو أقل من الحماسة - لأن نقوم بالتجارب الشيوعية وننجز وثبات نعرف أفضل من أي شخص آخر أنها في غير محلها . وحين نفعل ذلك نفقد رؤوسنا - بالمعنى الحكمي فقط ، فلنأمل ذلك - فتقوم ردة ، وحتى يكون في مقدور العالم أن يصدر أحكاماً تاريخية على مثل هذه الأحداث ، فلن نُعتبر حيوانات فحسب ، الأمر الذي لن يكون ذا بال ، بل bêtes[2] أيضاً ، وهو أمر أسوأ كثيراً . ولا أستطيع أن أرى جيداً كيف يمكن للأمور أن تسير بصورة مغايرة . ففي بلد متخلف مثل ألمانيا يملك حزباً متقدماً وهو منخرط في ثورة متقدمة مع بلد متقدم مثل فرنسا ، يجب على الحزب المتقدم أن يستلم السلطة عند أول نزاع جدي وحالما يقوم الخطر الفعلي ، وذلك على أي حال بصورة متقدمة على وقته الطبيعي . ومهما يكن من أمر ، فليس لذلك كله أي

---

(١) الأشارة الى بيان الحزب الشيوعي .

(٢) حمقى .

أهمية ، وأفضل ما نستطيع أن نصنعه هو أن يرد حزبنا اعتباره التاريخي في **أدبياته** سلفاً ، في حالة اتخاذ الأمور مثل هذا المجرى .

وفضلاً عن ذلك فسوف نظهر على المسرح بقدر من الأحترام أعظم كثيراً منه في المرة الأخيرة . فأولاً تخلصنا بصورة ميمونة من جميع الشخصيات السابقة التافهة ـ من أمثال شابر وويليش ومن لفَّ لفهما ؛ ثانياً ازدادت قوتنا بعض الشيء على أي حال : ثالثاً يمكننا الاعتماد على جيل فتي صاعد في ألمانيا( إن محاكمة كولونيا وحدها ، إن لم يكن هناك سواها ، تكفي لتؤكد ذلك لنا) ؛ وأخيراً انتفعنا جميعاً أيما انتفاع من منفانا . ومن المؤكد أن في صفوفنا أناساً يحيون على هذا المبدأ : «لماذا ندق رؤوسنا ؟ إن الأب ماركس موجود لهذه الامور ، فشأنه أن يعرف الأشياء جميعاً» . لكن الحزب الماركسي ، على العموم ، يعمل بكل جد ، وحين ينظر المرء الى هؤلاء المغتربين البلهاء ، الذين التقطوا جملاً جديدة هنا وهناك وبذلك تبلبلوا أكثر من أي وقت مضى ، فمن الجلي أن تفوق حزبنا ازداد بصورة مطلقة وبصورة نسبية . وإن هذا لمطلوب أيضاً ، لأن العمل سوف يكون شاقاً ...

## ٢٨

## انجلز الى ماركس

**[مانشستر ، حوالي ٢٤ أيار ١٨٥٣]**

... قرأت البارحة الكتاب الذي حدثتك عنه عن النقوش العربية . وليس الأمر مجرداً عن الأهمية بالرغم من أن المرافعات عن الكهنة والتوراة تغطيه كلياً بصورة تبعث على الاشمئزاز. إن نصره الأعظم يستقيم في أنه استطاع البرهان على أن **جيبون** ارتكب بعض الأخطاء في الجغرافيا القديمة ، وهي أخطاء يمكن أن يستخلص منها أن لاهوت جيبون مغلوط هو الآخر. إن الشيء يدعى **الجغرافيا التاريخية للجزيرة العربية** بقلم المحترم شارل فورستر . وإن أفضل ما يستطيع المرء استخلاصه منه هو ما يلي :

١ً ـ إن النسب المعطى في التكوين ، الذي يُزعم أنه نسب نوح وابراهيم ، الخ ،

هو تعداد مضبوط تماماً للقبائل البدوية في ذلك الحين ، وفقاً لقرابتها اللغوية الكبرى أو الصغرى ، الخ . وكما نعلم ، فإن القبائل البدوية سمت نفسها على الدوام حتى الوقت الحاضر بني صالد ، بني يوسف ، وهكذا دواليك ، يعني أبناء فلان وفلان . وإن هذه التسمية ، التي تنبثق عن أسلوب الوجود الرعوي القديم ، تؤدي في آخر المطاف الى هذا النوع من النسب . وإن تعداد التكوين ليؤكد أكثر أو أقل من قبل الجغرافيين القدامى ، كما أن الرحالة المحدثين يثبتون أن الأسماء القديمة ، مع التغيرات المترتبة على اللهجات المحلية ، لا تبرح موجودة في غالبيتها العظمى . ومهما يكن من شيء ، فإنه يترتب على ذلك أن اليهود أنفسهم لم يكونوا أكثر من قبيلة بدوية صغيرة ، مثل الباقين تماماً ، جعلتها ظروفها المحلية ، وزراعتها ، وقس على ذلك ، في تعارض مع البدو الآخرين .

٢ً ـ فيما يخص الغزو العربي الكبير الذي تحدثنا عنه سابقاً : أن البدو كانوا يقومون بغزوات دورية ، مثل المغول تماماً ، وأن الأمبراطورية الآشورية والامبراطورية البابلية على السواء أسستا من قبل قبائل بدوية في نفس المكان الذي قامت فيه خلافة بغداد في وقت لاحق . وإن مؤسسي الأمبراطورية البابلية ، 'الكلدانيين ، لايبرحون موجودين تحت الأسم نفسه بني كالد في المحلة نفسها . وإن النهوض السريع للمدن الكبرى مثل نينوى وبابل قد حدث على وجه الدقة بنفس الطريقة التي أوجدت بها قبل ثلاثمائة سنة فقط مدن عملاقة مماثلة ، مثل أغرا ودلهي ولا هور وموثان ، في الهند الشرقية ، بنتيجة فتح أفغاني أو تتري . وهكذا فإن الفتح المحمدي يفقد الشيء الكثير من صفته المميزة .

٣ً ـ يبدو أن الأعراب ، حيث استقروا في الجنوب الغربي ، كانوا شعباً يضاهي في الحضارة المصريين والآشوريين ، كما تثبت ذلك الأبنية التي شيدوها . وإن هذا يفسر كذلك الشيء الكثير في الفتح المحمدي . وبقدر ما يتعلق الأمر بتلك الديانة ، يبدو أنه يترتب على النقوش القديمة في الجنوب حيث يسود بعد التقليد العربي القومي القديم الخاص بالوحدانية (كما يسود بين الهنود والأميركيين) ، وهو التقليد الذي لا يشكل العبرانيون سوى قسم ضئيل منه ، أن ثورة محمد الدينية ، مثلها مثل كل حركة دينية ، قد كانت صورياً ردة ، عودة مزعومة الى القديم ، الى البسيط .

أما أن الكتاب المقدس اليهودي المزعوم ليس أكثر من سجل للتقليد الديني والقبلي العربي القديم ، المعدل بفعل انفصال اليهود الباكر عن جيرانهم العصبيين ، لكن البدو ـ فهذا ما هو واضح لي كل الوضوح في الوقت الحاضر . وإن كون فلسطين محاطة من الجانب العربي بالصحارى والأراضي البدوية فقط يفسر التطور المنفصل . لكن النقوش العربية القديمة ، والتقاليد ، والقرآن ، والسهولة التي يمكن بها في الوقت الحاضر فك رموز جميع الأنساب ، الخ ، تبرهن على الحقيقة التالية ، ألا وهي أن المحتوى الرئيسي قد كان عربياً ، أو بالأحرى سامياً بصورة عامة ، كما هي حال الايدا والساغا البطولية الجرمانية عندنا .

المخلص

ف . إ .

## ٢٩

## ماركس الى انجلز

**لندن ، في ٢ حزيران ١٨٥٣**

... فيما يتعلق بالعبرانيين والأعراب أثارت رسالتك اهتماماً كبيراً عندي . وبالمناسبة :

١ً ـ يمكن إثبات وجود علاقة عامة ، منذ بداية التاريخ ، بين جميع القبائل الشرقية ، بين استقرار قسم من القبائل واستمرار الحياة البدوية عند القبائل الأخرى . ٢ً ـ إن طريق التجارة من أوربا الى آسيا تغير حتى درجة كبيرة في زمن محمد ، وكانت مدن الجزيرة العربية ، التي أسهمت بنصيب كبير في التجارة مع الهند ، الخ ، في حالة الانحطاط التجاري ؛ وعلى أي حال، فقد أعطى هذا قوة دافعة أيضاً . ٣ً ـ فيما يتعلق بالدين ، فإن المسألة تنحل في المسألة العامة ، وبالتالي التي يسهل الجواب عليها : لماذا يظهر تاريخ الشرق على أنه تاريخ الأديان ؟

بخصوص تشكل المدن الشرقية لا يمكن للمرء أن يقرأ شيئاً ألمع وأفتن وأنبض بالحياة من كتاب العجوز فرنسوا بيرنيه (الذي ظل تسع سنوات طبيباً لاورنغ ـ زيبه) : **رحلات تتضمن وصفاً لأملاك المغولي الكبير ، الخ** . وإنه ليصف كذلك النظام العسكري ، وطريقة اطعام هذه الجيوش الكبيرة ، الخ ، بصورة

حسنة جداً . وإنه ليلاحظ بشأن هاتين النقطتين ، في عداد ملاحظاته الكثيرة : «تشكل الخيالة القسم الرئيسي وليس المشاة على هذا القدر من الضخامة ، كما يشاع عامة ، إلا اذا ضُم جميع الخدم والناس من المعارض والأسواق الذين يتبعون الجيش الى القوة المقاتلة الفعلية ؛ لأني أستطيع تماماً في هذه الحال أن أعتقد أنهم يصيبون اذا جعلوا عدد رجال الجيش الذين يرافقون الملك وحده ٢٠٠٠٠٠ أو ٣٠٠٠٠٠ رجل ، وأحياناً أكثر من ذلك ، عندما يكون من المؤكد مثلاً أنه سيتغيب عن العاصمة وقتاً طويلاً . ولن يبدو هذا الأمر باعثاً على قدر كبير من الدهشة بالنسبة الى ذلك الذي يعرف الازدحام الغريب للخيم ، والمطابخ ، والثياب ، والأثاث ، وفي كثير من الأحيان حتى للنساء ، وبنتيجة ذلك أيضاً للفيلة ، والجمال ، والثيران ، والجياد ، والحمالين ، والعلافين ، والمتعهدين ، والتجار من مختلف الأصناف ، والخدم الذين تحملهم هذه الجيوش في أعقابها ؛ أو بالنسبة الى ذلك الذي يفهم الشرط الخصوصي للبلاد وحكومتها ، ألا وهو أن **الملك هو الملاك الوحيد لجميع أراضي** المملكة ، الأمر الذي يترتب عليه كنتيجة ضرورية أن **مدينة عاصمة** بأكملها مثل دلهي أو أغرا تعيش على الجيش بصورة كاملة على وجه التقريب ، وهي بالتالي مضطرة لأن تتبع الملك اذا ما خرج الى الميدان لأي فترة من الزمن . ذلك أن هذه المدن لا هي ولا يمكن أن تكون على غرار باريس ، اذ **ليست هي فعلياً سوى معسكرات عسكرية** ، غير أنها أفضل قليلاً وأنسب موقعاً منها في الخلاء» .

وبمناسبة مسيرة المغولي الكبير الى كشمير على رأس جيش من ٤٠٠٠٠٠ رجل ، الخ ، يقول : «إن الصعوبة هي في معرفة متى وكيف يمكن لمثل هذا الجيش الكبير ، لمثل هذا العدد الكبير من الرجال والحيوانات ، أن يطعم في الميدان . ولهذا لا ضرورة سوى لأن نفترض ، الأمر الذي هو صحيح تماماً ، أن الهنود على قدر كبير من القناعة والبساطة في طعامهم ، وأنه لا عُشرَ بل ولا جزءاً من عشرين من كل هذا العدد الضخم من الخيالة يأكلون اللحم أثناء المسيرة . فما داموا يحصلون على **الكيشري** ، وهو خليط من الأرز والخضراوات الأخرى ، الذي يصبون عليه لدى طهوه الزبدة السائلة . فهم راضون . وفيما عدا ذلك فمن الضروري أن يُعرف أن الجمال تتمتع

بقدرة هائلة على احتمال العمل ، وتستطيع أن تقاوم الجوع والعطش طويلاً ، وتعيش على القليل وتأكل أي شيء ، وأن قادة الجمال يقودونها ، حالما يصل الجيش ، لترعى في الخلاء حيث تأكل أي شيء تقع عليه . أضف الى ذلك أن نفس التجار الذين يقومون على الأسواق في دلهي مضطرون للمحافظة عليها أثناء الحملات أيضاً ، وهذا ما يفعله التجار الصغار ، الخ ... وأخيراً فيما يتعلق بالعلف ، فإن جميع هؤلاء البائسين يضربون على وجوههم في أنحاء الريف ليشتروا منه ، وبذلك يحققون بعض الربح . وإن وسيلتهم الكبرى والاعتيادية هي أن يمسحوا حقولاً كاملة بنوع من المجرفة الصغيرة ، وينظفوا أو يدرسوا العشب الضئيل الذي مسحوه ، ويأتوا به ليبيعوه الى الجيش ...»

كان بيرنيه يعتبر بحق أن الشكل الأساسي لجميع الظواهر في الشرق ـ وإنه ليقصد تركيا وايران وهندستان ـ **هو انعدام الملكية الخاصة للأرض** . هذا هو المفتاح الحقيقي ، حتى للسماء الشرقية ...

## ٣٠

## انجلز الى ماركس

**مانشستر ، في ٦ حزيران ١٨٥٣**

... إن انعدام ملكية الأرض هو في الحقيقة مفتاح الشرق بمجموعه ، سواء بالنسبة الى تاريخه السياسي أم تاريخه الديني . لكن كيف حدث أن الشرقيين لم يتوصلوا الى الملكية العقارية ، حتى في شكلها الاقطاعي ؟ أظن أن مرد ذلك بصورة رئيسية الى المناخ ، مأخوذاً في علاقته بطبيعة التربة ، وعلى الأخص بتلك الرقع الصحراوية العريضة التي تمتد من الصحراء عبر الجزيرة العربية وايران والهند وبلاد التتر حتى أعلى الهضاب الآسيوية . إن الري الاصطناعي هو هنا شرط الزراعة الأول ، وهو من شأن الجماعات ، أو الأقاليم ، أو الحكومة المركزية . ولم يكن لدى أي حكومة شرقية في يوم من الأيام أكثر من ثلاث ادارات : المالية (نهب الداخل) والحرب (نهب الداخل والخارج) والأشغال العامة (التي تعنى بالتكاثر) . وإن الحكومة البريطانية في الهند قد

ادارت الرقمين الأول والثاني بروح ضيقة الأفق بالأحرى وأهملت الرقم الثالث كلياً ، بحيث باتت الزراعة الهندية عرضة للخراب . وإن المنافسة الحرة لا تنجح هنا مطلقاً . إن هذا التسميد الاصطناعي للأرض ، الذي انقطع حالما تدهور نظام الري ، يفسر هذه الحقيقة الغريبة لولا ذلك ، ألا وهي أن مناطق كاملة كانت مزدهرة في يوم من الأيام بارت في الوقت الحاضر وذهبت سدى (تدمر والبتراء وخرائب اليمن ومناطق من مصر وايران وهند ستان) . وإنها لتفسر حقيقة ان حرباً مدمرة واحدة يمكن أن تُقفر بلداً من السكان لعدة قرون وتجرده من حضارته بمجموعها . وأعتقد أن دمار التجارة في جنوبي الجزيرة العربية قبل محمد ، الذي تعتبره بكل صواب أحد العوامل الرئيسية في الثورة المحمدية ، يجد مكانه هنا أيضاً . ولست أعرف التاريخ التجاري للقرون الستة الأولى بعد المسيح بصورة جامعة بما فيه الكفاية كي أصدر حكمي بشأن الظروف العالمية المادية العامة التي تسببت في تفضيل الطريق التجارية عبر ايران الى البحر الأسود وعبر الخليج الفارسي الى سوريا وآسيا الصغرى على الطريق فوق البحر الأحمر . وعلى أي حال ، فإن الأمان النسبي الذي كان يتوفر للقوافل في الأمبرطورية الفارسية المنظمة التي يحكمها الساسانيون قد كان له أثر كبير ، بينما كان اليمن ، بين السنوات ٢٠٠ و ٦٠٠ ، خاضعاً للأحباش أو مغزواً ومنهوباً منهم بصورة مستمرة على وجه التقريب . إن مدن جنوبي الجزيرة العربية ، التي كانت مزدهرة بعد في زمن الرومان ، قد كانت خرائب وأطلالاً خالصة في القرن السابع ؛ وفي خلال خمسمائة عام ، اعتنق البدو المجاورون تقاليد خرافية وأسطورية خالصة عن أصلهم (انظر القرآن والمؤرخ العربي النفيري) ، والأبجدية التي كتبت النقوش بها في تلك الأرجاء قد كانت مجهولة كلياً على وجه التقريب ، **على الرغم من عدم وجود أية أبجدية أخرى** ، بحيث أن **الكتابة** بالذات طواها النسيان فعلياً . وإن الأشياء التي من هذا النمط تتضمن ، الى جانب «الإبطال» المسبب من الشروط التجارية العامة ، نوعاً من الدمار المباشر والعنيف بصورة مطلقة لا يمكن تعليله إلا بالغزو الحبشي . وقد تم طرد الأحباش حوالي أربعين سنة قبل محمد ، ومن الجلي أنه كان أول عمل للوعي القومي العربي المستيقظ ، الذي حفزته كذلك الغزوات الفارسية من الشمال ، المتقدمة حتى مكة تقريباً . ولسوف أعنى بتاريخ محمد نفسه في

الأيام القليلة القادمة فقط ؛ ومهما يكن من شيء ، فإنه يتراءى لي حتى الآن أنه يحمل طابع ردة فعل بدوية ضد الفلاحين المقيمين والمنحلين في المدن ، الذين كانـوا قد أصبحوا منحطين حتى درجة كبيرة في ديانتهم في ذلك الحين ، بمزجهم بين عبادة فاسدة للطبيعة وبين يهودية ومسيخية فاسدتين .

إن أشياء العجوز بيرنيه لرائعة جداً في الحقيقة . وإن المرء ليشعر بسرور حقيقي اذ يقرأ مرة أخرى شيئاً كتبه رجل فرنسي رزين وصافي الذهن ، لا يني يطرق المسمار على رأسه دون أن يظهر عليه أنه يلاحظ ذلك ...

## ٣١

## ماركس الى انجلز

**لندن ، في ١٤ حزيران ١٨٥٣**

... نشر كاري ، الاقتصادي الأميركي ، كتاباً جديداً **هو العبودية في الوطن وفي الخارج** . وتشمل كلمة «عبودية» هنا سائر أنواع الرق ، والعبودية المأجورة ، الخ . ولقد أرسل إلي كتابه واستشهد بي مراراً وتكراراً (**من التريبيون**) ، أحياناً بوصفي «كاتباً انكليزياً محدثاً» ، وأحياناً بوصفي «مراسلاً **لنيويورك تريبيون**» . ولقد أخبرتك من قبل أن هذا الرجل وصف في مؤلفاته المنشورة سابقاً «تناسق» الأسس الاقتصادية للنظام البورجوازي وعزا الشر كله الى التدخل النافل من قبل الدولة . لقد كانت الدولة بعبغه . وإنه ليغني الآن لحناً آخر . إن أصل الشر كله هو الفعل الممركز للصناعة الحديثة . لكن هذا الفعل الممركز هو جريرة انكلترا بالدرجة الأولى ، لأنها حولت نفسها الى ورشة العالم وردت جميع البلدان الأخرى الى الزراعة القاسية ، المنفصلة عن المانيفاكتورة . وإن نظرية ريكاردو ـ مالتوس ، وعلى الأخص نظرية ريكاردو عن ريع الأرض ، لمسؤولتـان بدورهما عن آثـام انكلترا . وإن العاقبـة الضرورية لنظرية ريكاردو والمركزة الصناعية على حد سواء سوف تكون الشيوعية . وفي سبيل الافلات من هذا كله ، في سبيل إقامة المركزة المحلية والاتحاد بين المعامل والزراعة على نطاق البلاد في تعارض مع التمركز ، فإن التوصية الأخيرة لصاحبنا

المتحمس للتجارة الحرة هي ـ **تعرفات الحماية** . فكما يُفلت من آثار الصناعة البورجوازية ، التي يلقي مسؤوليتها على عاتق انكلترا ، يلجأ مثل يانكي حقيقي الى التعجيل بهذا التطور في انكلترا نفسها بوسائل مصطنعة . وفيما عدا ذلك ، فإن معارضته لانكلترا ترمي به في مديح سسيموندي للبورجوازية الصغيرة لسويسرا وألمانيا والصين ، الخ . إنه نفس ذلك الفتى الذي درج على الاستهزاء بفرنسا لشبهها بالصين . وإن الشيء الوحيد الذي يملك بعض الأهمية الايجابية في الكتاب هو المقارنة بين العبودية الزنجية الانكليزية السابقة في جامايكا ، الخ ، والعبودية الزنجية في الولايات المتحدة . وإنه ليبين أن الجسم الرئيسي للعبيد السود في جامايكا ،الخ ، قد تشكل على الدوام من همجيين مستوردين حديثاً ، نظراً لأن العبيد ، في ظل المعاملة الانكليزية ، لم يكونوا عاجزين فحسب عن المحافظة على أهلِهم ، بل كان ثلثا العدد المستورد سنوياً يفقدون حياتهم على الدوام ؛ وبالمقابل فإن الجيل الحالي من الزنوج في أميركا يصبح منتجاً وطنياً ، متطبعاً بالطباع اليانكية ، ناطقاً باللغة الانكليزية ، الخ ، وبالتالي **صالحاً للتحرر** .

ومن المؤكد أن **التريبيون** تزمر لكتاب كاري بكل قواها . وفي الحقيقة أن كلاهما يملكان هذه الخاصية المشتركة ، ألا وهي أنهما يمثلان ، تحت قناع النزعة المناهضة للصناعة ، ذات الطابع السسيموندي الخيري الاشتراكي ، البورجوازية المؤيدة للحماية ، يعني الصناعية ، في أميركا . وإن هذا ليفسر كذلك السر في أن **التريبيون** ، بالرغم من كل ما تنادي به من مذاهب وما تبشر به من هراء اشتراكي النزعة ، تستطيع أن تكون «الصحيفة الرئيسية» في الولايات المتحدة .

كانت مقالتك عن سويسرا(١) ضربة مباشرة بكل تأكيد موجهة الى افتتاحيات **التريبيون** (ضد المركزية ، الخ) وصاحبها كاري . ولقد واصلت هذه الحرب الخفية في مقالة اولى عن الهند(٢) وصفت فيها دمار الصناعة المحلية على يد انكلترا على اعتباره ثورياً . ولسوف يكون هذا صدمة شديدة بالنسبة اليهم . أما فيما عدا ذلك فقد كان حكم بريطانيا في الهند دنيئاً بمجموعه ، ولا يزال حتى اليوم .

(١) ف . انجلز: «سويسرا ، الوضع السياسي لهذه الجمهورية» ، نيويورك ديلي تريبيون ، ١٧ أيار ١٨٥٣ .

(٢) ك . ماركس : «الحكم البريطاني في الهند» ، نيويورك ديلي تريبيون ، ٢٥ حزيران ١٨٥٣ .

إن الطابع الجمودي لهذا الجزء من اسيا ، رغم جميع الاختلاجات التي لا هدف لها على السطح السياسي ، يفسرً كلياً بظرفين يتكاملان : ١ً ـ لقد كانت الأشغال العامة من شأن الحكومة المركزية ؛ ٢ً ـ بالاضافة الى ذلك ، فقد كانت الأمبراطورية بأسرها ، باستثناء المدن الكبرى القليلة ، منقسمة الى قرى تملك كل قرية منها تنظيماً كاملاً منفصلاً وتشكل عالماً صغيراً بحد ذاتها . ولقد وصفت هذه القرى في تقرير برلماني كما يلي :

«إن القرية من وجهة النظر الجغرافية هي قطعة من الأرض تضم من ١٠٠ الى ١٠٠٠ فدان من الأراضي الزراعية والبائرة : ومن وجهة النظر السياسية ، فهي تشبه طائفة حرفية أو بلدية . إن كل قرية هي ، ويبدو أنها كانت على الدوام في حقيقة الأمر ، جماعية أو جمهورية منفصلة . الموظفون : ١ ـ **البوتيل** ، أو غود أو مونديل ، الخ ، كما يسمى في اللغات المختلفة ، هو الرئيس ، ويملك على العموم الاشراف الأعلى على شوؤن القرية ، فيسوي منازعات السكان ، ويسيرٍّ الشرطة ، ويقوم بواجب جباية الدخل ضمن القرية ... ٢ ـ **الكورنوم** ، أوشانبواغ ، أو بوتواري ، هو المحاسب . ٣ ـ **التالياري** ، أو ستولفار ، و ٤ ـ **التوتي** هما على التوالي حارسا القرية والمواسم . ٥ ـ **النيرغونتي** الذي يوزع مياه الينابيع أو الخزانات بنسبة عادلة على الحقول المتعددة . ٦ ـ **الجوشي** ، أو المنجم ، الذي يعلن عن أوقات البذار ، والحصاد ، والأيام والساعات المناسبة أو الرديئة من أجل جميع عمليات الزراعة . ٧ ـ **الحداد** و ٨ ـ **النجار** يصنعان الآلات الزراعية البدائية ومساكن الفلاحين الأكثر بدائية . ٩ ـ **الخزاف** الذي يصنع الأوعية الوحيدة المتوفرة في القرية . ١٠ ـ **الغسال** الذي يعنى بنظافة الثياب ، وهي قليلة على أي حال ... ١١ ـ **الحلاق** و ١٢ ـ **الصائغ** الذي هو في أغلب الأحيان **الشاعر** أيضاً **ومعلم** القرية ـ جميع هذه الوظائف في شخص واحد . ثم هناك **البراهمي** من أجل العبادة . إن سكان البلاد قد عاشوا منذ الأزمان السحيقة في هذا الشكل البسيط من الحكم البلدي . ولم تُغيرً حدود القرية إلا في الندرى . وعلى الرغم من أن القرى نفسها تعرضت للأذى أحياناً ، بل تعرضت للدمار ، من جراء الحرب ، والمجاعة ، والأوبئة ، فان الأسم نفسه ، والحدود

نفسها ، والمصالح نفسها ، وحتى العائلات نفسها ، قد استمرت هي ذاتها طوال عصور . ولا يُعنى السكان مطلقاً بأمور انهيار الممالك وانقسامها ! فاذا ما ظلت القرية سالمة فلا تهمهم السلطة التي تنقل اليها ، أو السلطان الذي تخضع له ؛ إن اقتصادها الداخلي يظل دون تغيير» .

ووظيفة البوتيل وراثية عادة . وإن أراضي القرية لتزرع بصورة جماعية في بعض هذه الجماعيات . لكن كلاً من السكان يفلح حقله الخاص في معظم الحالات . ونصادف داخل هذه القرى العبودية والنظام الطائفي . أما الأراضي البائرة فهي من أجل الرعي المشترك . وتقوم الزوجات والبنات بعمل الغزل والحياكة المنزليين . إن هذه الجمهوريات الرعوية ، التي تقتصر على الدفاع بكل غيرة عن **حدود قريتها الخاصة** ضد القرية المجاورة ، لا تبرح موجودة في شكل سليم تماماً في الأقسام الشمالية الغربية من الهند التي وضع الانكليز أيديهم عليها مؤخراً . ولا أحسب أن في مكنة أي امرىء كان أن يتخيل أساساً أمتن من أجل الاستبداد الآسيوي الراكد . وعلى الرغم من جميع الجهود التي بذلها الانكليز من أجل تحويل البلاد على الطريقة الايرلندية ، فان دمار هذه الأشكال البدائية المصحَّفة قد كان الشرط اللازم من أجل التحويل الأوروبي . فلم يكن الجابي وحده الرجل الذي يستطيع أن يحقق ذلك . لقد كان دمار الصناعة المحلية القديمة أمراً ضرورياً من أجل حرمان القرى من طابع الاكتفاء الذاتي .

وفي بالي ، وهي جزيرة واقعة على الساحل الشرقي من جافا ، لا يبرح هذا التنظيم الهندوسي ، مع الديانة الهندوسية ، سالمين لم يمسها أذى ـ وفضلاً عن ذلك فإننا نصادف آثاره ، كما نصادف آثار النفوذ الهندوسي ، في جميع أرجاء جافا . وأما فيما يتعلق **بمسألة الملكية** ، **فهي** مسألة **مختلف عليها** جداً بين الكتاب الانكليز عن الهند . ففي الأراضي الجبلية المنعزلة الى الجنوب من كريشنا ، يبدو أن ملكية الأرض كانت موجودة . وفي جافا من جهة أخرى ، فأن السير ستامفورد رافلز ، حاكم جافا **الانكليزي** السابق ، يشير في كتابه **تاريخ جافا** الى أن «السلطان كان الملاك المطلق» لجميع الأراضي «القمينة باعطاء أي دخل هام» . وعلى أي حال ، فانه يبدو

أن المسلمين هم الذين أقاموا للمرة الأولى مبدأ «اللاملكية في الأرض» في جميع أرجاء آسيا.

وبخصوص القرى الآنفة الذكر، فانه ينبغي أن ألاحظ أيضاً أنها مذكورة في مانو[1]، وأن أساس التنظيم برمته هو، وفقاً له، كما يلي: عشر قرى تحت سيطرة جابي أعلى، ثم مائة قرية، ثم ألف قرية.

اكتب لي عاجلاً.

المخلص

ك. م.

---

(١) القانون الهندوسي القديم.

# ١٨٥٤

# ٣٢

# ماركس الى انجلز

**[لندن] ، في ٢٧ تموز ١٨٥٤**

... إن كتاباً أثار اهتمامي البالغ هو كتاب تييري **تاريخ تشكل وتقدم الطبقة الثالثة ، ١٨٥٣** . وإنه لجدير بالملاحظة كيف يصبّ هذا السيد - أبو «الصراع الطبقي» في التأريخ الفرنسي - جام غضبه بكل حنق على «الناس الجدد» الذين يشاهدون الآن تضاداً بين البورجوازية والبرولتياريا ، والذين يزعمون أنهم يميزون آثاراً لهذا التضاد حتى في تاريخ الطبقة الثالثة قبل عام ١٧٨٩ . وإنه ليبذل جهوداً عظيمة كي يبرهن على أن الطبقة الثالثة تشتمل على جميع المراتب والطبقات الاجتماعية باستثناء النبالة والاكليروس ، وأن البورجوازية تلعب دورها على اعتبارها ممثلة لجميع هذه العناصر الأخرى . وإنه ليستشهد على سبيل المثال بتقارير سفراء البندقية : «إن اولئك الذين يسمون طبقات المملكة هم من ثلاث مراتب من الأشخاص ، يعني الاكليروس ، والنبالة ، والمرتبة الباقية التي تضم اولئك الأشخاص الذين يمكن باتفاق مشترك أن يسموا **الشعب**» . ولو أن السيد تييري قرأ أشياءنا لعرف أن التعارض المحدد بين البورجوازية والشعب لا يبدأ بصورة طبيعية إلا حين تكف البورجوازية بوصفها الطبقة الثالثة عن معارضة الاكليروس والنبالة . وأما بشأن «الجذور التاريخية» الخاصة بتضاد «**لم يولد إلا البارحة**» ، فان كتابه يقدم البرهان الأفضل على أن هذه «الجذور» نشأت حال ظهور الطبقة الثالثة . إن هذا الناقد - الذكي من نواح أخرى على طريقته الخاصة - قد كان يجب أن يستنتج من «**مجلس الشيوخ والشعب الروماني**»(١) أنه لم يكن في روما قط أي تضاد آخر

---

(١) Senatus populusque Romanus ، باللاتينية في النص الأصلي .

باستثناء ذلك التضاد بين مجلس الشيوخ والشعب . وإن ما أثار اهتمامي هو أن أرى في الوثائق التي يستشهد بها أن كلمة «catalla» «capitalia» ـ عاصمة ـ تظهر مع صعود الكومونات . وفيما عدا ذلك فقد أثبت دون أن يريد ذلك أن شيئاً لم يعق البورجوازية الفرنسية في انتصارها أكثر من حقيقة أنها لم تحزم أمرهـا حتـى عام **١٧٨٩** على التحالف مع الفلاحين . وإنه ليصف بصورة حسنة ، إن لم يكن في كل متماسك :

١ً ـ كيف أن البورجوازية الفرنسية تكسب قدراً كبيراً من النفوذ منذ البداية ، أو على الأقل بعد صعود المدن ، من جراء تشكيلها هي ذاتها البرلمان ، والبيروقراطية ، الخ ، وليس بواسطة التجارة والصناعة وحدهما كما هي الحال في انكلترا . ومن المؤكد أن هذا يشكل بعد صفة تميز حتماً فرنسا الحالية .

٢ً ـ يمكن أن يبرهَن من تقريره بصورة ممتازة كيف نهضت الطبقة ، بينما الأشكال المختلفة التي يقوم مركز ثقلها فيها في أوقات مختلفة والشيع المختلفة التي اكتسبت النفوذ من خلال تلك الأشكال هي في سبيل الانحـلال . وفي اعتقـادي أن هذه السلسلة من التحولات المؤدية الى سيطرة الطبقة ، لم تعرض على هذا الغرار من قبل قط ـ على أي حال بقدر ما يتعلق الأمر بالمواد المتوفرة . ومن سوء الحظ أنه يقتصر كلياً على وجه التقريب ، حين يعالج **الجورانـدات وجمعيات العمال المهـرة**(١) ، الـخ ـ باختصار الأشكال التي تطورت البورجوازية الصناعية فيها ـ على العبارات العامة والمعروفة من الجميع ، على الرغم من أنه وحده ، ههنا أيضاً ، يعرف المواد المتوفرة . وإن ما يشرحه ويشدد عليه جيداً هو الطابع التآمري والثوري للحركة البلدية في القرن الثاني عشر . إن الأباطرة الألمان ـ فريديريك الأول وفريديريك الثاني على سبيل المثال ـ قد أصدروا مراسيم ضد هذه «**الكومونات**» و«**الجمعيات السرية**» و«**الجمعيات المتضامنة**» ، بروح المجلس التشريعي الفدرالي الألماني تماماً . ومثال ذلك أن فريديريك الثاني أخذ على نفسه عام **١٢٢٦** أن يعلن جميع «القنصليات» والهيئات البلدية الأخرى في مدن مقاطعة بروفانس لاغية وباطلة : «لقد بُلِّغنا مؤخراً أن النقابات في بعض الحواضر والمدن والأسواق وأماكن أخرى شكلـت بمبادرتهـا

(١) Maitrises, jurandes ، بالفرنسية في النص الأصلي . وهي الشريحة العليا المنعمة من النقابات الحرفية ، ورؤساء العمال ، والرسميين المنتخبين

الخاصة محاكم وسلطات وقنصليات وادارات وبعض المؤسسات الأخرى من هذا النمط ... ولما كانت مثل هذه الأشياء ... بين البعض منها ، قد تطورت الى إساءة الاستعمال وسوء الممارسة ... فاننا بهذا ، بمقتضى سلطتنا الأمبراطورية ، نلغي هذه المحاكم ، الخ .، ونلغي كذلك التنازلات بشأنها التي تم الحصول عليها بمعرفتنا الأكيدة من خلال كونتات بروفانس وفوركالكية ، ونعلنها لاغية باطلة» .

علاوة على ذلك : «اننا نحظر كل اسلوب للتجمع أو الجمعية المتضامنة داخل المدن وخارجها : بين مدينة ومدينة ، وبين شخص وشخص ، أو بين مدينة وشخص» . (ميثاق السلام لفريديريك الأول) .

«أن أي حاضرة أو مدينة ذات سوق لا يمكن أن تنظم الكومونات أو المؤسسات أو الاتحادات أو العصبات أو الجمعيات المتضامنة من أي نوع كان ، دون أي اعتبار للأسماء التي يمكن أن تطلقها على نفسها ، وأننا لا نستطيع ولا يجب ، بدون موافقة سيدها ، أن نمنح المدن والأسواق المتشكلة في امبراطوريتنا الحق في إقامة الكومونات والمؤسسات أو الجمعيات المتضامنة من أي نوع كان ، دون أي اعتبار للاسم الذي يمكن أن تتسمى به» . (مرسوم الملك هنري ضد الكومونات المدنية) .

أليس ذلك هو بالضبط نفس الأسلوب الأستاذي الألماني الجاسىء الذي اعتاد في أيام لاحقة أن ينفجر متوعداً من «اللجنة المركزية للاتحاد» ؟ ان **الكومونة المتضامنة**(١) لم تتغلغل في ألمانيا الى أبعد من تريف ، وهناك وضع الأمبراطور فريديريك الأول حداً لها عام ١١٦١ : «كل كومونة لمواطني تريف تسمى كذلك جمعية متضامنة وقد ألغيناها في المدينة ... لكن أعيد مع ذلك إنشاؤها من جديد في وقت لاحق كما بلغ مسامعنا ، يجب أن تحل وتعلن لاغية باطلة ...»

إن هذه السياسة التي اتبعها الأباطرة الألمان قد استخدمها الملوك الفرنسيون كي يقدموا الدعم السري «للجمعيات المتضامنة» و«الكومونات» في اللورين والألزاس ودوفينه وفرانش ـ كونته وليونيه ، الخ .، ويفصلوها عن الأمبراطورية الألمانية : «وفقاً للمعلومات التي بلغت سمونا ، فان ملك فرنسا ... يسعى الى إفساد صدق

---

(١) **commune jurée** ، بالفرنسية في النص الأصلي .

اخلاصكم» (رودولف الأول ، رسالة الى مواطني بيزانسون) . إنها بالضبط نفس السياسة التي اتبعها اولئك الفتيان كي يجعلوا المدن الايطالية تابعة لآل غيلف[1]

وإنه لأمر باعث على الضحك في الأغلب كيف كان من المألوف إغداق الشتائم على كلمة «communio» كما هي الحال مع كلمة الشيوعية في الأيام الراهنة . ومثال ذلك أن القس غيلبرت من نويون يكتب : «ان communio اسم جديد وبالغ الرداءة» .

ان ثمة شيئاً مشجياً تماماً في غالب الأحيان في الطريقة التي كان الحضريون في القرن الثاني عشر يدعون الفلاحين بها الى الهرب الى المدن ، الى الكومونات المتضامنة . هكذا على سبيل المثال يقول ميثاق سان كانتان :

«انهم» (مواطني سان كانتان) «قد أقسموا متضامنين أن يقدم كل منهم العون المشترك لرفاقه في الاتحاد ، وأن يتشاوروا ، وأن تكون لهم مسؤولية مشتركة ودفاع مشترك . لقد قررنا متضامنين أن كل من سوف يدخل كومونتنا ويقدم الينا عضده ، سواء لأنه هارب أو لأنه خائف من أعدائه أو لأي إثم آخر ... سوف يسمح له بالدخول الى الكومونة ، ذلك أن البوابة مفتوحة للجميع ، واذا كان سيده قد احتجز خيراته ظلماً ولن يحتفظ بها بصورة عادلة ، فإننا سوف ننفذ العدالة وفقاً لذلك» .

المخلص

**ك . ماركس**

---

(١) كان آل غيلف خصوم الأباطرة الألمان في الجمهوريات الايطالية من القرن الثاني عشر حتى القرن الرابع عشر .

## ١٨٥٦

## ٣٣

# ماركس الى انجلز

**لندن ، في ٥ آذار ١٨٥٦**

... كان الغرض الثاني من مهمة ليفي أن يعطيني معلومات عن ظروف العمال في مقاطعة الراين . ان عمال دوسلدورف لا يبرحون على اتصال بعمال كولونيا ، وليس ثمة بعد الآن «سادة» على الاطلاق . بيد أن الدعاية الرئيسية تنفذ حالياً بين **عمال المصانع في سولنجن** ، وفي **ايزرلوهن وضواحيها** ، وفي **البرفيلد** ، وفي منطقة دوقية - ويستفاليا . وفي المناطق التعدينية يريد الشبان أن يعمدوا الى القوة ولا يكبحهم عن ذلك الا منظور ثورة فرنسية وأن «اللندنيين لا يحسبون أن الآوان قد حان» . ويعتقد ليفي أنه سوف يكون من العسير تفادي الانتفاضة اذا ما تباطأت الأمور فترة أطول . لكن الانتفاضة في باريس سوف تكون الاشارة في جميع الأحوال . ويبدو أن هؤلاء الناس على ثقة أكيدة من **أننا وأصدقاءنا سوف نسرع اليهم منذ اللحظة الأولى** . ومن الطبيعي أنهم يستشعرون الحاجة الى قادة سياسيين وعسكريين ، وليس من يلومهم على ذلك . بيد أنني أخشى عليهم ، بخططهم ذات النزعة التبسيطية الفائقة ، أن يسحقوا أربع مرات حتى قبل أن نتمكن من مغادرة انكلترا . وعلى أي حال ، فان لهم الحق في الحصول على ايضاح بشأن ما يمكن فعله وما لا يمكن فعله بالضبط ، وذلك من وجهة النظر العسكرية . ولقد وعدت طبعاً بأننا سوف نأتي لرؤية العمال الرينانيين **اذا سمحت الظروف** ؛ وأن أي انتفاضة من جانبهم ، دون مبادرة من باريس أو فيينا أو برلين ، سوف تكون انتفاضة حمقاء ؛ وأنه اذا أعطت باريس الاشارة فانه سيكون من الحسن المغامرة بكل شيء في جميع الأحوال ، لأنه حتى الهزيمة المؤقتة اذن لن تترتب عليها عواقب وخيمة الا بصورة

مؤقتة ؛ وأنني سوف أستشير أصدقائي جدياً بخصوص ما يمكن أن يفعله بصورة مباشرة الأهالي الشغيلة في مقاطعة الراين نفسها ، وأن عليهم أن يرسلوا بعد فترة شخصاً ما الى لندن من جديد ، لكن يجب ألا يفعلوا أي شيء قبل اتفاق سابق .

ان عمال الدباغة في البرفيلد (أو بارمن ؟) ، الذين كانوا بمغالين في الرجعية في ١٨٤٨ و ١٨٤٩ ، قد أصبحوا الآن أصحاب ذهنية ثورية بصورة خاصة . ولقد أكد لي ليفي أن العمال يعتبرونك شخصياً «رجلهم» في ووبرتال . ومهما يكن من أمر ، فإنه يبدو أن الاعتقاد بثورة في فرنسا منتشر حتى درجة لا بأس بها على طول الراين ، وان البورجوازيين الصغار أنفسهم يقولون : هذه المرة لن تسير الآمور مثلما سارت عام ١٨٤٨ . هذه المرة سوف يظهر على المسرح أناس مثل روبسبيير بدلاً من ثرثاري عام ١٨٤٨ . ان نفوذ الديموقراطيين قد هوى جداً ، على طول الراين على الأقل .

تحياتي

المخلص

ك . م .

## ٣٤

# ماركس الى انجلز

**لندن ، في ١٦ نيسان ١٨٥٦**

... أول أمس أقيمت وليمة صغيرة للاحتفال بعيد **صحيفة الشعب**(١) . ولقد قبلت الدعوة بهذه المناسبة نظراً لأن الأوقات كانت تتطلب ذلك فيما يبدو ، وعلى الأخص لأنني كنت **وحدي** المدعو (كما أعلن في الصحيفة) من بين سائر اللاجئين ، وقد كان النخب الأول من نصيبي أيضاً ، وكان علي به أن أحيي سيادة البروليتاريا في جميع البلدان . وهكذا ألقيت خطاباً انكليزياً قصيراً لن أنشره على أي حال(٢) . لقد تحقق الهدف الذي كان في ذهني . إن السيد تالانديه ، الذي اضطر أن يبتاع

(١) **صحيفة الشعب** هي صحيفة الميثاقيين التي صدرت في لندن من عام ١٨٥٢ حتى عام ١٨٥٨ ، وكان إرنست جونس رئيس تحريرها . ولقد كتب لها ماركس بعض المقالات وأسهم أحياناً في أعمال التحرير .

(٢) ان خطاب ماركس قد نشر في التقرير الخاص بالوليمة الذي نشرته **صحيفة الشعب** في عدد ٢٩ نيسان ١٨٥٦ .

بطاقته لقاء شلنين وستة بنسات ، وبقية عصابة الفرنسيين واللاجئين الآخرين قد اقتنعوا بأننا الحلفاء «الحميمون» الوحيدون للميثاقيين وبأننا على الرغم من امتناعنا عن التظاهرات العلنية وتخلينا للفرنسيين عن المغازلة المكشوفة للميثاقية ، فإن في مقدورنا أن نحتل مجدداً في أي وقت المركز الذي هو من نصيبنا تاريخياً . ولقد تعاظمت ضرورة ذلك لأن الجهول الألماني سكيرزر(الصبي العجوز)قد تقدم في اجتماع الخامس والعشرين من شباط برئاسة بيات وفضح باسلوب ستراوبنجري بغيض حقيقي «رجال العلم» الألمان، «العمال المثقفين الذين خلفوهم (الجهولين) في مركز حرج وبذلك اضطروهم أن يترددوا في الخزي تجاه الأمم الأخرى». أنت تعرف سكيرزر هذا من أيام باريس . ولقد عقدت مزيداً من اللقاءات مع الصديق سكابر ووجدته خاطئاً تائباً جداً ، ويبدو أن العزلة التي عاش فيها خلال السنتين الأخيرتين قد شحذت قواه الذهنية . وانك لتدرك أنه قد يكون من الأفضل على الدوام ، في جميع الأحوال ، أن يكون الرجل في يدنا ، وأكثر من ذلك أيضاً بعيداً عن يدي ويليش . وان سكابر لناقم حالياً على الجهلة في شارع وندميل(١) .

سوف أعنى برسالتك الى ستيفن . ولقد كان عليك أن تحتفظ برسالة ليفي هناك في حوزتك . أفعل ذلك على العموم بجميع الرسائل التي لا أطلب منك أن تردها الي . فكلما قل إرسالها بالبريد كان ذلك أفضل . أوافقك كل الموافقة بشأن مقاطعة الراين . ان الأمر القاضي بالنسبة الينا هو أنني أرى شيئاً يلوح في المستقبل سوف يتلمظ «بالخيانة للوطن الأم» .

لسوف يتوقف الأمر حتى درجة كبيرة على مجرى الأمور في برلين فيما اذا كنا لن نلزم بموقف مماثل لموقف أعضاء نادي مايانس(٢) في الثورة القديمة . سوف يكون ذلك شاقاً . نحن الذين على قدر كبير من الاستنارة بشأن اخواننا الفاضلين على الجانب الآخر من الراين ! إن الأمر بأسره في المانيا سوف يتوقف على امكانية دعم الثورة البروليتارية بنسخة ثانية ما من حرب الفلاحين . عندئذ سوف تكون القضية رائعة ...

---

(١) كان المنزل الذي تعقد فيه اجتماعات الجمعية الثقافية العمالية الألمانية يقع في شارع وندميل في لندن .

(٢) يشير ماركس الى أعضاء النادي الديموقراطي في مدينة مايانس الذين أيدوا القوات الثورية الفرنسية التي احتلت المدينة عام ١٧٩٢ .

## ٣٥

# انجلز الى ماركس

**مانشستر، في ٢٣ أيار ١٨٥٦**

عزيزي ماركس

أثناء جولتنا في ايرلندا ذهبنا من دابلن الى غالفيي على الساحل الغربي، ومن ثم عشرين ميلاً شمالاً في داخل البلاد، ومن بعد الى لايمريك، وعلى طول شانون الى تاربرت، وترالي، وكيلاريني، وأخيراً عدنا الى دابلن ـ حوالي ٤٥٠ ـ ٥٠٠ ميل انكليزي داخل البلد نفسه بحيث شاهدنا حوالي الثلثين من مجموعه. وباستثناء دابلن، التي هي بالمقارنة مع لندن مثل دوسيلدورف بالمقارنة مع برلين، وهي تحمل كلياً طابع مدينة كانت عاصمة في يوم من الأيام، ومبنية كلياً على الطريقة الانكليزية فضلاً عن ذلك، فإن منظر البلد بأسره، وبصورة خاصة المدن، لأشبه بما لو كان المرء في فرنسا أو شمالي ايطاليا. دركيون، وكهنة، ومحامون، وبيروقراطيون، وملاك ريفيون بوفرة مُرضية، وانعدام تام لأية صناعة على الاطلاق، بحيث يكون من العسير أن يفهم المرء ممَّ تعيش هذه الأورام الطفيلية جميعاً لولا أن بؤس الفلاحين يزودنا بالنصف الآخر من اللوحة. إن «التدابير الصارمة» مرئية في كل زاوية من البلد، والحكومة تتدخل في جميع الأمور، ولا أثر هناك لما يسمى الحكم الذاتي. انه لفي الامكان اعتبار ايرلندا المستعمرة الانكليزية الأولى، ومستعمرة لا تزال تُحكم بالطريقة القديمة بالضبط نظراً لقربها؛ ويستطيع المرء أن يلاحظ هنا في الحال أن ما يسمى حرية المواطنين الانكليز قائمة على اضطهاد المستعمرات. اني لم أشاهد قط مثل هذا العدد من الدركيين في أي بلد، وان النظرة البلهاء للدركي البروسي المدمن على الخمرة قد رفعت هنا الى كمالها الأسمى بين رجال الشرطة المسلحين بالبنادق والحراب والأغلال.

وان ما يميز هذا البلد أطلاله، وأقدمها يعود تاريخه الى القرنين الخامس والسادس، وأحدثها الى القرن التاسع عشر ـ مع جميع المراحل المتوسطة. وان أقدمها كنائس جميعها؛ وبعد ١١٠٠ كنائس وقصور؛ وبعد ١٨٠٠ بيوت

الفلاحين . ان الغرب بأسره ، وعلى الأخص في جوار غالفيي ، مغطى بالبيوت الفلاحية المهدمة ، ومعظمها لم تهجر الا منذ ١٨٤٦ . لم يخطر لي قط أن المجاعة يمكن أن يكون لها مثل هذا الواقع المحسوس . ان قرى بأكملها مدمرة ، وهناك فيما بينها تقوم الحدائق الرائعة للملاكين العقاريين الأصغر ، الذين هم على وجه التقريب الناس الوحيدون الذين لا يبرحون يعيشون هنالك ، ومعظمهم محامون .

إن المجاعة والهجرة وتصفية الاملاك قد حققت ذلك متضامنة . ولا يشاهد في الحقول حتى الماشية . أن الأرض صحراء تامة ليس من يرغب فيها . وفي ناحية كلير الى الجنوب من غالفيي ، تصبح الحالة أفضل حتى درجة ما . ههنا تصادف ماشية على الأقل ، والهضاب حوالي لايمريك مزروعة جيداً ، وعلى الأغلب من قبل مزارعين اسكوتلنديين ، وقد أزيلت الخرائب وبات للبلد مظهر بورجوازي . وفي الجنوب الغربي يقوم عدد كبير من الجبال والمستنقعات ، لكن هناك أيضاً أراضي حراجية متكاثرة بصورة مدهشة ؛ وفيما وراء ذلك مراعٍ رائعة من جديد ، وبصورة خاصة في تابيريري ، وحوالي دابلن تصادف أراض يستطيع المرء أن يتبين أنها تسقط بصورة تدريجية بين أيدي المزارعين الكبار .

إن البلد قد تعرض للدمار التام بفعل حروب الفتح الانكليزية من ١١٠٠ حتى ١٨٥٠ (ذلك أن الحروب وحالة الحصار استمرت جميعاً في الواقع طوال هذا الزمن) . ولقد ثبت كأمر واقع أن معظم الخرائب حدثت من جراء الدمار إبان الحروب . ولقد حصل الشعب نفسه على طابعه الخاص من هذه الحقيقة ، وان هؤلاء الفتيان ليحسون ، بالرغم من كل تعصبهم القومي الايرلندي ، أنهم ليسوا الآن في دارهم في بلدهم الخاص . ايرلندا للسكسونيين ! لقد تحقق ذلك الآن . ويعرف الايرلندي أنه لا يستطيع منافسة الانكليزي الذي يأتي مجهزاً بوسائل متفوقة من سائر وجهات النظر ؛ ان الهجرة سوف تستمر حتى يذهب الى الكلاب طابع السكان السلتي ، وهو الطابع السائد ، وفي الحقيقة الحصري على وجه التقريب . كم من مرة باشر الايرلنديون أن يحققوا شيئاً ما ، وكانوا في كل مرة يُسحقون ، سياسياً وصناعياً . لقد حولوا بصورة مصطنعة ، بفعل الاضطهاد الدائب ، الى أمة مدقعة الفقر ، وانهم ليقومون حالياً ، كما يعرف الجميع ، بوظيفة تزويد انكلترا وأميركا واوستراليا ، الخ .،

بالعاهرات ، والعمال غير النظاميين ، والقوادين ، والنشالين ، والمحتالين ، والشحاذين ، وغير ذلك من الرعاع . وان الافقار ليميز الأرستقراطية أيضاً . ان الملاكين العقاريين ، الذين أصبحوا متبرجزين في كل مكان آخر ، ملزمون بالفقر التام . ان أماكن اقامتهم الريفية محاطة بحدائق هائلة ، فاتنة بصورة تبعث على الذهول ، لكن كل ما يحوطها ارض قفراء ، ومن المحال أن يتبين المرء من أين يأتيهم المال . وان هؤلاء الفتيان لظريفون كفاية بحيث يجعلون خاصرتيك تنفجران من الضحك. ان دماء مزيجة تجري في عروقهم ، ومعظمهم فتيان مليحون ، فارعو القامة ، أقوياء البنية ، وجميعهم يحملون شاربين ضخمين تحت أنف روماني عملاق ، ويتظاهرون بالمظهر العسكري الكاذب لعمداء متقاعدين ، يجوبون أنحاء البلاد سعياً وراء مختلف أنواع الملذات ، واذا ما قام المرء بتحقيق فهم جميعاً مفلسون ، مثقلون بالديون ، يعيشون في خوف من محكمة الأملاك المرهونة .

أما فيما يتعلق بالطرق والأساليب التي تحكم انكلترا بها هذا البلد ـ الاضطهاد والفساد ـ قبل زمن طويل من محاولة نابليون ذلك ، فسوف أكتب قريباً اذا كنت راغباً عن المجيء عاجلاً . ما رأيك ؟

المخلص

**ف . إ .**

## ٣٦

## ماركس الى انجلز

**[لندن ،] في ٣٠ تشرين الأول ١٨٥٦**

... سوف تلاحظ بنفسك في ميروسلافسكي[١] : ١ً ـ أن نفس الشخص الذي يعتبر «المملكة الدبلوماسية» مستحيلة في بولونيا أراد أن يصنع هناك «**ثورة دبلوماسية**» ، أي تحت رعاية لويس بونابرت وبالمرستون ؛ ٢ً ـ أن مصير **الغمينا**[٢]

(١) لودفيغ ميروسلافسكي : القومية البولونية ضمن ميزان القوى الأوروبي .

(٢) الناحية .

«الديموقراطية» البولونية كان محتوما . فالدومينيوم[1] بالخاصة سلبه التاج ، والأرستقراطية ، الخ . إن العلاقات الرعوية بين الدومينيون والجماعيات الفلاحية تؤدي الى العبودية ؛ والتجزئة الاختيارية تؤول الى قيام نوع من **الطبقة المتوسطة الفلاحية ، المرتبة الفروسية** ، التي لا يستطيع الفلاح أن يرتفع اليها الا اذا استمرت حرب الفتح والاستعمار ، وكلاهما يشكلان على أي حال شرطان يعجلان في سقوطه . ولا يتم بلوغ الحد الأقصى حتى تتحول هذه المرتبة الفروسية ، العاجزة عن القيام بدور طبقة متوسطة فعلية، الى البروليتاريا الرثة للأرستقراطية . وان مصيراً مماثلاً مدخر للدومينيوم والفلاح بين السكان اللاتين لمولدافيا ، وفالاشيا ، الخ . وان هذا النوع من التطور لباعث على الاهتمام لأنه يمكن هنا أن يبين أن العبودية نشأت بطريقة اقتصادية خالصة ، دون الحلقة المتوسطة للفتح والازدواجية العرقية ...

## ٣٧

## ماركس الى انجلز

### [لندن ،] في ٢ كانون الأول ١٨٥٦

... وعلى أي حال ، فان ما حملني على الانحياز بصورة نهائية الى جانب بولونيا ، على أساس دراساتي الأخيرة في التاريخ البولوني ، هو الحقيقة التاريخية التي تنص على أن شدة وحيوية الثورات منذ عام ١٧٨٩ يمكن أن تقاس على نحو دقيق حتى درجة كبيرة بموقفها من بولونيا . ان بولونيا هي ميزان حرارتها «الخارجي» . وانه لفي الامكان البرهان على ذلك بصورة مفصلة بواسطة التاريخ الفرنسي ، كما وانه واضح في عصرنا الثوري الألماني القصير ، وكذلك في العصر المجري . وان لجنة السلامة العامة تشكل لوحدها استثناء من بين جميع الحكومات الثورية ، بما فيها حكومة نابليون الأول ، فقط لأنها رفضت التدخل ليس بدافع الضعف بل بدافع «الريبة» . فقد استدعوا عام ١٧٩٤ عميل العصاة البولونيين للحضور أمامهم وطرحوا على هذا «المواطن» الأسئلة التالية : «كيف يحدث أن صاحبكم كوسيوجكو دكتاتور شعبي ويرضى مع ذلك بوجود ملك الى جانبه ، وهو فضلاً عن ذلك ـ وهذا ما يجب أن يكون

(١) سيادة السيد الاقطاعي .

كوسيوجكو مدركاً له ـ ملك وضعته روسيا على العرش ؟ كيف يحدث أن صاحبكم الدكتاتور لا يجرؤ على تنفيذ التجنيد الجماهيري للفلاحين خوفاً من الأرستقراطيين الذين لا يريدون أن تنتزع «الأيدي» منهم ؟؟ كيف يحدث أن تفقد بياناته لهجتها الثورية بصورة متناسبة مع المسافة التي يبعده بها خط مسيره عن كراكوف ؟ كيف يحدث أن يعاقب على الفور العصيان الشعبي في فرصوفيا بالمشانق ، بينما «خونة الوطن» الأرستقراطيون يتجولون بحرية أو يحتمون خلف شكليات المحاكمة المديدة ؟ أجب !» ولم يكن في مكنة «المواطن» البولوني الا أن يلوذ بالصمت حيال هذه الأسئلة .

ماذا تقول لنوفشاتيل وفالانجان(١) ؟ لقد قادتني هذه الحالة الى تكملة معرفتي الناقصة جداً بالتاريخ البروسي . الحق الحق أن تاريخ العالم لم ينتج قط شيئاً أقذر . إن التاريخ الطويل للطريقة التي أصبح بها ملوك فرنسا الأسميون ملوكاً فعليين يغص كذلك بالصراعات الحقيرة والخيانة والمؤمرات . بيد أنه تاريخ أصل أمة . وان التاريخ النمسوي ، الذي يبين كيف يقيم أحد أتباع الامبراطورية الألمانية سلطان أسرته الخاصة ، يصبح باعثاً على الاهتمام من جراء أن ذلك التابع يلعب بوسائل مضللة دور قيصر بفضل المضاعفات مع الشرق، وبوهيميا ، وايطاليا ، والمجر ، الخ .؛ وفي آخر الأمر لأن سلطان هذه الأسرة يتخذ أبعاداً كبيرة بحيث تخشى أوروبا أن يصبح ملكية عمومية . وليس في بروسيا شيء من هذا القبيل . إنها لم تخضع قط أمة سلافية قوية واحدة ولم تتمكن قط خلال خمسمائة عام من النجاح حتى في الاستيلاء على بوميرانيا حتى حصلت عليها أخيراً «بالمقايضة» . وفي الحقيقة أن مرغريفية(٢) براوندبورغ ، منذ وقعت في أيدي آل هوهنزولرن ، لم تقم بأية فتوحات فعلية باستثناء سيليزيا . ولما كان هذا هو فتحها الوحيد ، فمما لا ريب فيه أن فريديريك الثاني هو «الأوحد» ! لصوصية حقيرة ، ورشوة ، وشراء مباشر للضمائر ، وصفقات ماكرة من أجل الاستيلاء على التركات ، الخ .ـ كل هذه

---

(١) يشير ماركس الى الانقلاب العسكري الذي قامت به النبالة في نوفشاتيل وفالانجان عام ١٨٥٦ من أجل استعادة امتيازاتها الاقطاعية وإعادة الحقوق الملكية للملك البروسي . وقد قمعت الحكومة السويسرية هذا العصيان في الحال .

(٢) Margraviate ، في الأصل منطقة تخضع لسلطة حاكم عسكري .

الأفعال الدنيئة هي ما يؤول اليه تاريخ بروسيا . وان كل شيء اخر يميز التاريخ الاقطاعي ـ الصراع بين السيد المطلق والأتباع ، والاحتيال على المدن ، الخ ـ يُمسخ كله هنا على نطاق قزم لأن المدن صغيرة ومضجرة ، والسادة الاقطاعيين أجلاف تافهون ، والعاهل نفسه انسان تافه . ففي الاصلاح كما في الثورة الفرنسية ـ غدر متذبذب ، وحياد ، ومعاهدات سلم منفصلة . والتقاط قطع صغيرة كانت روسيا تلقيها لها في سياق التوزيعات المختلفة التي رتبتها ـ كذلك كانت الحال مع السويد ، وبولونيا ، وسكسونيا . وبالاضافة الى ذلك ، فأنه لا يصادف قط في قائمة حكامها الا ثلاثة أنماط من الصفات تتلاحق مثلما يتبع الليل النهار ، مع بعض الشذوذات التي كانت تغير التسلسل وحده دون إدخال أي نمط جديد قط ـ رجل التقوى، والرجل العسكري ، والمهرج . وان ما أبقى الدولة واقفة على قدميها عبر ذلك كله قد كانت **التفاهة** ـ الوسيلة الذهبية ـ ومسك الدفاتر المناسب ، وتجنب التطرف ، والدقة في التدريب ، وبعض الوضاعة الوطنية ، و«التنظيمات الكنسية» . شيء مقرف ! ...

# ١٨٥٧

# ٣٨

# ماركس الى انجلز

## لندن ، في ٢٥ ايلول ١٨٥٧

... إن «جيشك»(١) مصنوعة بصورة جيدة جداً ؛ سوى أن حجمها جعلني أحس وكأنني ضرُبت على رأسي ، لأن هذا القدر الكبير من العمل لا بدّ أن يسبب لك أذى كبيراً . لو أني علمت أنك سوف تشتغل حتى ساعة متأخرة جداً من الليل لفضلت أن أترك القضية كلها معلقة .

إن تاريخ **الجيش** يُبرز بصورة أوضح من أي شيء آخر صحة تصورنا عن العلاقة بين القوى الانتاجية والعلاقات الاجتماعية . فالجيش على العموم هام من أجل التطور الاقتصادي. ومثال ذلك أن القدماء وضعوا للمرة الأولى بصورة كاملة نظاماً للاجور في الجيش . وكذلك عند الرومان كانت peculium castrense(٢) الشكل القانوني الأول الذي تم به الاعتراف بالحق في الملكية المنقولة لغير أرباب الأسر . وتلك هي الحال أيضاً بالنسبة الى النظام النقابي عند نقابة fabri(٣) . فههنا أيضاً كان الأستخدام الأول للآلات على نطاق واسع . بل يبدو أن القيمة الخاصة للمعادن واستخدامها كنقد كانا في الأصل قائمين ـ فور انقضاء عصر غريم الحجري ـ على مغزاها العسكري : ولقد طُبق تقسيم العمل كذلك **ضمن** الفرع الواحد في الجيوش للمرة الأولى . إن تاريخ أشكال المجتمع البورجوازي يُلخص هنا بمجموعه بصورة باهرة جداً . واذا وجدت وقتاً في يوم من الأيام ، فان عليك أن تخُرج الموضوع من وجهة النظر هذه .

(١) الأشارة الى مقالة انجلز «الجيش» التي نشرت في **الموسوعة الاميركية الجديدة** .

(٢) ملكية العسكر .

(٣) الصنعة .

وفي رأيي أن النقاط الوحيدة التي صار تجاوزها في تقريرك هي : ١ً ـ الظهور الأول للقوات المرتزقة ، الجاهزة للاستخدام على نطاق واسع وفي الحال ، بين القرطاجيين (لاستخدامنا الخاص سوف أبحث عن كتاب عن الجيوش القرطاجية كتبه رجل برليني ، وقد عرفت ذلك الكتاب مؤخراً فقط) .٢ً ـ تطور نظام الجيش في ايطاليا في القرن الخامس عشر وأوائل القرن السادس عشر . وعلى أي حال فقد طورت الحيل التكتيكية هنا . وان الوصف الذي يعطيه ماكيافيللي (والذي سوف أنسخه لك) في تاريخه عن فلورنسا عن الطريقة التي كان الكوندوتييري[1] يقاتلون فيها بعضهم بعضاً لفكه حتى الدرجة القصوى . (لا ، فحين آتي لرؤيتك في برايتون ـ متى ؟ ـ سوف أجلب معي بالأحرى كتاب ماكيافيللي . إن تاريخه عن فلورنسا مأثرة .) وأخيراً ، ٣ً ـ النظام العسكري الآسيوي كما ظهر للمرة الأولى عند الفرس ، ومن ثم عند المغول ، والأتراك ، الخ .، وان يكن قد طرأت عليه أساليب متنوعة جداً من التعديل ...

## ٣٩

## ماركس الى انجلز

### لندن ، في ٢٤ تشرين الثاني ١٨٥٧

... يتصرف جونس بصورة بالغة الحمق . أنت تعرف أنه رتب قبل الأزمة بوقت طويل ـ بدون أي هدف معين باستثناء ايجاد اية ذريعة للتحريض خلال هذا الوقت الفاتر ـ أمر مؤتمر ميثاقي سوف يدعى اليه بعض الراديكاليين البورجوازيين أيضاً (ليس برايت فحسب ، بل كذلك فتيان مثل كاننغهام) . وعلى العموم ، كان يجب التوصل الى اتفاق مع البورجوازيين يحصلون بموجبه على الاقتراع السري اذا هم تنازلوا للعمال عن حق الاقتراع بشهامة . ولقد ادى هذا الاقتراح الى انقسامات في الحزب الميثاقي قادت بدورها جونس الى التمسك بمخططه بمزيد من الحزم . وهذا هو الآن ، بدلاً من استخدام الأزمة للاستعاضة بالتحريض الواقعي عن الذريعة التي

(١) رؤساء المرتزقة في ايطاليا في القرنين الرابع عشر والخامس عشر .

أسيء انتقاؤها لهذا الغرض،يتشبث بهرائه ويصدم العمال حين يبشر بالتعاون مع البورجوازية ، بينما هو أبعد ما يكون عن الأيحاء بأدنى ثقة لهذه البورجوازية . وهذه بعض الصحف الراديكالية تتملقه كي تجهز عليه . وان ذلك الحمار العجوز فروست ، الذي رفعه هو نفسه كبطل وعينه رئيساً لمؤتمره ، قد خرج ضده في صحيفته الخاصة في رسالة قذرة يقول فيها فيما يقوله : اذا كان جونس يعتبر تعاون الطبقة الوسطى ضرورياً ـ وأن شيئاً لا يمكن صنعه بدونه ـ فان من واجبه أن يعترف بذلك bona fide[1] . من ذا أعطاه الحق في أن يرسم برنامج المؤتمر بدون الحلفاء ؟ من خوله أن يعين فروست رئيساً وأن يلعب هو نفسه دور الدكتاتور ، الخ . ؟ وهكذا فانه في مأزق حالياً ، وهو يلعب للمرة الأولى لا دوراً سخيفاً فحسب بل دوراً ملتبساً . اني لم أره منذ زمن طويل ، لكنني سأزوره حالياً . اني أعتبره شريفاً ، وبما أنه من المحال في انكلترا بالنسبة الى شخصية عامة أن تصبح بغيضة بسبب الأشياء السخيفة ، الخ .، التي تصنعها ، فان المقصود هو أن يتملص فقط بأسرع وقت ممكن من شركه الخاص . ان من واجب الأحمق أن يشكل حزباً باديء الأمر ، الأمر الذي لا بدّ له من أجله أن يقصد المناطق الصناعية . عندئذ سوف تأتي البورجوازية الراديكالية اليه طلباً للمواطآت .

تحياتي

المخلص

ك .م .

---

(١) صراحة .

# ١٨٥٨

## ٤٠

## ماركس الى انجلز

**[لندن ،] في ١٤ كانون الثاني ١٨٥٨**

... وعلى أي حال،فان الأمور تتطور بصورة مرضية . لقد رميت الى البحر بكل مذهب الربح كما كان موجوداً حتى الآن . وفي **منهج المعالجة** ، فان نظرية جديدة ألفيتها بمحض الصدفة في **منطق** هيغل أدت لي خدمة جليلة ـ لقد عثر فرايليغرات على بعض المجلدات لهيغل كانت في الأصل تخص باكونين وأرسلها الي كهدية . واذا ما سنحت لي ذات يوم الفرصة من أجل مثل هذا العمل مرة ثانية ،فلشد ما سوف أود أن أضع في متناول الذكاء الانساني العادي ، في ملزمتين أو ثلاث ملازم مطبوعة ، ما هو **عقلاني** في المنهج الذي اكتشفه هيغل لكن لفه بالصوفية في الوقت نفسه ...

## ٤١

## ماركس الى انجلز

**[لندن ،] في ١ شباط ١٨٥٨**

... إن **هيراقليطس الغامض** بقلم لاسال اللامع(١) هو في الواقع تصنيف تافه جداً . فمع كل صورة من الصور العديدة التي يستنبط بها هيراقليطس لنفسه وحدة التأكيد والنفي ، يتقدم لاسال وينتهز الفرصة كي يقدم لنا ـ وبصورة مطولة دائماً ـ مقطعاً من **منطق** هيغل الذي لا يربح شيئاً من هذه العملية . وانه يفعل ذلك مثل تلميذ لا بدَّ له في تمرينه أن يثبت أنه استظهر بدقة«الوجود» و «الظاهرة»و «العملية الجدلية» . وحتى اذا كان ذلك ما اكتسبه التلميذ من تأملاته ، فإن المرء يستطيع أن

---

(١) فيرديناند لاسال : : **فلسفة هيراقليطس الغامض من أفسس** .

يكون على ثقة أنه لن يكون في مقدوره آخر الأمر أن يسير هذه العملية الفكرية إلا وفقاً للوصفة الموصوفة وبالأشكال المقدسة . وتلك هي الحال بالضبط مع صاحبنا لاسال . انه ليبدو أن الفتى حاول أن يوضح لنفسه **منطق** هيغل من خلال هيراقليطس ولم يكل قط من معاودة هذه العملية مرة بعد أخرى بصورة لا نهاية لها . وبقدر ما يتعلق الأمر بسعة الاطلاع ،فان ثمة عرضاً هائلاً لها . لكن كل خبير يعرف كم من السهل على المرء أن يجمع هذا النوع من عرض الاستشهادات حين يملك الوقت والمال ، وحين يكون في سعته ، مثل الهر لاسال ، أن تُرسَل مكتبة جامعة بون الى منزله مباشرة كلما حلا ذلك له . وان المرء ليستطيع أن يرى كيف أن الفتى يظهر في عينيه الخاصتين انساناً رفيع المنزلة جداً في هذا البهرجان الفلسفي ، وهو يتنقل بكل ظرافة الفتى الذي يرتدي للمرة الأولى في حياته بزة أنيقة . ولما كان معظم اللغويين لا يملكون الذهن التأملي الذي يسود في هيراقليطس ، فان كل هيغلي يملك الميزة التي لا نزاع فيها ليفهم ما لا يفهمه اللغوي . (وانه ليكون أمراً غريباً على أي حال أن يصبح المرء فيلسوفاً في **اليونانية** لأنه تعلم اليونانية حين لا يكون فيلسوفاً في **الألمانية** .) لكن الهر لاسال ، بدلاً من أن يأخذ بكل بساطة ذلك كله على أنه مفروغ منه ، يعاملنا بطريقة أشبه بطريقة ليسنغ . إن التعليل الهيغلي يُسوَّغ بعبارات قانونية جوفاء ضد إنشاءات اللغويين الكاذبة ، وهي كاذبة من جراء افتقارها الى المعرفة الخاصة . وهكذا فإننا نحصل على لذة مزدوجة ؛ فأولا نشاهد أشياء جدلية نسيناها على وجه التقريب وقد أعيد أنشاؤها من أجلنا بسعة كاملة ؛ وثانياً نجد أن هذا «الميراث التأملي» يُدافَع عنه ضد اللغويين غير التأمليين على اعتباره الحصافة والثقافة اللغويتين والفقهيتين الخاصتين بالهر لاسال . ومهما يكن من أمر ، فعلى الرغم من تبجح الفتى بأن هيراقليطس كان حتى الوقت الحاضر كتاباً ذا سبعة أختام ، فانه لم يضف **أي شيء جديد على الاطلاق** ، حيث يتعلق الأمر بالنقطة الرئيسية ، الى ما قاله هيغل في كتابه **تاريخ الفلسفة**.إن كل ما يفعله هو أن يبرز ذلك بصورة مفصلة ، الأمر الذي كان يمكن تحقيقه طبعاً بسعة كافية في ملزمتين مطبوعتين . وانه ليخطر أقل من ذلك أيضاً في بال هذا الفتى أن ينم عن أية افكار نقدية بشأن الجدلية بالذات . ولو أن جميع المقاطع من هيراقليطس طبعت مجموعة فلن تملأ على

وجه التقريب نصف ملزمة مطبوعة . وليس في مقدور أحد أن يقدم مجلدين يتألفان من ستين ملزمة الى العالم بمثل هذه الحجة الا فتى يطبع الكتب على نفقة ذلك «الشخص»(١) البغيض .

ان ثمة قولاً مأثوراً «لهيراقليطس الغامض» يستنتج فيه ، كيما يفسر تغير جميع الأشياء الى أضدادها : «وهكذا فالذهب يتغير الى جميع الأشياء وجميع الأشياء تتغير الى الذهب» . ويقول لاسال ان الذهب هنا هو المال (وهو أمر صحيح) والمال قيمة . وبالتالي فان المثالي هو العمومي،الواحد (قيمة) ، والأشياء ، الواقعي ، هو الخصوصي ، المتعدد ، إنه يستخدم هذا الدليل المدهش على البصيرة النافذة كيما يعطينا في هامش طويل علامة على اكتشافاته في علم الاقتصاد السياسي . إن كل كلمة خطأ فاضح ، لكنها تُلقى بادعاء طنان مرموق . وإني لأستطيع أن أتبين من هذا الهامش وحده أن الفتى ينوي أن يقدم الاقتصاد السياسي بالطريقة الهيغلية في مجلده الضخم الثاني . ولسوف يتعلم على نفقته الخاصة ان ايصال اي علم بواسطة النقد الى النقطة حيث يمكن عرضه بصورة جدلية أمر مختلف كل الاختلاف عن تطبيق نظام منطقي تجريدي جاهز على مجرد فكرة غامضة من هذا النظام .

لكن بما أني أكتب اليك مباشرة بعد رسالته الأولى المزهوة ، فلا بدّ في الحقيقة أن الهيغليين واللغويين القدماء أبتهجوا بالعثور على مثل هذا الذهن العتيق في شاب يعتبر في نظر الناس ثورياً كبيراً . وفيما عدا ذلك فهو يتملق الناس ، وينحني ذات اليمين وذات اليسار ويقدم رجلاً ويؤخر أخرى كيما يضمن لنفسه استقبالاً ملائماً . لسوف ارسل اليك هذه البضاعة حالما أكون قد تصفحتها .

تحياتي

المخلص

ك . م .

## ٤٢

## ماركس الى ف . لاسال

**لندن ، في ٢٢ شباط ١٨٥٨**

عزيزي لاسال

---

(١) إشارة الى الكونتسة فون هانز فيلدت .

أرسل نـاط اليّ **هيراقليطس** مؤخراً . لسوف أخبرك برأيي فيه حالما أنتهي من قراءته . لكن لا بدّ لك من الصبر لبعض الوقت لأني لا أملك حالياً إلا وفراً قليلاً جداً من الوقـت . وأنـا نفسي لم أبحـث في أعمال الرواقيين عن موقفهـم من هيراقليطس من زاوية العلوم الطبيعية لأنه بدا لي أنهم تصرفوا في هذا المجال مثل تلامذة مجتهدين . أما في أبيقور فيمكن ، على العكس من ذلك،أن يُبرهن بصورة مفصلة على أنه بالرغم من اتخاذه العلوم الطبيعية عند ديموقريطس منطلقاً له فهو يطوي على الدوام المسألة الجوهرية . ويكاد المرء لا يستـطيع أن يلـوم شيشرون وبلوتارك لأنهما لم يفهما ذلك ، خاصة وأن عقولاً كبيرة مثل بايلي وهيغل ipissimus(١) لم يستشموا ذلك . ومهما يكن من أمر فليس في مقدور المرء أن يطلـب من هذا الأخير ، الذي كان أول من استوعب تاريخ الفلسفة بمجموعه ، ألا يرتكب أخطاء في مسائل تتعلق بالتفاصيل ...

أريد أن أخبرك كيف أتقدم بعملي في الاقتصاد . الحقيقة أني كنت خلال الأشهر العديدة الماضية أضع اللمسات الأخيرة . لكن العمـل يتقـدم ببطء عظيم لأن الأشياء التي جعلها المرء خلال سنوات عديدة الهدف الرئيسي لأبحاثه تُظهر على الدوام مظاهر جديدة وتستدعي شكوكاً جديدة كلما وجب وضعها في صيغة نهائية . وفيما عدا ذلك فلست سيد وقتي ، بل خادمه بالأحرى . إني لا أملك سوى الليل الذي يتبقى لي وغالباً ما يتدخل في العمل الليلي ألم كبدي مع هجماته ونكساته المتعددة . وفي هذه الظروف جميعاً يكون من الأنسب لي لو أمكنني اخراج الشيء كله في كتيبات منفصلة تصدر من حين لآخر . ولعل لذلك ميزة تيسير العثور على ناشر أيضاً ، باعتبار أنه سيتطلب اذن توظيف مقدار أقل من الرأسمال العامل . ومن المؤكد أني سأكون ممتناً لك جداً اذا استطعت أن تنقب في برلين عن رجل أعمال يأخذ الطباعة على عاتقه . واني لأقصد بالكتيبات مثل تلك التي صدر فيها كتاب **علم الجمال** لينشر بصورة متسلسلة .

---

(١) اياه .

إن العمل الأول المقصود هو نقد **المقولات الاقتصادية** ، أو اذا شئت نظام الاقتصاد البورجوازي معروضاً بصورة نقدية . انه عرض للنظام وفي الوقت نفسه ، من خلال هذا العرض ، نقد له . ولست واثقاً في حال من الأحوال كم ملزمة مطبوعة سوف يبلغ هذا الشيء كله . ولو أني كنت أملك الوقت والفراغ والوسائل كي أعطي الشيء كله اللمسات الأخيرة الضرورية قبل أن أسلمه للجمهور ، فقد كنت أكثفه حتى درجة كبيرة ، باعتبار أني أحببت دائماً طريقة التكثيف . ومهما يكن من أمر ، فلعله يكون بهذه الطريقة ، مطبوعاً في كتيبات متعاقبة ، أقرب تناولاً من فهم الجمهور ، لكن من المؤكد أن هذا سوف يسيء الى شكله ، كما أن الشيء سوف يطول حتى درجة ما بالضرورة . تذكر ، حالما تجد ما اذا كان في مقدورك أن تصنع هذا العمل في برلين أم لا ، اكتب لي من فضلك ، لأنه اذا كان لن ينجح هناك فسوف أجرب هامبورغ . ونقطة أخرى هي أن الناشر الذي سيتعهد العمل يجب أن يدفع لي ، وهي ضرورة يمكن أن تودي بالقضية كلها في برلين .

إن العرض ، يعني طريقة المعالجة ، علمي كلياً ، وبالتالي لا يخرق أية تنظيمات بوليسية بالمعنى العادي . وان الشيء بأكمله مقسم الى ستة كتب . ١ ـ رأس المال (يحتوي على بعض الفصول التمهيدية) .٢ ـ الملكية العقارية .٣ ـ العمل المأجور .٤ ـ الدولة .٥ ـ التجارة الدولية .٦ ـ السوق العالمية . ومن الطبيعي اني لا أستطيع الامتناع عن نقد اقتصاديين آخرين هنا وهناك ، وعلى الأخص عن المناظرة ضد ريكاردو ، وذلك بقدر ما لايستطيع هو نفسه ، بوصفه بورجوازياً ، أن يمتنع عن ارتكاب الأخطاء الفادحة **حتى من وجهة نظر اقتصادية محضة** . وعلى أي حال ، فان نقد وتاريخ الاقتصاد السياسي والاشتراكية بمجموعها كان يجب أن يشكلا موضوع عمل آخر . وأخيراً ، فان **المخطط التاريخي** المختصر لتطور المقولات الاقتصادية ، أو العلاقات ، كان يجب أن يكون عملاً ثالثاً . وبعد كل شيء ، فان لدي احساساً بأن حركات عاصفة من الخارج سوف تتدخل على الأرجح الآن ، حين مضيت بعد خمسة عشر عاماً من الدراسة مسافة كبيرة بحيث أصبح في مقدوري أن انصرف الى هذا الشيء . لكن لا بأس ، فاذا انتهيت متأخراً

جداً بحيث لا اجد العالم معنياً بعد بهذا النوع من الأمور ، فمن الواضح أن الخطيئة ستكون خطيئتي ...

## ٤٣

## ماركس الى انجلز

**لندن ، في ٣ نيسان ١٨٥٨**

... فيما يلي خلاصة مقتضبة للقسم الأول . ان العمل برمته سوف يقسم الى ستة كتب : ١ً ـ رأس المال . ٢ً ـ الملكية العقارية . ٣ً ـ العمل المأجور . ٤ً ـ الدولة . ٥ً ـ التجارة الدولية . ٦ً ـ السوق العالمية .

١ً ـ يضم **رأس المال** أربعة أقسام : آ ـ **رأس المال** عامة (وهذا هو **موضوع الجزء الأول**) . ب ـ **المزاحمة** ، أو فعل الرساميل العديدة في بعضها بعضاً . ج ـ **الائتمان** ، حيث يظهر رأس المال بوصفه العنصر العام من حيث هو مضاد للرساميل الفردية . د ـ الرأسمال المساهم من حيث هو الشكل الأكمل (المؤدي الى الشيوعية) جنباً الى جنب مع جميع تناقضاته . ان انتقال الرأسمال الى الملكية العقارية هو تاريخي في الوقت نفسه ، نظراً لأن الشكل الحديث لملكية الأرض هو نتاج لتأثير الرأسمال في الملكية الاقطاعية وغيرها من الملكية العقارية . وكذلك فان انتقال الملكية العقارية الى العمل المأجور ليس جدلياً فحسب ، بل تاريخي ما دام النتاج الأخير للملكية العقارية الحديثة هو الانشاء العام للعمل المأجور الذي يبدو بدوره على اعتباره أساس الشيء بكامله . حسناً (انه من الصعب علي أن اكتب اليوم) ، فلنأت الى Corpus Delicti(١) .

**١ً ـ رأس المال . القسم الأول : رأس المال عامة** . (يفترض في هذا القسم بكامله أن الأجور في كل مكان هي في مستواها الأدنى . إن حركة الأجور وارتفاع الحد الأدنى أو هبوطه سوف تؤخذ بعين الاعتبار في فصل العمل المأجور . وفيما عدا ذلك ، فأن الملكية العقارية مأخوذة باعتبارها = ٠ ؛ وهذا يعني أن الملكية العقارية

---

(١) الواقعة الرئيسية .

من حيث هي علاقة اقتصادية خصوصية لا تعنينا . تلك هي الطريقة الوحيدة من أجل تفادي التعامل مع جميع العلاقات لدى مناقشة كل علاقة خصوصية .)

١ ـ **القيمة** . مرجعة بصورة مطلقة الى كمية العمل . الزمن من حيث هو مقياس العمل . القيمة الاستعمالية ـ سواء أخذت بعين الاعتبار ذاتياً بوصفها منفعة المنتج،أو موضوعياًبوصفها امكانية استخدامه ـ تظهرهنا ببساطةعلى أنهاالافتراض المادي المسبق للقيمة التي تسقط كلياً في الوقت الحاضر من التحديد الاقتصادي للشكل . ان القيمة من حيث هي قيمة لا تملك أي «خامة» أخرى غير العمل نفسه . إن هذا التحديد للقيمة ، الذي إقترحه بيتي بادىء الأمر وصاغه ريكاردو بصورة واضحة ، هو مجرد الشكل الأكثر تجريداً للثروة البرجوازية . وانه يفترض في ذاته سلفاً :انحلال ١) الشيوعية البدائية (الهند ، الخ) ، ٢) جميع أنماط الانتاج غير المتطورة وقبل الرأسمالية التي لا تسيطر عليها المبادلة كلياً . وعلى الرغم من كونه تجريداً ، فهذا تجريد تاريخي لا يمكن إتخاذه الا على أساس تطور اقتصادي خصوصي للمجتمع . إن جميع الاعتراضات على هذا التعريف للقيمة اما مشتقة من علاقات انتاج أقل تطوراً وإما مؤسسة على الفكرة المشوشة التي تنص على السماح للتحديدات الاقتصادية الأكثر حسية (التي تستخرج القيمة منها والتي يمكن بالتالي أن تعتبر أيضاً من جهة أخرى على أنها تطور لاحق لها) بالنهوض في معارضة القيمة في هذا الشكل المجرد غير المتطور . واذا أخذنا بعين الاعتبار نقص الوضوح بين الاقتصاديين أنفسهم بشأن كيفية انتساب هذا التجريد الى الأشكال اللاحقة والأكثر حسية للثروة البورجوازية، فان لتلك الاعتراضات ما يبررها أكثر أو أقل .

ومن التناقض بين الصفة العامة للقيمة ووجودها المادي في سلعة معينة ، الخ . ـ ان هذه المميزات العامة هي نفسها كما تظهر في المال في وقت لاحق ـ تنهض مقولة المال .

### ٢ ـ المال

شيء عن المعادن الثمينة من حيث هي حاملة للعلاقات المالية .

آ ـ **المال من حيث هو مقياس** . بعض الملاحظات عن المقياس **المثالي** عند

ستيوارت وأتوود وأوركهارت ؛ مقدمة في شكل أقرب تناولاً من قبل دعاة العمل ـ المال (غري ، بري ، الخ : بالمناسبة بعض الضربات الموجهة الى أنصار برودون) .
إن قيمة السلعة المترجمة الى المال هي **سعرها** الذي لا يبرح يظهر في الوقت الحاضر في هذا التفاضل **الصوري الخالص** عن القيمة . ووفقاً لقانون القيمة العام ، فان كمية خاصة من المال انما تعبر عن كمية خصوصية من العمل المجسد فقط . وطالما أن المال هو المقياس المستخدم ، فان تفاوت قيمته الخاصة لا أهمية له .

ب) **المال من حيث هو وسيلة المبادلة ، أو التداول البسيط** .

هنا لن يؤخذ بعين الاعتبار الا الشكل البسيط لهذا التداول . ان جميع الظروف التي تحدده أكثر من ذلك تقع خارجاً عنه وبالتالي فهي لن تؤخذ بعين الاعتبار الا في وقت لاحق . (انها تفترض علاقات أكثر تطوراً .) فاذا سمينا السلعة س والمال م ، فصحيح أن التداول البسيط يظهر العلاقتين أو الدارتين : س ـ م ـ م ـ س و م ـ س ـ س ـ م (العلاقة الأخيرة تشكل الانتقال الى القسم جـ) ، بيد أن نقطة الانطلاق ونقطة العودة لا تتطابقان في حال من الأحوال ، أو اذا تطابقتا فانما بصورة عرضية فحسب . ان معظم القوانين المزعومة التي وضعها الاقتصاديون تعالج تداول المال ليس ضمن حدوده الخاصة بل على اعتباره مشتملاً في حركات أعلى ومحدداً بها . هذا كله يجب الاغضاء عنه . (يخص جزئياً نظرية الائتمان ؛ لكن لاً بدّ من معالجة قسم منه أيضاً في النقاط حيث يبرز المال من جديد ، لكن محدداً بصورة أكمل .) هنا اذن المال باعتباره وسيلة تداول (**نقد**) . لكن في الوقت نفسه باعتباره **تحقيق** السعر (وليس مجرد تحقيق مؤقت) . ومن التقرير البسيط بأن السلعة ، لدى تحديد سعرها ، تُبادَل سلفاً بصورة مثالية لقاء المال قبل أن تجري مبادلتها بصورة فعلية ، ينشأ من تلقاء نفسه القانون الاقتصادي الهام بأن **مقدار الوسيط المتداول يحدد بالأسعار وليس العكس بالعكس** . (هنا شيء تاريخي عن المناظرة المتعلقة بهذه النقطة .) ويترتب فضلاً عن ذلك أن السرعة يمكن أن تحل مكان الكتلة ، لكن **كتلة محددة** أمر ضروري من أجل الأفعال المتواقتة للمبادلة ، وذلك بقدر ما لا تكون منتسبة الى بعضها بعضاً من حيث هي زائد وناقص ؛ وإن هذه التسوية

واعتبارها يجب على أي حال ألا يلمح اليهما عند هذه النقطة الا استباقاً . ولن أمضي الآن في مزيد من الشرح لهذا القسم ، لكني سأشير فقط الى أن الانقسام الى س ـ م و م ـ س هو الشكل الأكثر تجريداً وسطحية الذي يصير فيه التعبير عن امكانية الأزمات . وانه ليترتب علي شرح القانون الذي ينص على أن السعر يحدد الكتلة التي في التداول أن ثمة مقدمات مشتملة هنا لا تنطبق في حال من الأحوال على جميع مراحل المجتمع . وهكذا فأنه من قبيل السخف أن نأخذ مثلاً تدفق المال من آسيا الى روما وتأثيره في الأسعار الرومانية ، وأن نضعه بكل بساطة الى جانب الشروط التجارية الحديثة . ان التحديدات الأعظم تجريداً ، حين تدرس بمزيد من العناية ، تشير على الدوام الى أساس تاريخي حسي محدد آخر . (بكل تأكيد ـ ما دامت قد استخرجت منه هذه التحديدات .)

جـ) **المال باعتباره مالاً** . هذا شرح الشكل م ـ س ـ س ـ م . المال باعتباره وجود القيمة المستقلة عن التداول ؛ الوجود المادي للثروة المجردة . يبين هذا بصورة مسبقة في التداول ، بقدر ما لا يظهر المال بوصفه وسيلة التداول فحسب ، بل بوصفه تحقيق السعر . إن المال ، في قدرته بوصفه (جـ) ، حيث يظهر (أ) و (ب) كمجرد وظيفتين ليس غير ، هو السلعة العامة للصفقات (ان تحول قيمته هنا ، المسبب عن تحديد السعر بزمن العمل ، أمر هام) ، موضوع للاكتناز . (لا تزال هذه الوظيفة هامة في آسيا وقد كانت هامة على العموم في العالم القديم وفي العصور الوسيطة . لا وجود لها حالياً الا كوظيفة ثانوية في الصناعة المصرفية . في زمن الأزمات يكون المال في هذا الشكل هاماً من جديد . اعتبار المال في هذا الشكل والاوهام التي سببها في سياق التاريخ العالمي . الملكيات الهدامة ، الخ.) كتحقيق جميع الأشكال العليا التي سوف تظهر القيمة فيها ؛ أشكال نهائية تتأوج فيها بصورة خارجية جميع علاقات القيمة . وعلى أي حال ، فان المال الذي ثُبت في هذا الشكل يكف عن كونه علاقة اقتصادية ـ ان الشكل يضيع في حامله المادي ، الذهب والفضة . ومن جهة أخرى ، فبقدر ما يدخل المال في التداول ويبادل من جديد لقاء س ، فان العملية الأخيرة ، استهلاك السلعة ، تقع بدورها خارج العلاقة الاقتصادية . ان التداول

المالي البسيط لا يحتوي على مبدأ التكاثر الذاتي داخل ذاته ، وبالتالي يقصد مكانا ما ماوراء ذاته.ان المال ، كما يبين عرض تعريفاته ، ينطوي في ذاته على الطلب من أجل القيمة التي سوف تدخل الى التداول ، وتحافظ على ذاتها في التداول ، وفي الوقت ذاته تضيف قيمة الى ذاتها ـ يعني من أجل **رأس المال** . وان هذا الانتقال تاريخي أيضاً . ان شكل الرأسمال السابق للطوفان هو الرأسمال التجاري ، الذي ينمي المال دائماً . وفي الوقت نفسه فان الرأسمال الفعلي ينشأ عن المال ، أو رأسمال التجار ، الذي يكتسب الاشراف على الانتاج .

د) ان هذا التداول البسيط المأخوذ بعين الاعتبار بحد ذاته ـ وانه سطح المجتمع البورجوازي ، الذي يطمس العمليات الأعمق التي ينشأ عنها ـ لا يكشف عن أي فارق بين موضوعات المبادلة ، باستثناء الفوارق الصورية والمؤقتة . تلك هي **مملكة الحرية ، والمساواة ، والملكية القائمة على «العمل»** . وان التراكم ، الذي يظهر هنا في صورة الاكتناز ، هو بالتالي مجرد قدرة أعظم فقط ، الخ . فمن جهة واحدة سخافة المبشرين بالتناغم الاقتصادي ، أنصار التجارة الحرة المحدثين (باستيا ، كاري ، وآخرين) اذ يصرون على تطبيق هذه العلاقة الأعظم سطحية وتجريداً على العلاقات الانتاجية الأكثر تطوراً وتضاداتها باعتبارها **حقيقتها** . ومن جهة أخرى سخافة البرودونيين ومن شابههم من الاشتراكيين اذ يجابهون أفكار المساواة ، الخ .، المقابلة لمبادلة المتعادلات هذه (أو ما يفترض أنه كذلك) بالتفاوتات ، الخ .، التي تنشأ المبادلة منها والتي تعود اليها . ويظهر التملك بالعمل ، كمبادلة للمتعادلات ، من حيث هو قانون التملك في هذا المجال ، بحيث لا تفعل المبادلة سوى إعادة نفس القيمة في شكل مادي مختلف . وباختصار ، فان جميع الأشياء «ظريفة» ، لكن سرعان ما سوف تنتهي الى نهاية مريعة ، وذلك بفضل قانون التعادل . ذلك أننا نأتي الآن الى

**٣) رأس المال .**

هذا هو في الحقيقة القسم الأهم من الكتاب الأول ، الذي احتاج رأيك بشأنه أكثر من أي شيء آخر . لكنني لا أستطيع الاستمرار في الكتابة اليوم . ان هذا

اليرقان القذر يجعل من الصعب علي امساك الريشة ، وإحناء الرأس فوق الورق يرسل فيّ الدوار . وهكذا ـ الى المرة القادمة .

تحياتي

المخلص

ك . م .

## ٤٤

## انجلز الى ماركس

**مانشستر ، في ١٤ تموز ١٨٥٨**

... بالمناسبة ، ارسل الي **فلسفة الطبيعة** لهيغل كما وعدتني . اني اشتغل الآن بعض الفيزيولوجيا ، وسوف ألحق بها التشريح المقارن . إن ههنا بعض الأمور التي تستحق التفكير العميق ، وجميعها على أي حال اكتشفت مؤخراً فقط ؛ وانني لتواق الى معرفة ما اذا كان العجوز لم يستشم شيئاً منها . هذا مؤكد حتى درجة كبيرة : لو كان لديه فلسفة للطبيعة يكتبها **اليوم** ، فان الحقائق سوف تتدفق عليه من كل حدب وصوب . وفيما عدا ذلك ، فليس لدى الناس أي تصور على الاطلاق عن التقدم الذي حققته العلوم الطبيعية خلال السنوات الثلاثين الأخيرة . وبالنسبة الى الفيزيولوجيا ، فقد كانت العوامل الحاسمة ، أولاً ، التطور الهائل للكيمياء العضوية ، وثانياً المجهر الذي لم يستخدم بصورة صالحة الا خلال السنوات العشرين الأخيرة . بل أن المجهر أدى الى نتائج أهم مما أدت الكيمياء إليه . ان الشيء الرئيسي الذي ثوّر الفيزيولوجيا بمجموعها وجعل الفيزيولوجيا المقارنة ممكنة للمرة الأولى هو اكتشاف الخلية ـ في النباتات من قبل شليدن وفي الحيوانات من قبل شوان (حوالي ١٨٣٦) . كل شيء خلية . ان الخلية هي «الكائن في ذاته» لهيغل ، وتطورها يجتاز العملية الهيغلية على وجه الدقة ، خالصاً في النهاية الى «الفكرة» ، أي العضوية المتكاملة الخصوصية .

وان نتيجة أخرى كان يمكن أن يسعد بها هيغل العجوز هي ترابط القوى في

الفيزياء[1] ، أو القانون الذي ينص على أن الحركة الميكانيكية ، يعني القوة الميكانيكية ، تتحول في شروط معينة (الاحتكاك مثلاً) الى حرارة ، الى ضوء ، والضوء الى انجذاب كيميائي ، والانجذاب الكيميائي (مثلاً في المدخرة الفولتية) الى كهرباء ، والكهرباء الى مغناطيسية . وإن هذه الاختلافات يمكن أن تحدث أيضاً بصورة مغايرة ، الى الخلف أو الى الأمام . ولقد تم البرهان في الوقت الحاضر من قبل رجل انكليزي لا أستطيع في هذه اللحظة أن أتذكر اسمه[2] أن تحول هذه القوى الواحدة الى الأخرى يحدث في علاقات كمية محددة تماماً بحيث أن مقداراً معيناً من القوة الواحدة ، الكهرباء مثلاً ، يقابل مقداراً معيناً من أي واحدة من القوى الأخرى ـ مثلاً المغناطيسية ، أو الضوء ، أو الحرارة ، أو الانجذاب الكيميائي (الايجابي أو السلبي ، الخاص بالتركيب أو التحلل) ، أو الحركة . وهكذا بطلت النظرية الحمقاء عن الحرارة الكامنة.لكن أليس ذلك برهاناً مادياً رائعاً على الطريقة التي تنحل بها تحديدات التفكير الى بعضها بعضاً ؟

ان أشياء كثيرة قد أصبحت مؤكدة : ان الفيزيولوجيا المقارنة تبعث في المرء ازدراء مهلكاً للتمجيد مثالي النزعة للانسان بالنسبة الى الحيوانات الاخرى . فالمرء يصطدم لدى كل خطوة بانتظام البنية الاكمل مع بقية الثديات وهذا الانتظام يشتمل في خصائصه الرئيسية على جميع الفقريات ، وحتى ـ بصورة أكثر غموضاً ـ على الحشرات ، والقشريات ، والديدان الشريطية ، الخ . ان العملية الهيغلية الخاصة بالقفزة النوعية في المجموعة الكمية لرائعة جداً هنا أيضاً . وأخيراً يبلغ المرء ، بين النقاعيات الأدنى ، الشكل البدائي ، الخلية البسيطة ، الموجودة بصورة مستقلة التي لا تتميز بدورها بأي شيء ملموس من النباتات الدنيا (الفطور المتشكلة من خلايا وحيدة ـ فطور البطاطا وآفات الكرمة ، الخ .) أو من بذور المراحل الأعلى للتطور حتى البويضة الانسانية بما في ذلك النطفة ، والتي تظهر كذلك بالضبط مثل الخلايا المستقلة للجسم الحي (الكريات الدموية ، وخلايا البشرة والأغشية

(١) يتحدث انجلز هنا عن قانون تحول الطاقة . وانه ليستخدم كلمة «القوة» لأن مفهومي «القوة» و«الطاقة» لم يكونا قد تميزا بعد بصورة واضحة في أيامه . لقد كانت «القوة» تعني القوة بمعناها الخاص . النيوتوني . كما تعني الطاقة أيضاً .

(٢) المقصود هو جيمس جول .

المخاطية ، والخلايا الافرازية للغدد ، والكليتين ، الخ .) ...

## ٤٥

## انجلز الى ماركس

### مانشستر ، في ٧ تشرين الأول ١٨٥٨

... ان القضية مع جونس مقرفة جداً . لقد عقد اجتماعاً هنا وتحدث ملياً وفقاً لخط التحالف الجديد . ويكاد المرء يضطر بعد هذه القضية الى الاعتقاد بأن الحركة البروليتارية الانكليزية في شكلها الميثاقي التقليدي القديم لا بدّ أن تفنى كلياً قبل أن يكون في مقدورها أن تتطور في شكل جديد قابل للحياة . ومع ذلك لا يستطيع المرء أن يتنبأ كيف سيكون هذا الشكل الجديد . وفيما عدا ذلك ، فانه يخيل الي أن حركة جونس الجديدة ، اذا ما جمعت الى المحاولات السابقة الأكثر أو الأقل نجاحاً من أجل مثل هذا التحالف ، مرتبطة فعلياً بحقيقة أن البروليتاريا الانكليزية تتبرجز أكثر أو أقل في الوقت الحاضر ، بحيث أن هذه الأمة الأكثر بورجوازية من بين جميع الأمم تستهدف آخر الأمر فيما يبدو امتلاك أرستقراطية بورجوازية وبروليتاريا بورجوازية الى جانب البورجوازية . ومن المؤكد أن هذا الأمر له ما يبرره حتى درجة ما بالنسبة الى أمة تستغل العالم بأسره . إن الشيء الوحيد الذي يمكن أن يقدم بعض العون هنا سوف يكون بضع سنوات رديئة كل الرداءة ، لكن هذه السنين لا يبدو أن من السهل حدوثها بعد الآن منذ اكتشافات الذهب (١) ..

---

(١) ان تحول جونس الى سياسة المواطأة مع البورجوازية أدى في وقت لاحق الى القطيعة بينه وبين ماركس . ففي الأول من شباط ١٨٥٩ كتب ماركس الى ويديمير يقول :

«قطعت علاقاتي بإرنست جونس . فعلى الرغم من تحذيراتي المتكررة وبالرغم من أنني تنبأت له بما حدث حالياً بالضبط ـ ألا وهو أنه سيدمر نفسه ويفكك صفوف الحزب الميثاقي ـ فقد سار في طريق محاولة تحقيق التواطؤ مع الراديكاليين البورجوازيين . انه الآن رجل مفلس والأذى الذي سببه للبروليتاريا الانكليزية اذى فائق . ومن الطبيعي أن الخطيئة سوف تصحح ، لكن لحظة مناسبة جداً للفعل قد فوتت . تصور جيشاً يمضي قائده في يوم المعركة الى صفوف الأعداء» .

## ٤٦

## ماركس الى انجلز

**لندن ، [في ٨ تشرين الأول] ١٨٥٨**

... مع الانعطاف الملائم في التجارة العالمية في هذه اللحظة (بالرغم من ان التراكم الهائل للأموال في مصارف لندن وباريس ونيويورك يبين أنه لا بدَّ أن الأمور لا تزال بعيدة جداً عن أن تكون على ما يرام)،فانه من المعزي على الأقل أن **الثورة بدأت** في روسيا ،ذلك أني اعتبر دعوة «الأعيان» الى بطرسبورغ (١) مثل هذه البداية . وكذلك فالأمور في بروسيا أسوأ مما كانت عليه في ١٨٤٧ ، والأوهام السخيفة المتعلقة بنزعات امير بروسيا نحو الطبقة المتوسطة سوف تنحل في عنف بالغ . ولن يؤذي الفرنسيين البتة اذا رأوا أن العالم يستطيع أن يتحرك بدونهم . وفي الوقت نفسه، فأن بين السلافيين حركات ضخمة بصورة استثنائية وعلى الأخص في بوهيميا ، وهي حركات مضادة للثورة حقاً ، لكنها تدعم مع ذلك تخمر حركتنا . وان الحرب الروسية في ١٨٥٤ ـ ١٨٥٥ ، بالرغم من حقارتها وبالرغم من أن نتائجها لم تلحق بالروس الا ضرراً ضئيلاً (ان تركيا بالأحرى هي الوحيدة التي تضررت) ، قد عجلت مع ذلك بصورة واضحة في تحول الأوضاع الحالي في روسيا . ان الموقف الروسي هو الظرف الوحيد الذي جعل الألمان في خركتهم الثورية أتباعاً مطلقين لفرنسا . وان هذه المزحة الرديئة لتؤول الى نهايتها مع حركة داخلية في موسكوفيا . وحالما تتطور القضية هناك بصورة محسوسة أكثر حتى درجة ما ، فاننا سنحصل على برهان على أي مدى قد سمح مستشار الدولة الفاضل هاكسهاوزن لنفسه بأن ينخدع «بالسلطات» وبالفلاحين الذين دربتهم السلطات .

ولا يمكننا أن ننكر أن المجتمع البورجوازي اختبر قرنه السادس عشر للمرة الثانية ـ وهو قرن سادس عشر آمل أن يدق ناقوس المجتمع البورجوازي مثلما دفع

---

(١) يسمي ماركس اللجنة الرئيسية للقضايا الفلاحية (١٨٥٨) جمعية «للاعيان» في سان بطرسبرغ ، بالمشابهة مع جمعية الاعيان التي عقدت في فرنسا عام ١٧٨٧ ، نظراً لأن اللجنة ، مثلها كمثل الجمعية ، قد دعيت من جراء التخمر الثوري المتعاظم في البلاد بغرض انقاذ النظام الملكي .

به القرن السادس عشر الأول الى الوجود . ان المهمة النوعية للمجتمع البورجوازي هي إقامة سوق عالمية ، على الأقل خطوطها الرئيسية والانتاج القائم على أساس هذه السوق العالمية . وبما أن العالم مستدير ، فأنه يبدو أن تلك المهمة اكتملت باستعمار كاليفورنيا وأستراليا وافتتاح الصين واليابان . وان السؤال الصعب بالنسبة الينا هو التالي : ان الثورة وشيكة في القارة وسوف تتخذ طابعاً اشتراكياً . أفليس مقدراً لها أن تُسحق في هذه الزاوية الصغيرة ، باعتبار أن حركة المجتمع البورجوازي لا تبرح في صعود في منطقة أوسع حتى درجة كبيرة ؟

أما فيما يتعلق بالصين بالخاصة ،فقد تأكدت بتحليل دقيق لحركة التجارة منذ عام ١٨٣٦، **أولاً** أن زيادة الصادرات الانكليزية والأميركية (١٨٤٤ ـ ١٨٤٦) برهنت عام ١٨٤٧ على أنها خديعة خالصة وأن المتوسط ظل ثابتاً على وجه التقريب في السنوات العشر التالية أيضاً ، في حين أن الواردات الى انكلترا وأميركا من الصين ازدادت بصورة هائلة ؛ **ثانياً** ان افتتاح الموانىء الخمسة والاستيلاء على هونغ كونغ لم يؤديا سوى لانتقال التجارة من كانتون الى شنغهاي . أما «المراكز التجارية» الأخرى فلا أهمية لها . وان السبب الرئيسي في اخفاق هذه السوق هو تجارة الأفيون فيما يبدو ، التي تقتصر عليها في واقع الأمر كل زيادة في تجارة الصادرات الى الصين ؛ لكنه يضاف الى ذلك التنظيم الاقتصادي الداخلي للبلاد ، وزراعتها التافهة ، الخ .، التي سوف تستغرق زمناً هائلاً كي تتفكك . ان المعاهدة الحالية لانكلترا مع الصين ، التي اصطنعها في رأيي بالمرستون بالاتفاق مع الوزارة في بطرسبورغ وأعطيت للورد إلجين في رحلته ، هي مهزلة من البداية حتى النهاية ...

# ١٨٥٩

# ٤٧

# ماركس الى ف . لاسال

**لندن ، في ٤ شباط ١٨٥٩**

عزيزي لاسال

لم تصل بعد أية اشارة استلام من الهر دونكر ، وبالتالي لا أبرح غير متأكد مما اذا كانت المخطوطة(١) خرجت من أيدي **السلطات** . وتستطيع أن تعرف من القصاصة المرفقة أنها غادرت لندن في السادس والعشرين من كانون الثاني .

فيما يتعلق بالحرب : **الجميع** هنا يعتقدون أن الحرب في ايطاليا **محتومة**.وان الشيء التالي مؤكد جداً : ان السيد عمانوئيل جاد بشأنها والسيد بونابرت قد كان جاداً بشأنها . وان هذا الأخير ليتردد بفعل ١) **الخوف من الخناجر الايطالية** . فمنذ وفاة اورسيني وهو في محادثات سرية مع آل كاربوناري ، وكان **بلون ـ بلون** زوج «كلوتيلد» يقوم بدور الوسيط .٢) **الظروف المالية السيئة**.وبالفعل ، فانه من المحال تغذية الجيش الفرنسي بعد الآن في «زمن السلم» ؛ وان لومبارديا لقطعة دسمة . وفيما عدا ذلك فان «ديون الحرب» تصبح ممكنة من جديد في حالة الحرب.ان أي دين آخر «مستحيل» .٣) خلال السنتين الأخيرتين فقد بونابرت نفوذه يومياً على جميع الأحزاب في فرنسا ، كما أن صفقاته الدبلوماسية كانت كذلك سبحة من الاخفاقات. وبالتالي **فلا بد** أن يُصنع شيء ما من أجل استعادة نفوذه . وحتى في المناطق الريفية يقوم تذمر كبير من جراء أسعار الحبوب المنخفضة بصورة مهلكة ،وقد حاول السيد

---

(١) المقصود مؤلف ماركس **اسهام في نقد الاقتصاد السياسي** الذي نشره في الاصل ف . دونكر عام ١٨٥٩ .

بونابرت عبثاً أن يستجمع سعر القمح بصورة مصطنعة بمراسيمه عن الأهـراء.٤) ان روسيا تنخس الوصولي في التويلري . فروسيا واثقة تقريباً من تحطيم المقاومة التي لا تبرح النمسا تواجهها بها ، وذلك مع قيام حركة سلافية شاملة في بوهيميا ومورافيا وغاليسيا والمجر الجنـوبية الشمالية والشرقية وإلـيريا ، الـخ ، وانـدلاع حرب في ايطاليا . (ان روسيا هالعة من احتمال ثورة زراعية داخلية ، ولعل الحرب في الخارج تحظى بالترحاب لدى حكومتها باعتبارها إلهاء ، هذا اذا تركنا جانباً مختلف أنواع الأغراض الدبلوماسية .)٥) ان السيد بلون بلون ، ابن ملك ويستفاليا السابق ، وعصابته (التي يرأسها جيراردان وسوقة مختلطة جداً من أشباه الثوريين المجريين والبولونيين والايطاليين) يفعلان كل ما في وسعهما كي يعجـلا باتخـاذ الـقرار الحاسم.٦)ان الحرب في ايطاليا ضد النمسا هي الحرب الوحيدة التي تستطيع انكلترا فيها ، وهي عاجزة عن تأييد البابا بصورة مباشرة ، الخ ، ومن الوقوف ضد الحرية المزعومة ، أن تظل على الحياد ، في البداية على الأقل . وعلى أي حال ، فان روسيا سوف تكبح جماح بروسيا فيما اذا أبدت هذه الأخيرة رغبة ـ ولا أعتقد أنها سوف تفعل ذلك ـ في التدخل سلفاً في أوائل القتال .

ومن جهة أخرى ، فانه من المؤكد تماماً أن السيد لويس بونابرت خائف بصورة شيطانية من حرب جدية بصورة فعلية : ١) ان هذا الرجل غاص بالشكوك دائماً ، وهو غير حازم في حال من الأحوال ، مثله كمثل جميع المقامرين . لقد كان يتردد دائماً في اتخاذ أي قرار حاسم ، لكن الناس الذين كانوا خلفـه اضطروا على الدوام لأن يدفعوه الى اتخاذه . وفي بولونيا وستراسبورغ ، وفي كانون الأول ١٨٥١ ، أجبر على أن يأخذ مشاريعه بصورة جدية آخر الأمر . ٢) ان البرود الفائق الذي استقبل مشروعه به في فرنسا غير مشجع بالطبع . ان الجماهير لامبالية . ومن جهة أخرى ، فقد رفعـت اعتراضات مباشرة وجدية ضده من قبل : الدوائر المالية العليا والصناعة والتجارة ؛ وحزب الكهان ؛ وأخيراً الجنرالات الكبار (بيليسيه مثلاً ، وكاثروبير) . وحقيقة الأمر أن المنظورات العسكرية غير متألقة البتة ، حتى اذا أخذ التبجح في التأسيسية بقيمته الأسمية . واذا استطاعت فرنسا أن تجمع بكل جهد ٧٠٠,٠٠٠

رجل على الأكثر ، فان ٥٨٠,٠٠٠ رجل منهم في أعلى تقدير سوف يكونون صالحين للخدمة العسكرية . أطرح ٥٠,٠٠٠ من أجل الجزائر ؛ و ٤٩,٠٠٠ دركي ، الخ .؛ ١٠٠,٠٠٠ (كحد أدنى) من أجل حراسة المدن (باريس ، الخ .) والقلاع في فرنسا ؛ ١٨١,٠٠٠ على الأقل من أجل جيش للمراقبة على الحدود السويسرية والألمانية والبلجيكية . ان ما يتبقى هو ٢٠٠,٠٠٠ رجل ، وليست في حال من الأحوال قوة جارفة ، حتى اذا أضفت اليها جيشاً من بييديمون ، ضد النمسويين في مراكزهم الحصينة على منشيو وأديجه .

ومهما يكن من شيء ، فاذا تراجع السيد بونابرت الآن فقد انتهى ، وذلك بقدر ما يتعلق الأمر بكتلة الجيش الفرنسي ؛ ولعل هذا يحمله على أن يقرر التقدم في آخر الأمر .

ويبدو أنك تعتقد أن المجر سوف تنهض في مثل هذه الحرب ؛ أني أرتاب في ذلك جداً . ومن المؤكد أن النمسا سوف تضع جيشاً للمراقبة ضد روسيا على الحدود الغاليسية المجرية ، وهذا الجيش سوف يكبح جماح المجر في الوقت نفسه . ان الكتائب المجرية (بقدر ما لا تكون منقسمة ، كما حدث مسبقاً حتى درجة بعيدة ، بين أعدائها ، مثل التشيكيين والصربيين والسلوفينيين ، الخ . ) ، سوف تتمركز في المقاطعات الألمانية .

ومن الطبيعي أن الحرب سيكون لها عواقب جدية ، ومع الزمن عواقب ثورية بكل تأكيد . لكنها في البداية سوف تدعم البونابرتية في فرنسا ، وترد الحركة الداخلية في انكلترا وروسيا ، وتثير من جديد أحقر الأهواء فيما يتعلق بالقضية القومية في المانيا ، وبالتالي سوف يكون لها في اعتقادي ، أولاً وقبل كل شيء ، أثر مضاد للثورة من مختلف وجهات النظر ...

## ٤٨

## ماركس الى ف . لاسال

لندن ، في ١٩ نيسان ١٨٥٩

... هنا في انكلترا يحقق صراع الطبقات تقدماً مرضياً جداً . ومن سوء الحظ أنه

لم يعد وجود في الوقت الحاضر لأية صحيفة ميثاقية ، بحيث اضطررت قبل سنتين أن أتوقف عن مساهمتي الأدبية في هذه الحركة .

آتي الآن الى **فرانز فون سيكنجن**[1] . قبل كل شيء لابدَّ لي أن امتدح التأليف والفعل ، وهذا أكثر مما يمكن أن يقال عن أية مسرحية ألمانية حديثة أخرى . وفي المحل الثاني ، اذا تركنا جانباً الموقف النقدي الخالص من هذا العمل ، فانه قد أثارني اثارة عظيمة لدى القراءة الأولى ، وبالتالي فإنه سيكون له هذا التأثير بدرجة أعلى من ذلك أيضاً في القراء الذين تتحكم بهم مشاعرهم بصورة أكمل . وان هذا لمظهر ثان وبالغ الأهمية .

والآن الى ظهر المجن : **أولاً** ـ وهذا موضوع صوري خالص ـ الآن وقد كتبت شعراً ، فقد كان أولى بك لو صقلت تفاعيلك بقدر أكبر قليلاً من الفنية . لكن مهما كان مبلغ الصدمة التي سيتعرض لها الشعراء المحترفون من جراء هذه اللامبالاة ، فإني أعتبرها على العموم ميزة ، طالما أن فقسنا من الشعراء الفطاحل لم يتبق له شيء آخر سوى الطلاء الصوري . **ثانياً** : ان التصادم المقصود ليس مأسوياً فحسب ، بل هو في واقع الأمر التصادم المأسوي الذي لفظ حكم الموت ، وبحق ، على الحزب الثوري للعامين ١٨٤٨ ـ ١٨٤٩ . وبالتالي فإنه لا يسعني الا أن أرحب بفكرة جعله النقطة المحورية لمأساة حديثة : لكني أتساءل اذن ما اذا كان الموضوع الذي اتخذته مناسباً من أجل عرضِ هذا التصادم . ان بلتازار يمكن بالفعل أن يتخيل أنه اذا كان سيكنجن قد رفع لواء المعارضة ضد السلطة الامبراطورية وأعلن الحرب ضد الأمراء بدلاً من اخفاء ثورته خلف ضغينة فروسية ، فقد كان النصر يحالفه اذن . لكن أيمكننا أن نقر مثل هذا الوهم ؟ ان سيكنجن (ومعه هاتن أكثر أو أقل) ، لم يهلك بسبب مكره . لقد هلك لأنه بوصفه فارساً أو ممثلاً لطبقة مائتة قد ثار ضد النظام القائم أو بالأحرى ضد شكل جديد للنظام القائم . عرِّ سيكنجن من حساسياته ومن تدريبه الخصوصي ، وميوله الطبيعية ، الخ ، وان ما يبقى هو ـ

(١) مسرحية بقلم لاسال .

غوتز فون برليشنجن . ان التصادم الفاجع بين الفروسية من جانب واحد وقيصر والأمراء من جانب آخر ليتجسد في شكل مناسب في هذا الانسان الحقير الذي ورد ذكره أخيراً ؛ وهذا هو السبب في ان غوته جعل منه بحق بطلاً . وإنه بقدر ما يقاتل سيكنجن - وحتى هاتن نفسه الى درجة ما ، بالرغم من أن مثل هذه التعابير يجب أنْ تعدل حتى درجة كبيرة فيما يتعلق به وبجميع ايديولوجيي طبقة ما على حد سواء - الأمراء (بعد كل شيء ، فقد نزل الى الميدان ضد القيصر لمجرد أن هذا الأخير تحول من قيصر الفرسان الى قيصر الأمراء) ، فليس هو في واقع الأمر سوى دون كيشوت ، وان يكن دون كيشوت يملك مبرراته التاريخية . ان استهلال ثورة تحت الوان ضغينة فروسية لا يعني شيئاً آخر سوى استهلالها بطريقة فروسية . ولو أنه استهلها بطريقة مختلفة فقد كان عليه أن يستنجد مباشرة ومن البداية بالمدن والفلاحين ، يعني على وجه الدقة بالطبقات التي كان تطورها يضاهي إنكار الفروسية .

وبالتالي ، فاذا كنت لا تريد أن ترجع التصادم الى ذلك الذي يمثله غوتز فون برليشنجن - ولم تكن تلك خطتك - فان على سيكنجن وهاتن ان يهلكا اذن لأنهما تخيلا أنهما كانا ثوريين (وهذا ما لا يمكن أن يقال عن غوتز) وان يجعلا من نفسيهما ، بالضبط مثل النبالة البولونية المثقفة في عام ١٨٣٠ ،داعيين للأفكار الحديثة من جهة واحدة ، بينما هما يمثلان من جهة أخرى ، بصورة فعلية ، مصالح طبقة رجعية . ان ممثلي الثورة النبلاء - الذين لا يبرح يتوارى خلف شعاراتهم عن الوحدة والحرية حلم الامبراطورية القديمة وقانون الهراوة - ما كان يجب في هذه الحال أن يستغرقوا كل الاهتمام ، كما يفعلون في مسرحيتك ، بل ان ممثلي الفلاحين (هؤلاء بصورة خاصة) والعناصر الثورية في المدن كان يجب ان يشكلوا خلفية فعالة بالغة الاهمية . وعندئذ فقد كان يمكنك المناداة بأحدث الافكار في شكلها الأكثر سذاجة وحتى درجة أعظم جداً ، بينما الوحدة المدنية ، الى جانب الحرية الدينية ، تبقى الآن الفكرة الرئيسية بصورة فعلية ، وعندئذ كان يتوجب عليك أن تشكسبر أكثر من تلقاء ذاتك ، بينما أسجل عليك تشلرك بوصفه عيبك الأخطر ، تحويلك الافراد الى مجرد أنابيب ناطقة

بروح العصر . أفلم تقع أنت نفسك حتى درجة ما في الخطيئة الدبلوماسية ، مثلك كمثل صاحبك فرانز فون سيكنجن ، فوضعت المعارضة الفروسية اللوثرية فوق المعارضة العامية المونسرية ؟...

## ٤٩

## انجلز الى ف . لاسال

### مانشستر ، في ١٨ أيار ١٨٥٩

... والآن ، بقدر ما يتعلق الأمر بالمضمون التاريخي[١] ،فقد وصفت بوضوح عظيم ، وسوغت الاشارة الى التطورات اللاحقة ، جانبي الحركة الخاصة بذلك العصر ، هذين الجانبين اللذين كانا يتحليان بأعظم الأهمية في نظرك : الحركة القومية للنبالة ، التي يمثلها سيكنجن ، والحركة الأنسية النظرية بتطورها اللاحق في المجال اللاهوتي والاكليريكي ، الاصلاح . ان ما يروقني أكثر من أي شيء آخر هنا هو المشهد بيين سيكنجن وقيصر والمشهد بين موفد البابا ورئيس أساقفة تريف . (لقد نجحت هنا في احداث نموذج رائع للخلق راسماً ـ تضاد بين موفد البابا المثقف جمالياً وكلاسيكياً .وبعيد النظر سياسياً ونظرياً ، وهو رجل دنيوي ، والأمير الكاهن الألماني الضيق التفكير ـ صورة تترتب على أي حال بصورة مباشرة على طبيعة الشخصيتين **التمثيلية**) . وان الصورة القلمية في مشهد سيكنجن ـ كارل باهرة جداً هي الأخرى . وفي سيرة هاتن الذاتية ، التي وصفت بحق **مضمونها** على أنه أساسي ، من المؤكد أنك انتقيت وسيلة يائسة كي تقحم هذه الوقائع في المسرحية . وان الحوار بين بالتازار و فرانز في الفصل الخامس لذو أهمية بالغة أيضاً ، حيث يشرح الأول لسيده السياسة **الثورية الفعلية** التي كان ينبغي له اتباعها . ان المأسوي حقاً يتظاهر هنا ؛ وانه ليبدو لي أنه كان يجب ، بالضبط بسبب المغزى المرتبط بهذه الحقيقة ، أن يشدد عليها بمزيد من القوة نوعاً ما في الفصل الثالث ، حيث تتوفر مواضع مناسبة عديدة . لكنني أتعثر من جديد في التفاصيل الصغرى .

---

(١) ينتقد انجلز في هذه الرسالة مسرحية لاسال **فرانز فون سيكنجن** .

وان مركز المدن والأمراء في ذلك العصر معروض أيضاً في مناسبات عدة بوضوح كبير ، وبذلك فالعناصر **الرسمية** ، اذا جاز التعبير ، للحركة المعاصرة مفسرة بصورة جيدة الى حد ما . لكنه يلوح لي أنك لم تشدد كما هو واجب على العناصر غير الرسمية ، العامية والفلاحية ، وممثليها الملازمين في ميدان النظرية . لقد كانت الحركة الفلاحية على طريقتها قومية ومناهضة للأمراء بصورة تضاهي حركة النبالة ، والابعاد العملاقة للصراع الذي سقطت فيه تتغاير بشدة عظيمة مع الطريقة التافهة التي استسلمت النبالة بها ، وقد تركت سيكنجن في مركزه الحرج ، لدعوتها التاريخية ، دعوة العبودية . وبالتالي يلوح لي أن الحركة الفلاحية كانت تستأهل اهتماماً أوثق أيضاً في تصورك للمأساة الذي لا يبلغ ، كما لا بدَّ قد تبين لك، درجة كبيرة من التجريد ولا حداً كافياً من الواقعية في نظري . وفيما المشهد الفلاحي مع فريتز جوس مميز حقاً بما فيه الكفاية ، وفردية هذا «المحرض» موصوفة بصورة صائبة جداً ، فانه لا يصف بقوة كافية حركة الطبقة الفلاحية ـ من حيث هي معارضة لحركة النبالة ـ التي كانت منذ ذلك الحين سيلاً متضخماً . ووفقاً **لنظرتي** عن المسرحية ، التي تستقيم في عدم نسيان الواقعي على حساب المثالي ، عدم نسيان شكسبير على حساب شيللر ، فقد كان تضمين مجال المجتمع العامي لذلك العصر ، هذا العصر الذي كان منوعاً بصورة رائعة جداً ، يوفر بالاضافة الى ذلك مادة مختلفة جداً من أجل إحياء المسرحية ، خلفية لا تقدر قيمتها من أجل الحركة القومية للنبالة التي تلعب في المقدمة ، وكان يضع هذه الحركة في موقعها الملائم . أية نماذج رائعة التعبير أنتجتها تلك المرحلة من انحلال الروابط الاقطاعية كما يشهد عليها ملوك المتسولين التائهون **والمرتزقة**(١) الذين لا يملكون خبزاً ، والمغامرون من كل نوع وصنف ـ خلفية فالستافية كانت تملك في مسرحية تاريخية من **هذا** النوع تأثيراً أعظم مما تملكه عند شكسبير ! لكن إذا تركنا ذلك جانباً ، فانه يبدو لي أن هذا الإبعاد للحركة الفلاحية الى المؤخرة هو على وجه الدقة الأمر الذي دفعك بصورة خاطئة في اعتقادي الى الخطأ في تمثيل الحركة القومية للنبالة أيضاً من وجهة النظر

(١) lansquenets ، بالفرنسية في النص الاصلي .

الواحدة ، وفي الوقت نفسه أتاح للعنصر المأسوي حقاً وفعلاً في مصير سيكنجن أن يفلت منك . وفي تصوري ، فان كتلة النبالة التي كانت خاضعة للامبراطور بصورة مباشرة في ذلك الحين لم تكن تملك أدنى نية في عقد تحالف مع طبقة الفلاحين . فتبعية دخلها لاضطهاد هذه الطبقة الأخيرة ما كانت تسمح بذلك . لقد كان التحالف مع المدن أكثر امكانية . بيد أن مثل هذا التحالف لم يتحقق ، أو أنه تحقق ضمن حدود ضيقة جداً فحسب . الا أن ثورة قومية تقوم النبالة بها ماكان يمكن أن تتحقق الا بواسطة تحالف مع أهالي المدن والفلاحين ، وبصورة خاصة مع هؤلاء الأخيرين . وفي اعتقادي أن المأساة بأكملها تكمن ههنا بالضبط ، أن هذا الشرط الأساسي ، التحالف مع طبقة الفلاحين ، كان محالاً ، وبالتالي لم يكن بدٌ لسياسة النبالة أن تكون سياسة حقيرة ، بحيث أنه حين أرادت أن تستلم قيادة الحركة القومية احتجت في تلك اللحظة بالضبط كتلة الأمة ، الفلاحون ، ضد قيادتها ، وبالتالي كان لا بدّ لها أن تنهار بالضرورة . واني لعاجز عن الحكم حتى أي مدى يملك أساساً في التاريخ افتراضك بأنه كان لسيكنجن حقاً ارتباط ما بالفلاحين . ومهما يكن من أمر ، فليس لذلك أهمية على الاطلاق. وفضلاً عن ذلك ، بقدر ما أتذكر ، فان هاتن في جميع كتاباته التي خاطب فيها الفلاحين لم يكن يتطرق الا من طرف بعيد الى هذه المسألة الحساسة المتعلقة بالنبالة ، وهو يسعى الى تركيز غضب الفلاحين على الكهنة . لكنني لا أناقش في حال من الأحوال حقك في وصف سيكنجن وهاتن على أنه كان في نيتهما تحرير الفلاحين . وعلى أي حال ، ، فان هذا يضعك في الحال حيال التناقض المأسوي الكامن في أن كليهما قد كان في مركز يقع بين النبلاء ، الذين كانوا يقفون ضد ذلك بحزم ، وبين الفلاحين. واني لأجرؤ على القول إن الصدام المأسوي بين المسلمة الضرورية تاريخياً والتنفيذ المستحيل عملياً يقوم في هذه النقطة . وإما تتجاهل هذا المظهر فانك تُرجع النزاع المأسوي الى ابعاد أصغر ، ألا وهي أن سيكنجن بدلاً من أن يعالج في الحال امبراطوراً وامبراطورية لم يعالج الا أميراً (بالرغم من أنك تجلب هنا أيضاً الفلاحين بكل حذق) ، وانك لتدعه بكل بساطة يفنى من جراء لا مبالاة النبالة وجبنها . ولقد كان هذا الجبن يعلل على

أي حال بصورة مغايرة كلياً لو أنك ابرزت من قبل بمزيد من التشديد الحركة العارمة لطبقة الفلاحين ، وأن مزاج النبالة قد أصبح بالضرورة أكثر محافظة من جراء «اتحاد الأحذية» و« كونراد الفقير» السابقين[1] .على أي حال ، فليس ذلك كله الا طريقة واحدة كان يمكن بها اشتمال الحركة الفلاحية والعامية في المسرحية . وان عشر طرق أخرى على الأقل للقيام بذلك بصورة لا تقل جودة عن ذلك أو أفضل أيضاً هي معقولة ...

(١) «اتحاد الأحذية» (Bunds chuh) و«كونراد الفقير» (Armer Konrad) : منظمتان تآمريتان للفلاحين والعامة قامتا في أواخر القرن الخامس عشر وأوائل القرن السادس عشر . وكان غرضهما الغاء الرق وتوزيع أراضي الكنائس والأديرة .

## ١٨٦٠

## ٥٠

# ماركس الى انجلز

**لندن ، في ١١ كانون الثاني ١٨٦٠**

... ان الاشعار الوارد في **مجلة دارمستادت العسكرية** قد حظي باستقبال جيد ، كما ان كراستك الجديـدة ضمنت مركزك في ألمانيا بوصفك ناقداً عسكرياً . وحالما تسنح الفرصة ، فان عليك أن تنشر شيئاً موقعاً منك وتكتب تحت اسمك : مؤلف **بو والراين** .. وشيئاً فشيئاً سوف يتحقق أعداؤنا الخسيسون من أننا نؤثر في الرأي العام دون أن نستأذن منه ، أو نستأذن أيضاً من دكاترته الحمقى.

في رأيي أن أعظم الامور التي تحدث في العالم اليوم هي من جهة واحدة حركة العبيد في أميركا ، التي باشرها موت جون براون ، ومن جهة أخرى حركة العبيد في روسيا . ولا بدَّ أنك شاهدت أن النبالة الروسية ألقت بنفسها مباشرة في التحريض من أجل دستور ، وأن شخصين أو ثلاثة أشخاص من أعرق العائلات قد توجهوا منذ الآن الى سيبريا . وفي الوقت نفسه أفسد ألكسندر الأمور مع الفلاحين ببيانه الأخير الذي يعلن بكلمات كثيرة جداً أن «المبدأ الشيوعي» يجب ان ينتهـي مع التحرير . وهكذا بدأت الحركة «الاجتماعية» في الغرب وفي الشرق. ولسوف يكون هذا الأمر عظيماً جداً اذا ما أضفناه الى الانهيار العتيدفي اوروبا الوسطى .

لقد اطلعت لتوي في **المنبر** على أن عصيانا جديداً للعبيد وقع في ميسوري وقد قمع بطبيعة الحال . بيد أن الاشارة أعطيت الآن . واذا ما ازداد هذا الامر جدية يوماً بعد يوم ، فما عساه يحل بمانشستر ؟

لقد استقال ليونهارد هورنر من منصبه . ان تقريره القصير الاخير يغص

بالسخرية المريرة . أيمكن أن تتحقق مما اذا كان لأصحاب المصانع في مانشستر اصبع في هذه الاستقالة ؟

إنه يتبين من تقارير مفتشي المعامل (من «١٨٥٥» حتى «١٨٥٩» ، نصف السنة الأول) أن الصناعة في انكلترا نمت بصورة رائعة منذ عام ١٨٥٠ . وان صحة العمال (البالغين) قد تحسنت منذ كتابك **شرط الطبقة العاملة** (الذي قرأته مرة أخرى هنا في المتحف) ؛ بيد أن صحة الأولاد (الوفيات) قد ساءت .

تحياتي

المخلص

ك . م .

## ٥١

## ماركس الى فريليغرات

**مانشستر ، في ٢٩ شباط ١٨٦٠**

عزيزي فريليغرات

أعز رسالتك معزة عظيمة نظرا لأني لا أرتبط بالصداقة الا مع القليلين ، لكني أحتفظ بعدئذ بمثل هذه الصداقة. إن اولئك الذين كانوا أصدقائي عام ١٨٤٤ لا يبرحون أصدقائي اليوم . لكن فيما يتعلق بالجانب الرسمي **فعلاً** من رسالتك ، فانه قائم على مغالطات خطيرة . ومن هنا كان لا بدّ من الايضاحات التالية :

**١ ـ محاكمة ايشهوف ـ شتابر**(١)

ان «المواد» التي سلمتها لجاخ (مع الايضاح بانه لا يستحق هو أو ايشهوف تأييدي ، وذلك لسببين : **أولاً** ، بسبب طريقتهما في الكتابة عن محاكمة كولونيا في **هرمان** ؛ **وثانياً** ، لأنني كنت واثقاً من أن أيشهوف مجرد أداة في يد مستشار الشرطة السابق دانكر ، الذي كان يريد أن يثأر من شتابر بالضبط على طريقة انتقام فيدوك

(١) الاجراءات الجنائية التي أقامها المدعي العام في برلين ضد رئيس الشرطة البروسية شتابر بالاستناد الى المقالات التي كتبها ويلهلم إيشهوف في فضح نظام الشرطة البرونسية . وان محكمة الاقطاعيين البروسية قد برأت ساحة شتابر بوصفه «منقذ الدولة» وحكمت بالسجن على ايشهوف .

من جيسكل في مناسبة سابقة في باريس ؛ لكنني سأبذل على أي حال قصارى جهدي كي أحقق سقوط شتابر ومعاقبته ؛ ولو لأثأر لموت صديقي الدكتور دانييلز) .

ان هذه «المواد» تستقيم فيما يلي :

أعطيت جاخ نسخة من **كشوف عن محاكمة الشيوعيين في كولونيا**، التي أرجو أن تسجل انها كانت كراسة لي نشرت بادىء الأمر في سويسرا ومن ثم في بوسطن، وقد أشار اليها فوغت بوصفها كتاباً شهيراً ، وليس في حال الأحوال «شيئاً سرياً» .

وقد أخبرت جاخ أنها تتضمن كل ما أعرفه .

وأخيراً فقد لفتُ انتباهه الى أنه ينبغي لليهوالدت (محامي أيشهوف) أن يستدعي هيرش ، الذي كان يقضي خدمته في هامبورغ ، بصفته شاهداً ، وهو ما تحقق . ولقد اعترف هيرش الآن تحت القسم بأن «كتاب المذكرات» كان **تلفيقاً بروسياً** وبأن كل شيء آخر كان مستحقاً للعقاب **قانونياً** .

وهكذا فان «الكشوف» التي ستظهرها هذه المحاكمة بوساطة «موادي» سوف **تحرر** أعضاء العصبة السابقين حتى من شبهة **الجرم** القانوني وسوف «**تفضح**» **نظام الشرطة البروسي** الذي نما في بروسيا ، وقد نصّب بفضل «محاكمة كولونيا» والجبن الخسيس الذي أظهرته لجنة المحلفين الكولونية ، حتى بات قوة أصبحت آخر الأمر غير محتملة حتى بالنسبة الى البورجوازية نفسها وحتى بالنسبة الى وزارة اويرسوالد . وهذا كل شيء .

أما بالنسبة الى الأمور الباقية ، فاني **أنذهل** لمجرد فكرة أنه يمكن أن يخطر في بالك أني قد أسلم الشرطة شيئاً ما على صحيفة . دعني اذكرك ببعض الرسائل التي تعرف شيئاً عنها من كولونيا (١٨٤٩ ـ ١٨٥٠) والتي يؤخذ عليّ فيها **بصورة مباشرة** أني سمحت لعمل العصبة التحريضي بأن ينام طويلاً وطويلاً جداً (الأمر الذي كانت لدي أسباب جيدة جداً من أجله في ذلك الوقت ، لكن من المؤكد أنه لم يكن بدافع الاعتبار الشخصي) .

## ٢ ـ دعواي ضد «المجلة الوطنية»(١)

---

(١) رفع ماركس دعوى ضد **المجلة الوطنية** لمقالات تشهيرية ضده ، لكن المحاكم البروسية رفضت أن تقبل التهمة .

دعني أقر قبل كل شيء أنني لم أنتسب من جديد قط ، بعد ما حلت العصبة بطلب مني ، في تشرين الثاني عام ١٨٥٢ ، ولا أنتسب الآن ، الى أية جمعية سرية أو عامة ، وبالتالي أن الحزب بهذا المعنى العابر كلياً قد كف عن الوجود بالنسبة اليّ قبل ثماني سنوات . وان المحاضرات عن الاقتصاد السياسي االتي ألقيتها بعد ظهور كتابي [1] (خريف عام ١٨٥٩) على بعض العمال المختارين ، بما فيهم بعض أعضاء العصبة السابقين ، ليس لها أية علاقة مشتركة مع جمعية مغلقة ، حتى أقل من محاضرات الهر جيرستنبورغ في جمعية شيللر على سبيل المثال .

وسوف تتذكر أني تلقيت من اللجنة التنفيذية للجمعية الشيوعية في نيويورك المتفرعة في الواقع (اللجنة التنفيذية بما فيها ألبريخت كومب ، مدير المصرف العام ، ساحة المبادلة ، رقم ٤٤ ، نيويورك) رسالة مرت بين يديك ويُطلب مني فيها أن أعيد تنظيم العصبة القديمة . ولقد انقضى عام كامل قبل أن أجيب ؛ ومن ثم أجبت بأنني منذ عام ١٨٥٢ لا أرتبط مطلقاً بأية رابطة وأنا على يقين جازم بأن مؤلفاتي النظرية أعم فائدة بالنسبة الى الطبقة العاملة من إسهامي في رابطات انتهت أيامها في القارة . ولقد تعرضت بنتيجة ذلك عدة مرات لهجوم مرير ، ان لم يكن صراحة فتلميحاً واضحاً ، بسبب هذا «اللانشاط» في صحيفة الهر شيرزر الصادرة في لندن نيوزيت .

عندما جاء ليفي (للمرة الأولى) من دوسيلدورف ـ وكثيراً ما مضى لزيارتك أنت أيضاً في ذلك الحين ـ فقد بلغ به الأمر أن عرض علي على طبق عصياناً لعمال المصانع في ايزرلوهن ، وسولنجن ، وقس على ذلك . وقد عارضت بشدة مثل هذه الحماقة الخطرة وعديمة الجدوى . ولقد أوضحت له فضلاً عن ذلك أني لا أنتسب بعد الآن الى أية «عصبة» وأنه لا يمكنني أن تكون لي أدنى علاقة بهم بسبب الخطر الذي يهدد قومنا في ألمانيا . ولقد عاد ليفي الى دوسيلدورف ، وأطرى عليك كثيراً ، كما علمت عاجلاً بعد ذلك ، لكنه شجب لا مبالاتي «النظرية» .

وهكذا فاني لا أعلم شيئاً منذ عام ١٨٥٢ عن «الحزب» بالمعنى الذي تستعمل

---

(١) الاشارة الى اسهام في نقد الاقتصاد السياسي .

الكلمة به في رسالتك . اذا كنت **شاعراً** فأني **ناقد** ، وقد سئمت حقاً من الأشياء التي أختبرتها في السنوات **١٨٤٩ ـ ١٨٥٢** . لقد كانت «العصبة» ، مثلها كمثل **جمعية الفصول**[1] في باريس وكمثل مائة جمعية أخرى ، مجرد مرحلة في تاريخ الحزب الذي ينمو في كل مكان بصورة عفوية من تربة المجتمع الحديث .

ان ما كان عليّ أن أبينه في برلين (أني أقصد القضية القديمة التي أصبحت في هذه الأثناء عتيقة بشأن العصبة) هما أمران :

**أولاً** ، أني لم أكن عضواً في أية جمعية منذ عام **١٨٥٢** ؛

**ومن ثم** : أن الهر فوغت **مفتر وضيع وحقير** لأنه حاول بصورة أسوأ من تيلليرنغ أن يشوه سمعة جمعية الشيوعيين التي كانت قائمة حتى عام **١٨٥٢** .

**وأنت** تستطيع بكل تأكيد أن تشهد بنفسك على النقطة الأخيرة ، **ورسالتك الى روج** (صيف **١٨٥١**) تثبت أنك اعتبرت ، خلال الفترة **التي هي وحدها موضع البحث هنا** ، مثل هذه الهجمات على أنها موجهة ضدك شخصياً أيضاً .

وان البيان الصادر في **المعلن الصباحي** و**المشاهد** و**الفاحص** و**القائد** و**صحيفة الشعب** قد كان موقعاً من قبلك أيضاً . وان نسخة **واحدة** من هذا البيان موجودة في **سجلات محكمة كولونيا** .

كما أنك لم ترفع أدنى اعتراض لأن هذا الموضوع جيء على ذكره من جديد في **كشوفي** (**طبعة بوسطن** ، ص : ٤٧) .

وان اسمك ليرد أيضاً ، بوصفك خازناً ، في ندائنا المطبوع من أجل التبرعات المالية لمصلحة المحكوم عليهم .

ويجب ألا يكون التذكير بذلك من الأمور الضرورية .

لكنه أمر **لا غنى عنه** أن يكون في حوزة محاميّ البرليني الرسالة التالية **مني الى انجلز** التي هي وثيقة **قانونية** بسبب كونها قد أرسلت دون غلاف ، وهي تحمل **طابعي** بريد لندن ومانشستر :

**٢٨ ، شارع دين ، سوهو**

**لندن ، في ١٩ تشرين الثاني ١٨٥٢**

---

(١) **Société des Saisons** ، جمعية سرية تآمرية (**١٨٣٧ ـ ١٨٣٩**) كانت بقيادة بلانكي .

عزيزي انجلز

«يوم الأربعاء الماضي **حلت** العصبة **بطلب** مني كما أن استمرار العصبة في القارة قد **أعلن غير قائم بعد الآن**. وعلى أي حال، فقد توقفت عن الوجود **فعلياً** في القارة بعد اعتقال بيوزجرز وروزر. تجد طيه بياناً الى الصحف الانكليزية، الخ، وفيما عدا ذلك، فأني أهيء مراسلة مطبوعة» (بدلاً من ذلك كتبت الكراسة التي نشرت عند سكابيليتز(١)) «تصف بصورة مفصلة **انتهاكات الشرطة**، الخ، ولأميركا نداء من أجل المال للسجناء وأسرهم. الخازن: فريليغراث. موقع من قومنا جميعاً». (ان الأسطر القليلة الباقية لا علاقة لها بالموضوع).

المخلص

«**ك**. م.»

ومن المؤكد أني لا أستطيع أن أشطب **أية اسماء** من مثل هذه الوثيقة. وتلك هي الوثيقة الوحيدة التي استخدم **فيها** اسمك من أجل **تقرير حقيقة قائمة**، ألا وهي **حل العصبة**، بقدر ما يرد بمحض الصدفة في رسالتي لعام **١٨٥٢**، ولا أرى هنا شيئاً يمكن أن يورطك.

وأود أن استخدم **إحدى** رسائلك لعام **١٨٥١** من أجل الكراسة التي سوف تصدر **بعد** المحاكمة(٢). ليس **فيها شيء** مجرِّم على الاطلاق. لكن بما أن هذا الأمر سوف يستغرق بعد أسابيع عديدة، فسوف اتحدث اليك شخصياً بشأنه.

ان «اجتماعات الحزب وقراراته ومحاضر جلساته» منذ عام **١٨٥٢** تنتسب الى **مملكة الأحلام**، الأمر الذي من المؤكد أنك لا بدّ عرفته حتى دون تأكيداتي والذي عرفته فيما يبدو اذا حكمنا من رسائل متعددة جداً الي.

ان النشاط **الوحيد** الذي واصلته بعد **١٨٥٢**، بقدر ما كان ذلك أمراً ضرورياً، يعني حتى أواخر عام **١٨٥٣**، بالتضامن مع بعض **الرفاق الذين من نفس التفكير** ما وراء المحيط، قد كان «نظام السخرية والازدراء»، كما وصفه المستر لودفيغ سايمون

---

(١) ك. ماركس: **كشوف عن محاكمة الشيوعيين في كولونيا**.

(٢) كراسة ماركس **هر فوغت**.

عام ١٨٥١ في المنبر،ضد خداع النازحين الديموقراطيين ولعبهم بالثورة . ان قصيدتك ضد كنكل ومراسلتك معي خلال تلك المرحلة تثبتان على السواء أنك كنت على اتفاق تام معي . وعلى أي حال ، فليس لذلك أية علاقة بالمحاكمات .

ان تيلليرنغ وبانجيا وفلوري ومن شابه لم ينتسبوا قط الى «العصبة» . أما أن العواصف سوف تثير نقاعاً كثيراً ، وأما أن الأزمان الثورية لا تفوح برائحة زيت الأزهار ، وأما أن الانسان يمكن أن يتعرض هنا وهناك للقذف بشتى أنواع القذارات ـ هذا كله أمر مؤكد . إما ـ وإما . وفيما عدا ذلك ، فحين يتأمل المرء الجهود الهائلة التي يبذلها العالم الرسمي بأكمله ضدنا ، هذا العالم الذي لا يكتفي ، كيما يدمرنا ، بأن يتوسع قليلاً في تفسير قانون العقوبات ، بل يبلغ به الأمر أن يشوهه ؛ وحين يفكر المرء في افتراءات «ديموقراطية الحماقة» التي لن تستطيع قط أن تغفر لحزبنا امتلاكه قدراً من العقل وقوة الخلق أعظم مما تملكه هي نفسها ؛ وحين يلم المرء بالتاريخ المعاصر لجميع الأحزاب الأخرى ؛ وحين يتساءل المرء أخيراً ما هي الوقائع (وليس التأكيدات الوضيعة التي يقدمها أمثال فوغت وتيلليرنغ والتي هي قابلة للدحض أمام المحكمة) التي يمكن ايرادها ضد الحزب بكامله ، فان المرء يخلص الى الاستنتاج بأنه تميز بنقائه في هذا القرن التاسع عشر .

أيمكن للمرء أن يفلت من القذارة في التعامل أو التجارة البورجوازيين العاديين ؟ ان مقامها الطبيعي لهناك على وجه الدقة . خذ على سبيل المثال السير ر . غاردن ؛ انظر الكتاب الأزرق البرلماني عن رشوة الانتخابات . خذ كمثال آخر المستر كلابكا الذي أملك في الوقت الحاضر معلومات دقيقة عن شخصيته . وليس كلابكا بأفضل مثقال ذرة من بانجيا ، بل لعله أسوأ منه ، الذي عامله هو وكوثوث على أي حال بصفته شخصياً تحت حمايتها في القسطنطينية حتى اليوم الحاضر بالرغم من أعماله البطولية الجركسية وبالرغم من اتهامي العلني له ، وانما ذلك كله لأنه اكتشف لعبتها ...

ان النذالة الشريفة أو الشرف النذل للأخلاق الميفاءة (وهذا الايفاء أيضاً لا يتم ، كما تبين كل أزمة تجارية ، الا مع تحفظات بالغة الغموض) لا أقدرها مثقال ذرة

أكثر من النذالة غير المحترمة التي لم تبرأ كلياً من التلوث بها لا الجماعات المسيحية الأولى ولا نادي اليعاقبة ولا «عصبتنا» السابقة . ان الشيء الوحيد هو أن المرء يعتاد في التعامل البورجوازي أن يصبح أصم على كل احساس بالنذالة المحترمة أو المحترمية النذلة ...

# ١٨٦١

## ٥٢

## ماركس الى ف . لاسال

**لندن ، في ١٦ كانون الثاني ١٨٦١**

... كتاب داروين[١] بالغ الأهمية ، ويخدمني كأساس طبيعي من أجل الصراع الطبقي في التاريخ . ولا بدَّ للمرء طبعاً من الصبر على الطريقة الانكليزية الجافة في الشرح . وبالرغم من جميع النقائص ، فإن الضربة القاضية لم توجه هنا للمرة الأولى الى «الغائية» في العلوم الطبيعية فحسب ، بل يُفسر معناها العقلاني أيضاً بصورة تجريبية ...

## ٥٣

## ماركس الى انجلز

**لندن ، في ٢٧ شباط ١٨٦١**

... كنت أقرأ أبيان عن الحروب الأهلية الرومانية في النص الأصلي الأغريقي كاستجام في الأماسي . كتاب قيم جداً . ان الفتى مصري المولد ، والأرجح أن شلوسر يقول عنه إنه «لا يملك نفساً» لأنه يمضي الى الأساس المادي لهذه الحروب الأهلية . وان سبارتاكوس ليظهر هنا بوصفه الشخص الأسمى في كل التاريخ القديم . قائد عظيم (لاغاريبالدي) ، وخلق نبيل ، وممثل فعلي للبروليتاريا القديمة . إن بومبي ، هذا الرجل الخسيس كلياً ، يحصل على شهرته التي يستحقها بانتزاعه أولاً شرف نجاحات لوكولوس (ضد ميتريداتس) ، ومن ثم شرف نجاحات سيرتوريوس (اسبانيا) ، الخ .، وبوصفه «فتى» سولا وآخرين . أما كقائد ، فقد

---

(١) تشارلز داروين : في أصل الأنواع بواسطة الانتقاء الطبيعي .

كان اوديلون بارو الروماني . ولا يكاد الأمر يتطلب منه إظهار همته ضد قيصر ـ ان قيصر ، هذا الحقير الذي لا يصلح لشيء ، قد ارتكب أعظم الأخطاء العسكرية الممكنة ـ الحمقاء عن قصد ـ كيا يُربِك المنافق الذي كان يعارضه . لقد كان في مكنة قائد روماني عادي ، كما يقول كراسوس ، أن يهزمه ست مرات أثناء الصراع في إبيروس . لكن الأمور جميعاً كانت ممكنة مع بومبي . ويبدو أن شيكسبير ، في مسرحيته **جهد الحب الضائع** ، كان ينطوي على فكرة غامضة عن حقيقة بومبي .

تحياتي .

المخلص

ك . م .

## ١٨٦٢

## ٥٤

# ماركس الى ج . ب . بيكر

**لندن ، في ٢٦ شباط ١٨٦٢**

... أما بشأن الاكتتابات من أجل دراستك[1] ، فسوف أعمل **كل ما في مقدوري** ، لكنني أتوقع نجاحاً ضئيلاً . ان الغوغاء التي تشكل الجمعيات المختلفة ـ باستثناء الجمعية التثقيفية للعمال التي لا تملك أية **اعتمادات** على الاطلاق ـ ذات ميول **دستورية جميعاً** ؛ أجل ، حتى بقايا الاتحاد الوطني البروسي[2] . ان هؤلاء الناس ليتبرعون بالأحرى من أجل القضاء على دراسة مثل دراستك . ولا بدّ لي أن أخبرك بأن هؤلاء الألمان جميعاً ، شباباً وشيوخاً ، أذكياء جداً ، وواقعيون ، وعمليون ؛ انهم يعتبرون الناس من أمثالك وأمثالي حمقى غير ناضجين لم يشفوا طوال هذا الوقت من أوهامهم الثورية . وان هذه الدهماء لرديئة في الموطن بقدر رداءتها هنا في الخارج . ولقد اقتنعت خلال إقامتي في برلين وغيرها أن أي محاولة من أجل التأثير في هؤلاء الرعاع **بواسطة الأدب** عديمة الجدوى مطلقاً . ان البلاهة الراضية التي يتحلى بها هؤلاء الأنذال والتي تخدم صحافتهم ـ هذه الصحافة المثقلة بالهموم ـ كأكسير حياة رائع من أجلها ، لأمر لا يصدق بكل بساطة . ومن ثم ذلك الاعياء النفسي . إن **التعليب** هو الطريقة الوحيدة من أجل بعث ميخائيل الألماني الذي أصبح مهرجاً بليد الذهن باعثاً على النفور منذ فقد أوهامه الفلسفية وانصرف الى كسب المال ، والى فكرة «المانيا الصغرى» والـ «الدستورية العملية» ...

---

(١) إشارة الى دراسة ج . ب بيكر : **كيف ومتى** ؟ التي تعالج مسائل الثقافة والتربية .

(٢) «الاتحاد الوطني البروسي» : رابطة سياسية للبورجوازية الكبيرة الألمانية تشكلت في خريف عام ١٨٥٩ وكان هدفها خلق «ألمانيا صغرى» ، يعني توحيد جميع الدول الألمانية الأخرى باستثناء النمسا ، تحت سيطرة بروسيا . وفيما بعد دعم «الاتحاد الوطني البروسي» سياسة بسمارك .

## ٥٥

# انجلز الى ماركس

### مانشستر ، في ٢٣ أيار ١٨٦٢

... يثابر ماك كليلان في طريقته الشهيرة . إن الاتحاديين[1] يفلتون دائماً منه لأنه لم ينسجم معهم قط ، وحجته أنهم أقوى منه حتى درجة كبيرة . ولهذا السبب يهربون على الدوام كما ترى . أبداً لم تخض حرب حتى الآن بمثل هذه الطريقة؛ ومع ذلك يحصل لقاء ذلك على اقتراح بالشكر . وفي تلك الأثناء ، لا تبرح هذه الاشتباكات الصغيرة ، المشؤومة ، الدائرة في المؤخرة ، فضلا عن الفرار المتصل من الجيش ، كافية كي تحطم معنويات الاتحاديين بصورة سيئة ، وهو ما سوف تكون له آثاره البينة حين ينتهي الأمر الى المعركة الحاسمة .

إن الاستيلاء على نيو اورليانز عمل شهم من جانب الأسطول ، كما كان عبور القلاع ممتازاً على العموم . وبعد ذلك كانت الأمور جميعاً بسيطة . ومن الواضح أن الأثر المعنوي في الاتحاديين كان هائلاً ، ولا بدَّ أن الأثر المادي بان في هذه الأثناء . وليس لدى بورغارد بعد الآن ما يدافع عنه في كورنث ؛ فلم يكن لهذا الموقع معنى إلا بقدر ما كان يغطي ميسيسيبي ولويزيانا ، وعلى الأخص نيو اورليانز . ولقد بات بورغارد حالياً ، ستراتيجياً ، في مركز لا يترك له خياراً ، فيما اذا خسر معركة واحدة ، غير تقسيم جيشه الى عصابات للأنصار . ذلك أنه لا يستطيع ، بدون مدينة كبرى في مؤخرة جيشه ، مع تسهيلات كبيرة للخطوط الحديدية وموارد ضخمة ، أن يجعل كتلاً من البشر في حالة تماسك .

واذا هزم الجيش الاتحادي في فيرجينيا ، فلا بدَّ له أن ينحل عاجلاً ، اثر الأعمال السابقة المضعفة للمعنويات ، الى عصابات للأنصار من تلقاء ذاته . وصحيح أنه يملك خطوطاً أفضل ، لأن الجداول العديدة على خط تراجعه تتدفق على نحو مضاد من الجبال الى البحر ، ولأن خصمه هو ذلك الحمار ماك كليلان ؛ ومهما يكن من

---

(١) جيش ولايات العبيد في الحرب الأهلية في الولايات المتحدة (١٨٦١ ـ ١٨٦٥) . وان الاسم لمشتق من «الاتحاد» الذي شكلته الولايات المتمردة في أوائل عام ١٨٦١ بعد انفصالها عن الولايات المتحدة .

شيء ، فانه سيضطر من جراء طبيعة الأمور اما الى القبول بمعركة حاسمة واما الى التفتت في عصابات دون قتال . تماماً مثلما اضطر الروس أن يقاتلوا في سمو لنسك وبورودينو ، وان يكن ضد ارادة جنرالاتهم الذين حكموا على الوضع بصورة مضبوطة .

وحتى اذا ربح بورغارد أو جيش فيرجينيا معركة ، مهما تكن كبيرة ، فلن يكون لذلك الا فائدة ضئيلة . فليس الاتحاديون في مركز يمكنهم من الانتفاع بذلك أيما انتفاع . انهم لا يستطيعون أن يتقدموا عشرين ميلاً انكليزياً دون ان يتعثروا ويترتب عليهم نتيجة ذلك أن ينتظروا هجوماً متجدداً.انهم يفتقرون الى كل شيء . وفيما عدا ذلك ، فاني اعتبر أن مثل هذه الحال مستحيلة كلياً بدون خيانة مباشرة .

وهكذا فان مصير الجيوش الاتحادية معلق في الوقت الحاضر على معركة واحدة ؛ ويبقى بعد أن تدرس فرص حرب الأنصار . والآن ، فيما يتعلق بالحرب الراهنة على وجه الدقة ، فانه مما يثير الدهشة العظيمة أن اسهام السكان فيها كان زهيداً ، أو بالأحرى معدوماً تماماً . في الحقيقة أن مواصلات الفرنسيين عام ١٨١٣ كانت تعوّق وتقطع باستمرار من قبل كولومب ولوتزوف وتشيرنيشيف واعداد من القادة الآخرين للأنصار والقوزاق . وفي عام ١٨١٢ ، اختفى السكان في روسيا كلياً من خط مسيرة الفرنسيين ؛ أما هناك فلم يحدث شيء على الاطلاق . فقد استسلم الناس **لمصير المعارك الكبرى** وتعزوابفكرة أن[1] «victrix causa Diis»الخ.ان الحديث الطنان عن الحرب حتى النهاية ينحل في قذف خالص . وانه ليفترض أن حرب الأنصار يمكن أن تقوم على مثل هذه التربة ؟ اني أتوقع بكل تأكيد أن تحاول «الدهماء البيضاء» للجنوب شيئاً من هذا القبيل بعد انحلال الجيوش التام ، لكني على قناعة وطيدة جداً بالطبيعة البورجوازية لأصحاب المزارع بحيث لا أشك لحظة واحدة في أن ذلك سوف يجعلهم في الحال رجالاً مسعورين للاتحاد . ألا فليجرب اولئك أن ينخرطوا في أعمال السرقة والنهب ، فإذا أصحاب المزارع يستقبلون اليانكيين في كل مكان بأذرع مفتوحة . إن النيران المشتعلة على الميسيسيبي مردها على وجه الحصر الى

---

(١) «القضية الظافرة تسر الآلهة» .

ذينك الكنتوكيين اللذين يقال انهما قدما الى لويزفيل - ليس على الميسيسيبي بكل تأكيد . وان الحريق الهائل الذي نشب في نيو اورليانز قد نُظم بكل سهولة ، وسوف يتكرر في مدن أخرى ؛ من المؤكد أن أشياء كثيرة أخرى سوف تحرق . بيد أن هذا الشأن سوف يؤدي بالضرورة الى تأزم الانشقاق بين أصحاب المزارع ورجال الأعمال من جهة واحدة والدهماء البيضاء من جهة ثانية ، وبذلك ينهار الانفصال .

ان تعصب رجال الأعمال في نيو اورليانز من أجل الولايات المنفصلة يفسَّر بكل بساطة بأن هؤلاء الفتيان اضطروا لأن يأخذوا كمية هائلة من العملة الورقية للاتحاد الفيدرالي على أنها عملة طنانة . واني لأعرف أمثلة عديدة لذلك هنا . هذا ما يجب ألا يُنسى . ان ديناً إلزامياً كبيراً هو وسيلة شهيرة من أجل تقييد البورجوازيين الى الثورة وإلهائهم عن مصالحهم الطبقية عبر مصالحهم الشخصية .

تمنياتي الطيبة الى زوجتك والبنات .

المخلص

**ف . إ**

## ٥٦

# ماركس الى انجلز

**[لندن ،] في ١٨ حزيران ١٨٦٢**

... أما فيما عدا ذلك ، فاني أعمل بصورة شاقة ، والغريب بما فيه الكفاية أن قحفي يعمل بصورة أفضل مما عمل خلال سنين مع كل الشقاء الذي حولي . واني لأمدّ في هذا المجلد ، ما دام اولئك الكلاب الألمان يقدرون قيمة الكتب بحجمها التكعيبي . وعلى أي حال فقد انتهيت بعد طول لأي من ذلك الريع العقاري الممرض (الذي لا أريد حتى مجرد التلميح اليه في هذا القسم) . لقد كانت الشكوك تراودني منذ زمن طويل بشأن الصحة المطلقة لنظرية ريكاردو وقد ضبطت أخيراً هذه الحيلة . وفضلاً عن ذلك اكتشفت منذ لقائنا الأخير بعض الأشياء الجديدة الظريفة والمدهشة التي سوف تندرج في هذا المجلد .

ان داروين ، الذي طالعته من جديد ، يسليني حين يقول انه يطبق النظرية

«المالتوسية» على النباتات والحيوانات **أيضاً** ، فكأن المسألة برمتها مع السيد بمالتوس لم تكن أنه **لا** يطبق النظرية على النباتات والحيوانات ، بل على الكائنات البشرية فقط ـ وبمسلسلة هندسية ـ على اعتبارهم على طرفي نقيض مع النباتات والحيوانات . انه لمن المرموق كيف يتعرف داروين بين الحيوانات والنباتات على مجتمعه الانكليزي بما يشتمل عليه من تقسيم العمل ، والمزاحمة ، وافتتاح أسواق جديدة ، و «ابتكارات» ، و «الصراع من أجل الوجود» المالتوسي . انها ـ (١) bellum ommius contra omnes التي ينادي هوبس بها ، والمرء يتذكر **علم الظواهر** لهيغل ، حيث يوصف المجتمع المدني من حيث هو «مملكة حيوانية روحية» ، بينما تمثل المملكة الحيوانية عند داروين على اعتبارها مجتمعاً مدنياً ...

## ٥٧

## ماركس الى انجلز

**[لندن ،] في ٢ آب ١٨٦٢**

عزيزي فريديريك

شكراً جزيلاً على الجنيهات السترلينية العشرة .

انه لينتابني شعور كبير بالانزعاج لأنك مرتبك في شؤونك المالية بسببي ، لكن ما العمل ؟ من ذا يستطيع أن يصمد أمام مثل هذه الأزمة التي في أميركا ؟ وانه لمن سوء حظي بصورة خاصة أن علي أن أتعامل مع صحيفة شحيحة مثل بريس الصادرة في فيينا . والا كان في مقدور اولئك الفتيان على الأقل أن يسدوا حتى درجة ما العجز الذي تعاني منه **تريبيون** . أتعتقد أن الوقت مناسب لي حالياً كي أتقدم بطلب الى **ايفننغ بوست** مثلاً (الصحيفة الإبطالية(٢) في نيويورك) لأكون مراسلاً لها ؟

إنه لأمر عجيب حقاً أني لا أبرح قادراً على الاستمرار في العمل النظري كما فعلت . إني أنوي الآن على أي حال أن أدرج نظرية الريع في هذا المجلد على

---

(١) حرب الجميع ضد الجميع

(٢) نسبة الى مبدأ إبطال الاسترقاق

اعتبارها فصلاً إضافياً ، أي على اعتبارها «مثالاً» على مبدأ طُرح في وقت سابق . ولسوف أروي لك في كلمات قليلة ما هو في واقع الأمر **قصة طويلة ومعقدة** ، كما تستطيع **أن تعطيني رأيك** .

أنت تعلم أني أقسم الرأسمال الى قسمين مختلفين : **الرأسمال الثابت** (المواد الخام ، المواد الملحقة ، الآلات ، الخ .) التي قيمتها **تعاود الظهور** فحسب في المنتج ، وثانياً **الرأسمال المتحول** ، يعني الرأسمال الذي ينفق في الأجور ، والذي ينطوي على عمل مجسد دون ما يعطيه العامل لقاءه . مثال ذلك : اذا كان الأجر اليومي = ١٠ ساعات واذا كان العامل يشتغل ١٢ ساعة ، فانه يعوض الرأسمال المتحول زائداً ١/٥ هذا الرأسمال نفسه (ساعتين) . وان هذا الفائض الأخير هو ما أسميه **Mehrwert**(فضل القيمة) .

ولنفترض أن **معدل فضل القيمة** (يعني طول يوم العمل والعمل الفائض فوق الضروري الذي ينجزه العامل من أجل تجديد أجره) **معطى** وأنه يساوي ٥٠ بالمائة . في هذه الحال ، مع يوم عمل من ١٢ ساعة ، سوف يشتغل العامل ٨ ساعات مثلاً لنفسه و ٤ ساعات (٨/٢) من أجل مخدومه . ولنفترض أن ذلك ينطبق على جميع الصناعات ، بحيث أن أية فوارق في وقت العمل المتوسط هي مجرد تعويض عن صعوبة العمل الأكثر أو الأقل ، الخ .

في هذه الظروف ، مع الاستغلال **المتساوي** للعامل في **مختلف** الصناعات ، فان رساميل مختلفة من **نفس الحجم** سوف تثمر مقادير **مختلفة** جداً من فضل القيمة في مجالات مختلفة من الانتاج ، وبالتالي **معدلات للربح مختلفة جداً** ، طالما أن الربح لا يعدو كونه نسبة فضل القيمة الى مجموع الرأسمال الموظف . وان هذا سوف يتوقف على **التركيب العضوي** للرأسمال ، يعني على كيفية انقسامه الى رأسمال ثابت ورأسمال متحول .

ولنفترض كما هي الحال أعلاه أن العمل الفائض = ٥٠ بالمائة . وبالتالي اذا مثلاً ١ ل.س . = ١ يوم عمل (لا يهم ما اذا اعتبرته مساوياً لأسبوع، الخ .) ، ويوم العمل = ١٢ ساعة والعمل الضروري (من أجل انتاج الأجر) = ٨ ساعات ، فان

أجور ٣٠ عاملاً (أو يوم عمل) سوف تكون = ٢٠ ل.س . وقيمة عملهم = ٣٠ ل.س .: ان الرأسمال المتحول من أجل عامل واحد (يومياً أو اسبوعياً) = ٢/٣ ل.س . والقيمة التي ينتجها = ١ ل.س . ان مقدار فضل القيمة المنتجة في الصناعات المختلفة من قبل رأسمال يبلغ ١٠٠ ل.س . سوف يكون متفاوتاً جداً ، وفقاً لنسب الرأسمال الثابت والرأسمال المتحول اللذين ينقسم ذلك الرأسمال اليهما. سمّ الرأسمال الثابت ث ، والمتحول م . فاذا كان التركيب في الصناعة القطنية مثلاً ث ٨٠ وم ٢٠ ، فان قيمة المنتج سوف تكون = ١١٠ (مع افتراض ٥٠ بالمائة فضل قيمة أو عملاً فائضاً) . ان مقدار فضل القيمة = ١٠ ومعدل الربح = ١٠ بالمائة ، طالما أن الربح يساوي نسبة ١٠ (فضل القيمة) الى ١٠٠ (القيمة الاجمالية للرأسمال المنفق) . ولنفترض أن التركيب في الخياطة بالجملة هو ث ٥٠ وم ٥٠ ، فان المنتج اذن = ١٢٥ ، فضل القيمة (بمعدل ٥٠ بالمائة) = ٢٥ ومعدل الربح = ٢٥ بالمائة . خذ صناعة أخرى ، حيث النسبة هي ث ٧٠وم ٣٠ ، فالمنتج اذن = ١١٥ ، ومعدل الربح = ١٥ بالمائة . وأخيراً فان صناعة حيث التركيب= ث ٩٠وم ١٠ ، فان المنتج اذن = ١٠٥ ومعدل الربح = ٥ بالمائة .

ان لدينا هنا ، مع **استثمار متساوٍ** للعمل ، مقادير متفاوتة جداً من فضل القيمة من أجل مبالغ متساوية من الرأسمال الموظف في الصناعات المختلفة ، وبالتالي **معدلات متفاوتة جداً من الربح** .

لكننا اذا تناولنا الرساميل الأربعة الواردة أعلاه معا حصلنا على :

قيمة المنتج

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| ١ ـ ث ٨٠ ، م ٢٠ | ١١٠ | معدل الربح | = ١٠٪ | |
| ٢ ـ ث ٥٠ ، م ٥٠ | ١٢٥ | معدل الربح | = ٢٥٪ | معدل فضل القيمة |
| ٣ ـ ث ٧٠ ، م ٣٠ | ١١٥ | معدل الربح | = ١٥٪ | في جميع الحالات = |
| ٤ ـ ت ٩٠ ، م ١٠ | ١٠٥ | معدل الربح | = ٥٪ | ٥٠ بالمائة |
| **رأسمال** = ٤٠٠ | | ربح = ٥٥ | | |

وعلى ١٠٠ ، فان هذا يعطي معدلاً للربح يبلغ ١٣ ٣/٤ بالمائة .

واذا أخذ بعين الاعتبار على أنه **الرأسمال الاجمالي** (٤٠٠) **للطبقة** ، فان معدل

الربح سوف يساوي $13\frac{3}{4}$ بالمائة . وان الرأسماليين أخوة . ان المزاحمة (نقل الرأسمال أو سحب الرأسمال من صناعة الى أخرى) **تجعل** أن **مبالغ متساوية** من الرأسمال في صناعات **مختلفة** تثمر ، بالرغم من تراكيبها العضوية المختلفة ، المعدل **المتوسط نفسه** من الربح . وبكلمات أخرى : ان الربح **المتوسط** الذي يثمره رأسمال يبلغ ١٠٠ ل.س . على سبيل المثال في صناعة معينة لا يثمره على اعتباره الرأسمال المستخدم بهذه الطريقة المعينة ، وبالتالي لا يثمره بنسبة ما ينتج هو نفسه فضل القيمة ، بل يثمره على اعتباره **جزءاً قاسماً** من الرأسمال الاجمالي للطبقة الرأسمالية . انه حصة تدفع الأرباح عليها ، بصورة متناسبة مع حجمها ، من المبلغ الاجمالي لفضل القيمة (أو العمل غير مدفوع الأجرة) التي ينتجها الرأسمال المتحول الاجمالي (المنفق في الأجور) للطبقة .

والآن فانه لا بدّ لكل من ١ و٢ و٣ و٤ في المثال الوارد أعلاه ، كيما يحصل على نفس **الربح المتوسط** ، أن يبيع سلعه لقاء $113\frac{3}{4}$ ل.س . ان ١ و٤ يبيعانها **أعلى** من قيمها ، و٢ و٣ **دون** قيمها .

إن **السعر** المنظم بهذه الطريقة = نفقات الرأسمال + الربح المتوسط ، مثلاً ١٠ بالمائة فيما يسميه سميث **السعر الطبيعي** ، **سعر الكلفة** ، الخ . وان **المزاحمة** بين الصناعات المختلفة ترجع الاسعار في الصناعات المختلفة الى هذا **السعر المتوسط** (بواسطة نقل الرأسمال أو سحب الرأسمال) . وبالتالي فإن المزاحمة **لا** ترجع السلع الى **قيمها** ، بل الى **أسعار كلفتها** التي هي **أعلى** أو **دون** أو = **لقيمها** ، وفقاً للتركيب العضوي لكل رأسمال على حدة .

ان ريكاردو **يخلط** بين **القيم** و **أسعار الكلفة** ، انه يعتقد أنه اذا كان **الريع المطلق** موجوداً (يعني ريعاً **مستقلاً** عن الانتاجية المختلفة لأنواع الأرض المختلفة) ، فان المنتج الزراعي ، الخ . ، سوف يباع على الدوام **أعلى من قيمته** ، **لأنه** سوف يباع **أعلى** من سعر كلفته (الرأسمال الموظف + الربح المتوسط) . وان هذا سيقلب القانون الأساسي . وهكذا فأنه ينكر وجود الريع المطلق ولا يعترف الا بالريع التفاضلي .

بيد أن توحيده **قيم** السلع مع **أسعار كلفة السلع مغلوط** بصورة أساسية ومقبول بصورة تقليدية من قبل آدم سميث .

والحقيقة هي كما يلي :

لنفترض أن التركيب **الوسطي** لكل الرأسمال **غير** الزراعي **هو** ث **٨٠** وم **٢٠** ، بحيث أن المنتج (بمعدل فضل قيمة يبلغ **٥٠** بالمائة) = **١١٠** ومعدل الربح = **١٠** بالمائة .

ولنفترض فضلاً عن ذلك أن التركيب الوسطي **للرأسمال الزراعي** = ث ٦٠ وم ٤٠ . (ان هذه الأرقام مضبوطة الى حد ما احصائياً بالنسبة الى انكلترا : إن ريوع المراعي ، الخ ، لا أهمية لها في هذه المسألة لأنها تتحدد بريع الحبوب وليس بفعل ذاتها) . عندئذ فان المنتج ، مع نفس استثمار العمل كما أعلاه ، = ١٢٠ ومعدل الربح = ٢٠ بالمائة . واذا كان المزارع فيما عدا ذلك يبيع منتجه **بقيمته** ، **فانه يبيعه بسعر١٢٠** وليس بسعر ١١٠ الذي **هو سعر الكلفة** . بيد أن **الملكية العقارية** تمنع المزارع من مساواة **قيمة** المنتج مع **سعر كلفته** ، كما يفعل أخوته الرأسماليون . ان المزاحمة بين الرساميل لا تستطيع أن تفرض ذلك . ان الملاك العقاري يتدخل وينتزع **الفارق بين القيمة وسعر الكلفة** . وعلى العموم فان نسبة واطئة للرأسمال الثابت الى الرأسمال المتحول هي التعبير عن تطور واطىء (أو واطىء نسبياً) لقوى العمل الانتاجية في مجال خاص من الانتاج . وبالتالي فاذا كان التركيب الوسطي للرأسمال الزراعي هو على سبيل المثال ث ٦٠ وم ٤٠ ، بينما التركيب الوسطي للرأسمال غير الزراعي هو ث ٨٠ وم ٢٠ ، فان هذا يبرهن على أن الزراعة لم تبلغ بعد نفس المرحلة من التطور التي بلغتها الصناعة . (وان هذا ليسهل تفسيره كثيراً لأنه اذا تركنا جميع الأشياء الأخرى جانباً فان مقدمات الصناعة هي علم الميكانيك القديم بينما مقدمات الزراعة هي العلوم الجديدة كلياً للكيمياء والجيولوجيا والفيزيولوجيا) . وإذا بلغت النسبة في الزراعة ث ٨٠ وم ٢٠ (مع الافتراض الوارد أعلاه) ، فان **الريع المطلق يتلاشى** ، ولا يبقى الا **الريع التفاضلي** الذي أشرحه على أي حال بطريقة ينكشف معها افتراض ريكاردو عن تدهور الزراعة المتصل سخيفاً جداً واعتباطياً حتى الدرجة القصوى .

ولا بد أن يلاحظ أيضاً ، في التمييز الوارد أعلاه **لسعر الكلفة** من حيث هو متميز من **القيمة** ، أن ثمة تمييزاً أيضاً ، فضلاً عن التمييز بين الرأسمال الثابت والمتحول

الذي ينشأ عن **عملية الانتاج المباشرة** ، بين الرأسمال **الثابت والمتداول** ينشأ عن **عملية تداول** الرأسمال . بيد أن الصيغة سوف تصبح بالغة التعقيد اذا أنا أدرجت ذلك فيما ورد أعلاه .

إن لديك ههنا ـ بصورة تقريبية ، لأن الأمر معقد بالأحرى ـ نقد نظرية ريكاردو . ولا بدَّ أن تعترف بأن الالتفات الى **التركيب العضوي للرأسمال** يتخلص من كتلة من الأمور التي كانت تبدو متناقضات ومشاكل حتى الآن .

وبالمناسبة . لبعض الأغراض التي سوف أخبرك بها في رسالتي التالية ، **أرغب جداً** اليك أن ترسل لي نقداً عسكرياً مفصلاً (سوف أعنى بالخاتمة السياسية له) لذلك الهذر التحريري للاسال ـ روستوف .

المخلص

ك .م .

تحياتي الى السيدات .

أخبرني ايماندت عن مجيئه . ايتزيغ[1] يغادر يوم الاثنين .

سوف ترى أنه وفقاً لنظريتي عن «الريع المطلق» ، فان **الملكية العقارية** (في بعض الظروف التاريخية) **ترفع** بالفعل أسعار المواد الخام . وهذا ما يمكن الانتفاع به جيداً من وجهة النظر الشيوعية .

وإذا سلمنا بصحة الرأي الوارد أعلاه ، فانه **ليس ضرورياً على الاطلاق** أن يدفع **الريع المطلق** في جميع الأحوال أو لقاء أي **نوع من الأرض** (حتى اذا كان تركيب الرأسمال الزراعي كما هو مفترض أعلاه) . إنه لا يدفع حيث **لا** توجد **الملكية العقارية** بصورة فعلية أو قانونية . وفي هذه الحال ، فان الزراعة لا تبدي أية مقاومة خصوصية حيال تطبيق الرأسمال . انه يتحرك اذن في هذا العنصر بنفس ذلك الانعدام للقيود كما في العنصر الآخر . وعندئذ فان المنتج الزراعي يباع ، كما هي حال كتلة من المنتجات الصناعية دائماً ، **دون** قيمته ؛ **بسعر الكلفة** . وان **الملكية**

---

(١) فرديناند لاسال .

العقارية يمكن أن تكف عن الوجود فعلياً أيضاً حيث الرأسمالي وصاحب الأرض هما نفس الشخص الواحد .

بيد أنه من النافل الخوض في هذه التفاصيل هنا .

ان **الريع التفاضلي المجرد** ، الذي لا ينشأ من حقيقة أن الرأسمال وظف في الأرض بدلاً من أي حقل آخر للاستخدام ، لا يشكل أية صعوبة نظرياً . إنه لا يعدو كونه ربحاً زائداً ، وهو حاضر أيضاً في كل مجال من الانتاج الصناعي بالنسبة الى أي رأسمال يُستثمر في ظروف هي أفضل من الظروف المتوسطة . والأمر الوحيد هو أنه يترسخ جيداً في الزراعة لأنه قائم على أساس متين وثابت (نسبياً) هو الدرجات المختلفة للخصوبة الطبيعية لأنماط التربة المختلفة .

## ٥٨ .

## ماركس الى انجلز

**لندن ، في ٧ آب ١٨٦٢**

... لا أشاطرك كلياً أراءك عن الحرب الأهلية الأميركية ؛ فأنا لا أعتقد أن كل شيء قد انتهى . ان الشماليين قد هيمن عليهم منذ البداية ممثلو ولايات الحدود العبوديّة الذين دفعوا الى القمة بماكليلان ، هذا النصير القديم لبريكنرايدج . أما الجنوب فقد عمل ، من جهة أخرى ، مثل رجل واحد منذ البداية . وان الشمال نفسه قد حول العبودية الى قوة عسكرية للجنوب بدلاً من أن يحولها ضد الجنوب . ان الجنوب يدع العمل المنتج للعبيد ، وبذلك كان في مقدوره أن يضع في الميدان كل قوته القتالية دونما عائق . ولقد وحد الجنوب القيادة العسكرية ، وهذا ما لم يفعله الشمال . أما أنه ليس ثمة وجود لأية خطة ستراتيجية ، فهذا ما كان واضحاً سلفاً من مناورات جيش كنتاكي بعد الاستيلاء على تنيسي . وفي رأيي أن هذا كله سوف يتخذ منحى آخر . فسوف يخوض الشمال الحرب بصورة جدية آخر الأمر ، ويتبنى طرقاً ثورية ويسقط هيمنة رجال الدولة من ولايات الحدود . ان كتيبة وحيدة من العبيد سوف يكون لها تأثير ملحوظ في أعصاب الجنوبيين .

ان صعوبة الحصول على الثلاثمائة ألف رجل تبدو لي صعوبة سياسية محضة. فالشمال الغربي ونيو انكلاند يريدان ذلك وسوف يجبران الحكومة على الاقلاع عن الطريقة الدبلوماسية في قيادة الحرب التي استخدمتها حتى الوقت الراهن، وهما يحددان الآن الشروط التي يجب أن يتقدم بها الثلاثمائة ألف رجل. واذا لم ينصع لنكولن لذلك (وهو سوف ينصاع على أية حال)، فسوف تكون ثورة.

أما بخصوص انعدام الموهبة العسكرية، فان الطريقة التي سادت حتى الآن في اختيار الجنرالات بدافع الاعتبارات الدبلوماسية الخالصة والتآمر الحزبي لا تصلح الا بشق النفس لجلب الموهبة الى الجبهة. ومهما يكن من أمر، فانه يخيل الي أن الجنرال بوب رجل ذو مقدرة.

أما بخصوص التدابير المالية فهي خرقاء كما لا بدَّ أن تكون في بلد حيث لم توجد حتى الوقت الحاضر ضرائب بصورة فعلية (بالنسبة الى الدولة ككل)؛ بيد أنها ليست على ذلك القدر من الحماقة الذي هي عليه التدابير التي اتخذها بيت وشركاه. وفي اعتقادي أن انخفاض العملة الحالي يجب الا يُعزى الى أسباب اقتصادية بل الى اسباب سياسية خالصة ـ انعدام الثقة. وبالتالي فانه سوف يتغير في ظل سياسة مختلفة.

ويخيل الي ان زبدة القول هي أن حرباً من هذا النوع يجب أن تقاد على أسس ثورية، في حين أن اليانكيين حاولوا حتى الآن قيادتها على أسس دستورية.

تحياتي

المخلص

ك. م.

## ٥٩

## ماركس الى انجلز

[لندن]، في ٩ آب ١٨٦٢

فيما يتعلق **بنظرية الريع**، فلا بدّ لي قبلاً، بالطبع، أن أنتظر رسالتك. لكنني، كي أبسِّط «النزاع» كما يحب هنريخ بورجرز أن يقول، اكتب ما يلي:

١ً ـ أن الشيء الوحيد الذي سعيت الى البرهان عليه **نظرياً** هو **امكانية** الريع المطلق دونما انتهاك لقانون القيمة. تلك هي النقطة التي دارت حولها المساجلة **النظرية** منذ أيام الفيزيوقراطيين حتى الوقت الحاضر. ان ريكاردو ينكر هذه الأمكانية، أما أنا فاؤكدها. وانني لاؤكد في الوقت نفسه ان ذلك الانكار مؤسس على عقيدة **مغلوطة** نظرياً مستقاة من آدم سميث ـ الهوية المفترضة **لأسعار الكلفة** وقيم **السلع**. وفيما عدا ذلك، أنه حيث يقدم ريكاردو **أمثلة** على هذه النقطة، فهو يفترض بصورة مسبقة على الدوام شروطاً إما أنه لا يوجد فيها انتاج رأسمالي أو **لا توجد** فيها **ملكية عقارية** (بصورة فعلية أو قانونية). لكن القضية كلها هي في استقصاء القانون مع وجود هذين الشيئين.

٢ً ـ فيما يتعلق **بوجود** ريع الأرض المطلق، فتلك مسألة ينبغي حلها **إحصائياً** في كل بلد. بيد أن أهمية الحل النظري الخالص تعود إلى حقيقة أن الاحصائيين والناس العمليين عامة أكدوا وجود ريع الأرض المطلق طوال السنوات الخمس والثلاثين الماضية، في حين أن المنظرين (الريكارديين) حاولوا البرهان على عدم وجوده بتجريدات اعتباطية واهنة نظرياً. ولقد وجدت دائماً حتى الآن، في جميع مثل هذه النزاعات، أن هؤلاء المنظرين على ضلال.

٣ ـ إني أبين أنه، حتى مع افتراض وجود ريع الأرض المطلق، لا يترتب على ذلك في حال من الأحوال أن الأرض المزروعة الأسوأ أو المنجم الأسوأ يدران ريعاً في جميع الظروف. إنه من المرجح جداً، على النقيض من ذلك، ان يضطرا الى بيع منتجاتهما بقيمة السوق، وان يكن **دون** قيمتها **الافرادية**. وان ريكاردو ليفترض دائماً، كما يبرهن على العكس، ان السلعة المنتجة في الظروف **الأشد منافاة** تحدد قيمة السوق في مختلف أحوال السوق ـ وهذا خاطىء نظرياً. ولقد سبق لك أن قدمت الرد الصائب على هذا الأمر في **الحوليات الألمانية الفرنسية**(١).

هذا ما كنت أريد أن أضيفه فيما يتعلق بالريع ...

---

(١) الأشارة الى دراسة انجلز المنشورة في الحوليات الألمانية الفرنسية بعنوان موجز نقد الاقتصاد السياسي.

## ٦٠

# انجلز الى ماركس

### مانشستر ، في ١٥ تشرين الثاني ١٨٦٢

... أنتظر بفارغ الصبر السفينة التي ستحمل الأنباء عن انتخابات نيويورك(١) . اذا ربح الديموقراطيون في ولاية نيويورك ، فلا أعلم بعد الآن ما عساني أعتقده في اليانكيين . كيف يمكن لشعب واجه معضلة تاريخية كبرى ، ووجوده بالذات عرضة للخطر ، أن يصبح بعد ثمانية عشر شهراً من القتال رجعياً بكتلته ويقترع في مصلحة انحداره الذليل ، ذلك أمر يتجاوز ادراكي . وبالرغم من أنه من الأمور الحسنة من زاوية واحدة ان تسيء الجمهورية البورجوازية الى سمعتها كلياً في أميركا أيضاً ، بحيث لا يمكن في المستقبل الدعوة اليها قط بناء على فضائلها الخاصة ، بل فقط بوصفها وسيلة وشكلاً انتقالياً الى الثورة الاجتماعية ، فإنه مما يثير السخط مع ذلك أن تثبت اوليغارشية حقيرة لا تملك الا نصف عدد السكان أنها تضاهي في القوة الديموقراطية العاجزة ، العظيمة ، صعبة المأخذ . ومهما يكن من أمر ، فاذا ربح الديموقراطيون فسوف يتفوق ماك كليلان الفاضل وجماعة ويست بوينت(٢) على أجمل صورة وسرعان ما تنتهي المسرحية بكاملها الى خاتمة . ان اولئك الفتيان قادرون على صنع السلام اذا ما رجع الجنوب الى الاتحاد بشرط أن يكون الرئيس جنوبياً دائماً وأن يتألف الكونغرس دائماً من عدد متساوٍ من الجنوبيين والشماليين . بل هم قمينون بالمناداة بجفرسون ديفيس رئيساً للولايات المتحدة في الحال وبالتضحية بجميع ولايات الحدود ان لم يكن ثمة سبيل آخر الى السلام . وعندئذ وداعاً يا أميركا .

أما اعلان التحرير الذي أصدره لنكولن (٣) فلا يرى المرء له تأثيراً حتى الآن باستثناء أن الشمال الغربي اقترع الى جانب الديموقراطيين خوفاً من أن يغمره العبيد .

---

(١) المقصود انتخابات حاكم ولاية نيويورك التي فاز فيها سيمور ، مرشح الحزب الديموقراطي .

(٢) يشير انجلز الى العناصر المتعاطفة مع اصحاب العبيد . وكانت ويست بوينت ، المدرسة الحربية الوحيدة في الولايات المتحدة قبل الحرب الأهلية ، مقتصرة على الشبان المنحدرين من عائلات مالكة للعبيد في ولايات الحدود والولايات الجنوبية .

(٣) ألغى هذا الاعلان «العبودية» على أراضي الولايات المتحررة ابتداء من ١ كانون الثاني ١٨٥٣ .

وكي نهبط من الأعظم الى الأصغر ، ما لديك من أقوال عن صاحبنا الفاضل وليم[1] إن **هذا الفتى قد عاد أخيراً هو نفسه من جديد ، وتاب عن خطاياه الليبرالية** وخاطب إليزابيت العرجاء قائلا : «أماه ، لقد أخطأت» . ومن اجل ذلك زوده الرب كي يذبح بقوة الدهماء الليبرالية فاقدة الأخلاق ، ومن أجل ذلك يقول وليم ، «من أجل ذلك يلزمني جنود» . ان هذا الفتى ليفور حنقاً حتى أن بسمارك لم يعد بعد الآن على ما يكفي من الرجعية . أنك أحمق ، يا سكابر ، هذا ما نعرفه وتعرفه أنت نفسك ، أما أنك **على هذا القدر من الحماقة** ، الخ ،الخ . ان الأمور تسير على أروع ما يكون . ما كان يمكن أن يحدث شيء أروع من أن تواجه البورجوازية أربعة عشر عاماً بعد **١٨٤٨** ، المعضلة الثورية القصوى بسبب من ستة ملايين تالر حقيرة ، أي حوالي **٨٥٠٠٠٠** جنيه استرليني [2] . لو أن ذلك الحمار العجوز لا يعود مترهلاً من جديد . وصحيح أنه يتوق بعنف الآن الى القتال ، لكنك لا تستطيع الاعتماد مطلقاً على هؤلاء البروسيين ، لا تستطيع حتى الاعتماد على حماقتهم . اذا استمر هذا الأمر فلا بدّ من حدوث شجار ، واذا بلغت الأمور حدودها القصوى ، فان وليم سيذهل للطريقة التي سيقول «العسكريون» كلمتهم بها ، أقصد الجنود العاديين ، الذين لن يشكروه الا بصعوبة لأنهم سوف يضطرون للقتال من أجل خدمة ثلاث سنوات بدلاً من سنتين .

أفضل تمنياتي لزوجتك والبنات .

**المخلص**

**ف .إ .**

---

(١) الملك وليم الأول ملك بروسيا .

(٢) اشارة الى ما يسمى «النزاع الدستوري» بين الملك والمجلس البروسي بشأن زيادة مصاريف الجيش نظراً لأعادة تنظيمه المتوقع .

## ١٨٦٣

## ٦١

# ماركس الى انجلز

**[لندن] ، في ٢٨ كانون الثاني ١٨٦٣**

... سألتك في رسالتي السابقة عن العامل الذاتي.إن السؤال كما يلي : كيف كان ما يسمى الغزال يعمل **قبل** اختراع الآلة الأخيرة ؟ ان العامل الذاتي واضح لدي ، لكن الأوضاع السابقة له ليست كذلك .

إني أضيف شيئاً الى القسم عن الآلات . ثمة بعض المسائل الغريبة هنا ، وكنت جاهلاً بها في معالجتي الأولى . وكيما أتوصل الى الوضوح بشأنها أعدت قراءة جميع ملاحظاتي (المقتطفات) عن التكنولوجيا كما أني أواظب على حلقة من الدروس العملية (التجريبية فقط) للعمال ينظمها الأستاذ ويليس (في المعهد الجيولوجي في شارع جيرمين ، حيث اعتاد هكسلي أيضاً أن يلقي محاضراته) . إني أتقدم في الميكانيك مثلما أتقدم في اللغات ، وأنا أفهم القوانين الرياضية ، لكن أبسط الوقائع التقنية التي تتطلب التخيل تصعب علي أكثر مما تصعب على أعظم الحمقى .

قد تعرف أو لا تعرف ، لأنه ليس للمسألة بحد ذاتها أية أهمية ، أن ثمة نزاعاً كبيراً بشأن ما يميز **الآلة** من **الأداة** . ان الميكانيكيين (الرياضيين) الانكليز ، بطريقتهم الفجة ، يسمون الأداة آلة بسيطة ويسمون الآلة أداة معقدة . ومهما يكن من شيء ، فان التقنيين الانكليز ، الذين يخصون الاقتصاد بمزيد من الاهتمام ، يقيمون التمييز بين الأداة والآلة على حقيقة أن القوة المحركة في الحالة الواحدة تشتق من الكائنات البشرية وفي الحالة الثانية من قوة طبيعية (ويتبعهم في هذا التمييز عدد كبير ، بل معظم الاقتصاديين الانكليز) . وان الحمير الألمان، وهم العظماء في هذه الأشياء الصغيرة ، قد استنتجوا بالتالي أن **المحراث** مثلا هو آلة ، في حين أن

دولاب الغزل الأعقد ، الخ ، بقدر ما يُشغَّل باليد ، ليس بآلة . لكننا اذا نظرنا الآن الى الآلة في شكلها **الأولي** ، فليس ثمة شك على الاطلاق في ان الثورة الصناعية تنطلق لا من **القوة المحركة** بل من ذلك القسم من الآلات الذي يسميه الانكليز **الآلة العاملة** ؛ وبالتالي ليس من إحلال الماء أو البخار محل القدم التي تدير دولاب الغزل مثلاً ، بل من تحويل عملية الغزل المباشرة بالذات ومن الاستعاضة عن ذلك الجزء من القوة البشرية الذي ليس هو مجرد «بذل قوة» (كما في ادارة دولاب بالقدم) ، بل الذي يتعلق بالمعالجة ، بالفعل المباشر في المواد الواجب شغلها . ومن جهة أخرى ، فإنه ليس مطروحاً على بساط البحث كذلك أنه حالما لا تعود نقطة النقاش هي تطور الآلات **التاريخي** ، بل الآلات على أساس نمط الانتاج الراهن ، فان **الآلة العاملة**(مثال ذلك في حالة آلة الخياطة) تكون هي العامل المقرِّر ؛ ذلك أنه اذا ما جعلت هذه العملية آلية ، فان جميع الناس يعرفون في الوقت الحاضر أن هذا الشيء يمكن تحريكه باليد ، أو بالقوة المائية ، أو بمحرك بخاري ، وذلك وفقاً لحجمه .

وليس لهذه المسائل أية أهمية بالنسبة الى الرياضيين المحضين ، بيد أنها تصبح بالغة الأهمية عندما تكون المسألة البرهان على الرابطة بين علاقات البشر الاجتماعية وتطور هذه الأنماط المادية للانتاج .

ان إعادة قراءة مقتطفاتي المتعلقة بتاريخ التكنولوجيا قادتني الى الرأي بأن القاعدتين الماديتين اللتين انطلقت منهما التحضيرات من أجل الصناعة القائمة على الآلة ضمن المانيفاكتورة خلال المرحلة المنقضية من القرن السادس عشر حتى منتصف القرن الثامن عشر (وهي المرحلة التي كانت المانيفاكتورة تتطور فيها من الحرفة اليدوية الى الصناعة الكبيرة بالخاصة) ، وذلك فيما عدا اكتشاف البارود والبوصلة والطباعة ـ هذه المقدمات الضرورية من أجل التطور البورجوازي ـ قد كانتا **العداد و الطاحون** (طاحون القمح بادىء الأمر ، وبصورة نوعية الطاحون المائي) . وان كلاهما موروثان عن القدماء . (لقد جُلب الطاحون المائي الى روما من آسيا الصغرى في زمن يوليوس قيصر) . ولقد كان العداد الآلة الاوتوماتيكية الأولى المطبقة لأغراض عملية ؛ وان كل نظرية **إنتاج الحركة المنتظمة** قد تطورت

بفضله . وان طبيعته هي بحيث أنه مبني على الجمع بين الحرفة نصف الفنية والنظرية المباشرة . ومثال ذلك أن كاردانوس كتب عن (وقدم صيغاً عملية من أجل) بناء العدادات . وان المؤلفين الألمان من القرن السادس عشر سموا صنع العدادات «حرفة علمية (لا نقابية)» ، وانه ليكون من الممكن أن يُبينَّ من تطور العداد كم كانت العلاقة بين سعة العلم والممارسة مختلفة على اساس الحرفة اليدوية عما هي عليه ، مثلاً ، في الصناعة الكبيرة الحالية . ومما لا ريب فيه أيضاً أن فكرة تطبيق الأجهزة الاوتوماتيكية (المتحركة بالنوابض) على الانتاج في القرن الثامن عشر استوحيت بادىء الأمر من العداد . وإنه ليمكن أن يثبت تاريخياً أن تجارب **فاوكانسون** في هذا الاتجاه قد كان لها تأثير هائل في مخيلة المخترعين الانكليز .

ومن جهة أخرى فقد امتلك **الطاحون** منذ البداية ، حالما ظهر الطاحون المائي الى الوجود ، العناصر الأساسية لجهاز الآلة . القوة المحركة الميكانيكية . أولاً المحرك الذي يتوقف عليها ؛ والآلية الناقلة ؛ وأخيراً الآلة العاملة التي تعالج المواد ـ ولكل منها وجود مستقل عن الأخرى . وان نظرية **الاحتكاك** ، وكذلك الأبحاث في الاشكال الرياضية للدواليب المسننة ، والألسنة ، الخ ، قد تطورت جميعاً في علاقة وثيقة مع الطاحون ؛ والشيء نفسه فيما يتعلق بنظرية قياس درجة القوة المحركة ، والطريقة الفضلى لاستخدامها ، الخ . وان جميع الرياضيين الكبار على وجه التقريب بعد منتصف القرن إلسابع عشر ، بقدر ما عنوا بالمكانيك العملي وجانبه النظري ، قد انطلقوا من الطاحون المائي البسيط الجارش للقمح . وفي الحقيقة أن ذلك هو السبب في أن اسم mill, Mühle ، الذي نشأ خلال المرحلة المانيفاكتورية ، قد آل الى تطبيقه على جميع الاشكال الميكانيكية للقوة المحركة المطبقة لأغراض عملية .

لكن العمل بالخاصة ، عمل الخفق والسحق والجرش والسحن ، الخ . قد أنجز منذ البداية ، سواء فيما يتعلق بالطاحون أم فيما يتعلق بالمكبس ، والكير ، والمحراث ، الخ . **بدون** العمل البشري ، بالرغم من أن القوة المحركة كانت قوة بشرية أو حيوانية . وهكذا فإن هذا النوع من الآلات قديم جداً ، على الأقل في أصوله ، وقد طبقت عليه بادىء الأمر قوة الدفع الميكانيكي بالخاصة . ولذا فهو يشكل عملياً الآلات الوحيدة المصادفة في المرحلة المانيفاكتورية . وان **الثورة الصناعية** تبدأ

حالما يستخدم الميكانيك حيث كانت النتيجة الختامية تتطلب منذ الازمان القديمة العمل البشري ؛ اذن ليس حيث لم تعالج قط المواد الواجب شغلها فعلياً باليد الانسانية ، كما هي الحال مع الأدوات سابقة الذكر ، بل حيث لم يتصرف الانسان منذ البداية ، بطبيعة الأمور ، على اعتباره مجرد قوة . واذا كان لا بدَّ للمرء أن يتبع الحمير الألمان في تسمية القوة الحيوانية (التي هي حركة ارادية كالقوة البشرية سواء بسواء) آلات ، اذن تذكر أن استخدام هذا النوع من القاطرة هو على أي حال أقدم من أبسط أداة حرفية ...

## ٦٢

## ماركس الى انجلز

[لندن،] في ٩ نيسان ١٨٦٣

... أرسل(١) الي قبل البارحة رسالته المفتوحة رداً على لجنة العمال المركزية لمؤتمر لايبزغ العمالي (اقرأ البرجوازي الصغير) . انه يتصرف ـ ناقلاً بأبهة عبارات استعارها منا ـ تماماً مثل دكتاتور عمالي مقبل . ان تسوية مشكلة العمل المأجور والرأسمال هي (حرفياً) «لعب أطفال» بالنسبة اليه . فما على العمال الا التحريض في مصلحة الاقتراع العام ، ومن بعد ارسال أشخاص مثله مجهزين «بسلاح العلم المسلول» الى مجلس النواب . ومن ثم يشكلون مصانع عمالية تقدم الدولة الرأسمال اللازم لها ، وهذه المؤسسات سوف تشمل البلاد بأسرها شيئاً فشيئاً . ان هذا لشيء جديد بصورة تبعث على الدهشة على أية حال ...

... حضرت الاجتماع(٢) الذي عقده برايت على رأس التريديونيون . كان يظهر كمستقل تماماً ، وكانت عاصفة من التصفيق تنفجر كلما قال : «ليس في الولايات المتحدة ملوك أو أساقفة» . ولقد تحدث العمال أنفسهم بصورة ممتازة ، بانعدام تام

---

(١) يقصد لاسال .

(٢) الاشارة الى الاجتماع الذي دعت اليه التريديونيون في لندن في ٢٦ آذار ١٨٦٣ من أجل التعبير عن التعاطف مع أولئك الذين يناضلون ضد العبودية في الولايات المتحدة ومن أجل منع التدخل من قبل انكلترا في مصلحة الولايات العبودية .

لبلاغة البورجوازية ودون أن يخفوا مطلقاً معارضتهم للرأسماليين (الذين هاجمهم أيضاً الأب برايت بالمناسبة) .

لا بدّ للمرء أن ينتظر ويرى بأية سرعة سوف يتخلص العمال الانكليز من عدواهم البورجوازية الواضحة. وفيما عدا ذلك ، وبقدر ما يتعلق الأمر بالنقاط الرئيسية في كتابك (١) ، فقد أكدتها تطورات الأحداث في أدق تفاصيلها منذ عام ١٨٤٤ . ولقد قارنت أنا نفسي الكتاب من جديد مع ملاحظاتي عن المرحلة المتأخرة . ان البورجوازيين الصغار الألمان الحقيرين الذين يقيسون التاريخ العالمي بالياردة وبآخر «الأنباء الهامة في الصحف» هم وحدهم الذين يمكن أن يتصوروا أن عشرين سنة أكثر من يوم واحد في تطورات للأحداث على هذا القدر من العظم ـ بالرغم من أنه قد تأتي في وقت لاحق أيام تتجسد فيها عشرون سنة .

حين قرأت كتابك من جديد تبينت بكل أسف أننا نتقدم في السن . ان الموضوع معالج بقدر كبير من الحيوية ، والاندفاع ، والجرأة في التوقعات الخالصة من أية شكوك علمية ! وأن الوهم بالذات بأن النتيجة سوف تظهر الى وضح النهار غداً أو بعد غد يضفي على الأمر كله دفئاً ومزاجاً متفائلاً تبدو «كآبة» الكتابات اللاحقة مكفهرة بالمقارنة معها .

تحياتي .

المخلص

ك . م .

# ٦٣

## انجلز الى ماركس

**مانشستر ، في ١١ حزيران ١٨٦٣**

... يبدو ان القضية في بولونيا لا تسير على ما يرام مؤخراً . فالحركة في لتوانيا وروسيا الصغرى ضعيفة بصورة واضحة ، كما أن المتمردين في بولونيا لا يتقدمون

---

(١) شرط الطبقة العاملة في انكلترا .

فيما يبدو . ان جميع القادة يسقطون في القتال أو يؤخذون أسرى ويعدمون ، الأمر الذي يشير فيما يبدو الى اضطرارهم لتعريض أنفسهم بصورة خطيرة بغرض تحريض جماعتهم على التقدم . وإن نوعية المتمردين ليست بعد الآن ما كانت عليه في آذار ونيسان ؛ فأفضل الفتيان قد أنهكوا . ومهما يكن من شيء ، فان هؤلاء البولونيين متقلبون جداً ، ولعل القضية تنتهي بصورة جيدة مع ذلك ، وان تناقصت الفرص من أجل ذلك. إذا هم قاوموا فقد ينخرطون بعد في حركة اوروبية عامة تنقذهم ؛ ومن جهة أخرى ، فاذا ساءت الامور انتهت بولونيا لمدة عشر سنين. إن عصياناً من هذا النوع ينهك قوة السكان القتالية لسنوات عديدة .

ان حركة اوروبية تبدو لي محتملة جداً ، لأن البورجوازي فقد الآن مرة أخرى كل خوفه من الشيوعيين ، واذا اقتضى الأمر انضم الى النـزاع من جديد . ان الانتخابات الفرنسية تثبت ذلك ، وكذلك الأحداث في بروسيا منذ الانتخابات الأخيرة . ومهما يكن من شيء ، فاني لا أكاد أعتقد أن حركة من هذا النوع سوف تبدأ في فرنسا . في الحقيقة أن نتائج الانتخابات في باريس كانت بورجوازية **جداً** . فحيثما قدم العمال مرشحين منفصلين هزموا ، وما كانوا يملكون حتى القوة على اجبار البورجوازية على انتخاب الراديكاليين . وفضلاً عن ذلك كله ، فان بونابرت يعرف كيف يلجم المدن الكبرى .

ولعلهم كانوا يواصلون الثرثرة في بروسيا لولا أن بسمارك الفاضل سد أفواهم . ومهما يكن من شيء ، فان القضية هناك قد تنقلب ، فالتطور الدستوري السلمي بلغ منتهاه ، ولا بدّ للبورجوازي الصغير أن يتهيأ للشجار . وان هذا ليعني منذ الآن الشيء الكثير . ومهما كنت أحتقر قيمة أصدقائنا القدامى الديمقراطيين ، فانه يبدو لي مع ذلك أن القدر الأعظم من المواد القابلة للاشتعال مركز هنا ، ولما كان من المحال على وجه التقريب ألا يرتكب آل هوهنزولرن أعظم الحماقات في سياستهم الخارجية ، فلعله يحدث أنَّ الجيوش ، وقد انقسمت نصفها على الحدود البولونية ونصفها على الراين ، سوف تترك برلين حرة ، وأن انقلاباً قد يعقب ذلك . وانه لأمر سيىء بما فيه الكفاية بالنسبة الى ألمانيا واوروبا اذا ما حطت برلين على رأس الحركة .

وان أكثر ما يدهشني هو أن أية حركة فلاحية لم تنفجر في روسيا الكبرى . يبدو ان الانتفاضة البولونية حققت بالفعل أثراً منافياً هناك ...

## ٦٤

# ماركس الى انجلز

**لندن ، في ٦ تموز ١٨٦٣**

... اذا وجدت ذلك أمراً ممكناً في هذا الحر ، فانظر ببعض العناية الى **الجدول الاقتصادي** طيه الذي استعيض به عن جدول كويسني [1] ، وأخبرني عن أية اعتراضات قد تكون لديك . انه يشمل كل عملية التكاثر .

أنت تعلم أن «**السعر الطبيعي**» أو «**الضروري**» يتألف، وفقاً **لآدم سميث** ، من الأجر ، والربح (الفائدة) ، والريع ـ وبذلك ينحل كلياً في **الدخل** . ولقد تناول ريكاردو هذا الهراء ، وان استبعد الريع من القائمة على اعتباره عرضياً خالصاً . وان **جميع** الاقتصاديين على وجه التقريب قد قبلوا ذلك من سميث ، واولئك الذين يعارضونه يرتكبون بعض الحماقات الأخرى .

وان سميث نفسه ليعي سخف حل **المنتج الكلي** للمجتمع **في الدخل ليس غير** (الذي يمكن أن يستهلك سنوياً) ، في حين أنه يحل في **كل فرع منفصل** من الانتاج السعر في **الرأسمال** (الخامات ، الآلات ، الخ .) **والدخل** (الأجور ، الربح ، الريع) . ووفقاً لذلك ، فانه لا بدَّ للمجتمع أن يبدأ من جديد ، **دون رأسمال** ، كل سنة .

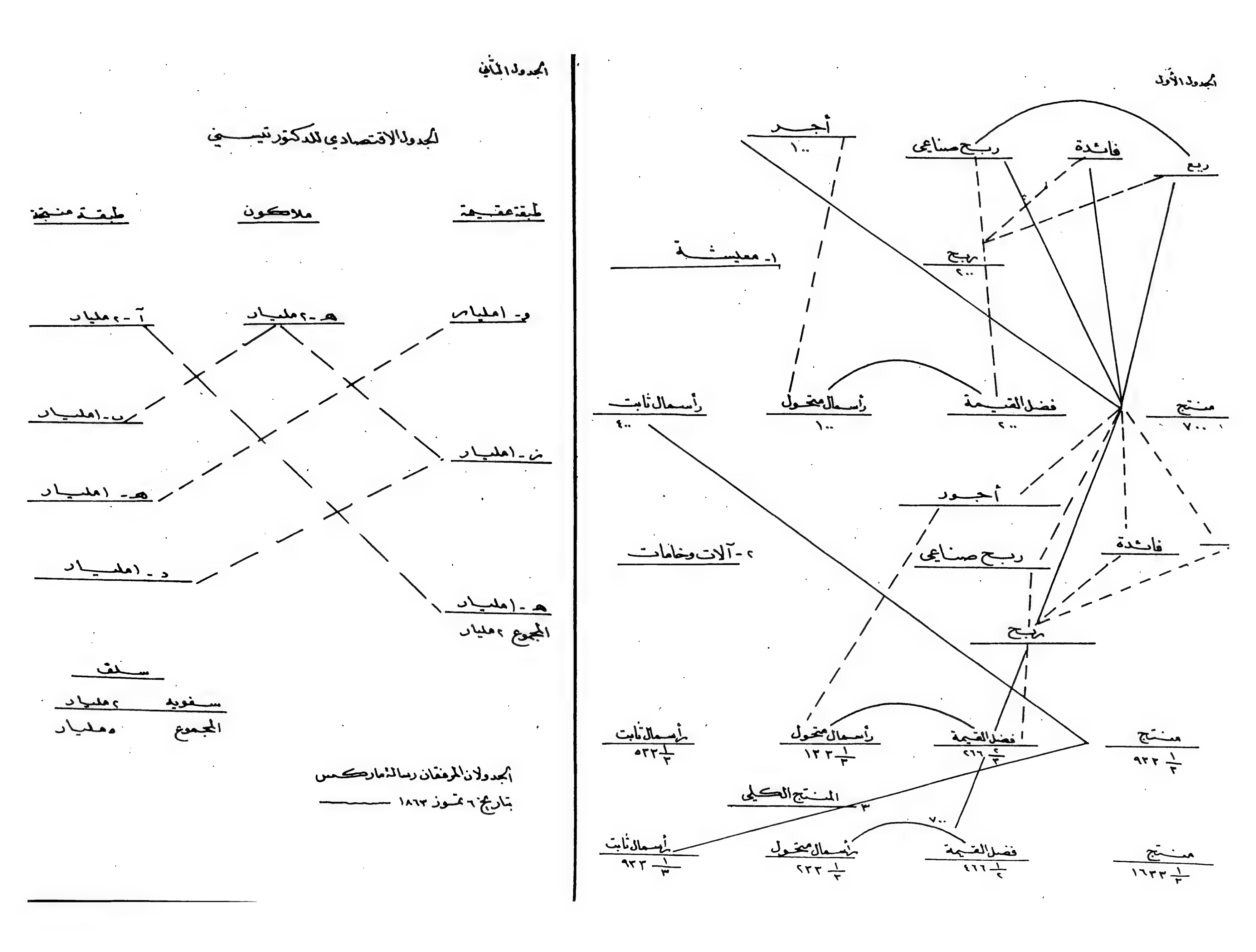
والآن فيما يتعلق بجدولي ، الذي سوف يرد **كخلاصة** في أحد الفصول الأخيرة من كتابي ، فلا بدَّ من المعلومات التالية من أجل فهمه .

١ ـ ان الأرقام غير أساسية ، وهي تمثل ملايينا .

٢ ـ يجب أن يشتمل في **وسائل المعيشة** على **جميع الأشياء** التي تذهب سنوياً الى **اعتماد الاستهلاك** (أو التي يمكن أن تذهب الى اعتماد الاستهلاك **بدون تراكم** ، باعتبار أن هذا التراكم **مستبعد** من الجدول) .

---

(١) الجدول الوارد في كتاب فرنسوا كويسني **تحليل الجدول الاقتصادي** .



الجدول الأول
أجر
١٠٠
ربح صناعي
فائدة
ريع
ربح
٢٠٠
١- معيشة
رأسمال ثابت
٤٠٠
رأسمال متحول
١٠٠
فضل القيمة
٢٠٠
منتج
٧٠٠
أجور
٢- آلات وخامات
ربح صناعي
فائدة
ربح
رأسمال ثابت
٥٣٣ ١/٣
رأسمال متحول
١٣٣ ١/٣
فضل القيمة
٢٦٦ ٢/٣
منتج
٩٣٣ ١/٣
المنتج الكلي
٧٠٠
رأسمال ثابت
٩٣٣ ١/٣
رأسمال متحول
٢٣٣ ١/٣
فضل القيمة
٤٦٦ ١/٢
منتج
١٦٣٣ ١/٣
الجدول الثاني
الجدول الاقتصادي للدكتور كينيه
طبقة منتجة
ملاكون
طبقة عقيمة
آ - ٢ مليار
ب - ١ مليار
هـ - ١ مليار
د - ١ مليار
هـ - ٢ مليار
و - ١ مليار
ز - ١ مليار
هـ - ١ مليار
المجموع ٢ مليار
سلف
سنوية ٢ مليار
المجموع ٥ مليار
الجدولان المرفقان رسالة ماركس
بتاريخ ٦ تموز ١٨٦٣

وفي الصنف رقم ١ (وسائط المعيشة) يتألف **المنتج الكامل** (٧٠٠) من **وسائط المعيشة** التي لا تدخل بطبيعتها في **الرأسمال الثابت** (الخامات والآلات ، الأبنية ، الخ .) . وكذلك في الصنف رقم ٢ يتألف **المنتج الكامل** من سلع تشكل **الرأسمال الثابت** ، يعني تدخل عملية التكاثر من جديد باعتبارها خامات وآلات .

٣ ـ ان **الخطوط الصاعدة منقطة** ، و**الخطوط النازلة صريحة** .

٤ ـ ان **الرأسمال الثابت** هو ذلك الجزء من الرأسمال الذي يتألف من الخامات والآلات . وان **الرأسمال المتحول** هو ذلك الجزء الذي يبادل بالعمل .

٥ ـ في الزراعة ، على سبيل المثال ، يشكل جزء من المنتج نفسه (مثلاً الحبوب) وسائط معيشة ، وجزء آخر (مثلاً الحبوب) يدخل بشكله الطبيعي (مثلاً من حيث هو بذور) الى التكاثر من جديد على اعتباره مواد خاماً . لكن ليس لذلك أهمية . ذلك أن مثل هذه الفروع من الانتاج تمثل بصفتها الواحدة في الصنف رقم ٢ وبصفتها الثانية في الصنف رقم ١ .

٦ ـ وبالتالي فان لب القضية بأسرها هو ما يلي :

**المقولة رقم١ . وسائط المعيشة .**

المواد العاملة والآلات (يعني ذلك القسم من **الآلات** المشتمل في المنتج السنوي باعتباره **بخساً** ؛ ان ذلك القسم من الآلات ، الخ ، الذي لا يبلى **لا يظهر** في الجدول **مطلقاً**) تساوي مثلاً ٤٠٠ جنيه استرليني . وان الرأسمال المتحول المبادل بالعمل = ١٠٠ وهو يتكاثر باعتباره ٣٠٠ تعوض ١٠٠ منها عن الأجور في المنتج وتمثل ٢٠٠ فضل القيمة (**العمل الفائض غير مدفوع الأجر**) . وان المنتج = ٧٠٠ تمثل ٤٠٠ منها قيمة الرأسمال الثابت الذي دخل بكامله على أي حال في المنتج وبالتالي يجب استعاضته .

وفي هذه العلاقة بين الرأسمال المتحول وفضل القيمة يفترض أن العامل يشتغل ثلث يوم العمل لنفسه وثلثيه لرؤسائه الطبيعيين .

وهكذا فإن ١٠٠ (الرأسمال المتحول) تدفع نقداً باعتبارها أجوراً ، كما يشير الى ذلك الخط المنقط ؛ وان العامل يشتري بهذه الـ ١٠٠ (المشار اليها بالخط النازل)

منتج هذا الصنف ، يعني وسائط المعيشة لقاء ١٠٠ . وهكذا يتدفق المال عائداً من جديد الى الرأسمالي الصنف رقم ١ .

ان فضل القيمة البالغة ٢٠٠ في شكلها العام = الربح ، الذي ينقسم على أي حال الى **الربح الصناعي** (بما فيه التجاري) والى **فائدة** يدفعها الرأسمالي نقداً ، والى ريع يدفعه نقداً أيضاً . وان المال المدفوع على هذا الغرار باعتباره ربحاً صناعياً وفائدة وريعاً يتدفق عائداً من جديد (مشاراً إليه بالخطوط النازلة) لأنه يصرف على المنتج الخاص بالصنف رقم ١ . وهكذا فان كامل المال الذي قدمه الرأسمالي الصناعي ضمن الصنف رقم ١ يتدفق عائداً اليه من جديد ، في حين أن ٣٠٠ من المنتج ٧٠٠ تستهلك من قبل العمال ، والمتعهدين ، والمتمولين ، والملاكين . ويتبقى في الصنف رقم ١ **فائض** من المنتج هو ٤٠٠ (في وسائط المعيشة) وعجز هو ٤٠٠ في الرأسمال الثابت .

**المقولة رقم ٢ . الآلات والخامات .**

لما كان **المنتج الكلي لهذه المقولة** (ليس فقط ذلك الجزء من المنتج الذي يعوض الرأسمال الثابت بل كذلك ذلك الجزء الذي يمثل معادل الأجور وفضل القيمة) يتألف من **الخامات والآلات** ، فان دخل هذه المقولة لا يمكن تحقيقه في منتجها الخاص ، بل في منتج المقولة رقم ١ فقط . لكن اذا تركنا التراكم جانبا ، كما نفعل هنا ، فان المقولة رقم ١ لا تستطيع أن تبتاع من المقولة رقم ٢ الا المقدار المطلوب من أجل تعويض رأسمالها الثابت ، في حين أن المقولة رقم ٢ لا تستطيع أن تصرف على منتج المقولة رقم ١ الا ذلك الجزء من منتجها الذي يمثل الأجور وفضل القيمة (**الدخل**) . وبالتالي فان عمال المقولة رقم ٢ يصرفون أموالهم = ١٣٣١/٣ على منتج المقولة رقم ١ . ويحدث الشيء نفسه مع فضل القيمة للمقولة رقم ٢ التي تنقسم ، مثلها مثل فضل قيمة المقولة رقم ١ ، الى ربح صناعي وفائدة وريع . وهكذا فان ٤٠٠ نقداً تتدفق من المقولة رقم ٢ الى الصناعيين الرأسماليين للمقولة رقم ١ الذين يهبون بالمقابل ما تبقى من منتجهم = ٤٠٠ للمقولة السابقة .

ان الصنف رقم ١ يبتاع بهذا المبلغ ٤٠٠ نقداً التعويض الضروري عن رأسماله

الثابت = ٤٠٠ من المقولة رقم ٢ التي يتدفق عائداً اليها على هذا الفرار المال المصروف في الأجور والاستهلاك (من قبل الرأسماليين الصناعيين أنفسهم والمتمولين والملاكين) . وهكذا يتبقى للمقولة رقم ٢ ٥٣٣١/٣ من منتجها الكلي ، التي تعوض بها عن رأسمالها الثابت الخاص المستهلك .

وان الحركة ، ضمن المقولة رقم ١ جزئياً ، وبين المقولتين رقم ١ ورقم ٢ جزئياً ، تبين في الوقت نفسه كيف أن المال الذي يدفع به الرأسماليون الصناعيون لكلتا المقولتين الأجور الجديدة والفائدة والريع العقاري يتدفق عائداً من جديد اليهم .

ان المقولة رقم ٣ تمثل عملية التكاثر بكاملها .

ان المنتج الكلي للمقولة رقم ٢ يظهر هنا من حيث هو الرأسمال الثابت للمجتمع بأسره ، والمنتج الكلي للمقولة رقم ١ من حيث هو ذلك الجزء من المنتج الذي يعوض الرأسمال المتحول (اعتماد الأجور) ومداخيل الطبقات التي تتقاسم فضل القيمة .

لقد ذيلت جدول كويسني ، الذي سوف أشرحه بكلمات قليلة في رسالتي التالية .

تحياتي

المخلص

ك . م .

## ١٨٦٤

## ٦٥

## ماركس الى انجلز

[لندن] ، في ٤ تشرين الثاني ١٨٦٤

... الرابطة الامية للشغيلة —

قبل بعض الوقت أرسل عمال لندن نداء عن بولونيا الى عمال باريس ودعوهم الى المشاركة في هذه القضية .

وأرسل الباريسيون من جانبهم وفدا برئاسة عامل يدعى تولان ، المرشح العمالي الفعلي في الانتخابات الأخيرة في باريس ، وهو فتى ظريف جداً . (كان رفاقه شباناً ظرفاء تماماً أيضاً .) ودعي الى اجتماع عام في قاعة سان مارتان بتاريخ ٢٨ ايلول ١٨٦٤ من قبل اودجر (حذّاء ، رئيس مجلس جميع النقابات اللندنية هنا وخاصة ايضاً رئيس جمعية الدعاية للانتخابات التابعة للتريديونيون ، وهي جمعية مرتبطة ببرايت) وكريمي ، عامل بناء وأمين سر اتحاد عمال البناء . (ان هذين الشخصين قد نظما الاجتماع الكبير للنقابات العمالية في قاعة سان جيمس من أجل أميركا الشمالية ، برئاسة برايت ، وكذلك مظاهرات غاريبالدي .) وأرسل الي شخص يدعى لولوبيز ليسألني ما اذا كنت أود المشاركة باسم العمال الألمان ، وعلى الأخص ما اذا كنت أقدم عاملاً ألمانياً ليتحدث في الاجتماع ، الخ . وقد زودتهم بإيكاريوس ، الذي ترك أثراً مشرفاً ، كما كنت حاضراً شخصياً بوصفي صورة خرساء على المنصة . كنت أعلم أن «قوى» فعلية تشترك هذه المرة من كلا جانبي لندن وباريس ، وبالتالي قررت أن أتخلى عن قاعدتي سارية المفعول برفض جميع مثل هذه الدعوات ...

وفي الاجتماع ، الذي كان مزدحماً حتى الاختناق (ذلك أن انتعاشاً للطبقات

العاملة يحدث بكل وضوح في الوقت الحاضر) ، كان الماجور ولف (ثورن ـ تاكسيس ، مساعد غاريبالدي) يمثل جمعية العمال **الايطاليين** في لندن . وتقرر تأسيس «رابطة أممية للعمال» يكون مقر مجلسها العام في لندن ، وعملها أن تكون «وسيطاً» بين الجمعيات العمالية في ألمانيا وايطاليا وفرنسا وانكلترا . وكذلك دعوة مؤتمر عام للعمال في بلجيكا في عام **١٨٦٥** . وانتخبت لجنة مؤقتة في الاجتماع : اودجر وكريمر وآخرون عديدون ، بعضهم ميثاقيون قدامى ، وأنصار قدامى لأوين ، الخ ، عن انكلترا ؛ والماجور ولف وفونتانا وايطاليون آخرون عن ايطاليا ؛ ولولوبيز ، الخ ، عن فرنسا ؛ وايكاريوس وأنا عن ألمانيا . وقد خولت اللجنة أن تختار أي عدد من الأعضاء تراه .

كل شيء حسن حتى الآن . حضرت الاجتماع الأول للجنة . وقد عينت **لجنة فرعية** (أنا نفسي عضو فيها) كي تضع مسودة اعلان للمبادىء وأنظمة مؤقتة . ولما كنت متوعك الصحة لم أستطع حضور اجتماع اللجنة الفرعية واجتماع اللجنة الكاملة الذي تلاه .

وفي هذين الاجتماعين اللذين تغيبت عنهما ـ اجتماع اللجنة الفرعية والاجتماع التالي للجنة الكاملة ـ جرت الأمور التالية :

قدم الماجور **ولف نظام جمعيات العمال الايطالية** (التي تملك منظمة مركزية ، لكنها أساساً ، كما تبين فيما بعد ، **جمعيات** خيرية متحدة) كي يستخدم من أجل الرابطة الجديدة . لقد رأيت هذا الهراء في وقت لاحق . كان بكل وضوح مجموعة غير معقولة من النصوص المأخوذة عن **مازيني** ، وبذلك فانك تعرف سلفاً الروح والأسلوب اللذين عولجت بهما المسألة الفعلية ، مسألة العمل . وكذلك كيف أقحمت القوميات .

وبالاضافة الى ذلك فان أحد أنصار أوين القدامى ، ويستون ـ وهو الآن صناعي ، ورجل فاضل ولطيف جداً ـ قد صاغ برنامجاً واسعاً بصورة لا توصف ، بالغ الغموض .

وأصدر اجتماع اللجنة العامة التالي تعليماته الى اللجنة الفرعية بإعادة صياغة برنامج ويستون ، وكذلك أنظمة ولف . ولقد رحل ولف نفسه كي يحضر مؤتمر

رابطات العمال الايطاليين في نابولي ويقنعها بالانتساب الى رابطة لندن .

واجتماع آخر للجنة الفرعية لم أتمكن كذلك من حضوره لأني لم أبلَّغ عن موعده الا في وقت متأخر جداً . وفي هذا الاجتماع قدم لولوبيز «اعلاناً للمبادىء» ونصاً جديداً لأنظمة وولف قبلتهما اللجنة الفرعية كي تعرضهما على اللجنة الكاملة . واجتمعت اللجنة الكاملة في ١٨ تشرين الأول . وبما أن ايكاريوس كتب الي يقول إن التواني قد يكون خطيراً فقد حضرت وانتابني الذعر فعلياً عندما سمعت لولوبيز الفاضل يتلو مقدمة مطنبة بصورة مروعة ، مكتوبة بلغة رديئة ، وفجة كلياً ، تزعم أنها اعلان للمبادىء ، ويمكن فيها اكتشاف مازيني في كل موضع ، وقد غُلفت بكاملها برقع بالغة الغموض من الاشتراكية الفرنسية . وبالاضافة الى هذا اتخُذت الأنظمة الايطالية بخطوطها الرئيسية . واذا تركنا جانباً جميع الأخطاء الأخرى لهذه الأنظمة ، فقد كانت تستهدف أمراً كان في الواقع محالاً كلياً ، ألا وهو نوع من الحكومة المركزية للطبقات العاملة الأوروبية (ومازيني في المؤخرة طبعاً) . وقد رفعت اعتراضاً واهياً ، وبعد قدر كبير من الكلام مع وضد اقترح إيكاريوس أن تطرح اللجنة الفرعية الشيء لمزيد من «الإعداد» . ومن جهة اخرى ، فقد أقرت «المشاعر» المحتواة في بيان لولوبيز.

وبعد يومين ، في ٢٠ تشرين الأول ، اجتمع في منزلي كريمر (عن الانكليز) وفونتانا (ايطاليا) ولولوبيز. (لم يستطع ويستون الحضور) . ولم أكن من قبل قد أمسكت بين يدي بالوثائق (وثائق وولف ولولوبيز) ، ولذا لم يكن في مقدوري أن أعد شيئاً ، لكني كنت عازماً بصورة أكيدة ألا أسمح اذا أمكن لسطر واحد من هذا اللغو أن يظل قائماً . وكسباً للوقت اقترحت أن «نناقش» الأنظمة قبل أن «ننشر» المقدمة . وتم ذلك . وكانت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل حين تمت الموافقة على المادة الأولى من المواد الأربعين للأنظمة . وقال كريمر (**وهذا ما كنت استهدفه**) : ليس لدينا ما نضعه أمام اللجنة التي يجب أن تجتمع في ٢٥ تشرين

(١) بدلاً من مؤتمر في بلجيكا عقد اجتماع للأممية في لندن في ١٨٦٥ اتخذ فيه عدد من القرارات بخصوص قضايا تنظيمية .

الأول . يجب أن نؤجل الاجتماع حتى الأول من تشرين الثاني . بيد أن اللجنة الفرعية تستطيع أن تلتقي في ٢٧ تشرين الأول وتحاول أن تنتهي الى نتيجة محددة . وتمت الموافقة على ذلك ، و «خلفت» «الأوراق» من أجل رأيي .

وتبينت أنه من المحال استخراج أي شيء من هذا الهراء . وكيما أبرر الطريقة بالغة الغرابة التي نويت بها أن أحرر «المشاعر» التي سبق «اقرارها» كتبت **نداء الى الطبقات العاملة** (لم يكن في المشروع الأصلي : نوع من استعراض خبرات الطبقات العاملة منذ ١٨٤٥) ؛ وبحجة أن جميع المواد الحقيقية متضمنة في هذا **النداء** ، وأنه لا يجوز لنا أن نكرر الأشياء نفسها ثلاث مرات ، عدلت المقدمة بأسرها ، وطرحت اعلان المبادىء ، واستعضت أخيراً عن الأنظمة الأربعين بعشرة أنظمة . وبقدر ما وردت السياسة الدولية في النداء ، فقد تحدثت عن بلدان لا عن قوميات ، وهاجمت روسيا minores gentium(١) . وقبلت اللجنة الفرعية جميع مقترحاتي . سوى أنني اضطررت أن أحشر جملتين عن «الواجب» و «الحق» في مقدمة الأنظمة ، وكذلك عن «الحقيقة والأخلاق والعدالة» ، لكن هذه العبارات موضوعة بحيث لا يمكنها أن تسبب أي أذى .

وفي اجتماع اللجنة العامة تمت الموافقة على ندائي ، الخ ، بحماسة عظيمة (بالاجماع) . ان المناقشة بشأن طريقة الطباعة ، الخ ، سوف تجري يوم الخميس القادم . وحصل لولوبيز على نسخة من النداء من أجل ترجمتها الى الفرنسية وحصل فونتانا على نسخة من أجل ترجمتها الى الايطالية . (من أجل البداية هناك صحيفة اسبوعية تسمى **بيهايف**(٢) يصدرها بوتر ، وهو تريديونيوني ، وهي نوع من **مونيتور**) . وسوف أترجم أنا نفسي الشيء الى الألمانية .

كان من العسير جداً صياغة الشيء بحيث تبدو نظرتنا في شكل مقبول من وجهة النظر الحالية للحركة العمالية . وخلال أسابيع قليلة سوف يعقد نفس الأشخاص اجتماعات من أجل حق الانتخاب مع برايت وكوبدن . لا بد من انقضاء بعض

(١) القوميات الأصغر

(٢) **بيهايف نيوزبيبر** - نشرة يصدرها مجلس النقابات في لندن ، وكانت صحيفة المجلس العام للأممية الأولى من ١٨٦٤ حتى أيار ١٨٧٠ .

الوقت قبل أن تسمح الحركة المنبعثة بالجرأة القديمة في الحديث . ولسوف يكون من الضرورة بمكان أن يكون المرء Fortiter.in Re, suaviter in modo(١) حالما. يطبع هذا الشيء سوف تحصل عليه ...

## ٦٦

## انجلز الى ويديمير

### مانشستر ، في ٢٤ تشرين الثاني ١٨٦٤

... هذه أوقات مضجرة هنا في اوروبا . وكان سحق العصيان البولوني آخر حدث حاسم ؛ ولقد حصل بسمارك ، لقاء معونته في هذه القضية ، على الأذن من القيصر بالاستيلاء على شليسويغ ـ هولشتاين من الدانمركيين . سوف ينقضي زمن طويل قبل أن تستطيع بولونيا النهوض من جديد ـ حتى مع المساعدة الخارجية ـ ومع ذلك فان بولونيا لاغنى عنها مطلقاً بالنسبة الينا . ولا بد أن يقع اللوم في هذه المسألة بأسرها على حقارة البورجوازيين الصغار الليبراليين الألمان . لو أن اولئك الكلاب أبدوا مزيداً من التفهم والشجاعة في المجلس البروسي ، فلعل جميع الأمور كانت تنتهي على خير وجه . كانت النمسا على استعداد للدفاع عن بولونيا في أي وقت ، وكانت العوامل الوحيدة التي منعتها من ذلك موقف بروسيا وخيانة السيد بونابرت الذي كان في نيته بالطبع ألا يحافظ على وعوده للبولونيين الا اذا استطاع أن يلعب **بأمان** ، يعني اذا كانت تدعمه بروسيا والنمسا .

ان حربكم هناك تشكل تجربة من أجلّ التجارب التي يستطيع المرء أن يعيشها . وبالرغم من الأخطاء العديدة التي ارتكبتها الجيوش الشمالية (وقد ارتكب الجنوب حصته منها) ، فان المد الظافر يعلو ببطء لكن بصورة مؤكدة ، ولا بدّ أن يحين الأوان في ١٨٦٥ حيث تنهار المقاومة **المنظمة** للجنوب بصورة مفاجئة مثلما تنطوي سكين جيب صغيرة ، وعندئذ تنحط الحرب الى مستوى اللصوصية ، كما كانت الحال في الحرب الكارلية في أسبانيا ، وفي وقت أقرب في نابولي . لم يسبق أن حدثت قط

---

(١) حازماً في العمل ، لطيفاً في الأسلوب .

حرب من هذا النوع ، من كلا الجانبين ، منذ قيام الدول القوية ؛ ومما لا ريب فيه أن نتيجتها سوف تقرر المسيرة المقبلة لأميركا لمئات من السنين الآتية . فحالما تسحق العبودية ـ وهي أكبر العوائق في سبيل التطور السياسي والاجتماعي للولايات المتحدة ـ فان البلاد سوف تمر بازدهار يؤمن لها عاجلاً جداً مكاناً مختلفاً كل لاختلاف في تاريخ العالم ، كما سوف يتوفر الاستخدام عاجلاً للجيش والبحرية للذين خلقا أثناء الحرب .

وفيما عدا ذلك ، فقد كان من اليسير جداً أن يُرى لماذا وجد الشمال من الصعوبة بمكان خلق جيش وجنرالات . فمنذ البداية وضعت الأوليغارشية الجنوبية قوات البلاد المسلحة الصغيرة تحت اشرافها ـ لقد قدمت الضباط ونهبت المستودعات بالاضافة الى ذلك . ولم يكن لدى الشمال قوات عسكرية جاهزة باستثناء الميليشيا ، بينما كان الجنوب يتهيأ منذ سنوات عديدة . ومنذ البداية كان تحت تصرف الجنوب سكان اعتادوا استخدام السرج كخيالة خفيفة ، بينما كان الشمال متخلفاً في هذا المضمار . وتبنى الشمال تلك الطريقة المأخوذة عن الجنوب في منح المراكز لأنصار حزب معين ؛ أما الجنوب ، المنخرط في ثورة والخاضع لحكم دكتاتورية عسكرية ، فقد كان في مقدوره أن يتغاضى عن ذلك . ومن هنا كانت جميع الأخطاء . ولا أنكر أن لي جنرال أفضل من جميع الجنرالات الذين لدى الشمال وأن حملاته الأخيرة حوالي ريشموند المحصنة مآثر يستطيع الأمير الماجد فريديريك كارل من بروسيا أن يتعلم منها الشيء الكثير . بيد أن الهجمات الحازمة التي شنها غرانت وشيرمان جعلت آخر الأمر كل هذه الاستراتيجية عديمة الجدوى . ومن الواضح أن غرانت يضحي بعدد كبير من الرجال ـ لكن هل كان في مقدوره أن يتصرف بطريقة مغايرة . ولست أملك أوهى فكرة عن حالة الانضباط في جيشكم ، وثباته تحت النار ، وقدرته واستعداده على تحمل المشاق ، وبصورة خاصة معنوياته ، يعني ما يمكن أن يطلب منه دون تحطيم معنوياته . ولا بدّ للمرء أن يعرف هذه الأشياء جميعاً قبل أن يجازف بحكم على هذا الجانب من المحيط ، بدون إعلام مناسب وبدون أية خرائط لائقة . بيد أنه يلوح لي من المؤكد أن الجيش الذي يقوده شيرمان في الوقت الحاضر هو

أفضل جيوشكم ، فهو متفـوق على جيش هود قدر تفـوق جيش لي على جيش غرانت .

سمعت أن بنودكم الحربية وتكتيككم الأساسي مستعارة كلياً عن الفـرنسيين . وهكذا فالطابور هو التشكيل الأساسي ، مع فواصل بـين الفصائـل . كيف هي مدفعيتكم الميدانية في الوقت الحاضر ؟ اذا استطعت أن تقدم لي بعض المعلومات عن هذه النقاط أكون ممتناً جداً ...

## ١٨٦٥

## ٦٧

# ماركس الى ج . ب . شوايتزر

**لندن ، في ٢٤ كانون الثاني ١٨٦٥**

سيدي العزيز

تلقيت البارحة رسالة تسألني فيها حكماً مفصلاً عن **برودون** . ان نقص الوقت يعوقني عن تحقيق رغبتك . وبالاضافة الى ذلك ، فليس بين يدي أي من مؤلفاته . ومهما يكن من شيء ، فاني أحرر بسرعة خلاصة مقتضية كي اؤكد لك نيتي الطيبة ، وفي مقدورك أن تكملها ، أن تضيف اليها او تحذف منها ـ وباختصار افعل بها ما يحلو لك .

لم أعد أتذكر شيئاً عن بحوث برودون الأولى . ان عمله المدرسي عن **اللغة العمومية** يبين بأي استخفاف تصدى لقضايا يفتقر من أجل حلها الى المبادىء الأولى للمعرفة .

ومما لا ريب فيه أن مؤلفه الأول ، **ما هي الملكية** ؟ ، هو أفضل مؤلفاته . كان له صدى عظيم ، ان لم يكن بفضل جدة محتواه ، فعلى الأقل بفضل الطريقة الجديدة والجريئة في مناقشة جميع الأمور . ومن المؤكد أن «الملكية» لم تنقد بطرق مختلفة فحسب ، بل «**صفيت**» كذلك بالطريقة الطوباوية من قبل الاشتراكيين والشيوعيين الفرنسيين الذين كان يعرف أعمالهم . وان علاقة برودون بسان سيمون وفوريه هي في هذا الكتاب تقريباً مثل علاقة فيورباخ بهيغل . وان فيورباخ فقير جداً بالمقارنة مع هيغل ، ومع ذلك اشتهر **بعد** هيغل لأنه **شدد** على بعض النقاط التي كانت بغيضة الى الوجدان المسيحي لكن هامة من أجل تقدم النقد ، والتي تركها هيغل في حالة من الأبهام الصوفي .

وان أسلوب برودون العضلي المتين بعد ، اذا جاز لي هذا التعبير ، يسود في هذا الكتاب ، وفي رأيي أن أسلوبه هو فضيلته الرئيسية .

وحتى حيث لا يفعل سوى تكرار متاع قديم ، فان في مقدور المرء أن يرى أن برودون اكتشفه بنفسه ، وأن ما يقوله جديد بالنسبة اليه ويحتل منزلة الجديد عنده . ان التحدي المغضب الذي يضع يده على «قدس الأقداس» الاقتصادي ، والمفارقة اللامعة التي سخرت من تفاهة الذهن البورجوازي العادي ، والنقد المدمر ، والسخرية المرة ، والشعور العميق والصادق من الغضب ضد دناءة النظام القائم ، هذا الشعور الذي ينكشف هنا هناك خلف ذلك كله ، والاندفاع الثوري ـ ان جميع هذه الأمور كهربت قراء **ما هي الملكية** ؟ وأثارت شعوراً عظيماً لدى ظهوره الأول . ولا يكاد الكتاب يكون جديراً بالذكر في تاريخ علمي صارم للاقتصاد السياسي . بيد أن الأعمال المثيرة من هذا النوع تلعب دورها في العلوم بالضبط مثلما تفعل في تاريخ الرواية . خذ على سبيل المثال كتاب مالتوس عن **السكان** . انه لم يكن في طبعته الأولى أكثر من «**كراسة مثيرة**» ، وفضلاً عن ذلك **انتحال** من أوله الى آخره . ومع ذلك أي صخب أحدثه هذا **الطعن في الجنس البشري** !

ولو أن كتاب برودون كان أمامي لكان في مقدوري أن أقدم أمثلة قليلة تشهد على **أسلوبه البدئي** . وفي المقاطع التي كان هو نفسه يعتبرها المقاطع الأعظم شأناً يقلد معالجة كانط **للتناقضات** ـ كان كانط ، الذي قرأ مؤلفاته مترجمة ، الفيلسوف الألماني الوحيد الذي يعرفه في ذلك الحين ـ وهو يترك لدى المرء احساساً قوياً بأن حل التناقضات بالنسبة اليه ، كما هي الحال بالنسبة الى كانط ، شيء «**يتجاوز**» الادراك الانساني ، يعني شيئاً يتخبط ادراكه الخاص في الظلمة بشأنه .

لكن بالرغم من كل تهجمه الظاهري على المؤسسات التقليدية ، فان المرء يجد سلفاً في **ما هي الملكية** ؟ التناقض بأن برودون ينتقد المجتمع من جهة واحدة من وجهة نظر وبعيني فلاح فرنسي صغير (بورجوازي صغير في وقت لاحق) ، ومن جهة ثانية بمقاييس مشتقة من ارثه عن الاشتراكيين .

ان عيب الكتاب ظاهر من عنوانه بالذات . فلقد صيغ السؤال بصورة مغلوطة جداً

بحيث لا يمكن الجواب عنه بصورة صحيحة . ان «**علاقات الملكية**» **القديمة** قد ابتلعتها علاقات الملكية **الاقطاعية** ، وهذه العلاقات الأخيرة ابتلعتها علاقات الملكية «**البورجوازية**» . وهكذا فان التاريخ نفسه قد مارس نقده على **علاقات الملكية** الماضية . وان ما يعالجه برودون فعلياً هو **الملكية البورجوازية الحديثة** كما هي قائمة في اليوم الحاضر . وان السؤال عما هي هذه الملكية ما كان يمكن الجواب عنه الا بتحليل نقدي «**للاقتصاد السياسي**» يشمل **علاقات الملكية** هذه من حيث هي كل واحد ، ليس في تعبيرها **القانوني** من حيث هي **علاقات ارادية** لكن في شكلها الواقعي ، يعني من حيث هي **علاقات انتاج** . لكن بما أن برودون أوقع جماع هذه العلاقات الاقتصادية في التصور الفقهي العام عن «**الملكية**» لم يكن في مقدوره أن يمضي الى أبعد من الجواب الذي أعطاه بريسو من قبل ، في مؤلف مماثل ، قبل عام **١٧٨٩** ، بالكلمات نفسها : «إن الملكية سرقة» .

وان أقصى ما يمكن استخلاصه من ذلك كله هو أن المفاهيم الفقهية البورجوازية عن «**السرقة**» تنطبق سواء بسواء على المكاسب «**الشريفة**» للبورجوازي نفسه . ومن جهة أخرى ، فما دامت «**السرقة**» من حيث هي انتهاك اجباري للملكية **تفترض وجود الملكية** ، فقد أربك برودون نفسه في أوهام من جميع الانواع ، غامضة حتى بالنسبة اليه ، عن **الملكية البورجوازية الحقيقية**.

ولقد اتصلت ببرودون شخصياً خلال اقامتي في باريس عام ١٨٤٤ . واني لأذكر ذلك هنا لأن اللوم يقع علي أيضاً حتى درجة ما بخصوص «**مذقه**» ، كما يسمي الانكليز غش السلع التجارية . ففي سياق المساجلات الطويلة التي غالباً ما كانت تستمر الليل بطوله لوثته بالهيغلية ، الأمر الذي أساء اليه كثيراً لأنه ما كان يستطيع أن يدرس الهيغلية بصورة مناسبة من جراء جهله بالألمانية . وبعدما طردت من باريس واصل الهر **كارل غرون** ما بدأته . ولقد كان يملك كذلك ميزة عليّ بوصفه معلماً للفلسفة الألمانية ، ألا وهي أنه لم يكن هو نفسه يفهم شيئاً عنها .

وقبل وقت قصير من ظهور مؤلف برودون الهام الثاني ، **فلسفة البؤس** ، **الخ** ، أخبرني هو نفسه بذلك في رسالة مفصلة جداً قال فيها فيما قاله : «اني أنتظر لسع

نقدك» . ولقد سقط عليه هذا اللسع عاجلاً في كتابي **بؤس الفلسفة** ، **الخ** ، باريس ١٨٤٧ ، بطريقة وضعت حداً لصداقتنا الى الأبد .

تستطيع أن ترى مما سبق فقلته أن كتاب برودون **فلسفة البؤس أو نظام التناقضات الاقتصادية** تضمن أولاً بصورة فعلية جوابه عن السؤال **ما هي الملكية** ؟ وبالفعل فانه لم يبدأ دراساته الاقتصادية الا بعد صدور هذا المؤلف الأخير : لقد اكتشف أن السؤال الذي طرحه لا يمكن الجواب عنه **بالقدح** ، بل **بتحليل «الاقتصاد السياسي»** الحديث فحسب . وفي الوقت نفسه حاول أن يقدم نظام المقولات الاقتصادية بصورة جدلية . ففي مكان «**تناقضات**» **كانط** غير القابلة للحل كان لا بدّ من ادخال «**التناقض**» **الهيغلي** على اعتباره وسيلة التطور .

ومن أجل تقدير كتابه ، الذي يقع في مجلدين سمينين ، لا بدّ لي أن احيلك الى المؤلف الذي كتبته كرد عليه . ولقد بينت هناك ، فيما بينته ، حتى أية درجة قليلة تغلغل الى سر الجدل العلمي ، وكيف أنه يتقاسم ، على العكس من ذلك ، أوهام الفلسفة التأملية في معالجته **المقولات الاقتصادية** ؛ كيف أنه **بدلاً من تصورها** على اعتبارها **التعبير النظري عن علاقات الانتاج التاريخية** ، **المقابلة لمرحلة معينة من تطور الانتاج المادي** ، يحولها بهذره الى **أفكار** أبدية سابقة الوجود ، وينتهي بهذه **الطريقة الملتوية** مرة أخرى الى وجهة نظر الاقتصاد البورجوازي[1] .

ولقد بينت كذلك فيما بعد كم هي معيبة ، بل صبيانية احياناً ، معرفته «بالاقتصاد السياسي» الذي انخرط في نقده ، وكيف يطادر هو والطوبايون «**علماً**» مزعوماً يجب به **استنباط صيغة** من أجل «حل المسألة الاجتماعية» بصورة قبلية ، بدلاً من أن يشتقوا **علمهم من معرفة** نقدية بالحركة التاريخية ، وهي حركة تنتج بنفسها **شروط التحرر التاريخية** . لكنني بينت بصورة خاصة حتى أية درجة يظل برودون **مبهماً ومخطئاً**

---

(١) «حين يقول الاقتصاديون أن العلاقات الراهنة ـ علاقات الانتاج البرجوازي ـ **هي طبيعية** ، فانهم يلمحون الى أن هذه العلاقات هي العلاقات التي تخلق الثروة فيها وتطور القوى الانتاجية بصورة متفقة مع **قوانين الطبيعة** . وبالتالي فإن هذه العلاقات هي نفسها **قوانين طبيعية** مستقلة عن تأثير الزمن . انها **قوانين ابدية يجب أن تتحكم** في المجتمع على الدوام . وهكذا فقد كان ثمة تاريخ ، لكنه لم يعد ثمة تاريخ بعد الآن» (ص : ١١٣ من تروتسكي) . [**هامش من قبل ماركس**] . وان المؤلف المشار اليه هو كتاب مؤسس الفلسفة .

وسطحياً فيما يتعلق **بالقيمة التبادلية**، وهي أساس الشيء برمته، بل كيف أنه يعتبر بصورة خاطئة التفسير الطوباوي لنظرية **ريكاردو** عن القيمة أساس علم جديد.

وفيما يتعلق بوجهة نظره العامة قمت بهذا الحكم الجامع:

«ان لكل علاقة اقتصادية جانباً حسناً وجانباً رديئاً؛ وهذه هي النقطة الوحيدة التي لا يكذب السيد برودون نفسه فيها. انه يرى الجانب الحسن وقد بسطه الاقتصاديون؛ ويرى الجانب الرديء وقد شجبه الاشتراكيون. انه يستعير من الاقتصاديين ضرورة العلاقات الأبدية؛ ويستعير من الاشتراكيين وهم عدم رؤية اي شيء في البؤس خلا البؤس (بدلاً أن يرى فيه المظهر الثوري، الهدام، الذي سوف يقلب المجتمع القديم). وانه ليتفق مع الطرفين في الرغبة في الاستنجاد بسلطان العلم. ان العلم بالنسبة اليه يرتد الى الحجم الهزيل لصيغة علمية؛ انه الرجل الباحث عن الصيغ. وهكذا يحدث أن السيد برودون يمتدح نفسه لأنه قدم نقداً [illegible] سياسي والشيوعية على حد سواء؛ وانه لدونهما جميعاً. دون الاقتصاديين طالما أنه يحسب، بوصفه فيلسوفاً يملك تحت ابطه صيغة سحرية، أنه يستطيع الاستغناء عن الدخول في تفاصيل اقتصادية محضة؛ ودون الاشتراكيين لأنه لا يملك ما يكفي لا من الجرأة ولا من البصيرة كي يرتفع، حتى ولو بصورة تأملية، فوق الأفق البورجوازي... انه يريد أن يحلق بوصفه رجل علم فوق البورجوازيين وفوق البروليتاريين؛ انه **مجرد البورجوازي الصغير**، المتأرجح أبداً بين الرأسمال والعمل، بين الاقتصاد السياسي والشيوعية»[(١)].

ومهما تردد صدى الحكم الوارد أعلاه قاسياً فلا بدّ لي اليوم أن أدعم كل كلمة منه. ومهما يكن من أمر، فيجب أن نتذكر في الوقت نفسه أنه في الوقت الذي أعلنت فيه أن كتابه يمثل الدستور البورجوازي الصغير للاشتراكية وبرهنت على ذلك نظرياً، كان برودون موسوماً بعد على أنه فوق ثوري متطرف من قبل الاقتصاديين السياسيين والاشتراكيين على حد سواء. وهذا هو السبب في أنني لم أنضم في وقت لاحق الى الهتاف العام عن «**خيانته**» الثورة. لم تكن خطيئته أنه أخفق في تحقيق آمال لم يكن

---

(١) المصدر نفسه، ص: ١١٩، ١٢٠. [**هامش من ماركس**]

لها ما يبررها ، هو الذي أساء الآخرون فهمه في الأصل كما أساء فهم نفسه .

ان جميع عيوب طريقة برودون في العرض تبرز بصورة منافية جداً في **فلسفة البؤس** بالمقارنة مع **ما هي الملكية** ؟ ان الأسلوب هو في الغالب ما يسميه الفرنسيون ampoulé.[1] ان الرطانة التأملية الطنانة ، التي يُفترض أنها لغة فلسفية ألمانية ، تظهر بصورة منتظمة على المسرح حين تخونه حدته الغاليّة في الفهم . وان لهجة متبجحة متباهية ، مدعية ، وبصورة خاصة الثرثرة عن «**العلم**» والعرض الزائف له ، وهما دائماً أمران بغيضان ، تزعق باستمرار في آذان الناس . وبدلاً من ذلك الدفء الصادق الذي يتألق في القطعة الأولى من كتاباته ، فان بعض المقاطع هنا قد أضفيت عليها حرارة مؤقتة بفعل البلاغة . أضف الى ذلك سعة العلم الخرقاء الكريهة التي تميز الشخص المتعلم ذاتياً ، الذي سبق فتحطم اعتزازه الطبيعي بتفكيره الأصيل الخاص ، والذي يشعر الآن أنه من الضرورة بمكان أن يتباهى ، بوصفه parvenu[2] في العلم ، بما لا يتصف به وبما لا يملكه . ومن ثم ذهنية البورجوازي الصغير الذي يهاجم بقسوة غير لائقة ـ ومن دون حدة أو عمق أو صواب أيضاً ـ رجلاً مثل **كابيه** من الواجب احترامه لموقفه العملي حيال البروليتاريا ، ويتملق رجلاً مثل **دونوايه** (وصحيح أنه «مستشار دولة») . ومع ذلك فان كل الأهمية التي يتحلى بها دونوايه هذا تستقيم في الحمية المضحكة التي بشر بها ، في جميع صفحات ثلاثة مجلدات سمينة مضجرة بصورة لا تطاق ، بالصرامة التي يسمها هيلفيتيوس كما يلي : «**مطلوب من الشقي أن يكون كاملاً**» !

ومن المؤكد أن ثورة شباط جاءت في وقت غير ملائم على الاطلاق بالنسبة الى برودون ، الذي أثبت بصورة لا تدحض قبل أسابيع قليلة فحسب أن «**عصر الثورات**» ولى الى الأبد . لقد كان خطابه في الجمعية العمومية أهلاً لكل مديح مهما أبان عن تبصر قليل في الشروط القائمة . وبعد عصيان حزيران كان عملاً يبرهن على شجاعة عظمى . وبالاضافة الى ذلك كانت له العاقبة السعيدة بأن السيد

---

(١) طنان .

(٢) حديث النعمة .

تيير س ، في خطابه الذي عارض فيه مقترحات برودون ، والذي سبق نشره وقتذاك في منشور خاص ، قد أثبت لاوروبا بأسرها على أية قاعدة من التعليم المسيحي للأطفال يقف العمود الفكري للبورجوازية الفرنسية . وفي الحقيقة أن برودون تضخم ، بالمقارنة مع السيد تيير س ، الى حجم عملاق سابق للطوفان .

ان اكتشاف برودون «crédit gratuit»(1) و«banque du peuple»(2) المؤسس عليه قد كانا آخر «أعماله» الاقتصادية . وانه ليوجد في كتابي اسهام في نقد الاقتصاد السياسي ، القسم الأول ، برلين ١٨٥٩ (ص : ٥٩ ـ ٦٤) ، البرهان على أن الأساس النظري لفكرته ينشأ من إساءة فهم العناصر الأولية «للاقتصاد السياسي» البورجوازي ، أعني العلاقة بين السلع والنقد ؛ في حين أن البناء الفوقي العملي هو بكل بساطة تكرار لمخططات مشروحة أقدم كثيراً وأفضل جداً .

أما أن النظام الائتماني يمكن ، في ظل بعض الشروط الاقتصادية والسياسية ، ان يخدم من أجل التعجيل في تحرر الطبقة العاملة ، بالضبط كما خدم على سبيل المثال ، في مطلع القرن الثامن عشر ومرة أخرى في مطلع القرن التاسع عشر ، من أجل تحويل ثروة الطبقة الواحدة الى الطبقة الأخرى ، فذلك أمر مفروغ منه وبدهي تماماً . لكن اعتبار الرأسمال حامل الفائدة على أنه الشكل الرئيسي للرأسمال مع محاولة استخدام شكل خصوصي للائتمان ، الالغاء المزعوم للفائدة ، على اعتباره الأساس من أجل تحويل المجتمع ، هو وهم بورجوازي صغير محض . وان هذا الوهم ليصادف من قبل في الحقيقة ، ضمن حدود أضيق ، بين الناطقين الاقتصاديين بلسان البورجوازية الصغيرة الانكليزية في القرن السابع عشر . وان مساجلة برودون مع باستيا (١٨٥٠) بشأن الرأسمال حامل الفائدة هي على مستوى أدنى حتى درجة كبيرة من فلسفة البؤس . لقد نجح في الانهزام حتى أمام باستيا ، وهو ينفجر في وعيد مضحك حين تصيب ضربات خصمه هدفها .

وقبل سنوات قليلة كتب برودون ـ بطلب من حكومة لوزان فيما أحسب ـ بحثاً عن

---

(١) الائتمان الحر .

(٢) مصرف الشعب .

الضريبة نال جائزة . ههنا انطفأت آخر ومضة للعبقرية ؛ ولم يتبق الا البورجوازي الصغير الخالص .

وبقدر ما يتعلق الأمر بكتاباته السياسية والفلسفية ، فانها تبدي جميعاً نفس الطابع المزدوج والمتناقض كما هي حال مؤلفاته الاقتصادية . وفيما عدا ذلك فان قيمتها موضعية ، مقتصرة على فرنسا . ومهما يكن من أمر ، فقد كانت هجماته ضد الدين ، والكنيسة ، الخ ، ذات جدارة عظيمة محلياً في وقت كان الاشتراكيون الفرنسيون يحسبون فيه أنه من المرغوب فيه أن يبينوا بتدينهم مبلغ تفوقهم على المذهب الفولتري البورجوازي للقرن الثامن عشر ، والالحاد الألماني للقرن التاسع عشر . واذا كان بطرس الأكبر قد هزم الهمجية الروسية بالهمجية ، فان برودون قد بذل قصارى جهده كي يهزم اللغو الفرنسي باللغو . ان عمله عن coup d'état[1] ، الذي يتملق فيه لويس بونابرت ، وفي الحقيقة يسعى لأن يجعله مستساغاً لدى العمال الفرنسيين ، ومؤلفه الأخير المحرر ضد بولونيا ، الذي يعبر فيه ، تمجيداً للقيصر ، عن قماءة الأبله ، يجب ألا يوصفا بالرداءة فحسب ، بل بالدناءة ، وهي دناءة تقابل على أي حال وجهة النظر البورجوازية الصغيرة .

وكثيراً ما قورن برودون مع روسو . ليس ما هو على قدر أكبر من الخطل . أنه أشبه بنقولاس لينغه ، الذي يشكل مؤلفه عن نظرية الحرب الأهلية ، على أي حال ، مؤلفا لامعاً جداً .

ان لدى برودون ميلاً طبيعياً الى الجدلية . لكن بما أنه لم يدرك قط كنه الجدلية العلمية الحقيقية لم يمض قط ما وراء السفسطة . وفي الحقيقة أن هذا يتماسك جيداً مع وجهة نظره البورجوازية الصغيرة . ان البورجوازي الصغير يتألف ، مثله مثل المؤرخ رومر ، من وجهة النظر الواحدة ومن وجهة النظر الأخرى . وان الأمر لكذلك في فوائده الاقتصادية ، وبالتالي في سياسته ، وفي آرائه العلمية والدينية والفنية . وانه لكذلك في أخلاقه ، وفي كل شيء آخر . انه تناقض حي . واذا كان هو ، فضلاً عن ذلك ، انساناً موهوباً مثل برودون ، فانه سرعان ما يتعلم أن يلعب بتناقضاته الخاصة

(١) الانقلاب .

وأن يطورها وفقاً للظروف الى مفارقات أخاذة متباهية ، مخزية تارة ولامعة تارة أخرى . ان الشعوذة في العلم والتكيف في السياسة لا ينفصلان عن مثل وجهة النظر هذه . وإنه ليتبقى حافز سائد واحد ، غرور الفرد ، وان المسألة الوحيدة بالنسبة اليه ، كما هي حال جميع المغرورين ، هي النجاح الآني ، اهتمام اليوم الحاضر . وهكذا فان الحس الاخلاقي البسيط ، الذي احتفظ بروسو دائماً ، على سبيل المثال ، بعيداً حتى عن أقل أثر للمواطأة مع السلطات كائنة ما كانت ، ينطفىء بالضرورة .

لعل الأجيال القادمة تلخص المرحلة الأخيرة للتاريخ الفرنسي بقولها ان لويس بونابرت كان نابليون فيها ، وبرودون روسو ـ فولتير فيها .

والآن فان عليك أن تأخذ على عاتقك مسؤولية الدور الذي فرضته علي بأن أكون قاضي هذا الرجل ولما يمض على وفاته الا وقت قصير جداً .

مع احترامي الفائض

**كارل ماركس**

## ٦٨

## ماركس الى انجلز

**[لندن] ، في ٣٠ كانون الثاني ١٨٦٥**

... أما أي نوع من الناس هم تقدميونا ، فهذا ما يبينه مرة أخرى سلوكهم في مسألة الائتلاف . (وبالمناسبة فان القانون البروسي المضاد للائتلاف ، مثله مثل جميع القوانين القارية التي لها هذه الصفة ، يأخذ أصوله من مرسوم **الجمعية التأسيسية في ١٤ حزيران ١٧٩١** ، الذي يعاقب فيه البورجوازيون الفرنسيون بحزم أي شيء من هذا القبيل ، بما في ذلك جميع أنواع الرابطات العمالية ، حاكمين على المخالفين بفقدان حقوقهم المدنية لسنة واحدة على سبيل المثال ، بحجة ان تلك **إعادة للنقابات المهنية** وانتهاك للحرية الدستورية و«حقوق الانسان» . وانه لمما يميز روبسبير جيداً أنه حين كان جريمة تعاقب بالموت على المقصلة أن يكون المرء «دستورياً» بمعنى جمعية عام **١٧٨٩** ، فان جميع قوانين هذه الجمعية ضد العمال ظلت سارية المفعول .) ...

## ٦٩

# ماركس الى انجلز

[لندن] ، في ٣ شباط ١٨٦٥

عزيزي فريدريك

تجد طيه :

١ ـ رسالة من سيبيل تقدم تقريراً عن اجتماعه بكلينغس الذي «أمرته» بعقده . وسوف أكتفي في هذا الشأن بالاشارة الى أنني لن أتدخل **بعد الآن** في القضية . فاذا نجح كلينغس ـ بدون مساعدة **منا** ـ في ابعاد ب . بيكر وأهميته الوصائية جنباً الى جنب مع الساحرة العجوز(١) ، فانني أوافق . لا يمكن عمل أي شيء مع الرابطة العمالية (٢) كما هي موروثة عن البارون ايتزنغ . فكلما كان حلها أسرع كان ذلك أفضل .

٢ ـ **المجلة الرينانية** مع مقالة افتتاحية ، على الأرجح بقلم الأحمر بيكر . انها استرحام من جانب «التقدميين» .

رأيي أنه يجب علينا **نحن الاثنين** أن نقدم الآن بياناً ، وأن هذه الأزمة تعطينا بالضبط الفرصة من أجل استئناف مركزنا «الشرعي» . لقد كتبت قبل حوالي عشرة ايام الى شوايتزر أخيره ان عليه ان يرفع لواء المعارضة ضد بسمارك ، وأنه لا بدّ من التخلي من جانب حزب العمال حتى عن أي أثر لمغازلة بسمارك ، الخ . ولقد شكرني بالانهماك «العاجل» في مغازلة بسمارك أكثر من أي وقت مضى .

«ومع ذلك مرة أخرى» ، في العدد ١٦ من **الاشتراكي الديموقراطي** (٣) ، حيث ظهرت رسالتي عن برودون وهي تعج بالأخطاء المطبعية ، يهاجم موزيس هيس ، «بصورة عاجلة» للمرة الثانية ، «الرابطة الأممية» . وكتبت رسالة حانقة في هذا الشأن

---

(١) الاشارة الى الكونتسة هاتزفيلد .

(٢) الرابطة العامة للعمال الألمان : منظمة سياسية للعمال الألمان أسسها لاسال عام ١٨٦٣ . وفي عام ١٨٧٥ ، في مؤتمر غوتا ، اتحد أنصار لاسال مع أنصار ايزناخ ، وهو الحزب الذي يقوده ويلهلم ليبيكنخت واوغست بيبل ، ليشكلوا حزب العمال الاشتراكي في ألمانيا .

(٣) **الاشتراكي الديموقراطي** (برلين ١٨٦٤ ـ ١٨٧١) ، صحيفة الرابطة العامة للعمال الألمان التي يتزعمها لاسال ، وكان يصدرها شوايتزر مع دعم مالي سري من بسمارك .

الى ليبكنخت البارحة وأخبرته أنه يتلقى الآن الانذار **الأخير والنهائي**، وأنني لا أهتم البتة «بالنوايا الطيبة» التي تعمل عمل النوايا السيئة، وأنني لا أستطيع أن أُفهم أعضاء «اللجنة الأممية» هنا أن أموراً من هذا القبيل تُصنع بنية طيبة بدافع البلاهة الخالصة، وأن جريدتهم القذرة، بينما هي تواصل تمجيد لاسال بالرغم من معرفتهم الآن أية خيانة يبيت سراً، وبينما هي تتملق بسمارك بكل جبن، قد وجدت الوقاحة لتتهمنا هنا بالبلونبلونية (١)، الخ، عن طريق هيس البلونبلوني.

والآن هذا هو رأيي: ننطلق أولاً من اتهام موزيس أودسيسته كي نحصل أولاً في كلمات قليلة على اعلان للحرب ضد بونابرت بلون ـ بلون، منتهزين الفرصة كي نقدم ذكراً مشرفاً لصديق موزيس، ربي إين ـ هورن. ومن ثم نستخدم هذا كي نعلن الشيء نفسه ضد بسمارك وضد الأوغاد أو الحمقى الذين يحلمون أو يخرفون عن تحالف معه بالنسبة الى الطبقة العاملة. وختاماً فان التقدميين الحقيرين يجب بكل تأكيد أن يُخبَروا من جهة واحدة بأنهم خانوا القضية بجبنهم وعجزهم السياسيين، ومن جهة ثانية أنهم اذا طالبوا بتحالف مع الطبقة العاملة ضد الحكومة ـ والحقيقة ان ذلك هو الشيء الصائب الوحيد الذي ينبغي عمله في الوقت الحاضر ـ فان من واجبهم عندئذ على الأقل ان يقدموا الى العمال تلك التنازلات التي توافق مبدأهم الخاص عن «حرية التجارة» و«الديموقراطية»، يعني الغاء جميع القوانين الاستثنائية ضد العمال، بما في ذلك، فضلاً عن قوانين الأئتلاف، بصورة خاصة تماماً قوانين الصحافة البروسية الحالية. وان من واجبهم أيضاً أن يؤيدوا، على الأقل بصورة مبدأية إعادة الاقتراع العام الذي ألغي في بروسيا بفعل الانقلاب. ان هذا أقل ما يمكن أن يتوقع منهم. ولعله من الواجب أن يضاف شيء عن المسألة العسكرية. وعلى أي حال، فلا بدّ من إنهاء الأمر سريعاً. وأن من واجبك ان تسجل على الورق «افكارك» عن

---

(١) بلون ـ بلون، لقب جوزيف بونابرت

(٢) في الرسالة التي كتبها انجلز رداً على ذلك بتاريخ ٥ شباط ١٨٦٥ وافق تماماً على فكرة ماركس الخاصة بارسال بيان مشترك الى هيئة تحرير **الاشتراكي الديموقراطي** واقترح أن يشار في البيان الى أنه في بلد تتفوق الزراعة فيه مثل بروسيا من المهين مهاجمة البورجوازية على وجه الحصر باسم البروليتاريا الصناعية دون أن تقال كلمة واحدة عن الاستثمار البطريركي للبروليتاريا الريفية من قبل النبالة الاقطاعية العليا بواسطة العصا.

البيان بكامله . وعندئذ سوف اضيف افكاري ، ونجبلها معاً ، وأعيد اليك الشيء كله من جديد ، وهكذا دواليك . وانه ليتراءى لي أن البرهة ملائمة من أجل هذا «الانقلاب» . ولا يجوز لنا ، لا بدافع الاعتبار لليبكنخت او لأي امرئ آخر ، ان نفوّت هذه الفرصة من أجل «استعادتنا حقوقنا» .

وفي الوقت نفسه يجب الا تتوانى عن تأمين مقالتك للاشتراكي الديموقراطي عن المسألة العسكرية بأسرع وقت ممكن .

وفيما يتعلق بالبيان ، فان علي أن أكتب اليهم بأنهم اذا لم يقبلوه هم أنفسهم في الحال ، فانه سوف يظهر «في الحال» في صحف أخرى .

فاذا أخذوه ، كان به ؛ ولن يترتب أي ضرر حتى اذا خرجوا من الوجود بسببه . (بالرغم من أن بسمارك سوف يحترس من اتخاذ تدابير جذرية في الوقت الحاضر . ) واذا لم يقبلوه فسوف تكون لدينا حجة مناسبة للتخلص منهم . وعلى أي حال ، فانه من الواجب تطهير الهواء وتنظيف الحزب من هذا النتن الذي خلفه لاسال .

المخلص

ك . م .

## ٧٠

## ماركس وانجلز

## الى هيئة تحرير «الاشتراكي الديموقراطي»

[لندن ، في ٦ شباط ١٨٦٥]

### بيان

في العدد السادس عشر من صحيفتكم يلقي الهر م . هيس بالكلمات التالية المرسلة من باريس الشبهة على الأعضاء الفرنسيين ، المجهولين منه تماماً ، للمجلس المركزي في لندن لرابطة الشغيلة الأممية : «في الحقيقة لا يمكن أن يقال سلفاً ما هي أهمية كون بعض أصدقاء القصر الملكي أيضاً منتسبين الى جمعية لندن ، نظراً لأنها جمعية عامة» ، الخ . وفي عدد سابق ، في حديث عن صحيفة الرابطة ، قام هذا الهر م .

هيس نفسه بتلميح مماثل ضد **الاصدقاء الفرنسيين** لمجلس لندن . اننا نعلن أن تلميحاته سخيفة ومفترية .

وعلى أي حال ، فاننا سعيدان اذ ترسخ اعتقادنا بفضل هذه الحادثة بان البروليتاريا الباريسية تعارض بصورة حازمة البونابرتية ، كما هو الأمر حتى الآن ، في كِلا شكليها ، شكل **التويليري** وشكل **القصر الملكي**[1] . ولم تفكر قط لحظة واحدة في بيع شرفها التاريخي (أو يجب أن نقول «حق بكوريتها التاريخي من حيث هي حاملة الثورة» بدلاً من «**شرفها التاريخي**») لقاء قدر من الحساء . اننا نوصي العمال الألمان بأن يحتذوا هذا المثال .

## ٧١

# ماركس الى انجلز

[لندن] ، **في ١١ شباط ١٨٦٥**

**عزيزي فريد**

لما كان اليوم هو السبت يخيل الي أنك لن تبعث بكراسك[2] في اليوم نفسه ، وفي هذه الحال فان ثمة وقتاً بعد من أجل هذه المقترحات «الاضافية» للتعديل :

١ ـ في الموضع **حيث تسأل ما الذي يريده العمال** لن أجيب كما تفعل أن العمال في ألمانيا وفرنسا وانكلترا يطالبون بكذا وكذا . ذلك أن الجواب يتردد صداه وكأننا قبلنا شعارات **ايتزيغ** (على الأقل سوف يفسر على هذا الغرار) . إني لأفضل أن أقول شيئاً من هذا القبيل :

انه ليلوح أن المطالب المقدمة في الوقت الحاضر من قبل العمال الأكثر تقدماً في **ألمانيا** تعود الى ما يلي ، الخ . ان هذا لا يورطك مطلقاً ، الأمر الذي سيكون أفضل باعتبار أنك أنت نفسك تنتقد في وقت لاحق الاقتراع العام إذا لم يترافق بالشروط المطلوبة . (فيما عدا ذلك ، فان كلمة «مباشر» لن يكون لها في الحقيقة أي معنى في انكلترا ، الخ ، على سبيل المثال ، وهي ليست الا نقيض الضريبة «غير المباشرة»

---

(١) المقصود في شخصي نابليون الثالث وابن عمه ، جوزيف شارل بول بونابرت («بلون ـ بلون») .

(٢) يشير ماركس الى كراسة انجلز: **المسألة العسكرية في بروسيا وحزب العمال الألماني** .

التي اخترعها البروسيون) . ان الشكل الذي يتصور فيه **جماعة كنوتن** في ألمانيا تدخل الدولة على طريقة لاسال لهو بحيث أنه يجب على المرء أن يتجنب توحيد نفسه بأي شكل كان مع «هؤلاء» . انه لمن المفضل حتى درجة بعيدة (ومن الأسلم) اذا أخذت **جماعة كنوتن** على أنهم صادقون **وتركتهم يقولون بأنفسهم** ماذا يريدون . (أقول **جماعة كنوتن** ، لأنهم المولعون بالجدال فعلياً ، القسم(١) الخاضع لتأثير لاسال) .

٢ ـ لن أقول أن حركة **١٨٤٨ ـ ١٨٤٩** أخفقت لأن البورجوازيين قاوموا **الاقتراع العام المباشر** . على العكس من ذلك ، فان هذا الأخير قد نودي به حقاً ألمانياً حقيقياً من قبل الفرنكفورتيين وأعلن كذلك بالشكليات اللازمة من قبل نائب حاكم **الرايخ** . (وفي رأيي كذلك أن هذا الحق ، حالما يصبح الموضوع موضع النقاش بصورة جدية ، يجب أن يعالج في ألمانيا الحقيقية باعتباره جزءاً من القانون **القائم** بصورة شرعية .) ولما لم يكن هذا موضع عرض أطول ، فاني سأخرج منه باستعمال العبارة بأن البورجوازية في ذلك الحين فضلت السلام مع العبودية على مجرد **منظور** صراع مع الحرية ، أو شيئاً من هذا القبيل .

ان الكراس ، بوصفه كلاً واحداً ، جيد جداً ، واني لمبتهج بصورة خاصة بذلك القسم حيث يبين أن حركة **البورجوازيين الصغار** الحالية تدين بوجودها في حقيقة الأمر لمساعدة الشرطة .

اني في عجلة كبيرة .

تحياتي .

المخلص

**ك** . م .

## ٧٢

## ماركس الى انجلز

[لندن] ، **في ١٨ شباط ١٨٦٥**

**عزيزي فريد**

تجد طيه رسالتين من ليبكنخت ، الواحدة لك والأخرى لي . وكذلك رسالة **سابقة**

(١) المقصود : القسم من العمال .

من شوائيتزر . هذا رأيي :

حالما يعطينا ليبكنخت إشعاراً[1] يجب أن ننتهي من الأمر . لو أنه أجل الموضوع لكان في مقدورنا أيضاً أن نؤجله نظراً لأن كراستك لا تبرح قيد الانتاج .

اني أرى أنه لا سبيل الى تقويم شوايتزر (المرجح أنه على تفاهم مكتوم مع بسمارك) .

يثبتني في ذلك :

١ ـ الفقرة التي شددت عليها في الرسالة طيه المؤرخة في الخامس عشر منه .

٢ ـ الوقت الذي ظهرت فيه مقالته بسمارك الثالثة[2]

وكيما أبرز هاتين النقطتين ، اقدم اليك هنا نقلاً حرفياً لفقرة من رسالتي بتاريخ الثالث عشر منه اليه :

«... لما كانت مراسلة موزيس هيس في العدد الحادي والعشرين ، الذي تلقيته اليوم ، تجعل بياننا عتيقاً بصورة جزئية ، فإنه يمكن الآن أن نترك الموضوع يرتاح . وصحيح أن بياننا كان يتضمن كذلك نقطة أخرى ، ثناء على موقف البروليتاريا الباريسية المضاد للبونابرتية وإلماعاً إلى العمال الألمان بأن يحتذوا هذا المثال . كان ذلك أعظم أهمية بالنسبة الينا من الهجوم على هيس . ومهما يكن من أمر ، فاننا سوف نعبر عن آرائنا فيما يتعلق بموقف العمال من حكومة بروسيا بصورة مفصلة في مكان أخر .

«في رسالتك بتاريخ الرابع من شباط تقول إني أنا نفسي حذرت ليبكنخت ألا يتجاوز الحدود حتى لا يرسل الى الجحيم . صحيح تماماً . لكنني في الوقت نفسه كتبت اليه أن أي شيء يمكن أن يقال اذا هو وُضع في الشكل الصائب . ان شكلاً من المناظرة ضد الحكومة «ممكناً» حتى بالنسبة الى الدائرة البرلينية ليختلف كل الاختلاف من دون ريب عن المغازلة أو حتى عن مظهر التواطؤ مع الحكومة ؛ ولقد

---

(١) يقصد الاشعار بالتخلي عن التعاون مع هيئة تحرير الاشتراكي الديموقراطي .

(٢) المقالة الثالثة بقلم شوايتزر عن وزارة ببسمارك ، وقد ظهرت في الاشتراكي الديموقراطي بعد ما طلب ماركس من شوايتزر في رسالته اليه أن يضع حداً للغزل مع بسمارك .

كتبت اليك أنت نفسك أنه من واجب **الاشتراكي الديموقراطي** أن تتجنب مثل هذا المظهر .

«أرى من صحيفتك أن الوزارة تعبر عن نفسها بصورة مبهمة وتلعب لكسب الوقت فيما يتعلق بالغاء قوانين الائتلاف . وان برقية من **التايمس** تنقل من جهة ثانية أن الوزارة أعطت دلالة عن موقف وصائي حيال اقتراح لدعم الدولة للجمعيات التعاونية . ولن يدهشني مطلقاً أن تكون **التايمس** أبرقت بخبر صحيح ولو لمرة واحدة ، على سبيل الاستثناء !

ان الائتلافات والتريديونيونات النامية منها لهي ذات أهمية عظمى ، وليس من حيث هي مجرد وسيلة من أجل تنظيم الطبقة العاملة في سبيل النضال ضد البورجوازية . ان هذه الأهمية تبين ، مثلاً ، من حقيقة أنه حتى عمال الولايات المتحدة ، بالرغم من حق الانتخاب والجمهورية عندهم ، لا يستطيعون الاستغناء عنها . وان حق الائتلاف في بروسيا وفي ألمانيا عامة يعني فضلاً عن ذلك شرخاً في حكم الشرطة والبيروقراطية . إنه يمزق ارباً أحكام عمال المزارع(١) واشراف النبالة في المناطق الريفية . وباختصار ، فانه اجراء بقصد تحويل «الرعايا» الى مواطنين مكتملين يمكن للحزب التقدمي ، يعني أي حزب بورجوازي معارض غير مخبول ، أن يقبل به بالأحرى مائة مرة من الحكومة البروسية ، وقبل كل شيء حكومة بسمارك ! ومن جهة أخرى فان دعم الجمعيات التعاونية من قبل الحكومة الملكية البروسية ـ وكل من يعرف الشروط البروسية يعرف سلفاً الابعاد الهزيلة بالضرورة لمثل هذا الدعم ـ لا قيمة له على الاطلاق كإجراء اقتصادي ، بينما هو في الوقت نفسه يوسع نظام الوصاية ، ويفسد قسماً من العمال ، ويخصي الحركة . إن الحزب البورجوازي في بروسيا قد جر العار على نفسه وتسبب في بؤسه الحالي بصورة رئيسية لأنه اعتقد جاداً أن السلطة ستقع في أحضانه مع «العصر الجديد» بفضل الأمير الوصي على العرش . بيد أن الحزب العمالي سيجر على نفسه عاراً أعظم جداً اذا توهم أن التفاح المذهب ، في

---

(١) **أحكام عمال المزارع لعام ١٨٥٤** : أحد القوانين العديدة التي كانت تحرم العمال الزراعيين من أبسط الحقوق المدنية وكان هذا القانون ينص على معاقبة حتى من يحاول الاضراب .

عصر بسمارك أو أي عصر بروسي آخر ، سوف يتساقط في فمه بفضل الملك . أما أن خيبة الأمل سوف تعقب الوهم سيء الطالع للاسال بأن حكومة بروسية سوف تنفذ تدخلاً اشتراكياً ، فهذا أمر لا يطاله الشك مطلقاً . ان منطق الأشياء سوف يخبرنا . بيد أن شرف الحزب العمالي يتطلب أن يرفض مثل هذه الهلوسات حتى قبل أن تكشف التجربة عن فراغها . ان الطبقة العاملة ثورية أو هي لا شيء .»

حسن ! لقد رد على رسالتي هذه المؤرخة في الثالث عشر برسالته المؤرخة في الخامس عشر التي يطالب فيها بأن أتقيد بتكتيكه في جميع المسائل «العملية» ـ رد بمقالته بسمارك الثالث بوصفها مسطرة جديدة عن ذلك التكنيك !! وفي الحقيقة أنه يلوح لي الآن أن الطريقة الصفيقة التي طرح بها مسألة الاستقالة بمناسبة البيان ضد هيس لم تكن مسببة عن العطف على هيس بل عن عزم راسخ بألا يعطى أي مجال في أية ظروف في الاشتراكي الديمقراطي لما نصحنا به العمال الألمان .

وبالتالي ، فما دام لا بدّ لنا أن نقاطع هذا الفتى على أي حال ، فمن الأفضل أن يتم ذلك في الحال . وأما جماعة كنوتن الألمان ، فليصيحوا ما حلا لهم الصياح . ان العناصر النافعة من بينهم لا بدّ أن تنضم الينا عاجلاً أو آجلاً . فاذا وافقت على البيان الوارد أدناه ، فانسخه ، ووقعه ، وارسله الي . لقد تعجلت كتابته ، فغير اذن ما تجده غير موافق أو أعد كتابته كلياً اذا كنت تفضل ذلك .

المخلص

ك . م .

## ٧٣

## ماركس وانجلز

## الى هيئة تحرير «الاشتراكي الديمقراطي»

لندن ، في ٢٣ شباط ١٨٦٥

بيان

ان الموقعين أدناه وعدا بالتعاون مع الاشتراكي الديموقراطي وسمحا بأن ينشر

اسماهما كمتعاونين في التحرير على أساس الشرط الواضح بان تصدر الصحيفة بروح البرنامج القصير المنقول اليهما . ولم يقصرا لحظة واحدة في تقدير المركز الصعب للاشتراكي الديموقراطي ، وبالتالي لم يقدما أية مطالب غير مناسبة الى الدائرة البرلينية . لكنهما طالبا مراراً بأن تستخدم على الأقل لغة متساوية في الجرأة ضد الوزارة والحزب الاقطاعي المطلق كما حيال التقدميين . ان التكتيك المتبع من قبل **الاشتراكي الديموقراطي** يحول دون اشتراكهما اللاحق في عملها . ان رأي الموقعين أدناه في اشتراكية الحكومة البروسية الملكية وفي الموقف الصائب لحزب العمال حيال مثل هذا الوهم قد عولج مسبقاً بصورة مطولة في العدد ٧٣ من **دوتش بروسيلر زيتونغ** ، المؤرخ في ١٢ ايلول ١٨٤٧(١) ، رداً على العدد ٢٠٦ من **رينيشر بيوباختر** التي كانت تصدر وقتذاك في كولونيا ، وفيه اقترح قيام تحالف بين «البروليتاريا» و «الحكومة» ضد «البورجوازية الليبرالية» . إننا نؤيد بقوة في اليوم الراهن كل كلمة وردت في **بياننا** الصادر وقتذاك .

**فريديريك انجلز و كارل ماركس**

## ٧٤

## ماركس الى ل . كوغلمان

**لندن ، في ٢٣ شباط ١٨٦٥**

**صديقي العزيز**

تلقيت البارحة رسالتك بالغة الأهمية بالنسبة الي وسوف أجيب الآن عن النقاط المختلفة التي تطرحها .

قبل كل شيء سوف أصف باقتضاب موقفي من **لاسال** . بينما كان منخرطاً في التحريض علقت العلاقات بيننا : ١ ـ بسبب من تبجحه الذي ينضح بامتداح الذات والذي أضاف اليه الانتحال الأشد صفاقة من كتاباتي وكتابات الآخرين ؛ ٢ ـ لأنني **أدنت** تكتيكه **السياسي** ؛ ٣ ـ لأنني شرحت له ملياً و «أثبت» له هنا في

(١) اشارة الى مقالة ماركس : «**شيوعية رينيشر بيوباختر**»

لندن ، حتى **قبل** أن يباشر تحريضه ، أن تدخلاً **اشتراكياً** مباشراً من قبل «**دولة بروسيا**» هراء خالص . وفي رسائله الي (من ١٨٤٨ حتى ١٨٦٣) ، كما في لقاءاتنا الشخصية ، نادى بنفسه دائماً نصيراً للحزب الذي أمثله . وحالما اقتنع في لندن (أواخر عام ١٨٦٢) أنه لايستطيع أن يلعب ألاعيبه **معي** قرر أن يتقدم على اعتباره «دكتاتور العمال» **ضدي** وضد الحزب القديم . وعلى الرغم من ذلك كله أعترف بخدماته بوصفه **محرضاً** ، وان يكن حتى ذلك التحريض قد تراءى لي ، حوالي أواخر سيرته القصيرة ، أنه يتخذ طابعاً متزايد الابهام . وإن موته المفاجىء ، والصداقة القديمة ، ورسائل الحداد من الكونتسة هاتزفيلد ، والسخط على **الوقاحة الجبانة** للصحافة البورجوازية حيال امرىء كان خوفها منه عظيماً جداً أثناء حياته ـ هذا كله حفزني لاصدار بيان قصير ضد بليند البائس ، وهو بيان لم يعالج على أية حال **جوهر** أعمال لاسال . (ان هاتزفيلد قد ارسلت البيان الى **نجمة الشمال** (١)) . وللأسباب نفسها ، وأملاً في التمكن من القضاء على العناصر التي كانت تبدو خطيرة لي ، وعدنا انجلز وأنا بالاسهام في **الاشتراكي الديموقراطي** (كانت قد نشرت ترجمة **للنداء**(٢) ، وقد كتبت **بطلب** منها مقالة عن برودون بمناسبة وفاته) وسمحنا ، بعدما أرسل شوايتزر الينا **برنامجاً مرضياً لهيئة تحريرها** ، بأن ينشر اسمينا على اعتبارنا مساهمين في التحرير . ولقد كانت لدينا ضمانة أخرى في وجود و . **ليببكنخت** على اعتباره عضواً غير رسمي في هيئة التحرير . ومهما يكن من أمر ، فسرعان ما اتضح ـ ولقد وقعت الاثباتات بين أيدينا ـ أن لاسال قد **خان** الحزب في واقع الأمر . لقد دخل في اتفاق نظامي مع بسمارك (**طبعاً دون** أن يملك **أي** نوع من الضمانات بين **يديه**) . وكان عليه أن يقصد هامبورغ في أواخر ايلول ١٨٦٤ وأن «**يجبر**» هناك (هو وذلك المجنون شرام وجاسوس الشرطة البروسية مار) بسمارك على ضم شليسويغ ـ هولشتاين ، يعني أن يعلن ضمها باسم «العمال» ، الخ ، وقد وعد بسمارك لقاء ذلك بالاقتراع العام وبعض الشعوذات الاشتراكية . ومن المؤسف أن لاسال لم يستطع أن

---

(١) **نجمة الشمال** : صحيفة اسبوعية لاسالية الاتجاه صدرت في هامبورغ من ١٨٦٠ حتى ١٨٦٦ .
(٢) اشارة الى النداء الافتتاحي الشغيلة الأممية .

يمثل المسرحية حتى النهاية . كان ذلك يظهره سخيفاً وأحمق بصورة بغيضة ! وكان ذلك يضع حداً الى الأبد لجميع المحاولات من هذا النوع .

لقد ضل لاسال بهذه الطريقة لأنه كان «سياسياً عملياً» من نمط الهر ميكل ، لكن مسبوكاً في قالب أكبر وبأهداف أعظم . (والشيء بالشيء يذكر ، فقد سبرت أعماق ميكل بما فيه الكفاية قبل زمن طويل كي أفسر أقواله العامة بحقيقة أن الاتحاد الوطني قدم وسيلة ممتازة من أجل محام هانوفري حقير ليُسمع صوته في ألمانيا خارج جدرانه الأربعة الخاصة ، وبذلك يجعل «حقيقته» المعززة ترسخ بصورة رجعية المفعول في موطنه الهانوفري ، لاعبا دور ميرابو «الهانوفري» تحت رايات «بروسية») . وكما أن ميكل وأصدقاءه الحاليين انتهزوا فرصة «العصر الجديد» الذي افتتحه الأمير البروسي الوصي على العرش كيما ينضموا الى الاتحاد الوطني ويحثوا الخطى الى «القمة البروسية» ، وكما نشروا «كبرياءهم المدنية» تحت رايات بروسية عامة ، كذلك شاء لاسال أن يلعب دور المركيز بوزا للبروليتاريا مع فيليب الثاني من يوكرمارك ، وبسمارك يقوم بدور القواد بينه وبين المملكة البروسية . إنه لم يفعل سوى تقليد السادة الذين من الاتحاد الوطني . لكن فيما كان هؤلاء يستنجدون «بالرجعية» البروسية في مصلحة الطبقة الوسطى ، كان لاسال يصافح بسمارك في مصلحة البروليتاريا . ولقد كان هؤلاء السادة محقين أكثر من لاسال ، وذلك بقدر ما اعتاد البورجوازي أن يعتبر المصلحة التي تحت أنفه مباشرة على أنها «الحقيقة الواقعة» ، وبقدر ما عقدت هذه الطبقة مواطأة في كل مكان ، حتى مع الاقطاعية ، في حين أنه يجب بطبيعة الأمور على الطبقة العاملة أن تكون «ثورية» بكل اخلاص .

وبالنسبة الى شخصية مسرحية مغرورة مثل لاسال (الذي ما كان يمكن على أية حال أن يرتشي بالنفايات الحقيرة ، مثل المنصب ، أو الولاية ، الخ .) ، فقد كانت فكرة مغرية حتى الدرجة القصوى : عمل يتم بالاصالة عن البروليتاريا مباشرة ، ينفذه فرديناند لاسال ! ولقد كان في واقع الأمر أعظم جهلاً بالشروط الاقتصادية الفعلية المطلوبة من أجل مثل هذا العمل كي يكون نقدياً تجاه نفسه . وبالمقابل فقد كان العمال الألمان في حالة شديدة من «الانحطاط المعنوي» من جراء « السياسة

**العملية**» الحقيرة التي حفزت البورجوازية الألمانية على التغاضي عن رجعية الأعوام **١٨٤٩ ـ ١٨٥٩** والتساهل حيال تخبيل الشعب حتى لا يهللوا لمثل هذا المخلص الدجال الذي وعد بأن يحملهم بقفزة واحدة الى الأرض الموعودة .

حسناً ، لنلتقط من جديد الخيط الذي انقطع أعلاه . ما كادت **الاشتراكي الديموقراطي** تؤسس حتى أصبح واضحاً أن هاتزفيلد العجوز أرادت أخيراً أن تنفذ «إرادة لاسال الأخيرة ووصيته» . لقد اتصلت ببسمارك بواسطة ويجنر (**من كروز زيتونغ**) . ولقد وضعت تحت تصرفه «رابطة العمال» (**الرابطة العامة للعمال الألمان**) ، **والاشتراكي الديموقراطي** ، الخ . وكان إلحاق شليسويغ ـ هو لشتاين سيعلن في **الاشتراكي الديموقراطي** ، وبسمارك سيعترف به بصورة عامة على أنه المعلم ، الخ . ولقد **أحبط** المشروع الرائع بأسره لأنه كان لدينا ليبكنخت في برلين وفي هيئة تحرير **الاشتراكي الديموقراطي** . وعلى الرغم من أن انجلز وأنا لم نكن مسرورين من هيئة تحرير الصحيفة ، من عبادتها المتزلفة للاسال ، ومن مغازلتها العارضة لبسمارك ، الخ . فقد كان من الأهم طبعاً أن نقف بصورة علنية في ذلك الوقت الى جانب الصحيفة كي نحبط مكائد هاتزفيلد العجوز ونمنع تعرض حزب العمال للشبهة التامة . وهكذا[1] bonne mine a mauvais jeu ، بالرغم من أننا كنا نكتب سراً الى **الاشتراكي الديموقراطي** بصورة دائمة بأن من واجبهم أن يعارضوا بسمارك بقدر ما يعارضون التقدميين بالضبط . بل لقد صبرنا على مكائد ذلك الأحمق المغرور بيرنهارد بيكر ـ الذي ينظر الى الأهمية التي أورثها لاسال له بصورة جدية تماماً ـ **ضد رابطة الشغيلة الأممية** .

وفي هذه الأثناء أصبحت مقالات الهر شوايتزر في **الاشتراكي الديموقراطي** بسماركية أكثر فأكثر . ولقد سبق أن كتبت اليه أن التقدميين يمكن **إخافتهم** بشأن «مسألة الائتلافات» ، لكن **الحكومة البروسية في أية ظروف لن تمنح قط** الالغاء التام لقوانين الائتلاف ، لأن ذلك سيتضمن إحداث شرخ في البيروقراطية ، **وسيجعل العمال** بالغين سن الرشد بصورة قانونية ، وسيمزق الأنظمة المتحكمة في

---

(١) يظهر غير ما يبطن .

عمال المزارع ، ويلغي جلد الأرستقراطية للأتباع في الريف ، الخ ، الخ ، **الأمور التي** لن يسمح بسمارك بها قط والتي تتنافر كلياً مع الدولة البروسية **البيروقراطية** . وأضفت أنه اذا رفض المجلس قوانين الائتلاف ، فان الحكومة سوف تلجأ الى **العبارات** (مثلاً عبارات من نمط أن المسألة الاجتماعية تتطلب اجراءات «أشد تطرفاً» ، الخ) كيما تضبطهم . ولقد تبين أن ذلك كله كان صحيحاً . وما الذي فعله الهر فون شوايتزر ؟ انه يمضي ويكتب مقالة **من أجل** بسمارك ويحتفظ بكل كلماته الطنانة ضد أناس ضئيلين بصورة لا متناهية من نمط شولز ، وفوشيه ، الخ .

أعتقد ان لدى شوايتزر والآخرين نوايا **شريفة** ، لكنهم «**سياسيون عمليون**» . انهم يريدون أن يأخذوا **الظروف القائمة** بعين الاعتبار ويرفضون أن يسلموا **هذا الامتياز** الخاص «بالسياسة العملية» للسادة ميكل وشركاه لاستخدامهم الحصري . (يبدو أن هؤلاء الأخيرين يريدون أن يحتفظوا لأنفسهم بحق الامتزاج مع الحكومة البروسية .) انهم يعرفون أن الصحافة العمالية والحركة العمالية لا تستمران في بروسيا (وبالتالي في بقية ألمانيا) الا بفضل الشرطة . وهكذا فهم يريدون أن يأخذوا الأشياء كما هي قائمة ، وألا يغيظوا الحكومة ، الخ ، بالضبط مثل أصحابنا السياسيين العمليين «**الجمهوريين**» ، الراغبين في أن «يصطحبوا» **امبراطوراً** من آل هوهنزولرن . لكن بما أنني لست «سياسياً عملياً» فقد وجدت مع انجلز أنه من الضرورة بمكان إعلام **الاشتراكي الديموقراطي** في بيان علني (من المرجح أنك ستراه عاجلاً في صحيفة ما) بنيتنا في التحرر من التزامنا .

ولسوف تفهم في الوقت نفسه السبب في أنني لا أستطيع في الوقت الراهن أن أصنع شيئاً في بروسيا . لقد رفضت الحكومة هناك بصرامة إعادتي إلى وطني بصفتي **مواطناً** بروسياً ، كما لن يسمح لي **بالتحريض** هناك إلا في شكل مقبول من الهر فون بسمارك .

اني أفضل بمائة مرة تحريضي هنا بواسطة **الرابطة الأممية** . إن نفوذها على البروليتاريا **الانكليزية** مباشر وبالغ الأهمية . واننا لنقوم بنشاط هنا بشأن مسألة الاقتراع العام التي تملك هنا بالطبع **معنى يختلف كلياً** عن المعنى الذي تملكه في بروسيا .

وعلى العموم فان تقدم هذه «الرابطة» **يتجاوز كل التوقعات** هنا وفي باريس وفي بلجيكا وفي سويسرا وفي ايطاليا . وفي ألمانيا وحدها ، بالطبع ، يعارضني خلفاء لاسال الذين : ١ ـ يخافون بصورة حمقاء من فقدان أهميتهم ؛ ٢ ـ يعون معارضتي الصريحة لما يسميه الألمان «السياسة العملية» . (ان مثل هذا النوع من «**العملية**» هو الذي يضع ألمانيا بعيداً جداً خلف البلدان المتحضرة) .

ما دام كل انسان يدفع شلناً من أجل بطاقة يستطيع أن يصبح عضواً في الرابطة ، وما دام الفرنسيون قد اختاروا هذا الشكل من العضوية الفردية (ومثلهم البلجيكيون) ، لأن القانون يمنعهم من الانتساب الينا بوصفهم «رابطة» ، وما دامت الأوضاع مماثلة في ألمانيا ، فقد قررت الآن أن أطلب من أصدقائي هنا وفي ألمانيا أن يشكلوا جمعيات صغيرة ـ ولا أهمية لعدد الأعضاء في كل محلة ـ وأنه على كل عضو أن يحصل على بطاقة عضوية انكليزية . وما دامت الجمعية الانكليزية **علنية** ، فليس ما يقف في سبيل اتباع مثل هذا الاجراء ، حتى في فرنسا . واني لأكون سعيداً اذا ما أقمت أنت والناس المقربون اليك الاتصال مع لندن بهذه الطريقة .

شكراً من أجل وصفتك . من الغريب حقاً ان المرض المقرف بدأ من جديد ثلاثة أيام قبل وصول وصفتك . وهكذا جاءت في الوقت المناسب تماماً .

سوف أرسل اليك خلال أيام قليلة **٢٤ نداء** اضافياً . لقد قاطعني للفور في كتابتي أحد الأصدقاء ، ولما كنت أحب أن أبعث بهذه الرسالة فسوف أرد على النقاط الأخرى في رسالتك في مرة أخرى .

المخلص

ك . م .

## ٧٥

## انجلز الى ف . ا . لانج

**مانشستر ، في ٢٩ آذار ١٨٦٥**

سيدي العزيز

أستميحك العذر جداً لتقصيري كل هذا الوقت في الرد على رسالتك الودية المؤرخة

في الثاني والرابع منه . لكن أرجوك ألا تحكم علي غيابياً . لقد كنت خلال الأيام القليلة الأولى مشغولاً جداً ، من جهة بالأعمال الجارية التي تراكمت ، ومن جهة أخرى بالمراسلات العاجلة الهائلة التي تبرز دائماً على نحو غير متوقع عندما يظهر المرء فجأة أمام الجمهور مرة أخرى otium cum (vel sine) dignitate(١) ويكون قد خاض مثل تلك المغامرات الطريفة كما حدث لنا مع تلك **الاشتراكي الديموقراطي** الصغيرة اللطيفة . وفوق ذلك كله جاء تبديل للمسكن شوش مصنفاتي نوعاً ما لفترة قصيرة من الزمن ، بحيث ضاعت رسالتك . ولقد وجدتها من جديد قبل البارحة فقط وأسرع الآن للرد عليها .

إني شاكر لك جداً عرضك الودي أن ترسل الى ماركس والي مجلتك **ابو الهول** والمنشورات الأخرى . ان صاحب المكتبة الذي اتعامل معه هنا هو السيد فرانز كيم ، مانشستر ، الذي يمكنك بواسطته أن ترسل الي ما تشاء . ان الطريق الى صاحب المكتبة قد استغرقت حتى الآن ٣ ـ ٤ أسابيع كقاعدة . فإذا كان في مقدورك ان تبعث الي بالبريد الأعداد القليلة الأولى على الأقل مفتوحة ، على اعتبارها مواد مطبوعة (لن تكلف كثيراً) ، فاني سأكون ممتناً لك كل الامتنان وسوف أرد اليك نفقاتك بكل سرور . وأرجو أن ترسل الى هذا العنوان بالذات كل الأشياء المخصصة لماركس ، وهو سيحصل عليها خلال اثنتي عشرة ساعة من تسلمها . وكما تدرك أنت نفسك بكل صواب فانه من المحال عليّ أن أقدم اليك الآن أية وعود فيما يتعلق بأي تعاون في وقت لاحق . فلتبق هذه المسألة مفتوحة في الوقت الراهن ، وان لم نكن نتعرض معك على أي حال لخطر الأشتباه في نيتنا السيطرة من انكلترا على أي قسم من البروليتاريا في ألمانيا .

وفي هذه الأثناء ، فأن تأخري غير الاداري في الجواب منحني الفرصة من أجل الحصول على كتابك عن مسألة العمل ؛ ولقد قرأته باهتمام كبير (٢) . لقد دهشت أنا

---

(١) بعد فترة طويلة من الراحة قضاها بطريقة فاضلة (أو غير فاضلة)

(٢) إشارة الى كتاب ف . أ . لانج **مسألة العمل وأهميتها من أجل الحاضر والمستقبل** . لقد وصف انجلز الكتاب كما يلي في رسالته الى ماركس بتاريخ ١١ آذار ١٨٦٥ : «أرسل سيبيل الي كراسة لانج . مضطربة : المالتوسية ممتزجة بالدارونية ؛ يغازل الجوانب جميعاً ـ بيد أن فيها بعض الأشياء الظريفة ضد لاسال واولئك الفتيان أصحاب التعاونيات الاستهلاكية البورجوازية . سوف أرسلها اليك خلال يومين» .

الآخر ، لدى قراءتي الأولى لداروين ، للشبه المرموق بين تفسيره للحياة النباتية والحيوانية والنظرية المالتوسية . غير أنني انتهيت الى استنتاج يختلف عن استنتاجك ، ألا وهو أنه ليس ما يشين التطور البورجوازي الحديث قدر حقيقة أنه لم يتجاوز بعد أشكال العالم الحيواني الأقتصادية . وبالنسبة الينا فان ما يسمى «القوانين الاقتصادية» ليست قوانين أزلية للطبيعة بل قوانين تاريخية تنشأ وتزول ، ومدونة الاقتصاد السياسي الحديث ، بقدر ما رسمها الاقتصاديون بموضوعية صالحة ، هي بالنسبة الينا مجرد خلاصة للقوانين والشروط التي يمكن في ظلها وحدها للمجتمع البورجوازي أن يوجد ـ باختصار شروط انتاجه ومبادلته وقد لخصت وتم التعبير عنها بطريقة مجردة . وبالتالي فان أياً من هذه القوانين ، بالنسبة الينا ، بقدر ما يعبر عن **علاقات بورجوازية خالصة** ، ليس أقدم من المجتمع البورجوازي الحديث ؛ أما تلك القوانين التي كانت حتى الآن صالحة أكثر أو أقل عبر التاريخ بأسره فانها لا تعبر بصورة فعلية الا عن تلك العلاقات المشتركة بين شروط كل مجتمع قائم على الحكم الطبقي والاستغلال الطبقي . والى الفئة الأولى ينتسب ما يسمى قانون ريكاردو ، الذي لا يصح لا لنظام الرق الاقطاعي ولا للعبودية القديمة ؛ والى الفئة الأخيرة ينتسب ما يمكن الدفاع عنه فيما يسمى النظرية المالتوسية .

ولقد سرق القس مالتوس نظريته ، مثلها كمثل جميع أفكاره الأخرى ، من سابقيه بصورة مباشرة ؛ وان كل ما يخصه هو التطبيق الاعتباطي للمتتاليتين . وان النظرية نفسها قد أرجعت قبل زمن طويل في انكلترا الى حدود معقولة من قبل الاقتصاديين ؛ ان ضغط السكان لا يقع على وسائط المعيشة بل على وسائط **الاستخدام** ؛ وان في مكنة الجنس البشري أن يتكاثر بأسرع مما يستطيع المجتمع البورجوازي الحديث أن يتطلب ؛ وذلك سبب آخر بالنسبة الينا للمناداة بهذا المجتمع البورجوازي عقبة في سبيل التطور ينبغي أن تسقط .

وانك لتسأل أنت نفسك كيف يمكن تحقيق الانسجام بين زيادة السكان وزيادة وسائط المعيشة ؛ لكنني لا أجد أية محاولة من أجل حل المسألة ، باستثناء جملة واحدة في المقدمة . إننا ننطلق من المقدمة بأن نفس القوى التي خلقت المجتمع البورجوازي الحديث ـ الآلة البخارية ، والآلات الحديثة ، والاستعمار الكتلي ، والخطوط الحديدية ،

والبواخر ، والتجارة العالمية ـ والتي جعلت تعمل منذ الآن ، من خلال الازمات التجارية الدائمة ، على خرابه ودماره الأخير ـ أن وسائط الانتاج والمبادلة هذه سوف تكفي من أجل قلب العلاقة خلال زمن قصير ، ومن أجل رفع القوة الانتاجية لكل فرد حتى درجة كبيرة بحيث يمكنه أن ينتج ما يكفي من أجل استهلاك فردين أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة أو ستة أفراد ؛ وأن صناعة المدينة سوف تكون قادرة على توفير ما يكفي من الناس كي تمنح الزراعة قوى مختلفة كلياً عما توفرها حتى الآن ؛ وأن العلم أيضاً سوف يطبق اذن أخيراً على الزراعة على نطاق واسع وبمثل الثبات الذي يطبق به في الصناعة ؛ وأن استثمار المناطق التي لا تنضب والتي أخصبتها الطبيعة نفسها في جنوبي شرقي اوروبا وأميركا الغربية سوف ينفذ على نطاق رائع مجهول كلياً حتى الوقت الراهن . ولن يأتي الوقت من أجل دق الانذار الا عندما تكون جميع هذه المناطق قد فلحت ، وحدث العجز مع ذلك .

ان قدراً قليلاً جداً ينتج ـ تلك هي المشكلة كلها . لكن **لماذا** يُنتج قدر قليل جداً ؟ ليس لأن حدود الانتاج ـ حتى في اليوم الراهن وبالوسائل المتوفرة حالياً ـ قد استنفدت . لا ، بل لأن حدود الانتاج لا يحددها عدد المعد الجائعة بل عدد **المحافظ** القادرة على الشراء وعلى الدفع . ان المجتمع البورجوازي لا يريد ولا **يستطيع** أن يريد أن ينتج المزيد . إن العمال أصحاب المعد الفارغة الذين لا يملكون مالاً ، والذين لا يمكن استخدام عملهم **بصورة مربحة** والذين ليسوا قادرين اذن على الشراء ، يسقطون في رقم الوفيات . فليجعل ازدهار اقتصادي مفاجيء ، كما يحدث بين الحين والحين ، عمل هؤلاء العمال قابلاً للاستخدام بصورة مربحة ، فإذا هم يكسبون ما يكفي من المال كي يشتروا ، وعندئذ لا يحدث النقص في وسائل المعيشة . تلك هي الدائرة السيئة التي لا نهاية لها والتي كان النظام الاقتصادي بأسره يدور فيها : ان المرء ليفترض مسبقاً الشروط البورجوازية ككل واحد ، ومن ثم يثبت أن كل جزء منها جزء ضروري ـ وبالتالي قانون أزلي .

لقد سررت جداً بوصفك لتعاونيات شولز(١) . إن كل هذا النوع من الأمور كان

---

(١) إشارة الى الجمعيات التعاونية التي أسسها في الستينات من القرن التاسع عشر شولزـ ويليتش الذي سعى ،

موجوداً ههنا بطريقته الخاصة . لكنه بات الآن أكثر أو أقل من التاريخ الماضي . ولا بدَّ بعد للناس في ألمانيا من اكتساب الكبرياء البروليتارية .

ولا يمكنني ان أغض النظر عن ملاحظة قدمتها عن هيغل العجوز الذي افتقر كما تقول الى المعلومات العميقة في الرياضيات والعلوم الطبيعية . لقد كان هيغل يعرف قدراً كبيراً من الرياضيات حتى أن أياً من تلامذته لم يكن على مستوى مهمة نشر المخطوطات الرياضية العديدة التي خلفها . وان الرجل الوحيد الذي أعرف أنه يفهم ما يكفي من الرياضيات والفلسفة للقيام بهذا العمل هو ماركس. وإني لأسلم معك طبعاً بكل طيبة خاطر بما في فلسفة الطبيعة عند هيغل من سخافات تفصيلية ، لكن فلسفته الطبيعية **الحقيقية** هي في القسم الثاني من كتابه **المنطق** ، في مذهب الماهية ، اللب الحقيقي للنظرية بكاملها . بيد أن المذهب العلمي الحديث عن ارتباط القوى الطبيعية (غروف ، **ترابط القوى** ، الذي أعتقد أنه ظهر للمرة الأولى عام ١٨٣٨) انما هو بعد كل شيء تعبير آخر ، أو بالأحرى البرهان الايجابي ، عن محاكمات هيغل بشأن السبب والنتيجة والترابط والقوة ، الخ . ومن المؤكد أني لست هيغلياً بعد الآن ، لكنني لا أبرح أنطوي على شعور عظيم من الولاء والاخلاص نحو العجوز العملاق .

المخلص لك كلياً

**فريديريك انجلز**

## ٧٦

## ماركس الى انجلز

**[لندن] ، الأول من أيار ١٨٦٥**

ان النجاح العظيم للرابطة العمالية هو التالي : ان عصبة الاصلاح من عملنا (١) .

---

بواسطة الدعاية للتعاونيات وجمعيات الائتمان والقروض ، الى إلهاء العمال الألمان عن النضال الطبقي وإخضاع الحركة العمالية للنفوذ البورجوازي .

(١) **عصبة الاصلاح** هي المركز الذي قاد حركة العمال السياسية من أجل الاصلاح الثاني من أجل الانتخاب ، وقد أسسها المجلس العام للأممية الأولى في شباط ١٨٦٥ . ولقد كانت عصبة الاصلاح ، على خلاف المطلب البورجوازي بألا يشمل حق الانتخاب سوى أصحاب البيوت الذين يدفعون ضريبة الفقراء ، تنادي بناء على اصرار ماركس بالمبدأ الميثاقي عن الاقتراع العام للرجال .

وان الشغيلة في لجنة الاثني عشر الداخلية (٦ من الطبقة المتوسطة و ٦ شغيلة) هم جميعاً أعضاء في مجلسنا (بما فيهم ايكاريوس) . ولقد رددنا جميع محاولات الطبقة المتوسطة من أجل تضليل الطبقة العاملة . وان الحركة في الاقاليم تابعة كلياً في هذا الوقت للحركة في لندن . ومثال ذلك أن ارنست جونس قد كان يائساً حتى باشرنا الحركة . واذا نحن نجحنا في كهربة الحركة السياسية للطبقة العاملة الانكليزية من جديد ، فان رابطتنا ، دونما أي اطراء ، ستكون قد صنعت للطبقة العاملة في اوروبا أكثر مما كان ممكناً بأية طريقة أخرى . وان هناك كل امكانية للنجاح ...

## ٧٧

# ماركس الى انجلز

**[لندن] ، في ٢٠ أيار ١٨٦٥**

... جلسة خاصة للأممية هذا المساء . ان عجوزاً طيباً ، نصيراً قديماً لأوين ، ويستون (نجار) قد قدم الاقتراحين التاليين اللذين يدافع عنهما باستمرار في بيهايف :

١ ـ ان ارتفاعاً عاماً في نسبة الأجور لن يعود على العمال بأية منفعة ؛

٢ ـ أنه بالتالي ، الخ ، فان للتريديونيون أثراً ضاراً .

واذا قبل هذان الأقتراحان ، وهو الشخص الوحيد في جمعيتنا الذي يؤمن بهما ، فسوف نكون موضع السخرية سواء بسبب التريديونيون هنا أم بسبب داء الاضرابات المتفشي حالياً في القارة .

وبهذه المناسبة ـ نظراً لأن غير الأعضاء يمكن قبولهم في هذا الأجتماع ـ فانه سيلاقي التأييد من قبل رجل انكليزي المولد كتب كراسة بالمعنى نفسه . ومن الطبيعي أنه ينتظر مني أن أقدم دحضي لذلك . ولذا فان علي فعلياً أن أهيىء ردي لهذا المساء ، لكنني أعتقد أن الكتابة في كتابي (١) أهم من ذلك ، ولذا لا بدَّ لي أن اعتمد على الارتجال(٢) .

---

(١) يقصد ماركس **رأس المال** ، الكتاب الأول .

(٢) قدم ماركس ، دحضاً لمقترحات ويستون ، بياناً في جلستين للمجلس العام ، في ٢٠ و٢٧ حزيران ١٨٦٥ ، يعرف اليوم

واني لأعرف بالطبع ، سلفاً ، ما هما النقطتان الرئيسيتان :

١ ـ أن الأجور تحدد قيمة السلع ؛

٢ ـ أن الرأسماليين اذا دفعوا خمسة شلنات بدلاً من أربعة اليوم ، فانهم سيبيعون سلعهم بخمسة شلنات بدلاً من أربعة غداً (يمكّنهم من ذلك الطلب المتزايد) .

وعلى الرغم من تفاهة ذلك ، اذ هو لا يرتبط الا بالمظهر الخارجي الأعظم سطحية ، فليس من السهل مع ذلك أن تشرح لأناس جاهلين جميع المسائل الاقتصادية التي تتبارى هنا . انك لا تستطيع أن تضغط مبحثاً في الاقتصاد السياسي في ساعة واحدة . لكننا سنبذل قصارى جهدنا .

يرى ادغار (١) أنه نذير طيب أنك كنت أول رجل يصادفه في انكلترا . لقد تركت ليزي (٢) فيه انطباعاً جيداً جداً .

تحياتي

المخلص

ك .م .

باسم الأجور والسعر والربح .

(١) أخو جيني ماركس .

(٢) زوجة انجلز الثانية .

## ١٨٦٦

## ٧٨

## ماركس الى ل . كوغلمان

**لندن ، في ١٥ كانون الثاني ١٨٦٦**

**صديقي العزيز**

أفضل تمنياتي للسنة الجديدة وشكري الجزيل لرسالتك اللطيفة .

يجب أن تعذر اقتضاب هذه الأسطر لأني مرهق بالعمل في هذا الحين . سأكتب بمزيد من التطويل في المرة القادمة .

تجد طيه بطاقتي عضوية ، وسوف أخبرك في رسالتي القادمة بالمسائل التي تنبغي معالجتها في المؤتمر العام في جنيف في أواخر أيار .

لقد حققت رابطتنا تقدماً عظيماً . ان لديها منذ الآن ثلاث صحف رسمية : الواحدة في لندن ، **نصير العمال** ، والثانية في بروكسل ، **منبر الشعب** ، والثالثة يصدرها الفرع الفرنسي في سويسرا ، **صحيفة الرابطة الأممية للشغيلة ، فرع سويسرا الرومانية** (جنيف) ، في حين أن صحيفة يصدرها الفرع السويسري الألماني ، **في العمل** ، سوف تظهر خلال أيام قليلة ويرأس تحريرها **ج . ب . بيكر** (العنوان : شارع دي مول ، رقم ٦ ، جنيف ، ج . ب . بيكر ، فيما اذا أحببت أن ترسل اليه بعض الاسهامات من وقت لآخر ، السياسية منها والاجتماعية) .

لقد نجحنا في أن نجر الى الحركة المنظمة العمالية الوحيدة الكبيرة فعلياً ، «**التريديونيون**» الأنكليزية التي كانت تعنى من قبل بمسائل الأجور **على وجه الحصر** . وان الجمعية الأنكليزية التي أسسناها من أجل تحقيق **الاقتراع العام** (ان نصف لجنتها المركزية تتألف من عمال ـ أعضاء في لجنتنا المركزية) قد عقدت بمساعدتها اجتماعاً عملاقاً قبل أسابيع قليلة لم يتحدث فيه الا العمال . ويمكن ان

نحكم على أثر ذلك بحقيقة ان **التايمس** عالجت الاجتماع في افتتاحيتين في عددين متتاليين .

أما بخصوص كتابي ، فاني أشتغل اثنتي عشرة ساعة يومياً في كتابة النسخة النظيفة . وأعتقد أني سأحمل مخطوطة الكتاب الأول بنفسي الى هامبورغ في آذار ، وأنتهز الفرصة لرؤيتك ...

## ٧٩

## انجلز الى ماركس

**[مانشستر] ، في ١٣ نيسان ١٨٦٦**

وهكذا وجه بسمارك ضربة اقتراعه العام(١) وان يكن بدون صاحبه لاسال . ويبدو كأن البورجوازيين الألمان سيوافقون عليه بعد بعض المقاومة ، ذلك أن البونابرتية هي في آخر الأمر الديانة الفعلية للبورجوازية الحديثة . وانه ليتضح لي أكثر فأكثر أن البورجوازية لا تملك في ذاتها القدرة على الحكم هي نفسها بصورة مباشرة ، وبالتالي فان نصف دكتاتورية بونابرتية هي الشكل الطبيعي حيث لا توجد اوليغارشية ، كما هي الحال هنا في انكلترا ، تأخذ على عاتقها ، لقاء أجر جيد ، أمر تدبير الدولة والمجتمع في مصلحة البورجوازية . انها تدافع عن المصالح المادية الكبرى للبورجوازية حتى ضد ارادة البورجوازية ، لكنها لا تمنح البورجوازية أي نصيب في سلطان الحكم . وان الدكتاتورية بدورها لمجبرة ضد ارادتها على تبني هذه المصالح المادية للبورجوازية على اعتبارها مصالحها الخاصة . وهكذا نحصل الآن على مسيو بسمارك وقد تبنى برنامج الاتحاد الوطني . أما تنفيذه فشيء يختلف كل الاختلاف بالطبع ، لكن ليس من المتوقع أن يخفق بسمارك بسبب من البورجوازية الألمانية . وان المانياً رجع لتوه يروي أنه وجد سلفاً الكثيرين ممن يبتلعون هذا الطعم ؛ ووفقاً لرويتر ، فان شعب كارلسروه وافق على القضية ، والحيرة العميقة **لكولنيشه زيتونغ**

---

(١) يشير انجلز الى المشروع الذي طرحه بسمارك أمام الجمعية الاتحادية لدعوة برلمان على أساس الاقتراع العام يوافق على اصلاح للدستور الفيدرالي . وكان اقتراح بسمارك يستهدف تأمين تأييد الجماهير الشعبية في الحرب العتيدة ضد النمسا .

من جراء هذه القضية تشير بكل وضوح الى تحول الأحداث الوشيك ...

## ٨٠

## ماركس الى انجلز

**[لندن] ، في ٧ حزيران ١٨٦٦**

...وهكذا فالحرب آتية في آخر الأمر الا اذا حدثت معجزة ما . ولا بدّ للبروسيين أن يكفروا بعد عن تبجحهم ، وعلى أي حال فالشاعرية في ألمانيا باتت شيئاً من الماضي . ان العصابة البرودونية بين الطلاب في باريس (**كوريه فرانسي**) تبشر بالسلام ، وتنادي بأن الحرب زائلة وبأن القوميات سخف ، وتهاجم بسمارك وغاريبالدي ، الخ . وإن أفعالهم مفيدة وقابلة للتفسير من حيث هي مساجلات ضد الشوفينية . لكنهم مضحكون من حيث هم مؤمنون ببرودون (ان لافارغ ولونفيه ، وهما صديقان حميان لي هنا ، ينتسبان اليهم أيضاً) يعتقدون ان اوروبا بأسرها يجب وسوف تجلس على مؤخرتها حتى يلغي السادة في فرنسا «الفقر والجهل» اللذين يكدون هم أنفسهم في ظل الأخير منهما بصورة متناسبة طرداً مع صراخهم عن «العلم الاجتماعي» ...

## ٨١

## ماركس الى انجلز

**[لندن] ، في ٢٠ حزيران ١٨٦٦**

**عزيزي فريد**

ان الطقس الكريه قاتل بصورة خاصة بالنسبة الى بنيتي ، وهذا هو السبب في أنني لم أعلمك بعد عن استلام «الخمرة» كما لم أكتب اليك بخصوص أي شيء آخر . ليس ثمة ما يعمل بشأن قدومي الى مانشستر لأنني لا استطيع مغادرة البيت في حالتي الراهنة . وفضلاً عن ذلك ، فلا بدَّ من وجودي هنا بسبب الأممية ، ما دام أصدقائي الفرنسيون قد انتهزوا فرصة غيابي مرة ليرتكبوا بعض الأفعال الحمقاء في هذه الظروف العصيبة باسم الرابطة .

فيما يتعلق بالصحف هنا ، ففي رأي أنه اذا لم يترتب شيء على قضية مانشستر تلك فان أفضل ما يمكنك عمله هو أن ترسل الى **التايمس** مقالة عسكرية لاذعة ، مقدماً نفسك على أنك المراسل الانكليزي **لمجلة دارمستادت العسكرية** . لا تدع أية اعتبارات سياسية تعترض سبيلك ، طالما أن صحف لندن سواء في الرداءة وان الفكرة هي الحصول على أوسع دعاية ممكنة .

وعليك الآن أن تحيطني علماً «بصورة نقدية» عن الأمور في ايطاليا وألمانيا .

جرت البارحة مناقشة في مجلس الأممية بخصوص الحرب الراهنة . لقد أعلن مسبقاً عن المسألة وكان مركزنا شديد الازدحام ، كما أرسل السادة الايطاليون مندوبين أيضاً . ولقد اختتمت المناقشة ، كما كان متوقعاً ، «بمسألة القومية» عامة والموقف الذي نتخذه حيالها . ولقد أجّل هذا الموضوع حتى يوم الثلاثاء القادم .

وقد أطلق الفرنسيون ، الذين كانوا ممثلين بعدد كبير ، العنان لكراهيتهم الودية حيال الايطاليين .

وفيما عدا ذلك ، فان ممثلي «**فرنسا الفتاة**» (**غير العمال**) تقدموا باعلان أن جميع القوميات وحتى الأمم «مستبقات بالية» . شترنرية مطعمة على برودون . كل شيء يجب أن ينحل الى «جماعات» أو «كومونات» صغيرة عليها بدورها أن تشكل «رابطة» ، لكن لا دولة . وان هذا «التفريد» للانسانية وما يقابله من «مذهب المنفعة المتبادلة» لا بدّ أن يستمرا بينما يتوقف التاريخ في جميع البلدان الأخرى وينتظر العالم بأسره حتى يصبح الفرنسيون ناضجين للثورة الاجتماعية . وعندئذ سوف ينفذون التجربة لنا ، فاذا بقية العالم ، وقد جرفته قوة مثالهم ، يحذو حذوهم . وهذا هو بالضبط ما كان فوريه يتوقعه من مشرَكه النموذجي . ومهما يكن من أمر ، فانه رجعي ذلك الذي يثقل ، كائناً من كان ، على المسألة «الاجتماعية» «بأوهام» العالم القديم .

ولقد أغرق الانكليز في الضحك حين بدأت حديثي قائلاً ان صديقنا لافارغ وآخرين ، الذين تخلصوا من القوميات ، قد تحدثوا الينا «**بالفرنسية**» ، يعني بلغة لا يفهمها تسعة أعشار المستمعين . ولقد اقترحت أيضاً أن لافارغ يقصد فيما يبدو دون شعور منه ، من انكار القوميات ، امتصاصها من قبل الأمة الفرنسية النموذجية .

أما في عدا ذلك فالوضع عسير في الوقت الحاضر ، لأنه لا بدّ من مناهضة النزعة الايطالية الانكليزية السخيفة من جهة واحدة والمساجلات الفرنسية الخاطئة ضدها من جهة ثانية ، وذلك على قدم المساواة تماماً . وبصورة خاصة فأنه لا بدّ من منع كل تظاهرة يمكن أن تحشر رابطتنا في سياق متحيز .

تحياتي

المخلص

**ك . م .**

## ٨٢

# ماركس الى انجلز

[لندن] ، **في ٧ تموز ١٨٦٦**

... ان المظاهرات العمالية في لندن ، الرائعة بالمقارنة مع أي شيء شاهدناه في انكلترا منذ **١٨٤٩** ، هي بصورة خالصة من عمل **الأممية** . ومثال ذلك أن السيد لوكرافت ، الزعيم في ساحة ترافلغار(١) ، هو أحد أعضاء مجلسنا . ان هذا يبين الفارق بين **العمل** خلف الكواليس من دون الظهور أمام الملأ وطريقة الديموقراطيين في إضفاء الأهمية على أنفسهم أمام الملأ **دون أن يعملوا شيئاً** .

ان **الكمنويلث** سيلفظ أنفاسه الأخيرة عاجلاً . ففوكس يغادره في الأسبوع المقابل . وبالمناسبة فان ستومبف يكتب الي من مايانس بأن الطلب على كتابك **شرط** ، الخ . يتعاظم يومياً بين العمال وأنه لا بدّ لك بكل بساطة من اصدار طبعة ثانية ، ولو لأسباب حزبية خالصة . وفي الوقت نفسه ، فان تجربته الشخصية تؤدي به الى الاعتقاد بأن «مسألة العمل» سوف تبرز الى المقدمة في ألمانيا بقوة بعد الحرب مباشرة ...

لا يريدبونابرت الحرب طبعاًفي هذاالوقت حتى يطبق البندقية ذات الأبرة أو أي سلاح آخر يضاهيها.وان يانكياً قد عرض على وزارة الحرب هنا بندقية يؤكد لي ضابط بروسي لاجيء (ويلكه)

(١) الاشارة الى الاجتماعات العامة التي نظمها المجلس العام للأممية الأولى في هذه الساحة في ٢٧ حزيران و٢ تموز ١٨٦٦ تأييداً لمطلب الاقتراع العام .

أنها تمتاز على البندقية ذات الأبرة بقدر ما تمتاز هذه الأخيرة على «بيس العجوز» من جراء البساطة المطلقة في تركيبها ، والقدر الضئيل من الحرارة الناتجة ، وعملية التنظيف الأبسط ، ومن جراء رخصها . أثمة ما يؤكد في أي مكان نظريتنا القائلة ان **تنظيم العمل يحدد بوسائط الانتاج** بصورة أروع منها في صناعة القتل ؟ في الحقيقة أن الأمر يستأهل أن تكتب فيه شيئاً (أني تعوزني المعرفة اللازمة) أستطيع أن أدخله تحت اسمك الى كتابي كملحق له . فكر في ذلك ملياً . اذا كان الجواب نعم فلا بدّ من انجاز ذلك من أجل الكتاب الأول حيث أعالج هذا الموضوع مفصلاً . انك لا تستطيع أن تتصور مبلغ الفرح الذي سأحصل عليه من جراء ظهورك أيضاً في عملي الرئيسي (حتى الآن لم أفعل الا أشياء صغيرة) بوصفك شريكاً مباشراً وليس في الاستشهادات فحسب !

اني أدرس كونت بالاضافة لأن البريطانيين والفرنسيين يثيرون صخباً عظيماً حول هذا الفتى . ان ما يسحرهم هو الروح الموسوعية عنده ، التركيب . لكنه حقير بالمقارنة مع هيغل (بالرغم من حقيقة أن كونت يتفوق عليه بوصفه رياضياً وفيزيائياً محترفاً ، أقصد أنه يتفوق عليه في التفاصيل ؛ لكن هيغل لأعظم منه بما لا يقاس على العموم حتى في هذا المضمار) . وان هذه الوضعية التافهة قد ظهرت عام ١٨٣٢ !

## ٨٣

## انجلز الى ماركس

**مانشستر ، في ٢٥ تموز ١٨٦٦**

**عزيزي المغربي**

أفترض انك تلقيت الملاحظات في حينه في هذه الأثناء . ولا بدّ أنني ضمنت المظروف ، في شرودي ، تلك الرقعة من الورق التي دونت الأرقام عليها . أما الملاحظات نفسها فقد حشرتها تحت غطاء نشاف مكتبي حيث وجدتها بكل تأكيد بعد ما استرددت جأشي إثر الهياج الذي أصابني من جراء برقيتك . أرجو أنها وصلت في الوقت المناسب بعد .

ان القضية في ألمانيا تلوح لي على قدر كبير من البساطة حالياً : فمنذ نفذ بسمارك ، باستخدامه الجيش البروسي ، خطة البورجوازية بشأن ألمانيا الصغرى بمثل ذلك النجاح العملاق ، فان تطور ألمانيا اتخذ هذا المنحى بصورة حازمة جداً بحيث لا بدّ لنا ، مثلنا كمثل الآخرين ، أن نعترف بالأمر الواقع ، أأحببناه أم لم نحبه . أما بشأن الجانب القومي من القضية ، فأن بسمارك سيقيم على أي حال الأمبراطورية الألمانية الصغرى ضمن الأبعاد التي تنويها البورجوازية ، أي بما في ذلك ألمانيا الغربية الجنوبية ـ ذلك أن الأحاديث عن خط الماين والاتحاد الألماني الجنوبي المنفصل اختيارياً موجهة من دون ريب الى الفرنسيين ، وفي هذه الأثناء يمشي البروسيون على شتوتغارت . وفيما عدا ذلك ، فان المقاطعات الألمانية من النمسا سوف تكون كذلك من نصيب هذه الأمبراطورية قبل انقضاء وقت طويل ، طالما أنه من المحتم الآن أن تصبح النمسا مجرية ، وسوف يكون الألمان القومية الثالثة في الامبراطورية ـ حتى بعد السلافيين .

ولسوف يكون بسمارك ملزماً سياسياً بأن يكون رهنا بالبورجوازية التي يحتاجها ضد الأمراء الامبراطوريين . ربما ليس في الوقت الحاضر ، لأن نفوذه والجيش لا يبرحان كافيين . لكنه لن يكون له مندوحة عن اعطاء البورجوازية شيئاً ما حتى لو لمجرد أن يضمن من البرلمان الشروط الضرورية من أجل السلطة المركزية ، وان المجرى الطبيعي للأمور سوف يضطره على الدوام أو يضطر خلفاءه الى الاستنجاد بالبورجوازية من جديد ، بحيث أنه حتى اذا لم يتنازل بسمارك للبورجوازية ، كما هو ممكن ، بأكثر مما هو مضطر فعلياً للتنازل عنه الآن ، فانه سيُدفع بعد أكثر فأكثر الى معسكرها .

وان للأمر هذا الجانب الحسن ، ألا وهو أنه يبسّط الوضع ؛ انه يجعل الثورة أيسر بتخلصه من الخلافات بين الرساميل الصغيرة ، وسوف يعجل بالتطور في جميع الأحوال . وعلى أي حال ، فان برلماناً ألمانيا لشيء مختلف كل الاختلاف عن مجلس بروسي . وان الدول الصغرى بمجموعها سوف تنجرف في الحركة ، والمؤثرات المحلية الأسوأ سوف تزول ، والأحزاب سوف تصبح أخيراً قومية حقاً وفعلاً بدلاً من أن تكون محلية محضة .

وان السيئة الرئيسية ـ وهي سيئة كبيرة جداً ـ هي الفيضان الذي لا مندوحة عنه للنزعة البروسية على ألمانيا . ومن بعد ـ الانفصال المؤقت للنمسا الألمانية الذي سوف يؤدي الى تقدم فوري للعناصر السلافية في بوهيميا ومورافيا وكارانثيا . وانه لمن سوء الحظ أنه ليس في الامكان منع أي من هذه الأمور.

وبالتالي فان كل ما نستطيع أن نفعله في رأيي هو بكل بساطة أن نقبل الحقيقة الواقعة دون أن نؤيدها ، وأن نستخدم بقدر امكاننا التسهيلات الاعظم التي لا بدّ الآن أن تتوفر على أي حال من أجل التنظيم **القومي** للبروليتاريا الألمانية وتوحيدها .

لم تكن ثمة حاجة لستومبف أن يكتب الي بأن الأخ ليبكنخت سوف يتعرض لمأزق ظريف من جراء اخلاصه المتعصب للنمسا . لعله لا يمكن أن يكون الأمر خلاف ذلك . وفيما عدا ذلك فأن **مجلة فرنكفورت الجديدة** نشرت مقالات ملأى بالغضب خطتها يده بصورة لا تخطىء من لايبزغ . ان **مجلة فرنكفورت الجديدة** هذه ، الخاضعة لنفوذ بليند ، القاتلة للأمراء ، قد بلغ بها الأمر أن تلوم البروسيين على معاملتهم المخزية «**لأمير هيس المحترم**» وباتت متحمسة من أجل غيلف الأعمى !

لم أعد أكتب بعد الآن لصحيفة **غارديان** .

المخلص

**ف . إ .**

## ٨٤

## ماركس الى انجلز

[لندن] ، **في ٢٧ تموز ١٨٦٦**

... أوافقك تماماً على أن هذا الهراء يجب أن يؤخذ كما هو . لكنه من دواعي السرور أن يكون المرء بعيداً خلال المرحلة المبكرة من هذا الحب الأول . ان صفاقة البروسيين وحماقة وليم الجميل ، الذي يعتقد أن شيئاً لم يتغير منذ ذلك النصر الأشبه بالحلم سوى أنه قد بات حاكماً قوياً ،الخ ، سوف يكون لهما بعد تأثيرهما . ان النمسويين هم الآن حيث أراد لهم متعصبو براغ السلافيون أن يكونوا عام ١٨٤٨ . ومهما يكن من

امر ، فان فقدانهم البندقية وتركيز قوتهم الالزامي ليسا في صالح الروس في حال من الأحوال . وإذا أقاموا هم أنفسهم إمبراطورية سلافية جامعة ، فانهم سوف يصبحون أكثر معارضة أيضاً للموسكوفيين . وان الانحطاط الفائق لآل هابسبورغ سيؤدي بالمرء الى أن يخشى على أي حال من سماحهم للروس شيئاً فشيئاً بتملقهم من أجل القيام بهجوم مشترك على تركيا .

ان كل ما يمركز البورجوازية هو بالتأكيد في مصلحة العمال . وعلى أي حال فأن الصلح ، حتى اذا عقد في الغداة ، سوف يكون عابراً حتى أكثر من صلح فيلافرانكا وزوريخ . فلن يكاد «اصلاح الأسلحة» ينفذ من مختلف الاطراف حتى يبدأ «الضرب» من جديد ، كما كان سكابر يقول . وعلى أي حال ، فان بونابرت تعرض لنكسة هو الآخر بالرغم من أن تشكيل الممالك العسكرية ذات اليمين وذات اليسار يتناسب مع خطة بلون ـ بلون عن «الديموقراطية العمومية» .

اوشكت الحكومة هنا أن تنتج عصياناً (١) . ان الانكليزي بحاجة قبل كل شيء الى ثقافة ثورية بكل تأكيد ، وسوف يكون اسبوعان كافيين من أجل ذلك اذا كان للسير ريتشارد ماين الاشراف المطلق . وفي الحقيقة أن الأمر أوشك أن يتحقق . لو أن الاحتجاجات ـ وقد كانت خطيرة ـ استخدمت هجومياً ودفاعياً ضد الشرطة وصرع حوالي عشرين من هؤلاء ، فقد كان العسكريون يضطرون الى «التدخل» اذن بدلاً من عرض عضلاتهم فقط . وعندئذ كان لا بدَّ من حدوث بعض الهزل . ان شيئاً واحداً مؤكد ، ألا وهو أن أقران جون بول غلاظ العقول هؤلاء ، الذين يبدو أن قحوفهم صنعت خصيصاً من أجل هراوات رجال الشرطة ، لن يمضوا الى أي مكان دون لقاء دام حقاً مع السلطات الحاكمة ...

---

(١) وقعت الاحداث المشار اليها في لندن ، خلال تموز من عام ١٨٦٦ ، وقد أثارها حظر عقد الاجتماعات في هايد بارك في الوقت الذي كانت الحملة الجماهيرية من أجل الاقتراع العام على أوجها فيه . ففي الثالث والعشرين من ذلك الشهر اشتبك العمال اللندنيون الذين تجمعوا من أجل التظاهر في شجار مع الشرطة،وفي الرابع والعشرين والخامس والعشرين منه ظهر العمال من جديد في هايد بارك . وعلى أي حال ، فان الراديكاليين البورجوازيين والزعماء الاصلاحيين للنقابات الانكليزية المنتسبة الى مجلس عصبة الاصلاح قد تفاهموا ، بصورة متعارضة مع الخط الذي رسمه ماركس والمجلس العام ، مع والبول وزير الداخلية ، وبذلك أجهضوا حركة العمال .

# ماركس الى ل . كوغلمان

## لندن ، في ٩ تشرين الأول ١٨٦٦

صديقي العزيز

آمل ألا يضطرني سكوتك الطويل الى الاستنتاج أن رسالتي الأخيرة جرحت مشاعرك بأية طريقة كانت . ان العكس تماماً يجب أن يكون الحال . فكل كائن انساني يحس في الأوضاع اليائسة الحاجة الى التخفيف عن نفسه لامرىء ما ، لكنه لا يفعل ذلك الا لأناس يضع فيهم ثقة خاصة واستثنائية. اؤكد لك أن المضايقات التي تزعجني في حياتي اليومية تغيظني لأنها تعوق إكمال عملي أكثر حتى درجة كبيرة منها لأية أسباب شخصية أو عائلية . وانه لفي مقدوري أن أضع حداً لهذه الأوضاع غداً لو أني سلكت أي مسلك عملي بدلاً من العمل في سبيل القضية . وإني لأرجو أن يكون شعورك بالضيق ضئيلاً من جراء حقيقة أنك لا تستطيع الامتناع عن التخلص من هذه المشاكل . ان ذلك ليكون سبباً غير معقول البتة .

والآن الى بعض الأمور العامة .

كانت تنتابني مخاوف عظيمة بشأن المؤتمر الأول في جنيف . ومهما يكن من أمر ، فقد انتهى على العموم بصورة أفضل مما توقعت(١) . لقد كان تأثيره في فرنسا وانكلترا وأميركا يتجاوز الآمال . ولم يكن في مقدوري ، كما لم تكن مشيئتي ، أن أذهب الى هناك ، لكنني كتبت البرنامج من أجل ممثلي لندن ، وقصرته بصورة عامدة على تلك النقاط التي تفسح المجال من أجل الموافقة الفورية والعمل المتفق عليه من قبل العمال ، وتقدم المضمون والدفع المباشرين لمتطلبات الصراع الطبقي وتنظيم العمال في طبقة . ولقد كانت رؤوس السادة الباريسيين مفعمة بالعبارات البرودونية الجوفاء . انهم يثرثرون عن العلم ولا يعرفون شيئاً . انهم يزدرون كل فعل ثوري ، يعني الفعل الصادر عن الصراع الطبقي نفسه ، وجميع الحركات الاجتماعية المركزة ، وبالتالي

(١) انتهى مؤتمر جنيف للاممية الأولى (٣ ـ ٨ ايلول ١٨٦٦) بهزيمة حاسمة للبرودونيين . وقد وافق المؤتمر على أنظمة الأممية التي كتبها ماركس ، وكان برنامج مندوبي لندن الذي رسمه ماركس (تعليمات الى مندوبي المجلس المركزي المؤقت . المسائل المختلفة) يشكل الأساس الذي اتخذت بناء عليه قراراته الباقية .

تلك الحركات أيضاً التي يمكن تنفيذها من خلال الوسائل السياسية (مثال ذلك التقصير القانوني ليوم العمل) . ان هؤلاء السادة ـ الذين تحملوا بكل هدوء طوال ستة عشر عاماً الطغيان الأشد بؤساً وما زالوا يتحملونه ! ـ يبشرون في الوقت الحاضر ، بحجة الحرية ، أو النزعة المناهضة للحكومة ، أو الفرديه المناهضة للتسلط ، بالاقتصاد البورجوازي العادي ، سوى أنه قد أضفيت عليه نزعة مثالية برودونية ! لقد ارتكب برودون اساءة هائلة . ان نقده الزائف ومعارضته الزائفة للطوباويين (ليس هو نفسه الاطوباوياً بورجوازياً صغيراً ، في حين أنك تجد في طوباويات فوريه ، أو أوين ، الخ ، توقعاً لعالم جديد وتعبيراً متخيلاً عنه) قد اجتذبا وأفسدا بادىء الأمر «la jeunesse brillante»(١) والطلاب ، ومن ثم العمال ، وبصورة خاصة عمال باريس الذين يتعلقون بقوة ، بوصفهم عمالاً في صناعات ترفية ، بالثرثرة القديمة دون معرفة منهم . إن هؤلاء الجهلة ، المغرورين ، المدعين ، الثرثارين ، الصفيقين بصورة متبجحة ، قد أوشكوا على افساد كل شيء ، ذلك أنهم اندفعوا الى المؤتمر بأعداد ليست لها أدنى علاقة بعدد أعضائهم . وعلى أي حال ، فأن نقدي لهم في التقرير سوف يكون ساحقاً .

وان مؤتمر العمال الأميركيين في بالتيمور ، الذي انعقد في الوقت نفسه ، قد سبب لي فرحة عظيمة . لقد كان الشعار هناك التنظيم من أجل النضال ضد رأس المال ، وانه لما يلفت النظر حقاً أن معظم المطالب التي وضعتها من أجل جنيف طُرحت هناك أيضاً بفعل غريزة العمال الصائبة .

ان حركة الاصلاح هنا ، التي دعاها مجلسنا المركزي الى الوجود (وقد لعبت دوراً كبيراً فيها(٢)) قد بلغت في الوقت الحاضر ابعاداً هائلة وأصبحت لا تقاوم . ولقد بقيت خلف الكواليس طوال الوقت ولم أتجشم مزيداً من العناء في القضية ، الآن وقد جعلت تتقدم .

المخلص

**ك . ماركس**

---

(١) «الشبيبة المتألقة»

(٢) quorum magna pars fui ، باللاتينية في النص الأصلي .

# ١٨٦٧

## ٨٦

## ماركس الى س . مير

**هانوفر ، في ٣٠ نيسان ١٨٦٧**

صديقي العزيز

لا بدّ أنك ستشكل رأياً رديئاً جداً عني ، وعلى الأخص حين أخبرك أن رسائلك لم تكن مصدر **بهجة عظيمة** ، بل **سلوان حقيقي** لي خلال المرحلة الماحقة التي تلقيتها فيها . ان معرفة أن رجلاً قديراً رفيع المبادىء قد ضُمن لحزبنا عوضتني عن أسوأ ما عانيت . وفضلاً عن ذلك ، فقد كانت رسائلك مفعمة بالصداقة الأرق لي شخصياً ، ولسوف تدرك أنني ، أنا الذي أشتبك في النزاع الأمرّ مع العالم بأسره (العالم الرسمي) ، أقل الناس قدرة على أن أبخس قدر ذلك .

خسناً ، ولماذا لم أردّ عليك ؟ لأنني كنت أتأرجح باستمرار على حافة الرمس . ولذا كان علي أن استخدم **كل** لحظة ، حين يكون في مقدوري ان أعمل ، كي أكمل كتابي الذي ضحيت من أجله بالصحة والسعادة والأسرة . وإني لعلى ثقة من أن هذا التفسير لا يحتاج الى مزيد . أني أسخر مما يسمى الرجال «العمليين» بحكمتهم ، اذا اختار المرء ان يكون ثوراً ، فمن المؤكد أنه يستطيع أن يدير ظهره لآلام الجنس البشري ويعنى بجلده الخاص . لكنني كنت سأعتبر نفسي حقاً إنساناً **غير عملي** لو أني قضيت دون أن انهي كتابي كلياً ، كمخطوط على الأقل .

ان **المجلد الأول** من الكتاب سوف ينشر خلال أسابيع قليلة لدى **اوتومايسنر** في **هامبورغ** . والعنوان هو **رأس المال . نقد الاقتصاد السياسي** . ولقد جئت الى ألمانيا

كي أحمل المخطوطة الى هنا وسوف أبقى بضعة أيام مع صديق لي في هانوفر في طريق عودتي الى لندن .

ان **المجلد الأول** يتضمن «**عملية الانتاج الرأسمالي**» . وإني لأصف بتفصيل عظيم من مصادر **رسمية** لم تستخدم حتى الآن ، الى جانب العرض العلمي العام ، ظروف البروليتاريا الانكليزية الزراعية والصناعية **خلال السنوات العشرين الأخيرة** ، وكذلك الشروط **الايرلندية** . وسوف تدرك بكل تأكيد أن هذا كله انما يخدمني على اعتبار Argumentum ad hominam(١)

وإني لأرجو أن ينشر المؤلف بأكمله خلال سنة واحدة من هذا التاريخ . ان **المجلد الثاني** يقدم استمرار النظريات (٢) ، وخاتمتها **والمجلد الثالث تاريخ الاقتصاد السياسي منذ منتصف القرن السابع عشر** .

اما بخصوص رابطة الشغيلة الأممية فقد أصبحت قوة في انكلترا وفرنسا وسويسرا وبلجيكا . أسس ما استطعت من الفروع في أميركا ، الاشتراك بنس واحد للعضو (حوالي غروشن فضي واحد) سنوياً ، لكن كل جماعة تسهم بما تستطيع . **المؤتمر** هذا العام في لوزان ، في ٣ ايلول . كل جماعة تستطيع أن ترسل ممثلاً واحداً ، اكتب إلي عن هذه الأمور ، وعن أحوالك أنت بالذات في أميركا ، وعن الأوضاع العامة . اذا لزمت الصمت ، فاني سأعتبر ذلك دليلاً على أنك لم تغفر لي بعد .

المخلص لك بكل ود

**كارل ماركس**

## ٨٧

## انجلز الى ماركس

**مانشستر ، في ١٦ حزيران ١٨٦٧**

عزيزي المغربي

كنت مرتبكاً جداً خلال الأيام الثمانية الأخيرة بمختلف أنواع المماحكات مع السيد

---

(١) نداء الى الانسان .

(٢) كان في نية ماركس في الاصل أن يضم في المجلد الثاني من رأس المال كل ما تضمنه في وقت لاحق المجلدان الثاني والثالث .

غوتفرايد وأمور ومزعجات أخرى مماثلة بحيث لم تكد تتاح لي فرصة دراسة شكل القيمة . والا فقد كنت أعدت اليك الملازم[1] قبل زمن طويل . ان الملزمة الثانية تحمل بصورة خاصة علائم دامغة بالاحرى عن جمرة ، لكنها لا يمكن تغييرها الآن ، ولا أحسب أن عليك أن تفعل بشأنها أي شيء آخر في ملحق ، ذلك أن البورجوازي الصغير لم يعتد على أي حال مثل هذا النوع من التفكير المجرد ، ومن المؤكد أنه لن يشحذ عقله في سبيل شكل القيمة . وعلى الأكثر فان النقاط التي قُررت هنا جدلياً يمكن عرضها تاريخياً بمزيد من التطويل نوعاً ما ، حتى يصير اختبارها من التاريخ اذا جاز التعبير ، على الرغم من أن الأشياء الأكثر ضرورة في هذا المجال قد قيلت مسبقاً . بيد أن لديك بعد قدراً كبيراً جداً من المواد بحيث لا تبرح تستطيع بكل تأكيد أن تقوم باستطراد جيد تماماً عنها ، وهو استطراد سوف يثبت للبورجوازي الصغير من التاريخ ضرورة تطور النقد والعملية التي تجري بارتباط مع ذلك التطور .

ولقد ارتكبت في هذه الشروح الأكثر تجريداً خطيئة كبرى اذ لم تجعل تسلسل الافكار واضحاً بفضل عدد أكبر من الأقسام الصغيرة والعناوين المنفصلة . كان ينبغي لك أن تعالج هذا الجزء على طريقة موسوعة هيغل ، بفقرات قصيرة ، مع تعليم كل انتقال جدلي بعنوان خاص ، وجميع الذيول والأمثلة الخالصة مطبوعة بحرف خصوصي قدر الامكان . ولعل الشيء كان يلوح اذن مثل كتاب مدرسي ، بيد أنه كان سيُجعَل أقرب الى أفهام جمهرة عريضة جداً من القراء . ذلك أن الناس ، بما فيهم المتعلمون ، ما عادوا معتادين على هذا النمط من التفكير ، ولا بدّ للمرء أن يسهله عليهم بكل طريقة ممكنة .

وبالمقارنة مع التقرير الاسبق (دانكر[2]) ، فان التقدم في حدة التطور الجدلي بارزا جداً ، بيد أنني أفضل في التقرير نفسه أشياء كثيرة في الصيغة الأولى . وإنه لما

---

(١) الاشارة الى تصحيحات كتاب ماركس **رأس المال** ، المجلد الأول .

(٢) المقصود كتاب ماركس **إسهام في نقد الاقتصاد السياسي** الذي صدر في الأصل عام ١٨٥٩ لدى دار النشر التي يملكها دانكر في برلين .

يؤسف له جداً أن الملزمة الثانية الهامة هي بالضبط التي تعاني من الدمغة الجمرية . بيد أنه ليس ما يصنع في هذا المضمار الآن ، وان كل امرىء قادر على التفكير بصورة جدلية سوف يفهم ذلك على أية حال . وان الملازم الأخرى جيدة جداً وقد بعثت في فرحة عظيمة ...

قرأت هوفمان(١) . ان النظرية الكيميائية الأحدث ، مع جميع أخطائها ، لتشكل تقدماً كبيراً على النظرية الذرية السابقة . ان الجزيء بوصفه الجزء الأصغر من المادة القمين بوجود مستقل لهو مقولة عقلانية تماماً ، «عقدة» كما طرح هيغل ذلك في السلسلة اللامتناهية من الانقسامات ، وهي لا تختتم هذه الانقسامات بل تنشىء مفاضلة كيفية . ان الذرة ـ التي كانت تمثل سابقاً على اعتبارها حد الانقسامية ـ ليست بعد الآن أكثر من علاقة ، على الرغم من أن السيد هوفمان نفسه يزل في كل لحظة في الفكرة القديمة عن الذرات غير القابلة للانقسام فعلياً . وفيما عدا ذلك ، فإن التقدم الذي يسجله الكتاب في الكيمياء هائل فعلاً ، ويقول شورلمر إن هذه الثورة ما تبرح مستمرة طوال الوقت ، بحيث يستطيع المرء أن يتوقع اكتشافات جديدة في كل يوم .

أفضل تمنياتي لزوجتك ، والبنات ، والكهربائي(٢) .

المخلص

ف . إ .

## ٨٨

## ماركس الى انجلز

**[لندن] ، في ٢٢ حزيران ١٨٦٧**

... آمل أن تكون راضياً عن الملازم الأربع(٣) . ان رضاك حتى الآن أهم بالنسبة الي من أي شيء يمكن أن يقوله باقي العالم عنه . ومهما يكن من أمر ، فاني أرجو أن

(١) اوغوست ويلهلم هوفمان : مدخل الى الكيمياء الحديثة .

(٢) ليو هارتمان

(٣) المقصود تصحيحات رأس المال المطبعية .

تتذكرالبورجوازية جمراتي طوال البقية الباقية من عمرها . اليك برهاناً آخر على مدى حقارتهم . انك تعرف أن لجنة تشغيل الأولاد تعمل منذ خمس سنوات . ولقد كان من عواقب تقريرها الأول ، الذي ظهر عام ١٨٦٣ ، أن «تدابير» اتخذت في الحال ضد الفروع الصناعية المتهمة . وفي بداية هذه الجلسة قدمت وزارة التوري مذكرة عن طريق والبول ، الصفصاف الباكي ، تقبل جميع مقترحات اللجنة ، وان يكن على نطاق ضيق جداً . وان الافراد الذين كان يجب أن تتخذ التدابير ضدهم ، وفي عدادهم أصحاب الصناعات المعدنية الكبار ، وبصورة خاصة وحوش «العمل المنزلي» ، قد لاذوا بالصمت اذن وأحسوا بالخزي . وهؤلاء هم يقدمون الآن عريضة الى البرلمان ويطالبون **بتحقيق جديد** ! انهم يزعمون أن التحقيق السابق كان مغرضاً !

انهم يقدرون أن وثيقة الاصلاح سوف تمتص انتباه الرأي العام بأسره بحيث يمكن تحرير الشيء بصورة رخيصة وسرية بينما تكون النقابات في الوقت نفسه مضطرة الى مواجهة مناخ عاصف . وان أسوأ الأشياء في **«التقارير» هي افادات هؤلاء الأفراد أنفسهم** . وانهم ليعرفون أن تحقيقاً جديداً لا يمكن أن يعني الا شيئا واحداً ، ولكن ذلك هو بالضبط «ما نريده نحن البورجوازيين» ـ مهلة خمس سنوات جديدة من الاستغلال . ومن حسن الحظ أن مركزي في الأممية مكنني من إفساد الخطط الماكرة لهؤلاء اللئام . ان الأمر لعلى غاية الأهمية . انها مسألة **إلغاء عذابات** مليون ونصف المليون من الكائنات البشرية ، وهو رقم لا يشتمل على الشغيلة الذكور البالغين !

أما بخصوص شرح **شكل القيمة** فقد اتبعت نصيحتك **ولم** أتبعها ، كيما اتصرف بصورة جدلية في هذا المضمار أيضاً . وهذا يعني أنني ١ً ـ كتبت ملحقاً أصف فيه **الشيء نفسه** بصورة مبسطة وتدريسية قدر الامكان ، و٢ً ـ اتبعت نصيحتك وقسمت كل خطوة في الشرح الى فقرات ، الخ ، **ذات عناوين منفصلة** . واني لأخبر القارىء **«غير الجدلي»** في المقدمة أنه يجب أن يقفز فوق الصفحات س ـ ع ويقرأ الملحق نفسه . ان المسألة هنا لا تعني البورجوازيين الصغار فحسب ، بل الشبيبة المتعطشة الى المعرفة ، الخ . وفضلاً عن ذلك ، فان الموضوع شديد الحسم بالنسبة الى الكتاب بأسره . ان هؤلاء السادة ، الاقتصاديين ، قد أهملوا حتى الآن النقطة

بالغة البساطة بأن الشكل : **٢٠ ياردة من الكتان = ثوباً واحداً** انما هو الاساس غير المشروح من أجل **٢٠ ياردة من الكتان = ٢ ليرة سترلينية** ، وبالتالي أن **الشكل الأبسط لأية سلعة** ، الذي لم يتم بعد التعبير فيه عن قيمتها على اعتبارها علاقة مع سائر السلع الأخرى بل فقط على اعتبارها شيئاً **متميزاً** من السلعة اياها في شكلها الطبيعي ، يشتمل على **سر الشكل النقدي بأكمله** ومعه بصورة مضغية سر **جميع الاشكال البورجوازية لنتاج العمل** . ولقد تجنبت في عرضي الأول (دانكر) صعوبة الشرح بعدم اعطائي تحليلاً فعلياً **لتعبير القيمة** إلا حين تظهر وقد سبق شرحها والتعبير عنها في النقد .

انك على صواب كلياً بشأن هوفمان . ولسوف ترى كذلك من خاتمة الفصل الثالث عندي (١) ، حيث أتطرق الى تحول المعلم الحرفي الى رأسمالي ـ كنتيجة لتبدلات **كمية** خالصة ـ أنني أشير **في ذلك النص** الى اكتشاف هيغل ـ **قانون التبدلات الكمية الخالصة المنقلبة الى تبدلات نوعية** ـ على اعتباره صالحاً في التاريخ وفي العلوم الطبيعية على حد سواء . وفي **هامش** للنص (كنت في ذلك الحين أحضر محاضرات هوفمان) آتي على ذكر **النظرية الجزيئية** من دون هوفمان ، الذي **لم** يكتشف **شيئاً** في هذا الحقل ، بل صقل الموضوع فحسب **صقلاً** نهائياً ؛ وبدلاً من ذلك فاني آتي على ذكر لورنت وجيرهاردت وفورتز ، والأخير منهم هو **الرجل الحقيقي** . إن رسالتك قد حملت ذكرى مضببة عن الأمر الى ذهني ، ولذا نظرت في **المخطوطة** ...

## ٨٩

## ماركس الى انجلز

**[لندن] ، في ٢٧ حزيران ١٨٦٧**

... كانت الملزمة العشرون هي الملزمة الأخيرة التي تلقيتها . ومن المؤكد أن الشيء كله سوف يبلغ ٤٠ ـ ٤٢ ملزمة . لم أتلق مزيداً من **التصحيحات النظيفة** حتى

---

(١) الاشارة الى **رأس المال** ، المجلد الاول ، الفصل الثالث من الطبعة الالمانية الأولى والفصل الحادي عشر من الطبعات الالمانية التالية .

الآن بعد تلك التصحيحات المرسلة اليك . ردّ الي التصحيحات التي لديك عندما تغادر .

فيما يتعلق بما تقول عن الشكوك المحتومة للبورجوازي الصغير والاقتصادي المبتذل(١) (اللذين ينسيان بطبيعة الحال انهما اذا تصورا **العمل مدفوع الأجرة** على اعتباره **أجوراً** فإنهما يتصوران العمل **غير مدفوع الأجرة** على اعتباره **ربحاً** الخ .) فإن الشيء كله يرجع ، اذا ما تم التعبير عنه علمياً ، الى المسألة التالية :

**كيف تتحول قيمة** سلعة ما الى **سعر انتاجها** الذي فيه

١ ـ **يبدو ان العمل بأكمله قد دفع أجره** في شكل **الأجور** ؛

٢ ـ يتخذ العمل الفائض ، أو فضل القيمة ، على أية حال شكل **زيادة في السعر** تسمى الفائدة ، الربح ، الخ ، **علاوة على سعر الكلفة** (= سعر القسم الثابت من الرأسمال + الأجور) .

إن الجواب عن هذا السؤال يفترض مسبقاً :

١ً ـ إن **تحول قيمة قوة يوم عمل واحد** مثلاً **الى أجور** ، أو **سعر يوم عمل واحد** ، قد تم البرهان عليه وهذا ما يتم في **الفصل الخامس** من هذا المجلد .

٢ً ـ **إن تحول فضل القيمة** الى ربح ، **والربح الى الربح المتوسط** ، الخ ، قد تم البرهان عليه . وإن هذا ليسلم جدلاً بصورة قبلية بالبرهان على **عملية تداول رأس المال** ، **طالما** أن دورة رأس المال ، **الخ** ، تلعب دوراً هنا . وبالتالي فإن هذا الموضوع لا يمكن عرضه قبل الكتاب الثالث **(إن المجلد** الثاني يشتمل على الكتابين الثاني

(١) يرد ماركس هنا على الفقرة التالية من رسالة انجلز المؤرخة في ٢٦ حزيران ١٨٦٧ :

«فيما يتعلق بتكوين فضل القيمة فلأضف ما يلي : إن الصناعي ومعه الاقتصادي المبتذل سوف يرفعان في الحال هذا الاعتراض ضدك : إذا كان الرأسمالي لا يدفع للعامل سوى ثمن ٦ ساعات لقاء زمن عمله البالغ ١٢ ساعة ، فلا يمكن أن ينشأ عن ذلك أي فضل قيمة ، لأن كل ساعة عمل لعامل المصنع لا تعتبر إذن إلا نصف ساعة عمل ـ بوصفها مساوية لأي شيء يدفع عنها ـ ولا تدخل في قيمة نتاج العمل إلا بقدر تلك القيمة . ومن ثم يتبع ، كمثال ، صيغة الحساب العادية : كذا من أجل الخامات ، كذا من أجل الاستهلاك ، كذا من أجل الأجور (**المصروفة فعلياً** لكل نتاج ساعة فعلية) ، الخ . ومهما تكن هذه الحجة ضحلة بصورة مخيفة ، ومهما وحدت القيمة التبادلية مع السعر وقيمة العمل مع الأجور ، ومهما تكن سخيفة مقدمتها القائلة أن ساعة عمل واحدة تدخل في القيمة على أنها لا تساوي سوى نصف ساعة إذا كانت لا يدفع أجرها إلا بوصفها نصف ساعة ، فإني أعجب مع ذلك أنك لم تعط اهتمامك **لهذا** الامر ، لأنه **من المؤكد تماماً** أن الاعتراض سوف يرفع على الفور ضدك في هذا الشأن ، ومن الافضل تسوية النقطة سلفاً» .

والثالث) . هناك سوف يتبين من أين تصدر **طريقة النظر الى الأمور** عند البورجوازي الصغير والاقتصادي المبتذل ، أعني من حقيقة أن ما ينعكس في عقليهما إنما هو **الشكل** المباشر **لتظاهر** العلاقات من دون **ترابطها الباطن** . وعلى أي حال ، فإن كان هذا الوضع الأخير هو الحالة القائمة ، فما الحاجة الى **العلم** إذن ؟

وإذا لم يكن لي بدّ من **قطع دابر** سائر هذه الشكوك **سلفاً** ، فإني سوف أفسد جماع طريقة العرض الجدلي . وعلى النقيض من ذلك ، فإن لهذه الطريقة ميزة **وضع الشراك** بصورة مستمرة أمام أولئك الفتيان بحيث تدفعهم الى إظهار بلاهتهم بصورة مبكرة .

وفيما عدا ذلك . فبعد الفقرة الثالثة : **«معدل فضل القيمة»** ، وهي الفقرة الأخيرة بين يديك ، يتبع في الحال **يوم العمل** (النضال بشأن طول وقت العمل) ، الذي تبين معالجته بصورة واضحة مبلغ الاستنارة **العملية** لدى السيد البورجوازي عن مصدر ربحه وماهيته . وإن هذا لبين كذلك في **حالة سينيور** ، التي يؤكد البورجوازي فيها أن كل ربحه وفائدته مشتقان من **ساعة العمل الأخيرة غير مدفوعة الأجر** .

أفضل تمنياتي الى السيدة ليزي

المخلص

**ك . م .**

## ٩٠

## ماركس الى انجلز

**[لندن] ، في ١٦ آب ١٨٦٧**

**الساعة الثانية بعد منتصف الليل**

عزيزي فريد

انتهيت لتوي من تصحيح **الملزمة الأخيرة** (التاسعة والأربعين) من الكتاب . ان الملحق ـ **شكل القيمة** ـ يستغرق ملزمة وربع الملزمة **بأحرف صغيرة** .

**المقدمة** كذلك أعيدت البارحة مصححة . وهكذا **انتهى هذا المجلد** . ولم يصبح ذلك ممكناً الا بفضلك **أنت** . فلولا تضحيتك من أجلي لما استطعت قط على الأرجح

أن أقوم بالعمل الهائل اللازم من أجل المجلدات الثلاثة . انـي أعانقـك ، **مفعماً** بالشكر .

طيه ملزمتين من التصحيحات المصححة .

تلقيت الجنيهات الخمسة عشر مع عظيم الشكر .

تحياتي أيها الصديق العزيز والحبيب !

المخلص

**ك . ماركس**

لن أحتاج أن تعاد التصحيحات المصححة **حتى يظهر الكتاب بأكمله** .

## ٩١

## ماركس الى انجلز

**لندن ، في ٢٤ آب ١٨٦٧**

... ان أفضل النقاط في كتابي هي : ١ً ـ **الطابع المزدوج للعمل** ، الذي يتم التعبير عن العمل وفقاً له بالقيمة الاستعمالية أو القيمة التبادلية . (ان **كل** فهـم للحقائق يتوقف على هذا الأمر .) وان التأكيد ليقع عليه في الحـال ، في الفصـل **الأول ؛ ٢ً ـ معالجة فضل القيمة بصورة مستقلة عن اشكالها الخصوصية** من حيث هي ربح ، وفائدة، وريع عقاري ،الخ . ولسوف يبين ذلك بصورة خاصة في المجلد الثاني . ان معالجة الاشكال الخصوصية من قبل الاقتصاد الـكلاسيكي ، الذي **يخلطها** على الدوام مع الشكل العام ، هي خليط حقيقي .

أرجو أن **تدرج** رغباتك واعتراضاتك وتساؤلاتك ، الخ ، في التصحيحات المطبعية . ان هذا لأمر بالغ الأهمية بالنسبة اليّ ، ما دمت اعتمد على طبعة ثانية عاجلاً أو آجلاً . أما بخصوص الفصل الرابع ، فقد كدني العرق وأنا أؤكد **الأشياء نفسها** ، أعني **ترابطها** . ومن بعد ، وقد تم ذلك ، جاءت الكتب الزرقاء تتطاير في الوسط الواحد تلو الآخر بينما كنت أنجز الفصل في **شكله النهائي** ، وقد أسعدني أن أجد نتائجي النظرية وقد أثبتتها الوقائع كلياً . ولقد كتب أخيراً ، بين هجمات الدمامل وزيارات الدائنين اليومية !

ان القسم الختامي من الكتاب الثاني (**عملية التداول**) ، وهو القسم الذي أكتبه **الآن** ، يتضمن نقطة لا بدّ لي أن أتوجه اليك بخصوصها مرة أخرى طلباً للعون ، كما فعلت قبل سنوات عديدة .

ان الرأسمال الثابت لن يعوض في شكله **الطبيعي** الا بعد ١٠ سنوات مثلاً . وفي هذه الأثناء تعود قيمته جزئياً وتدريجياً اذ تباع السلع المنتجة من قبله . وليس ثمة حاجة الى هذه العودة التدريجية من أجل تعويض الرأسمال الثابت (اذا تركنا الاصلاحات وما شابه خارج اعتبارنا) حتى يكف عن الوجود في شكله المادي ، مثلاً في شكل الآلات . **وفي هذا الفاصل الزمني** تكون في يد الرأسمالي هذه العائدات المتتالية .

ولقد كتبت اليك قبل سنوات عديدة أنه يبدو بذلك أن ثمة **رصيداً تراكمياً** يتشكل ، لأن الرأسمالي كان بالطبع **يستخدم** المال العائد **في الفترة الفاصلة** المنقضية قبل أن يعوض به الرأسمال الثابت . ولقد اعترضت على ذلك في احدى رسائلك بصورة سطحية نوعاً ما . **وفي وقت لاحق** وجدت أن ماك كالوش يمثل هذا **الرصيد المتناقص** على اعتباره **رصيداً تراكمياً** . ولما كنت على قناعة من أنه لا يمكن لأية فكرة من أفكار ماك كالوش أن تكون صائبة قط فقد أهملت الموضوع . ان الأغراض **التبريرية** التي يلاحقها في هذا الشأن قد اعترض عليها أنصار مالتوس مسبقاً ، لكنهم **يعترفون هم أيضاً بهذه الحقيقة** .

وأنت بوصفك صناعياً يجب أن تعرف ما تصنع بالعائدات المعينة من أجل الرأسمال الثابت **قبل** أن يتوجب التعويض عنه **في شكله الطبيعي** . ويجب أن **تعطيني** جواباً عن هذه النقطة (دون نظرية ، من حيث هي موضوع **عملي خالص**) .

المخلص

**ك . م .**

(تحياتي الى السيدة ليزي !)

## ٩٢

## ماركس الى انجلز

**[لندن] ، في ١١ ايلول ١٨٦٧**

... في المؤتمر القادم في بروكسل [١] سوف أوجه شخصياً ضربة قاضية الى هؤلاء **المغفلين** البرودونيين . لقد رتبت الأمر كله دبلوماسياً ولا أريد أن أبرز **شخصياً** حتى ينشر كتابي وتكون رابطتنا قد ثبتت جذورها . ولسوف أعطيهم جلدة أيضاً في التقرير الرسمي للمجلس العام (على الرغم من كل جهودهم ، فان الثرثارين الباريسيين لن يستطيعوا منع إعادة انتخابنا) .

وفي هذه الأثناء حققت رابطتنا تقدماً عظيماً . ان **ستار** الحقيرة ، التي كانت تريد أن تنسانا كلياً ، أعلنت بالأمس في افتتاحيتها أننا أهم من مؤتمر السلام [٢] كما ان سكولز ديليتش لم يتمكن من منع **«رابطته العمالية»** في برلين من الانضمام الينا . وان الحقيرين بين النقابيين الانكليز ، الذين كانوا يعتقدون أننا نمضي «بعيداً» جداً ، يأتون الينا الآن عدواً . وفيما عدا صحيفة **كوريه فرانسيه** ، نشرت التقارير عن مؤتمرنا في صحيفة جياردان **الحرية** ، وفي **سييكل** ، **مود** ، **وغازيت دي فرانس** ، الخ ، ان الأمور تتحرك . وفي الثورة القادمة ، التي ربما كانت أقرب مما يبدو ، سيكون **في أيدينا** (أعني أنت وأنا) هذه الآلة الجبارة . قارن هذا مع نتائج العمليات التي قادها مازيني ، الخ ، خلال السنوات الثلاثين الأخيرة ! ولا تنس أن ذلك بدون وسائل مالية ! مع مكائد البرودونيين في باريس ، وأمثال مازيني في ايطاليا ، والحسودين من أمثال اودجر وكريمر وبوتر في لندن ، ومع أنصار سكولز ديليتش وأنصار لاسال في ألمانيا ! أنه لفي مقدورنا أن نكون راضيين جداً ...

## ٩٣

## ماركس الى انجلز

**لندن ، في ٣٠ تشرين الثاني ١٨٦٧**

---

(١) انعقد مؤتمر بروكسل للاممية عام ١٨٦٨ . ولم يحضره ماركس ، لكنه وجه أعماله التحضيرية .

(٢) المقصود المؤتمر الأول لعصبة السلام والحرية (ايلول ١٨٦٧ في جنيف) ، وهي جمعية بورجوازية تأسست من أجل مجابهة الأممية الأولى .

...إذا قرأت الصحف وجدت أن **١** ـ مذكرة **مجلس** الأممية عن الفينيين [1] قد أرسلت الى هاردي ، وان **٢** ـ المناقشة عن الفينيين كانت علنية (**طوال** أسبوع قبل يوم الثلاثاء الأخير) وقد نشرت في **التايمس** . وان مراسلين لصحيفتي **ايريشمان** **ونيشيون** في دبلن كانوا بين الحاضرين . ولقد وصلت متأخراً جداً (عانيت الحرارة طوال اسبوعين ولم تمض الحمى الا قبل يومين) ولم يكن في نيتي في حقيقة الأمر أن أتكلم ، أولاً بسبب حالتي الصحية المضطربة ، وثانياً بسبب الوضع الدقيق . **ومهما** يكن من شيء فإن ويستون ، الذي كان يترأس المناقشة ، قد حاول إجباري على الكلام ، ولذا قدمت اقتراحاً لتأجيل المناقشة ، الأمر الذي اضطرني الى الكلام يوم الثلاثاء الماضي . وحقيقة الأمر أن ما هيأته من أجل يوم الثلاثاء الماضي لم يكن خطاباً بل النقاط من أجل خطاب . لكن المراسلين الايرلنديين لم يأتوا ... وبعد افتتاح الجلسة أعلنت اذن أني سأفسح المجال أمام فوكس بسبب الوقت المتأخر . فعلياً ـ من جراء تنفيذ أحكام الاعدام في مانشستر[2]الذي تم في تلك الأثناء ـ كان موضوعنا ، الفينية ، قابلاً لالهاب المشاعر حتى درجة عالية من الحرارة بحيث **أنني** (لكن ليس **فوكس** المجرد)قد اضطر الى الارعاد بالعواصف الثورية بدلاً من تحليل الأوضاع والحركة بكل اتزان كما كانت نيتي . وهكذا فان المراسلين الايرلنديين ، اذ تغيبوا وأخروا افتتاح الاجتماع ، أدوا لي خدمة رائعة . اني لا أحب أن اختلط بجماعة من أمثال روبرت وستيفن والباقين .

كان خطاب فوكس جيداً ، من جهة لأن **انكليزياً** ألقاه ، ومن جهة ثانية لأنه اقتصر على المظهرين السياسي والدولي . ولهذا السبب بالضبط لم يفعل سوى المرور على سطح الأمور . وكان القرار الذي قدمه سخيفاً وتافهاً ، فأعترضت عليه وعملت على إحالته إلى اللجنة الدائمة .

---

(١) الفينيون : أعضاء منظمة ثورية سرية ايرلندية قامت بعصيان عام ١٨٦٧ بغرض قلب الحكم البريطاني في ايرلندا . ولقد طالب المجلس العام للأممية بالعفوا عن أربعة فينيين أصدرت محكمة في مانشستر حكم الاعدام بحقهم لأنهم نظموا هرب اثنين من المشتركين في العصيان من السجن .

(٢) ان أربعة فينيين قد حكم عليهم بالأعدام ، ونفذ الحكم بثلاثة منهم في ٢٣ تشرين الثاني ١٨٦٧ ، وخفف بحق الرابع الى الأشغال الشاقة مدى الحياة .

ان ما لا يعرفه الانكليزي بعد هو أن المحتوى الاقتصادي للحكم البريطاني في ايرلندا ، وبالتالي هدفه السياسي أيضاً ، قد دخلا منذ عام **١٨٤٦** في مرحلة جديدة كلياً ، وأن الفينية تتصف من جراء ذلك بالضبط باتجاه اشتراكي (بمعنى سلبي ، موجه ضد تملك الأرض) وبكونها حركة للطبقات الدنيا . أيمكن أن يكون ما هو أسخف من الخلط بين الأعمال الهمجية التي قامت بها اليزابيت أو كرومويل ، اللذان كانا يريدان إحلال المعمرين الانكليز (بالمعنى الروماني) محل الايرلنديين ، وبين النظام الراهن ، الذي يريد أن يحل مكانهم الخرفان ، والخنازير ، والثيران ! ان نظام الأعوام **١٨٠١ ـ ١٨٤٦** ، بايجاراته الباهظة ووسطائه ، قد انهار عام **١٨٤٦** . (كان الطرد من الأرض استثنائياً خلال تلك المرحلة ، وكان يحدث بصورة رئيسية في لاينستر حيث الأرض صالحة بصورة خاصة من أجل تربية الماشية . وان إلغاء قوانين الحبوب ، الذي كان نتيجة للمجاعة الايرلندية جزئياً ، وقد عجلت فيه هذه المجاعة على أية حال ، قد حرم ايرلندا من **احتكارها** لتموين انكلترا بالحبوب في الأوقات العادية . وأصبح الشعار هو الصوف واللحم ، ومن هنا كان تحويل الفلاحة الى مراعٍ . ومن هنا ، بدءاً من ذلك الحين ، توطيد المزارع بصورة منهجية ، وهي العملية التي عجل بها قانون الملكيات المدنية ، الذي حول جمهرة من الوسطاء المثرين السابقين الى ملاكين عقاريين . ان **تصفية ملكية ايرلندا** هو الهدف الوحيد حالياً للحكم البريطاني في ايرلندا . وبالطبع فالحكومة الانكليزية **البلهاء** في لندن لا تعرف شيئاً هي نفسها عن هذا التغير الهائل منذ عام **١٨٤٦** . بيد أن الايرلنديين يعرفونه ، وقد عبروا عن ادراكهم له بالطريقة الأشد وضوحاً وفعالية من **بيان ميغهر** (**١٨٤٨**) حتى البيان الانتخابي **هينيسي** (توري ونصير يوركهارت) (**١٨٦٦**) .

ان السؤال الآن هو التالي : بماذا **ننصح العمال الانكليز** ؟ في رأيي أنهم يجب أن يجعلوا من **إلغاء الاتحاد** (باختصار قضية عام **١٧٨٣** ، سوى أنها قد جعلت ديموقراطية وكيفت مع الشروط الراهنة) بنداً من برنامجهم . ذلك هو الشكل **القانوني** الوحيد ، وبالتالي الشكل الممكن الوحيد للتحرر الايرلندي الذي يمكن قبوله في برنامج حزب **انكليزي** . وان التجربة يجب أن تبين في وقت لاحق ما اذا كان اتحاد شخصي خالص

يمكن أن يستمر قائماً بين البلدين . اني اعتقد نصف اعتقاد أنه ممكن اذا حدث في الوقت المناسب .

ان ما يحتاجه الايرلنديون هو :

١ً ـ حكومة ذاتية والاستقلال عن الانكلترا !

٢ً ـ ثورة زراعية . ولا يستطيع الانكليز ، بأفضل النوايا في العالم ، أن يحققوا ذلك من أجلهم ، لكن يستطيعون أن يمنحوهم الوسائل الشرعية كي يحققوا ذلك لأنفسهم .

٣ً ـ **تعرفات حماية ضد انكلترا** . إن جميع فروع الصناعة الايرلندية قد ازدهرت بين ١٧٨٣ و١٨٠١ . وان الاتحاد الذي أسقط تعرفات الحماية المنشأة من قبل البرلمان الايرلندي قد دمر كل حياة صناعية في ايرلندا ، وتلك النتفة من صناعة الكتان لا تشكل تعويضاً في حال من الأحوال . ان اتحاد عام ١٨٠١ قد كان له على الصناعة الايرلندية نفس التأثير الذي كان للتدابير الخاصة بالقضاء على الصناعة الصوفية الايرلندية ،الخ ، المتخذة من قبل البرلمان الانكليزي في ظل حكم حنة وجورج الثاني وآخرين . اذا ما استقل الايرلنديون مرة فان الضرورة سوف تحولهم الى أنصار للحماية ، كما فعلت بكندا واوستراليا ،الخ.. قبل أن أقدم آرائي في المجلس المركزي (يوم الثلاثاء القادم ، ومن حسن الحظ بدون مراسلين هذه المرة) ، اود أن تعطيني رأيك في أسطر قليلة .

تحياتي

**المخلص**

**ك . م .**

# ١٨٦٨

## ٩٤

## ماركس الى انجلز

[لندن] ، في ٨ كانون الثاني ١٨٦٨

**عزيزي فريد**

بخصوص دوهرنغ(١). انه لشيء كثير من هذا الرجل أن يقبل بصورة إيجابية على وجه التقريب القسم عن **التراكم البدئي** . انه شاباً ما يزال . وبوصفه من أنصار كاري فهو في تعارض مباشر مع أنصار التجارة الحرة . وبالاضافة الى ذلك فانه **محاضر جامعي** ، وبالتالي لا يسوؤه أن ينال **البروفسور** روشر ، الذي يسد الطريق عليهم جميعاً ، بعض الرضات . أن شيئاً واحداً في تقييمه أدهشني جداً ، ألا وهو أنه، ما تُرك تحديد القيمة بزمن العمل «غير محدد» كما هي الحال عندريكاردو ،فانه لا يجعل الناس في بلبلة . لكنه لا يكاد يجُعل في ترابط صحيح مع يوم العمل وتحولاته حتى يشرق عليهم نور جديد مزعج جداً . اني أعتقد أن السبب الوحيد الذي حمل دوهرنغ على نقد كتابي هو المكر ضد روشر . وعلى أي حال ، فان خوفه من أن يُعامل على غرار روشر ملموس بسهولة عظيمة . وانه لمن الغريب أن الفتى لا يستشعر العناصر الثلاثة الجديدة بصورة أساسية في الكتاب :

١ ـ أنني بصورة متعارضة مع **كل** الاقتصاد السياسي السابق ، الذي يعالج **منذ البداية** الأجزاء الخاصة من فضل القيمة مع أشكالها الثابتة من الريع والربح والفائدة على أنها معطاة سلفاً ، أعالج أولاً الشكل العام لفضل القيمة ، الذي لا تبرح جميع تلك الأجزاء غير متمايزة فيه بعد ـ محلولة اذا جاز التعبير .

٢ ـ ان الاقتصاديين دون استثناء فاتتهم النقطة البسيطة بأنه اذا كان للسلعة

(١) اشارة الى نقد اوجين دوهرنغ لكتاب رأس المال ، المجلد الأول .

طابع مزدوج ـ قيمة استعمالية وقيمة تبادلية ـ فان العمل الذي تمثله السلعة يجب أن يملك اذن هو الآخر طابعاً مزدوجاً ، في حين أن التحليل العاري للعمل دونما مزيد ، كما عند سميث وريكاردو ، الخ ، لا بدّ أن يصطدم في كل مكان بما هو غير قابل للتفسير . ذلك هو في واقع الأمر كل سر التصور النقدي .

٣ ـ أن الأجور تمثل للمرة الأولى على أنها الشكل غير العقلاني الذي تتظاهر فيه علاقة مستترة خلفها ، وأن هذا ممثّل بصورة مضبوطة في شكلي الأجور ـ الأجور الزمنية والأجور القطعية . (لقد ساعدني أن صيغاً مماثلة تصادف أيضاً في الرياضيات العليا) .

وأما بشأن اعتراضات دوهرنغ المتواضعة على تحديد القيمة ، فانه سيذهل حين يرى في المجلد الثاني ضآلة الاعتبار الذي يحظى به تحديد القيمة «بصورة مباشرة» في المجتمع البورجوازي . وفي الحقيقة أنه ليس في مقدور **أي شكل** للمجتمع أن يمنع زمن العمل الذي تحت تصرف المجتمع من تنظيم الانتاج بهذه الطريقة أو تلك . وعلى أي حال ، فطالما أن هذا التنظيم لا يتم بفعل الاشراف المباشر والواعي للمجتمع على زمن العمل المتوفر له ـ وهو ما لا يكون ممكناً الا مع الملكية المشتركة ـ بل بفعل حركة أسعار السلع ، فان الأمور تبقى كما سبق لك أن وصفتها بصورة مناسبة تماماً في **الحوليات الألمانية الفرنسية**(١) ...

## ٩٥

# ماركس الى ل . كوغلمان

**[لندن] ، في ٦ آذار ١٨٦٨**

**صديقي العزيز .**

حالما رحل كوبل ساءت صحتي من جديد ، وان يكن من الصعب فيما اعتقد أن يكون ذلك نتيجة لرحيله . post لا propter (وعلى أي حال، فإنه فتى طريف تماماً على طريقته الخاصة . لكن تلك الطريقة الخاصة هي في حالتي الراهنة صميمة جدا بحيث

(١) اشارة الى مقالة انجلز : «هوجز نقد الاقتصاد السياسي» .

(٢) بعد ، لا بسبب .

لا تتناسب بصورة بالغة الانسجام معي) . وهذا هو السبب في سكوتي وحتى في عدم تبليغي عن استلام كتاب ثونن [1]. ان ثمة شيئاً يبعث على التأثر عند ثونن . ملاك عقاري من ميلكنبورغ (وصحيح أنه يملك قدرة **ألمانية** على التفكير) يعامل ملكيته تيللو كنموذج لتدبير المزارع و ميلكنبورغ - **شويرن كمدينة نموذجية** ، وهو ينشىء لنفسه ، **منطلقا** من هذه المقدمات ، وبمساعدة المشاهدة ، والحساب التفاضلي ، والمحاسبة العملية ، الخ ، النظرية الريكاردانية عن الريع العقاري . ذلك جدير بالاحترام وباعث على السخرية في الوقت نفسه .

أستطيع الآن أن أفهم اللهجة المرتبكة بصورة تدعو الى الاستغراب لنقد الهر دوهرنغ . انه عادة صبي مغرور جداً وبالغ الوقاحة ، يتخذ مظهر الثائر في الاقتصاد السياسي . ولقد فعل شيئين : نشر أولا (منطلقاً من كاري) كتاباً بعنوان **الأساس النقدي للاقتصاد السياسي** . (حوالي ٥٠٠ صفحة) ، وثانياً كتاباً بعنوان **الجدل الطبيعي** (ضد الجدل الهيغلي) . ولقد قبره كتابي في كلا المجالين ، وهو قد أعلنه بسبب حقده على أمثال روشر ، الخ . وفيما عدا ذلك فإنه يمارس التضليل . عن قصد من جهة واحدة وعن انعدام البصيرة من جهة ثانية . انه يعرف جيداً أن طريقتي في الشرح **ليست** هيغلية ، ما دمت مادياً بينما هيغل مثالي . ان جدلية هيغل هي الشكل الأساسي لكل جدلية ، لكن بعد تعريتها من شكلها الصوفي فقط ، وهذا هو بالضبط ما يميز طريقتي . وأما بخصوص ريكاردو ، فانه يؤلم حقاً الهر دوهرنغ أن نقاطه الضعيفة ، التي أشار اليها كاري ومائة آخرون قبله ، **لا** وجود لها في معالجتي . وبنتيجة ذلك فانه يحاول ، بنية سيئة ، أن يحملني جميع قصورات ريكاردو . لكن لا بأس ، فسوف أكون ممتناً للرجل ، طالما أنه المحترف الأول الذي قال شيئاً ما [2].

في المجلد الثاني (الذي لن يصدر قط على الأرجح ما لم تتحسن صحتي) سوف تكون الملكية العقارية أحد المواضيع المعالجة ، والمزاحمة بقدر ما تتطلب ذلك معالجة المواضيع الأخرى .

---

(١) اسارة الى كتاب ىونن : الدولة المنعزلة ، الخ .

(٢) عن رأس المال .

لم يكن في استطاعتي أن أكتب خلال مرضي (الذي أرجو أن يزول نهائياً عاجلاً) ، لكنني تدبرت أمري كي ابتلع قسراً قدراً كبيراً من «المواد» ، الاحصائية وغيرها ، التي تكفي لتمرض أي انسان لم يألف هذا النوع من العلف ولا يملك معدة اعتادت هضمه بسرعة .

ان ظروفي المالية صعبة جداً ، اذ لم يكن في مقدوري أن أقوم بأي عمل اضافي يدر علي مالاً ، ومع ذلك لا بدّ على الدوام من الاحتفاظ ببعض المظاهر في مصلحة الأولاد . لو لم أكن مضطراً بعد لانتاج هذين المجلدين اللعينين (وفضلاً عن ذلك البحث عن ناشر **انكليزي**) الذي لا يمكن تحقيقه الا في لندن ، فقد كنت أمضي الى جنيف حيث أستطيع أن أعيش بصورة جيدة جداً بالوسائط التي تحت تصرفي . ان ابنتي رقم ٢[١] تتزوج في آخر هذا الشهر .

تحياتي الى فرانزشن .

المخلص

ك.م.

## ٩٦

## ماركس الى انجلز

[لندن] ، في ٢٥ آذار ١٨٦٨

عزيزي فريد

كان بودي أن أكتب اليك البارحة من المتحف ، لكنني أحسست على حين غرة أن حالتي بالغة السوء بحيث اضطررت الى اغلاق الكتاب الهام جداً الذي كنت أطالعه . لقد انقلبت الأشياء جميعاً سوداء امام عينيّ، ويجب أن يضاف الى ذلك صداع قاس وألم ضاغط في الصدر . وهكذا جررت نفسي الى البيت، ولقد أفادني الهواء والنور فرقدت لبعض الوقت في الدار . أن حالتي الصحية رديئة جداً بحيث لا بدّ لي من ترك العمل والتفكير مؤقتاً . بيد أن ذلك سوف يكون صعباً عليّ ، حتى لو كنت أملك الوسائل اللازمة للبطالة .

(١) لورا ماركس .

فيما يتعلق **بمورر** . ان كتبه هامة بصورة استثنائية . ان شكلاً جديداً كل الجدة قد أعطي ليس للأزمان البدائية فحسب ، بل لجماع التطور اللاحق للمدن الامبراطورية ، ولحصانة الملاكين العقاريين،وللسلطة العامة ، وللصراع بين طبقة الفلاحين الأحرار والرق .

إن حظ التاريخ البشري كحظ علم الاحاثة . فحتى أفضل العقلاء يخفقون كلياً في أن يروا ـ مبدئياً من جراء بعض العمى الفقهي ـ الأشياء القائمة أمام أنوفهم . وفي وقت لاحق ، حين يحين الأوان ، يذهل المرء اذ يرى في كل مكان آثاراً لما أخفق في رؤيته . لقد كان طبيعياً أن يكون رد الفعل الأول ضد الثورة الفرنسية وعصر الأنوار المرتبط بها أن تشاهد الأشياء جميعاً على اعتبارها وسيطية ، رومانسية ؛ وحتى الناس أمثال غريم لم يخلصوا من ذلك . وان رد الفعل الثاني هو أن ينظر المرء ما وراء العصر الوسيط الى العصر البدائي لكل أمة ، وهذا يوافق الاتجاه الاشتراكي ، على الرغم من أن اولئك الرجال الضليعين في العلم لا يملكون أية فكرة عن قيام أية رابطة بينهم وبين هذا الاتجاه . ومن ثم يدهشون اذ يصادفون الأجد في الأعتق ـ حتى أنصار المساواة ، الى درجة تبعث القشعريرة في برودون .

كي أبين حتى أية درجة نعاني جميعاً من هذا العمى الفقهي : في المنطقة المجاورة بالضبط ، على **هانسروكن** ، ظل النظام الألماني القديم قائماً حتى **السنوات القليلة الأخيرة** . واني لأتذكر الآن أن أبي كان يحدثني عنه من وجهة نظر **المحامي** ! وبرهان آخر : بالضبط كما أن الجيولوجيين ، بما في ذلك أفضلهم ؛ مثل كوفييه ، فسروا بعض الحقائق بطريقة ملتوية تماماً ، كذلك فان بعض علماء اللغة ، من وزن غريم ، **أساؤوا ترجمة** أبسط العبارات اللاتينية لأنهم كانوا تحت تأثير موزر (الذي كان مغتبطاً أيما اغتباط فيما اذكر لأن «الحرية» لم توجد قط بين الألمان ، بل ان «الهواء يصنع الرقيق») وآخرين . مثال ذلك أن الفقرة الشهيرة من تاستيوس «**Arva pen annos** mutent et **superest ager**» ، التي تعني : كانوا يتبادلون الحقول ، arva (بالقرعة ، وبالتالي sortes[1] في جميع leges Barbarum[2] اللاحقة) ، بينما تبق الأرض المشتركه

(١) القرعة .

(٢) مدونات قوانين البرابرة .

(إن الارض بوصفها ager publicus[1] تتعارض مع arva) ـ يترجمها غريم ، الخ.ـ كما يلي:انهم يزرعون حقولاً جديدة كل عام . ومع ذلك يبقى هناك على الدوام مزيد من الأرض (غير المزروعة) !

وكذلك الفقرة : « Cobunt aliscroli ae divers[2] » يفترض أنها تثبت أن الألمان منذ العصور السحيقة قاموا بالزراعة على مزارع فردية مثل الاقطاعيين الـوستفاليين بيد أن الفقرة نفسها تستطرد : **Vieos locant** mon in nootrum morem **connexis** at cohaerent ipus **shatio circumdot**[3]؛ان مثل هذه القـرى الألمانية البـدائية لاتبـرح موجودة هنا وهناك في الدانمـرك.في الشـكل الموصـوف من الواضـح أنـه كان مقدراًلسكانديناڤيا أن تصبح مهمة بالنسبة الى الفقة والاقتصاد الألمانيين قدر أهميتها بالنسبة الى الميثولوجيا الألمانية . ولن يكون في مقدورنا أن نفك رموز ماضينا من جديد الا بانطلاقنا من هناك . وفيما عدا ذلك فان غريم نفسه ، الخ ، يجد في قيصر أن الألمان استقـروا على الـدوام بوصفهـم Geschlechts genossens chaften[4] وليس بوصفهـم افراداً : «gentibus cognationibusque, qui. uno coiereant»[5]

لـكن ماعسى أن يقـول هيغـل العجـوز اذا سمـع في العالـم الآخـر أن doc Allomeine[6] في الألمانية والسكانديناڤية القديمة لا تعني شيئـاً آخـر سوى الأرض المشاعة ، وأن das Sundre Besondre[7] لا تعني شيئاً سوى الملكية المنفصلة المنتزعة من الأرض المشاعة ؟ وهكذا فان المقولات المنطقية تبرز جيداً من «تعاملنا» بعد كل شيء

ان كتاب **المناخ والعالم النباتي عبر العصور وتاريخهما** ، بقلم فراس (١٨٤٧) باعث على الاهتمام جداً ، خاصة من حيث أنه يثبت أن المناخ والنباتات تحولت في الأزمان **التاريخية** . انه داروني قبل داروين ويجعل حتى الأنواع تنشأ في الأزمان

---

(١) الأراضي العامة .

(٢) «زراعتهم منفصلة ، على حدة» .

(٣) انهم لا يقيمون قراهم بأبنية مترابطة ومتضامة ، كما هي العادة عندنا : ان كل واحد يحيط سكنه بقطعة عارية من الأرض» .

(٤) أقرباء .

(٥) «في عشائر وأقرباء استقروا سوية» .

(٦) العام .

(٧) الخاص .

التاريخية . بيد أنه عالم زراعي أيضاً ، وهو ينادي بأن «الرطوبة» التي يتعشقها الفلاح جداً تُفقد بنتيجة الزراعة وبصورة مطردة مع درجتها (ومن هنا كانت هجرة النباتات من الجنوب الى الشمال) ويبدأ تشكل السهوب من جراء ذلك . ان النتائج الأولى للزراعة نافعة ، بيد أنها تحول آخر الأمر الأرض الى أقفار بنتيجة الزحرجة [1] ، الخ . ان هذا الرجل هو في وقت واحد عالم لغوي ضليع جداً (لقد كتب مؤلفات **باليونانية**) وكيميائي وعالم زراعي ، الخ . وان النتيجة هي بان الزراعة حين تتقدم عفوياً ولا **يقوم عليها اشراف واع** (انه لا يتوصل بالطبع الى هذا باعتباره بورجوازياً) تخلف الصحارى خلفها ـ ايران ، بلاد ما بين النهرين ، الخ ، اليونان . ومن هنا مرة أخرى اتجاه اشتراكي غير شعوري !

## ٩٧

## ماركس الى ل . كوغلمان

**لندن ، في ٦ نيسان ١٨٦٨**

... ان المسألة الايرلندية تسيطر هنا في الوقت الحاضر . ولقد استغلت من قبل غلادستون وشركاه ، بالطبع ، كيما يعودوا الى الحكم فقط ، وقبل كل شيء كي يكون لهم **برنامج انتخابي** في الانتخابات القادمة التي ستكون قائمة على أساس الاقتراع البيتي . **وفي الوقت الحاضر** فان هذا السير للأمور سيء بالنسبة الى حزب العمال ؛ ان الدساسين بين العمال ، مثل اودجر وبوتر ، الذين يريدون أن يصلوا الى البرلمان المقبل ، يملكون الآن **ذريعة** جديدة من أجل الارتباط بالليبراليين البورجوازيين .

ومهما يكن من أمر ، فليست تلك الا **عقوبة** تدفعها انكلترا ـ وبنتيجة ذلك الطبقة العاملة الانكليزية أيضاً ـ عن الجريمة الكبرى التي ارتكبتها لقرون عديدة بحق ايرلندا . ومع مرور الزمن فانها ستعود بالفائدة على الطبقة العاملة الانكليزية نفسها . وأنت ترى أن **الكنيسة الانكليزية** الرسمية **في ايرلندا** ـ أو ما يسمونه هنا **الكنيسة الايرلندية** ـ هي الحصن الديني **للامتلاكية الانكليزية** في ايرلندا ، وفي الوقت

---

(1) القضاء على الغابات

نفسه المخفر الأمامي للكنيسة الرسمية في انكلترا بالذات . (اني اتحدث هنا عن الكنيسة الرسمية من حيث هي **ملاك عقاري**) . ان إسقاط الكنيسة الرسمية في ايرلندا سوف يعني سقوطها في انكلترا ، ولسوف يعقب سقوط كلتي الكنيستين هلاك الامتلاكية ـ في ايرلندا أولاً ومن بعد في انكلترا ! وعلى أي حال ، فقد كنت مقتنعاً منذ البداية بأن الثورة الاجتماعية يجب أن تبدأ بصورة جدية من الأعماق ، يعني من ملكية الأرض العقارية(١) .

## ٩٨

# ماركس الى انجلز

**لندن ، في ٣٠ نيسان ١٨٦٨**

... لكنه من المناسب أن تعرف الطريقة التي ينمو بها معدل الربح ، ولذا أعطيك **السمات الأعم** لهذه العملية . وأنت تعلم أن عملية **تداول الرأسمال** توصف في **الكتاب الثاني** على أساس المقدمات المشروحة في الكتاب الأول . ومن هنا كانت تحديدات الشكل الجديدة التي تنشأ عن عملية التداول ، مثل الرأسمال الثابت والمتداول ، ودورة الرأسمال ، الخ ، وأخيراً فقد اكتفينا في الكتاب الأول بافتراض انه اذا كانت في انتاج فضل القيمة ١٠٠ ل.س تصبح ١١٠ ل.س ، فان فضل القيمة هذه سوف **تصادف في الوجود سلفاً** في السوق العناصر التي ستتحول اليها مرة أخرى . بيد أننا نستقصي الآن الشروط التي تتوفر هذه العناصر في ظلها ، ألا وهو الانضفار الاجتماعي للرساميل المختلفة ، للأجزاء المركبة للرأسمال وللدخل (= س) .

وفي الكتاب الثالث نأتي الى تحول فضل القيمة الى أشكالها المختلفة وأجزائها المركبة المنفصلة .

١ً ـ ليس **الربح** بالنسبة الينا قبل كل شيء الا **اسماً آخر** أو مقولة أخرى **لفضل القيمة** . ولما كان العمل بأكمله يبدو وكأنه قد دُفع أجرُه من جراء شكل الأجور ، فان القسم غير مدفوع الأجر يلوح بالضرورة أنه ناجم ليس عن العمل بل عن

---

(١) تلاعب بالألفاظ في الالمانية : **Von Grund aus** ـ من الاعماق ؛ **Grund- und Bodeneigentum** ـ ملكية الأرض العقارية . ان كلمة **Grund** تعني الأعماق والأرض على حد سواء .

الرأسمال ، وليس عن القسم المتحول من الرأسمال بل عن الرأسمال بمجموعه . وبهذه الطريقة فان **فضل القيمة** تتخذ شكل **الربح** ، **من دون أي** فارق **كمي** بين هذا وتلك. ليس ذلك سوى الشكل الوهمي الذي تظهر فضل القيمة فيه .

وفضلاً عن ذلك ، فان القسم من الرأسمال المستهلك في انتاج سلعة ما (الرأسمال الثابت والمتحول الموظف في انتاجها **ناقصاً** ذلك القسم من الرأسمال **الثابت** المستخدم لكن غير المستهلك فعلياً) يبدو الآن على أنه **سعر الكلفة** للسلعة ؛ ذلك أن القسم من قيمة السلعة الذي ينبغي **للرأسمالي** أن يدفعه لقاءها هو سعر كلفتها ، بينما العمل غير مدفوع الأجرة الذي تتضمنه غير مشتمل في سعر كلفتها من وجهة نظره . ان فضل القيمة = الربح تبدو الآن على أنها **الزيادة في سعر المبيع على سعر الكلفة** . فلنسمِّ قيمة السلعة ق وسعر كلفتها ك ؛ اذن فان ق = ك + م ، وبالتالي ق - م =ك ، وبالتالي فان ق أكبر من ك . ان هذه المقولة الجديدة ، سعر الكلفة ، ضرورية جداً من أجل تفاصيل الشرح اللاحق . وانه لجلي من البداية أن الرأسمالي يستطيع أن يبيع سلعة **دون قيمتها** بربح (ما دام يبيعها **فوق** سعر كلفتها)، وهذا **هو القانون الأساسي** الذي يفسر التسويات التي تحققها المزاحمة .

وبالتالي فاذا كان الربح **لا** يميِّز باديء الامر **الا صورياً** من فضل القيمة ، فان **ريع الربح** من جهة أخرى يميِّز في الحال فعلياً من **معدل فضل القيمة** ، لأن الصيغة هي م/ق في الحالة الواحدة و م/(ق+ك) في الحالة الثانية ، الامر الذي يترتب عليه من البداية ، ما دامت م/ق أكبر من م/(ق+ك) أن معدل الربح أقل من معدل فضل القيمة ، الا اذا كانت ك = ٠ . واذا أخذنا بعين الاعتبار النقاط المشروحة في الكتاب الثاني ، فانه يترتب على أي حال أننا لا نستطيع أن نحسب معدل الربح على أي حصيلة من السلع نختارها ، مثلاً حصيلة اسبوعية ـ بل ان م/(ق+ك) هنا تشير الى فضل القيمة المنتجة **خلال السنة** بالمقارنة مع الرأسمال **الموظف** خلال السنة (أعني باعتبارها متميزة عن الرأسمال **المدور**) . ان الصيغة م/(ق+ك) تعتبر هنا بالتالي على أنها **معدل الربح السنوي** .

ومن ثم ندرس كيف أن التحولات في **دورة** الرأسمال (المتوقفة جزئياً على العلاقة

بين القسمين المتداول والثابت من الرأسمال ، وجزئياً على عدد دورات الرأسمال المتداول في سنة ، الخ .) تعدل **معدل الربح** بينما **يظل معدل فضل القيمة على حاله** .

واذ نأخذ الدورة على أنها معطاة ، $\frac{ن}{ق + ك}$ على أنها المعدل السنوي للربح ، فاننا ندرس كيف يمكن أن يتبدل هذا الأخير ، بصورة مستقلة عن التبدلات في معدل فضل القيمة وحتى في مبلغها الاجمالي .

وما دام م ، المبلغ الاجمالي لفضل القيمة = **معدل فضل القيمة مضروباً بالرأسمال المتحول** ، فأننا اذا سمينا معدل فضل القيمة ف ومعدل الربح ر ، فان لدينا ر = ف×ق/ك×ق. ان لدينا ههنا الكميات الأربع ، ر و ف و ق و ك التي نستطيع أن نشتغل بأي ثلاث منها بينما نبحث دائماً عن الكمية الرابعة على اعتبارها كمية مجهولة . وان هذا ليغطي جميع الحالات الممكنة للتحركات في معدل الربح بقدر ما هي متميزة من التحركات في معدل فضل القيمة ، والى درجة ما حتى من التحركات في المبلغ الاجمالي لفضل القيمة . ومن المؤكد أن هذا الامر قد كان **عصيا على التفسير** حتى الآن بالنسبة الى جميع الناس .

ان القوانين المكتشفة هكذا ، وهي بالغة الأهمية من أجل فهم كيف أن سعر الخامات مثلاً يؤثر في معدل الربح ، تظل سارية المفعول **كيفما** أمكن تقسيم فضل القيمة فيما بعد بين المنتج[1] ، الخ . ان هذا لا يمكن أن يغير الا **شكل المظهر** . وفيما عدا ذلك ، فان هذه القوانين تظل قابلة للتطبيق بصورة مباشرة اذا عوملت م/ك+ ق من حيث هي علاقة فضل القيمة المنتجة اجتماعياً بالرأسمال الاجتماعي .

**٢ً** ـ ان ما عولج في ١ً من حيث هي **تحركات** ، سواء أكانت تحركات الرأسمال في فرع معين من الانتاج أم تحركات الرأسمال الاجتماعي ـ تحركات تغير تركيب ، الخ ، الرأسمال ـ تدرك الآن من حيث هي **فوارق** بين **مبالغ الرأسمال الموظف في فروع الانتاج المختلفة** .

وانه ليترتب على ذلك بعدئذ أنه اذا افترض **معدل الربح** ، يعني استثمار العمل ،

---

(١) يقصد ماركس هنا الرأسمال الصناعي .

**متساويا** ، فان إنتاج القيمة ، وبالتالي إنتاج فضل القيمة ، وبالتالي **معدل الربح** ، **مختلفة** في فروع الانتاج المختلفة . بيد أن معدلاً متوسطاً أو عاماً للربح يتشكل بفعل المزاحمة انطلاقاً من هذه المعدلات المختلفة للربح . وان معدل الربح هذا ، المعبر عنه بصورة مطلقة ، لا يمكن أن يكون شيئاً آخر غير **فضل القيمة** المنتجة (سنوياً) من قبل **الطبقة الرأسمالية** بالاضافة الى الرأسمال **الاجتماعي** الاجمالي الموظف . ومثال ذلك أنه اذا كان الرأسمال الاجتماعي = ٤٠٠ك + ١٠٠ق وكانت فضل القيمة المنتجة سنوياً منه = ١٠٠م ، فان تركيب الرأسمال الاجتماعي اذن = ٨٠ك + ٢٠ق وتركيب المنتج (بالنسب المئوية) = ٨٠ك + ٢٠ق ||+٢٠م=**٢٠** بالمئة كمعدل ربح . هذا هو **المعدل العام للربح** .

ان ما تسعى المزاحمة بين كتل الرأسمال المختلفة ـ مختلفة التركيب والموظفة في مجالات الانتاج المختلفة ـ الى إنتاجه هي **الشيوعية الرأسمالية** ، يعني أن **كتلة الرأسمال المنتسبة الى كل مجال من مجالات الانتاج** يجب أن تنتزع حصة شفعية من فضل القيمة الاجمالية تتناسب مع القسم الذي تشكله من الرأسمال الاجتماعي الاجمالي .

ولا يمكن أن يتحقق ذلك الا اذا كان النتاج السنوي من السلع في كل من مجالات الانتاج (مع الافتراض الذي تم من قبل بأن الرأسمال الاجمالي = ٨٠ك + ٢٠ق وأن المعدل الاجتماعي للربح =٢٠م/٨٠ك+٢٠ق) يباع بسعر الكلفة زائداً ٢٠ بالمائة **ربحاً** على **قيمة الرأسمال الموظف** (ولا يهم كم من الرأسمال الثابت الموظف يدخل في سعر الكلفة السنوي أم لا) . بيد أن هذا يعني أن **تحديد سعر** السلع لا بد أن **ينحرف** عن **قيمها** ولا يمكن للسعر م (**سعر الكلفة**) + ٢٠ بالمائة على **الرأسمال الموظف** أن يتطابق مع قيم السلع الا في تلك الفروع من الانتاج حيث التركيب المئوي للرأسمال يساوي ٨٠ك+٢٠ق . أما حيث يكون التركيب أعلى (مثلاً ٩٠ك + ١٠ق) ، فان السعر يكون **فوق** قيمتها ؛ وحيث يكون التركيب أدنى (مثلاً ٧٠ك + ٣٠ق) ، فان السعر يكون **دون** قيمتها .

ان السعر المسوى على هذا الغرار ، الذي يقسم فضل القيمة الاجتماعية بصورة متساوية بين الرساميل الافرادية بصورة متناسبة مع حجمها ، هو **سعر انتاج** السلع ،

المركز الذي يتحرك حوله تذبذب أسعار السوق .

وان تلك الفروع من الانتاج التي تشكل **احتكارات** طبيعية معفاة من عملية التسوية هذه حتى اذا كان معدل ربحها أعلى من المعدل الاجتماعي . وان هذا لأمر هام من أجل تطور **الريع العقاري** فيما بعد .

ولا بد من مزيد من الشرح في هذا الفصل لمختلف **الأسباب المسوية** لأستثمارات الرأسمال المختلفة وهي التي تبدو في نظر الاقتصادي المبتذل على اعتبارها أسباباً متعددة **تولد** الربح .

وفيما عدا ذلك : **الشكل المتغير للمظهر** الذي تتخذه حالياً قوانين القيمة وفضل القيمة المشروحة سابقاً والصالحة بعد ، وذلك **في أعقاب تحول القيمة الى سعر الانتاج** .

٣ ـ **اتجاه معدل الربح الى الانخفاض مع تقدم المجتمع** . ان هذا يترتب على ما جرى شرحه في الكتاب الأول بشأن **التغير في تركيب الرأسمال مع تطور القوى المنتجة الاجتماعية**.وان هذا ليشكل أحد الانتصارات العظمى على حجر العثرة الضخم لمجمل الاقتصاد وحتى يومنا الراهن .

٤ ـ إننا لم نعالج حتى الآن الا **الرأسمال المنتج** . وان تعديلاً ينشأ الآن من خلال **الرأسمال التجاري**

وفقاً لافتراضنا السابق فان **الرأسمال المنتج** للمجتمع = ٥٠٠ (سواء بالملايين أم بالمليارات لا فرق) . ولقد كانت الصيغة ٤٠٠ك + ١٠٠ق !! +١٠٠ م.وان المعدل العام للربح ر= ٢٠ بالمائة.والآن فليكن الرأسمال التجاري = ١٠٠.ان ١٠٠م **يجب** أن تحسب الآن على ٦٠٠ بدلاً من ٥٠٠ وبالتالي فان المعدل العام للربح يرجع من ٢٠ بالمائة الى $\frac{٢}{٣}$١٦ بالمائة . وان **سعر الانتاج** (سوف نفترض هنا ، **طلباً للتبسيط** ، أن ٤٠٠ك بكاملها ، وبالتالي الرأسمال الثابت بأكمله ، يدخل **في سعر الكلفة** لنتاج السلع السنوي) الآن = $\frac{١}{٣}$٥٨٣ . ان التاجر يبيع بـ ٦٠٠ ويحقق بالتالي ، اذا كنا نجهل القسم الثابت من **رأسماله** $\frac{٢}{٣}$١٦ بالمائة على مبلغه ١٠٠ ، يعني قدر **ما يحققه** الرأسماليون المنتجون ؛ وبكلام آخر ، فانه يستملك $\frac{١}{٦}$ من فضل القيمة الاجتماعية .

ان السلع ـ مأخوذة كتلياً وعلى نطاق اجتماعي ـ تباع **بقيمها** . ان ١٠٠ ل.س . الخاصة به (اذا تركنا جانباً القسم الثابت) انما تخدمه بوصفها رأسمالاً نقدياً متداولاً . وان كل شيء يزيد على ذلك يبتلعه التاجر يحصل عليه إما بالغش المجرد واما بالمضاربة على تذبذبات أسعار السلع ، واما على اعتباره ، في حالة الباعة بالمفرق ، أجور عمل ـ وأن يكن عملاً حقيراً غير منتج . وهذه جميعاً تدخل تحت شكل الربح .

٥ ـ لقد أرجعنا الربح الآن الى الشكل الذي يظهر فيه في الممارسة ، أي ١٦$\frac{2}{3}$ بالمائة وفقاً لافتراضنا . **ومن بعد يأتي انقسام هذا الربح الى ربح المتعهد والفائدة . الرأسمال المنجب للفائدة . نظام الائتمان** .

٦ ـ **تحول الربح الفائض الى ريع عقاري** .

٧ ـ أخيراً وصلنا الى **أشكال الظهور** التي تخدم **كمنطلق** في التصور المبتذل : الريع العقاري الآتي من الأرض ، الربح (الفائدة) من الرأسمال ، الأجور من العمل . بيد أن الأمر يشاهد الآن بصورة مغايرة من وجهة نظرنا . ان الحركة الظاهرية قد فسرت . وفيما عدا ذلك ، فان هراء آدم سميث ، الذي أصبح **العمود الرئيسي** لكل الاقتصاد القائم حتى الآن ، ألا وهو أن سعر السلعة يتألف من تلك المداخيل الثلاثة ، أي فقط من الرأسمال المتحول (الأجور) وفضل القيمة (الريع العقاري ، الربح (الفائدة) ، قد تمت الاطاحة به . واذن ـ فان الحركة بكاملها تجري في هذا الشكل من الظهور . وأخيراً فما دامت هذه الأشياء الثلاثة (الأجور والريع العقاري والربح [الفائدة] تشكل مصادر الدخل لكل من الطبقات الثلاث من الملاكين العقاريين والرأسماليين والعمال المأجورين ، فان لدينا بنتيجة ذلك **الصراع الطبقي** الذي تنحل فيه الحركة وتتحطم القضية بكاملها ....

## ٩٩

## ماركس الى ل . كوغلمان

لندن ، في ١١ تموز ١٨٦٨

صديقي العزيز

إن صحة الأولاد تتحسن ، وإن كانوا ضعفاء بعد .

شكراً جزيلاً لك من أجل الأشياء التي أرسلت . **لا** تكتب الى فوشر ، والا فان ذلك **القزم** سوف يحسب نفسه ذا أهمية عظيمة . ان كل ما حققه هو تحريضي ، عندما تصدر طبعة ثانية ، على القيام بهجمات قليلة مستحقة على باستيا في القسم عن **مقدار القيمة** . ولم يتم ذلك لأن الكتاب الثالث سوف يحتوي على فصل منفصل ومفصل عن سادة «الاقتصاد المبتذل» . ومهما يكن من أمر ، فانك ستجد من الطبيعي جداً بالنسبة الى فوشر وشركاه أن يستخرجوا «القيمة التبادلية» لمؤلفاتهم التافهة ليس من **كتلة قوة العمل المصروفة** بل من **انعدام مثل هذا المصروف**، يعني من «**العمل الموفر**» . وان باستيا الفاضل لم يتوصل بنفسه الى هذا «الاكتشاف» الذي هو على الرحب والسعة لدى اولئك السادة ، بل «نسخه» فحسب كما هي عادته عن مؤلفين سابقين جداً . ومن المؤكد أن مصادره مجهولة من فوشر وشركاه .

**أما بخصوص سنترالبلات** ، فان الرجل[1] يقوم بأعظم تنازل ممكن حين يقبل بأنه اذا كان المرء يعني شيئاً ما بالقيمة ، فان النتائج التي استخلصتها يجب أن تقبل . وان الرجل السيىء الحظ لا يرى أنه حتى اذا لم يكن في كتابي أي فصل عن «القيمة» ، فان تحليل العلاقات الواقعية الذي أعطيه سيتضمن البرهان والدليل على علاقة القيمة الفعلية . ان كل ذلك اللغو عن ضرورة إثبات مفهوم القيمة منشؤه الجهل التام بالموضوع المعالج وبالطريقة العلمية على حد سواء . فكل طفل يعرف أن أمة تتوقف عن العمل ، لن أقول لسنة واحدة ، بل حتى لأسابيع قليلة ، سوف تفنى . وان كل طفل يعرف أيضاً أن كتل المنتجات المقابلة للحاجات المختلفة تتطلب كتلاً مختلفة ومحددة كمياً من العمل الاجمالي للمجتمع . أما أن هذه **الضرورة** الخاصة **بتوزيع** العمل الاجتماعي بنسب معينة لا يمكن البتة الاستغناء عنها بواسطة **شكل خصوصي** للانتاج الاجتماعي ، بل يمكن فقط أن تغير **نمط ظهورها** ، فهذا أمر مفروغ منه . ليس ثمة قوانين طبيعية يمكن الخلاص منها . ان ما يمكن أن يتغير في ظروف

---

(١)الاشارة الى مؤلف نقد لكتاب رأس المال صدر في العدد ٢٨ لعام ١٨٦٨ من مجلة Diterarisches Centralbelatt الصادرة في لايبزغ .

مختلفة تاريخياً انما هو **الشكل** الذي تؤكد فيه هذه القوانين نفسها . وان الشكل الذي يؤكد هذا التوزيع النسبي للعمل نفسه فيه ، في حالة اجتماعية حيث يتظاهر تداخل العمل الاجتماعي في **المبادلة الخاصة** لمنتجات العمل الافرادية ، هو على وجه الدقة **القيمة التبادلية** لهذه المنتجات .

ان العلم يستقيم بالضبط في البرهان على **الكيفية** التي يؤكد بها قانون القيمة نفسه . ذلك بحيث أنه إذا أراد امرؤ منذ البداية بالذات أن «يفسر» جميع الظواهر التي تناقض فيما يبدو ذلك القانون ، فلا بدَّ له أن يقدم العلم **قبل** العلم . وانها لخطيئة ريكاردو بالضبط أنه يتناول في فصله الأول عن القيمة جميع المقولات الممكنة والواجب شرحها بعد **على أنها معطاة** كيما يثبت تطابقها مع قانون القيمة .

ومن جهة ثانية ، كما افترضتَ بصورة صائبة ، فان **تاريخ النظرية** يبين بكل تأكيد أن مفهوم علاقة القيمة قد كان **هو نفسه على الدوام** ـ واضحاً أكثر أو أقل ، مُسيّجاً بالأوهام أكثر أو أقل ، أو محدداً علمياً أكثر أو أقل ، وما دامت عملية التفكير نفسها تنمو من الشروط ، هي نفسها **عملية طبيعية** ، فان التفكير الذي يفهم حقاً لا بدّ أن يكون هو نفسه على الدوام ـ ولا يمكن أن يتفاوت الا بصورة تدريجية ، وفقاً لنضوج التطور ، بما في ذلك تطور العضو الذي يصير التفكير به . وكل ما عدا ذلك هراء .

ليس لدى الاقتصادي المبتذل أوهى فكرة عن أن علاقات المبادلة اليومية الفعلية **لا يمكن أن تكون متماثلة بصورة مباشرة** مع مقادير القيمة . ان ماهية المجتمع البورجوازي تستقيم بالضبط في هذا ، أنه لا يوجد أي تنظيم اجتماعي واعٍ للانتاج **بصورة قبلية** . ان العقلاني والضروري طبيعياً انما يؤكد ذاته من حيث **هو معدل** يعمل بصورة عمياء . ومن ثم يحسب الاقتصادي المبتذل أنه توصل الى اكتشاف عظيم حين يعلن بكل فخر ـ بصورة معارضة للكشف عن الترابط الباطن ـ أن الأشياء تلوح مختلفة في ظاهر الأمر . وبالفعل فانه يتباهى بأنه يتمسك بالمظهر ، ويأخذ هذا المظهر على أنه الحقيقة الأخيرة . أذن فما جدوى العلم ؟

لكن للقضية خلفية أخرى أيضاً . فاذا ما تم ادراك الترابط مرة ، فان كل ايمان نظري بالضرورة الدائمة للشروط القائمة ينهار قبل انهيارها في الممارسة . وبالتالي

فانه في مصلحة الطبقات الحاكمة بصورة مطلقة هنا أن تحافظ أبداً على هذا الغموض السخيف . وهل ثمة غرض آخر يتناول عليه الأجر اولئك الثرثارون المداهنون ، الذين لا يملكون بوقاً علمياً آخر يعزفون عليه الا أن من واجب المرء في الاقتصاد السياسي ألا يفكر مطلقاً ؟

لكن satis- superque(١) . انه ليبين على أي حال حتى أي درك انحط كهان البورجوازية هؤلاء ، بينما يفهم العمال ، بل الصناعيون والتجار،كتابي ويتلمسون طريقهم فيه ، في حين أن هؤلاء «الكتبة المتعلمين» (!) يشكون من أنني أثقل على فهمهم .

لن أنصح باعادة نشر مقالة شوايتزر ، بالرغم من أن شوايتزر استخدمها جيداً من أجل صحيفته .

لسوف أكون شاكراً لك اذا أرسلت لي عدة نسخ من **Staatsanzeiger** .

نستطيع الحصول على عنوان شناك بالاسفسار لدى **Elberfelder Reitung**

اطيب تمنياتي لزوجتك وفرانـزشن.

المخلص

ك . م .

a propos(٢) استلمت نقداً من دبيترجن لكتابي . اني أرسله الى ليببكنخت .

## ١٠٠

## ماركس الى انجلز

**لندن ، في ٢٦ آب ١٨٦٨**

... كانت الدعوة التي تلقيتها الى مؤتمر الرابطة العامة للعمال الألمان (هامبورغ من ٢٢ ـ ٢٥ آب) موقعة من شوايترز بوصفه رئيساً ومن أكثر من عشرين عاملاً من جهات مختلفة من ألمانيا (أعضاء اللجنة التنفيذية) ، ولم يكن لي بدّ أن آخذ هؤلاء

---

(١) كفى ودعنا من ذلك .

(٢) بالمناسبة .

الأخرين بعين الاعتبار في جوابي . وكان السبب الذي أعطيته لعدم قدومي هو عمل المجلس المركزي لرابطة الشغيلة الأممية ، وقلت انه يُسعدني أن أرى أن منطلقات أية حركة «جدية» للطبقة العاملة ـ التحريض من أجل الحرية السياسية التامة ، وتنظيم يوم العمل ، والتعاون الأممي للطبقة العاملة ـ هي مؤكدة في **برنامجهم** للمؤتمر . وهذا يعني بكلام آخر أني هنأتهم لتخليهم عن **برنامج لاسال** . أما ما اذا كانوا قد فهموا قصدي ، فهذا ما سوف نعرفه فيما بعد . ومن المؤكد أن شوايتزر ، وهو الرجل الوحيد الذي يحمل رأساً على كتفيه من بين كل عصابة لاسال ، لا بدّ أن يستشم ذلك . أما ما اذا كان سيحسب من المستصوب إظهار ذلك أم الادعاء بالغباء ، فهذا ما سوف نراه .

المخلص

ك . م .

# ١٠١

## ماركس الى ج . ج . ايكاريوس و ف . ليسنر

**لندن ، في ١٠ ايلول ١٨٦٨**

عزيزيّ ايكاريوس وليسنر

أولاً تشكراتي الى ليسنر على رسالته الطويلة والهامة .

يجب ألا تسمحا للمؤتمر (١) بالاستمرار أكثر من هذا الأسبوع . وحتى الآن لم يحدث أي شيء مخزٍ بقدر ما يتعلق الأمر بانكلترا .

واذا ما عمد البلجيكيون والفرنسيون من جديد الى وضع مواضيع جديدة في جدول الأعمال ، فأفهماهم أن هذا لن يجدي لأن :

١ً ـ الألمان ممثلون بصورة ضئيلة جداً نظراً لأن مؤتمريهم(٢) ينعقدان في الوقت نفسه تقريباً في ألمانيا ؛

٢ً ـ انكلترا تكاد لا تكون ممثلة على الاطلاق من جراء الحركة الاقتراعية ؛

---

(١) الاشارة الى مؤتمر بروكسل للأممية الأولى (٦ ـ ١٣ أيلول ١٨٦٨) .

(٢) مؤتمر برلين للرابطة اللاسالية العامة للعمال الألمان ومؤتمر نورمبورغ لجمعيات العمال السكسونية . ان المؤتمر الأخير قد وضع لهذه الجمعيات برنامجاً يعتمد على مبادىء الأممية الأولى .

٣ً ـ السويسريين الألمان غير ممثلين على الاطلاق حتى الآن نظراً لأنهم انتسبوا مؤخراً فقط ولأن فروعهم الموجودة منذ زمن طويل استنفذت اعتماداتها في اضراب جنيف ؛

٤ً ـ المناقشات تجري حالياً بصورة وحيدة الجانب ، باللغة الفرنسية فقط ؛

٥ً ـ **القرارات عن القضايا النظرية العامة** يجب تجنبها اذن لأن هذا لا يمكن الا أن يستدعي الاحتجاجات في وقت لاحق من جانب غير البلجيكيين وغير الفرنسيين .

ومن المؤكد أن الرأي العام مهتم بصورة رئيسية بقضية الحرب. إن البيانات الطويلة والعبارات الطنانة لن تكون مؤذية هنا . ويبدو أن القرار الواجب اتخاذه في هذه المسألة هو بكل بساطة كما يلي : أن الطبقة العاملة لم تبلغ بعد حداً كافياً من التنظيم كي تلقي بأي ثقل في الميزان ؛ وأن المؤتمر على أي حال يحتج باسم الطبقة العاملة ويفضح المحرضين على الحرب ؛ وأن الحرب بين فرنسا وألمانيا حرب أهلية ، مدمرة بالنسبة الى البلدين ، ومدمرة بالنسبة الى اوروبا عامة . ان بياناً بأن الحرب لن تفيد الا الحكومة الروسية لا يُتوقع أن يكسب تأييد الفرنسيين والبلجيكيين .

تحياتي الى الصديق بيكر .

**ك . ماركس**

اذا طرحت مسألة الصندوق المشترك ، فان على ايكاريوس بكل بساطة أن يوضح أنه ليس لعمال انكلترا وألمانيا والولايات المتحدة شأن بالعقائد البرودنية وأنهم يعتبرون مسألة الصندوق ذات أهمية ثانوية .

ان قرارات المؤتمر يجب ان ترسل برقياً إلى صحف لندن باختصار ، لا تأتيا ما يسيىء إلى سمعتكما !

**ك . م .**

## ١٠٢

## ماركس الى انجلز

**لندن ، في ١٠ تشرين الأول ١٨٦٨**

...حين كنت هنا آخر مرة رأيت الكتاب الأزرق عن حالة الأرض في ايرلندا

١٨٤٤ ـ ١٨٤٥ . ولقد عثرت بمحض الصدفة في دكان صغير لبيع الكتب المستعملة على «التقرير والبينات عن حق المستأجر الايرلندي» ، **١٨٦٧** (مجلس اللوردات) . تلك كانت لقية حقيقية . فبينما يعالج السادة الاقتصاديون مسألة ما اذا كان الريع العقاري مدفوعاً لقاء الفوارق الطبيعية في الأرض أم مجرد فائدة على الرأسمال الموظف في الأرض على اعتبار ذلك نزاعاً خالصاً بين العقائد ، فان لدينا هنا صراعاً فعلياً للحياة والموت بين المزارع والملاك بشأن مسألة الى **أي مدى يجب** أن يتضمن الريع **أيضاً** ، **بالاضافة** الى المدفوع لقاء الفارق النوعي في الأرض، الفائدة على الرأسمال **الموظف فيها** ـ ليس من قبل الملاك بل من قبل المستأجر . ان الاقتصاد السياسي لا يمكن أن يحوَّل الى علم ايجابي الا اذا استبدلت العقائد المتنازعة بالحقائق المتنازعة والتناقضات الفعلية التي تشكل خلفيتها المستترة .

تحياتي .

المخلص

ك . م .

# ١٠٣

## ماركس الى ج . ب . شوايتزر

**لندن ، في ١٣ تشرين الأول ١٨٦٨**

سيدي العزيز

ان سوء فهم من جانبي هو السبب في أنك لم تتلق جواباً عن رسالتك المؤرخة في ١٥ ايلول . لقد فهمت من رسالتك أنك سوف ترسل الي «مقترحاتك» لدراستها ورحت انتظرها . ثم كان مؤتمركم ، وفيما بعد (وقد كنت مرهقاً بالأعمال) لم أعد اعتبر أن الجواب أمر عاجل . وقبل أن تصل رسالتك المؤرخة في ٨ تشرين الأول وجهت **مراراً** النداء من أجل **السلام** في حدود قدراتي بوصفي سكرتيراً للأممية عن المانيا . وان الرد الذي حصلت عليه (وفيه كانت مقتطفات من **الاشتراكي الديموقراطي** للتأكيد ) قد قرر أنك أنت نفسك كنت تحرّض على **الحرب** . ولقد أعلنت

أن دوري يجب أن يقتصر بالضرورة على دور «الحكم غير المتحيز» في مبارزة ...

وقبل كل شيء ، بقدر ما يتعلق الأمر بالرابطة اللاسالية ، فقد تأسست في مرحلة من الرجعية . ان لاسال - وسوف تظل تلك خدمته الخالدة - قد أيقظ من جديد الحركة العمالية في ألمانيا بعد سنواتها الخمس عشرة من السبات . بيد أنه ارتكب أخطاء جسيمة . لقد سمح لنفسه بأن تتحكم فيه حتى درجة كبيرة الظروف المباشرة القائمة . ولقد جعل نقطة انطلاق صغرى - معارضته لقزم مثل سكولز - ديليتش - في النقطة المركزية لتحريضه :- معونة الدولة ضد المعونة الذاتية . وإما فعل ذلك فانه انما تناول من جديد الشعار الذي أطلقه بوشيه ، زعيم الاشتراكية الكاثوليكية الفرنسية ، في ١٨٤٣ وبعد ذلك ضد الحركة العمالية الصحيحة في فرنسا . وان لاسال ، وهو أذكى كثيراً من أن يعتبر هذا الشعار أي شيء آخر سوى بديل مؤقت ، ما كان يستطيع أن يبرره الا على أساس عمليته المباشرة (حسب زعمه !) . وكان لا بدّ له من أجل هذا الغرض أن يؤكد امكانية تنفيذه في المستقبل القريب . ومن ثم تحولت «الدولة» الى الدولة البروسية . وهكذا اضطر أن يقدم التنازلات الى الملكية البروسية ، والرجعية البروسية (الحزب الاقطاعي) ، وحتى رجال الاكليروس . ولقد ضم الى معونة الدولة للرابطات التي كان بوشيه ينادي بها النداء الميثاقي الى الاقتراع العام . لقد تجاوز حقيقة أن الشروط في ألمانيا وانكلترا مختلفة ، كما تجاوز دروس الامبراطورية الثانية فيما يتعلق بالاقتراع العام في فرنسا . وفضلاً عن ذلك اعطى تحريضه منذ البداية طابعاً دينياً ومتشيعاً ، مثله في ذلك كمثل كل امرىء ينادي بأنه يملك في جيبه بلسماً لآلام الجماهير . وبالفعل فان كل شيعة هي شيعة دينية . وفيما عدا ذلك ، وبالضبط لأنه كان مؤسس شيعة ، فقد أنكر كل رابطة طبيعية مع حركة الطبقة العاملة السابقة داخل ألمانيا وخارجها على حد سواء - لقد وقع في نفس الخطيئة التي وقع برودون فيها : فبدلاً من أن يبحث بين العناصر السليمة للحركة الطبقية عن الأساس الواقعي لتحريضه أراد أن يحدد المجرى الذي يجب أن تسلكه هذه الحركة وفقاً لوصفة عقائدية معينة .

ان معظم ما أقوله الآن ، بعد الذي جرى ، قد سبق فأخبرت لاسال به عام

١٨٦٢ ، حين جاء الى لندن وحثني على أن أضع نفسي الى جانبه على رأس الحركة الجديدة .

وأنت نفسك اختبرت في شخصك بالذات التعارض بين حركة الشيعة وحركة الطبقة ، ان الشيعة ترى مبرر وجودها ومحك شرفها ليس في الأشياء **المشتركة** بينها وبين الحركة الطبقية بل في **الأوهام الخصوصية** التي **تميزها** من الحركة . وهكذا فأنك حين اقترحت في هامبورغ المؤتمر من أجل تكوين النقابات لم تستطع أن تسحق معارضة الشيعة الا بالتهديد بالاستقالة من منصب الرئيس . وبالاضافة الى ذلك فقد كنت مضطراً الى اتخاذ شخصية ثنائية واعلان انك تتصرف في الحالة الواحدة بوصفك رئيس شيعة وفي الحالة الثانية بوصفك ممثل الحركة الطبقية .

ان حل الرابطة العامة للعمال الألمان أعطاك الفرصة كي تقوم بخطوة كبيرة الى الأمام وكي تعلن ، وتثبت عند الضرورة ،أن مرحلة جديدة من التطور قد تم بلوغها الآن ، وأن الآوان قد حان كي تنصهر الحركة الشيعية في الحركة الطبقية وتضع حداً لكل تشيع . وأما المضمون الحقيقي للشيعة فيجب ، كما كانت الحال بالنسبة الى جميع الشيع السابقة للطبقة العاملة ، أن يحمل الى الحركة العامة بوصفه عنصر إغناء لها .

وبدلاً من ذلك فانك تطلب حالياً من الحركة الطبقية أن تُخضع نفسها لحركة شيعة خاصة،الأمر الذي استنتج منه اولئك الذين ليسوا بأصدقائك أنك تريد مهما حدث أن تحافظ على «حركتك العمالية الخاصة» .

فيما يتعلق بمؤتمر برلين فأولاً : لم يكن ثمة أية ضرورة للعجلة : نظراً لأن قانون الأئتلاف لم يكن قد صُدّق بعد . وبالتالي فقد كان عليك أن تتوصل الى تفاهم مع الزعماء **من خارج** الحلقة اللاسالية ، وتضع المشروع بالتضامن معهم ، وتدعو المؤتمر . وبدلاً من ذلك لم تترك لهم الا الخيار بين **الانضمام** اليك أو **معارضتك** . ولم يكن للمؤتمر نفسه الا مظهر نسخة موسعة فحسب لمؤتمر هامبورغ .

وأما بشأن مسودة الأنظمة ، فاني اعتبرها خاطئة من حيث المبدأ ، وأنا أعتقد أني أملك من الخبرة في حقل النقابات قدر ما يملكه أي من المعاصرين لي . ودونما المضي الى أبعد من ذلك في التفاصيل ، فأني أريد أن ألاحظ فحسب أن التنظيم **المركزي** ، وان يكن عظيم المنفعة من أجل الجمعيات السرية والحركات الشيعية ، يتعارض مع

طبيعة النقابات . وحتى اذا كان هذا التنظيم ممكناً ـ وأنا أقرر بصراحة أنه مستحيل ـ فانه لن يكون مرغوباً فيه ، وفي ألمانيا أقل منه في أي مكان آخر .. هنا حيث حياة العامل منظمة منذ الطفولة بالبيروقراطية وحيث يؤمن هو نفسه بالسلطات، وبالأجهزة المعينة فوقه ، يجب أن يعلّم قبل كل شيء كيف يمشي لوحده ..

ان مشروعك غير عملي من وجهة أخرى أيضاً . «رابطة» ذات ثلاث سلطات مستقلة ، كل منها ذات أصل مختلف : ١ً ـ **اللجنة** التي تنتخبها **النقابات** ؛ ٢ً ـ **الرئيس** (وهو شخص نافل كلياً هنا) المنتخب **بالاقتراع العام** ؛ ٣ً ـ **المؤتمر** المنتخب من قبل **اللجان المحلية** . وبالتالي فانه الصدام في كل مكان ويفترض فيه مع ذلك أنه يشجع «العمل السريع» ! (ان في أنظمة رابطة الشغيلة الاممية رئيساً للرابطة أيضاً . لكنه لم يملك قط في واقع الأمر أية وظيفة أخرى سوى ترؤس اجتماعات المجلس العام . وان هذا المنصب الذي رفضته عام ١٨٦٦ قد ألغي تماماً باقتراح مني عام ١٨٦٧ واستعيض عنه برئيس للجلسات ينتخب في كل اجتماع اسبوعي للمجلس العام . **وان مجلس نقابات لندن** لا يملك كذلك الا رئيساً للجلسات ، وسكرتيره هو الموظف الدائم الوحيد فيه لأنه يقوم بوظيفة أعمال تتطلب الاستمرار) . ولقد ارتكب لاسال خطيئة فادحة حين استعار عبارة «منتخب بالاقتراع العام» من الدستور الفرنسي لعام ١٨٥٢ . وأن يكون لدينا ذلك الآن في حركة نقابية ! ان هذه الحركة الأخيرة تدور حتى درجة كبيرة حول مسائل مالية ، ولسوف تكتشف عاجلاً أن كل دكتاتورية هنا تأتي الى نهاية .

ومهما يكن من أمر ، فكائنة ما كانت أخطاء المنظمة فلعله في الامكان اجتثاتها أكثر أو أقل بالممارسة العقلانية . وإني على استعداد ، بوصفي سكرتير الأممية ، أن أعمل كوسيط بينك وبين غالبية نورمبورغ التي انتسبت الى الأممية بصورة مباشرة ، على أساس عقلاني بالطبع. ولقد كتبت بالمعنى نفسه الى لايبزغ (١) . اني أقدر كل التقدير مصاعب مركزك وأدرك دائماً حقيقة أن كل واحد منا رهن بالظروف أكثر منه بارادته الخاصة .

---

(١) الى ولهلم ليبكنخت .

اني أعدك بأن أكون منزهاً في جميع الأحوال كما هو واجبي . لكنني لا أستطيع من جهة أخرى أن أعدك بأنني لن أنتقد علانية في يوم من الأيام ـ حالما أعتقد أن مصالح حركة الطبقة العاملة تملي ذلك بصورة مطلقة ـ الوهم اللاأسالي باعتباري **فرداً خاصاً** ، مثلما انتقدت مرة الوهم البرودوني .

واذ اؤكد لك شخصياً أفضل نواياي حيالك أبقى

المخلص لك

ك . م .

## ١٠٤

# انجلز الى ماركس

### مانشستر، في ٦ تشرين الثاني ١٨٦٨

عزيزي المغربي

أعيد اليك طيه أيشهوف ومخطوطة ديتزجن . لقد وضعت هذه المخطوطة، خشية من الخادمة النهارية ، في مكان **أمين** وهنالك طواها النسيان كلياً .

من الصعب إصدار حكم محدد بصورة مطلقة على هذا الشيء. فليس الرجل فيلسوفاً بالولادة ، وفضلاً عن ذلك فهو متثقف ذاتياً بصورة ناقصة . وان بعض مصادره (مثلاً فيورباخ ، وكتابك ، ومؤلفات شعبية سيئة مختلفة عن العلوم الطبيعية) يمكن التعرف اليها في الحال من مصطلحاته ، لكن المرء لا يستطيع أن يقول ما الذي قرأه سوى ذلك . ومن المؤكد أن مصطلحاته لا تبرح بالغة الغموض ـ ومن هنا كان ذلك النقص في الحدة والتكرار الكثير للعبارات الجديدة . وان ثمة جدلية فيه أيضاً ، لكنها تظهر في ومضات أكثر منها بصورة متماسكة . وان تقديم الشيء في نفسه على اعتباره شيئاً فكرياً (Gedankending) ليكون أمراً رائعاً جداً بل لامعاً اذا كان في مقدور المرء أن يكون **على يقين** من أنه اكتشفه **بنفسه** . ان ثمة مقداراً كبيراً من الحصافة ، وعلى الرغم من النحو الضعيف، موهبة بارزة للأسلوب . وعلى العموم ، على أي حال ، غريزة مرموقة : طالما أنه توصل بالتفكير إلى كل هذا القدر من الأشياء

الصائبة مع ذلك التكوين العلمي الناقص جداً(1) ...

# ١٠٥

# ماركس الى انجلز

## لندن ، في ٧ تشرين الثاني ١٨٦٨

... انه(2) يترجم لي المقاطع الرئيسية من الكتاب الروسي عن انحلال الزراعة ، وقد أعطاني أيضاً كتاباً فرنسياً عن ذلك بقلم الروسي سكيدو - فيروتي . ان هذا الأخير لعلى خطأ كبير - انه على العموم فتى سطحي جداً - حين يقول ان النظام المشاعي الروسي نشأ كنتيجة لمنع الفلاح من مغادرة الأرض . ان الشيء كله ، **حتى أدق التفاصيل** ، متماثل بصورة مطلقة مع النظام المشاعي الجرماني البدئي . وان ما يجب إضافته في حالة الروس (وان هذا ليصادف كذلك في قطاع من **النظام المشاعي الهندي** ، ليس في البنجاب بل في الجنوب) هو **١ً** - الطابع **غير الديمقراطي** بل الرعوي لادارة المشاعة ، **و٢ً - المسؤولية الجماعية** عن الضرائب للدولة ، الخ . وانه ليترتب على النقطة الثانية أنه بقدر ما يكون الفلاح الروسي أكثر كداً يكون أعظم استثماراً من قبل الدولة ، ليس بالضرائب فحسب ، بل بتوفير الانتاج ، والأحصنة ، الخ ، خلال المرور المتصل لجماعات الجند ، وللسعاة الحكوميين ، الخ . ان هذه الخليطة الكريهة باكملها هي في عملية انهيار .

اني اعتبر شرح دييتزجن ، بقدر ما لا يطل منه فيورباخ ، الخ - باختصار مصادره - على أنه من عمله الخاص المستقل كلياً . وفيما عدا ذلك ، فاني أوافق على جميع الأمور التي ذكرتها . ولسوف أتحدث اليه بخصوص التكرارات . انه لمن سوء حظه أنه بالضبط لم يدرس هيغل ...

---

(1) يقصد انجلز مخطوطة دييزجن عن **ملكة التفكير** التي أرسلها ماركس اليه لابداء الرأي . ولقد كتب ماركس بشأن هذا المؤلف الى كوغلمان بتاريخ ٥ كانون الأول **١٨٦٨** يقول : «لقد أرسل لي (دييزجن) قبل زمن طويل جداً جزءاً من مخطوطة عن **ملكة التفكير** تحتوي ، بالرغم من بعض الغموض ومن التكرار الكثير ، على قدر كبير من الأشياء الممتازة ، بل المثيرة للاعجاب من حيث هي الانتاج المستقل لرجل عامل» .

(2) بوركايم .

# ١٨٦٩

## ١٠٦

## ماركس الى ل . كوغلمان

**لندن ، في ٣ آذار ١٨٦٩**

... ان حركة باعثة على قدر كبير من الاهتمام تجري في فرنسا .

ان الباريسيين يقومون بدراسة نظامية لتاريخهم الثوري الحديث كيما يتهيأوا لقضية الثورة الجديدة العتيدة . أولاً **نشأة الامبراطورية** ـ ومن ثم **انقلاب كانون الأول** . ولقد طوى النسيان هذا الأمر كلياً ، بالضبط كما نجحت الرجعية في المانيا في أن تطمس كلياً ذكرى **١٨٤٨ ـ ١٨٤٩** .

وهذا هو السبب في أن كتابَي تينو عن **الانقلاب** (١) اجتذبا كل هذا الانتباه الهائل في باريس والأقاليم بحيث اعيد **طبعهما** عشر مرات خلال فترة زمنية قصيرة . ولقد اعقبهما عشرات من الكتب الأخرى عن الفترة نفسها . لقد كان أقبال الناس عليها شديداً ، وبالتالي فسرعان ما أصبحت قضية رابحة بالنسبة الى ناشري الكتب .

ولقد جاءت هذه الكتب من **المعارضة** ـ مثال ذلك أن تينو هو واحد من رجال **القرن** ( أقصد الصحيفة البرجوازية الليبرالية وليس قرننا) . ان جميع الأوغاد الليبراليين وغير الليبراليين الذين ينتسبون الى المعارضة الرسمية يرعون هذه الحركة . وكذلك الديمقراطيون الجمهوريون ، أناس من أمثال **سكلوز** على سبيل المثال ، الذي كان من قبل مساعد لودرو ـ رولان ، وهو الآن ، باعتباره بطريركاً جمهورياً ، رئيس تحرير **اليقظة** الباريسية .

---

(١) كتابا إ . تينو عن انقلاب بونابرت : ١ً ـ باريس في كانون الأول ١٨٥١ ؛ ٢ً ـ الأقاليم في كانون الأول ١٨٥١ .

وحتى الوقت الحاضر كان الجميع يستمتعون بهذه الفضائح أو بالاحرى الذكريات التالية لوفاة صاحبها ـ الجميع الذين ليسوا ببونابرتيين .

لكن الجانب الآخر من المدالية جاء بعدئذ .

فقبل كل شيء حملت الحكومة الفرنسية نفسها المرتد هيبوليت كاستيل على نشر **مذابح حزيران ١٨٤٨** ، فكانت تلك صفعة اولى موجهة الى تييرس وفالو وجول فافر وجول سيمون وبيلوتان ، الخ ، وباختصار الى زعماء ما يسمى في فرنسا **الاتحاد الليبرالي** ، الذين يريدون ان يتلاعبوا بالانتخابات القادمة ، هؤلاء الكلاب الشيوخ السفلة !

ومهما يكن من أمر ، فقد جاء من ثم الحزب الاشتراكي ، الذي «فضح» المعارضة والديمقراطيين الجمهوريين من الصنف القديم .

ومنهم **فيرموريل الذي نشر : رجال عام ١٨٤٨ والمعارضة** .

ان فيرموريل برودوني .

وجاء البلانكيون أخيراً ، مثلاً ج . تريدون : **الجيروند والجيرونديون** .

وهكذا فان قدر الساحرات التاريخية تغلي برمتها .

متى يمضي بلدنا الى هذا المدى !

لأبين لك جودة الخدمات المقدمة الى الشرطة الفرنسية :

كنت أنوي أن أذهب مبكراً في الأسبوع القادم الى باريس لرؤية ابنتي .

ويوم السبت الماضي استفسر أحد رجال الشرطة لدى دار لافارغ عما اذا كان السيد ماركس قد وصل ، وزعم أن لديه مهمة له . إخطار !

أطيب تمنياتي الودية لزوجتك العزيزة وفرانزشن .

كيف حال مدام تينج ؟

المخلص

**ك . م .**

## ١٠٧

# ماركس الى انجلز

[لندن] ، **في ٥ آذار ١٨٦٩**

عزيزي فريد

ان الوثيقة الصغيرة المرفقة(١) وصلت **البارحة** (بالرغم من انها مؤرخة في **٢٧** شباط) . يجب أن تعيدها حالما تقرؤها ، اذ يجب أن أطرحها أمام المجلس يوم الخميس القادم . ان السادة من الاتحاد قد استغرقوا وقتاً طويلاً حتى أنجزوا هذه القطعة .

وحقيقة الأمر أننا كنا نفضل لو احتفظوا «بكتائبهم التي لا حصر لها» في فرنسا واسبانيا وايطاليا لأنفسهم .

ويعتقد باكونين : اذا وافقنا على هذا «البرنامج الراديكالي» فانه يستطيع أن يثير ضوضاء كبيرة بهذا الشأن ويورطنا ، وان يكن حتى قدر ضئيل فقط . واذا أعلنا معارضتنا له فاننا سنتعرض لتشويه سمعتنا باعتبارنا ضد ثوريين . وفيما عدا ذلك : اذا قبلناه فانه سيتدبر أمره كي يدعمه بعض الدهماء في مؤتمر بال . أعتقد أن الجواب يجب أن يكون على الأسس التالية :

وفقاً للفقرة الأولى من الأنظمة فانه من الواجب قبول كل جمعية للشغيلة «تستهدف الغاية نفسها ،التي هي حماية وتقدم **وتحرر الطبقات العاملة التام**» .

ولما كانت مرحلة التطور التي بلغتها القطاعات المختلفة من العمال في نفس البلد والطبقة العاملة في البلدان المختلفة تختلف اختلافاً كبيراً بالضرورة ، فان الحركة الفعلية تعبر عن نفسها بالضرورة في أشكال نظرية بالغة التنوع .

ان جماعية العمل التي خلقتها رابطة الشغيلة الأممية ، وتبادل الأراء بواسطة الأجهزة المختلفة التابعة للفروع في مختلف البلدان ، وأخيراً المناقشات المباشرة للمؤتمرات العامة سوف تخلق بصورة متدرجة ، من أجل حركة العمال العامة ، برنامجها النظري المشترك أيضاً .

وبالتالي ، فيما يتعلق ببرنامج الاتحاد ، فانه ليس ثمة ضرورة تدعو المجلس العام الى إخضاعه لدراسة نقدية . فليس للمجلس أن يدرس ما اذا كان يشكل تعبيراً

(١) رسالة من اللجنة المركزية للاتحاد الباكونيني للديموقراطية الاشتراكية . ولما كان الاتحاد راغباً في الانتساب الى الأممية فقد أعلن استعداده للتخلي عن منظمته المستقلة بشرط أن يعترف المجلس العام بالمبادىء الواردة في برنامج الاتحاد .

علمياً صحيحاً عن حركة الطبقة العاملة . ان كل ما عليه هو أن يسأل ما اذا كان **الاتجاه العام** للبرنامج لا يتعارض مع الاتجاه العام لرابطة الشغيلة الأممية ـ التحرر التام للطبقات العاملة !

ان هذا اللوم لا يمكن أن ينطبق الا على عبارة واحدة في البرنامج ، الفقرة الثانية : «إنه[1] يرغب قبل كل شيء في المساواة السياسية والاقتصادية والاجتماعية **للطبقات**» . ان «مساواة الطبقات» ، اذا ما فسرت حرفياً ، ليست الا طريقة أخرى للقول «بالانسجام بين الرأسمال والعمل» الذي يبشر به الاشتراكيون البورجوازيون . إن ما يشكل الهدف الأخير لرابطة الشغيلة الأممية ليس «مساواة الطبقات» المستحيلة منطقياً ، بل «إلغاء الطبقات» الضروري تاريخياً . بيد أنه يتبين من السياق الذي ترد فيه هذه العبارة في البرنامج أنها ليست الا زلة قلم . ومن هنا فان المجلس العام يراوده قدر أقل من الريبة في أن هذه العبارة ، التي يمكن أن تؤدي الى سوء تفاهم خطير ، سوف تشطب من البرنامج .

واذا ما افترضنا ذلك ، فانه مما يتفق مع مبدأ رابطة الشغيلة الأممية أن تترك لكل فرع مسؤولية برنامجه الخاص . وبالتالي فليس ثمة ما يمنع تحويل فروع الاتحاد الى فروع لرابطة الشغيلة الأممية .

وحالما يحدث ذلك ، فان قائمة بالفروع المنضمة حديثاً تحدد البلد والمقر وعدد الأعضاء يجب ان ترسل الى المجلس العام وفقاً للأنظمة .

ان هذه النقطة الأخيرة ـ احصاء كتائبهم ـ سوف تدغدغ بالطبع السادة بصورة خاصة.أخبرني بكل ما تريد تغييره في مسودة هذا الجواب حين تعيد الرسالة ...

## ١٠٨

## انجلز الى ل . كوغلمان

**مانشستر ، في ١٠ تموز ١٨٦٩**

... ان حل الشيعة اللاسالية ، ومن جهة ثانية انفصام العمال السكسونيين والألمان

---

(١) الاتحاد .

الجنوبيين عن الأسلاك المعدنية لحزب الشعب ، هما الشرطان الأساسيان من أجل تشكيل حزب عمالي ألماني جديد وسليم . ان اللاساليين سوف يعنون الآن بأمورهم بأنفسهم وسوف يتهمون بعضهم بعضاً ، لكنه من الأصعب جداً التخلص من الأفكار البورجوازية الصغيرة ، الجمهورية ، الألمانية الجنوبية المحدودة ، التي حشرها ليبكنخت بصورة منهجية في رؤوس العمال . خذ فحسب حماقة أن يسجل في جريدته(١) : «صحيفة حزب الشعب» ، يعني البورجوازي الصغير الألماني الجنوبي ! لو أن بيبل كان يملك إلماماً بالثقافة النظرية ما أمكن أن يحدث مثل هذا الشيء . انه ليبدو أنه فتى فعال جداً يعاني على أي حال من هذا العيب الوحيد . وهذا ليبكنخت يأتي ويطالب بأن ننصره وننصر حزب الشعب مباشرة ضد شوايتزر ! ومع ذلك فمن المفروغ منه أننا ، من جهة واحدة ، نلتقي مع حزب الشعب ، وهو حزب بورجوازي ، أقل مما نلتقي مع لاساليي شوايتزر ، الذين هم بعد كل شيء شيعة من العمال ، وان ماركس **مضطر** من جهة ثانية ، بوصفه سكرتير رابطة الشغيلة الأممية عن ألمانيا ، أن يعامل بصورة لائقة **كل** زعيم وضعه عدد كافٍ من العمال على رأسهم وأرسلوه الى البرلمان ...

## ١٠٩

## ماركس الى انجلز

[لندن] ، في ١٠ آب ١٨٦٩

... ان ذلك الجزء من خطاب وهلم(٢) (الملقى في **برلين**) المنشور في الملحق يظهر تحت حماقته مكراً لا ينكر في تدبير الأمر بحيث يناسبه . وعلى أي حال ، فان هذا رائع جداً ! **لأن** الرايخستاغ يجب أن يُستخدم **كوسيلة للتحريض فقط** ، فانه من واجب المرء **ألا يحرض قط** هناك من أجل أي شيء معقول يمس بصورة مباشرة مصالح العمال ! ان وهم وهلم الفاضل بان بسمارك ، لأنه «مغرم» باستخدام تعابير ودية

(١) الاشارة الى Demokratisckes Wochenblatt ، وهي صحيفة كان ليبكنخت يصدرها في لايبزغ في ١٨٦٨ - ١٨٦٩ .

(٢) وهلم ليبكنخت .

بالنسبة الى العمال ، لن يعارض بالتالي **التدابير الفعلية في مصلحة العمال** لوهم فاتن حقاً ! «لكأن» ـ كي نتبع طريقة برونو بوير في الكلام ـ الهر ويجينر لم يعلن في الرايخستاغ انه **يؤيد** قوانين العمل نظرياً لكنه يعارضها في **الممارسة** ، «لأنها عديمة الجدوى في الظروف البروسية !» «لكأن» الهر بسمارك ، لو كان يريد بالفعل أن يصنع شيئاً للعمال وكان **قادراً** على القيام بذلك ، ما كان يستطيع أن **ينفذ** القوانين القائمة في **بروسيا بالذات** ! ان مجرد حقيقة أن هذا الأمر يحدث في بروسيا سيكون كافياً **لأجبار** «سكسونيا» الليبرالية ، الخ ، على اقتفاء الحاشية . ان ما لا يدركه **ولهلم** هو أن الحكومات الحالية، بينما هي تغازل العمال ، تعي بصورة جيدة جداً أن دعمها الوحيد هو لدى البورجوازية ، وأنها بالتالي تخيف هذه البورجوازية بعبارات ودية للعمال لكنها **لا تستطيع** قط أن تناهضها بصورة فعلية .

ان ذلك الثور الأعجم يؤمن «**بالدولة الديموقراطية**» ! ان في ذهنه تارة انكلترا الدستورية ، وتارة الولايات المتحدة البورجوازية ، وتارة أخرى سويسرا البائسة . «**انه**» لا يملك أوهى فكرة عن السياسة الثورية . وهذا ما يستشهد به ـ **وهو يحذو حذو** ماير السوابي[1] ـ كبرهان على الطاقة الديموقراطية : الخط الحديدي الى كاليفورنيا . بيد أن هذا قد بني بواسطة البورجوازية التي **أهدت** نفسها بواسطة الكونغرس كتلة هائلة من «الأملاك العامة» ، يعني **باغتصابها** من العمال ، وباستيراد الحمالين الصينيين كي تخفض الأجور ، وأخيراً بتكوين فرع جديد ، «الأرستقراطية المالية» ...

## ١١٠

## ماركس الى انجلز

**لندن ، في ٣٠ تشرين الأول ١٨٦٩**

... كيما تفهم رسائل غوغ وبورنهوست تماماً يجب أن تعلم أن القطاع المتأثر بلاسال من العمال (أو بالأحرى ممثليهم) في سويسرا والنمسا وألمانيا ينادون بالويل والثبور

---

(١) ان صحيفة **المراسلات الديموقراطية** التي كان ماير يصدرها نشرت مقالات تمجد الجمهورية الأميركية البورجوازية بمناسبة إنشاء أول خط حديدي عابر للقارة .

بسبب قرار مؤتمر بال عن **الملكية العقارية**[1] .

ان البلاهة والضعف (المستغلين من قبل شوايتزر ، الرجل الأدهى) اللذين يرد بهما وهلم وشركاه على نباح ماير السوابي وبقية الحانقين من حزب الشعب المؤيدين له ليبعثان على الهلع . ولم يخطر قط في بال أي من هؤلاء الحمير حتى الآن أن يسأل النابحين الليبراليين ما اذا كان حقيقة واقعة ان الملكية العقارية الكبيرة ، التي تشكل أساس الاقتصاد الاقطاعي الباقي ، موجودة في ألمانيا الى جانب الملكية الفلاحية الصغيرة ، وما اذا لم يكن من الضرورة بمكان خلال الثورة التخلص منها ، ولو لمجرد وضع حد لنظام الدولة الحالي ، وما اذا كان في الامكان صنع ذلك بطريقة عام ١٧٨٩ البالية . أبداً . ان اولئك الحمير يصدقون ماير السوابي بأن مسألة الأرض لا تملك أهمية عملية مباشرة الا في انكلترا وحدها !

ان منظمة **عصبة الأرض والعمل**[2] (التي شجعها المجلس العام بصورة مباشرة على أي حال) يجب أن تعتبر حصيلة لمؤتمر بال . وهكذا انفصل حزب العمال كلياً عن البورجوازية ، وتأميم الأرض هو نقطة الانطلاق . ولقد عين ايكاريوس سكرتيراً تنفيذياً (وبون سكرتير الشرف) ، وهو يتناول أجراً لقاء ذلك .

لقد أصدر المجلس العام تعلياته اليّ كي أكتب كلمات قليلة الى الطبقة العاملة الانكليزية بخصوص مظاهرة السجناء الايرلنديين يوم الأحد الماضي . ونظراً لمشاغلي الكثيرة في الوقت الحاضر لا أحس ميلاً الى القيام بذلك ، لكن لا بدَّ من القيام به . لقد كان وصف المظاهرة في صحف لندن مغلوطاً كلياً . لقد كانت مهيبة .

أفضل تمنياتي الى السيدة ليزي وضيوف الأحد

المخلص

ك . م .

---

(١) ان قرار مؤتمر بال للأممية الأولى (٦ ـ ١١ ايلول عام ١٨٦٩) قد أعلن أن «المجتمع يملك حقاً في إلغاء الملكية الفردية في الأرض وفي تحويلها الى ملكية جماعية» وأنه «من الضرورة بمكان» القيام بهذا التحويل .

(٢) ان **عصبة الأرض والعمل** قد طرحت المطالب التالية في انكلترا : تأميم الأرض ، ضريبة الدخل المباشر التصاعدية ، تقصير يوم العمل ، الاقتراع العام ، الخ . وكانت لجنة العصبة تضم عشرة أعضاء من المجلس العام للأممية .

## ١١١

# انجلز الى ماركس

**[مانشستر] ، في ١ تشرين الثاني ١٨٦٩**

عزيزي المغربي

ان القرار عن الملكية العقارية قد صنع معجزات حقيقية . فللمرة الأولى منذ باشر لاسال تحريضه أجبر هذا القرار أولئك الأولاد في ألمانيا على التفكير ، وهو أمر كان يعتبر حتى الآن نافلاً جداً في ألمانيا ؛ وان هذا ليبدو بكل وضوح من رسالة برنهورست . وحتى اذا تركنا ذلك جانباً ، فانني أحب هذه الرسالة . فعلى الرغم مما تبديه من تفاخر وثقافة هزيلة فان فيها بعض الظرف الفولكلوري الصحي ، وفيما يخص الرهونات فانه يصيب الهدف مباشرة . وفيما عدا ذلك فان الناس ينسون انه يوجد الى جانب النقطة الرئيسية ، الملكية العقارية الكبيرة ، أنواع مختلفة من الفلاحين : أ ـ المزارع المستأجر ، الذي لا فرق عنده أكانت الأرض تخص الدولة أم ملاكا كبيراً ؛ ٢ ـ صاحب الأرض ، في المحل الأول الفلاح الكبير ، الذي لا بدَّ من تحريض الشغيل المياوم وأجير المزرعة ضد طبيعته الرجعية ، وفي المحل الثاني الفلاح المتوسط ، الذي سوف يكون رجعياً هو الآخر والذي لا توجد منه أعداد كبيرة ، وفي المحل الثالث الفلاح الصغير المثقل بالديون ، الذي قد يعنى بدغدغة قضية الرهن العقاري . وبالاضافة الى ذلك ، فانه يمكن بالطبع أن نضيف ان البروليتاريا لا مصلحة لها في هذه الأثناء في إثارة مسألة الملكية **الصغيرة** ...

## ١١٢

# ماركس الى انجلز

**[لندن] ، في ٢٦ تشرين الثاني ١٨٦٩**

عزيزي فريد

لم أكن في حالة ممتازة تماماً هذا الأسبوع ، وهذه المسألة تحت الذراع لا تزال

تزعجني . وهذا هو السبب في أني لم أشكرك قبل الآن على ملاحظاتك عن كاري الذي تلقيت كتابه(١) البارحة .

في كتابي ضد برودون(٢) ، حيث كنت أقبل بعد كلياً نظرية ريكاردو عن الريع ، أوضحت منذ ذلك الحين ما هو الخطأ فيها حتى من وجهة نظره (ريكاردو) الخاصة .

«ان ريكاردو ، بعد أن يفترض ان الانتاج البورجوازي ضروري من أجل تحديد الريع ، **يطبقه**(٣) مع ذلك على الملكية العقارية في جميع العصور وسائر البلدان . تلك خطيئة مشتركة بين جميع الاقتصاديين الذين يمثلون العلاقات البورجوازية للانتاج على أنها مقولات أزلية» . وان السيد برودون قد حول بالطبع نظرية ريكاردو في الحال الى تعبير عن المناقب المساواتية ، وبالتالي اكتشف في تحديد ريكاردو للريع «**تقييماً عقارياً** هائلاً يقوم به الملاكون والمزارعون بصورة متناقضة ... في مصلحة أعلى ، ويجب أن تكون نتيجته الاخيرة تحقيق المساواة في تملك الأرض ، الخ .»

وبهذا الخصوص ألاحظ في جملة أشياء عديدة :

«ذلك أنه اذا كان لا بد لأي تقييم عقاري مؤسس على الريع أن يكون ذا قيمة عميقة ، فانه من الواجب عدم الابتعاد عن شروط المجتمع الراهن . ولقد بينا الآن أن ريع المزرعة الذي يدفعه المزارع الى الملاك لا يعبر عن **الريع** بدقة الا في البلدان الأكثر تقدماً في الزراعة والتجارة . وحتى هذا الريع غالباً ما يتضمن **الفائدة** المدفوعة الى الملاك على الرأسمال الموظف في الأرض . ان موقع الأرض ، ومجاورة المدن ، وظروفاً عديدة أخرى ، تؤثر في ريع المزرعة وتعدل الريع عامة ... ومن جهة أخرى فلا يمكن أن يكون الريع المؤشر **الثابت لدرجة خصوبة قطعة من الأرض** ، طالما أن التطبيق الحديث للكيمياء يغير في كل لحظة طبيعة التربة ، كما أن المعرفة الجيولوجية جعلت في الوقت الراهن بالضبط ، في أيامنا الحاضرة ، **تثوّر جميع التقديرات القديمة للخصوبة النسبية** ... فالخصوبة ليست تلك الخاصية الطبيعية جداً كما يمكن أن يُعتقد ؛ انها مرتبطة بصورة وثيقة **بالعلاقات الاجتماعية** القائمة في زمنها» .

---

(١) هنري شارل كاري : **مبادىء العلم الاجتماعي** .

(٢) **بؤس الفلسفة** .

(٣) يقصد مفهوم الريع .

وبخصوص تقدم الزراعة في الولايات المتحدة نفسها يجهل السيد كاري حتى الوقائع المألوفة جداً . ومثال ذلك أن الكيميائي الزراعي الانكليزي جونستون يبين في ملاحظاته عن الولايات المتحدة أن المقيمين الذين نزحوا من انكلترا الجديدة الى ولاية نيويورك خلفوا أرضاً أسوأ طلباً لأرض أفضل (أفضل ليس بمعنى كاري ، أن الأرض يجب أن تزرع أولاً ، بل بالمعنى الكيميائي والمعنى الاقتصادي في الوقت نفسه) . وان المزارعين الذين هاجروا من ولاية نيويورك وأقاموا بادىء الأمر ما وراء البحيرات الكبرى ، لنقل في ميشيغان ، قد خلفوا أرضاً أفضل طلبا لأرض أسوأ ، الخ . وان المقيمين في فرجينيا قد استغلوا بصورة رهيبة الأرض الأفضل ملاءمة سواء من جهة **الموقع** أم من جهة **الخصوبة** من أجل منتجهم الرئيسي الذي هو التبغ بحيث اضطروا الى الانتقال الى اوهيو حيث كانت التربة أسوأ من أجل هذا المنتج (وان لم تكن سيئة من أجل الحبوب ، الخ .) . وان قومية المهاجرين قد اتضحت أيضاً من مقاماتها . فالناس الذين من النروج ومن هوشوالد(١) سعوا الى الأرض الحراجية الشمالية الخام في ويسكونسن ؛ أما اليانكيون في المناطق نفسها فتشبثوا بالمروج ، الخ .

ان المروج ، في الولايات المتحدة وفي اوستراليا على حد سواء ، هي في واقع الأمر شوكة في جسد كاري . وفي رأيه أن الأرض التي لم تنمُ فيها الغابات بصورة مطلقة هي أرض غير خصبة بطبيعتها ـ بما في ذلك اذن جميع أراضي المراعي الطبيعية .

والنكتة أن النتيجتين الكبريين الأخيرتين اللتين يتوصل كاري اليهما بخصوص الولايات المتحدة) تتناقضان بصورة مباشرة مع عقيدته . **أولاً** ان السكان ، من جراء تأثير انكلترا الشيطاني ، بدلاً من أن يزرعوا اجتماعياً الأراضي النموذجية الجيدة في انكلترا الجديدة ، يتبعثرون فوق الأراضي الأفقر (!) للغرب . وبالتالي انتقال من الأرض الأفضل الى الأرض الأسوأ . (وبالمناسبة ، فان «تبعثر» كاري ، بصورة متعارضة مع «التجمع» ، منسوخ بأسره عن ويكفيلد .) **ثانياً** ، ان الأمر السيء في جنوبي الولايات المتحدة هو أن ملاك العبيد (الذين دافع عنهم كاري في جميع أعماله

---

(١) هضبة حراجية في أراضي الراين .

السابقة من حيث هو داعية للتناسق) يعمدون الى زراعة الأرض الأفضل بصورة مبكرة جداً ويهملون الأرض الأسوأ . وبالتالي فذلك هو بالضبط ما لا يجب أن يكون : ألا تبدأ بالأرض الأفضل ! ولقد برهن كاري بهذا المثال ، وهو راض كل الرضا ، على أن المزارعين الحقيقيين ، وهم العبيد في هذه الحالة. ، يسودهم في عملهم لا السبب الاقتصادي ولا أي سبب آخر خاص بهم ، بل **قوة خارجية** . ولقد كان في مقدوره اذن أن يقتنع دونما صعوبة بأن هذا الشرط متوفر في البلدان الأخرى أيضاً .

ووفقاً لنظريته ، فقد كان من الواجب أن تبدأ الزراعة في أوروبا من جبال النروج وتتواصل الى بلدان البحر الأبيض المتوسط بدلاً من أن تسير في الاتجاه المعاكس ويحاول كاري ، بنظرية عن النقد وهمية وسخيفة حتى الدرجة القصوى ، أن يستبعد الواقع الاقتصادي المزعج التالي ، الا وهو أن آلة الأرض **التي تتحسن باستمرار** في رأيه بصورة مغايرة لجميع الآلات المحسنة الأخرى ، **تزيد** - (بصورة دورية على الأقل) - كلفة منتجاتها بدلاً من **بخسها** . (هذا أحد الظروف التي أثرت في ريكاردو ، لكنه لم ينقب أكثر من ذلك في تاريخ أسعار القمح في انكلترا من حوالي عام ۱۷۸۰ حتى عام ١٨١٥م .

ان كاري ، بوصفه داعية للتناسق ، قد أشار بادىء الأمر الى أنه لا وجود لأي تضاد بين الرأسمالي والعامل المأجور. وكانت الخطوة الثانية أن يبين التناسق بين الملاك العقاري والرأسمالي ، وهذا ما تحقق باعتبار الملكية العقارية **أمراً طبيعياً** حيث كانت لاتبرح **بعد** في حالة متخلفة . وان الفارق الكبير والحاسم بين المستعمرات والبلدان المتحضرة القديمة - أن كتلة السكان في هذه البلدان الأخيرة مستبعدة من الأرض ، أكانت خصبة أم جدباء ، مزروعة أم سليخاً ، بفعل **الملكية الخاصة للأرض** ، في حين يمكن أن تكون الأرض في المستعمرات ، من وجهة نظر نسبية ، ملكاً بعد للمزارع نفسه - هذه الحقيقة يجب ألا يرد ذكرها في حال من الأحوال . انه ليجب ألا تكون لها أدنى علاقة على الاطلاق بالتطور السريع في المستعمرات . فالحقيقة أن «**مسألة الملكية**» البغيضة في شكلها الأبغض سوف تنسف التناسق من أساسه .

وأما التشويه المقصود الذي يزعم أنه ، بما أن خصوبة الأرض في بلد ذي انتاج متطور هي عامل هام في انتاج فضل القيمة (أو تؤثر في معدل الربح كما يقـول ريكاردو) ، فانه يترتب بالتالي على ذلك بصورة معاكسة أن الانتاج الأغنى والأكثر تطوراً يجب أن يصادف في الأراضي الأخصب طبيعياً ، بحيث يجب أن يكون أعلى في مكسيكو مثلاً منه في انكلترا الجديدة ـ فقد اجبت عن هذا من قبل في **رأس المال** ، ص : **٥٠٢** وما يليها .

ان جدارة كاري الوحيدة هي أنه في تأكيده على الانتقال من الأراضي الأسوأ الى الأراضي الأفضل لا يقل تطرفاً عن ريكاردو حين يؤكد العكس من ذلك . وواقع الأمر على أي حال هو أن أنواعاً مختلفة من الأرض ، متفاوتة في درجة الخصوبة ، تزرع دائماً بصورة متواقتة ، وبالتالي فقد عمد الجرمان والسلافيون والسلتيون بهذا الخصوص الى تقسيم بالغ العناية لشرائح من الأرض من أنواع مختلفة بين أعضاء المشاعة ؛ وان هذا الأمر هو الذي جعل توزيع الأراضي المشاعة أمراً بالغ الصعوبة في وقت لاحق . وعلى أي حال ، فيما يتعلق بتقدم الزراعة في سياق التاريخ بأسره ، فقد جرى هذا ، حسب الظروف ، في كلا الاتجاهين بصورة متواقتة أحياناً ، وفي أوقات أخرى ساد أحد الاتجاهين أولاً لفترة من الزمن ومن بعد ساد الاتجاه الآخر .

إن **الفائدة** على الرأسمال الموظف في الأرض تصبح جزءاً من **الريع التفاضلي** بالضبط بسبب واقع أن الملاك يحصل على هذه الفائدة من الرأسمال الذي لم يضعه **هو** في الأرض بل وضعه **المزارع المستأجر** . ان هذه الحقيقة ، المعروفة في جميع أرجاء اوروبا ، يفترض أنها لا تملك وجوداً اقتصادياً لأن الأستئجار من حيث هو نظام **لم يتطور بعد** في **الولايات المتحدة** . لكن الأمر هناك يحدث في شكل آخر . إن مستغل الأرض لا المزارع المستأجر هو الذي يقبض آخر الأمر ، وذلك في **السعر** الذي يكلفه من أجل الأرض ، من أجل الرأسمال الذي أنفقته هذه الأرض . وفي الحقيقة أن تاريخ الرواد ومستغلي الأرض في الولايات المتحدة كثيراً ما يذكّر المرء بأسوأ الفظائع التي تقع في ايرلندا على سبيل المثال .

لكن ليذهب كاري إلى الشيطان ! مرحى ثلاث مرات لأو ـ دونوفان روسا !

كانت جلسة الثلاثاء الأخير مليئة بالخطابات اللاهبة ، والحامية ، والعنيفة . ان

السيد فادهيد ، أو يعلم الشيطان ماذا كان اسم ذلك الفتى[1] ـ وهو ميثاقي وصديق قديم لهارنيي ـ قد جلب معه بصورة بعيدة النظر اودجر وأبلغارث . ومن جهة أخرى ، فقد كان ويستون ولوكرافت غائبين لأنهما كانا يحضران حفلة راقصة ايرلندية . ولقد نشر رينولدز قراراتي في عدد السبت وكذلك خلاصة عن خطابي (بقدر ما يستطيع ايكاريوس أن يفعل ذلك ، فهو ليس مختزلاً) ، وقد طبعه رينولدز في الصفحة الأولى من الصحيفة ، بعد مقاله الافتتاحي . ويبدو أن ذلك أخاف اولئك الذين يغازلون غلادستون . ومن هنا كان ظهور اودجر وخطاب طويل مشتت ألقاه مادرشيد[1] الذي نال عقوبة قاسية من ميلنر (وهو نفسه ايرلندي) . وجلس أبلغراث الى جانبي ، وبالتالي لم يجسر أن يتحدث **ضدهم** ؛ ان الأمر على النقيض من ذلك ، فقد خطب **دفاعاً** عنهم ، ومن المؤكد أنه فعل ذلك بوجدان قلق . وقال **اودجر** انه اذا عرضت القرارات على الاقتراع فانه لا بد أن يقول نعم . بيد أن الاجماع أفضل بكل تأكيد ويمكن بلوغه بواسطة بعض التعديلات الصغرى ، الخ . وعندئذ أعلنت ـ نظراً لأني كنت أريد أن أورطه **هو** بالضبط ـ أن **عليه** أن يقدم تعديلاته في الجلسة التالية . وفي الجلسة الأخيرة ، وبالرغم من أن الكثيرين من أعضائنا الأوثق كانوا غائبين ، فأننا سوف ننجح في اعتماد القرار ضد اقتراع معارض **واحد** . لسوف نكون هناك بكل قوتنا يوم الثلاثاء[2].

تحياتي

المخلص

ك . م .

## ١١٣

## ماركس الى ل . كوغلمان

**[لندن ،] في ٢٥ تشرين الثاني ١٨٦٩**

... يجب أن تفتش عن تفسير لسكوتي الطويل والآثم حتى درجة ما في القدر

(١) كان اسمه ماترشيد .

(٢) ان القرار الذي اقترحه ماركس عن المسألة الايرلندية قد اتخذ بالاجماع في المجلس العام في ٣ تشرين الثاني ١٨٦٩ .

الهائل من العمل الذي يجب عليّ القيام به ، لا في دراساتي العلمية فحسب ، بل فيما يتعلق **بالأممية** أيضاً ؛ في اضطراري الى دراسة اللغة **الروسية** بسبب كتاب أرسل الي من بطرسبورغ عن ظرف الطبقة العاملة (بما فيها الفلاحون طبعاً) باللغة الروسية ؛ وأخيراً في حالتي الصحية التي هي كل شيء ما عدا مرضية .

من المرجح أنك رأيت في Volkstaat[1] القرارات ضد غلادستون المقترحة من قبلي في مسألة العفو الايرلندي ؛ لقد هاجمت الآن غلادستون ـ وقد استلفت هذا الانتباه هنا ـ بالضبط كما هاجمت بالمرستون من قبل . ان اللاجئين الغوغائيين هنا يحبون أن يسقطوا على الطغاة القاريين من مسافة سليمة . وان هذا النوع من العمل لا يجتذبني الا حين يتم[2] vultu instantis tyranni .

ومهما يكن من شيء ، فان كلمتي عن العفو الايرلندي واقتراحي اللاحق على المجلس العام بمناقشة موقف الطبقة العاملة الانكليزية من ايرلندا وباتخاذ القرارات بشأنه قد كان لهما على السواء ، بكل تأكيد ، أغراض أخرى الى جانب غرض الحديث عالياً وبوضوح دفاعاً عن المضطهدين الايرلنديين ضد مضطهديهم .

لقد ازدادت قناعتي أكثر فأكثر ـ والمسألة الوحيدة هي ادخال هذه القناعة الى الطبقة العاملة الانكليزية ـ بأنها لن تستطيع أن تقوم قط بأي شيء حاسم هنا في انكلترا حتى تفصل سياستها بشأن ايرلندا بصورة بالغة الوضوح عن سياسة الطبقات الحاكمة ، حتى لا تقتصر على التضامن مع الايرلنديين فحسب ، بل تبادر بصورة فعلية الى حل الاتحاد المنشأ عام ١٨٠١ والاستعاضة عنه بصلات فيدرالية حرة . وانه ليجب أن يتحقق ذلك ليس من حيث هو موضوع تعاطف مع ايرلندا بل من حيث هو مطلب مقدم في مصالح البرولتياريا الانكليزية . واذا لم يتم ذلك ، فان الشعب الانكليزي سوف يظل مقيداً الى رسن الطبقات الحاكمة ، لأنه سوف يضطر الى الانضمام اليها في جبهة مشتركة ضد ايرلندا . إن أياً من حركاته في انكلترا

---

(١) **Der Volkstaat** ـ الصحيفة المركزية لحزب العمال الاشتراكي الديموقراطي في ألمانيا . وقد صدرت في لايبزغ في ١٨٦٩ ـ ١٨٧٦ ، وكان يصدرها ولهلم ليبكنخت .

(٢) وجهاً لوجه مع الطاغية .

نفسها تُشل بفعل النزاع مع الايرلنديين الذين يشكلون قطاعاً هاماً من الطبقة العاملة في انكلترا . ان **الشرط الأول** للتحرر هنا - الاطاحة بالاوليغارشية العقارية الانكليزية - يظل مستحيلاً لأن مركزها هنا لا يمكن نسفه طالما حافظت على مواقعها المحصنة بقوة في ايرلندا . أما هناك ، فاذا ما أصبحت الأمور في أيدي الشعب الايرلندي نفسه ، اذا ما جُعل شارعه وحاكمه الخاص ، اذا ما أصبح مستقلاً ذاتياً ، فان الغاء الأرستقراطية العقارية (وهم حتى درجة بعيدة **نفس الأشخاص** الذين هم الملاكون العقاريون الانكليز) سوف يكون أيسر بصورة لا متناهية منه هنا ، لأن المسألة في ايرلندا ليست مسألة اقتصادية مجردة ، بل هي في الوقت نفسه مسألة **قومية** ، نظراً لأن الملاكين العقاريين هناك ليسوا ، مثل الملاكين العقاريين في انكلترا ، الأشراف التقليديين وممثلي الأمة ، بل هم مضطهدوها المكروهون بصورة قاتلة . ولا يقتصر الأمر على أن تطور انكلترا الاجتماعي الداخلي يظل مشلولاً من جراء علاقاتها الراهنة مع ايرلندا ، بل إن سياستها الخارجية ، وعلى الأخص سياستها بخصوص روسيا والولايات المتحدة الأميركية ، تعاني المصير نفسه .

لكن ما دامت الطبقة العاملة الانكليزية تلقي بصورة لا يرقى الشك اليها بالثقل الحاسم في ميزان التحرر الاجتماعي عامة ، فان الرافعة يجب أن تطبق هنا . وحقيقة الأمر أن الجمهورية الانكليزية تحت حكم كرومويل تعرضت للدمار في - ايرلندا[1] idem non bis in[2].لكن الايرلنديين ضحكوا ضحكة كبرى على الحكومة الانكليزية بانتخابهم «المجرم المدان» أو - دونوفان روسا الى البرلمان . ان الصحف الحكومية تهدد منذ الآن بتعليق متجدد لمرسوم إعادة التحقيق ، بتجديد نظام الارهاب . وبالفعل فان انكلترا لم ولن **تستطيع** قط - ما استمرت العلاقات الراهنة - ان تحكم ايرلندا بطريقة أخرى غير حكم الأرهاب البغيض والفساد المكروه .

(١) ابان الثورة البورجوازية الانكليزية في القرن السابع عشر اندلع عصيان في ايرلندا أدى الى انفصال شبه تام لقسم كبير من الجزيرة عن انكلترا . ولقد سحق العصيان بوحشية غير مألوفة وانتهى باغتصاب كتلي للأرض في مصلحة الملاكين العقاريين الانكليز الجدد . ولقد قوى هذا من العناصر الملاكة - البورجوازية في انكلترا وهيأ الأرض من أجل اعادة الملكية عام ١٦٦٠ .

(٢) لا يتكرر الأمر نفسه مرتين .

## ١١٤

## انجلز الى ماركس

**[مانشستر] في ٩ كانون الأول ١٨٦٩**

... كنت أتوقع الأمر حتى درجة ما ... لم تفاجئني قصة **الايرلندي**(١) . فايرلندا لما تبرح(٢) Insula Sacra التي لا يجوز في حال من الأحوال الخلط بين طموحاتها وبين الصراعات الطبقية الدنسة لبقية العالم الخاطىء . ومن المؤكد أن ذلك يشكل ، جزئياً ، جنوناً مقدساً من جانب هؤلاء الناس ، لكنه من المؤكد بصورة لا تقل عن ذلك أنه ، جزئياً أيضاً ، سياسة محسوبة من طرف القادة بغرض الاحتفاظ بسيطرتهم على الفلاحين . وبالاضافة الى ذلك فانه لا بد لأمة من الفلاحين أن تأخذ دائماً ممثليها الأدبيين من بورجوازية المدن وايديولوجييها ، ومن وجهة النظر هذه فان دبلن (وأقصد دبلن **الكاثوليكية**) هي حتى درجة كبيرة بالنسبة الى ايرلندا كمثل كوبنهاغن بالنسبة الى الدانمرك . لكن الحركة العمالية بأسرها هي بالنسبة الى هؤلاء الناس هرطقة خالصة ولا يجوز أن يسمح للفلاح الايرلندي في حال من الأحوال أن يعرف أن العمال الاشتراكيين هم حلفاؤه الوحيدون في اوروبا ..

## ١١٥

## ماركس الى انجلز

**[لندن ،]في ١٠ كانون الأول ١٨٦٩**

... وأما بخصوص **المسألة الايرلندية** ... فاني لم أحضر جلسة المجلس المركزي

---

(١) ان **الايرلندي** ، الصحيفة البورجوازية القومية الصادرة في دبلن ، لم تأت مطلقاً على ذكر المناقشة والتي جرت عن ايرلندا في المجلس العام والقرارات المتخذة بشأنها . وبهذا الشأن كتب ماركس الى انجلز في ٤ كانون الأول ١٨٦٩ أنه ينبغي للأممية أن تناضل ضد المستبقات وضيق الفكر عند القادة في دبلن . ولقد كتب ماركس يقول ان رئيس تحرير الايرلندي يعتقد أن المسألة الايرلندية «يجب أن تعالج على اعتبارها شيئاً منفصلاً كل الانفصال وعلى حدة ، منعزلاً عن بقية العالم . وانه لأمر هام بصورة خاصة **طمس** حقيقة أن العمال **الانكليز** يتعاطفون مع الايرلنديين ! يا له من حمار ! وهذا حيال **الأممية** ، التي لها أجهزتها في مختلف أنحاء اوروبا وفي الولايات المتحدة !»

(٢) الجزيرة المقدسة .

يوم الثلاثاء الماضي . وبالرغم من أنني عمدت الى افتتاح المناقشة ، فأن «أسرتي» لم تسمح لي أن أذهب في هذا **الضباب** في حالتي الصحية الراهنة .

وأما بشأن تقرير **المصلح الوطني** ، فان الأمر لم يقتصر على عزو قدر كبير من **اللغو** الي ، بل ان ما نقلته **بصورة صحيحة هو خطأ** أيضاً في واقع الأمر . لكنني لم أشأ أن أتقدم بأي احتجاج . فأولاً سوف أسيء بذلك الى المقرر (هاريس) . ثانياً ، ان جميع هذه التقارير لا تحمل أي طابع رسمي على الاطلاق طالما أني لم أتدخل فيها . فاذا أنا صححت شيئاً اعترفت بأن البقية صحيحة ، فيما الأشياء جميعاً خاطئة بالطريقة التي اوردت فيها . وفيما عدا ذلك ، **فان لدي أسباباً** كي لا أحول هذه التقارير الى **اثبات قانوني ضدي** ، وهذا ما يحدث حالما **أصحح التفاصيل** .

... ان الطريقة التي سأطرح بها الأمر يوم الثلاثاء القادم هي التالية : أنه اذا تركنا جانباً بصورة تامة جميع العبارات عن **العدالة** «الأممية» و «الانسانية» **من أجل ايرلندا** ـ وهو أمر مفروغ منه في **المجلس الأممي ـ فانه في مصلحة الطبقة العاملة الانكليزية المباشرة والمطلقة أن تتخلص من ارتباطها الحالي بايرلندا** . وان هذا هو يقيني التام ، ولأسباب **لا** أستطيع جزئياً أن أخبر بها العمال الانكليز أنفسهم . ولقد اعتقدت لفترة طويلة أنه سوف يكون في الامكان الاطاحة بالنظام الايرلندي بفعل هيمنة الطبقة العاملة الانكليزية ، وعبرت دائماً عن وجهة النظر هذه في **نيويورك تريبيون** . ولقد اقنعتني دراسة أعمق بالعكس حالياً . ان الطبقة العاملة الانكليزية **لن تنجز قط أي شيء** حتى تكون قد تخلصت من ايرلندا. فالرافعة يجب أن تطبق في ايرلندا . وهذا هو السبب في أن المسألة الايرلندية هي على هذه الدرجة من الأهمية بالنسبة الى الحركة الاجتماعية بصورة عامة .

لقد قرأت الشيء الكثير من **ديفيس**[1] في مقتطفات . أما الكتاب نفسه فلم ألق عليه نظرة الا بصورة سطحية في المتحف . ولذا فانك تقدم لي خدمة جلى اذا نسخت لي المقاطع المتعلقة **بالملكية المشاعة** ويجب أن تحصل على **«خطابات كيوران»** ، نشر **ديفيس (لندن : جيمس داغي ، ٢٢ بيترنوستر روو)** . كنت أقصد أن أعطيك اياه

---

(١) سير جون ديفيس : منشورات تاريخية .

عندما كنت في لندن . انه متداول في الوقت الراهن بين الأعضاء الانكليز في المجلس المركزي ، والله يعلم متى سوف أراه مرة أخرى . انه ذو أهمية حاسمة بالنسبة الى المرحلة **١٧٧٩ ـ ١٧٨٠** (الاتحاد) ؛ ليس بسبب **خطابات كيوران** فحسب (وعلى الأخص تلك التي ألقيت في المحاكم ؛ اني اعتبر كيوران **المحامي الكبير الوحيد** (محامي الشعب) في القرن الثامن عشر **والشخصية الأنبل** ، في حين كان **غراتان** وغداً برلمانياً) ، بل لأنك ستجد هنا موردة **جميع المصادر** بشأن **الايرلنديين المتحدين**[1] . ان هذه المرحلة ذات أهمية عظمى ، علمياً ومأسوياً . أولاً أعمال الانكليز في **١٥٨٨ ـ ١٥٨٩** التي تكررت (وربما اشتدت أيضاً) في **١٧٨٨ ـ ١٧٨٩** . ثانياً يمكن بكل سهولة رسم حركة طبقية في الحركة الايرلندية نفسها . ثالثاً سياسة بيت الدنيئة . رابعاً ، وسوف يكون هذا مضجراً جداً للسادة الانكليز ، البرهان على أن ايرلندا فشلت لأنه ، في واقع الأمر ، من وجهة نظر ثورية . **كان الايرلنديون متقدمين جداً بالنسبةالى الملك الانكليزي ورعاع الكنيسة** ، بينما كان للرجعية الانكليزية في انكلترا ، من جهة ثانية ، جذورها (كما في زمن كرومويل) في استعباد ايرلندا . ويجب أن توصف **هذه المرحلة** في فصل واحد على الأقل . ضع جون بول في آلة التعذيب ! ...

واما فيما يخص **الحركة الايرلندية** الحالية ، فثمة ثلاثة عوامل هامة : **١ً** ـ المعارضة ضد المحامين والسياسيين المتاجرين والمداهنين ؛ **٢ً** ـ المعارضة لمراسيم الكهنة الذين هم (**الرؤساء**) خونة ، في زمن كرومويل وفي **١٧٩٨ ـ ١٨٠٠** على حد سواء ؛ **٣ً** ـ خروج **الطبقة الزراعية الكادحة** ضد طبقة المزارعين في الاجتماعات الأخيرة . (أحداث مماثلة في **١٧٩٥ ـ ١٨٠٠**) .

ان صعود **الايرلندي** مرده فقط الى الغاء الصحافة **الفينية**. لقد كانت تعارض منذ زمن طويل المذهب الفيني . ان ليوبي ، الخ .، من **الشعب الايرلندي** ، الخ ، قد كانوا رجالاً مثقفين عالجوا الدين على أنه تفاهة . ولقد زجتهم الحكومة في السجن.

---

(١) **الايرلنديون المتحدون** : منظمة ثورية سرية قامت تحت تأثير الثورة الفرنسية وجعلت هدفها تشكيل جمهورية ايرلندية مستقلة . وكان **الايرلنديون المتحدون** منظمي الانتفاضة الايرلندية عام ١٧٩٨ .

ومن ثم جاء آل بيغوت وشركاهم . ولن تساوي الايرلندي شيئاً حتى يخرج هؤلاء الناس من السجن . وانها لتدرك ذلك وان كانت تحقق الآن رأسمالاً سياسياً بدفاعها عن «المجرمين المدانين» .

## ١٨٧٠

## ١١٦

# ماركس الى انجلز

**لندن، في ١٠ شباط ١٨٧٠**

... قرأت الصفحات المائة والخمسين الأولى من كتاب **فليروفسكي**(١) . (ان سيبريا وشمالي روسيا وأستراخان تستغرقها) . هذا أول مؤلف يروي الحقيقة عن الشروط الاقتصادية الروسية . ان الرجل عدو حازم لما يسميه «التفاؤل الروسي» . إني لم أنطو قط على أراء زاهرة جداً عن هذا الالدورادو الشيوعي ، لكن فليروفسكي يتجاوز في الواقع كل التوقعات . والواقع أنه مما يبعث على الدهشة ، كما أنه دلالة من دون ريب على تبدل لا جدال فيه ، أن يكون في الامكان نشر مثل هذا الشيء في بطرسبورغ .

«ان لدينا برولتيارين قليلين ، بيد أن كتلة طبقتنا العاملة تتألف من الناس الكادحين الذين نصيبهم أسوأ من نصيب اي برولتياري كان» .

ان طريقة العرض أصيلة تماماً : انها تذكر المرء أحياناً بمونتيل ، ويستطيع المرء أن يتبين أن الرجل تجول في كل مكان وشاهد الأمور جميعاً بنفسه . حقد لاهب ضد الملاكين العقاريين والرأسماليين والموظفين . لا عقيدة اشتراكية ، ولا صوفية عن الأرض (الامن أجل وفي مصلحة شكل الملكية المشاعي) ، ولا تطرف عدمياً . هنا وهناك مقدار ما من الهذر حسن النية ، الملائم على أي حال لمرحلة التطور التي بلغها الناس الذين يتوجه الكتاب اليهم . ومهما يكن من شيء ، فان هذا الكتاب هو أهم كتاب صدر منذ ظهور كتابك **شرط الطبقة العاملة** ...

---

(١) ظرف الطبقة العاملة في روسيا .

# ١١٧

# ماركس الى ل . كوغلمان

**[لندن] في ١٧ شباط ١٨٧٠**

... ان الكراسسة التي أرسلتها الي هي أحد الالتماسات التي تتوجه بها في الوقت الحاضر المراتب صاحبة الامتيازات في المقاطعات الألمانية ـ الروسية ـ البلطيقية الى الألمان طلباً للعطف . إن هؤلاء الأوغاد(١) الذين تميزوا على الدوام بحماستهم في خدمة الدبلوماسية والجيش والشرطة الروسية والذين قايضوا بكل لهفة ، منذ انتقال المقاطعات من بولونيا الى روسيا ، قوميتهم لقاء الأذن القانوني باستغلال طبقة الفلاحين ، يتذمرون الآن لأنهم يرون مركزهم المميز في خطر . ان النظام القديم للطبقات الاجتماعية واللوثرية الارثوذكسية وسحق الفلاحين هو ما يسمونه **الثقافة الألمانية** التي يجب على اوروبا في الوقت الحاضر أن تتحرك للدفاع عنه . ولذا فان الكلمة الأخيرة لهذه الكراسة هي أيضاً ـ **الملكية العقارية من حيث هي أساس الحضارة** ؛ والأكثر من ذلك الملكية العقارية،كما يعترف بذلك كاتب الكراسة البائس نفسه ، المؤلفة بصورة رئيسية من الأطيان الريفية الخالصة ومن الممتلكات الفلاحية **الخاضعة للجزية** .

وان الفتى ليظهر في استشهاداته ـ بقدر ما تعالج الملكية المشاعة الروسية ـ جهله ومكره على حد سواء . ان سكيدو ـ فيروتي هو أحد الأشخاص الذين يعزون (في مصلحة التملك العقاري بالطبع) الحالة المؤسية للفلاح الروسي الى وجود الملكية المشاعة ، بالضبط مثلما نودي من قبل بأن **إلغاء نظام الرق** في اوروبا الغربية ـ بدلاً من فقدان الرقيق لأرضه ـ هو سبب الاملاق . وان الكتاب الروسي **الأرض والحرية** هو من العيار نفسه ، ومؤلفه اقطاعي أرستقراطي سارق من البلطيق يسمى **ليلينفيلد**(٢) . ان ما يفقر طبقة الفلاحين الروسية هو نفس الشيء الذي أفقر الفرنسيين تحت حكم لويس الرابع عشر ، الخ . ـ **ضرائب الدولة وتسديد الريع**

---

(١) Camalle ، بالفرنسية في النص الأصلي .

(٢) يكتب ماركس بصورة مغلوطة ليلينثال .

للملاكين **العقاريين الكبار** . ان **الملكية المشاعة** ، بدلاً من أن تسبب البؤس ، قد كانت العامل الوحيد الذي خفف منه .

وفيما عدا ذلك ، فانه من الخطأ تاريخياً القول إن **الملكية المشاعة مغولية** . انها من أصل **هندي** كما في كتابات متنوعة ، وبالتالي **فهي** تصادف عند جميع الشعوب الاوروبية المتحضرة في المراحل الأولى من تطورها . وان الشكل **السلافي** نوعاً (لا المغولي) في روسيا (الذي يصادف كذلك عند **السلافيين الجنوبيين غير الروس**) يحمل في واقع الأمر شبها كبيراً ، Mutandis Mutatis ، **بالتعديل الجرماني القديم** للملكية المشاعة الهندية ...

## ١١٨

## ماركس الى س . ميير و أ . فوغت

**لندن ، في ٩ نيسان ١٨٧٠**

... بعد غد (١١ نيسان) سوف أرسل اليكما جميع الوثائق الخاصة بالأممية التي قد تكون في متناول يدي . (لقد تأخر الوقت كثيراً كي أضعها اليوم في البريد .) ولسوف أرسل بالاضافة الى ذلك بعض التقارير الخاصة ببال(١) .

ولسوف تجدان أيضاً بين المواد المرسلة بعض قرارات المجلس العام بتاريخ **٣٠ تشرين الثاني** عن **العفو الايرلندي** ، وهي القرارات التي تعرفان عنها والتي كتبتها بنفسي : وكذلك كراسة ايرلندية عن معاملة المحكومين الفينيين .

ولقد كان في نيتي أن أدخل قرارات اضافية عن التحويل الضروري للاتحاد الحالي (يعني استعباد ايرلندا) الى اتحاد فدرالي حر ومتكافىء مع بريطانيا العظمى . وفي الوقت الحاضر فقد علق أي تقدم لاحق في الموضوع ، بقدر ما يتعلق الأمر بالقرارات العامة ، بسبب غيابي الاجباري عن المجلس العام . فليس في هذا المجلس أي عضو آخر يملك اطلاعاً كافياً على الشؤون الايرلندية ونفوذاً مناسباً على أعضائه **الانكليز** ليكون في مقدوره أن يحل مكاني هنا .

---

(١) يشير ماركس الى التقارير عن مؤتمر بال للأممية الاولى التي نشرها المجلس العام .

وفي هذه الأثناء لم يذهب الوقت سدى ، وأنا أسألكما أن تعيرا انتباها خاصاً الى ما يلي :

بعدما انشغلت بالمسألة الايرلندية لعدة سنوات انتهيت الى الاستنتاج بأن الضربة الحاسمة ضد الطبقات الحاكمة الانكليزية (ولسوف تكون حاسمة بالنسبة الى الحركة العمالية في سائر أرجاء العالم) **لا يمكن** توجيهها **في انكلترا** ، بل **في ايرلندا وحدها** .

وفي الأول من كانون الثاني ١٨٧٠ أصدر المجلس العام مذكرة سرية حررتها شخصياً بالفرنسية (ان الصحف الفرنسية وحدها ، من دون الألمانية ، هي التي تملك أهمية بالنسبة الى رد الفعل على انكلترا) عن العلاقة بين النضال الوطني الايرلندي وتحرر الطبقة العاملة ، وبالتالي عن الموقف الذي يجب أن تتخذه الرابطة الأممية حيال المسألة الايرلندية .

وسوف أعطيكما هنا بصورة مقتضبة فقط النقاط الحاسمة .

ان ايرلندا هي حصن **الأرستقراطية العقارية الانكليزية** . فاستغلال هذا البلد لا يشكل فحسب أحد المصادر الرئيسية لرخاء هذه الأرستقراطية المادي ، بل هو قوتها **المعنوية** الكبرى . انه يمثل في واقع الأمر **سيطرة انكلترا على ايرلندا** . وبالتالي فان ايرلندا هي الوسيلة الكبرى التي تحافظ بها الأرستقراطية الانكليزية على **سيطرتها في انكلترا بالذات** .

ومن جهة أخرى ، فانه اذا انسحب الجيش والبوليس الانكليزيان من ايرلندا غداً، فان ثورة زراعية سوف تحصل في الحال هناك . بيد أن الاطاحة بالأرستقراطية الانكليزية في ايرلندا تتضمن كعاقبة ضرورية الاطاحة بها في انكلترا . وان هذا ليحقق الشرط الأولي للثورة البروليتارية في انكلترا . ان دمار الارستقراطية العقارية الانكليزية في ايرلندا عملية أسهل بصورة لا متناهية منها في انكلترا بالذات ، لأن **المسألة العقارية** في ايرلندا كانت حتى الآن **الشكل الحصري** للمسألة الاجتماعية ، لأنها مسألة وجود ، مسألة **حياة أو موت** بالنسبة الى الغالبية الساحقة من الشعب الايرلندي ، ولأنها في الوقت نفسه غير قابلة للانفصال عن المسألة **الوطنية** . وهذا مع تركنا جانباً أن الايرلنديين أعظم اندفاعاً وثورية في خلقهم من الانكليز.

وأما بخصوص **البورجوازية** الانكليزية ، **فان لها** في المحل الأول مصلحة مشتركة مع الأرستقراطية الانكليزية في تحويل ايرلندا الى **مجرد** مراع تزود السوق الانكليزية باللحم والصوف بأبخس أسعار ممكنة .. وان مصلحتها لتقتضي كذلك ارجاع السكان الايرلنديين ، بواسطة الطرد والهجرة الاجبارية ، الى عدد ضئيل جداً بحيث يستطيع **الرأسمال الانكليزي** (الرأسمال الموظف في الأرض المستأجرة من أجل الزراعة) أن يعمل هناك «بأمان» . وان لها نفس المصلحة في **إخلاء الأملاك الايرلندية** كما في إخلاء النواحي الزراعية في انكلترا وسكوتلندا . وان المبلغ المتراوح بين ٦٠٠٠ الى ١٠٠٠٠ ليرة سترلينية الراجع الى الملاكين المتغيبين والمداخيل الايرلندية الأخرى التي تتدفق سنوياً في الوقت الحالي الى لندن يجب أن تؤخذ في الحساب أيضاً .

•

بيد أن للبورجوازية الانكليزية ، فضلاً عن ذلك ، مصالح أهم حتى درجة كبيرة في اقتصاد ايرلندا الراهن . فبفضل التمركز المتزايد باستمرار لزراعة الأراضي المستأجرة تزود ايرلندا سوق العمل الانكليزية بثبات بفائضها الخاص ، وبذلك تخفض الأجور وتدني الشرط المعنوي والمادي للطبقة العاملة الانكليزية .

والأمر الأهم على الاطلاق : ان كل مركز صناعي وتجاري في انكلترا يملك حالياً طبقة عاملة **منقسمة** الى معسكرين **متناوئين** ، البروليتاريين الانكليز والبروليتاريين الايرلنديين . ان العامل الانكليزي العادي يكره العامل الايرلندي على اعتباره منافساً يخفض مستوى حياته ، ويحس نفسه بالنسبة اليه عضواً في الأمة **الحاكمة** فيحول نفسه الى أداة في ايدي الأرستقراطيين والرأسماليين في بلاده **ضد ايرلندا** ، وبذلك يقوي **سيطرتهم عليه بالذات** . انه يتعلق بالمستبقات الدينية والاجتماعية والقومية ضد العامل الايرلندي . ان موقفه حياله ليشبه حتى درجة كبيرة موقف «البيض الفقراء» حيال «الزنوج» في الولايات صاحبة العبيد السابقة في الولايات المتحدة . وان الايرلندي ليعوض عليه بعملته الخاصة مع الفائدة . انه يرى في العامل الانكليزي ، في وقت واحد ، شريك **الحكم الانكليزي في ايرلندا** وأداته البلهاء .

وان هذاالتضادليُحفظ به حياًويقوى بفعل الصحافة،ومنبر الوعظ،والصحف الهزيلة،

وباختصار بفعل جميع الوسائل المتوفرة للطبقات الحاكمة . ان هذا **التضاد هو سر عجز الطبقة العاملة الانكليزية** بالرغم من تنظيمها . انه السر الذي تحتفظ الطبقة الرأسمالية بواسطته بسلطانها . وان هذه الطبقة لتدرك ذلك على أكمل وجه .

لكن الشر لا يتوقف عند هذا الحد . انه يتصل عبر المحيط . ان التضاد بين الانكليز والايرلنديين هو الأساس الخفي للنزاع بين الولايات المتحدة وانكلترا ، وهو يجعل أي تعاون جدي وشريف بين الطبقات العاملة في البلدين أمراً مستحيلاً . انه يمكن الحكومات في كلا البلدين ، أيان ارتأت ذلك مناسباً ، من ثلم حدة النزاع الاجتماعي بتنمرها المتبادل ، وبتحاربها اذا اقتضى الأمر ذلك .

ولما كانت انكلترا حاضرة الرأسمال ، القوة التي سيطرت حتى الآن على سوق العمل ، فانها في الوقت الحاضر البلد الأهم بالنسبة الى الثورة العمالية ، وفضلاً عن ذلك البلد **الوحيد** الذي تطورت فيه الشروط المادية لهذه الثورة حتى درجة معينة من النضوج . ولذا كان التعجيل بالثورة الاجتماعية في انكلترا الهدف الأهم لرابطة الشغيلة الأممية ، والوسيلة الوحيدة من أجل التعجيل بها هي جعل ايرلندا مستقلة .

ولذا كان من واجب الأممية في كل مكان أن تضع النزاع بين انكلترا وايرلندا في المقدمة ، وأن تنحاز في كل مكان الى جانب ايرلندا علناً . وانه لواجب خاص على عاتق المجلس المركزي في لندن أن يوقظ الوعي في العمال الانكليز بأن **تحرر ايرلندا الوطني ليس بالنسبة اليهم** مسألة تخص العدالة المجردة أو العواطف الانسانية ، بل **الشرط الأول لتحررهم الاجتماعي الخاص** .

هذه هي باقتضاب النقاط الرئيسية للمذكرة ، وهي تقدم اذن في الوقت نفسه أسباب(١) قرارات المجلس المركزي بخصوص العفو الايرلندي . وبعد ذلك بوقت قصير أرسلت مقالة شديدة مغفلة من التوقيع عن معاملة الفينيين من قبل الانكليز ، الخ ، ضد غلادستون ، الخ ، الى **الأممية** (صحيفة لجنتنا المركزية البلجيكية في بروكسل) . ولقد وجهت في الوقت نفسه ، في هذه المقالة ، التهمة الى الجمهوريين الفرنسيين (لقد نشرت **المارسيليز** بعض اللغو عن ايرلندا كتبه هنا تالانديه الحقير) بأنهم يحتفظون ،

---

(١) Raison d'être ، بالفرنسية في النص الأصلي .

بفعل أنانيتهم القومية ، بغضبهم كله للأمبراطورية وحدها .

وآتى ذلك ثماره . ولقد كتبت ابنتي جيني سلسلة من المقالات الى **المارسيليز** بتوقيع ج . وليامز (سمت نفسها جيني وليامز في رسالتها الخاصة الى هيئة التحرير) ونشرت فيما نشرت رسالة أو دونوفان روسا . ومن هنا كانت الضجة الهائلة .

وهكذا اضطر غلادستون أخيراً ، بعد سنوات عديدة من الرفض الصفيق ، بأن يوافق على **تحقيق برلماني** في معالجة السجناء الفينيين . ان جيني هي الآن المراسلة المنتظمة **للمارسيليز** عن الشؤون الايرلندية . (**من الطبيعي أن يظل هذا سراً فيما بيننا** .) ان الحكومة والصحافة الانكليزيتين مستاءتان بوحشية من حقيقة أن المسألة الايرلندية خرجت الآن **الى المقدمة** في فرنسا وأن هؤلاء الأوغاد هم حالياً عرضة للرقابة والفضح ، عبر باريس ، في القارة بأسرها .

ولقد أصبنا عصفوراً آخر بالحجر نفسه ، اذ أجبرنا القادة والصحفيين الايرلنديين ، الخ ، في دبلن على الاتصال بنا ، وهو ما لم يتمكن **المجلس العام** من تحقيقه حتى الآن .

ان لديكما الآن حقلاً واسعاً في اميركا للعمل على **الخطوط** نفسها . ان **تحالف العمال الألمان مع العمال الايرلنديين** (وبالطبع مع العمال الانكليز والأميركيين الذين يوافقون على الانضمام اليه) هو أعظم عمل يمكنكما مباشرته في هذه الأيام . ويجب أن يتم ذلك باسم الأممية . ان المغزى الاجتماعي للمسألة الايرلندية يجب ان يصبح واضحاً .

المرة القادمة شيء خاص عن موقف العمال الانكليز .

تحياتي واخوتي !

**كارل ماركس**

## ١١٩

## ماركس الى انجلز

**[لندن ،] في ١٨ أيار ١٨٧٠**

... ان أعضاءنا في فرنسا يقدمون الى الحكومة الفرنسية برهاناً عينياً على الفارق

بين جمعية سياسية سرية ورابطة عمالية حقيقية . فلما تكد الحكومة تزج في السجن بجميع أعضاء لجان باريس وليون وروان ومارسيليا ، الخ ، (هرب بعضهم الى بلجيكا وسويسرا) حتى نادت لجان تزيد عليها بمرتين بنفسها خليفة لها بأجرأ البيانات وأكثرها تحدياً في الصحف (وقد أضافت كاحتياط اضافي عناوينها الخاصة ايضاً) . وأخيراً صنعت الحكومة الفرنسية ما انتظرنا منها طويلاً أن تصنعه : تحويل المسألة السياسية ، امبراطورية أم جمهورية ، الى مسألة حياة أو موت بالنسبة الى الطبقة العاملة .

وعلى العموم ، فان الاستفتاء(١) وجه الضربة القاضية الى الامبراطورية . فلأن الكثيرين صوتوا نعم للأمبراطورية الملتفة بالعبارات الدستورية يعتقد بوسترابا أنه يستطيع الآن أن يعيد الامبراطورية بكل فظاظة sans phrase(٢) ، يعني نظام كانون الأول . وحسب جميع المعلومات التي تلقيتها بصورة خاصة فان جمعية العاشر من كانون الأول(٣) قد أعيد تشكيلها بصورة شاملة في باريس وهي تفور نشاطاً .

تحياتي .

المخلص

ك . م .

## ١٢٠

# ماركس الى ل . كوغلمان

**لندن ، في ٢٧ حزيران ١٨٧٠**

عزيزي الامبراطور فنسيسلاوس

رجعت الى هنا هذا الاسبوع بعد إقامة اسبوع في مانشستر ووجدت رسالتك

---

(١) أجرى نابليون الثالث الاستفتاء في أيار ١٨٧٠ كي يقوي الامبراطورية وينسف التحريض الجمهوري في البلاد . ولقد لجأت الحكومة الى مختلف المناورات الدياغوجية الممكنة كي تربح ، مستخدمة ضغطاً هائلاً على المقترعين .

(٢) دونما عبارات طنانة

(٣) **جمعية العاشر من كانون الأول** : تشكلت هذه الجمعية من حثالة مختلف طبقات السكان من قبل لويس نابليون عام ١٨٤٩ وقد استخدمها في تحضير انقلابه في ٢ كانون الأول ١٨٥١ . ولقد أعطيت هذا الاسم احياء لذكرى اليوم الذي انتخب فيه رئيساً للجمهورية الفرنسية (١٠ كانون الأول ١٨٤٨) .

الأخيرة في انتظاري .

وفي الحقيقة لا استطيع إخبارك باليوم الذي سأغادر فيه ، ولا حتى أن أجيب عن السؤال الذي لم تسأله ـ **ما اذا كنت سأرحل قط** .

لقد اعتمدت في السنة الماضية على طبعة جديدة من كتابي بعد معرض عيد الفصح ، وبالتالي على استلام المال المستحق لي عن الطبعة الأولى . لكن يمكنك أن تعرف من الرسالة المرفقة من مايسنر ، التي وصلت اليوم ، أن هذا كله لا يبرح بعيداً جداً . (أرجو أن تعيد الرسالة الي .)

ان الوجهاء المحترفين الألمان وجدوا أنفسهم مؤخراً ملزمين بأن ينتبهوا الى وجودي هنا وهناك ، وان يكن بطريقة بلهاء ؛ مثال ذلك أ . فاغنر في كتيب عن الملكية العقارية وهيلد (بون) في كتيب عن نظام الائتمان الزراعي في مقاطعة الراين .

ان الهر لانج (في المسألة العمالية ، الخ ، الطبعة الثانية) يمتدحني عالياً ، لكن بغرض اسباغ الأهمية على نفسه . ان الهر لانج ، كما ترى ، قد حقق اكتشافاً كبيراً . فالتاريخ بأسره يمكن وضعه تحت قانون طبيعي كبير واحد . وان هذا القانون الطبيعي هو عبارة (ان تعبير داروين يصبح بهذا التطبيق مجرد عبارة ليس غير) «الصراع من أجل الحياة» ، ومضمون هذه العبارة هو القانون المالتوسي عن السكان ، أو بالأحرى فرط السكان . وهكذا فان كل ما يجب صنعه ، بدلاً من تحليل «الصراع من أجل الحياة» كما يمثل تاريخياً في أشكال محددة مختلفة للمجتمع ، هو ترجمة كل صراع مشخص الى عبارة «الصراع من أجل الحياة» ، وهذه العبارة نفسها الى «الهذيان السكاني» المالتوسي . ولا بدّ للمرء من الاعتراف بأن تلك طريقة مؤثرة جداً ـ من أجل الجهالة المختالة ، العلمية الكاذبة ، المتبجحة ، ومن أجل الكسل الفكري .

ان ما يقوله لانج نفسه عن الطريقة الهيغلية وتطبيقي لها صبياني حقاً . فأولاً هو لا يفهم شيئاً عن طريقة هيغل ، وثانياً يفهم أقل من ذلك أيضاً ، بنتيجة ذلك ، من اسلوبي النقدي في تطبيقها . وانه ليذكّرني من جانب واحد بموزيس مندلسون . ذلك أن هذا النموذج للمدعي الثرثار كتب الى ليسنغ يسأله كيف يستطيع أن يأخذ هذا «الكلب الفاطس سبينوزا» **بصورة جدية** . وبالطريقة نفسها يعجب الهر لانج كيف يمكن لانجلز ، ولي ، ولآخرين ، أن يأخذوا الكلب الفاطس هيغل **بصورة جدية**

بعدما وافق بوخنر ولانج والدكتور دوهرنغ وفيشنر ، الخ ، منذ زمن طويل ، على انه ـ يا للمسكين ـ دفن من قبلهم قبل وقت طويل . ان لانج لعلى قدر كاف من السذاجة كي يقول إنني «اتحرك بحرية نادرة» في المادة التجريبية . انه لا يملك أدنى فكرة عن أن هذه «الحركة الحرة في المادة» ليست سوى صياغة جديدة **لطريقة** معالجة المادة ، يعني **الطريقة الجدلية** ...

وأما بخصوص ضغط مايسنر من أجل المجلد الثاني ، فلم يقتصر الأمر على أن المرض اعترضني طوال الشتاء ، بل وجدت كذلك من الضرورة بمكان أن أكدح في تعلم الروسية ، لأنه أصبح أمراً جوهرياً في معالجة المسألة العقارية المضي الى المصادر الأصلية في دراسة علاقات الملكية العقارية الروسية . وفضلاً عن ذلك نشرت الحكومة الانكليزية ، بشأن المسألة العقارية الايرلندية ، سلسلة من الكتب الزرقاء (سرعان ما اختتمت) عن العلاقات الزراعية في سائر البلدان . وأخيراً ـ entre nous(1) ـ فاني اود أن اشاهد صدور الطبعة الثانية من المجلد الأول قبلاً . واذا ما حدث ذلك بينما أصوغ المجلد الثاني في شكله النهائي فلن يفعل ذلك سوى ازعاجي .

أطيب التمنيات من طرف جيني وطرفي الخاص الى سائر أفراد أسرة كوغلمان .

المخلص

ك . م .

## ١٢١

## ماركس الى انجلز

**[لندن ،] في ٢٨ تموز ١٨٧٠**

... يوم الثلاثاء الماضي أمر المجلس العام بطبع ألفي نسخة من البيان(2) ، وسوف أتلقى اليوم البروفات الخاصة به .

ان إنشاء **المارسيليز** في فرنسا مسخرة تماماً مثل الامبراطورية الثانية بأسرها . بيد

---

(١) فيما بيننا .

(٢) البيان الأول للمجلس العام لرابطة الشغيلة الأممية عن الحرب الفرنسية ـ البروسية .

أن ذلك الكلب(١) يشعر على الأقل بأن «الذهاب الى سوريا» لن يجدي فتيلاً . ومن جهة أخرى فأن مثل هذا التهريج غير ضروري في بروسيا . ان «يا رب ، فيك وضعت كل ثقتي !» ، ينشدها وليم الأول وبسمارك عن يمينه وستابر عن شماله ، هي المارسيليز الألمانية . وكما كان الأمر في ١٨١٢ وما يليها ، فإن البورجوازي الصغير الألماني يبدو مغتبطاً جداً ، فهو يستطيع الآن أن يطلق العنان لعبوديته الفطرية . من كان يحسب أنه في الامكان أن تعطي حرب وطنية في ألمانيا ، بعد اثني وعشرين عاماً من ١٨٤٨ ، مثل هذا التعبير النظري(٢) !

ومن حسن الحظ ان هذه التظاهرة كلها تصدر عن الطبقة الوسطى . ان الطبقة العاملة ، باستثناء انصار شوايتزر المباشرين ، لا تلعب دوراً فيها . ومن حسن الحظ أن حرب الطبقات في كلا البلدين ، فرنسا وألمانيا ، تطورت بصورة عريضة جداً بحيث لا يمكن لأي حرب في الخارج أن ترجع بصورة جدية دولاب التاريخ الى الوراء ...

## ١٢٢

## ماركس الى ج . ب . بيكر

**لندن ، في ٢ آب ١٨٧٠**

... تلقيت رسالة الأصدقاء الروس في جنيف . أرجوك أن تخبرهم بأني أشكرهم عليها .

أن أفضل ما يصنعونه حقاً هو أن يكتبوا كراسة عن باكونين ، لكن يجب أن يفعلوا ذلك عاجلاً . وفي هذه الحالة فلا حاجة بهم لأن يرسلوا الي أية وثائق لاحقة عن مؤامرات باكونين .

انهم يسألونني ما الذي كان باكونين يفعله عام ١٨٤٨ . لقد لعب دور الاشتراكي

(١) المقصود هو نابليون الثالث .

(٢) يقول انجلز في رسالة جوابية كتبها الى ماركس بخصوص هذه الفقرة : «بقدر ما يتذلل البورجوازي الصغير الألماني أمام وليم الواثق بالله والمتذلل لله تزداد صفاقته حيال فرنسا . ان الضوضاء القديمة بشأن الألزاس واللورين تثار من جديد دون كابح ، وفي الموكب **Augsburger Zeitung** . لكن فلاحي اللورين سيجعلون البروسيين يعلمون أن ذلك ليس بالأمر البسيط حتى هذه الدرجة .»

الحازم خلال اقامته في باريس في ١٨٤٣ ـ ١٨٤٨ . وبعد الثورة ذهب الى بريسلو وتحالف مع الديموقراطيين البورجوازيين هناك ، وقام بالتحريض فيما بينهم من أجل انتخاب أرنولد روج (الى برلمان فرانكفورت) ، وهو في ذلك الحين عدو حازم للاشتراكيين والشيوعيين . وفي وقت لاحق ـ ١٨٤٨ ـ رتب المؤتمر السلافي الشامل في براغ ، وقد وجه اليه السلافيون الشاملون أنفسهم تهمة التلاعب هناك . ومهما يكن من شيء ، فاني لا أصدق ذلك . اذا كان قد ارتكب أخطاء هناك (من وجهة نظر أصدقائه السلافيين الشاملين) فهي في رأيي أخطاء «غير ارادية» . وفي مطلع عام ١٨٤٩ أصدر باكونين بياناً (كراسة) ـ نزعة سلافية شاملة عاطفية : ان الشيء الوحيد الذي يستاهل المديح بشأن نشاطه ابان الثورة هو اشتراكه في عصيان دريسدن في أيار ١٨٤٩ .

وان أقواله بعد عودته من سيبريا مباشرة لبالغة الأهمية في وسمه(١) . وان في كولوكول وفي «رسائل روسية» لبورخايم في **Zukunft** ، التي أفترض أنها في حوزتك ، معلومات واسعة عن هذا الأمر . أخبر الأصدقاء الروس أن الشخص الذي فضحوه لم يظهر هنا ، وأني حملت التهمة التي اوكلوني بها الى بورخايم ، وأني سأكون سعيداً جداً اذا قدم واحد منهم الى هنا .

وأخيراً فاني ساكون عظيم الامتنان لهم اذا أرسلوا الي المجلد الرابع من تشيرنشيفسكي الذي صدر حديثاً . ولسوف أبعث بثمنه اليهم بالبريد .

ان مقالتك عن الحرب في العدد الأخير من **Vorbote** ممتازة ، وقد صفقت لها أسرتي كلها ، التي ترسل اليك تحياتها الودية جداً . الى اللقاء .

المخلص

**كارل ماركس**

## ١٢٣

## انجلز الى ماركس

**مانشستر ، في ١٥ آب ١٨٧٠**

عزيزي المغربي

---

(١) اشارة الى مقالة بقلم باكونين بعنوان «الى الأصدقاء الروس والبولونيين والسلافيين جميعاً» نشرت في مجلة هرتزن **Kolokol** (الجرس) في عدد شباط ١٨٦٢ .

عندما يكون المرء قد تغلب لتوه على نوبة من الاضطرابات المعدية الشديدة استمرت ثلاثة ايام ، كما حدث لي ، مع حمى خفيفة من وقت لآخر ، فليس مما يسعده كثيراً في حال من الأحوال ، حتى اذا بدأ يشعر بالتحسن ، أن يسهب في الحديث عن سياسة وهلم(١) . لكن ما دام لا بدّ لك من استرداد هذا الهراء ، فليكن :

لا يمكنني أن أقول حتى أي مدى سمح براك ، وهو بكل تأكيد رجل ضعيف جداً ، لحماسته القومية بأن تجرفه ، وبما أني لا أتلقى على الأكثر سوى عدد واحد من Volkstaat كل اسبوعين ، فاني عاجز كذلك عن اصدار حكم على موقف اللجنة(٢) في هذا الشأن الا من رسالة بومنهورست الى وهلم ، وهي على الاجمال رسالة باردة لكنها تنم عن التردد النظري . وبصورة مناقضة لذلك فان الثقة بالذات ضيقة الأفق عند ليبكنخت ، النابعة من عقائديته ، تستلفت الأنظار حقاً ، بصورة ملائمة جداً كما هي العادة .

ويلوح لي أن الحالة هي كما يلي : لقد ألزم بادينغيه(٣) ألمانيا بخوض غمار الحرب في سبيل وجودها الوطني . واذا هزمها بادينغيه ، فسوف يشتد ساعد البونابرتية لسنوات وتنكسر ألمانيا لسنوات ، وربما لأجيال . وفي هذه الحال فلن يكون ثمة مجال أيضاً لحركة مستقلة للطبقة العاملة الألمانية ، فالنضال في سبيل استعادة وجود ألمانيا الوطني سوف يستغرق الأشياء جميعاً ، وفي أفضل الأحوال سوف ينجر العمال الألمان في ذيل الفرنسيين . واذا ربحت ألمانيا ، فان البونابرتية الفرنسية سوف تُسحق على أي حال ، ويتم التخلص أخيراً من الشجار الذي لا ينتهي حول إقامة الوحدة الألمانية ، ويتمكن العمال الألمان من تنظيم أنفسهم على نطاق وطني مختلف كل الاختلاف عن النطاق الذي كان سائداً حتى هذا التاريخ ، ويحصل العمال الفرنسيون بكل تأكيد ، مهما يكن نوع الحكومة التي ستعقب هذه الحكومة ، على حقل أكثر حرية مما هو في

---

(١) وهلم ليبكنخت .

(٢) إشارة الى اللجنة التنفيذية لحزب العمال الاشتراكي الديموقراطي التي كان مقرها في برونسفيغ .

(٣) لقب نابليون الثالث .

طل البونابرتية . إن جماع كتلة الشعب الآلماني من مختلف الطبقات قد ادركت ان هذه المسألة هي أولاً وقبل كل شيء مسألة وجود وطني ، وبالتالي ألقت بنفسها في حمأة النزاع في الحال. وأما أن حزباً سياسياً ألمانياً سوف ينادي في هذه الظروف بالتعويق التام على طريقة وهلم ويضع مختلف أنواع الاعتبارات الثانوية قبل الاعتبار الرئيسي ، فهذا ما يبدو لي أمراً مستحيلاً .

ويجب أن نضيف الى هذا أن بادينغيه ما كان يمكن أن يكون قط قادراً على مواصلة هذه الحرب بدون انتهازية كتلة السكان الفرنسيين : البورجوازية ، والبورجوازية الصغيرة ، والفلاحون ، والبروليتاريا ذات النزعة الأمبريالية ، الهاوسمانية(١) ، المشتغلة بتجارة البناء والمنحدرة من الفلاحين ، التي خلقها بونابرت في المدن الكبرى . وما لم تُضرب هذه الشوفينية على الرأس ، وتضرب بصورة فعالة وجيدة ، فالسلام بين فرنسا وألمانيا مستحيل . وقد كان في مقدور المرء أن يتوقع أن ثورة بروليتارية سوف تأخذ هذا العمل على عاتقها ، لكن بما أن الحرب اندلعت في هذه الأثناء ، فلم يتبق أمام الألمان ما يفعلونه سوى الاهتمام بهذا العمل بأنفسهم وعلى جناح السرعة .

ونأتي الآن الى الاعتبارات الثانوية . أما أن ليهمان(٢) وبسمارك وشركاهما يقودون هذه الحرب وأنها سوف تخدم مجدهم الزمني اذا قادوها بنجاح ، فان علينا أن نشكر من أجل ذلك الحالة البائسة للبورجوازية الألمانية . ومن المؤكد أن ذلك أمر بغيض لكنه لا يمكن تبديله . لكن تعظيم مناهضة البسماركية لهذا السبب بحيث نجعل منها المبدأ المرشد الوحيد سوف يكون أمراً سخيفاً . ففي المحل الأول ينجز بسمارك ، كما في عام ١٨٦٨ وكما في الوقت الحاضر ، نتفة من عملنا ، **بطريقته الخاصة** ودون قصد منه ، لكنه ينجز ذلك على أي حال . انه ينظف الميدان لنا أفضل من ذي قبل . وفيما عدا ذلك ، فنحن لم نعد بعد الآن في عام ١٨١٥ . فلا بدّ للألمان الجنوبيين حالياً من دخول الرايخستاغ ، وهذا سوف ينمي ثقلاً معدلاً للبروسيانية . ومن ثم فان هناك الواجبات القومية التي تقع على عاتقه والتي تحظر ، كما كتبتَ ، التحالف الروسي منذ

---

(١) هاوسمان : عمدة مقاطعة السين في ظل نابليون الثالث ، وقد أشرف على اعادة اعمار باريس .

(٢) لقب وليم الأول

البداية . وعلى العموم فانه من العبث أن نحاول مثل ليبكنخت ارجاع ساعة التاريخ الى الخلف بشأن كل ما جرى منذ عام ١٨٦٦ لمجرد انه ليس على هواه . بيد أننا نعرف أصحابنا الألمان الجنوبيين النموذجيين . فليس هناك ما نفعله مع هؤلاء المجانين .

أعتقد أن جماعتنا يستطيعون :

١ً ـ الانضمام الى الحركة الوطنية ـ تستطيع أن تتبين من رسالة كوغلمان مدى قوتها ـ في حدود وعلى مدى ما تقتصر على الدفاع عن ألمانيا (الأمر الذي لا يستبعد هجوماً ، في بعض الظروف ، حتى يتم التوصل الى السلم) ؛

٢ً ـ التشديد في الوقت نفسه على الفارق بين المصالح الألمانية القومية ومصالح الأسرة المالكة البروسية ؛

٣ً ـ العمل ضد أي الحاق للألزاس واللورين ـ ان بسمارك يلمح في الوقت الراهن بنية إلحاقها ببافاريا وبادن ؛

٤ً ـ العمل من أجل سلم شريف مع حكومة جمهورية غير شوفينية في باريس حالما تتسلم مقاليد الأمور هناك ؛

٥ً ـ التشديد باستمرار على وحدة المصالح بين العمال الألمان والفرنسيين الذين لا يوافقون على الحرب ولا يخوضون الحرب ضد بعضهم البعض ؛

٦ً ـ روسيا ، كما في بيان الأممية .

وانه لمضحك تأكيد وهلم بأن الموقف الصحيح هو البقاء على الحياد نظراً لأن بسمارك شريك سابق لبادينغيه . لو كان ذلك هو الرأي العام في ألمانيا فأننا سنحصل عاجلاً على اتحاد الراين من جديد وسوف يرى وهلم النبيل اذن ما نوع الدور الذي سوف يلعبه في ذلك وما الذي ستؤول اليه حركة العمال . ان شعباً لا ينال شيئاً سوى الرفسات واللكمات هو في الحقيقة الشعب الصالح لصنع ثورة اجتماعية ، وفضلاً عن ذلك في دول وهلم الحبيبة الحقيرة التي لا حصر لها .

ما أظرف أن الفتى الصغير المسكين يسعى الى دعوتي الى تقديم الحساب عن شيء كان «يفترض» أنه ورد في **Elberfelder Zeitung** ! يا للحيوان البائس !

ان الانهيار في فرنسا يلوح لي مخيفاً ، فجميع الأشياء بددت وبيعت وغشت . ان البنادق(1) مصنوعة بصورة رديئة وهي لا تطلق النار عند استخدامها ؛ ولقد أصبحت هذه البنادق غير موجودة بحيث لا بدّ من تصيد البواريد القديمة مرة أخرى . وعلى أي حال ، فانه اذا جاءت حكومة ثورية **عاجلاً** ، فلا حاجة بها الى اليأس . بيد أنه ينبغي لها أن تترك باريس لمصيرها وتخوض الحرب من الجنوب . وعندئذ فسوف تكون ثمة امكانية بعد لصمودها حتى يتم شراء الأسلحة وتنتظم جيوش جديدة ترد العدو بصورة تدريجية حتى الحدود . ولسوف يكون هذا فعلاً خاتمة حقيقية للحرب ، لأن كلا البلدين سيكونان قد قدما البرهان بصورة متبادلة على أنهما لا يهُزمان . لكنه اذا لم يحدث ذلك على جناح السرعة فان اللعبة سوف تنتهي . ان عمليات مولتكه نموذجية ـ يبدو أن وليم العجوز أطلق له الحرية التامة ـ وكتائب الدعوة الرابعة يلتحقون منذ الآن بالجيش ، بينما الكتائب الفرنسية لا وجود لها بعد .

واذا لم يكن بادينغيه قد غادر ميتنر بعد ، فقد تسوء الأحوال معه .

ليست حمامات البحر جيدة للرئة . لكن غومبرت الذي يقضي اربعة اسابيع في بلاد الغال يؤكد أن **هواء البحر** صحي بصورة خاصة . آمل أن ترتاح من آلامك عاجلاً ، فهي شيء رهيب . وعلى أي حال ، فليست هي خطيرة . ان استرداد صحتك العامة أهم كثيراً .

أطيب تمنياتي

المخلص

ف . إ .

## ١٢٤

## ماركس الى انجلز

### رامسغيت ، في ١٧ آب ١٨٧٠

عزيزي فريد !

---

(1) chassepots ، بالفرنسية في النص الأصلي .

شكري الجزيل (وكذلك من السيدة ماركس على الرسالة اليها) للعناء الذي تتكبده في مثل هذه الظروف الرديئة . ان رسالتك تتطابق كلياً مع **مخطط** الجواب الذي فكرت فيه مسبقاً . ومهما يكن من شيء ، في مثل هذا الموضوع الهام ـ ليست المسألة مسألة ولهلم بل مسألة **التعليمات بخصوص خط سلوك العمال الألمان** ـ لم أشأ أن أتصرف دون أن نستشيرك قبلاً .

يستدل ولهلم على اتفاقه معي :

١ ـ من بيان **الأممية** الذي ترجمه بالطبع قبلاً الى لغته الولهلمانية الخاصة ؛

٢ ـ من حقيقة موافقتي على بيانه وبيان بيبل في الرايخستاغ(١) . كانت تلك «**لحظة**» كان التشبث بالمبدأ فيها عملاً شجاعاً ، لكنه لا يترتب على ذلك في حال من الأحوال أن اللحظة مستمرة بعد ، وأقل من ذلك كثيراً أن موقف البروليتاريا الألمانية حيال حرب أصبحت وطنية يمكن ادراكه من نفور ولهلم من بروسيا . لسوف يكون ذلك أشبه بما لو أننا ، نظراً لكوننا رفعنا في برهة مناسبة أصواتناضد التحرير «البونابرتي» لايطاليا ، نريد أن نعارض الاستقلال النسبي الذي حصلت ايطاليا عليه بنتيجة تلك الحرب .

ان الشبق الى الألزاس واللورين يسود فيما يبدو في دائرتين : البطانة البروسية ووطنيي الجعة الألمان الجنوبيين . لتكون تلك أكبر كارثة تحل باوروبا ، وقبل كل شيء بألمانيا . ولسوف ترى أن معظم الصحف الروسية راحت تتحدث مسبقاً عن ضرورة التدخل الدبلوماسي الاوروبي بغرض المحافظة على توازن القوة في اوروبا .

ان كوغلمان يخلط بين الحرب الدفاعية والعمليات العسكرية الدفاعية . وهكذا إذا هاجمني رجل في الطريق يمكنني أن أصد ضرباته لكن دون أن أصرعه ، لأنني سأتحول اذن الى **معتدٍ** ! ان الأفتقار الى الجدلية يتضح في كل كلمة يتفوه بها هؤلاء الناس .

لم يغمض لي جفن لأربع ليال بسبب الرثية ، وطوال هذا الوقت كانت أفكار

---

(١) حين طرحت الاعتمادات اللازمة من أجل خوض الحرب ضد فرنسا على الاقتراع في الرايخستاغ امتنع بيبل وليبكنخت عن التصويت وعبرا عن احتجاجهما المبدئي ضد أي حرب بين السلالات الحاكمة .

خيالية تراودني عن باريس، الخ . لسوف أطلب تهيئة شراب غومبرت المنوم لي هذا المساء .

مع قرع ناقوس الامبراطورية الثانية ، فانها سوف تنتهي كما بدأت،بمسخرة(١) . أني أصور ببراعة صاحبي بونابرت على أي حال : أيمكن للمرء أن يتخيل مسخرة أروع لحملة نابليون في ١٨١٤ ؟ أعتقد أننا ، نحن الاثنين ، الوحيدان اللذان أدركنا **كل تفاهة** بوسترابا منذ البداية ، واعتبرناه مجرد رجل استعراض مسرحي ، ولم نسمح لأنفسنا قط بالأنخداع بنجاحاته المؤقتة .

وبالمناسبة ، فان جمعية السلام البورجوازية أرسلت الى المجلس العام للأممية مبلغ ٢٠ ليرة سترلينية من أجل طباعة البيان باللغتين الفرنسية والألمانية .

تحياتي .

المخلص

ك . م .

## ١٢٥

# ماركس الى لجنة حزب العمال الاشتراكي الديموقراطي في ألمانيا ، برونسفيك(٢)

### لندن ، حوالي الأول من ايلول ١٨٧٠

أن البطانة العسكرية والأخوية الحرفية وسكان المدن والسياسيين من رواد حانات الجعة ينادون بأن هذا (٣) هو الوسيلة التي تستطيع المانيا بها تأمين حمايتها من الحرب مع فرنسا إلى الأبد . ان الأمر على النقيض من ذلك تماماً ؛ اذ هو الوسيلة الأضمن من أجل تحويل هذه الحرب الى **مؤسسة اوروبية** . انه في الحقيقة الطريقة الأضمن من أجل تأييد الطغيان العسكري في ألمانيا متجددة الشباب كما أنها أساسية من أجل

---

(١) يستشهد ماركس هنا بفقرة من البيان الاول للمجلس العام اللأممية عن الحرب الفرنسية البروسية .

(٢) لم يتبق من الرسالة الراهنة الا مقتطفاتها التي ضمت الى البيان عن الحرب الصادر على شكل منشور من قبل اللجنة التنفيذية لحزب العمال الاشتراكي الديموقراطي في ألمانيا .

(٣) استيلاء بروسيا على الألزاس واللورين .

الابقاء على ملكية بولونيا غربية هي الألزاس واللورين . انه وسيلة لا تخطىء من أجل تحويل السلام القادم الى مجرد هدنة حتى تتعافى فرنسا بصورة كافية كما تطالب باستعادة أراضيها المفقودة . انه الطريقة التي لا تخطىء مطلقاً من أجل جلب الدمار على ألمانيا وفرنسا على حد سواء بواسطة النزاع القاتل .

ان الأوغاد والحمقى الذين اكتشفوا هذه الضمانات للسلم الأبدي يجب أن يعرفوا من التاريخ البروسي ، من سياسة العصا الغليظة التي طبقها نابليون في صياغة معاهدة تيلسيت ، أن مثل هذه التدابير العتيقة من أجل تهدئة شعب حي تنتج فعلاً معاكساً بالضبط للفعل المقصود . انظروا الى فرنسا ، حتى بعد فقدان الألـزاس واللورين ، بالمقارنة مع ألمانيا بعد صلح تيلسيت !

واذا كـان للشوفينية الفرنسية ، في ظل نظام الدولة القديم ، مبرر مادي ما في حقيقة أن العاصمة باريس ، ومعها فرنسا ، تستلقي عزلاء منـذ عام ١٨١٥ بعـد خسارة معارك قليلة ، فأي حقد جديد سوف تتشرب به عندما يمتد خط الحدود على طول جبال الفوج في الشرق وعند ميتز في الشمال ؟

أما أن أهالي اللورين والألزاس يرغبون في بركات حكومة المانية ، فان توتون نفسه ... لن يجرؤ على ادعاء ذلك . ان ما ينادى به هو مبدأ الجرمانية الشاملة والحدود «الآمنة» ، وهو مبدأ اذا صارت ممارسته من الجانب الشرقي أدى الى نتائج رائعـة بالنسبة الى ألمانيا واوروبا .

ان كل من لم تعمه كلياً الجلبة والضوضاء القائمتان في اللحظة الراهنة أو لا يملك مصلحة في صمم الشعب الألماني يجب أن يدرك أن حرب عام ١٨٧٠ حامل بالضرورة بحرب بين ألمانيا وروسيا مثلما كانت حرب عام ١٨٦٦ حبلى بحرب عام ١٨٧٠ .

وأقول بالضرورة ، بصورة محتومة ، باستثناء الحدث غـير المحتمـل الخـاص باندلاع ثورة في روسيا قبل ذلك .

واذا لم تقع هذه الحالة غير المحتملة ، فلا بد من معالجة الحرب بين ألمانيا وروسيا منذ الآن على اعتبارها حقيقة واقعة .

وانه ليتوقف كلياً على السلوك الحالي للمنتصرين الألمان ما اذا كانت هذه الحرب ستعطي نتائج نافعة أو ضارة .

فاذا هم أخذوا الألزاس واللورين ، فان فرنسا سوف **تنضم اليها** روسيا في الحرب ضد ألمانيا . ولا حاجة الى الاشارة الى العواقب المميتة التي ستترتب على ذلك .

واذا هم عقدوا صلحاً شريفاً مع فرنسا حررت تلك الحرب اوروبا من الدكتاتورية الموسكوفية ، وَحلَّت بروسيا في ألمانيا ، وأتاحت للقسم الغربي من القارة أن يتطور في سلام، وأخيراً ساعدت الثورة الاجتماعية الروسية ـ التي لا تتطلب عناصرها سوى مثل هذه الدفعة من الخارج من أجل تطورها ـ على الانفجار ، وهو ما سوف ينتفع منه الشعب الروسي أيضاً .

**لكني أخاف أن يواصل الأوغاد والحمقى لعبتهم المجنونة دون عائق الا اذا رفعت الطبقة العاملة الألمانية صوتها في جوقة كتلية ...**

ان الحرب الراهنة تفتتح عصراً جديداً في التاريخ العالمي بالبرهان الذي قدمته ألمانيا على قدرتها ، حتى باستبعاد النمسا الألمانية ، على المضي في طريقها الخاصة **بصورة مستقلة عن البلدان الأخرى** . وأما أنها **تجد وحدتها** بادىء الأمر في **الثكنات البروسية** ، فتلك عقوبة استحقتها على أفضل وجه . بيد أن ثمة نتيجة تحققت بصورة مباشرة حتى على هذا الغرار . ان مثل تلك الأمور التافهة كما هي حال النزاع بين الألمان الشماليين الوطنيين الليبراليين والألمان الجنوبيين من حزب الشعب لن تسد بعد الآن الطريق بصورة عديمة الجدوى . ان العلاقات سوف تتطور على نطاق واسع وتصبح أكثر بساطة . واذا لم تلعب الطبقة العاملة الألمانية وقتذاك الدور التاريخي التي هي مؤهلة له كانت تلك خطيئتها الخاصة . **ان هذه الحرب قد نقلت مركز الثقل لحركة الطبقة العاملة في القارة من فرنسا الى ألمانيا** . وان هذا الأمر ليلقي مسؤولية أعظم على كاهل الطبقة العاملة الألمانية .

## ١٢٦

## انجلز الى ماركس

**مانشستر ، في ٤ ايلول ١٨٧٠**

Was schert mich weib, was schert mich Kind,
Ich trage höhres Verlangen;
Lass sie betteln gehn, wenn sie hungrig sind-
Mein Kaiser, mein Kaiser gefangen! (١)

من المؤكد أن التاريخ العالمي أعظم الشعراء ، بل لقد نجح في تقليد هايني . امبراطوري ، امبراطوري أسير ! والأكثر من ذلك أنه أسير «البروسيين النتنين» . وان وليم المسكين (٢) يقف على حدة ويؤكد للجميع للمرة المائة أنه بالفعل بريء كلياً من القضية كلها وأنها ارادة الله بصورة خالصة . ويلوح وليم مثل التلميذ تماماً : «من خلق العالم ؟» «أرجوك يا معلمي ، لقد فعلت ذلك ـ لكنني لن أفعله ثانية قط !» .

ومن ثم يأتي جول فافر الحقير ويقترح أن يشكل الحكومة بباليكاو وتروشو وبعض الأركاديين . أبداً لم يكن هناك مثل هذا الطاقم الحقير . لكنه لا بد أن نتوقع على أي حال أنه حين يُعرف هذا الأمر في باريس فأن شيئاً ما يحدث بالضرورة . لا أستطيع أن أصدق أن هذا الطوفان من الأخبار الذي لا بد أن يصبح معروفاً هذا اليوم أو غداً سوف يخفق في احداث فعله . ربما حكومة يسارية سوف تعقد الصلح بعد ابداء المقاومة لفترة قصيرة من الزمن .

ان الحرب قد انتهت . وليس في فرنسا جيش بعد الآن . وحالما تستسلم بازيين ، الأمر الذي سيحدث هذا الأسبوع من دون ريب ، فان نصف الجيش الألماني سوف يمشي على باريس ويتقدم النصف الثاني عبر نهر لوار كي ينظف البلاد من أية تجمعات مسلحة ..

ان الخديعة الألزاسية ـ اذا تركنا جانبا صفاتها التوتونية الأصلية ـ هي بصورة رئيسية ذات طبيعة ستراتيجية وتستهدف أن تجعل خط جبال الفوج واللورين الألمانية أرضاً تخومية . (حدود لغوية : اذا رسمت خطاً مستقياً من دونون أو شيرميك في الفوج الى مسافة ساعة سفر شرقي لونغوي ـ حيث تلتقي حدود لوكسمبورغ البلجيكية والحدود الفرنسية ، فان ذلك هو المكان المضبوط على وجه التقريب ؛ ومن دونوف على

---

(١) ما تعنيني زوجتي ، وما يعنيني ولدي ـ ان لدي طموحات أسمى ـ اذا كانا جائعين ، فليمضيا ويشحذا ـ امبراطوري ـ امبراطوري ، أسير ! (هنريخ هايني : «الفرسان») .

(٢) القيصر وليم .

طول الفوج حتى الحدود السويسرية .) ليست جبال الفوج الى الشمال من دونون عالية جداً وشديدة الانحدار كما في الجنوب . وليس سوى حمير **Staatsanzeiger** وبراس وشركاه يمكن أن يتصوروا أن فرنسا سوف «تختنق» اذا ما انتزع منها هذا الشريط الضيق بسكانه الذين يعدون حوالي مليون وربع مليون نسمة . وان صرخات المرائين من أجل «الضمانات» لسخيفة كلياً ، لكنهم يلغون إرضاء لرجال البلاط .

ولقد صنع الفرنسيون في ساربروك ما استطاعوا من أضرار . ولم يستمر القصف طبعاً سوى ساعات قليلة ، وليس كما في ستراسبورغ ليل نهار لبضعة أسابيع .

أعيد اليك طيه رسالة كاكادو مع الشكر . مثيرة للاهتمام جداً . ان الدفاع عن باريس ، اذا لم يحدث في داخلها أمر غير طبيعي ، سوف يكون فصلاً مسلياً . ان هذه المخاوف الصغيرة الدائمة عند الفرنسيين ـ التي تنشأ جميعاً عن خوف اللحظة الراهنة حين لا يكون لهم بد أخيراً من معرفة الحقيقة ـ تعطي المرء فكرة أفضل جداً عن عهد الارهاب . اننا نقصد من هذا أن يعني حكم الناس الذين يبعثون الرعب . وعلى النقيض من ذلك ، فانه حكم الناس الذين استولى الرعب عليهم هم أنفسهم . ان الارهاب يتضمن على الأغلب أعمال قسوة عديمة الجدوى يرتكبها أناس مذعورون كيما يعيدوا الطمأنينة الى نفوسهم . وأنا مقتنع بأن اللوم الموجه الى عهد الارهاب عام ١٧٩٣ يقع حصراً على وجه التقريب على كاهل البورجوازيين الذين أفقدهم الذعر عقولهم والذين تصرفوا كأنهم وطنيون ، على كاهل البورجوازيين الصغار المرتعشين خوفاً ورعاع العالم الأدنى الذين يعرفون كيف يحصلون على الربح من الذعر . وان هذه هي بالضبط الطبقات التي صنعت الرعب الصغير الحالي أيضاً .

أفضل التمنيات لكم جميعاً من طرفنا جميعاً ، بما فينا جوليميير ومور . المخلص

ف . إ .

## ١٢٧

## انجلز الى ماركس

**مانشستر ، في ١٣ ايلول ١٨٧٠**

... اذا كان في الامكان صنع أي شيء في باريس . فيجب منع العمال من توجيه أي

ضربة قبل عقد الصلح . وسرعان ما سوف يكون بسمارك في وضع يمكنه من عقد الصلح ، إما بالاستيلاء على باريس واما لأن الأوضاع الأوروبية سوف تجبره على وضع حد للحرب. ومهما يكن من شيء، فان الصلح قد يتم ، ويجب أن يعقد قبل أن يستطيع العمال أن يعملوا أي شيء كان على الاطلاق . فاذا هم انتصروا الآن - بينما هم في خدمة الدفاع الوطني - فلن يكون لهم بدّ اذن من الحصول على الارث الذي خلّفه بونابرت والجمهورية الحقيرة الراهنة ، وسوف تسحقهم دونما جدوى الجيوش الألمانية ويردوا الى الخلف عشرين سنة أخرى . وهم أنفسهم لن يخسروا شيئاً اذا انتظروا. فالتغيرات الممكنة في الحدود مؤقتة على أي حال وسوف تلغى من جديد . ان القتال في سبيل البورجوازية ضد البروسيين جنون . وكائنة ما كانت الحكومة التي سوف تعقد الصلح فانها سوف تصبح قبل وقت طويل ، من جراء ذلك وحده ، حكومة مستحيلة ، وليس ثمة شيء كثير يخشى من جانب الجيش في النزاعات الداخلية بعد عودة هذا الجيش من الأسر . ان الفرص سوف نكون بعد الصلح أكثر ملاءمة للعمال مما كانت عليه في أي وقت مضى . لكن أتراهم لن ينجرفوا تحت ضغط هجوم من الخارج ويعلنوا الجمهورية الاجتماعية عشية الاستيلاء على باريس ؟ انه ليكون مروعاً اذا ما عمدت الجيوش الألمانية ، كآخر عمل لها في الحرب ، الى خوض معركة ضد العمال الباريسيين عند المتاريس . ان ذلك سيردنا القهقرى خمسين سنة ويؤخر كل شيء حتى درجة كبيرة بحيث يصبح جميع الناس وجميع الأشياء في وضع خاطىء - وفضلاً عن ذلك الحقد الوطني وسيطرة العبارة اللذان سيقومان **اذن** بين العمال الفرنسيين ...

## ١٢٨

## ماركس الى إ . س . بيسلي

**لندن ، في ١٩ تشرين الأول ١٨٧٠**

سيدي العزيز

ان ديك ضد العمال ، وهو في واقع الأمر نسخة مجرية عن هويغ انكليزي .

وأما بخصوص ليون ، فقد تلقيت رسائل غير مناسبة للنشر . لقد سارت جميع الأمور على ما يرام بادىء الأمر . فتحت ضغط فرع «الأممية» أعلنت الجمهورية قبل أن تتخذ باريس هذه الخطوة . وأقيمت حكومة ثورية في الحال ـ **الكومونة** ـ مؤلفة جزئياً من عمال ينتسبون الى «الأممية» وجزئياً من جمهوريين راديكاليين من الطبقة المتوسطة . وألغيت رسوم الدخول في الحال ، وكان ذلك صواباً . ولقد ذعر المتآمرون البونابرتيون والاكليريكيون ، كما اتخذت تدابير قوية من أجل تسليح الشعب بأسره . واذا لم تكن الطبقة المتوسطة قد جعلت تتعاطف فعلياً مع نظام الاشياء الجديد ، فقد جعلت تماشيه على الاقل . ولقد انعكس عمل ليون في الحال في مارسيليا وتولوز حيث فرعا «الأممية» قويان .

لكن الحمارين باكونين وكلوزوريه وصلا الى ليون وأفسدا كل شيء . ان كلاهما ينتسبان الى «الأممية» ، ومن سوء الحظ أنهما يملكان ما يكفي من النفوذ كي يضللا أصدقاءنا . لقد تم الاستيلاء على Hotel de Ville(١) ـ لفترة قصيرة من الزمن ، واصدرت أحمق المراسيم عن(٢) abolition de l'État وما أشبه ذلك من الهراء. وإنك لتدرك أن هذه الحقيقة بالذات ، ألا وهي أن رجلاً روسيا ـ تمثله صحف الطبقة الوسطى كعميل بسمارك ـ يزعم أن يفرض نفسه زعيماً لـ Comité du Salut de la France(٣) ، قد كانت كافية لقلب ميزان الرأي العام . وأما **كلوزوريه** ، فان هذا الرجل قد تصرف كأحمق وجبان . ولقد غادر هذان الرجلان ليون بعد اخفاقهما .

وفي روان ، كما في معظم مدن فرنسا الصناعية الأخرى ، فرضت فروع الأممية ، مقتدية بليون ، قبول عنصر الطبقة العاملة بصورة رسمية في «لجان الدفاع» .

ولا بد لي ، بعد ، أن أخبرك بأن الطبقة المتوسطة على العموم تفضل ، وفقاً لجميع المعلومات التي تلقيتها من باريس ، الغزو البروسي على انتصار جمهورية ذات اتجاهات اشتراكية .

المخلص لك بصدق

**كارل ماركس**

---

(١) دار البلدية ، وهي مركز الحكومة عادة .

(٢) إلغاء الدولة .

(٣) لجنة خلاص فرنسا .

## ١٢٩

# ماركس الى ل . كوغلمان

لندن ، في ١٣ كانون الأول ١٨٧٠

عزيزي كوغلمان

يجب أن تجد تفسيراً لسكوتي الطويل في حقيقة أنه لم يكن لي بدّ ، خلال هذه الحرب التي أخذت معظم المراسلين الأجانب للمجلس العام الى فرنسا ، أن أقوم **عملياً بجميع المراسلات الأممية** ، وهي ليست بالعمل التافه . وفيما عدا ذلك ، مع «**حرية البريد**» السائدة في الوقت الحاضر في ألمانيا ، وعلى الأخص في اتحاد ألمانيا الشمالية ، وبصورة «أخص» في هانوفر ، فانه لأمر خطير ـ ليس بالنسبة لي حقاً ، بل بالنسبة الى مراسليّ الألمان ـ أن أكتب اليهم رأيي في الحرب ، وما هو الشيء الآخر الذي يستطيع المرء أن يكتب عنه في الوقت الحاضر ؟

ومثال ذلك انك تطلب مني بياننا الأول عن الحرب . لقد أرسلته اليك ، ومن الواضح أنه صودر . واني لأضم الى هذه الرسالة البيانين الصادرين ككراسة ، وكذلك مقالة الأستاذ بيسلي في **Fortnightly Review** ، وعدد اليوم من **ديلي نيوز** . ونظراً لأن هذه الصحيفه ذات مسحة بروسية ، فمن الأرجح أن تمر هذه الأشياء . إن الأستاذ بيسلي من أتباع كونت ، ولذا فهو مضطر أن يخترع مختلف الأنواع من النزوات ، لكنه فيما عدا ذلك رجل كفؤ جداً وشجاع . انه أستاذ التاريخ في جامعة لندن .

ويلوح أن ألمانيا لم تكتف بأسر بونابرت وجنرالاته وجيشه . ان الامبريالية بكاملها ، مع جميع نقائصها ، قد تأقلمت في أرض أشجار السنديان والزيزفون .

وأما البورجوازي الألماني ، فليس يدهشني على الاطلاق تسممه بالفتح . فقبل كل شيء يشكل الاستيلاء على الأشياء مبدأ كل بورجوازية والاستيلاء على مقاطعات أجنبية هو «أستيلاء» على أي حال . ومن بعد فان البورجوازي الألماني قد رضي مذعناً بعدد كبير من الرفسات من أسياده ، وعلى الأخص آل هوهنزوليرن ، بحيث لا بدّ أن يجد سروراً فعلياً حين توجه هذه الرفسات الى أجنبي بدلاً منه .

وعلى أي حال ، فان هذه الحرب حررتنا من «الجمهوريين البورجوازيين» . لقد وضعت نهاية رهيبة لهذا الطاقم . وهذه نتيجة هامة . لقد أعطت أساتذتنا الفرصة الفضلى من أجل إسقاط اعتبارهم في أنظار العالم كله لكونهم متحذلقين خانعين . ولسوف تكون الشروط التي لا بدّ أن تترتب على ذلك أفضل دعاية لمبادئنا .

هنا في انكلترا كان الرأي العام عند اندلاع الحرب شديد الحماسة لبروسيا . ولقد انقلب الآن الى النقيض من ذلك . ومثال ذلك أن المغنين الألمان في cafés chantants[1] بصيحاتهم Wi- Wa- Wacht am Rhein قوبلوا بصرخات الاستهجان بينما كان الناس يرافقون في جوقة المغنين الفرنسيين الذين ينشدون المارسيليز . وفيما عدا التعاطف الحازم من جانب الجماهير الشعبية مع الجمهورية ، وما طرأ على محترمية التحالف بين بروسيا وروسيا من اضطراب واضح حالياً وضوح النهار ، واللهجة المخزية للدبلوماسية البروسية منذ نجاحات بروسيا العسكرية ، فان الطريقة التي اديرت الحرب بها ـ نظام المصادرة ، وحرق القرى ، واعدام القناصة ، وأخذ الرهائن ، وأعمال مماثلة تعيد الى الأذهان ذكرى حرب الثلاثين عاماً ـ قد أثارت الاستياء العام في هذا البلد . وطبيعي أن الانكليز فعلوا الشيء نفسه في الهند وجامايكا وغيرهما ، لكن الفرنسيين لا هم هندوس ولا صينيون ولا زنوج ، والبروسيين ليسوا انكليزاً من أبناء السماء ! وانها لفكرة هوهنزوليرنية حقاً أن الشعب يرتكب جريمة اذا استمر في الدفاع عن نفسه بعدما يكون جيشه النظامي قد استسلم . وبالفعل ، فان حرب الشعب البروسي ضد نابليون الأول كانت شوكة فعلية في خاصرة العجوز الطيب فريديريك وليم الثالث ، كما تستطيع أن ترى من التقرير التاريخي الذي وضعه الأستاذ بيتز عن غنيزينو الذي حول حرب القناصة[2] الى نظام قائم بذاته بواسطة اسلوب[3] Landsturm الذي ابتدعه . ان حقيقة أن الشعب حارب بمبادرته الخاصة وبصورة مستقلة عن الأوامر الصادرة عن القيادات العليا قد عكرت صفو فريدريك وليم الثالث .

---

(١) مقاهي الغناء .

(٢) Francs Tireurs ، بالفرنسية في النص الأصلي .

(٣) الانتفاضة الشعبية .

ومهما يكن من أمر ، فان الكلمة الأخيرة لم تُقل بعد . ان الحرب في فرنسا يمكن بعد أن تتخذ اتجاهاً «مزعجاً» جداً. ان المقاومة التي أبداها جيش لوار كانت «تتجاوز» كل حساب ، وليس التوزع الحالي للقوات البروسية يميناً ويساراً الا عملاً يُقصد منه بث الخوف ، لكن نتيجته الوحيدة في واقع الأمر هي ايقاظ قوة الدفاع في كل نقطة واضعاف قوة الهجوم ، وليس التهديد بقصف باريس سوى حيلة . فليس في مقدور هذا القصف ، وفقاً لجميع قواعد حساب الاحتمالات ، أن يكون له تأثير جدي في مدينة باريس بالذات . فاذا دمرت بعض التحصينات الخارجية وفتحت ثغرة فيها ، فما نفع ذلك حين يكون المحاصرَون متفوقين عدداً على المحاصِرين ؟ واذا كان المحاصرَون قد قاتلوا جيداً بصورة استثنائية في هجماتهم المباغتة حين كان العدو يدافع عن نفسه خلف التحصينات ، فكم سيقاتلون بصورة أفضل عندما تنقلب الأدوار ؟

ان تجويع باريس هو الوسيلة الفعالة الوحيدة . لكنه اذا تجرجر هذا الأمر طويلاً بصورة تكفي لاتاحة تكوين الجيوش وتطور الحرب الشعبية في المقاطعات ، فلن يُكسب شيء من تلك العملية إلا نقل مركز الثقل . وفيما عدا ذلك ، فحتى بعد استسلام باريس التي لا يمكن احتلالها والاحتفاظ بها هادئة بواسطة قبضة من الرجال فحسب ، فان قسماً كبيراً من الغزاة سوف يظلون عاطلين .

لكنه كيفما أمكن أن تنتهي الحرب ، فقد منحت البروليتاريا الفرنسية ممارسة السلاح ، وهذه أفضل ضمانة للمستقبل .

# ١٨٧١

## ١٣٠

## ماركس الى رئيس تحرير «ديلي نيوز»

### لندن ، في ١٦ كانون الثاني ١٨٧١

سيدي

من الواضح أن بسمارك اذ يتهم الحكومة الفرنسية بأنها «جعلت من المحال التعبير الحر عن الرأي في فرنسا عن طريق الصحافة والممثلين الوطنيين» لم يكن ينوي اطلاق Witz(١) برلينية . وإذا شئت أن تتعرف الى الرأي الفرنسي «الحقيقي» ، فأرجو أن تتوجه الى الهر ستيبر ، رئيس تحرير **مونتيور** الفرساية ، وجاسوس الشرطة البروسية الشهير .

ان السيدين بيبل وليبكنخت قد اعتقلا بناء على أمر واضح من بسمارك بتهمة الخيانة العظمى لمجرد أنهما تجرآ على القيام بواجباتهما من حيث هما ممثلان وطنيان ألمانيان ، يعني الاحتجاج في الرايخستاغ ضد إلحاق الألزاس واللورين ، والاقتراع ضد الاعتمادات الحربية ، والتعبير عن تعاطفهما مع الجمهورية الفرنسية ، وفضح محاولة تحويل ألمانيا الى ثكنة بروسية واحدة . وان أعضاء لجنة برونسفيك الاشتراكية الديموقراطية قد عوملوا معاملة الرقيق منذ بداية شهر ايلول الماضي لأنهم عبروا عن الآراء نفسها ، ولا يبرحون يخضعون لدعوى مزيفة بالخيانة العظمى . ولقد كانت القسمة نفسها من نصيب عدد كبير من العمال الذين نشروا بيان برونسفيك . وان السيد هيبنر ، نائب تحرير صحيفة **Volkstaat** الصادرة في لايبزغ ، يلاحق بالذريعة نفسها بتهمة الخيانة العظمى ، كما أن الصحف الألمانية المستقلة القليلة الموجودة

---

(١) نكتة .

خارج بروسيا قد حظر دخولها الى أراضي هوهنزولرن ، فضلاً عن أن اجتماعات العمال الألمان تأييداً لصلح مشرف لفرنسا يفرقها البوليس يومياً . ووفقاً للعقيدة البروسية الرسمية ، كما طرحها بسذاجة الجنرال فوغل فون فالكنشتاين ، فان كل ألماني «يحاول معارضة الأهداف بعيدة النظر للحرب البروسية في فرنسا» هو مذنب بالخيانة العظمى . واذا ما اضطر السيد غامبيتا وشركاه ، مثل آل هوهنزولرن ، الى كبت الرأي العام عنوة ، فليس عليهم الا أن يطبقوا الطريقة البروسية ، وبحجة الحرب يعلنوا حالة الحصار في مختلف أنحاء فرنسا . ان الجنود الفرنسيين الوحيدين الموجودين على الأرض الألمانية يتعفنون في السجون البروسية . ومع ذلك لا تبرح الحكومة البروسية تشعر بأنها ملزمة بالابقاء بصورة صارمة على حالة الحصار ، يعني الشكل الأقسى والأبعث على النفور للطغيان العسكري ، تعليق سائر القوانين على الاطلاق . وان الأرض الفرنسية يجتاحها حوالي مليون من الغزاة الألمان . ومع ذلك تستطيع الحكومة الفرنسية بكل أمان أن تستغني عن تلك الطريقة البروسية في «اتاحة التعبير الحر عن الرأي» . انظر الى هذه اللوحة والى تلك . ومهما يكن من أمر ، فقد تبين أن ألمانيا أصغر جداً من أن تكون حقلاً لعشق بسمارك الجارف للرأي المستقل . فحين عبر أهالي لوكسمبورغ عن عواطفهم حيال فرنسا اتخذ بسمارك من هذا التعبير عن الشعور احدى ذرائعه من أجل التخلي عن معاهدة لندن عن الحياد . وحين ارتكبت الصحافة البلجيكية خطيئة مماثلة دعا السفير البروسي في بروكسل ، الهر فون بالان ، الوزارة البلجيكية لأن تقمع لا سائر المقالات الصحفية المعادية لبروسيا فحسب ، بل حتى نشر مجرد الأنباء التي يعتقد أنها تشجع الفرنسيين في حرب الاستقلال التي يخوضونها . وان هذا المطلب متواضع جداً حقاً ، تعليق الدستور البلجيكي (١) «pour le roi de Prusse» ! ولم تكد بعض صحف ستوكهولم تنساق مع بعض الدعابات الخفيفة عن «التقوى» الشهيرة عند ولهلم أنيكساندر حتى انقض بسمارك على مجلس الوزراء السويدي برسائل خطية متجهمة . بل لقد توصل إلى اكتشاف صحافة حرة جداً في دائرة سان بطرسبورغ . فبناء على رجائه المتواضع استدعي محررو صحف بطرسبورغ الرئيسية أمام رئيس الرقابة الذي أمرهم بالاحتراس من أي نقد قارس للولاء الصادق من جانب التابع البروسي للقيصر . ولقد كان أحد رؤساء التحرير هؤلاء ، السيد

ساغولجاجو ، على قدر كاف من الطيش بحيث عبر عن سر هذا avertissement[1] في صفحات جريدته Golos ، فانقضت عليه الشرطة الروسية في الحال وأرسل على وجه السرعة الى احدى المقاطعات النائية .

ويكون من الخطأ الاعتقاد بأن تلك التصرفات من جانب رجال الدرك مردها الوحيد الى اشتداد حمى الحرب ، بل هي على النقيض من ذلك التطبيق المنهجي الحقيقي لمبادىء القانون البروسي . وبالفعل فأن في قانون العقوبات البروسي شرطاً غريباً ينص على أن أي أجنبي يمكن ، بموجب أفعاله أو كتاباته في بلده أو في أي بلد أجنبي ، أن يلاحق قضائيا بتهمة «اهانة الملك البروسي» أو «الخيانة العظمى بحق بروسيا» ! ان فرنسا ـ ومن حسن الحظ أن قضيتها أبعد ما تكون عن اليأس ـ تقاتل في الوقت الحاضر ليس في سبيل استقلالها الوطني فحسب ، بل في سبيل حرية ألمانيا واوروبا أيضاً .

وتفضل يا سيدي بقبول عميق احترامي

**كارل ماركس**

## ١٣١

## ماركس الى س . ميير

**[لندن ،] في ٢١ كانون الثاني ١٨٧١**

... ان المجلة شبه الرسمية **محفوظات الطب الشرعي** تصدر في بطرسبورغ (باللغة الروسية) ، وقد نشر أحد الأطباء الذين يكتبون لهذه المجلة مقالاً بعنوان «في الشروط الصحية للبروليتاريا الأوروبية الغربية» في العدد الصادر عن الفصل الأخير ، مستشهداً بصورة رئيسية بكتابي[2] ، لكن مع ذكر المصادر . ولقد أدى ذلك الى الكارثة التالية : نال المراقب توبيخاً شديداً من وزير الداخلية ، وفصل رئيس التحرير عن وظيفته ، وأرسل ذلك العدد ـ جميع النسخ التي تمكنوا من وضع يدهم عليها ـ الى النيران !

---

(١) الانذار .

(٢) **رأس المال** ، المجلد الأول .

لا أدري اذا كنت أخبرتك أني باشرت في أوائل عام ١٨٧٠ بدراسة اللغة الروسية بنفسي ، وأنا أقرؤها حالياًبسهولة جيدة.ولقد حدث ذلك لأني تلقيت من بطرسبورغ كتاب فلوروفسكي الهام جداً عن **ظرف الطبقة العاملة** (وعلى الأخص الفلاحين) في روسيا ، وكذلك لأنـي أردت أن أتآلف مع الأعمال الاقتصادية (وهـي ممتـازة) لتشيرنشيفسكي (الذي حكم عليه كمكافأة بالأعمال الشاقة في مناجم سيبيريا حيث يقضي مدة ادانته منذ سبع سنوات) . وكانت النتيجة أهلاً للجهد الذي لا بدّ لرجل في مثل سني أن يبذله كي يتقن لغة تختلف كل هذا الاختلاف الكبير عن اللغة الألمانية وفئة اللغات الرومانية الكلاسيكية . ان الحركة الفكرية الجارية حالياً في روسيا تشهد على حقيقة أن الاختمار يجري عميقاً تحت السطح . ان الأذهان ترتبط على الدوام بخيوط خفية بجسد الشعب ...

## ١٣٢

## ماركس الى ل . كوغلمان

**لندن ، في ٤ شباط ١٨٧١**

عزيزي كوغلمان

يؤسفني أن أعلم من رسالتك الأخيرة أن حالتك الصحية ساءت من جديد . لقد كانت صحتي محتملة خلال أشهر الخريف والشتاء ، بالرغم من أن السعال الذي أصابني أثناء اقامتي الأخيرة في هانوفر لا يزال يزعجني .

أرسل اليك **ديلي نيوز** التي تتضمن مقالتي (١) . من الواضح أنها صودرت ، مثلما صودرت الأشياء الأخرى التي أرسلتها اليك . وانك لتجد طيه اليوم القصاصة ، وكذلك البيان الأول الذي أصدره المجلس العام . ولا تشتمل الرسالة في واقع الأمر سوى على الحقائق ، لكنها كانت فعالة لهذا السبب بالضبط .

انك تعرف رأيي في ابطال الطبقة المتوسطة . ومهما يكن من شيء ، فان السيد جول فافر (الشهير منذ أيام الحكومة المؤقتة وكافينياك) وشركاه قد تجاوزوا توقعاتي.

---

(١) انظر الرسالة رقم ١٣٠ .

فقبل كل شيء أتاحوا لذلك (١) «sabre orthodox» (٢) «crétin militaire» ، كما يدعو بلانكي تروشو بحق ، أن ينفذ «خطته» . وكانت هذه الخطة تستقيم في إطالة **المقاومة المنفعلة** لباريس حتى الحد الأقصى ، يعني حتى نقطة الجوع ، مع قصر الهجوم على مناورات كاذبة و (٣) des sorties platoniques . وليس ما أقوله مجرد «فرضية». اني أعرف مضمون رسالة كتبها جول فافر نفسه الى غامبيتا وهو يشكو فيها من أنه سعى عبثاً هو وأعضاء آخرون من ذلك القسم من الحكومة المرتعدة في باريس الى نخس تروشو من أجل تدابير هجومية جدية ، ولقد أجاب تروشو باستمرار ان ذلك سوف يمنح التفوق الى **الديماغوجية الباريسية** . وأجاب غامبيتا : «**لقد تفوهت بادانتك الخاصة**» . لقد كان تروشو يرى أن قمع الحمر في باريس بمساعدة قوته من الحرس البريتانيين ـ التي قدمت اليه نفس الخدمة التي قدمها الكورسيكيون الى لويس بونابرت ـ أهم جداً من هزيمة البروسيين . وهذا هو السر الفعلي في الهزائم ليس في باريس وحدها بل في جميع أرجاء فرنسا حيث تصرفت البورجوازية ، بالاتفاق مع غالبية السلطات المحلية ، وفقاً للمبدأ نفسه .

وبعدما نفذت خطة تروشو حتى أوجها ـ حتى النقطة حيث لم يكن لباريس بدّ من الاستسلام أو الموت جوعاً ـ لم يكن بدّ لجول فافر وشركاه بكل بساطة من الاقتداء بقائد حصن تول . انه لم يستسلم ، بل أوضح فقط للبروسيين أنه مضطر من جراء نقص الطعام الى التخلي عن الدفاع وفتح بوابات الحصن . وانهم يستطيعون الآن أن يفعلوا ما يحلو لهم .

لكن جول فافر لا يكتفي بتوقيع استسلام صوري . فإما نادى بنفسه وشركائه في الحكم وبباريس **أسرى حرب** ملك بروسيا وجد الجرأة على **التصرف باسم فرنسا بأسرها** . ما الذي كان يعرفه عن الوضع في فرنسا خارج باريس ؟ لا شيء على الاطلاق ، باستثناء ما تفضل بسمارك باطلاعه عليه .

---

(١) «السيف القويم»

(٢) «الأحمق العسكري» .

(٣) طلعات أفلاطونية .

وأكثـر من ذلك . ان هؤلاء [1] Messisurs les prisonniers du roi de Prusse قد مضوا أبعد من ذلك وأعلنوا ان ذلك القسم من الحكومة الفرنسية الذي لا يبرح حراً في بوردو فقد سلطته ولا يستطيع أن يتصرف الا بالاتفاق معهم ـ **أسرى حرب الملك البروسي** . وبما أنهم لا **يستطيعون** هم أنفسهم ، بوصفهم أسرى حرب ، ان يتصرفوا إلا بأمر المنتصر ، فتلك طريقة للمناداة اذن بملك بروسيا **السلطة** العليا في فرنسا de facto.[2]

ان لويس بونابرت نفسه ، بعدما استسلم وأخذ أسيراً الى سيدان ، لم يكن على هذا القدر من الخزي . لقد رد على مقترحات بسمارك بأنه لا يستطيع الدخول في مفاوضات لأنه كف ، باعتباره أسير حرب ، عن ممارسة أية سلطة في فرنسا .

لقد كان في مقدور ج . فافر على الأكثر أن يقبل بهدنة **شرطية** من أجل فرنسا بأسرها ، يعني بفقرة شرطية تنص على أن الاتفاق يجب أن يكرس من قبل حكومة بوردو التي تملك وحدها الحق والأهلية للاتفاق مع البروسيين على مواد مثـل هذه الهدنة . وعلى أي حال ، فان تلك الحكومة ما كانت لتسمح لهؤلاء البروسيين باستبعاد المسرح **الشرقي** للحرب من الهدنة . انها ما كانت لتسمـح لهـم بأن يختمـوا خط احتلالهم بمثل هذه الطريقة المناسبة جداً لهم .

ان بسمارك الذي جعلته وقحاً المزاعم الاغتصابية لأسراه الحربيين ، هؤلاء الذين يستمرون بصفتهم هذه في تمثيل دور الحكومة الفرنسية ، يتدخل الآن في الشؤون الداخلية الفرنسية دون أي عائق . انه **يحتج** ، هو صاحب النفس النبيلـة ، ضد مرسوم غامبيتا بخصوص الانتخابات العامة للجمعية [3] ، لأنه يرى أن المرسوم ينتهك حرية الانتخابات . حقاً ! ان من واجب غامبيتا أن يرد بالاحتجـاج ضد حالـة الحصار والشروط الأخـرى السائـدة في ألمانيا ، التـي تلغـي حرية الانتخابـات للرايخستاغ .

---

(١) السادة أسرى ملك بروسيا .

(٢) في الواقع .

(٣) Assemblée ، بالفرنسية في النص الأصلي .

أني آمل ان يتشبث بسمارك بشروطه الخاصة بالصلح . أربعمائة مليون ليرة استرلينية كتعويضات حربية ـ نصف الدين الوطني الانكليزي ! ان البورجوازية الفرنسية نفسها سوف تفهم ذلك . لعلها تدرك أخيراً أنها اذا واصلت الحرب فانها لا **تستطيع** في أسوأ الأحوال **إلا ان تربح** .

إن الرعاع ، من الطبقتين العليا والدنيا ، يحكمون وفقاً للمظاهر ، للواجهة ، للنتائج المباشرة . لقد مجدوا لويس بونابرت ، خلال السنوات العشرين الأخيرة ، في سائر أرجاء العالم ، ولقد فضحته على الدوام ، حتى حين كان في أوجه ، على اعتباره **وغداً تافهاً** . وذلك هو رأيي أيضاً في الجونكر بسمارك ...

## ١٣٣

## انجلز الى المجلس الفدرالي الاسباني لرابطة الشغيلة الأممية

**لندن ، في ١٣ شباط ١٨٧١**

أيها المواطنون

تلقى المجلس العام بسرور بالغ رسالتكم المؤرخة في ١٤ كانون الأول ؛ كما بلغتنا أيضاً رسالتكم السابقة المؤرخة في ٣٠ تموز . ولقد نُقلت الى المواطن سيراليه ، المسؤول عن اسبانيا ، مع تعليمات بأن يرسل ردنا اليكم . بيد أن المواطن سيراليه غادر بعد ذلك بوقت قصير الى فرنسا كي يقاتل في سبيل الجمهورية ، ومن بعد سجن في باريس . ولذا فاذا كنتم لم تتلقوا بعد جواباً عن رسالتكم المؤرخة في ٣٠ تموز ، التي لا تبرح بين يديه ، فمبعث ذلك الظروف المذكورة أعلاه . وان المجلس العام ، في جلسته المنعقدة في السابع من الشهر الجاري ، قد كلف الموقع أدناه ف . إ . ad interim[1] بالمراسلة مع أسبانيا ونقل رسالتكم الأخيرة اليه .

لقد تلقينا بانتظام صحف الطبقة العاملة الاسبانية التالية : **La Federacion** الصادرة في برشلونه ، و **La Solidaridad** الصادرة في مدريد (حتى كانون الأول

---

(١) في غضون ذلك .

١٨٧٠) ، و **El obrero** الصادرة في بالما (حتى توقفها) ، ومؤخراً **La Revolucion Social** الصادرة في بالما (العدد الأول فقط) . ولقد جعلتنا هذه الصحف على اطلاع على ما يجري في الحركة العمالية في اسبانيا ، وتبين لنا برضى عظيم أن أفكار الثورة الاجتماعية تصبح أكثر فأكثر الملكية المشتركة للطبقة العاملة في بلادكم .

مما لا ريب فيه أن الخطابات الحماسية للأحزاب السياسية القديمة اجتذبت ، كما تقولون ، انتباه الناس حتى درجة كبيرة ، وبذلك كانت عائقاً كبيراً في طريق دعايتنا. وهذا ما حدث في كل مكان أثناء السنوات الأولى من الحركة البروليتارية . فقد كان الاشتراكيون في فرنسا وانكلترا وألمانيا، ولايبرحون، مضطرين الى مكافحة نفوذ ونشاط الأحزاب السياسية القديمة ، سواء أكانت أرستقراطية أم بورجوازية . ملكية أو حتى جمهورية . ولقد بينت التجربة في كل مكان أن الطريقة الفضلى من أجل تحرير العمال من سيطرة الأحزاب القديمة هي تشكيل حزب بروليتاري في كل بلد تكون له سياسته الخاصة ، سياسة متميزة كلياً من سياسة الأحزاب الأخرى ، لأنها يجب أن تعبر عن الشروط الضرورية من أجل تحرر الطبقة العاملة . وقد تختلف هذه السياسة في التفاصيل وفقاً للظروف النوعية الخاصة بكل بلد ؛ لكنه لما كانت العلاقات الأساسية بين العمل والرأسمال هي نفسها في كل مكان وكانت السيطرة السياسية للطبقات المالكة على الطبقة المستثمرة هي حقيقة واقعة في كل مكان ، فان مبادىء السياسة البروليتارية وأهدافها سوف تكون متماثلة ، على الأقل في جميع البلدان الغربية . ان الطبقات المالكة ـ الأرستقراطية العقارية والبورجوازية ـ تحتفظ بالشعب العامل في حالة العبودية ليس بقوة ثروتها فحسب، بمجرد استثمار الرأسمال للعمل ، بل بقوة الدولة أيضاً ـ بالجيش ، والبيروقراطية ، والمحاكم . ان التخلي عن محاربة خصومنا في الميدان السياسي سيكون معناه التخلي عن احدى أقوى وسائل النضال ، وعلى الأخص في مجال التنظيم والدعاية . ان الاقتراع العام يزودنا بوسيلة ممتازة للنضال . ففي ألمانيا نجح العمال ، وقد تنظموا بصورة وطيدة في حزب سياسي ، في ارسال ستة مندوبين الى ما يسمى التمثيل الوطني ؛ وان المعارضة التي تمكن صديقانا ببيل وليبكنخت من القيام بها هناك ضد حرب للغزو قد عملت في مصلحة دعايتنا الأممية بصورة أقوى مما تستطيع أن تفعل ذلك الاجتماعات وسنوات من الدعاية في

الصحف . ولقد انتخب ممثلان في فرنسا في الوقت الحاضر ولسوف يناديان بمبادئنا عالياً . ولسوف يحدث الشيء نفسه في انكلترا في الانتخابات القادمة .

بلغنا بسرور أن في نيتكم الطيبة أن تسلمونا الاشتراكات التي جمعتها الفروع في بلادكم ، وسوف نتلقاها بكل امتنان . من فضلكم حولوا المبلغ بالسحب على أي مصرف لندني لأمر جون ويستون ، خازننا ، مضمن في رسالة مسجلة موجهة الى الموقع أدناه ، إما الى عنوان ٢٥٦ ، هاي هولبورن ، لندن ، وهو مركز مجلسنا ، وأما الى العنوان ١٢٢ ر . ب . /٠/ وهو عنوان منزله .

إننا ننتظر باهتمام كبير الأحصائيات المتعلقة باتحادكم التي وعدتم بارسالها إلينا .

وأما فيما يتعلق بمؤتمر الأممية ، فمن العبث التفكير فيه والحرب الراهنة مستمرة.لكنه اذا قام السلام عاجلاً ، كما يبدو أن ذلك واقع ، فسوف يأخذ المجلس بعين الاعتبار هذه المسألة الهامة في الحال ويدرس دعوتكم الودية لعقده في برشلونة .

ليس لدينا فرع في البرتغال بعد ؛ ولعله يكون من الأسهل عليكم منا أن تباشروا العلاقات مع عمال هذا البلد . واذا كان الأمر كذلك ، فكونوا لطفاء واكتبوا لنا مرة أخرى في هذا الموضوع . وإننا لنعتقد كذلك أنه يكون من الأفضل ، في البداية على الأقل ، أن تباشروا العلاقات مع عمال الطباعة في بيونس أيرس ، بشرط أن تخبرونا في وقت لاحق عن النتائج الحاصلة . وفي هذه الأثناء فانكم تقدمون إلينا خدمة لطيفة ، وهي مفيدة للقضية ، اذا أرسلتم إلينا بالبريد عددا من Anales de la Sociedad de Tipografos de Buenos Aires كي نتعرف إليها .

وفيما عدا ذلك ، فان الحركة الأممية تواصل مسيرتها بالرغم من جميع العقبات . ففي انكلترا انتسب الى رابطتنا بصورة مباشرة مؤخراً مجلسا التريديونيون في برمنغهام ومانشستر ، وبواسطتهما عمال أهم مدينتين صناعيتين في البلاد . واننا لنعاني في المانيا في الوقت الحاضر نفس الاضطهاد الحكومي الذي أنزله بنا لويس نابليون قبل عام مضى في فرنسا . ان اصدقاءنا الألمان ، وأكثر من خمسين منهم في السجن ، يعانون بكل معنى الكلمة في سبيل القضية الأممية . فقد اعتقلوا وأحيلوا الى المحاكمة لأنهم يعارضون سياسة الغزو بكل عنفوان ويحثون على ضرورة تآخي الشعب الألماني مع الشعب الفرنسي . وفي النمسا سجن عدد كبير من أصدقائنا، لكن الحركة تتقدم مع

ذلك . وفي فرنسا كانت فروعنا في كل مكان قلب حركة المقاومة وقد شكلت قوتها ضد الغزو . ولقد استولت على السلطة محلياً في المدن الكبيرة في الجنوب ؛ واذا كانت ليون ومارسيليا وتولوز وبوردو قد برهنت على قوة لم يكن لها مثيل في الأماكن الأخرى ، فانما كان ذلك بفضل جهود أعضاء الأممية . وان لدينا منظمة قوية في بلجيكا ؛ وقد عقدت فروعنا البلجيكية مؤخرا مؤتمرها القطري السادس . وان الخلافات التي قامت قبل بعض الوقت بين فروعنا في سويسرا هي في طريق التصفية فيما يبدو . ولقد تلقينا من أميركا أخبار انتساب الفروع الجديدة الفرنسي والألماني والتشيكي (البوهيمي)، ونحن نواصل فضلاً عن ذلك علاقاتنا الأخوية مع عصبة العمل ، هذه المنظمة الضخمة للعمال الأميركيين .

مع رجاء ان نتلقى أخباراً من طرفكم عاجلاً نبعث اليكم بتحياتنا الودية عن المجلس العام لرابطة العمال الأممية

**ف . إ .**

## ١٣٤

# ماركس الى و . ليبكنخت

**[لندن ،] في ٦ نيسان ١٨٧١**

عزيزي ليبكنخت

ان أخبار إطلاق سراحكم انت وبيبل وجماعة برونسفيك أيضاً قد استقبلت هنا في المجلس العام بغبطة عظيمة .

يبدو أن الباريسيين ينهارون ، وتلك خطيئتهم الخاصة ، لكن خطيئة مردها في واقع الأمر الى فرط الشرف عندهم . ان اللجنة المركزية ، والكومونة في وقت لاحق ، قد منحتا ذلك الجهيض الشرير تيير الوقت الكافي كي يمركز القوى المناوئة ، وقبل كل شيء من جراء عزوفهم ، بدافع الحماقة، عن مباشرة **حرب أهلية** ـ فكأن تيير لم يباشرها مسبقاً بمحاولته نزع السلاح من باريس بصورة الزامية ، وكأن الجمعية الوطنية التي دعيت لتقرير مسألة الحرب أو السلام مع البروسيين لم تعلن الحرب في الحال على **الجمهورية** ! وثانياً ، حتى لا تلصق بهما تهمة اغتصاب السلطة ضيعتا

وقتا ثمينا في انتخاب الكومونة التي تطلب تنظيمها ، الخ ، مزيدا من الوقت ، وذلك بدلاً من السير على فرساي بعد هزيمة الرجعية في باريس مباشرة (**ساحة فاندوم**)(١) .

يجب ألا تصدق كلمة واحدة من كل اللغو الذي لا بدّ أن تصادفه في الصحف عن الأحداث الداخلية في باريس ، فذلك كله أكاذيب وأضاليل . أبدا لم يتظاهر خبث الصحف المأجورة البورجوازية الزاحفة على بطنها بمثل هذه الروعة .

**وانه لأمر مميز تماما أن امبراطور الوحدة الألمانية وامبراطورية الوحدة وبرلمان الوحدة في برلين لا وجود لهم على الاطلاق** فيما يبدو بالنسبة الى العالم الخارجي . ان كل نفحة ريح تهب في باريس تثير مزيداً من الاهتمام ...

## ١٣٥

## ماركس الى ل . كوغلمان

**لندن ، في ١٢ نيسان ١٨٧١**

عزيزي كوغلمان

كانت «أوامر طبيبك» فعالة بقدر ما استشرت طبيبي ماتيسون ووضعت نفسي في الوقت الحاضر تحت اشرافه . وعلى أي حال فهو يقول ان رئتي في حالة ممتازة وأن السعال مسبب عن التهاب القصبات ، الخ . وان الأمر نفسه قد يصيب الكبد .

تلقينا البارحة الأخبار التي لا تبعث على الاطمئنان في حال من الأحوال ، القائلة ان لافارغ (بدون لورا) موجود في باريس في الوقت الحاضر .

اذا نظرت الى الفصل الأخير من كتابي ١٨ **برومير** سوف ترى أني أعلن ان المحاولة التالية للثورة الفرنسية لن تكون بعد الآن ، كما كانت الحال من قبل ، نقل الآلة البيروقراطية العسكرية من يد الى أخرى ـ بل **سحقها** ، الأمر الذي يشكل الشرط المسبق لأية ثورة شعبية حقيقية في القارة . وهذا هو ما يحاوله رفاقنا الحزبيون الابطال في باريس . أية مرونة ، وأية مبادرة تاريخية ، وأية قدرة على التضحية عند

(١) في ٢٢ آذار ١٨٧١ جرت محاولة انقلاب ضد ثوري في ساحة فاندوم في باريس هدفه قلب حكومة الكومونة ، وقد سحق الحرس الوطني هذه المحاولة .

هؤلاء الباريسيين ! فبعد ستة اشهر من الجوع والدمار المسببين عن الخيانة الداخلية بالأحرى من العدو الخارجي نهضوا ، تحت الحراب البروسية ، وكأنه لم تكن قط حرب بين فرنسا وألمانيا ، وكأن الأعداء لا يقفون بعد عند بوابات باريس ! ان التاريخ لا يعرف أمثلة مماثلة عن عظمة مماثلة ! واذا هم هزموا فان اللوم يقع على «طبيعتهم الطيبة» وحدها . كان من واجبهم أن يسيروا في الحال على فرساي بعدما تراجع فينوا أولاً ومن ثم القسم الرجعي من الحرس الوطني الباريسي . ولقد ضيعوا فرصتهم من جراء الوساوس الوجدانية وحدها . فما كانوا يريدون أن **يبدأوا حرباً أهلية** ، وكأن ذلك الجهيض الشرير تيير لم يباشر سلفاً الحرب الأهلية بمحاولته نزع سلاح باريس ! والخطيئة الثانية : ان اللجنة المركزية سلمت سلطتها بصورة باكرة جداً كي تفسح المكان للكومونة . وكان مرد ذلك مرة اخرى الى وسواس «شريف» جداً ! ومهما يكن من شيء ، فان الانتفاضة الراهنة في باريس ـ حتى اذا سحقت من قبل ذئاب المجتمع القديم وخنازيره ولئامه الأدنياء ـ هي أمجد عمل قام حزبنا به منذ انتفاضة حزيران في باريس . قارن هؤلاء الباريسيين الذين يهاجمون السماء بعبيد السماء في الامبراطورية الرومانية المقدسة الألمانية ـ البروسية ، وبحفلاتها التنكرية المختلفة التي تفوح برائحة الثكنات ، والكنيسة ، وجماعة الجانكر من آكلي الملفوف ، وقبل كل شيء البورجوازيين الصغار المرائين .

وبالمناسبة . ان في **النشرة الرسمية** عن قائمة اولئك الذين يتلقون اعانات مباشرة من خزينة ل . بونابرت فاتورة بأن **فوغت** تلقى ٤٠٠٠٠ فرنكاً في آب ١٨٧٩ ! ولقد أعلمت ليبكنخت بهذه الحقيقة من أجل الانتفاع بها في وقت لاحق .

يمكنك أن ترسل اليّ كتاب هاكساوزن نظراً لأني اتلقى **مؤخراً** كراسات مختلفة لم تصب بأذى ، وغير ذلك ، ليس من ألمانيا فحسب ، بل من بطرسبورغ أيضاً .

شكراً على الصحف المختلفة التي أرسلتها الي (أرجو أن أحصل على المزيد منها ، لأني أريد أن أكتب شيئاً عن ألمانيا ، والرايخستاغ ، الخ .)

أفضل تحياتي الى الكونتسة وكاوشن .

المخلص

ك . م .

## ١٣٦

## ماركس الى ل . كوغلمان

**[لندن ،] في ١٧ نيسان ١٨٧١**

عزيزي كوغلمان

تلقيت رسالتك في الوقت المناسب . ان يديّ مليئتان في هذا الوقت بالضبط ، ولذا سأكتفي بكلمات قليلة . أن يكون في مقدورك مقارنة تظاهرات بورجوازية صغيرة على طريقة ١٣ حزيران ١٨٤٩(١) ، الخ ، بالنضال الراهن في باريس ، هذا أمر يعصى كلياً على ادراكي .

ان صنع التاريخ العالمي ليكون في الحقيقة بالغ السهولة لو أن النضال لا يخُاض غماره الا بشرط توفر الفرص الملائمة بصورة لا تخطىء . ومن جهة ثانية فانه يكون ذا طبيعة صوفية جداً لو أن «المصادفات» لم تلعب أي دور فيه . فمن الطبيعي أن هذه المصادفات تشكل جزءاً من مسيرة التطور العامة وهي تتعدل بمصادفات أخرى . بيد أن التسارع والتباطؤ تابعان حتى درجة كبيرة لمثل هذه «المصادفات»، بما فيها «مصادفة» خلق الناس الذين يتزعمون الحركة أولاً .

وان «المصادفة» المنافية بصورة حاسمة هذه المرة لا يجوز البحث عنها في حال من الأحوال في شروط المجتمع الفرنسي العامة ، بل في وجود البروسيين في فرنسا ومواقعهم أمام باريس بالضبط . ولقد كان الباريسيون واعين جيداً لهذه الحقيقة ، لكن canaille(٢) فرساي البورجوازيين كانوا واعين لها جيداً أيضاً . ولهذا السبب بالضبط طرحوا على الباريسيين الخيار بين أمرين ، فاما القتال واما السقوط دون نضال . وان انهيار معنويات الطبقة العاملة في هذه الحالة الأخيرة سوف يشكل مصيبة أعظم حتى درجة كبيرة من سقوط عدد من «القادة». فمع الصراع في باريس دخل نضال الطبقة العاملة ضد الطبقة الرأسمالية ودولتها مرحلة جديدة . ومهما تكن الحصيلة المباشرة

---

(١) في ١٣ حزيران ١٨٤٩ نظمت في باريس مظاهرة من قبل حزب الجبل احتجاجاً على إسقاط جمهورية روما بالقوة من قبل القوات الفرنسية . وقد فرقت المظاهرة دونما أدنى عناء على وجه التقريب ولم تفعل الا تأكيد افلاس الديموقراطيين الثوريين البورجوازيين الصغار في فرنسا .

(٢) أوغاد .

التي سوف تترتب على ذلك ، فان منطلقاً جديداً يتحلى بأهمية عالمية النطاق قد تم اكتسابه .

وداعاً !

ك .م .

## ١٣٧

## ماركس الى ل . فرانكل و ل .إ . فارلين

**[لندن ،] في ١٣ أيار ١٨٧١**

ايها المواطنان العزيزان فرانكل وفارلين

لقد عقدت اجتماعات مع الحامل .

ألن يكون من المفيد أن توضع في مكان أمين الوثائق التي تفضح أوغاد فرساي ؟ ان حرصاً من هذا النوع لا يمكن أن يتسبب في أي ضرر .

كتب لي بعضهم من بوردو أن أربعة أعضاء من الاممية انتخبوا في الانتخابات البلدية الأخيرة . لقد جعلت المحافظات تهتاج . ومن سوء الحظ أن العمل هناك محلي و «سلمي» ليس غير .

لقد كتبت عدة مئات من الرسائل تأييداً لحالتكم الى كل زاوية في العالم نملك فروعاً فيها . وعلى أي حال ، فقد كانت الطبقة العاملة الى جانب الكومونة منذ البداية .

بل ان الصحف البورجوازية في انكلترا تخلت عن قسوتها ، وقد نجحتُ في تمرير بعض الفقرات الملائمة فيها من وقت لآخر .

يبدو لي أن الكومونة تضيع وقتاً كبيراً جداً في التفاهات والخصومات الشخصية ، ويستطيع المرء أن يتبين أن ثمة تأثيرات أخرى الى جانب تأثير العمال . ولن يكون لجميع هذه الأمور أهمية اذا استطعتم ان تعوضوا عن الوقت الضائع .

انه لأمر ضروري بصورة جازمة أن تصنعوا على جناح السرعة جميع الأمور التي تريدون صنعها خارج باريس ، في انكلترا أو في غيرها . ان البروسيين لن يسلموا المواقع الحصينة لحكومة فرساي ؛ لكنهم سيسمحون لها بعد توقيع الصلح الأخير (٢٦

أيار) باجتياح باريس بدركييها[1] . وبما أن تييرس وشركاه نصوا على عمولة كبيرة[2] لأنفسهم في المعاهدة التي عقدها بوييه ـ كارتييه ، فقد رفضوا قبول المساعدة من رجال المصارف الألمان التي عرضها بسمارك عليهم . فلو قبلوا بها لفقدوا عمولتهم . ولما كان الشرط الأولي من أجل تحقيق **معاهدتهم** هو الاستيلاء على باريس ، فقد طلبوا من بسمارك تأجيل دفع القسط الأول حتى بعد احتلال باريس ، وهو شرط قبل بسمارك به.ولماكانت بروسيانفسها في حاجة بالغة الالحاح الى هذا المال فلسوف تمنح حكومة فرساي كل التسهيلات الممكنة من أجل الاسراع في احتلال باريس . ولذا كونوا حذرين !

## ١٣٨

## ماركس الى إ .س . بيسلي[3]

**[لندن ،] في ١٢ حزيران ١٨٧١**

سيدي العزيز

ان لافارغ وأسرته وبناتي هم في البيرينه ، لكن من الجانب الفرنسي من الحدود الاسبانية . وبما ان لافارغ مولود في كوبا ، فقد تمكن من الحصول على جواز سفر اسباني . وعلى أي حال فاني أتمنى أن يستقر بصورة نهائية في الجانب الأسباني نظراً لأنه لعب دوراً قيادياً في بوردو .

بالرغم من اعجابي بمقالاتك في **بيهايف** ، فاني آسف تقريباً لرؤيتي اسمك في هذه الصحيفة . إسمح لي بالمناسبة بأن أشير الى أني أنطوي ، بوصفي رجلاً حزبياً ، على موقف عدائي كلياً حيال مذهب كونت ، بينما استهين به تماماً بوصفي رجل علم ، لكنني أعتبرك الرجل الوحيد من أتباع كونت في انكلترا وفي فرنسا على حد سواء الذي تعالج نقاط الانعطاف التاريخية (الأزمات) ليس على اعتبارك رجلاً متشيعاً ،

---

(١) gendarmes ،

(٢) الاشارة الى القرض الداخلي البالغ مليارين الذي اقتطع تييرس و ج . فافر وأعضاء آخرون في الحكومة عمولة على المفاوضات بشأنه بلغت ملايين عديدة من الفرنكات .

(٣) كتبت هذه الرسالة بالانكليزية ، لكن نصها الأصلي ضائع .

بل من حيث أنت مؤرخ بأفضل معاني الكلمة . ان **بيهايف** تسمي نفسها صحيفة عمالية ، لكنها في واقع الأمر صحيفة المرتدين ، مباعة الى سام وموريلي وشركاهما . ولقد اضطر مجلس الأممية العام أن يقطع كل علاقة له بهذه الصحيفة خلال الحرب الأخيرة ، الفرنسية البروسية ، وأن يعلن على الملأ أنها صحيفة عمالية كاذبة . وعلى أي حال فإن الصحف اللندنية الكبرى ، باستثناء صحيفة لندن المحلية **ايسترن بوست** ، رفضت أن تنشر هذا الاعلان . وفي مثل هذه الظروف فان تعاونك مع **بيهايف** يشكل تضحية أخرى تقدمها الى القضية الصالحة .

ان صديقة لي سوف تقصد باريس خلال ثلاثة أو أربعة أيام ، وقد أعطيتها جوازات سفر نظامية الى بعض أعضاء الكومونة الذين لا يبرحون مختبئين في باريس . واذا كان لك أو لبعض أصدقائك أية مهمات هناك فاكتب الي من فضلك .

ما يعزيني هو الهراء الذي تنشره يومياً الصحافة الصفراء عن كتاباتي وعلاقاتي بالكومونة ، وهو يرسل الي يومياً من باريس . وانه ليبين أن شرطة فرساي تبذل قصارى جهدها كي تضع يدها على وثائق صحيحة . ان علاقاتي مع الكومونة قد استمرت بواسطة تاجر ألماني يسافر بين باريس ولندن على مدار العام ، وقد سويت الأمور جميعاً شفهياً باستثناء قضيتين :

أولاً ، أرسلت من خلال الوسيط نفسه الى أعضاء الكومونة رسالة رداً على سؤال منهم بشأن كيف يستطيعون أن يبيعوا بعض السندات المالية في بورصة لندن .

ثانياً ، أرسلت اليهم في ١١ أيار ، قبل الكارثة بعشرة أيام ، بواسطة القناة نفسها ، جميع التفاصيل الخاصة بالاتفاق السري بين بسمارك وفافر في فرنكفورت(١) .

ولقد حصلت على هذه المعلومات من الساعد الأيمن لبسمارك(٢) ـ وهو رجل انتسب من قبل (من ١٨٤٨ ـ ٥٣) الى جمعية سرية كنت أتزعمها . ويعرف هذا الرجل أني لا زلت أملك جميع التقارير التي أرسلها الي من ألمانيا وعنها ، وهو وقف على كتماني

---

(١) حين وقع الصلح النهائي بين فرنسا وألمانيا في فرنكفورت على الماين في ١٠ أيار ١٨٧١ ، عقد ج . فافر وبسمارك اتفاقاً سرياً تعهد البروسيون بموجبه بتقديم مساعدة فعالة في تحطيم الكومونة .

(٢) جوهانيس ميكل : وقد كان عضواً في العصبة الشيوعية قبلاً .

للسر . ومن هنا كانت جهوده المستمرة كي يبرهن لي على نواياه الطيبة . وانه الرجل نفسه الذي حذرني ، كما أخبرتك ، بأن بسمارك قرر اعتقالي اذا زرت الدكتور كوغلمان في هانوفر مرة أخرى هذا العام .

لو أن الكومونة أصغت فحسب الى تحذيراتي ! لقد نصحت أعضاءها بتحصين الجانب الشمالي من مرتفعات مونمارتر ، الجانب البروسي ، ولا يزال لديهم الوقت من أجل ذلك ؛ ولقد أخبرتهم مسبقاً بأنهم سيؤخذون في الشرك لولا ذلك ؛ وقد فضحت لهم بيا وغروسيه وفوزينيه ؛ وطلبت أن يرسلوا في الحال الى لندن جميع الوثائق التي تفضح أعضاء الدفاع الوطني بحيث يمكن بهذه الطريقة كبح وحشية أعداء الكومونة حتى درجة ما ـ وبذلك يمكن إحباط خطة جماعة فرساي بصورة جزئية على الأقل .

ولو أن هذه الوثائق اكتشفها جماعة فرساي ما نشروا وثائق مزيفة .

ان **نداء الأممية**(١) لن ينشر قبل الأربعاء ، وعندئذ سوف ابعث اليك بنسخة عنه في الحال . ان مواد تتطلب أربع أو خمس أوراق قد ضغطت في ورقتين . ومن هنا كانت التصحيحات والمراجعات والأخطاء المطبعية العديدة . ومن هنا كان التأخير أيضاً .

المخلص لك

**كارل ماركس**

## ١٣٩

## ماركس الى أ . هوبرت

**[لندن ،] في ١٠ آب ١٨٧١**

... ان المدعي العام في فرساي قد وجه اتهاماً غريباً الى **الأممية** . ولعله يكون من المفيد نقل الحقائق التالية الى السيد بيغو في مصلحة الدفاع :

١ً ـ طيه (تحت رقم ١) نداءا**المجلس العام** عن الحرب الفرنسية البروسية . ولقد أعلن **المجلس العام** ، في ندائه الأول المؤرخ في **٢٣** تموز **١٨٧٠** ، ان الحرب ليست من صنع شعب فرنسا بل من صنع الأمبراطورية وأن بسمارك في حقيقة الأمر لا يقل اثما عن بونابرت . وفي الوقت نفسه توجه المجلس بالنداء الى العمال الألمان ليمنعوا

(١) المقصود الحرب الأهلية في فرنسا ، وقد نشر عام ١٨٧١ على هيئة نداء من رابطة الشغيلة الأممية .

الحكومة البروسية من تحويل حرب دفاعية الى حرب غازية .

٢ً ـ ان النداء الثاني ، بتاريخ ٩ ايلول ١٨٧٠ (خمسة أيام بعد اعلان الجمهورية)، هو فضح شديد التوكيد لخطط الحكومة البروسية الخاصة بالغزو . انه نداء الى العمال الألمان والانكليز من أجل **الانحياز الى جانب الجمهورية الفرنسية** .

وبالفعل فان العمال في ألمانيا المنتسبين الى **الرابطة الأممية** قد عارضوا سياسة بسمارك بعنفوان كبير بحيث أمر باعتقال الممثلين الألمان الرئيسيين **للأممية** بصورة غير قانونية وألقى بهم في القلاع البروسية بالتهمة الملفقة «بالتآمر» مع العدو .

وفي لندن ، بناء على نداء المجلس ، عقد العمال الانكليز اجتماعات واسعة كي يجبروا حكومتهم على الاعتراف بالجمهورية الفرنسية ومعارضة تمزيق أوصال فرنسا

٣ً ـ والآن ، أتكون الحكومة الفرنسية جاهلة بالتأييد الذي قدمته **الأممية** الى فرنسا خلال الحرب ؟ ان الأمر على النقيض من ذلك تماماً . ان قنصل السيد جول فافر في فيينا ، السيد لوفيفر ، قد بلغ به الأمر أن يرتكب حماقة نشر رسالة شكر ، باسم الحكومة الفرنسية ، الى السيدين ليبكنخت وبيبل ، ممثلي **الأممية** في الرايخستاغ الألماني . ولقد قال في هذه الرسالة فيما قاله (سوف أعيد ترجمة ذلك عن ترجمة ألمانية لرسالة لوفيفر) : «أنتما أيها السيدان **وحزبكما** (يعني **الأممية**) الوحيدون الذين حافظتم على التقليد الألماني القديم ، أقصد الروح الانساني النزعة ، الخ .»

حسناً ، ان هذه الرسالة موجودة في دعوى **الخيانة العظمى** التي أجبرت الحكومة السكسونية من قبل بسمارك على إقامتها ضد ليبكنخت وبيبل والتي لا تبرح قائمة في الوقت الراهن . ولقد خدمت بسمارك كذريعة من أجل اعتقال بيبل بعد تأجيل الرايخستاغ الألماني .

ففي الوقت الذي اتهمتني فيه الصحافة الحقيرة أمام تييرس على أني عميل لبسمارك ألقى بسمارك أصدقائي في السجن بتهمة الخيانة العظمى ضد ألمانيا وأصدر أوامره باعتقالي اذا زرت ألمانيا .

٤ً ـ قبل الهدنة بوقت قصير طلب منا الفاضل **جول فافر ـ** كما أعلن **المجلس العام** في رسالة الى **«التايمز» بتاريخ ١٢ تموز** ، وطيه نسخة عنها (رقم ١١) ـ بواسطة سكرتيره الخاص ، الدكتور رأيتلنجر ، أن ننظم مظاهرات عامة في لندن تأييداً

«لحكومة الدفاع» . ولقد أضاف رايتلنجر ، كما قال المجلس العام في رسالته الى **التايمز** ، أنه لا يجوز للمرء أن يتحدث عن «الجمهورية» بل عن «فرنسا» وحدها . ولقد رفض المجلس العام أن يقدم أي عون الى مظاهرات **من هذا النمط** . لكن هذه الأمور جميعاً تبين أن الحكومة الفرنسية نفسها كانت تعتبر **الأممية** حليفاً للجمهورية الفرنسية ضد الفاتح البروسي ـ وفي حقيقة الأمر كانت الحليف الوحيد الذي حصلت فرنسا عليه ابان الحرب .

تحياتي الودية

**ك . م .**

## ١٤٠

## ماركس الى ف . بولت

**[لندن ،] في ٢٣ تشرين الثاني ١٨٧١**

... لقد تأسست **الأممية** بغرض الاستعاضة عن الشيع الاشتراكية أو نصف الاشتراكية بمنظمة فعلية للطبقة العاملة في سبيل النضال . وان الأنظمة الأهلية والنداء الافتتاحي تبين ذلك من الوهلة الأولى . ومن جهة أخرى فانه لم يكن في مقدور الأممية الاستمرار في الوجود في مجرى التاريخ لو لم تسحق العصبية مسبقاً . ان نمو العصبية الاشتراكية وتطور الحركة الفعلية للطبقة العاملة هما أبداً في نسبة عكسية . ان الشيع مسوغة (تاريخياً) ما دامت الطبقة العاملة لم تنضج بعد من أجل حركة تاريخية مستقلة . وحالما بلغت النضوج أصبحت جميع الشيع رجعية في جوهرها . ومهما يكن من أمر ، فان ما يظهره التاريخ في كل مكان تكرر في تاريخ الأممية . فالأشياء التي بليت تحاول أن تنتصب من جديد وأن تحافظ على **مواقعها** ضمن الشكل الذي تم الحصول عليه حديثاً .

ولقد كان تاريخ الأممية **نضالاً متواصلاً للمجلس العام** ضد الشيع والتجارب الهاوية التي حاولت أن تؤكد نفسها ضمن الأممية ضد الحركة الفعلية للطبقة العاملة . ولقد جرى الصراع في **المؤتمرات** ، لكنه جرى على نطاق أوسع في المفاوضات الخاصة بين المجلس العام والفروع الفردية .

وفي باريس ، نظراً لأن البرودونيين (التبادليين) (١) كانوا المؤسسين المشاركين للرابطة ، فمن الطبيعي أنهم أمسكوا بالأعنة هناك خلال السنوات القليلة الأولى . ولقد تشكلت طبعاً في وقت لاحق هناك فرق جماعية ووضعية ، الخ ، معارضة لهم .

في ألمانيا ـ **طغمة** لاسال . ولقد راسلت شخصياً شوايتزر الشهير طوال عامين وبرهنت له بصورة لا تدحض على أن منظمة لاسال مجرد منظمة عصبية ، وهي بهذه الصفة مناوئة لمنظمة حركة العمال **الفعلية** التي تسعى الأممية اليها . ولقد كانت له «اسبابه» لعدم الفهم .

وفي نهاية عام **١٨٦٨** انضم الروسي باكونين الى **الأممية** بهدف تشكيل **أممية ثانية** داخلها تحت أسم «تحالف الديموقراطية الاشتراكية» **ليكون هو نفسه زعيماً لها** . ولقد ادعى ـ هو الرجل المجرد عن أية معرفة نظرية ـ أنه يمثل في تلك الهيئة المنفصلة الدعاية **العلمية** للأمميه ، وأراد أن يجعل من مثل هذه الدعاية الوظيفة الخصوصية لتلك **الأممية** الثانية **داخل الأممية** .

وكان برنامجه خليطاً مجمعاً بصورة سطحية من اليمين ومن اليسار ـ **مساواة الطبقات**(!) **إلغاء حق الأرث** من حيث هو **منطلق** الحركة الاجتماعية (هراء سان سيموني) ، **الالحاد** من حيث هو **عقيدة** مفروضة على الاعضاء ، الخ ،. وكعقيدة رئيسية (**برودونية**) : **الامتناع عن الحركة السياسية** .

ان هذه المبادىء الصبيانية قد حظيت بالتأييد (ولا يزال لها بعض التأثير) في ايطاليا واسبانيا حيث الشروط الفعلية للحركة العمالية لا تبرح قليلة النمو ، وبين بعض العقائديين المغرورين والطموحين والفارغين في سويسرا اللاتينية وفي بلجيكا .

ان العقيدة (الخليط الذي خمره من نتف من برودون وسان سيمون وآخرين) بالنسبة الى السيد باكونين كانت ولا تزال أمراً ثانوياً ـ مجرد وسيلة من أجل إثبات شخصيته . وبالرغم من كونه صفراً من حيث هو منظر فانه في عنصره من حيث هو متآمر .

ولقد اضطر المجلس العام طوال سنوات أن يحارب هذه المؤامرة (المؤيدة حتى درجة

---

(١) سمي البرودونيون بهذا الأسم لأنهم طرحوا شعار التعاون المتبادل .

ما من قبل البرودونيين الفرنسيين ، وعلى الأخص في **جنوب فرنسا**) . وأخيراً وجه ضربته المهيأة **مطولاً** بقرارات المؤتمر ١ و ٢ و ٣ و ط و ع و ص [١] .

ومن البديهي أن المجلس العام لا يؤيد في أميركا ما يكافحه في اوروبا . ان القرارات ١ و ٢ و ٣ و ط تمنح لجنة نيويورك الأسلحة المشروعة التي تضع بها حداً لكل عصبية أو جماعات من الهواة ، وتطردهم اذا اقتضى الأمر ذلك .

.. ومن الطبيعي أن للحركة السياسية للطبقة العاملة هدفاً أخيراً هو الاستيلاء على السلطة السياسية في مصلحة هذه الطبقة ، الأمر الذي يتطلب بالطبع تنظيماً مسبقاً للطبقة العاملة متطوراً حتى درجة معينة وناشئاً بالضبط عن نضالاتها الاقتصادية .

ومن جهة ثانية ، فان كل حركة تخرج منها الطبقة العاملة على أي حال من حيث هي **طبقة** مناهضة للطبقات الحاكمة وتحاول أن تقسرها بالضغط من الخارج هي حركة سياسية . ومثال ذلك أن المحاولة الجارية في معمل ما أو حتى في صناعة ما من أجل الحصول من الرأسماليين الفرادى قسراً بواسطة الاضرابات على يوم عمل أقصر ، الخ ، هي حركة اقتصادية خالصة . ومن جهة ثانية فان الحركة من أجل فرض **قانون** الثماني ساعات ، الخ ، هي حركة **سياسية** ، وبهذه الطريقة تتحول حركات العمال الأقتصادية المنعزلة في كل مكان إلى حركة **سياسية** يعني حركة **للطبقة** هدفها فرض مصالحها بصورة عامة ، في شكل يملك القوة العامة ، القسرية اجتماعياً . وفيما تفترض هذه الحركات سلفاً درجة معينة من التنظيم المسبق ، فهي بدورها وسيلة من أجل تطوير هذا التنظيم .

وحيث لا تكون الطبقة العاملة قد تقدمت بصورة كافية في تنظيمها كي تشن حملة حاسمة ضد السلطة الجماعية ، أعني السلطة السياسية للطبقات الحاكمة ، فلا بدّ على أي حال من تدريبها لهذا الغرض بالتحريض المتواصل ضد هذه السلطة وبالموقف العدائي حيال سياسات الطبقات الحاكمة . والا فانها تظل دمية بين أيديها ، كما بينت ذلك ثورة ايلول في فرنسا ، وكما تثبت ذلك حتى درجة ما لعبة السادة

---

(١) ان قرارات مؤتمر لندن للأممية الأولى (ايلول ١٨٧١) التي يشير ماركس اليها تعالج المسائل التالية : تقوية الأممية ، وتشديد المركزية والدور القيادي للمجلس العام ، والحاجة الى حزب سياسي مستقل للبروليتاريا ، والعلاقة التي لا تنفصم بين النضال السياسي والاقتصادي ، والغاء الفريق العصبي الباكونيني (التحالف) .

غلادستون وشركاه التي لعبوها بنجاح في انكلترا حتى الوقت الراهن .

## ١٤١

## انجلز الى هيئة تحرير صحيفة تورين «البروليتاريا الايطالية» (١)

**[لندن ،] في ٢٩ تشرين الثاني ١٨٧١**

أيها المواطنون

ان عددكم رقم **٣٩** يتضمن بياناً لعمال تورين ينص على ما يلي :

إننا نعلن على الملأ أن قرار المجلس العام في لندن بوضع الاشتراكية بعد السياسة قد نقل الينا من قبل هيئة تحرير **بروليتاريو** حال صدوره وأن هذا القرار لا يحمل طابعاً رسمياً لأنه سحب من قبل المجلس العام نظراً لأن رابطات اوروبية عديدة كانت سترفضه بمجموعه ، كما كنا سنفعل نحن .

ان هذا التأكيد يضطر المجلس العام الى اعلان ما يلي :

١ ـ انه لم يتخذ قط قراراً بوضع الاشتراكية خلف السياسة ؛

٢ ـ أنه بالتالي لا يمكن أن يكون سحب مثل هذا القرار ؛

٣ ـ أن أية رابطة اوزوبية أو أميركية لا يمكن أن تكون قد رفضت مثل هذا القرار أو هي رفضت أي قرار آخر للمجلس العام .

ان موقف المجلس العام فيما يتعلق بالعمل السياسي من جانب البروليتاريا واضح بما فيه الكفاية .

ولقد حُدِّد :

أ ـ بالأنظمة العامة التي تقرر في النقطة الرابعة من المقدمة أن التحرر الاقتصادي للطبقة العاملة هو الهدف الكبير **الذي يجب أن تخضع له كل حركة سياسية من حيث هي وسيلة .**

---

(١) **Il Proletario Italiano** : صحيفة جمعية «تحرير البروليتاريا» التي كانت منتسبة الى الأممية وكان يصدرها الباكونيني تيرزاجي وقد صدرت في تورين في ١٨٧١ ـ ١٨٧٢ .

٢ ـ بنص النداء الافتتاحي للرابطة (١٨٦٤) ، وهو التفسير الرسمي والالزامي للأنظمة الذي يقول : «ومع ذلك فان سادة الأرض وسادة الرأسمال سوف يستخدمون دائما امتيازاتهم السياسية من أجل الدفاع عن احتكاراتهم الاقتصادية والابقاء عليها . ولسوف يستمرون ، وهم أبعد ما يكونون عن تشجيع تحرير العمل ، في وضع كل عقبة ممكنة في طريقه ... وبالتالي فان الاستيلاء على السلطة السياسية بات الواجب الكبير للطبقات العاملة .»

٣ً ـ بقرار مؤتمر لوزان (١٨٦٧) الذي ينص على ما يلي : «ان تحرر العمال الاجتماعي لا ينفصل عن تحررهم السياسي .»

٤ً ـ بالقرار ط لمؤتمر لندن (ايلول ١٨٧١) الذي يذكر أعضاء الأممية ، بصورة تتفق مع ما سبق ، بان الحركة الاقتصادية والنشاط السياسي للطبقة العاملة متحدان في النضال بصورة لا تنفصم .

ان الخط المعين هكذا للمجلس قد اتبع من قبله دائماً وسوف يتبع من قبله في المستقبل . وبالتالي فانه يعلن أن الخبر المذكور أعلاه المرسل من مجهول الى هيئة تحرير **بروليتاريو** كاذب ومفترٍ .

بأمر المجلس العام وباسمه

ف . إ .

السكرتير عن ايطاليا

حاشية : استلمت لتوي صحيفة جنيف **الثورة الاجتماعية** التي تقول ان فريقاً صغيراً في جورا رفض قرارات مؤتمر لندن . ان أي خبر رسمي لم يبلغ الى المجلس العام الذي سوف يتخذ التدابير اللازمة حالما يتلقى مثل هذا الخبر ...

# ١٨٧٢

# ١٤٢

## انجلز الى ك . تيرزاجي

### [لندن ،] في ١٤ كانون الثاني ١٨٧٢

عزيزي تيرزاجي

اذا لم أجب في وقت أبكر عن رسالتك المؤرخة في ٤ كانون الأول فالسبب في ذلك رغبتي في اعطائك معلومات مضبوطة عن المسألة التي تثير اهتمامك الأعظم ، ألا وهي المال من أجل **بروليتاريو** .

أنت تعلم أن ملايين الأممية لا وجود لها إلا في مخيلة البورجوازية والحكومات التي أصابها الهلع والتي لا تستطيع أن تفهم كيف أمكن لرابطة مثل رابطتنا أن تكون قد حققت مثل هذا المركز النائف دون أن تملك الملايين . ليتها شاهدت الحسابات المقدمة في المؤتمر الأخير !...

ولقد كنا اقترعنا على ١٥٠ فرنكاً لكم بالرغم من فقرنا لولا وصول Gazzettino Rosa بالأنباء الخ (١) ،وهذا ما غيرّ الأمور جميعاً . لو أنكم قررتم فقط ارسال مندوب الى المؤتمر القادم ، فحبذا . لكنكم أرسلتم الى المؤتمر بياناً مليئاً بالأكاذيب والتهم المزورة ضد المجلس العام . ولو أنكم انتظرتم فقط جواب المجلس العام عن ذلك البيان ! (٢) فالمجلس لا يستطيع إلا أن يرى في قراركم برهاناً على انحيازكم الى جانب

---

(١) أشارت Gazzettino Rosa الى ان شعبة تورين انضمت علناً الى الباكونينيين وأعلنت عن تأييدها لمؤتمر فوق عادي تعقده الأممية .

(٢) ان مؤتمر اتحاد الجورا (الجورانيين) الذي انعقد في سونفيليه في تشرين الثاني ١٨٧١ قد وجه رسالة عامة الى جميع فروع الأممية مليئة بالهجمات المفترية على المجلس العام وقرارات مؤتمر لندن للأممية (١٨٧١) . ولقد طرح البيان طلباً بدعوة مؤتمر عالمي في الحال . ورد المجلس العام باصدار بيان سري حرره ماركس ، «انقسامات مزعومة في الأممية» ، فضحت فيه كلياً نشاطات الباكونينيين الانقسامية .

المتهمين دون انتظار سماع دفاع المجلس ـ وقد ألغي الأذن المعطى لي بارسال المال موضوع البحث اليكم . وفي هذه الأثناء تلقيتم **المساواة** (١) مع رد اللجنة اللاتينية التي تمثل عدداً من العمال السويسريين يساوي عشرة أضعاف ما يمثله الجورانيون . بيد أن بيان الجورا يكشف عن النية السيئة لدى واضعيه .

فقد أثاروا باديء الأمر خصومة معنا بحجة المؤتمر ، وهم يهاجموننا الآن لأننا ننفذ قرارات مؤتمر بال ، وهي القرارات التي **نحن ملزمون** بتنفيذها . انهم لا يريدون أية سلطة تمارس بواسطة المجلس العام حتى **اذا قبل الجميع بها طواعية** . وأني لأود حتى درجة كبيرة أن أعرف كيف كان يمكن بدون هذه السلطة (كما يسمونها) أن يناقش الحساب أمثال تولين ودوران ونيشاييف وكيف سوف يكون في الامكان منع تدخل الماردوشيين (٢) والخونة بعبارتكم الجميلة عن استقلال الفروع الذاتي كما هو مشروح في البيان : ومن المؤكد أنه ليس هناك من يخاصم في استقلال الفروع الذاتي ، لكن الاتحاد غير ممكن دون تسليم بعض السلطات للجان الاتحادية ، وفي آخر الأمر للمجلس العام .

لكن هل تعلم من هم واضعو هذه القرارات **التسلطية** والمدافعون عنها ؟مندوبو المجلس العام ؟ أبداً على الاطلاق ! ان التدابير التسلطية قد اقترحت من قبل المندوبين البلجيكيين ، وكان أمثال شوايستفيل وغليوم وباكونين **أعنف المدافعين عنها . كذلك هي الأمور** .

اعتقد أن عبارتي «السلطان» والمركزية قدأسيء استعمالهما حتى درجة كبيرة . اني لا أعرف شيئاً أشد تسلطاً من الثورة ، وحين تفرض ارادة المرء على الآخرين بالقنابل والرصاص ، كما هي الحال في كل ثورة ، فانه يخيل الي ان عملاً تسلطياً يُرتكب . وان انعدام المركزية والسلطان هو الذي كلف كومونة باريس حياتها . اصنع ما يحلو لك بالسلطان ، الخ ، بعد النصر ، لكنه لا بدّ لنا في سبيل النضال من توحيد جميع قوانا في حزمة واحدة وتركيزها على نقطة واحدة للهجوم . وحين يقال لي أن السلطان

(١) L'Égalité ، صحيفة صدرت في جنيف من ١٨٦٨ حتى ١٨٧٢ ، وكانت جريدة الفروع التابعة للأممية في سويسرا اللاتينية .

(٢) عملاء سريون للشرطة .

والمركزية شيئان من الواجب ادانتهما في جميع الظروف الممكنة يخيل الي أن اولئك الذين ينطقون بهذا الكلام اما لا يعرفون ما هي الثورة أوهم ثوريون بصورة اسمية فقط .

واذا شئت أن تعرف ما الذي صنعه للأممية في الممارسة واضعو البيان فاقرأ تقريرهم الرسمي الى المؤتمر عن حالة اتحاد الجورا (**الثورة الاجتماعية** الجنيفية الصادرة في **٢٣** تشرين الثاني **١٨٧١**) وسوف ترى حتى أية درجة من الانحلال والعجز أرجعوا اتحاداً كان على أفضل ما يمكن من الاستقرار قبل عام واحد فقط . وان هؤلاء أناس يريدون اصلاح الأممية .

تحياتي الأخوية

المخلص

**ف . إ .**

## ١٤٣

# انجلز الى ت . كونو

**لندن ، في ٢٤ كانون الثاني ١٨٧٢**

عزيزي كونو

تلقيت من فوري رسالتك بواسطة بيكر[1] وأفهم من مضمونها أن اولئك الماردوشيين الملاعين صادروا رسالتي المفصلة اليك بتاريخ ١٦ كانون الأول . وان هذا الأمر مزعج حقاً نظراً لأنها تتضمن جميع المعطيات الضرورية عن مكائد الباكونينيين وبذلك كانت المعلومات تبلغك قبل شهر كامل ، وكذلك نظراً لأني طلبت منك في تلك الرسالة أن تكون أشد تحفظاً حتى درجة ما في نشاطك العلني من جراء كونك أجنبياً وعرضة للنفي . وكانت الفكرة هي تمكينك من البقاء هناك والاستمرار في عملك الذي ذهب في هذه الأثناء هباء منثوراً من سوء الحظ .

ان **البطاقات** قد ألغيت بقرار من المؤتمر واستعيض عنها بالطوابع . فقد اسيىء استعمال البطاقات طويلاً ، كما أن عدداً كبيراً من البطاقات الفارغة وقعت في أيدي

---

(١) المقصود هو ج . ف . بيكر .

الشرطة التي انتفعت بها. سوف ارسل اليك ۱۰۰ طابع خلال أيام قليلة لقاء الفرنكات العشرة . ليس لدي أي منها في الدار .

لا يُعرف شيء هنا عن الكابتن العجوز صاحب الرجل الخشبية ، فليست له علاقة بالمجلس العام .

كنت ارسل الأنظمة اليك بكل سرور لو كنت أملك نسخة عنها . فقد طبع النصان الفرنسي والانكليزي ، وسوف يخرج النص الالماني من المطبعة خلال أيام ، أما الترجمة الايطالية فهي في مكتبي معدة للطباعة لكننا لا نملك من جهة واحدة أي مال كي نطبعها لحسابنا ، ومن جهة ثانية فانه من المشكوك فيه حتى درجة كبيرة أن تلاقي الطبعة المراجعة والمخرجة من قبل المجلس العام بصورة متفقة مع قرارات المؤتر أي اعتراف على الاطلاق هناك ، وذلك من جراء العصيان العام الذي قام به الايطاليون بتحريض من باكونين ضد المؤتمر والمجلس العام . وفي رأيي أنه لا جدوى من طبعها قبل تسوية هذا الأمر . وفي هذه الأثناء ظهرت هناك طبعات مختلفة للأنظمة بالايطالية ؛ مثلاً في جيرجنتي (مكتب شحن Eguaglianza) ؛ وكذلك في رافينا (مكتب شحن Romagnolo ) وهو متعطل عن العمل الآن ـ قد يكون في مقدور لودوفيكو نابروجي في رافينا أن يعطيك المعلومات الضرورية) . وكذلك فان **La Plebe** في لودي ، كورسو بالسيترو ، أعلنت أن لديها نسخاً للبيع لقاء عشرة سنتيات للنسخة الواحدة . وصحيح أنها جميعاً سيئة الترجمة ومغلوطة حتى درجة ما ولا تتضمن الا الأنظمة التنظيمية الأصلية ، لكنها يمكن أن تكون صالحة في الوقت الحاضر .

كتب بيكر يقول إنه سوف يطلعك على مكائد باكونين . ومهما يكن من شيء ، فاني لن أعتمد على ذلك ، ولذا أروي لك باختصار الأمور الأكثر ضرورة . ان باكونين ، الذي تآمر ضد الأممية حتى عام ١٨٦٨ ، قد انضم اليها بعدما مني بالاخفاق في مؤتمر سلام بون[1] ، وجعل في الحال يتآمر داخلها ضد المجلس العام . ان لباكونين نظرية خاصة به ، وهي خليط من البرودونية وا لشيوعية . وان النقطة الرئيسية المأخوذة من

---

(١) الاشارة الى مؤتمر بون لعصبة السلام والحرية البورجوازية التي لعب باكونين فيها دوراً رئيسياً حتى تشرين الأول ١٨٦٨ .

البرودونية أنه لا يعتبر الرأسمال ، يعني التناحر الطبقي بين الرأسماليين والعمال المأجورين الذي نشأ خلال التطور الاجتماعي ، بل **الدولة** ، الشر الرئيسي الواجب القضاء عليه . وفيما تدين الجمهرة العظمى من العمال الاشتراكيين الديموقراطيين بنظرتنا القائلة ان سلطة الدولة لا تعدو كونها المنظمة التي تزودت بها الطبقات الحاكمة - الملاكون العقاريون والرأسماليون - بغرض حماية امتيازاتها الطبقية ، ينادي باكونين بأن **الدولة** هي التي خلقت الرأسمال ، وأن الرأسمالي لا يملك رأسماله **إلا بنعمة الدولة وحدها** . وبالتالي فلما كانت الدولة هي الشر الرئيسي فالدولة هي التي يجب فوق كل شيء القضاء عليها ، وعندئذ تذهب الرأسمالية هباء منثوراً من تلقاء ذاتها . أما نحن فنقول على النقيض من ذلك : اقضوا على الرأسمال ، على مركزة جميع وسائل الانتاج في أيدي القلة ! وسوف تسقط الدولة من تلقاء نفسها . وان الفارق لفارق جوهري : ان إلغاء الدولة لغو خالص دون ثورة اجتماعية مسبقة ؛ وان الغاء الرأسمال **هو** على وجه الدقة الثورة الاجتماعية وهو يتضمن تغييراً في نمط الانتاج برمته . وهكذا اذن ، فبقدر ما تكون الدولة الشر الرئيسي بالنسبة الى باكونين ، فلا يجوز أن يصنع أي شيء يمكنه أن يحتفظ بالدولة - يعني أية دولة ، سواء أكانت جمهورية أم ملكية أم أي شيء آخر - على قيد الحياة . ومن هنا كان **الامتناع التام عن أية سياسة** . ان القيام بأي عمل سياسي ، وبصورة خاصة الاشتراك في الانتخابات ، معناه خيانة مبدئية . ان ما يجب عمله هو القيام بالدعاية ، واغداق الشتائم على الدولة ، والتنظيم ، وحين يتم اكتساب **جميع** العمال ، وبالتالي الأغلبية ، خلع جميع السلطات ، والغاء الدولة ، والاستعاضة عنها بمنظمة الأممية . وان هذا الفعل العظيم ، الذي يبدأ عصر الغبطة به ، يدعى **التصفية الاجتماعية** .

ان هذا كله يتردد صداه وكأنه جذري حتى الدرجة القصوى وهو بالغ البساطة بحيث يمكن تعلمه في خمس دقائق ؛ وهذا هو السبب في أن النظرية الباكونينية لاقت الرواج سريعاً في ايطاليا واسبانيا أيضاً بين الشبان من المحامين والأطباء وغيرهم من العقائديين . بيد أن كتلة العمال لن يسمحوا لأنفسهم أبداً بالاقتناع بأن الشؤون العامة في بلدانهم ليست هي شؤونهم الخاصة ايضاً ؛ انهم **أصحاب ذهنية سياسية** بالطبيعة وكل من يحاول أن يحملهم على الاعتقاد بأن من واجبهم ترك السياسة وشأنها

سوف يخلّف في موقف حرج . ان تبشير العمال بأن من واجبهم في جميع الظروف الامتناع عن السياسة يعني القاءهم في أحضان الكهنة أو الجمهوريين البورجوازيين .

والآن نظراً لأن الأممية ، في رأي باكونين ، لم تتشكل بهدف النضال السياسي بل بغرض الحلول محل التنظيم الدولتي القديم حالما تتم التصفية الاجتماعية ، فأنه يترتب على ذلك أن من واجبها الاقتراب قدر المستطاع من المثل الأعلى الباكونيني عن المجتمع المقبل . فقبل كل شيء لن يكون في هذا المجتمع أي **سلطان** ، ذلك أن السلطان = الدولة = الشر المطلق . (كيف ينوي هؤلاء الناس أن يديروا معملاً أو يشغلوا خطاً حديدياً أو يقودوا سفينة دونما ارادة تقرر في آخر تحليل ، دون أدنى ادارة ، هذا مالا يخبروننا به طبعاً) . وان سلطان الأكثرية على الأقلية يتوقف كذلك . فكل فرد وكل جماعة مستقلان ذاتياً ؛ وأما كيف يمكن لمجتمع يتألف حتى من شخصين فقط أن يكون ممكناً ما لم يتنازل كل واحد منهما عن شيء من استقلاله الذاتي ، فهذا ما يسكت باكونين عنه أيضاً .

وهكذا كان من الواجب تنظيم الأممية أيضاً وفق هذا النموذج . فكل فرع ، وكل فرد في كل فرع ، يجب أن يكون مستقلاً ذاتياً . ولتذهب الى الجحيم **قرارات بال** التي تمنح المجلس العام سلطاناً خبيثاً يسيىء حتى الى المجلس العام نفسه ! حتى اذا منح هذا السلطان **طواعية** فمن الواجب أن يزول بالضبط لأنه **سلطان** !

ان لديك هنا النقاط الرئيسية لهذا الخداع . ولكن من هم الذين كانوا في أصل قرارات بال ؟ حسناً ، انهم **السيد باكونين نفسه و شركاه** !

وحين تبين لهؤلاء السادة في مؤتمر بال أنهم لن يتمكنوا من تنفيذ خطتهم الخاصة بنقل المجلس العام الى جنيف ، يعني وضعه بين أيديهم ، فقد اتبعوا مسلكاً مختلفاً ؛ فأسسوا Alliance de la démocratie Sociale ، وهي جمعية أممية **داخل** الأممية الكبرى ، بحجة سوف تصادفها من جديد اليوم في الصحافة الباكونينية الايطالية ، ومثال ذلك في Proletario و Gazzettino Rosa : إنه ليزعم أنه لا بدّ ، من أجل الجنس اللاتيني الحار الدماء ، من برنامج أشد حمية منه من أجل الشماليين الباردين بطيئي الحركة . ان هذا المخطط الصغير البارع قد آل الى الاخفاق من جراء مقاومة المجلس العام الذي لا يستطيع بالطبع أن يقبل بأية منظمة **أممية** منفصلة **داخل** الأممية . ولقد

عاود هذا المخطط الظهور منذ ذلك الحين في كل هيئة وصورة في ارتباط بجهود باكونين وطاقمه الرامية الى احلال برنامج باكونين خلسة محل برنامج الأممية . ومن جهة أخرى فان الرجعيين ، من جول فافر وبسمارك الى مازيني ، قد انقضوا بكل قسوة دائماً على هراء الباكونينيين الفارغ كلما أرادوا الهجوم على الأممية . ومن هنا كانت ضرورة بياني بتاريخ ٥ كانون الأول ضد مازيني وباكونين ، الذي نشر كذلك في **Gazzettino Rosa** .

ان نواة الرهط الباكونيني يتألف من عدة عشرات من الناس في الجورا الذين يعد أتباعهم ٢٠٠ عامل بكل صعوبة.وتتألف طليعتهم من محامين وأطباء وصحفيين شبان في ايطاليا يتصرفون حالياً في كل مكان على اعتبارهم الناطقين باسم العمال الايطاليين . وان في برشلونة ومدريد عدداً من صنفهم ، وقد تجد من حين لآخر واحداً ـ وفي الغالب ليس هو بالعامل أبداً ـ في ليون وبروكسل ؛ وليس هنا الا نموذج أوحد هو روبن .

ان الاجتماع (١) الذي عقد تحت ضغط الظروف بدلاً من المؤتمر الذي أصبح محالاً قد خدمهم ذريعة ؛ ونظراً لأن معظم اللاجئين الفرنسيين في سويسرا انحازوا الى صفهم لأنهم وجدوا (هم البرودونيين) بينهم نفوساً قريبة عديدة ولأسباب شخصية أيضاً ، فقد أبحروا قدماً في حملتهم . انه لمن الطبيعي أن يكون في الامكان العثور في كل مكان في الأممية على الأقليات المستاءة والعبقريات غير المعترف بها ، وقد تم الاعتماد عليها ، وبحق .

ان قوتهم القتالية في الوقت الحاضر كما يلي :

أ ـ باكونين نفسه ـ نابليون هذه الحملة .

٢ً ـ الجورانيون المائتان والأعضاء الأربعون أو الخمسون من الفرع الفرنسي (اللاجئون في جنيف) .

٣ً ـ في بروكسل هينز ، رئيس تحرير الحرية،الذي لا يعاضدهم علانية على أي حال .

---

(١) الاشارة الى اجتماع لندن للأممية الأولى المنعقد في ١٨٧١ .

٤ ـ هنا، بقايا الفرع الفرنسي لعام ١٨٧١ الذي لم نعترف به قط والذي انقسم مسبقاً الى ثلاث فئات متناحرة . ومن بعد فهناك حوالي عشرين لاسالي من نمط الهر فون شوايتزر الذين طردوا جميعاً من الفرع الألماني (بسبب اقتراحهم الخاص **بالانسحاب من الأممية جماعةً**) والذين يصلحون تماماً ، لكونهم دعاة للمركزة القصوى والتنظيم الأقسى ، لأن يكونوا في عصبة من الفوضويين ودعاة الاستقلال الذاتي .

٥ ـ في أسبانيا عدد قليل من أصدقاء باكونين الشخصيين وأنصاره الذين أثروا بشدة في العمال ، وبصورة خاصة في برشلونة ، نظرياً على الأقل . وعلى أية حال فان الاسبانيين حساسون جداً للتنظيم وسريعون في ملاحظة أي نقص فيه عند الآخرين . ولا يمكن أن نعرف مدى النجاح الذي يستطيع باكونين الاعتماد عليه هنا حتى المؤتمر الأسباني في نيسان ، ولما كان العمال سيتفوقون هناك فليست لدي أسباب للقلق .

٦ ـ أخيراً ، في ايطاليا ، أعلنت فروع تورين وبولونيا وجيرجنتي ، بقدر معرفتي، تأييدها لعقد المؤتمر **قبل موعده** . وتدعي الصحافة الباكونينية أن عشرين فرعاً انضمت اليها؛ اني لاأعرفها. وعلى أية حال ، فان القيادة في كل مكان على وجه التقريب هي في أيدي أصدقاء وأنصار لباكونين ، وهم يثيرون ضوضاء رهيبة . بيد أن دراسة أدق سوف تكشف على الأرجح أن أتباعهم ليسوا كثرة ، ذلك أن القسم الأعظم من العمال الايطاليين لا يبرحون مع مرور الزمن مازينيين وسوف يظلون كذلك ما وحّدت الأممية هناك مع الامتناع عن السياسة .

ومهما يكن من أمر ، فان الرهط الباكونيني هو الذي يسيطر في الأممية في ايطاليا في الوقت الحاضر . وليس لدى المجلس العام نية في الشكوى بهذا الصدد ؛ ان للايطاليين الحق في إتيان جميع السخافات التي تحلو لهم ولن يعارضهم المجلس العام الا عن طريق المساجلة السلمية . وان لهؤلاء الناس الحق أيضاً في المطالبة بمؤتمر بالمعنى الجوراني ، بالرغم من أنه من الأمور المستغربة حتى الدرجة القصوى على أي حال أن تعمد فروع انتسبت لتوها فحسب ولا يمكن الاعتماد عليها في أي شيء الى الانحياز في الحال في مثل هذا الشأن ، وعلى الأخص قبل سماعها **كلا** الفريقين في

النزاع ! ولقد أخبرت جماعة تورين **بالحقيقة الناصعة** في هذه القضية وسوف أفعل الشيء نفسه مع الفروع الأخرى التي أصدرت بيانات مماثلة . ذلك أن كل بيان بالانتساب من هذا النوع هو بصورة غير مباشرة تأييد للاتهامات الباطلة والأكاذيب الموجهة ضد المجلس العام في النشرة العامة . وعلى أي حال ، فان المجلس العام سيصدر قريباً نشرة عامة خاصة به في هذا الشأن . واذا كان في مقدورك أن تمنع جماعة ميلانو من اصدار بيان مماثل **حتى ظهور النشرة العامة** فسوف تحقق اذن سائر رغباتنا .

وان أدعى الأمور الى السخرية هو أن هؤلاء التورينيين أنفسهم الذين يؤيدون الجورانيين وبالتالي يأخذون علينا هنا التسلط يطلبون الآن بصورة مباغتة أن يتخذ المجلس العام مثل هذه التدابير التسلطية ضد **Federazione Operaia**(١) المناوئة في تورين كما لم يتخذ من قبل قط ، وأن يطرد بيجيلي من **Ficcanaso** ، وهو لا ينتسب مع ذلك الى الأممية ، الخ . وهذا كله حتى قبل أن نسمع ما لدى **الاتحاد العمالي** من الأقوال دفاعاً عن نفسه !

أرسلت اليك يوم الأثنين الماضي **الثورة الاجتماعية** مع النشرة العامة للجورا ، ونسخة من **المساواة** الجنيفية (من سوء الحظ لا أملك أية نسخ أخرى من العدد الذي يضم جواب **اللجنة الفدرالية** لجنيف التي تمثل عدداً من العمال يبلغ عشرين ضعف جماعة الجورا) وعدداً من **فولكستات** سوف يبين لك رأي الناس في ألمانيا في هذا الشأن . ان الاجتماع الأقليمي الساكسوني ـ ١٢٠ مندوباً من ٦٠ محلة ـ قد أعلن تأييده **بالاجماع** للمجلس العام .

ان المؤتمر البلجيكي (٢٥ ـ ٢٦ كانون الأول) يطالب بمراجعة الأنظمة ، لكن في المؤتمر **النظامي** (في ايلول) . واننا نتلقى من فرنسا تصريحات يومية تعبر عن الموافقة . وهنا في انكلترا لا تجد طبعاً أية من هذه المكائد أدنى تأييد ومن المؤكد ان المجلس العام لن يدعو الى مؤتمر فوق عادي لمجرد أرضاء بعض المتآمرين الصلفين . وبقدر ما يظل هؤلاء السادة ضمن الحدود القانونية فسوف يدعهم المجلس العام وشأنهم بكل

---

(١) الاتحاد العمالي .

سرور. فهذا التحالف بين العناصر الأشد اختلافاً سوف ينهار عاجلاً ؛ لكنهم لن يبدؤوا أي عمل ضد الأنظمة أو قرارات المؤتمرات حتى يقوم المجلس العام بواجبه .

واذا فكرت في حقيقة أن هؤلاء الناس شنوا مؤامراتهم بالضبط وقد ارتفعت صيحات المطاردة في كل مكان ضد الأممية لن تمتنع عن التفكير في أن للشرطة السرية الدولية يداً في اللعبة من كل بد . وان الأمر كذلك . ففي بيزيه اختار الباكونينيون الجنيفيون مفوض الشرطة المركزية مراسلا لهم. وان اثنين من الباكونينيين البارزين ، ألبير ريشار من ليون ولوبلان ، قد كانا هنا وأخبرا عاملاً يدعى سكول ، وهو من ليون أيضاً ، وكانا قد توجها اليه ، أن الوسيلة الوحيدة من أجل اسقاط تيرس هي في إعادة بونابرت الى العرش ، وكانا يسافران على **نفقة بونابرت** كي يقوما **بالدعاية** بين اللاجئين في مصلحة **عودة الملكية البونابرتية** ! هذا هو ما يسميه هؤلاء السادة الامتناع عن السياسة ! وفي برلين تعزف اللحن نفسه **الاشتراكي الديمقراطي الجديد** التي يموِّلها بسمارك . وأما مدى تورط الشرطة الروسية في هذا الأمر فسوف أتركه كمسألة لا أهمية عملية لها في الوقت الحاضر ، لكن باكونين كان متورطاً بعمق في قضية نيشاييف (انه ينكر ذلك طبعاً ، لكن لدينا ههنا التقارير الروسية الأصلية ، ولما كنا نفهم ماركس وأنا الروسية فانه لا يستطيع أن يصطنع شيئاً معنا) . فاما أن يكون نيشاييف **عميلاً محرضاً** روسيا وإما أنه تصرف على أي حال وكأنه مثل هذا العميل . وفيما عدا ذلك ، فان بين أصدقاء باكونين الروس جميع أصناف الأشخاص المشكوك فيهم .

آسف جداً لفقدانك مركزك . لقد كتبت اليك بصورة خاصة كي أمنعك من القيام بأي عمل يمكن أن يؤول الى ذلك ، موضحاً أن وجودك في ميلانو أهم جداً بالنسبة الى الأممية من الفعل الضئيل الذي يمكن للمرء تحقيقه **بالأقوال العلنية** ، وأنه في الامكان انجاز الكثير بصورة سرية أيضاً ، الخ . اذا كان في مقدوري أن أقدم اليك العون بالحصول على ترجمات لك ، الخ ، فسوف أفعل ذلك بأعظم السرور . أخبرني **فقط** ما هي اللغات التي تستطيع أن تترجم **منها** و **اليها** وكيف أستطيع أن أكون نافعاً لك .

وهكذا فان اولئك الشرطة الأوغاد صادروا صورتي أيضاً . طيه صورة أخرى لك.

واني أطلب اليك أن ترسل الي صورتين لك ، واحداهما سوف تخدم غرض حمل الآنسة ماركس على تمكينك من الحصول على صورة لوالدها (انها الوحيدة التي تزال تملك زوجين من الصور الجيدة) .

وأود كذلك أن أسألك أن تكون بالأحرى متكتماً مع جميع الناس الذين لهم علاقة بباكونين . إنه من طبيعة الشيع جميعاً أن تتكاثف وأن تكيد . ويمكنك أن تكون على ثقة من أن **أية معلومات تعطيهم اياها** سوف تنقل الى باكونين في الحال.إن أحد مبادئه الأساسية أن الحفاظ على الوعود وما شابه مجرد مستبقات بورجوازية من واجب الثوري الحقيقي أن يعاملها باحتقار في مصلحة القضية . انه يقول ذلك علناً في روسيا ، أما في اوروبا الغربية فذلك معتقد سري .

أكتب الي **في الحال** . اذا نجحنا في منع الفرع الميلاني من الانضمام الى جوقة الفروع الايطالية الأخرى فسوف يكون أمراً عظيماً .

تحياتي الأخوية

المخلص

**ف . انجلز**

## ١٨٧٣

## ١٤٤

# انجلز الى ماركس

[لندن ،] في ٣٠ أيار ١٨٧٣

عزيزي المغربي

في السرير هذا الصباح خطرت لي الأفكار الجدلية التالية عن العلوم الطبيعية .

ان موضوع العلوم الطبيعية هو المادة في الحركة ، الأجسام . وليس في الامكان فصل الاجسام عن المادة ، وأشكالها وأنواعها لا يمكن أن تعرف الا من خلال الحركة ؛ وليس في الامكان تأكيد أي شيء عن الاجسام خارجاً عن الحركة ، خارجاً عن العلاقة بالأجسام الأخرى . فالجسم لا يكشف عن هويته الا في الحركة . وبالتالي فان العلوم الطبيعية لا تعرف الاجسام الا اذا اعتبرتها في علائقها الواحد بالآخر ، في الحركة . وان معرفة الأشكال المختلفة للحركة هي معرفة الأجسام ، بحيث يشكل استقصاء هذه الأشكال المختلفة للحركة الموضوع الرئيسي للعلوم الطبيعية .

أ ـ ان أبسط شكل للحركة هو تغير **المكان** (في الزمان ـ ارضاء للعجوز هيغل) ـ الحركة **الميكانيكية** .

آ ـ ليس هناك شيء من نمط حركة جسم **وحيد** ، لكن يمكن ، اذا تحدثنا نسبياً ، معاملة **السقوط** من حيث هو كذلك . الحركة في اتجاه المركز المشترك لأجسام عديدة . لكنه حالما يتحرك جسم وحيد في اتجاه **غير** الاتجاه الى المركز فان قوانين **السقوط** التي لا يبرح خاضعاً لها تتعرض للتغير .

ب ـ ان قوانين المحارك يمكن أن تقود مباشرة الى الحركة المتبادلة لأجسام مختلفة ـ كوكبية ، الخ .، الحركة ، الفلك ، التوازن ـ مؤقتة أو ظاهرية في الحركة بالذات . لكن النتيجه **الفعلية** لهذا النوع من الحركة هي دائماً في آخر المطاف ـ **اتصال** الأجسام

المتحركة ، فهي تسقط في بعضها بعضاً .

جـ ـ ميكانيك الاتصال ـ الأجسام في الاتصال : الميكانيك العادي : الرافعات ، السطوح المائلة ، الخ . بيد أن **نتائج الاتصال لا تستنفذ بذلك** . ان الاتصال يتظاهر مباشرة في شكلين : الاحتكاك والصدمة . وان لكليهما خاصية تكوينهما في درجات معينة من الشدة وفي شروط معينة نتائج **جديدة** ليست هي مجرد نتائج ميكانيكية بعد الآن : **حرارة**،**ضوء** ، **كهرباء** ، **مغناطيسية** .

٢ً ـ **الفيزياء بالخاصة** ، علم أشكال الحركة هذه ، تقرر حقيقة أن هذه الأشكال ، بعد استقصاء كل شكل على حدة ، **ينتقل الواحد الى الآخر** في ظروف معينة وتكتشف في آخر المطاف أنها جميعاً ـ في درجة معينة من الشدة تتفاوت وفق الأجسام المختلفة الموضوعة موضع الحركة ـ تنتج نتائج تتسامى على الفيزياء ، تبدلات في البنية الباطنة للأجسام ـ نتائج **كيميائية** .

٣ً ـ **الكيمياء** . فيما يتعلق باستقصاء الأشكال السابقة للحركة كان من غير الهام أكثر أو أقل ما اذا كانت تعالج الأجسام الحية أو الجامدة . بل ان الأجسام الجامدة تبدي الظواهر في **نقاوتها** الأعظم . ومن جهة أخرى فان الكيمياء لا تستطيع أن تميز الطبيعة الكيميائية لأهم الأجسام الا في المواد التي نشأت عن عملية الحياة ؛ وان واجبها الرئيسي يصبح أكثر فأكثر أن تحضر هذه المواد اصطناعياً . انها تشكل الانتقال الى العلوم العضوية ، بيد أن الانتقال الجدلي لا يمكن أن يحدث الا حين تكون الكيمياء اما حققت الانتقال الفعلي واما هي على وشك أن تفعل ذلك .

٤ً ـ **العضوية** . هنا لن اتطرق الى أية جدلية في الوقت الحاضر .

ونظراً لاستغراقك هناك في خضم العلوم الطبيعية فانك ستكون في أفضل موقع كي تحكم ما اذا كان ثمة شيء في هذا .

المخلص

**ف . إ .**

اذا كنتم أيها الناس تعتقدون أن في هذا الشيء أمراً ما ، فلا تتحدثوا عنه اذن ، بحيث لا يمكن لأي بريطاني خسيس أن يسرقه مني ؛ ان اعطاءه شكلاً سوف يتطلب وقتاً طويلاً بعد .

## ١٤٥

# انجلز الى أ . بيبل

**لندن ، في ٢٠ حزيران ١٨٧٣**

عزيزي بيبل

أرد على رسالتك أولاً لأن رسالة ليبكنخت لا تبرح مع ماركس الذي لا يستطيع أن يحدد موضعها في هذا الوقت بالذات .

لم تكن رسالة هيبنر بل رسالة يورك اليه ، الموقعة من اللجنة ، هي التي سببت لنا هذا الخوف من أن يستخدم سجنك من قبل السلطات الحزبية ، وهي من سوء الحظ لاسالية جميعاً ، لتحويل **فولكستات الى الاشتراكي الديموقراطي الجديد** «شريفة» .

ولقد اعترف يورك صراحة بمثل هذه النية ، وبما أن اللجنة أدعت أنها تملك الحق في تعيين المحررين وعزلهم ، فقد كان الخطر بكل تأكيد كبيرا بما فيه الكفاية . وان نفي هيبنر الوشيك قد زاد من توطيد هذه الخطط . وفي هذه الظروف كان من الضروري بصورة مطلقة بالنسبة الينا أن نعرف حقيقة الوضع : ومن هنا كانت هذه المراسلة ...

فيما يتعلق بموقف الحزب من اللاسالية فمن المؤكد أنك تستطيع أن تحكم بصورة أفضل منا على التكتيك الواجب اتباعه ، وعلى الأخص في الحالات الخاصة . لكن هناك كذلك الأمر التالي الواجب أخذه بعين الاعتبار . حين يكون المرء حتى درجة ما ، كما هي حالتك ، في وضعية منافس للرابطة العامة للعمال الألمان ، فإنه يراعى كذلك بسهولة من جانب خصمه ويقع في عادة التفكير فيه أولاً بصورة دائمة . بيد أن الرابطة العامة للعمال الألمان وحزب العمال الاشتراكي الديموقراطي على حد سواء لا يبرحان يشكلان أقلية ضئيلة جداً فقط من الطبقة العاملة الألمانية . ان رأينا ، الذي وجدنا أن الممارسة الطويلة تؤكده ، هو أن التكتيك الصحيح في الدعاية ليس في اجتذاب عدد من الأفرادومن الأعضاء هنا وهناك من لدن الخصم ، بل العمل بين الكتلة الكبيرة التي لم تسهم في الحركة بعد.ان القوة الخام لفرد واحد نربيه وهو بعد في حالة النقاوة لتساوي أكثر من عشرة مرتدين لاساليين يحملون معهم دائماً الى الحزب

بذور اتجاهاتهم الخاطئة . ولو أنه كان في الامكان فقط إكتساب الجماهير دون **قادتها المحليين** لكان الأمر حسناً لكنه لا بدّ دائماً من أن يؤخذ معها جمهرة من هؤلاء القادة في الصفقة ، وهم مقيدون بأقوالهم العلنية السابقة ، ان لم يكن بآرائهم السابقة ، وعليهم الآن أن يبرهنوا قبل كل شيء أنهم لم يتخلوا عن مبادئهم ، بل الأمر على النقيض من ذلك ، اذ أن حزب العمال الاشتراكي الديموقراطي هو الذي يبشر باللاسالية **الحقيقية** . هذا هو الأمر البائس الذي جرى في أيزنناخ(١) والذي ربما لم يكن في الامكان تفاديه في ذلك الوقت ، لكنه مما لا شك فيه على الاطلاق هو أن هذه العناصر أساءت الى الحزب ، وأنا لست على يقين من أن الحزب لن يكون على الأقل على قدر ما هو عليه من القوة في الوقت الحاضر من دون ذلك التكاثر . ومهما يكن من أمر ، فاني سوف اعتبر من قبيل الكارثة حصول هذه العناصر على الدعم .

يجب ألا يضل المرء طريقه ، بكل هذه الضوضاء من أجل «الوحدة» . إن اولئك الذين تتردد هذه الكلمة في الأغلب على شفاههم هم الذين يزرعون الشقاق ، بالضبط مثل الباكونينيين الجورانيين في الوقت الحاضر ، وقد أثاروا جميع الانقسامات ، الذين لا ينادون بشيء مثل مناداتهم بالوحدة . ان هؤلاء المهووسين بالوحدة إما أناس أصحاب ذكاء محدود يريدون أن يحركوا جميع الأشياء في شراب مخمر واحد لا شكل له اذا ما ترك لحظة ليستقر أهاج من جديد جميع الخلافات ، لكن في تضاد أشد حتى درجة كبيرة لأنها سوف تكون جميعاً اذن في أصيص واحد (ان لديك في ألمانيا مثالاً رائعاً على ذلك في الناس الذين يبشرون بالمصالحة بين العمال والبورجوازية الصغيرة) ـ واما هم أناس يريدون بصورة لاشعورية (على غرار مولبرجر مثلاً) أو شعورية أن يدنسوا الحركة . ولهذا السبب فأن أكثر العصبيين وأعظم المخاصمين والأوغاد يهتفون بأعلى الأصوات من أجل الوحدة . ليس في مدى عمرنا من أثار لنا المتاعب وكان أشد غدراً بنا من المنادين بالوحدة .

---

(١) يشير انجلز الى مؤتمر أيزناخ لعام ١٨٦٩ الذي نظم فيه فيه بصورة رسمية حزب العمال الاشتراكي الديموقراطي في ألمانيا .

من الطبيعي أن كل قيادة حزبية تريد أن تشاهد نجاحات ، وهذا أمر جيد تماماً . بيد أن ثمة ظروفاً لا بدّ للمرء فيها أن يملك الشجاعة من أجل التضحية بنجاحات مؤقتة في سبيل أشياء أهم . وعلى الأخص بالنسبة الى حزب مثل حزبنا ، نجاحه الأخير مؤكد بصورة مطلقة ، وهو قد تطور بصورة هائلة في ايامنا بالذات وتحت أبصارنا الخاصة ، فان النجاحات المؤقتة ليست في حال من الأحوال ضرورية دائماً وبصورة مطلقة . خذ الأممية على سبيل المثال . لقد حصلت بعد الكومونة على نجاح عملاق،ونسب البورجوازيون إليها، بنغمة واحدة ، القوة الكلية ،وحسبت الكتلة الكبيرة من الأعضاء أن الأمور سوف تبقى على هذا الغرار الى الأبد . ولقد كنا نعرف جيداً أن الفقاعة يجب أن تنفجر . ولقد تعلقت الدهماء جميعاً بها ، وأصبح العصبيون داخلها متغطرسين وأساؤوا استخدامها يحدوهم الأمل بأن أدنأ الأعمال وأسخفها سوف تكون متاحة لهم . ولم نسمح بذلك . وإما كنا نعرف جيداً أن الفقاعة يجب أن تنفجر ذات يوم فلم يكن اهتمامنا منصباً على تأخير الكارثة بل على الحرص بأن تخرج الأممية منها نقية لا دنس فيها . وانفجرت الفقاعة في لاهاي،وأنت تعرف أن غالبية أعضاء المؤتمر عادوا الى بلادهم وقد أرهقهم القنوط . ومع ذلك فان قرابة جميع هؤلاء القانطين، الذين تخيلوا أنهم واجدون المثل الأعلى للأخوة العمومية والمصالحة في الأممية ، قد خاضوا في بلدانهم خصومات أمرّ حتى درجة كبيرة من تلك الخصومات التي تفجرت في لاهاي . وان المشاكسين العصبيين يبشرون بالمصالحة حالياً ويشجبوننا على اعتبارنا مشاكسين ودكتاتوريين . ولو أننا خرجنا بطريقة مصالحة في لاهاي ، لو أننا كتمنا حدوث الانشقاق ـ فما عسى كانت النتيجة اذن ؟ كان العصبيون،وبخاصة الباكونينيين، سيحصلون على سنة أخرى يرتكبون فيها ، باسم الأممية ، سخافات ودناءات أعظم من ذي قبل ؛ وكان عمال أكثر البلدان تطوراً سيستديرون عنا في اشمئزاز ؛ وما كانت الفقاعة لتنفجر ، بل كانت نفسّت على مهلتها ووخزات الدبابيس تثقبها ، فاذا عقد المؤتمر التالي ، الذي كان لا بدّ أن يأتي بالأزمة على أي حال ، تحول الى أحط أصناف الشجار الشخصي ، لأن المبادىء ستكون قد ضحي بها مسبقاً في لاهاي . وعندئذ كانت الأممية تتمزق ارباً حقاً ـ تتمزق ارباً من خلال «الوحدة» ! وبدلاً من ذلك تخلصنا في الوقت الحاضر من العناصر المتعفنة بصورة

تشرفنا ـ ان أعضاء الكومونة الذين حضروا الجلسة الأخيرة والحاسمة يقولون ان أية جلسة من جلسات الكومونة لم تترك فيهم مثل هذا الانطباع الرهيب كهذه الجلسة للمحكمة التي أصدرت حكمها على خونة البروليتاريا الأوروبية . لقد تركناهم طوال عشرة أشهر يهرقون جميع طاقاتهم على الأكاذيب والافتراء والكيد ـ وأين هم ؟ إنهم ، هم الممثلين المزعومين للغالبية العظمى من الأممية ، يعلنون بأنفسهم في الوقت الحاضر أنهم لا يجسرون على القدوم الى المؤتمر التالي . (المزيد من التفاصيل في مقالة أرسلت الى **فولكستات** مع هذه الرسالة.) واذا كان لا بدّ لنا أن نفعل ذلك مرة أخرى فإننا، اذا أخذنا الأمر جملة ، لن نتصرف بصورة مغايرة أبداً ـ ومن الطبيعي أن الأخطاء التكتيكية تقع دائماً .

وعلى أي حال ، فاني أرى أن العناصر الفعالة بين اللاساليين سوف تنضم اليكم من تلقاء نفسها في سياق الزمن ، وبالتالي يكون من قبيل الطيش قطف الثمرة قبل نضوجها كما تريد ذلك جماعة الوحدة .

وفيما عدا ذلك ، فان العجوز هيغل قال قبل وقت طويل : ان الحزب يثبت أنه ظافر بالانشقاق وبقدرته على التغلب على الانشقاق . ان حركة البروليتاريا تمر بالضرورة بمراحل مختلفة من التطور ؛ وفي كل مرحلة يتوقف جزء من القوم ولا ينضم الى التقدم التالي ؛ وان هذا وحده ليفسر لماذا يتحقق «تضامن البروليتاريا» في الوقت الحاضر في كل مكان في التجمعات الحزبية المختلفة التي تخوض فيما بينها عداوات حياة أو موت ، كما فعلت الشيع المسيحية في الامبراطورية الرومانية في ظل الاضطهاد الأسوأ .

ويجب ألا تنسى كذلك أنه اذا كان عدد المشتركين في **الاشتراكي الديموقراطي الجديد** أكبر من **فولكستات** ، فمرد ذلك الى أن كل **شيعة** متعصبة بالضرورة وهي تحصل من خلال هذا التعصب،وبصورة خاصة في المناطق حيث تكون حديثة (ومثال ذلك الرابطة العامة للعمال الألمان في شليسويغ ـ هولشتاين) على نجاحات مؤقتة أعظم حتى درجة كبيرة من الحزب الذي يمثل بكل بساطة الحركة الفعلية دونما أية أهواء عصبية . ومن جهة أخرى ، فان التعصب لا يدوم طويلاً .

لا بدّ لي أن أختم رسالتي نظراً لأن البريد على وشك الاغلاق . لأضف فقط على جناح السرعة : لا يستطيع ماركس أن يعالج أمر لاسال حتى تنتهي الترجمة

الفرنسية(١) (حوالي منتصف تموز) ، وبعد ذلك لا بدّ بصورة مطلقة أن يرتاح لأنه أرهق نفسه بالعمل جداً ...

أما أنك قضيت مدة سجنك بصبر وأنك تدرس ، فهذا أمر رائع جداً . سوف نكون سعداء جميعاً برؤيتك هنا في العام المقبل .

تحياتي الودية الى ليبكنخت

المخلص لك

**ف . انجلز**

## ١٤٦

## ماركس الى أ . سورج

**[لندن ،] في ٢٧ ايلول ١٨٧٣**

... كما أرى الشروط الأوروبية فانه من المفيد كلياً أن نتيح للمنظمة السابقة للأممية الانسحاب الى المؤخرة في الوقت الحاضر ، لكن دون أن نفلت اذا أمكن النقطة المركزية في نيويورك بحيث لا يتمكن حمقى مثل بيريه أو مغامرون مثل كلوزوريه من الاستيلاء على القيادة والاساءة الى القضية بأسرها . ان الأحداث وتطور الأمور وتعقدها المحتومين سوف تعنى من جراء نفسها بأن تنهض الأممية من جديد وقد تحسنت شكلاً . ويكفي في الوقت الحاضر ألا ندع الأرتباط مع الناس الأقدر في مختلف البلدان يفلت من أيدينا ، وفيما عدا ذلك ألا نبالي بمؤتمرات جنيف المحلية ، في الحقيقة أن نتجاهلها بكل بساطة . ان القرار الجيد الوحيد المتخذ هناك ، ألا وهو تأجيل المؤتمر لسنتين ، يسهل هذا النمط في العمل . وفضلاً عن ذلك فانه مما يفسد حسابات الحكومات القارية أن شبح الأممية لن يكون في خدمتهم خلال **الحرب الصليبية الرجعية الوشيكة** ؛ وفيما عدا ذلك ، فان البورجوازية في كل مكان تعتبر أن الشبح دُفن نهائياً ...

---

(١) الاشارة الى الترجمة الفرنسية للكتاب الأول من رأس المال .

## ١٤٧

# انجلز الى ماركس

**لندن ، في ١٠ كانون الأول ١٨٧٣**

عزيزي المغربي

تجد طيه ثلاثة انصاف من أوراق ذات الخمسة جنيهات ؛ أرجو أن تبين وصولها في الحال بحيث تتبعها البقية .

ضباب كثيف منذ صباح البارحة استطعت لتوي الافلات منه لساعة قصيرة بقيامي بنزهة في المرج . وهناك كانت السماء الزرقاء وأشعة الشمس الدافئة ، جزيرة من الألق في بحر من الضباب .

ان ذلك النذل رودريخ بنيديكس قد خلف وراءه رائحة كريهة في صورة مجلد سميك ضد «الجنون الشكسبيري» . ولقد أثبت فيه على نحو محكم أن شكسبير لا يستطيع أن يمسك شمعة أمام شعرائنا الكبار ، حتى ولا أولئك الذين من الأزمان الحديثة . ويبدو أنه من الواجب إنزال شكسبير عن قاعدته ورفع بنيديكس السمين مكانه . وعلى أي حال ، فان في الفصل الأول من **الزوجات المرحات** قدراً من الحياة والواقع أكثر مما في كل الادب الالماني ، كما أن لاونس (١) مع كلبه كراب يساوي وحده أكثر من جميع المسرحيات الألمانية مجتمعة . وعلى سبيل التضاد ، فان ر. بنيديكس المضجر ينساق مع مناظرات تضاهي جديتها رخصها بشأن الطريقة غير اللائقة التي غالباً ما يختصر شكسبير بها خاتمات مسرحياته كي ينهي الثرثرة المملة التي هي في واقع الأمر لا غنى عنها مع ذلك . إنه يستحق ذلك .

تلقيت البارحة خارطة جيولوجية عن اقليم الراين . ان التخمينات السطحية التي أجريتها على الطبيعة قد تأكدت في معظمها .

أفضل تمنياتي الى توسي .

المخلص

**ف . إ .**

---

(١) احدى شخصيات مسرحية شكسبير :**سيدان من فيرونا** .

## ١٨٧٤

## ١٤٨

# انجلز الى ف . أ . سورج

**لندن ، في ١٢ ـ ١٧ ايلول ١٨٧١**

... باستقالتك تكون الأممية القديمة قد اختتمت كلياً على أي حال وانتهت ، وهذا أمر حسن . لقد كانت تنتسب الى مرحلة الأمبراطورية الثانية التي فرض فيها الاضطهاد السائد في مختلف أرجاء اوروبا الوحدة والامتناع عن جميع المشادات الداخلية على حركة العمال التي كانت بالضبط في ذلك الحين في سبيلها الى اليقظة من جديد . تلك كانت البرهة حيث يمكن أن تبرز الى المقدمة المصالح الكوسموبوليتية المشتركة للبروليتاريا . فقد كانت ألمانيا وأسبانيا وايطاليا والدانمارك قد انضمت لتوها الى الحركة أو هي في سبيلها الى الانضمام اليها . وكان طابع الحركة النظري لا يبرح في حقيقة الأمر ، عام ١٨٦٤ ، على درجة كبيرة من الغموض في كل مكان في اوروبا ، يعني بين الجماهير . ولم يكن للشيوعية الألمانية وجود بعد من حيث هي حزب عمالي ، وكانت البرودونية واهنة جداً بحيث لا تستطيع أن تعرض على الأنظار هواياتها الخصوصية . ولم يكن هراء باكونين الجديد قد تكون بعد حتى في رأسه الخاصة ، بل ان زعماء النقابات الانكليزية حسبوا أن البرنامج المطروح في مقدمة الأنظمة يوفر لهم القاعدة من أجل الدخول الى الحركة . وكان من المحتم أن يؤدي النجاح الكبير الأول الى تفجير هذا التقدير الساذج لدى جميع الفئات . وكانت الكومونة هذا النجاح ، ومما لا ريب فيه أنها كانت ابنة الأممية فكرياً ، وذلك بالرغم من أن الأممية لم ترفع اصبعاً واحدة من أجل إحداثها ، وقد اعتبرت الأممية حتى درجة ما مسؤولة عنها بحق تام . وحين أصبحت الأممية ، بفضل الكومونة ، قوة معنوية في اوروبا بدأ الشجار في الحال . فقد أراد كل اتجاه أن يستغل النجاح

لنفسه . وبدأ الانحلال الذي لم يكن منه مفر . وان الغيرة من القوة المتعاظمة للرجال الوحيدين الذين كانوا على استعداد بصورة فعلية لمواصلة العمل وفق خطوط البرنامج الشامل القديم ـ الشيوعيين الألمان ـ قد ألقت بالبرودونيين البلجيكيين في أحضان المغامرين الباكونينيين . وكان مؤتمر لاهاي هو النهاية فعلياً ـ بالنسبة الى الفريقين على حد سواء . وكانت أميركا البلد الوحيد الذي يمكن فيه بعد إنجاز أي شيء باسم الأممية ، وقد نقلت اللجنة التنفيذية الى هناك بفعل حدس موفق . ولقد استنفدت حظوتها هناك أيضاً في الوقت الحاضر ، وأي جهد لاحق في سبيل بعثها الى حياة جديدة سوف يكون من قبيل الجنون وتبذير الطاقة . ان الأممية قد سادت طوال عشر سنوات جانباً واحداً من التاريخ الأوروبي ـ الجانب الذي يقوم المستقبل فيه ـ وفي مقدورها أن تنظر القهقرى الى عملها بكل اعتزاز . بيد أنها تجاوزت ، في شكلها القديم ، الفائدة المرجوة منها . ولا بدّ في سبيل إنتاج أممية جديدة على غرار الأممية القديمة من تحالف جميع الأحزاب البروليتارية في جميع البلدان ، ومن قمع عام للحركة العمالية من نمط ذلك القمع الذي ساد من عام ١٨٤٩ حتى عام ١٨٦٤ ، وقد أصبح العالم البروليتاري في الوقت الراهن كبير الحجم وعظيم الامتداد من أجل ذلك . واني أعتقد أن الأممية التالية ـ بعد ما تكون كتابات ماركس قد أنتجت فعلها لعدة سنوات ـ سوف تكون شيوعية بصورة مباشرة وسوف تنادي بمبادئنا على وجه الدقة ...

# ١٨٧٥

## ١٤٩

## انجلز الى أ . بيبل

### لندن ، في ١٨ ـ ٢٨ آذار ١٨٧٥

عزيزي بيبل

تلقيت رسالتك المؤرخة في ٢٣ شباط وأنا سعيد جداً لأنك في مثل هذه الصحة الجيدة .

تسألني ما رأينا في قضية التوحيد . من سوء الحظ أن حالنا مثل حالك . فلم يرسل الينا ليبكنخت أو أي امرىء آخر أية معلومات ، وبالتالي فنحن أيضاً لا نعرف شيئاً الا ما نشر في الصحف التي لم يكن فيها شيء حتى ظهور مسودة البرنامج (١) قبل حوالي أسبوع ! ومن المؤكد أن هذه المسودة أدهشتنا بصورة غير قليلة .

لقد قدم حزبنا بصورة متكررة جداً عروضاً للمصالحة أو على الأقل للتعاون الى اللاساليين ، وصُدَّ بصورة متكررة كثيراً وبكل ازدراء من قبل أمثال هاسنكليفر وهاسلمان وتولك بحيث لا بدّ أن يستخلص أي صبي النتيجة التالية من ذلك : اذا كان هؤلاء السادة قد أتوا الآن وعرضوا المصالحة من تلقاء أنفسهم فلا بدّ أنهم في مأزق لعين . لكن اذا أخذنا بعين الاعتبار الخلق الشهير لهؤلاء الناس فان من واجبنا أن نستخدم مأزقهم كي نشترط كل الضمانات الممكنة ، بحيث لا يتمكنون من استعادة مركزهم المتزعزع في نظر العمال على حساب حزبنا . إن من الواجب

---

(١) الاشارة الى مسودة البرنامج المتخذة في مؤتمر الوحدة للاشتراكية الديموقراطية الألمانية (الأيزناخيين واللاساليين) في غوتا في ٢٢ ـ ٢٧ أيار ١٨٧٥ .

استقبالهم بأقصى البرود والشك ، وجعل الاتحاد وقفاً على مدى استعدادهم للتخلي عن شعاراتهم العصبية وعن مساعدة الدولة التي يطالبون بها وقبولهم برنامج ايزنناخ لعام ١٨٦٩ في خطوطه الأساسية أو لنسخة مراجعة عنه متكيفة مع الوقت الراهن . ان حزبنا **لا يملك شيئاً على الاطلاق يتعلمه** من اللاساليين في المجال النظري ، وبالتالي في الأمور الحاسمة بالنسبة الى البرنامج ، لكنه من المؤكد أن لدى اللاساليين ما يتعلمونه من حزبنا ؛ ان الشرط الأول من أجل الاتحاد يجب أن يكون انقطاعهم عن كونهم عصبيين ، لاساليين ، وقبل كل شيء ان لم يكن التخلي كلياً عن الترياق العمومي الذي هو مساعدة الدولة فالاعتراف به على أي حال من قبلهم من حيث هو تدبير انتقالي ثانوي ، تدبير هو في عداد التدابير العديدة الممكنة الأخرى . ان مسودة البرنامج تبين أن جماعتنا يتفوقون مائة مرة نظرياً على القادة اللاساليين ـ لكنهم دونهم بالنسبة نفسها في المكر السياسي ؛ ان «الشريف» قد خدع مرة أخرى بصورة قاسية من قبل المراوغ .

فأولاً قبلت عبارة لاسال الطنانة لكن المغلوطة تاريخياً : ان جميع الطبقات الأخرى ، بالقياس الى الطبقة العاملة ، انما هي كتلة رجعية واحدة . ليست هذه الفرضية صحيحة الا في حالات استثنائية قليلة : مثال ذلك في ثورة للبروليتاريا مثل الكومونة ، أو في بلد حيث لم تقتصر البورجوازية وحدها على تشكيل الدولة والمجتمع على صورتها الخاصة ، بل حيث عمدت البورجوازية الصغيرة الديموقراطية أيضاً ، في أذيالها ، الى تحقيق هذا التحويل حتى عواقبه الأخيرة . واذا كانت البورجوازية الصغيرة الديموقراطية في ألمانيا ، على سبيل المثال ، قد انتسبت الى هذه الكتلة الرجعية ، فكيف أمكن لحزب العمال الاشتراكي الديموقراطي أن يمشي يداً بيد معها ـ مع حزب الشعب ـ لسنوات عديدة ؟ كيف يمكن **لفولكستات** أن تتناول مجمل محتوياتها السياسية على وجه التقريب من **فرانكفورتر زيتونغ** البورجوازية الصغيرة الديموقراطية ؟ وكيف يحدث أن يتضمن هذا البرنامج ما لا يقل عن سبعة مطالب تتطابق بصورة مباشرة وحرفية مع برنامج حزب الشعب والديموقراطية البورجوازية الصغيرة ؟ إني أقصد المطالب السياسية السبعة ، ١ ـ ٥و١ ـ ٢ ، وليس من بينها

مطلب واحد الا وهو بورجوازي ديموقراطي [1] .

ثانياً ، ان مبدأ كون الحركة العمالية حركة أممية هو كلياً موضع الاستنكار في الوقت الحاضر ، علانية ، وذلك حتى من قبل أناس رفعوا هذا المبدأ بصورة مجيدة طوال سنوات خمس في ظل الشروط الأصعب . إذا كان العمال الألمان قد بقوا في مقدمةالحركة الأوروبية ، فهم يدينون بذلك ، بصورةأساسية ، لموقفهم الأممي السليم إبان الحرب ؛ وليس ثمة بروليتاريا أخرى كان يمكن أن تتصرف بمثل هذه الصورة الجيدة . ولا بدّ الآن من أن يتنكروا هم أنفسهم لهذا المبدأ بالضبط حين يؤكد عليه العمال في كل مكان في الخارج بصورة متساوية مع سعي الحكومات الى قمع كل تظاهرة مجربة له في أي تنظيم ! وماذا يبقى اذن من أممية حركة العمال ؟ إمكانية ضئيلة ـ حتى ليس لتعاون مقبل بين العمال الأوروبيين في سبيل تحررهم ـ كلا ، بل «لأخوة أممية بين الشعوب» في المستقبل ، «لولايات متحدة اوروبية» ينادي بها السادة البرجوازيون في عصبة الصلح !

ولقد كان من غير الضروري على الاطلاق بالطبع أن نتحدث عن الأممية بصفتها هذه . لكنه من المؤكد أن أقل ما كان في الامكان هو عدم القيام بأي تراجع عن برنامج عام ١٨٦٩ والتصريح بما يلي على وجه التقريب : **بالرغم** من أن حزب العمال الألماني يعمل **قبل كل شيء** ضمن حدوده القديمة (انه لا يملك الحق في التكلم باسم

---

(١) ان هذه المطالب السياسية لمسودة برنامج غوثا هي كما يلي :

«ان حزب العمال الألماني يطالب بما يلي من حيث هو الأساس الحر للدولة :

«١ً ـ الاقتراع العام والمتساوي والمباشر السري لجميع الذكور من سن الحادية والعشرين فما فوق لجميع الانتخابات ـ الوطنية والبلدية .

«٢ً ـ التشريع المباشر من قبل الشعب مع حق اقتراع القوانين ورفضها .

«٣ً ـ التدريب العسكري العام . ميليشيا شعبية بدلاً من الجيش الدائم . تقرير الحرب أو السلم من قبل مجلس الشعب لتمثيلي .

«٤ً ـ إلغاء جميع القوانين الاستثنائية ، وبخاصة القوانين عن الصحافة والتجمع وتشكيل الرابطات .

«٥ً ـ محاكم شعبية . ادارة القضاء الحرة .

«ان حزب العمال الألماني يطالب بما يلي من حيث هو الأساس الفكري والخلقي للدولة :

«١ً ـ التعليم الابتدائي العمومي والمتساوي من قبل الدولة . المواظبة المدرسية العمومية الالزامية . التعليم المجاني .

«٢ً ـ حرية العلم . حرية الضمير .»

البروليتاريا الأوروبية وبصورة خاصة الحق في قول أي شيء خاطىء) ، فانه واع لتضامنه مع عمال جميع البلدان وسوف يكون مستعداً دائماً من الآن فصاعداً ، كما كان من قبل حتى الوقت الراهن ، لانجاز الالزامات التي يفرضها عليه هذا التضامن . وان الالزامات من هذا النوع قائمة حتى دون المناداة بها بصورة مباشرة أو اعتبار المرء نفسه جزءاً من الأممية ؛ مثال ذلك المعونة إلى المضربين والنضال ضد محطمي الاضرابات ؛ الأهتمام بأن تطلع أجهزة الحزب العمال على أخبار الحركة في الخارج ؛ التحريض ضد تهديد الحروب السلالية الوشيكة أو الجارية واللجوء إبان هذه الحروب الىالتكتيك الذي نفذ بصورة مثالية في عام ١٨٧٠ وعام ١٨٧١، الخ.

ثالثاً ، لقد سمح جماعتنا بأن يفرض عليهم «قانون الأجور الفولاذي» اللاسالي ، وهو قانون يتركز على نظرة اقتصادية باتت بالية كلياً ، ألا وهي أن العمال لا يتلقون وسطياً الا **الحد الأدنى** من الأجور لأن هناك دائماً ، حسب نظرية مالتوس عن السكان ، عدداً كبيراً جداً من العمال (تلك كانت حجة لاسال) . ولقد أثبت ماركس حالياً بصورة مفصلة في **رأس المال** أن القوانين التي تنظم الأجور بالغة التعقيد ، وأن القانون الواحد يسود أحياناً وأن قانوناً آخر يسود أحياناً أخرى ، حسب الظروف ، فهي بالتالي ليست فولاذية في حال من الأحوال ، بل على العكس من ذلك بالغةالمرونة ، وأن القضية لا يمكن في حال من الاحوال أن تصرف بكلمات قليلة كما تصور لاسال ذلك . أن الحجة المالتوسية التي تؤيد القانون ، والتي نسخها لاسال عن مالتوس وريكاردو (مع تشويه لهذا الأخير) ، كما يمكن أن نصادف ذلك على سبيل المثال في **كتاب القراءة للعامل**، صفحة ٥ ، المستشهد بها من كراسة أخرى للاسال ، قد دحضت مفصلاً من قبل ماركس في القسم عن «تراكم الرأسمال» . وهكذا فاذا تبنينا «القانون الفولاذي» للاسال تورطنا في موضوعة مغلوطة مع برهان مغلوط .

رابعاً ، إن البرنامج يطرح على أنه مطلبه **الاجتماعي الوحيد** ـ مساعدة الدولة التي يطالب بها لاسال في شكلها الاشد عرياً ، مثلما سرقها لاسال من بوشيز . وهذا بعدما فضح براك العبث التام لهذا المطلب [1] وبعدما اضطر جميع متحدثينا الحزبيين على وجه

(١) يشير انجلز الى كراسة ولهلم براك اقتراح لاسال .

التقريب ، إن لم يكن جميعهم كليا ، الى معارضة «مساعدة الدولة» هذه في مناهضتهم للاساليين ! لا يمكن أن يتعرض حزبنا لأسوأ من هذا الاذلال . الأممية وقد انحطت الى أماند غوغ والاشتراكية وقد انحطت الى بوشيز الجمهوري البورجوازي الذي طرح هذا المطلب **في تعارض مع الاشتراكيين** كيما يكافحهم !

وعلى أي حال فإن «مساعدة الدولة» بالمعنى اللاسالي هي على الأكثر مجرد تدبير **وحيد** في جملة تدابير أخرى تستهدف بلوغ الهدف الموصوف هنا بصورة عرجاء على أنه «تعبيد الطريق أمام حل المسألة الاجتماعية» ـ وكأنه لا يزال هناك بالنسبة الينا **مسألة** أجتماعية **غير محلولة** نظرياً ! وهكذا فإذا قال أمرؤ : إن حزب العمال الالماني يسعى الى إلغاء العمل المأجور ومعه الفوارق الطبقية ، باقامة الانتاج التعاوني في الصناعة والزراعة وعلى نطاق وطني ، وهو يؤيد كل وسيلة مناسبة من أجل بلوغ هذه الغاية ! ـ فإن أي لاسالي لا يمكن أن يكون لديه أذن أي اعتراض عليه .

خامساً ، ليس ثمة كلمة عن تنظيم الطبقة العاملة من حيث هي طبقة بواسطة النقابات . وهذه نقطة أساسية جداً ، لأن ذلك هو التنظيم الطبقي الفعلي للبروليتاريا الذي تنفذ فيه نضالاتها اليومية مع الرأسمال ، والذي تتدرب فيه ، والذي لا يمكن اليوم حتى في ملء الرجعية الاسوأ (كما في باريس في الوقت الحاضر) أن يسحق ببساطة . وإذا أخذنا بعين الاعتبار الأهمية التي بلغها هذا التنظيم في المانيا أيضاً كان من الضروري بصورة مطلقة في رأينا أن نأتي على ذكره في البرنامج وإذا أمكن أن نترك له مكاناً مفتوحاً في تنظيم الحزب .

لقد فعلت جماعتنا هذه الأشياء جميعاً من أجل إرضاء اللاساليين . وما الذي تنازل عنه الطرف الآخر؟ أن ركاماً من **مطالب ديموقراطية خالصة** أقرب الى الغموض يجب أن ترد في البرنامج ، والعديد منها مجرد زي شائع ، ومثالها «التشريع من قبل الشعب» الذي يقوم في سويسرا والذي اذا فعل شيئاً على الاطلاق فانه يسيء أكثر مما ينفع . **الادارة** من قبل الشعب ، هذا ما سوف يكون شيئاً ما . وإن الشرط الأول لكل حرية معدوم أيضاً : إن جميع الموظفين يجب أن يكونوا مسؤولين عن جميع أفعالهم الرسمية تجاه كل مواطن أمام المحاكم العادية وحسب القانون ساري المفعول . وأما أن مطالب من نمط حرية العلم وحرية الضمير واردة في كل برنامج بورجوازي

ليبيرالي وهي تبدو هنا غريبة نوعا ما ، فهذا ما لن أقول المزيد عنه .

ان الدولة الشعبية الحرة تتحول الى الدولة الحرة . اذا أخذنا الدولة الحرة بمعناها اللغوي فهي دولة طليقة بالقياس الى مواطنيها ، وبالتالي دولة ذات حكومة مستبدة . ان كل الحديث عن الدولة يجب اهماله ، وعلى الأخص منذ الكومونة التي لم تكن في حال من الأحوال دولة بالمعنى الحقيقي للكلمة . ان الفوضويين قد رموا «الدولة الشعبية» في وجوهنا حتى درجة الاشمئزاز ، بالرغم من أن كتاب ماركس ضد برودون(١) ومن بعد **البيان الشيوعي** قد أعلنا مسبقاً بصورة مباشرة أن الدولة سوف تضمحل من تلقاء ذاتها وتزول مع قيام النظام الاشتراكي للمجتمع . ولما كانت الدولة بالتالي مجرد مؤسسة انتقالية تستخدم في الصراع ، في الثورة ، من أجل اخضاع الخصوم بالقوة ، فانه من قبيل الهراء الخالص الحديث عن دولة شعبية حرة : فبقدر ما تستخدم البروليتاريا الدولة بعد فهي لا تستخدمها في مصالح الحرية بل بغرض اخضاع خصومها ، وحالما يصبح في الامكان الحديث عن الحرية تكف الدولة بصفتها هذه عن الوجود . ولذا فاننا نقترح الاستعاضة عن **الدولة** في كل مكان بكلمة **wesen** ، وهي كلمة ألمانية قديمة صالحة تستطيع أن تعبر بصورة جيدة جداً عن معنى الكلمة الفرنسية «**commune**» .

«الغاء كل تفاوت اجتماعي وسياسي» عبارة مشكوك فيها جداً كذلك في مكان «الغاء جميع الفوارق الطبقية» . فبين كل بلد وبلد ، وأقليم وأقليم ، وحتى محلة ومحلة ، لا بدّ أن يقوم دائماً **بعض** التفاوت في شروط الحياة يمكن ارجاعه الى حد أدنى لكن لا يمكن ازالته كلياً قط . ان السكان الجبليين سوف تكون لهم أبداً شروط حياتية مختلفة عن شروط الناس الذين يعيشون في السهول . ان فكرة المجتمع الاشتراكي من حيث هو مملكة **المساواة** فكرة فرنسية ضيقة تقوم على الشعار القديم «الحرية والمساواة والاخاء» ـ وهي فكرة كانت مسوغة من حيث هي **مرحلة للتطور** في زمانها ومكانها ، لكنه يجب حالياً تجاوزها ، مثلها كمثل جميع الأفكار الضيقة للمدارس الاشتراكية السابقة ، لأنها لا تفعل سوى إلقاء الاضطراب في أذهان الناس ، وقد وجدت أنماط

---

(١) بؤس الفلسفة .

أدق من أجل عرض الموضوع .

لا بدّ لي من التوقف ، بالرغم من أنه في الامكان انتقاد كل كلمة في هذا البرنامج الذي أُلِفَ فضلاً عن ذلك في أسلوب تفه ومترهل . انه من طبيعة بحيث لن يكون في مقدورنا **قط** ، ماركس وأنا ، اذا تمت الموافقة عليه أن نقدم ولاءنا الى الحزب **الجديد** المؤسس على هذه القاعدة ، ولا بدّ لنا أن ننظر بصورة بالغة الجد في كيف يجب أن يكون موقفنا منه ـ بصورة علنية أيضاً . يجب أن تتذكر أننا ، **نحن** ، نحمّل في الخارج مسؤولية كل كلمة وعمل من جانب حزب العمال الاشتراكي الديموقراطي الألماني . **كذلك** يحملنا المسؤولية باكونين في كتابه **الدولة والفوضى** ، حيث لا بدّ لنا أن نجيب عن كل كلمة طائشة قالها أو كتبها ليبكنخت منذ بدئت **Demokratisches Wochenblatt** . ان الناس يحبون أن يتصوروا أننا ندير الحركة كلها من هنا ، في حين أنك تعلم جيداً مثلي أننا لم نتدخل على وجه التقريب مطلقاً بأية طريقة كانت في الشؤون الحزبية الداخلية ، وأننا حين فعلنا ذلك فكي نصحح **فقط** ، بقدر الامكان ، الأخطاء التي نعتقد أنها ارتكبت ، والأخطاء **النظرية وحدها** . وكذلك سوف تدرك بنفسك أن هذا البرنامج يشكل نقطة انعطاف يمكن بكل سهولة أن تحملنا على رفض أية مسؤولية مهما كانت عن الحزب الذي يقبل به .

أن البرنامج الرسمي لأي حزب هو على العموم أقل أهمية مما يفعله الحزب . لكن البرنامج **الجديد** هو على أي حال راية ترفع علانية ، والعالم الخارجي يحكم على الحزب بواسطته . ولذا كان عليه الا يتراجع في حال من الأحوال خطوة الى الخلف ، كما يفعل هذا البرنامج بالمقارنة مع برنامج أيزناخ . ولا بدّ للمرء أن يأخذ كذلك بعين الاعتبار ما سوف يقوله عمال البلدان الأخرى بشأن هذا البرنامج ، وأي انطباع سوف يترتب على هذا الركوع أمام اللاسالية من جانب البروليتاريا الاشتراكية الألمانية بمجموعها .

واني لمقتنع في الوقت نفسه بأن اتحاداً على **هذا** الأساس لن يدوم سنة واحدة . أيجب أن تستسلم أفضل العقول في حزبنا لدراسة التكرارات المستظهرة من غير فهم عن قانون الأجور الفولاذي ومساعدة الدولة ؟ لأود أن أراك تفعل ذلك على سبيل

المثال ! واذا هم فعلوا ذلك فان المستمعين اليهم سوف يزدرونهم . وإنني على يقين من أن اللاساليين سوف يصرون بالضبط على هذه النقاط من البرنامج على غرار اصرار اليهودي شايلوك على اوقيته من اللحم . ولسوف يأتي الانفصال ، لكننا سنكون في هذه الاثناء قد «أعدنا الاعتبار» الى هاسلمان وهاسنكليفر وتولك وشركاهم مرة أخرى ؛ لسوف نخرج من الانفصال أضعف ويخرج اللاساليون أقوى ؛ ولسوف يكون حزبنا قد فقد عذريته السياسية ولن يكون في مقدوره أبداً مرة أخرى أن يعارض بكل إخلاص العبارات اللاسالية التي سجلها اذن لفترة من الزمن على رايته ؛ واذا عاد اللاساليون اذن مرة أخرى الى المناداة بأنهم الحزب الأكثر أصالة ، الحزب العمالي الوحيد ، في حين أن جماعتنا بورجوازيون ، فسوف يكون البرنامج هناك لاثبات ذلك . ان سائر التدابير الاشتراكية فيه تدابيرهم ، وكل ما وضعه حزبنا فيه هو مطالب الديموقراطية البورجوازية الصغيرة الموصوفة مع ذلك من قبله أيضاً في البرنامج نفسه على اعتبارها قسماً من «الكتلة الرجعية» .

لقد تركت هذه الرسالة نائمة هنا نظراً لأن سراحك لن يطلق الا في الأول من نيسان ، احتفاء بعيد ميلاد بسمارك ، وأنا لا أريد أن أعرضها لاحتمال مصادرتها في أية محاولة لتهريبها . وقد وصلت الآن رسالة لتوها من براك الذي يملك هو الآخر شكوكه الخطيرة بشأن البرنامج ويريد أن يعرف رأينا . ولذا فاني أرسل هذه الرسالة اليه أولاً طلباً للسرعة ، بحيث يستطيع أن يقرأها ولا أحتاج أن أكتب هذه الأشياء مرة أخرى . وفضلاً عن ذلك أخبرت رام أيضاً بالحقيقة الناصعة ؛ ولم أكتب الى ليبكنخت الاباقتضاب . ولن أغفر له أنه لم يخبرنا قط بكلمة واحدة عن الأمر كله (فيما حسب رام والآخرون أنه أعطانا المعلومات الصحيحة) حتى فات الأوان اذا جاز التعبير . لكن هذا هو ما فعله دائماً ـ ومن هنا كان القدر الكبير من المراسلات المزعجة التي تبادلناها معه ، ماركس وأنا ، بيد أن الأمر بالغ السوء هذه المرة ، ومن المؤكد أننا لن نسايره .

اجتهد كي تأتي الى هنا في الصيف . لسوف تقيم معي طبعاً ، واذا كان الطقس جيداً نستطيع أن نمضي للاستحمام في البحر ليومين ، الأمر الذي ستحصل منه على

فائدة عميمة بعد اقامتك الطويلة في السجن .

تحياتي الأخوية

المخلص

ف .إ .

## ١٥٠

## ماركس الى و . براك

**لندن ، في ٥ أيار ١٨٧٥**

عزيزي براك .

بعدما تقرأ الملاحظات النقدية الهامشية التالية على برنامج الوحدة(١) تفضل فابعث بها الى حايب وأوير . وببيل وليبيكنخت للدراسة ، اني مشغول بصورة فائقة ولا بدّ لي أن أتجاوز بعيداً حدود العمل المعين لي من قبل الأطباء . ولذا كانت كتابة هذه المقالة الطويلة خالية من «اللذة» مطلقاً . وعلى أي حال فقد كانت ضرورية حتى لا يساء فهم الخطوات التي سأتخذها في وقت لاحق من قبل أصدقائنا في الحزب الذين أعددت هذا البلاغ من أجلهم .

واقع الامر اننا بعد مؤتمر الوحدة سوف نصدر ، انجلز وأنا ، بياناً قصيراً يبين أن موقفنا بعيد كل البعد عن برنامج المبادىء المشار اليه وأنه لا علاقة لنا به مطلقاً .

هذا أمر لا غنى عنه لأنه يسود في الخارج ويُغذى باجتهاد الرأي ـ الرأي الخاطىء كلياً ـ بأننا نوجه سراً من هنا حركة ما يسمى حزب أيزناخ . ولا يبرح باكونين ، في كتاب روسي صدر مؤخراً ، يحملني مسؤولية لا جميع برامج ، الخ ، ذلك الحزب فحسب مثلاً ، بل حتى كل خطوة قام بها ليبكنخت منذ بداية تعاونه مع حزب الشعب .

وفيا عدا ذلك ، فان من واجبي ألا أقدم الاعتراف ، حتى بالسكوت الدبلوماسي ، لما هو في رأيي برنامج غير مرغوب فيه على الاطلاق يحطم معنويات الحزب .

---

(١) المقصود «ملاحظات على برنامج حزب العمال الألماني» أو ما يعرف باسم نقد برنامج غوتا .

ان كل خطوة للحركة الفعلية اهم من اثنتي عشرية من البرامج . وبالتالي فاذا كان من المحال ـ ولم تكن شروط الزمن تسمح بذلك ـ المضي ما وراء برنامج أيزناخ ، فقد كان في الامكان بكل بساطة عقد اتفاق عمل ضد العدو المشترك . لكنه حين يُرسم برنامج للمبادىء (بدلاً من تأجيل ذلك حتى يتم التحضير له بفترة طويلة من النشاط المشترك ، فانه يُطرح أمام العالم أجمع معالم يقيس هذا العالم بها مستوى الحركة الحزبية . لقد جاء القادة اللاساليون الينا لأن الظروف أرغمتهم على ذلك . ولو أنهم أخبروا مسبقاً بأنه لن يكون هناك أية مساومة بشأن المبادىء لاضطروا الى الاكتفاء ببرنامج عمل أو خطة تنظيمية من أجل العمل المشترك . وبدلاً من ذلك يتاح لهم القدوم وهم مسلحون بالتفويضات ، ويُعترف بهذه التفويضات من حيث هي ملزمة ، وبذلك يستسلم دونما شروط لأولئك الذين هم بالذات في حاجة الى المساعدة . وتتويجاً للقضية كلها ، فانهم يعقدون مؤتمراً قبل مؤتمر المواطأة ، بينما يعقد حزبنا مؤتمره[1] post festum . من الواضح أن ثمة رغبة في خنق أي انتقاد وعدم اعطاء حزبنا أية فرصة للتفكير . ان المرء يعرف أن مجرد حقيقة التوحيد مرضية للعمال ، لكنه من الخطل الاعتقاد بأن هذا النجاح المؤقت لم يُدفع ثمنه غالياً جداً .

وفيما عدا ذلك ، فان البرنامج لا يساوي شيئاً ، حتى اذا تركنا جانباً تكريسه لبنود الايمان اللاسالية .

سوف أرسل اليك في المستقبل القريب الأقسام الأخيرة من الطبعة الفرنسية **لرأس المال**[2] . لقد اوقفت الطباعة لفترة كبيرة من الزمن بحظر من الحكومة الفرنسية . سوف يكون الكتاب جاهزاً هذا الاسبوع أو في بداية الأسبوع القادم . هل تلقيت الأقسام الستة السابقة ؟ أرجوك أن تبعث الي بعنوان برنهارد بيكر الذي يجب أن أرسل اليه كذلك الأقسام الأخيرة .

ان لمنشورات **فولكستات** طريقة خصوصية في صنع الأمور . ومثال ذلك أنه لم

---

(١) بعد فوات الاوان .

(٢) ان الترجمة الفرنسية للكتاب الأول من **رأس المال** ، التي أصدرها ماركس نفسه قد ظهرت في أقسام في ١٨٧٢ ـ ١٨٧٥ في باريس .

يُرسل الي حتى هذه اللحظة نسخة واحدة من **محاكمة الشيوعيين في كولونيا** .
مع أطيب تمنياتي .

المخلص

**كارل ماركس**

## ١٥١

## انجلز الى أ . بيبل

**لندن ، في ١٢ تشرين الأول ١٨٧٥**

عزيزي بيبل

ان رسالتك تؤكد كلياً رأينا بأن التوحيد كان غلطـة من جانبنا وهو يحمل في احشائه بذرة الانفصال المقبـل . وانـه ليكون أمـراً جيداً اذا أمـكن تأجيل هذا الانفصال حتى بعد الانتخابات القادمة للرايخستاغ .

ان البرنامج ، كما هو في الوقت الحاضر ، يتألف من ثلاثة أقسام :

١ً ـ من المبادىء والشعارات اللاسالية التي يظل تبنيها عاراً بالنسبة الى حزبنا . حين تريد فئتان أن تتفقا على برنامج تضمنانه ما تتفقان عليه ولا تمسـان فيه ما تختلفان عليه . وصحيح أن مساعدة الدولة اللاسالية كانت في برنامج ايزناخ ، لكن من حيث هي **واحد من تدابير انتقالية** عديدة ، وكان من الواجب بصورة مؤكدة على وجه التقريب ، وفقاً لجميع الأشياء التي سمعتها ، أن ترفض بناء على طلب من براك في مؤتمر هذا العام **لولا** التوحيد . وهذه هي ترد الآن من حيث هي الترياق الوحيد الذي لا يخطىء لجميع الأدواء الاجتماعية . لقد كانت هزيمة معنوية كبرى لحزبنا أنه سمح بأن يفرض عليه «قانون الأجور الفولاذي» وغير ذلك من العبارات اللاسالية . لقد آمن بدستور الايمان اللاسالي ، هذا ما لا يمكن انكاره . ان هذا القسـم من البرنامج هو المهلك الذي زحف حزبنا تحته لتعظيم مجد لاسال المقدس .

٢ً ـ من المطالب الديموقراطية التي وضعت كلياً بروح حزب الشعب وأسلوبه .

٣ً ـ من المطالب المقدمة الى «الدولـة **الراهنـة**» (لا يدري انسـان لمن قدمت «المطالب» الأخرى) ، وهي ملتبسة جداً وغير منطقية .

٤ً ـ من المبادىء العامة ، ومعظمها مأخوذ عن **البيان الشيوعي** وانظمة الأممية ، لكن بعد ما أعيدت صياغتها بطريقة تتضمن معها إما ما هو **زائف كلياً** وإما ما هو **هراء ولغو خالص** ، كما بين ماركس بالتفصيل في الدراسة التي تعرفها(١) .

ان البرنامج برمته مضطرب ، وملتبس ، ومتفكك ، وغير منطقي ، ومخزٍ . ولو أن الصحافة البورجوازية كانت تملك رجلاً واحداً ذا فكر نقدي لتناول هذا البرنامج عبارة عبارة ، واستقصى المضمون الفعلي لكل عبارة ، وبين عبثه بأعظم الوضوح ، وأماط اللثام عن تناقضاته وأخطائه الاقتصادية البلهاء (مثال ذلك أن أدوات العمل هي في الوقت الحاضر «احتكار الطبقة الرأسمالية» فكأنه ليس هناك ملاكون للأرض ؛ والحديث عن «تحرير **العمل**» بدلاً من تحرير الطبقة العاملة ، نظراً لأن العمل بحد ذاته **حر حتى درجة كبيرة** في الوقت الحاضر كما هو واقع الحال !) وأظهر حزبنا بأسره سخيفاً بصورة تبعث على الهلع . وبدلاً من ذلك تتناول الصحف البورجوازية البلهاء هذا البرنامج بكل جدية ، وتقرأ فيه ما لا يتضمنه وتفسره بصورة شيوعية . ويبدو أن العمال يفعلون الشيء نفسه . وان **هذا الظرف وحده** هو الذي حملنا ، ماركس وأنا ، على عدم الانفصال عن مثل هذا البرنامج بصورة علنية . فطالما أن خصومنا والعمال أيضاً ينظرون الى هذا البرنامج من حيث هو يجسد نوايانا فاننا نستطيع أن نسمح لأنفسنا بالسكوت عنه .

اذا كنت راضياً عن النتيجة التي تحققت في مسألة التركيب الشخصي فلا بدّ أننا تنازلنا حتى درجة كبيرة في مطالبنا . اثنان من جماعتنا وثلاثة لاساليين ! وهكذا فليست جماعتنا هنا أيضاً بالحلفاء الذين يتمتعون بحقوق متساوية بل عناصر مغلوبة أكثرية الأصوات ضدها منذ البداية . وان نشاطات اللجنة ، بقدر ما نعرفها ، ليست بالنشاطات البناءة أيضاً : ١ً ـ القرار **بعدم** اشتمال قائمة الأدبيات الحزبية على مؤلف براك ومؤلفي ب . بيكر عن اللاسالية(٢) ؛ واذا ألغي هذا القرار فلن تكون تلك خطيئة

---

(١) المقصود نقد برنامج غوتا .

(٢) المقصود اقتراح اللجنة بشطب المؤلفات ضد اللاسالية التالية من قائمة الأدبيات الحزبية : **كشوف عن وفاة فرديناند لاسال المأسوية** و**تاريخ عمل لاسال التحريضي بين العمال** لبرنهارد بيكر، وكذلك **اقتراح لاسال** لوهلم براك .

اللجنة أو ليبيكنخت ؛ ٢ً ـ تعليات الى فاهلتايش تحظر عليه قبول مركز مراسل Frankfurter Zeitung الذي عرضها سونمان عليه . ان سونمان نفسه أخبر ماركس بذلك وقد التقى به في رحلة . وان ما يدهشني أكثر من صلف اللجنة والسهولة التي خضع بها فاهلتايش بدلاً من عدم الاستجابة الى طلبهم هو السخافة الهائلة لهذا القرار . لقد كان من واجب اللجنة بالأحرى أن تهتم بأن يكون جماعتنا الوحيدين الذين يخدمون صحيفة مثل Frankfurter Zeitung ...

اما أن الأمر كله تجربة تربوية تبشر بأن تكون ناجحة جداً حتى في مثل هذه الظروف ، فهذا ما أنت مصيب تماماً فيه . ان التوحيد بصفته هذه سوف يكون نجاحاً عظيماً اذ استمر سنتين . لكن مما لا ريب فيه أنه كان يجب أن يتم بصورة أرخص جداً ...

## ١٥٢

## انجلز الى أ . بيبل

**[لندن ،] في ١٥ تشرين الأول ١٨٧٥**

...يشكو ماركس جدياً بشأن الملحوظة غير المفهومة في العدد ١٠٤ على الفقرة من كتابه **ضد برودون** («ان الاشتراكيين والاقتصاديين على حد سواء قد أدانوا التركيبات الائتلافية») ، قائلاً ان اولئك كانوا «اشتراكيين من سلالة برودون»(١) . فاولاً لم يكن في الوجود في ذلك الحين اشتراكي واحد من سلالة برودون باستثناء برودون نفسه . وثانياً فان تأكيد ماركس ينطبق على جميع الاشتراكيين الذين ظهروا حتى ذلك الحين (باستثنائنا نحن الاثنين(٢) اللذين كنا مجهولين في فرنسا) بقدر ما توفرت لهم الفرصة لمعالجة التركيبات الائتلافية ـ وروبرت اوين يقود الموكب . وان الشيء نفسه لينطبق

---

(١) المقصود ملحوظة على مقالة «كارل ماركس بخصوص الاضرابات والتركيبات الائتلافية العمالية» المنشور في **فولكستات** ، وكانت تتضمن مقتطفات من كتاب ماركس **بؤس الفلسفة** المترجم الى الألمانية .

(٢) في رسالة الى ج . لودلوف بتاريخ ١٠ نيسان ١٨٦٩ كتب ماركس بخصوص تقديره للنقابات في **بؤس الفلسفة** : «ما دمت تستشهد بردي على برودون : **بؤس الفلسفة** ، فلا يمكن الا أن تدرك من فصله الأخير أنه حين اتفق جميع الاقتصاديين السياسيين وجميع الاشتراكيين على نقطة واحدة هي ادانة **النقابات** ، فقد برهنتُ على ضرورتها التاريخية .

على أنصار أوين ، ومن بين الفرنسيين على كابيه . ولما لم يكن لحق الائتلاف وجود في فرنسا فان هذه المسألة لم يُتطرق اليها الا قليلاً هناك . لكنه لما لم يكن هناك قبل ماركس الا اشتراكية اقطاعية وبورجوازية وبورجوازية صغيرة وطوباوية ، أو خليط من عدد مختلف من هذه العناصر ، كان من الواضح أن جميع هؤلاء الاشتراكيين الذين كان كل واحد منهم ينادي بأنه يملك علاجاً معيناً ويقف خارج حركة الطبقة العاملة الفعلية يمثلون كل شكل من أشكال الحركة الفعلية ، وبالتالي الائتلافات والاضرابات أيضاً ، من حيث هو طريق مزيفة تبعد الجماهير عن الدرب الوحيدة المؤدية الى الخلاص ، درب الايمان الحقيقي . وهكذا ترى أن الملحوظة لم تكن خاطئة فحسب ، بل سخيفة كلياً . بيد أنه يلوح أنه من المحال بالنسبة الى جماعتنا ، على الأقل بالنسبة الى عدد منهم ، أن يقتصروا في مقالاتهم على ما فهموه بصورة فعلية . وبرهاناً على ذلك خذ العواميد التي لا نهاية لها ، الاشتراكية نظرياً في مضمونها ، التي دبجت من قبل ك ـ ز وسيماكوس[1] وجميع الآخرين من ذلك الرهط الذين توفر اخطاؤهم الاقتصادية وأراؤهم المغلوطة وجهلهم بالأدبيات الاشتراكية أفضل الوسائل من أجل التدمير التام للتفوق النظري الذي تحلت به الحركة الألمانية حتى الوقت الراهن.ولقد كان ماركس على وشك اصدار تفسير بسبب هذه الملحوظة .

لكن كفى شكاوى . إني آمل بأن تتجسد الأمال والتوقعات العزيزة بخصوص التوحيد الذي جرى بعجلة طائشة ، وبأن يكون في الامكان رد جمهور اللاساليين عن عبادتهم للاسال الى تصور عاقل لمركزهم الطبقي الفعلي ، وبأن يحدث الانشقاق ، الذي هو آت بالتأكيد مثلما ٢ × ٢ = ٤ ، في ظروف ملائمة لنا . وأما أنه لا بدّ لي من الايمان بجميع هذه الاشياء ، فتلك مبالغة في الطلب .

وتظل روسيا هي البلد الذي يجب أن نركز عليه معظم انتباهنا ، بالاضافة الى ألمانيا والنمسا . فالحكومة هناك ، بالضبط كما هي الحال عندنا ، هي حليف الحركة الرئيسي . بيد أنها حكومة أفضل حتى درجة كبيرة من حكومة أصحابنا بسمارك وستيبر ـ يسيندورف . ان حزب البلاط الروسي ، الذي ثبت الآن أقدامه بصورة

---

(١) اسمان كان كاوتسكي يوقع بهما كتاباته .

جيدة ، يحاول أن يسترد جميع التنازلات المعطاة خلال سنوات «العصر الجديد» الذي بوشر عام ١٨٦١ ، وبطرق روسية حقيقية فضلاً عن ذلك . وهكذا مرة أخرى فان «أبناء الطبقات العليا» وحدهم هم الذين يسمح لهم بالدراسة ، وفي سبيل تنفيذ هذه السياسة يُحمل جميع الآخرين على السقوط في امتحانات التخرج . وفي عام ١٨٧٣ وحده كان ذلك هو نصيب ٢٤٠٠٠ شاب سدت عليهم جميعاً أبواب المستقبل ، كما حظر عليهم بكل وضوح أن يصبحوا حتى معلمين في المدارس الابتدائية . ومع ذلك يدهش الناس لانتشار «العدمية» في روسيا . ولو أن فالستر الذي يعرف الروسية درس بعض الكراسات المنشورة من قبل المعارضة الليبيرالية والصادرة في برلين عند بيهر أو لو كان في الامكان العثور على امرىء يملك معرفة مناسبة باللغة البولونية ليقرأ صحف لمبرغ ( مثلاً Gozeta Narodo va و Dziennik Polski!) ويأخذ مقتطفات من هذه الأشياء ، فان في مقدور فولكستات أن تصبح أفضل صحف اوروبا بخصوص القضايا الروسية . انه ليبدو على وجه التقريب وكأن الرقصة التالية سوف تبدأ في روسيا . واذا وقع ذلك بينما الحرب المحتومة بين الرايخ البروسي وروسيا هي في تقدم ـ وهو أمر محتمل جداً ـ فان الأصداء في ألمانيا سوف تكون محتومة هي الأخرى .

ان ماركس يبعث اليك بأفضل تمنياته .

المخلص لك

**ف . انجلز**

افضل التمنيات الى ليبكنخت .

## ١٥٣

## انجلز الى ب . ل . لافروف

**لندن ، في ١٢ ـ ١٧ تشرين الثاني ١٨٧٥**

عزيزي السيد لافروف

أخيراً،بعد عودتي من رحلة الى ألمانيا ، تناولت مقالتك(١) التي قرأتها لتوي باهتمام

(١) يقيم انجلز في هذه الرسالة ، بناء على طلب لافروف ، مقالة هذا الأخير بعنوان «الاشتراكية والصراع من أجل الوجود» المنشورة في فبيريود في عدد ايلول ١٥ (٣) ١٨٧٥ .

كبير . واليك ملحوظاتي عليها ، مصوغة بالألمانية ، الأمر الذي يتيح لي أن أكون أعظم وضوحاً .

١ً ـ من العقيدة الدارونية أقبل **نظرية التطور** ، لكن طريقة داروين في البرهان (الصراع في سبيل الحياة ، الانتقاء الطبيعي) أعتبرها مجرد تعبير أولي ومؤقت وناقص عن حقيقة مكتشفة حديثاً . وحتى زمن داروين كان نفس الأشخاص الذين لا يرون الآن في كل مكان الا **الصراع** في سبيل الوجود (فوغت ، وبوخنر ، ومولیشوت ، الخ) يشددون بالضبط على **التعاون** في الطبيعة العضو،على حقيقةأن المملكة النباتية تزود المملكة الحيوانية بالأوكسجين والغذاء فيما المملكة الحيوانية على العكس من ذلك تزود النباتات بحمض الفحم والسماد ، الأمر الذي أكد عليه ليبيغ بصورة خاصة . ان كلا المفهومين مسوغان ضمن حدود معينة ، لكن كلاً منهما لا يقل انحيازاً وضيقاً عن الآخر . ان تفاعل الأجسام في الطبيعة ـ الجامدة والحية جميعاً ـ يتضمن الانسجام والصدام ، الصراع والتعاون على حد سواء . وبالتالي فحين يتخذ عالم طبيعي مزيف حرية ارجاع كل التطور التاريخي بجميع ثرائه وتنوعه الى عبارة ضيقة وهزيلة هي «الصراع من أجل الوجود» ، وهي عبارة لا يمكن قبولها حتى في مجال الطبيعة الا cum grano salis(١) ، فان مثل هذه العملية تنطوي فعلياً على ادانتها الخاصة .

٢ً ـ من «الدارونيين الراسخين» الثلاثة الذين تستشهد بهم يبدو أن هيلوالد وحده يستأهل الذكر . ان سايدليتز نجم ضئيل جداً على الأكثر وروبرت باير روائي تصدر في الوقت الحاضر من رواياته **ثلاث مرات** في **Uber Land und Meer** . وان هذا لمكان مناسب من أجل تفاخره كله .

٣ً ـ لا أنكر ميزات طريقتك في الهجوم التي أود أن أسميها سيكولوجية ؛ بيد أنني كنت أختار طريقة أخرى . ان كل واحد منا متأثر أكثر أو أقل بالبيئة الفكرية التي يتحرك في وسطها في المقام الأول . وبالنسبة الى روسيا ، حيث تعرف جمهورك بصورة أفضل مني ، ومن أجل صحيفة دعائية تتوجه الى حس الجماعة،الحس الأخلاقي ، فمن الأرجح أن طريقتك هي الفضلى . وبالنسبة الى ألمانيا ، حيث العاطفية المزيفة

(١) مع حبة ملح .

اساءت ولا تبرح تسيء جدا ، فهي غير مناسبة ؛ لسوف يساء فهمها ، وتشوه عاطفياً . ان الحقد بالأحرى من الحب هو اللازم في بلادنا ـ على الأقل في المستقبل المباشر ـ وأكثر من أي شيء آخر طرح بقايا المثالية الألمانية ، وإقامة الحقائق المادية في حقوقها التاريخية . ولذا فاني أفضل أن أهاجم ـ ولعلي أفعل حين يحين الأوان ـ هؤلاء الدارونيين البورجوازيين بالطريقة التالية تقريباً :

ان كل التعاليم الدارونية عن الصراع في سبيل الوجود مجرد نقل من المجتمع الى الطبيعة الحية لعقيدة هوبس عن bella omnium contra omnes(١) وللعقيدة الاقتصادية البورجوازية عن المزاحمة جنباً الى جنب مع مذهب مالتوس عن السكان . وإما تتحقق حيلة المشعوذ هذه (وأني لأشك في جوازها المطلق ، كما أشرت الى ذلك في النقطة ١ ، وعلى الأخص بقدر ما يتعلق الأمر بالنظرية المالتوسية) ، فان النظريات نفسها تنقل من جديد من الطبيعة العضوية الى التاريخ ويزعم اذن أن صلاحيتها من حيث هي قوانين أزلية للمجتمع الأنساني قد أثبتت . ان صبيانية مثل هذه العملية واضحة جداً بحيث لا حاجة الى قول كلمة عنها . لكنني اذا شئت أن أتناول الموضوع بشمول أعظم فعلت ذلك بوصفهم قبل كل شيء على اعتبارهم **اقتصاديين** رديئين ومن بعد على اعتبارهم علماء طبيعيين وفلاسفة رديئين .

٤ ـ ان الفارق الجوهري بين المجتمع الانساني والحيواني يستقيم في حقيقة أن الحيوانات **تجمع** في الأغلب بينما البشر **ينتجون** . ان هذا الفارق الوحيد لكن الرئيسي يكفي وحده ليجعل من المحال نقل قوانين المجتمعات الحيوانية بكل بساطة الى المجتمعات البشرية . انه يجعل من الممكن ، كما تلاحظ بحق ، «بالنسبة الى الانسان أن يناضل ليس من أجل الوجود فحسب بل من أجل الملذات **ومن أجل زيادة ملذاته** ... أن يكون على استعداد للتخلي عن ملذاته الوضيعة من أجل لذة أعلى .» ودون أن أنازع في استنتاجاتك التالية سوف أحصل من هذا الاستنتاج ، منطلقاً من مقدماتي ، على الاستدلالات التالية : في مرحلة معينة يبلغ انتاج الانسان بهذه الطريقة مستوى عالياً جداً بحيث لا تنتج الأشياء الضرورية فحسب ، بل السلع

(١) حرب الجميع ضد الجميع .

الترفية أيضاً ، وذلك للأقلية وحدها حقاً . وهكذا يتحول الصراع من أجل الوجود - اذا قبلنا هذه المقولة مؤقتاً على أنها صالحة - الى الصراع في سبيل الملذات ، ليس في سبيل وسائط **البقاء** وحدها بعد الآن ، بل في سبيل وسائط **التطور** ، وسائط التطور المنتجة **اجتماعياً** ، فالمقولات المشتقة من المملكة الحيوانية لا تنطبق بعد الآن على هذه المرحلة . لكنه اذا أنتج الانتاج في شكله الرأسمالي، كما يحدث في الوقت الحاضر ، كمية من وسائط البقاء والتطور أعظم كثيراً مما يستطيع المجتمع الرأسمالي استهلاكه لأنه يستبعد من وسائط البقاء والتطور هذه ، بصورة مصطنعة ، الكتلة العظمى من المنتجين الفعليين ؛ واذا كان هذا المجتمع ملزماً باستمرار ، بفعل قانون حياته بالذات ، أن يزيد هذا الانتاج الذي هو منذ الآن ضخم جداً بالنسبة اليه ، وبالتالي يبلغ دورياً ، كل عشر سنوات ، نقطة لا يدمر فيها كتلة من المنتجات فحسب بل قوى انتاجية أيضاً - فما المعنى الذي تبغى اذن في كل هذا الحديث عن «الصراع من أجل الوجود» ؟ إن الصراع من أجل الوجود لا يستطيع اذن ان يستقيم الا فيما يلي : ان تستلم الطبقة المنتجة ادارة الانتاج والتوزيع من الطبقة التي عُهد اليها بذلك حتى الوقت الحاضر ، لكنها باتت الآن غير كفؤة لمعالجته ، وعندئذ تكون لديك الثورة الاشتراكية .

وبالمناسبة . ان مجرد تأمل التاريخ السابق من حيث هو سلسلة من النضالات الطبقية يكفي لوحده من أجل ايضاح الضحالة التامة لتصور هذا التاريخ من حيث هو نوع واهن من «الصراع في سبيل الوجود» . وبالتالي فاني لن أقدم قط هذه الخدمة الى هؤلاء العلماء الطبيعيين المزيفين .

٥ً - وللسبب نفسه فقد كنت أغير وفقاً لذلك صياغة هذا الاقتراح الذي تقدمه والذي هو بصورة جوهرية صائب تماماً : أنه في سبيل تسهيل **النضال** فان فكرة التضامن تستطيع في آخر الأمر ... ان تنمو حتى درجة تشمل معها الجنس البشري بأكمله وتجابه به ، من حيث هو مجتمع من الأخوة الذين يحيون متضامنين ، بقية العالم - عالم المعادن، والنباتات ، والحيوانات .

٦ً - ومن جهة أخرى لا أستطيع أن أوافقك على أن **حرب الجميع ضد الجميع**

كانت الطور الأول من التطور الانساني . ففي رأيي أن الغريزة الاجتماعية كانت احدى الروافع الأكثر جوهرية في تطور الانسان من القرد . فلا بدّ ان البشر الأولين عاشوا في عصابات ، ونحن بقدر ما نستطيع استجلاء الماضي نرى أن الحالة كانت كذلك .

١٧ تشرين الثاني . لقد قوطعت مرة أخرى وأنا أستأنف الآن هذه السطور بفكرة ارسالها هذا اليوم بالذات . انك ترى ان ملاحظاتي تتعلق بشكل ، بطريقة مهاجمتك بالأحرى من جوهرها . أرجو أن تجدها واضحة بما فيه الكفاية . لقد كتبتها في عجلة ، واذ أعيـد قراءتها يخطر لي جداً أن أغير عدداً كبيراً من الكلمات ، لكنني أخشى أن يؤدي ذلك الى جعل المخطوطة عسيرة جداً على القراءة .

مع تمنياتي الودية .

**ف . انجلز**

# ١٨٧٦

## ١٥٤

## انجلز الى ماركس

**رامسغيت ، في ٢٨ أيار ١٨٧٦**

عزيزي المغربي

انك لتتحدث عن ذلك على هواك . فأنت تستطيع أن تضطجع في فراشك الوثير وأن تدرس الريع العقاري عامة والشروط الزراعية الروسية خاصة دون أن يعكر شيء صفوك . أما أنا فلا بدّ لي من الجلوس على المقعد القاسي ، وأن ارتشف النبيذ البارد ، ثم أتخلى عن كل شيء لأجري من جديد وراء فروة رأس دوهرنغ المضجر . ومهما يكن من أمر ،فمما لا ريب فيه أنه ليس ثمة سبيل آخر ، ما دمت انخرطت في مشادة ليست نهايتها مرئية ؛ وعلى أي حال ، فلن أعرف الراحة لولا ذلك . ومن ثم فان اطراء الصديق موست لكتاب دوهرنغ **مبحث الفلسفة** قد بين لي على وجه الدقة أين وكيف أوجه الهجوم . فلا بدّ من تناول هذا الكتاب الى جانب الكتاب الآخر لأنه يكشف بصورة أفضل ، في نقاط حاسمة عديدة ، الجوانب والأسس الضعيفة للحجج المقدمة في **الاقتصاد**[١] . ولسوف أطلبه في الحال . انه لا يحتوي على أي شيء مطلقاً من الفلسفة بكل معنى الكلمة ـ المنطق الصوري ، والجدلية ، والميتافيزياء ، الخ ؛ انه ليفترض فيه بالأحرى أن يمثل نظرية عامة عن العلم تعالج فيها الطبيعة والعلم والمجتمع والدولة والقانون ، الخ ، بما يزعم أنه ترابط باطن . وان ثمة قسماً كاملاً أيضاً يوصف فيه مجتمع المستقبل ، أو ما يسمى المجتمع «الحر» ، في مظاهره الاقتصادية الأقل ، وفي جملة أشياء أخرى وضعت منذ الآن المناهج من أجل المدارس الابتدائية

(١) أوجين دوترنغ : التاريخ النقدي للاقتصاد السياسي والاشتراكية .

والثانوية . وهكذا صيغت التفاهات هنا بشكل أبسط منها في كتاب الاقتصاد ، واذا ما تناول المرء المؤلفين معاً استطاع أن يفضح الفتى من هذا الجانب أيضاً في الوقت نفسه . وبالنسبة الى مفهوم السيد النبيل عن التاريخ ـ الذي يرتد الى الزعم بأنه لم يكن هناك الا الهراء حتى قدوم دوهرنغ ـ فان هذا الكتاب يتحلى بميزة اضافية هي أن المرء يستطيع أن يستشهد بكلماته البلهاء تماماً بالذات . ومهما يكن من أمر ، فقد أخذته على عاتقي الآن . ان مشروعي جاهز . فأولاً سوف أعالج هذا الهراء بطريقة موضوعية خالصة وجدية ظاهرياً ، ومن ثم يشتد النقد بقدر ما تأخذ البراهين تتراكم على اللغو من جهة واحدة وعلى التفاهات من جهة أخرى ، حتى تنقض عليه الضربات أخيراً مثل عاصفة نظامية مصحوبة بالبَرَدَ . وبهذه الطريقة فان موست وشركاه يحرمون من أي أساس لتوجيه الاتهام «بالعداء» ، كما ينال دوهرنغ ما يستحقه على أي حال . يجب أن يبين لهؤلاء السادة أن هناك أكثر من طريقة واحدة من أجل تصفية الحساب مع أناس من هذا الصنف .

آمل أن ينشر وهلهم (١) مقالة موست في **Neue Welt** التي من الواضح أنها كتبت لها . وكما هي العادة فان موست لا يستطيع حتى أن ينسخ بصورة صحيحة وبذلك يحمل دوهرنغ مسؤولية الحماقات الأبعث على الضحك في ميدان العلوم الطبيعية ، ومثال ذلك انفصال **الحلقات** (وفقاً لنظرية كانط) من **النجوم الثابتة** !

ليس الأمر مع وهلهم مجرد نقص في المخطوطات ـ فهذا يمكن التغلب عليه بمقالات أخرى عن المواضيع اليومية ، الخ ، كما جرى في زمن هيبنر وبلوس . ان من هواه أن يسد النقائص في نظريتنا ، أن يحصل على جواب عن كل اعتراض مراء ، وأن يقدم لوحة عن مجتمع المستقبل لأن البورجوازي الصغير يسأل على أية حال الأسئلة عنه ، وفضلاً عن ذلك أن يكون مستقلاً عنا نظرياً قدر الامكان . ولقد حقق دائماً في هذا المجال ، من جراء افتقاره التام الى أية نظرية على الاطلاق ، نجاحاً أفضل حتى درجة كبيرة مما يعرف هو نفسه . لكنه يضعني بذلك كله في مركز لا أستطيع فيه الا أن أقول لنفسي ان دوهرنغ هو على أي حال رجل مثقف بالمقارنة مع الخائبين في

---

(١) ليبكنخت .

**فولسكتات** ، وأعماله هي على أي حال أفضل من أعمال هؤلاء السادة الغامضين ذاتياً وموضوعياً ...

ان اعادة مطالعتي للتاريخ القديم ودراساتي في العلوم الطبيعية قد قدمت لي خدمة جلى من أجل قضية دوهرنغ وسهلتها علي حتى درجة كبيرة بطرق عديدة . وبصورة خاصة في العلوم الطبيعية أجد أن التربة باتت أكثر ألفة لدي حتى درجة كبيرة وأني أستطيع أن أتحرك عليها بقدر معين من الحرية والسلامة ، بالرغم من أنه لا بدّ لي من الحرص البالغ . ولقد بدأت أرى نهاية هذا العمل أيضاً . فقد جعل الشيء يتخذ شكلاً في رأسي ، والتسكع هنا على ساحل البحر حيث أستطيع أن أفلت العنـان للتفاصيل في ذهني ساعد في الأمر بقدر كبير . وفي هذا الحقل الهائل لا بدّ للمرء بصورة مطلقة من أن يقطع دراسته المجتهدة النظامية من حين لآخر وأن يهضم ما ازدرده .

ان الهر هيلمولتز لم يتوقف قط عن مطاردة الشيء في ذاته منذ **١٨٥٣** ولم يحصل بعد على نظرة واضحة عنه . أن الرجل لا يخجل من تكرار الحماقات التي نشرها **قبل صدور مؤلف داروين** .

ليزي وأنا نرسل أفضل تمنياتنا لكم جميعاً . سوف نعود مرة أخرى الى لندن يوم الجمعة . يسعدني جداً أن بومبس طورت أسلوبها بمثل هذه الصورة الجيدة . أنا طبعاً ألاحظ ذلك أيضاً ، لكن ضمن حدود أقل .

المخلص

**ف . إ .**

## ١٥٥

# ماركس الى أ . سورج

**لندن ، في ٢٧ ايلول ١٨٧٧**

هذه الأزمة (١) نقطة تحول جديدة في التاريخ الأوروبي . ان روسيا ـ وقد درست الشروط هناك من المصادر الروسية الأصلية ، غير الرسمية والرسمية (وهذه الأخيرة ليست في متناول الا عدد ضئيل من الأشخاص ، لكن الحصول عليها من أجلي قد تم بواسطة أصدقاء في بطرسبورج) ـ تقف منذ زمن طويل على عتبة انتفاضة ؛ ان جميع عناصرها مهيأة ولقد عجّل الأتراك الظرفاء بالانفجار بسنوات بالضربة التي أنزلوها ليس بالجيش الروسي والمالية الروسية وحدهما ، بل بأشخاص من العائلة المالكة بالذات التي تقود الجيش (القيصر ، ووريث العرش ، وستة آخرين من آل رومانوف) . ان الانتفاضة سوف تبدأ Secondum artem (٢) ، مع بعض اللعب على لحن الدستورية ، (٣) et puis il y aura un beau tapage . واذا لم تكن الأم الطبيعية مناوئة لنا بصورة خصوصية ، فسوف نحيا كي نشاهد المهزلة !

ان الهراء السخيف الذي يأتيه الطلاب الروس مجرد عَرَض عديم القيمة بحد ذاته . بيد أنه عَرَض . ان جميع أقسام المجتمع الروسي في ملء التفسخ اقتصادياً وأخلاقياً وفكرياً .

هذه المرة تبدأ الثورة في الشرق الذي كان حتى الوقت الحاضر الحصن الحصين والجيش الاحتياطي للرجعية .

---

(١) المقصود الحرب الروسية التركية في ١٨٧٧ ـ ١٨٧٨

(٢) وفقاً لقوانين اللعبة .

(٣) ومن ثم سوف تقدم ضوضاء رائعة .

وكان الهر بسمارك سعيدا بمشاهدة الضربة ، لكنه ما كان يجب في رأيه أن تبلغ هذا الحد . ان روسيا ، اذا ضعفت جداً ، لن تستطيع أن تكبح جماح النمسا كما فعلت في الحرب الفرنسية البروسية ! واذا بلغ الأمر حد الثورة هناك ، فما الذي سيحل بالضمانة الأخيرة لأسرة هوهنزولرن المالكة ؟

ان الشيء الأهم هو في الوقت الراهن أن يظل البولونيون (في مملكة بولونيا) هادئين لا انتفاضات هناك في اللحظة الراهنة ! فسوف يندفع بسمارك في الحال اذن ، كما أن الشوفينية الروسية سوف تنحاز الى جانب القيصر من جديد . أما اذا انتظر البولونيون ، على العكس من ذلك ، حتى تشتعل الأمور في بطرسبورج وموسكو ، ومن بعد يتدخل بسمارك كمخلص ، فان بروسيا سوف تصادف ـ مكسيكو الخاصة بها (1) .

لقد فرضت هذا الأمر بالقوة مراراً وتكراراً على جميع البولونيين الذين اتصلت بهم والذين يستطيعون التأثير في مواطنيهم .

وبالمقارنة مع الأزمة في الشرق ليست الأزمة الفرنسية (2) الا حدثاً ثانوياً تماماً . ولا نزال نأمل مع ذلك أن تنتصر الجمهورية البورجوازية وإلا بدأت اللعبة القديمة من جديد ، وليس في مقدور أية أمة أن تكرر الحماقات نفسها كثيراً جداً .

مع أطيب التمنيات الودية من زوجتي ومني شخصياً .

المخلص

**كارل ماركس**

## ١٥٦

## ماركس الى ف . أ . سورج

**[لندن ،] في ١٩ تشرين الأول ١٨٧٧**

... ان روحاً متعفناً يتبدى في حزبنا في ألمانيا ، وقوته في الجماهير ليست بقدر قوته بين الزعماء (الطبقة العليا و«العمال») . ان المواطأة مع اللاساليين أدت الى مواطأة مع

---

(1) المقصود حملة نابليون الثالث المكسيكية (١٨٦٢ ـ ١٨٦٧) : تدخله في الحرب الأهلية الجارية بين الحكومة الجمهورية والعصاة الملكيين ، وقد منيت هذه المغامرة بالهزيمة التامة ، وكان غرضها اخضاع المكسيك للنفوذ الفرنسي .

(2) المقصود احتداد الصراع السياسي في فرنسا عام ١٨٧٧ من جراء محاولة المارشال ماكماهون ، رئيس الجمهورية ، الفتنة الملكية .

العناصر المتذبذبة الأخرى ايضا : في برلين (انظر **موست**) مع دوهرنغ و «المعجبين» به ، لكنا مع عصابة كاملة أيضاً من الكلاب نصف الناضجين والدكاترة فوق الحكماء من أصحاب الشهادات الذين يريدون أن يمنحوا الاشتراكية اتجاهاً «مثالياً أسمى» ، يعني الاستعاضة عن أساسها المادي (الذي يتطلب دراسة موضوعية جادة من أي أمرىء يحاول استخدامه) بالميثولوجيا الحديثة مع إلاهاتها العدالة والحرية والمساواة والاخاء . وان الدكتور هوشيرغ الذي يصدر **Zukunft** هو ممثل لهذا الاتجاه وقد «شق طريقه» الى الحزب ـ «بأنبل» النوايا فيما أفترض ، لكنني لا أبالي «بالنوايا» مطلقاً . فليس شيء أحقر من برامجه في **Zukunft** قد شاهد النور على وجه التقريب بمزيد من «الوقاحة المتواضعة» .

ان العمال أنفسهم ، حين يتخلون عن العمل مثل الهرموست وشركاه ويصبحون **أدباء ممتهنين** ، ينتجون الأذى «النظري» دائماً ، وهم دائماً على استعداد للانضمام الى المشوشين من الفئة التي تسمى «مثقفة» . وان الاشتراكية **الطوباوية** بصورة خاصة ، التي قضينا عقوداً ونحن ننتزعها من رؤوس العمال الألمان بقدر كبير من الجهد والكد ـ وان تحررهم منها قد جعلهم متفوقين نظرياً (وبالتالي عملياً أيضاً) على الفرنسيين والانكليز ـ ان الاشتراكية **الطوباوية** ، وهي لعب بلوحات وهمية عن بنية المجتمع المقبلة ، تنتشر من جديد مثل النار في الهشيم ، وبشكل أتفه حتى درجة كبيرة ليس بالمقارنة مع الطوباويين الفرنسيين والانكليز الكبار فحسب ، بل حتى مع ... وايتلنغ . وانه لمن الطبيعي أن الطوباوية ، التي كانت **قبل** عصر الاشتراكية النقدية مادياً تخفي هذه الاشتراكية الأخيرة كمضغة في احشائها ، لا تستطيع الآن ، وقد جاءت بعد فوات الأوان ، الا أن تكون سخيفة ، وتفهة ، ورجعية من الأخمصين حتى الرأس ...

## ١٥٧

# ماركس الى هيئة تحرير
# «حوليات الوطن»

**[لندن ،] تشرين الثاني ١٨٧٧**

الى رئيس التحرير

مما لا ريب فيه أن كاتب مقالة **كارل ماركس أمام محكمة السيد جوكوفسكي** رجل نبيه ، ولو وجد في بحثي عن التراكم البدئي فقرة واحدة تؤيد استنتاجاته لما قصر عن الاستشهاد بها . ونظراً لانعدام مثل هذه الفقرة فهو يجد نفسه ملزماً بالأطباق على الـ hors d'œuvre[1] ، على نوع من المساجلة ضد «متأدب» روسي[2] منشورة في ملحق الطبعة الألمانية الأولى من **رأس المال** . ما الذي آخذه على الكاتب هنا ؟ أنه اكتشف المشاعة الروسية ليس في روسيا بل في مؤلف كتبه هاكسهاوزن ، مستشار الدولة البروسية ، وأن المشاعة الروسية لا تخدم بين يديه الا من حيث هي حجة للبرهان على أن أوروبا القديمة المتفسخة يجب أن تبعث بانتصار النزعة السلافية الشاملة . ان تقديري لهذا الكاتب قد يكون صائباً أو قد يكون مخطئاً ، لكنه لا يمكن في حال من الأحوال أن يوفر مفتاحاً لآرائي المتعلقة بالجهود «التي يبذلها الروس ليجدوا سبيلاً لتطور بلادهم يختلف عن السبيل الذي اتبعته ولا تزال اوروبا الغربية» ، الخ .

وفي ذيل الطبعة الألمانية الثانية من **رأس المال** ـ الذي يعرفه مؤلف المقالة عن جوكوفسكي لأنه يستشهد به ـ اتحدث عن «عالم وناقد روسي كبير» بكل الاعتبار الرفيع الذي هو جدير به . فقد عالج في مقالات مرموقة مسألة معرفة ما اذا كان ينبغي لروسيا أن تبدأ بتدمير المشاعة الريفية ، كما يريد ذلك اقتصاديوها الليبراليون ، كيما تنتقل الى النظام الرأسمالي ، أم ما اذا كان في مقدورها ، على النقيض من ذلك ، دون أن تعاني عذابات هذا النظام ، أن تتملك جميع ثماره بتطوير معطياتها التاريخية الخاصة . وانه ليعلن عن تأييده هذا الحل الأخير . ولقد كان ناقدي المحترم يستطيع ، بنصيب متساو من الصحة على الأقل ، أن يستدل من اعتباري لهذا «العالم والناقد الروسي الكبير» أني أقاسمه آراءه في هذه المسألة ، وأن يستنتج من مساجلتي ضد «المتأدب» ونصير السلافية العمومية أني أرفضها .

---

(١) مقبلات .

(٢) هرتزن .

وأخيراً ، فلما كنت لا أحب أن أترك «شيئاًللتخمين» ، فاني أتحدث بكل صراحة . لقد عمدت ، كي أكون مؤهلاً للحكم على تطور روسيا الاقتصادي ، الى تعلم الروسية ، ومن ثم درست خلال سنوات طوال المنشورات الرسمية وغيرها ذات الصلة بهذا الموضوع . ولقد انتهيت الى هذه النتيجة : اذا ما استمرت روسيا في اتباع الدرب التي سلكتها منذ عام ١٨٦١ فسوف تضيع أروع فرصة وفرها التاريخ في يوم من الأيام لشعب ما كيما تعاني من جميع التقلبات المشؤومة للنظام الرأسمالي .

ان الفصل عن التراكم البدئي لا يزعم سوى رسم الطريق التي خرج بها ، في أوروبا الغربية ، النظام الاقتصادي الرأسمالي من أحشاء النظام الاقتصادي الاقطاعي . فهو يعرض اذن الحركة التاريخية التي فصلت المنتجين عن وسائل انتاجهم ، وبذلك حولتهم الى مأجورين (بروليتاريين بالمعنى الحديث للكلمة) ، بينما حولت مالكي وسائل الانتاج الى رأسماليين . وفي هذا التاريخ ، «تسترعي الانتباه كل ثورة تخدم كرافعة لتقدم الطبقةالرأسمالية التي هي في سبيل التشكل ، وعلى الأخص تلك الثورات التي جردت جماهير غفيرة من وسائل انتاجها ومعيشتها التقليدية ، وبذلك ألقت بها على حين غرة في سوق العمل . لكن أساس كل هذا التطور هو نزع ملكية الزراع ، وهو لم يكتمل بصورة جذرية بعد الا في انكلترا ... لكن جميع بلدان اوروبا الغربية الأخرى تجتاز الحركة نفسها» ، الخ . **رأس المال** ، الطبعة الفرنسية ، ص : ٣١٥) . وفي آخر الفصل يلخص الاتجاه التاريخي للانتاج كما يلي : انه «يولد بنفسه انكاره الخاص بمثل الحتمية التي تسيّر تحولات الطبيعة» ؛ وأنه خلق بنفسه عناصر نظام اقتصادي جديد بأن منح الانطلاقة العظمى سواء للقدرات الانتاجية الخاصة بالعمل الاجتماعي أم للتطور الكامل الخاص بكل منتج فرد ؛ وأن الملكية الرأسمالية ، المستندة سلفاً ، كما هي حالها في واقع الأمر ، على نمط اجتماعي للانتاج ، لا يمكن الا أن تتحول الى ملكية اجتماعية . ولا أقدم في هذا الموضع أي برهان ، وذلك لسبب وجيه هو أن هذا التأكيد نفسه ليس سوى الخلاصة الموجزة لأبحاث مطولة قدمت من قبل في الفصول المخصصة للانتاج الرأسمالي .

والآن ، أي تطبيق على روسيا يمكن لناقدي أن يصنعه من هذا المجمل التاريخي ؟ التطبيق التالي فقط : اذا كانت روسيا تتجه لأن تكون أمة رأسمالية ، على غرار أمم

اوروبا الغربية ـ ولقد أجهدت نفسها كثيراً في هذا المنحى خلال السنوات الأخيرة ـ فانها لن تنجح في ذلك ما لم تحول قبلاً قسما كبيراً من فلاحيها الى بروليتاريين ؛ ومن بعد ، إما تؤول مرة الى جحر النظام الرأسمالي ، فانها ستعاني قوانينه التي لا ترحم ، مثلها مثل شعوب دنسة أخرى . وهذا كل شيء . لكن هذا قليل جداً بالنسبة الى ناقدي . فلا بدّ له بصورة مطلقة أن يحول المجمل التاريخي الذي وضعته عن تكون الرأسمالية في اوروبا الغربية الى نظرية تاريخية ـ فلسفية عن المسيرة العامة ، المفروضة من القدر على كل الشعوب مهما تكن الظروف التاريخية التي تواجهها ، كي تصل في آخر المطاف الى هذا التشكل الاقتصادي الذي يضمن ، مع الانطلاقة العظمى للقدرات الانتاجية الخاصة بالعمل الاجتماعي ، التطور الاكمل للانسان . لكني استميحه عذراً . (ذلك يعني منحي شرفاً عظيماً وإلحاق كثير من العار بي في وقت واحد) . لنأخذ مثالاً .

لقد نوهت ، في مواضع مختلفة من **رأس المال** ، الى المصير الذي حل بالعامة في روما القديمة . لقد كانوا في الأصل فلاحين أحراراً يزرعون قطعهم الصغيرة الخاصة من الأرض كل لحسابه الخاصة. ولقد اغتصبت ملكيتهم في سياق التاريخ الروماني . وان نفس الحركة التي فصلتهم عن وسائل انتاجهم ومعيشتهم قد كانت تتضمن ليس تشكل الملكية العقارية الكبيرة فحسب ، بل الرساميل النقدية الكبيرة أيضاً . وهكذا ، ذات صباح جميل ، كان ثمة رجال أحرار من جانب واحد ، مجردون من كل شيء باستثناء قوة عملهم ، ومالكو جميع الثروات المكتسبة من جانب آخر ، من أجل استثمار ذلك العمل . وما الذي حدث ؟ لقد أصبح البروليتاريون الرومانيون لا شغيلة مأجورين ، بل[1] mob عاطلون ، أحقر من أولئك[2] poor whites السابقين في جنوبي الولايات المتحدة ، وقام الى جانبهم نمط من الانتاج ليس هو بالنمط الرأسمالي ، بل العبودي . واذن ، فان أحداثاً متشابهة بصورة بارزة ، لكنها جرت في أوساط تاريخية مختلفة ، قد أدت الى هذه النتائج المتفارقة كلياً . واذا درسنا كلا من

---

(١) رعاع .

(٢) «البيض المساكين .»

هذه التطورات على حدة ، وقارنا ما بينها فيما بعد ، عثرنا بكل سهولة على مفتاح هذه الظاهرة ، لكن لن نتوصل الى ذلك قط بالمفتاح العمومي لنظرية تاريخية ـ فلسفية عامة تستقيم فضيلتها العليا في كونها فوق تاريخية .

## ١٨٧٩

## ١٥٨

# ماركس الى ن . ف . دانييلسون

**لندن ، في ١٠ نيسان ١٨٧٩**

... والآن ، أولاً ، أنا مضطر لأن أخبرك(١) (cela est tout àfait confidentiel) بأنه بلغني من ألمانيا أن كتابي الثاني **لا يمكن أن ينشر** ما استمر النظام الحالي بقسوته الراهنة . ان هذا الخبر ، باعتبار الوضع القائم ، لم يدهشني ، ولا بدَّ لي من الاعتراف بأنه كان أبعد ما يكون عن ازعاجي ـ للأسباب التالية :

**أولاً** : ما كنت في حال من الأحوال أنشر الكتاب الثاني قبل أن تبلغ الأزمة الصناعية الانكليزية الراهنة أوجها . ان الظواهر في هذه المرة فريدة ، وهي تختلف من وجهات نظر عديدة عما كانت عليه في الماضي ، وهذا ما يُفسرَّ بكل سهولة ـ بصورة مستقلة كلياً عن الظروف المقدرة الأخرى ـ بحقيقة أن **الأزمة الانكليزية لم تُسبق** من قبل أبداً بالأزمات الهائلة المستمرة حالياً لخمس سنوات حتى الآن في **الولايات المتحدة** ، **وأميركا الجنوبية** ، **وألمانيا** ، **والنمسا** ، الخ .

ولذا كان من الضرورة بمكان مراقبة مجرى الأمور الحالي حتى نضوجها قبل أن نستطيع «استهلاكها» «بصورة انتاجية» ، أقصد «**نظرياً**» .

أن أحد **المظاهر** الفريدة للحالة الراهنة هو كما يلي : لقد حدثت كما تعلم افلاسات مصارف في سكوتلندا وفي بعض المحافظات الانكليزية ، وبصورة رئيسية المحافظات الغربية (كونواليس وبلاد الغال) . ومع ذلك فإن **مركز السوق المالية** الفعلي ـ ليس في المملكة المتحدة وحدها بل في العالم ـ **لندن** ، لم يتأثر الا قليلاً حتى الوقت

---

(١) وهذا سري تماما .

الراهن . وعلى النقيض من ذلك ، اذا تركنا جانبا بعض الاستثناءات ، فان الشركات المصرفية المساهمة الضخمة ، مثل مصرف انكلترا ، انما انتفعت حتى الآن من الانهيار العام . وأما ما هوهذا الانهيار ، فهذا ما تستطيع أن تحكم عليه من اليأس الشديد الذي يعاني منه البورجوازي الصغير التجاري والصناعي الانكليزي لأنه لن يشاهد مرة أخرى أزماناً أفضل في يوم من الأيام ! اني لم أر قط مثل هذا الأمر ، لم أشاهد أبداً مثل هذا التمزق المعنوي بالرغم من أنني كنت في لندن في ١٨٥٧ و ١٨٦٦ !

ومما لا ريب فيه أن أحد الظروف الملائمة للسوق المالية في لندن هو حالة مصرف فرنسا الذي أصبح Succursale (١) لمصرف انكلترا منذ التطور الأخير للتعامل بين البلدين . ان مصرف فرنسا يحتفظ بقدر هائل من السبائك الذهبية نظراً لأن قابلية أوراقه النقدية للتحويل لم تتثبت من جديد بعد ، ولدى أول دلالة على أي اضطراب في بورصة لندن يتدفق المال الفرنسي لابتياع السندات المالية التي انخفضت قيمتها بصورة مؤقتة . ولو أن المال الفرنسي سحب بصورة مفاجئة خلال الخريف الماضي للجأ مصرف انكلترا بكل تأكيد الى آخر علاج لديه (٢) in extremis ، ألا وهو تعليق الصك المصرفي ، ولحدث الانهيار المالي في هذه الحال .

ومن وجهة ثانية ، فان الطريقة الهادئة التي تمت بها إعادة المدفوعات النقدية في الولايات المتحدة أزاحت كل ضغط من تلك الزاوية عن موارد بنك انكلترا . بيد أن ما أسهم بصورة رئيسية حتى الآن في منع أي انفجار داخل السوق المالية في لندن هو فيما يبدو الحالة الهادئة لمصارف لانكاشايير والمناطق الصناعية الأخرى (باستثناء المناطق المنجمية في الغرب) ، بالرغم من أنه من المؤكد والثابت أن هذه المصارف لم تقتصر على توظيف قسم كبير من مواردها في خصم الكمبياليات الخاصة بعقود الصناعيين غير المربحة والتسليف عليها ، بل أغرقت ، كما هي الحال في اولدهام على سبيل المثال ، قسماً كبيراً من رأسمالها في تأسيس مصانع جديدة . وفي الوقت نفسه فان المخزون ، من المنتجات القطنية بصورة رئيسية ، يتراكم بصورة يومية ليس في آسيه

(١) [فرع] .

(٢) [في الحالة القصوى] .

فحسب (الهند بصورة رئيسية) حيث يرسل برسم الأمانة ، لكن في مانشستر ، الخ ، الخ . كيف يمكن لهذه الأوضاع أن تنقضي دون انهيار عام بين الصناعيين ، ونتيجة ذلك بين المصارف المحلية المتأثرة مباشرة بالسوق النقدية في لندن ـ هذا ما يصعب التنبؤ به .

وفي هذه الاثناء فان الاضرابات والاضطرابات تتعمم .

وألاحظ[1] en passant أنه خلال العام المنصرم ـ بالغ السوء بالنسبة الى جميع الأعمال الأخرى ـ ازدهرت **السكك الحديدية** ، لكن مرد ذلك انما كان لظروف غير عادية ، مثل معرض باريس ، الخ . وفي الحقيقة أن السكك الحديدية تحافظ على مظهر الأزدهار بتكديسها الديون ، وهي تزيد يوماً بعد يوم **حساباتها الرأسمالية** .

وكيفما تطور مجرى هذه الأزمة ـ وان يكن من الأمور بالغة الأهمية ملاحظتها في تفاصيلها بالنسبة الى دارس الانتاج الرأسمالي والمنظر المحترف ـ فأنها سوف تنقضي ، مثل سابقاتها ، وتباشر «دورة صناعية» جديدة بكل اطوار ازدهارها المتنوعة ، الخ .

لكن ازمة أخرى تكمن تحت ستار هذا المجتمع الانكليزي المتين «ظاهرياً» ـ الأزمة **الزراعية** التي سوف تصنع تبدلات كبيرة وخطيرة في بنيته الاجتماعية . وسوف أعود الى هذا الموضوع في فرصة أخرى ، فهو سيقودني بعيداً جداً في الوقت الحاضر .

**ثانياً** : ان حجم المواد التي في حوزتي ليس من **روسيا** فحسب ، بل من **الولايات المتحدة** ، الخ ، تمنحني «ذريعة» سارة للاستمرار في دراساتي ، بدلاً من اعطائها نتيجتها النهائية من أجل الجمهور .

**ثالثاً** : ان مستشاري الطبي أنذرني كي اختصر حتى درجة كبيرة «يوم عملي» اذا كنت راغباً عن الانتكاس الى حالة عام ١٨٧٤ والأعوام التالية حيث كنت أصاب بالدوار وبالعجز عن الاستمرار بعد ساعات قليلة من الجهد الجاد .

فيما يتعلق برسالتك المرموقة جداً اقتصر على ملاحظات قليلة . لقد انبثقت الخطوط الحديدية أولاً من حيث هي[2] «couronnement de l'oeuvre» في تلك البلدان حيث

---

(١) [بصورة عابرة] .

(٢) [تتويج العمل] .

كانت الصناعة الحديثة اعظم تطورا ، في انكلترا ، والولايات المتحدة ، وبلجيكا ، وفرنسا ، الخ . واني لأسميها «couronnement de l oeuvre -» ليس فقط بمعنى أنها كانت أخيراً (جنباً الى جنب مع المراكب البخارية عابرة المحيط والبرق) وسائط الاتصال الملائمة لوسائل الانتاج الحديثة ، بل كذلك بقدر ما كانت تشكل أساس الشركات المساهمة الكبرى ، مشكلة في الوقت نفسه منطلقاً جديداً من أجل سائر الأنواع الأخرى من الشركات المساهمة ، ابتداء من الشركات المصرفية . وبكلمة واحدة فقد أعطت زخماً ما كان أحد يرتاب فيه من قبل لمركزة الرأسمال ، وأيضاً للنشاط الكوسموبوليتي للرأسمال المقروض المتسارع والموسع بصورة هائلة ، وبذلك ضمت العالم بأسره في شبكة من الاحتيال المالي والدين المتبادل الذي يؤلف الشكل الرأسمالي للاخاء «الأممي» .

ومن جهة أخرى فان ظهور نظام السكك الحديدية في الدول القيادية للرأسمالية أتاح ، بله فرض ، للدول التي كانت الرأسمالية فيها مقتصرة على بضع قمم من المجتمع أن تخلق بصورة مباغتة بنيتها الفوقية الرأسمالية وتوسعها بأبعاد غير متناسبة مطلقاً مع حجم الهيئة الاجتماعية ،مواصلةالعمل العظيم للانتاج بالأنماط التقليدية . وبالتالي فليس ثمة أدنى شك في أن خلق السكك الحديدية في هذه الدول عجل في التفكك الاجتماعي والسياسي ، مثلما عجل في الدول الأعظم تقدماً بالتطور الأخير ، وبالتالي التحول الأخير ، للانتاج الرأسمالي . ان الحكومات في جميع الدول ، باستثناء انكلترا ، قد أغنت شركات الخطوط الحديدية ودعمتها على حساب بيت المال . ففي الولايات المتحدة حصلت لمصلحتها على قسم كبير من الأراضي العامة كهدية ، ولم يقتصر الأمر على الأراضي الضرورية من أجل بناء الخطوط الحديدية ، بل شمل أميالاً عديدة من الأراضي على جانبي الخطوط ، وهي أراض مغطاة بالغابات ، الخ . وهكذا أضحت الملاكين العقاريين الأعظم ، نظراً لأن المزارعين المهاجرين الصغار فضلوا بالطبع الأراضي التي لها مثل هذا الموقع كي يضمنوا لمنتجاتهم وسائل نقل جاهزة .

ان النظام الذي باشره لويس فيليب في فرنسا ، القائم على تسليم الخطوط الحديدية لعصبة صغيرة من الأرستقراطيين الماليين ، مانحاً اياهم أجالاً طويلة من التملك ،

ضامناً الفائدة من الأموال العامة ، الخ ، الخ ، قد دُفع الى حده الأقصى من قبل لويس بونابرت الذي كان نظامه في واقع الأمر مؤسساً على التجارة بامتيازات الخطوط الحديدية ، وقد بلغ به اللطف أن أهدى بعضها أقنية ، الخ .

لكن في النمسا ، وفي ايطاليا في المحل الأول ، كانت الخطوط الحديدية مصدراً جديداً لدين الدولة الذي لا يحتمل وسحق الجماهير .

وعلى العموم ، فمن المؤكد أن الخطوط الحديدية وفرت زخماً هائلاً لتطور التجارة الخارجية ، بيد أن التجارة في البلدان التي تصدر **المواد الخام** بصورة رئيسية زادت من بؤس الجماهير . ولا يقتصر الأمر على أن الديون الجديدة التي عقدتها الحكومات بسبب الخطوط الحديدية زادت من **حجم الرسوم** المثقلة عليها ، بل أن سلعاً كثيرة **رخيصة سابقاً** ، لأنها لم تكن قابلة للبيع حتى درجة كبيرة ، مثل الفواكه ، والخمرة ، والسمك ، والأيل ، الخ ، قد أصبحت **غالية** منذ صار في الامكان تحويل كل انتاج محلي الى ذهب كوسموبوليتي وسحبت من الاستهلاك الشعبي ، بينما **الانتاج نفسه** من جهة ثانية ، أقصد **نوع المنتج** الخصوصي ، قد قويض وفقاً **لصلاحيته الأعظم أو الأقل من أجل التصدير** ، فيما كان يكيف من قبل بصورة رئيسية مع استهلاكه inloco[1] . وهكذا حولت الأرض الزراعية في شليسفيغ ـ هولشتاين الى مراع لأن تصدير الماشية كان أعظم ربحاً ، لكن السكان الزراعيين طردوا بعيداً في الوقت نفسه . لقد كانت سائر التغيرات بالغة المنفعة في حقيقة الأمر من أجل الملاك العقاري الكبير ، والمرابي ، والتاجر ، والخطوط الحديدية ، واصحاب المصارف ، وهلم جرا ، لكن بالغة الضرر بالنسبة الى المنتج الفعلي .

وختاماً لرسالتي هذه (طالما أن وقت ايداعها البريد يقترب أكثر فأكثر) ، فانه من المحال ايجاد أوجه المقارنة بين الولايات المتحدة وروسيا . ففي الولايات المتحدة تتناقص مصاريف الحكومة يومياً ودينها العام ينقص عاجلاً وسنوياً ؛ وفي روسيا يبدو أكثر فأكثر أن الافلاس العام منظورلامفر منه . ان الولايات المتحدة قد تحررت (وان يكن ذلك بالطريقة الأدنأ ، في مصلحة الدائنين وعلى حساب menu peuple[2]) من

(١) [محلياً] .

(٢) [عامة الناس] .

نقدها الورقي ، أما روسيا فليس فيها معمل أعظم ازدهاراً من معمل النقد الورقي . وفي الولايات المتحدة لا تشكل مركزة الرأسمال واغتصاب الجماهير التدريجي مجرد الحامل ، بل الذرية الطبيعية أيضاً (وان تسارعت بصورة مصطنعة من جراء الحرب الأهلية) لتطور صناعي ، وتقدم زراعي سريع، الخ ، بشكل لم يسبق له مثيل، أما روسيا فتذكرك بالأحرى بأيام لويس الرابع عشر ولويس الخامس عشر ، حيث كانت البنية الفوقية المالية والتجارية والصناعية ، أو بالحري façades(1) البناء الاجتماعي ، تبدو (وان كانت تملك أساساً أمتن حتى درجة كبيرة منها في روسيا) أشبه باله شيطاني ينهض فوق الحالة الراكدة لكتلة الانتاج (الانتاج الزراعي) وجوع المنتجين . ان الولايات المتحدة قد سبقت انكلترا حتى درجة كبيرة في الوقت الراهن في سرعة التقدم الاقتصادي ، وان كانت تتخلف بعد عنها في سعة الثروة المكتسبة ، لكن الجماهير هي في الوقت نفسه أسرع ، وهي تملك وسائل سياسية أعظم بين يديها ، في الامتعاض من تقدم محقق على حسابها . وليست بي حاجة الى الاستمرار في هذه النقائض .

وبالمناسبة ، ما هو المؤلف الروسي الذي تعتقد أنه الأفضل في موضوع الائتمان والصرافة ؟

كان السيد كاوفمان لطيفاً جداً فأرسل الي كتابه عن «نظرية وممارسة الصرافة» ، لكنني دهشت بالأحرى لأن ناقدي الذكي السابق في الصحيفة البطرسبورغية رسول اوروبا قد تحول الى نوع من بندار احتيال البورصة الحديثة . وفيما عدا ذلك ، فإذا هو أخذ بعين الاعتبار فقط من Fachstandpunkt(2) ـ وأنا على العموم لا أتوقع شيئاً آخر من مثل هذه الكتب ـ فما أبعده عن الأصالة في تفاصيله . وان أفضل قسم فيه هو المساجلة ضد النقد الورقي .

يقال ان بعض المصرفيين الأجانب الذين ترغب بعض الحكومات في عقد قروض جديدة معهم طالبوا كضمانة ...بدستور . ما أبعدني عن تصديق هذا الأمر ، ذلك أن

---

(1) [واجهات] .

(2) [من وجهة نظر صاحب الخبرة]

## ١٥٩

# انجلز الى إ . برنشتاين

**[لندن ،] في ١٧ حزيران ١٨٧٩**

اذ أجيب باحترام على أسطرك المؤرخة في الثالث عشر منه ، وهي لم تصل الا البارحة ، آسف لأني لست في مركز يتيح لي أن أسمي أياً كان يكون في مقدوره تزويدك بالمقالات(١) المطلوبة بطريقة ملائمة حقاً .

فلعدد من السنين انقضت كانت حركة الطبقة العاملة الانكليزية ترسم دائرة ضيقة من الاضرابات من أجل أجور أعلى وساعات أقصر ، ولم يكن ذلك على أي حال من حيث هو تدبير مؤقت أو وسيلة للدعاية والتنظيم ، بل من حيث هو الهدف الأخير . بل ان التريديونيون تحظر كل نشاط سياسي بصورة مبدئية وفي أنظمتها ، وبذلك تحظر أيضاً أية مشاركة في النشاط العام للطبقة العاملة من حيث هي طبقة . ان العمال مقسمون سياسياً الى محافظين وراديكاليين ليبراليين ، الى مؤيدين لوزارة دزرائيلي (بيكونسفيلد) ومؤيدين لوزارة غلادستون . ولا يستطيع المرء هنا أن يتحدث عن حركة عمالية الا بقدر ما تجري الاضرابات هنا ، وهي الاضرابات التي لا تتقدم بالحركة خطوة واحدة سواء انتصرت أم لم تنتصر . وان تضخيم مثل هذه الاضرابات ـ التي كثيراً ما حرض عليها الرأسماليون عن عمد خلال السنوات القليلة الأخيرة من تدهور الأعمال كي تكون لهم ذريعة من أجل اغلاق معاملهم ومصانعهم ، وهي اضرابات لا تحقق الطبقة العاملة فيها أدنى تقدم ـ الى اضرابات

---

(١) مقالات عن حركة الطبقة العاملة في انكلترا من أجل jahrbuch für sozial wissenschaft unol sozial Politik ، وهي صحيفة اشتراكية اصلاحية صدرت في زوريخ .

ذات أهمية عالمية ، كما يجري على سبيل المثال في **Freiheit** التي تصدر هنا ، لا يمكن في رأيي الا أن يكون ضاراً . لا يجوز القيام بأية محاولة لاخفاء حقيقة أنه لا توجد هنا في الوقت الحاضر أية حركة عمالية فعلية بالمعنى القاري ، وبالتالي فأني أعتقد أنك لن تخسر الشيء الكثير اذا لم تتلق في هذه الأثناء أية تقارير عن أفعال النقابات هنا .

## ١٦٠

## انجلز الى ج . ب . بيكر

**لندن ، في ١ تموز ١٨٧٩**

... انه لمفهوم تماماً أن ضعف ليبكنخت الذي أتى في غير أوانه في الرايخستاغ(١) لا بدّ أن يخلق انطباعاً منافياً جداً في اوروبا اللاتينية وبين الألمان في كل مكان على حد سواء . وقد عبرنا عن ذلك في الحال في رسالتنا . ان الطريقة المريحة القديمة في التحريض المتأني مع فترة من السجن من حين لآخر تتراوح بين ستة أسابيع وستة أشهر قد انتهت في ألمانيا إلى الأبد . وكيفما انتهت الأوضاع الراهنة ، فان الحركة الجديدة تبدأ على أساس ثوري أكثر أو أقل ، وبالتالي يجب أن تكون أحزم حتى درجة كبيرة في طابعها من المرحلة الأولى من الحركة التي انقضت الآن . ان العبارة عن بلوغ الهدف سلمياً اما لن تكون ضرورية بعد الآن وإما لن تؤخذ بصورة جدية من الآن فصاعداً . وحين جعل بسمارك هذه العبارة مستحيلة ودفع بالحركة في الاتجاه الثوري قدم الينا خدمة جلى تتفوق على ذلك النزر من الضرر المسبب عن تدخله في التحريض .

ومن جهة أخرى ، وبنتيجة الخطاب الوديع في الرايخستاغ ، فأن فرسان العبارة الثورية امتطوا من جديد صهوات جيادهم العالية وهم يسعون الى تحطيم الحزب

(١) في خطاب له بمناسبة اعلان «الأحكام العرفية الجزئية» في برلين أعلن وليم ليبكنخت (١٧ آذار ١٨٧٩) أن الاشتراكية الديموقراطية الألمانية حزب اصلاحات ، وأنه يعارض المتاجرة بالثورية الالزامية وسوف يخضع للقانون المناهض للاشتراكية .

بمنازعاتهم ومؤامراتهم . وان جمعية العمال المحلية هي محور هذه المؤامرات جميعاً[1]...

## ١٦١

## ماركس وانجلز

## الى أ . بيبل و ف . ليبكنخت و ف . براك وآخرين

### («المذكرة العامة»)

[لندن ، في ١٧ ـ ١٨ ايلول ١٨٧٩]

**... بيان الزوريخيين الثلاثة .**

وصلتنا في هذه الأثناء صحيفة هوشبرغ **Jahrbuch** ، وهي تتضمن مقالة بعنوان «الحركة الاشتراكية في ألمانيا في نظرة راجعة»[2] وقد كتبت كما أخبرني هوشبرغ نفسه من قبل الأعضاء الثلاثة بالضبط في لجنة زوريخ .. ان لدينا ههنا نقدهم الحقيقي للحركة حتى الوقت الحاضر ومعه برنامجهم الحقيقي من أجل خط الصحيفة الجديدة بقدر ما يتوقف هذا الخط عليهم .

واننا لنقرأ في البداية تماماً :

«ان الحركة التي كان لاسال يعتبرها من حيث هي حركة سياسية بارزة والتي دعا اليها لا العمال وحدهم بل جميع الديموقراطيين الشرفاء ، والتي كان من الواجب أن يسير **على** رأسها المثلون المستقلون للعلم **وجميع البشر المشربين بحب الانسانية الحقيقي** قد انحطت تحت رئاسة جوهان بابتيست فون شوايتزر الى **نضال ضيق للعمال الصناعيين من أجل مصالحهم الخاصة** .»

ولن أدرس ما اذا كان هذا القول صحيحاً تاريخياً وما مدى صحته.إن اللوم الخاص الموجه هنا ضد شوايتزر هو أنه **انحط** باللاسالية المأخوذة هنا من حيث هي حركة

---

(١) في عام ١٨٧٩ سقطت الجمعية التثقيفية العمالية الشيوعية في لندن بين أيدي أتباع التكتيك الانتهازي اليساري لجوهان موست . ولقد هوى مع أتباعه في وقت لاحق الى مستوى الفوضوية الصريحة وطرد عام ١٨٨٠ من الاشتراكية الديموقراطية الألمانية .

(٢) هذه المقالة التي حررها هوشبرغ وبرنشتاين وشرام نشرت في **Jahrbuch für Sozialwissenschaft und sozialpolitik**

ديموقراطية خيرية بورجوازية الى نضال ضيق للعمال الصناعيين من اجل مصالحهم ، فيما هو عمّق طابعها من حيث هي نضال طبقي للعمال الصناعيين ضد البورجوازيين . وانه ليلام فضلاً عن ذلك«لرفضه الديموقراطية البورجوازية» . ما شأن الديموقراطية البورجوازية في الحزب الاشتراكي الديموقراطي على أي حال ؟ اذا كانت تتشكل من «رجال شرفاء» فلا يمكن أن ترغب في الدخول في الحركة ، واذا كانت راغبة مع ذلك في هذا الدخول فلا يمكن أن يكون ذلك الا بغرض زرع الشقاق .

لقد «اختار الحزب اللاسالي أن يتصرف بالطريقة **الأضيق** من حيث هو **حزب عمالي**» . ان السادة الذين يكتبون هذا الكلام أعضاء هم أنفسهم في حزب يتصرف بالطريقة الأضيق من حيث هو حزب عمالي ، وهم في الوقت الحاضر يتقلدون المراكز والمناصب الرفيعة في هذا الحزب . ان ثمة تنافراً مطلقاً ههنا . فاذا كانوا يقصدون ما يكتبون وجب عليهم أن يغادروا الحزب ، أو يستقيلون على الأقل من مراكزهم ومناصبهم الرفيعة . واذا هم لم يفعلوا ذلك فانهم يعترفون بأنهم يستهدفون استخدام مركزهم الرسمي كي يكافحوا الطابع البروليتاري للحزب . وهكذا فاذا ترك الحزب لهم مراكزهم ومناصبهم الرفيعة كان ذلك خيانة ذاتية منه .

وهكذا فان من رأي هؤلاء السادة ان الحزب الاشتراكي الديموقراطي يجب **ألا** يكون حزباً عمالياً ضيقاً بل حزب شامل «لجميع البشر المشربين بحب الانسانية الحقيقي .» وان من واجبه أن يبرهن على ذلك قبل كل شيء بتخليه عن الأهواء البروليتارية الخشنة ووضع ذاته تحت قيادة البورجوازيين المثقفين من أصحاب النزعة الخيرية «كيما ينمي الذوق الصالح» و«يتعلم حسن التصرف» (ص : ٨٥) . وعندئذ فان «السلوك سيىء السمعة» لبعض القادة سوف يفسح المكان «لسلوك بورجوازي» محترم كلياً (لكأن المظهر سيىء السمعة خارجياً لأولئك المقصودين هنا لم يكن أقل ما يمكن أن يلاموا عليه !) وعندئذ ، أيضاً ، سوف يظهر «**مؤيدون عديدون** من حلقات الطبقات **المثقفة و المالكة** . بيد أنه يجب بادىء الأمر كسب **هؤلاء** اذا ... كان التحريض الجاري لا بدّ أن يحقق **نجاحات ملموسة**» . إن الاشتراكية الألمانية «علقت أهمية كبيرة جداً على كسب **الجماهير** وحين فعلت ذلك أهملت الدعاية القوية (!) بين ما

يسمى الشرائح العليا في المجتمع» . ذلك ان «الحزب لا يبرح يفتقر الى الرجال المناسبين لتمثيله في الرايخستاغ .» وعلى أي حال فانه «من المرغوب فيه والضروري أن يسلم التفويضات الى رجال توفر لهم الوقت والفرصة ليتعرفوا بصورة جامعة الى المواد وثيقة الصلة بالموضوع . فليس للعامل البسيط والمعلم الحرفي الصغير .. الفراغ الضروري لذلك الا في حالات نادرة واستثنائية» . وهكذا فانتخبوا البورجوازيين !

وباختصار ، فان الطبقة العاملة عاجزة بحد ذاتها عن تحررها الخاص ، ومن واجبها لهذا الغرض أن تضع نفسها تحت قيادة البورجوازيين «المثقفين والمالكين» الذين يملكون وحدهم «الوقت والفرصة» للتعرف الى ما هو صالح للعمال . وثانياً لايجوز في حال من الأحوال مكافحة البورجوازية بل ـ **كسبها** بالدعاية القوية .

لكنه اذا كان من المرغوب فيه كسب الشرائح العليا من المجتمع أو عناصره ذات الموقف الودي وحدها فانه من الواجب عدم اخافتها في حال من الأحوال . وهنا يحسب الزويخيون الثلاثة أنهم حققوا اكتشافاً يبعث على الاطمئنان :

«في الوقت الراهن بالضبط ، تحت ضغط القانون المناهض للاشتراكية ، يبين الحزب أنه **لا يريد** أن يواصل طريق الثورة العنيفة الدموية بل قد حزم أمره ... على اتباع طريق الشرعية ، يعني **الاصلاح** .» وهكذا فاذا كان الناخبون الاشتراكيون الديموقراطيون البالغ عددهم ما بين ٥٠٠٠٠٠ الى ٦٠٠٠٠٠ ناخب ـ ما بين عشر وثمن مجموع الناخبين ، وهم فضلاً عن ذلك موزعون في طول البلاد وعرضها ـ عاقلين بحيث لا يضربون رؤوسهم بالجدار فيما يحاولون القيام «بثورة دموية» وهم واحد ضد عشرة ، فان هذا يثبت أنهم **تخلوا** الى الأبد عن الانتفاع من أي حدث خارجي عظيم ، من انتفاضة ثورية مفاجئة ناجمة عنه أو حتى من **ظفر** للشعب يتم كسبه في نزاع ناشىء عنه . واذا برهنت برلين في يوم من الأيام مرة أخرى على أنها عديمة الثقافة جداً بحيث تقوم بيوم ١٨ آذار آخر [1] ، فان من واجب الاشتراكية الديموقراطية ، بدلاً من الاشتراك في القتال من حيث هي «دهماء مجنونة بالمتاريس» (ص : ٨٨) ، أن «تسلك بالأحرى طريق الشرعية» ، فتضع الكوابح ، وتزيل

---

(١) الاشارة الى قتال المتاريس الثوري في برلين في ١٨ ـ ١٩ آذار ١٨٤٨

المتاريس ، واذا اقتضى الأمر تسير الى جانب الجيش المجيد ضد الجماهير ضيقة الذهن ، الخشنة ، غير المثقفة . أو اذا كان السادة يؤكدون أن ذلك ليس هو ما يقصدون ، فما الذي يقصدون اذن ؟

لكنه يتلو ذلك ما هو أفضل .

«وهكذا فانه بقدر ما يكون (الحزب) أكثر هدوءاً وموضوعية واحتراساً في نقده للشروط القائمة وفي مقترحاته لتغييرها تتناقص امكانية تكرار التحرك الناجح الحالي (عند تطبيق القانون المناهض للاشتراكية) الذي أخاف به الرجعيون الواعون البورجوازية باستحضارهم الشبح الأحمر» (ص : ٨٨) .

فبغرض تخليص البورجوازية من آخر أثر للقلق يجب أن يُبرهن بوضوح وبصورة مقنعة أن الشبح الأحمر ليس في واقع الأمر الا شبحاً ، وهو لا وجود له في الواقع . لكن ما هو سر الشبح الأحمر ان لم يكن خوف البورجوازية من صراع الحياة أو الموت المحتوم بينها وبين البروليتاريا ؟ الخوف من الحصيلة الحتمية للصراع الطبقي الحديث ؟ تخلصوا من الصراع الطبقي ولن تهاب البورجوازية و «جميع الناس المستقلين السير يداً في يد مع البروليتارين» ! ولسوف يكون المخدوعون هم البروليتاريون على وجه الدقة .

فليثبت الحزب اذن بطريقته المتواضعة والوديعة أنه تخلى بصورة نهائية عن «الأعمال غير اللائقة والمبالغات» التي تسببت في القانون المناهض للاشتراكية . واذا هو وعد بكل طيبة خاطر بأنه ينوي أن يتصرف ضمن حدود هذا القانون فقط ، فمن المؤكد أن بسمارك والبورجازية سوف يتلطفان فيلغيان هذا ، لأنه سوف يكون نافلاً اذن !

« ألا لا يُسيىء أحد فهمنا» ؛ اننا لا نريد أن «نتنازل عن حزبنا وعن برنامجنا ، لكننا نحسب أنه سوف يكون لدينا لسنين آتية ما يكفي من العمل اذا نحن ركزنا كل قوتنا وطاقتنا على بلوغ بعض الأهداف المباشرة التي لا بدّ في جميع الأحوال من تحقيقها قبل التفكير في تحقيق المطامح الأبعد بلوغاً» . وعندئذ فان اولئك البورجوازيين والبورجوازيين الصغار والعمال «الخائفين في الوقت الحاضر ... من مطالبنا الأبعد بلوغاً» سوف ينضمون الينا جماعات جماعات .

لن يُتخلى عن البرنامج بل سوف يُؤجَل فحسب ـ لفترة غير محدودة . ان المرء ليقبل به ، وان لم يكن في واقع الأمر من أجله شخصياً ومن أجل حياته الخاصة ، بل لما بعد وفاته ، من حيث هو ارث يسلم لأولاده واحفاده . وفي هذه الأثناء يكرس المرء «كل قوته وطاقته» لمختلف أنواع الهراء الحقير ولترقيع النظام الرأسمالي للمجتمع بحيث يبدو على الأقل أنه يفعل شيئاً دون ان يخيف البورجوازية في الوقت نفسه . وههنا يجب في الواقع أن أمتدح ميكيل «الشيوعي» الذي يبرهن على ايمانه الذي لا يتزعزع بالسقوط الحتمي للمجتمع الرأسمالي في سياق المئات القليلة التالية من السنين بالاحتيال بقدر طاقته والاسهام بأفضل ما في جعبته في أزمة عام ١٨٧٣ (١) ، وبذلك فهو يقدم فعلاً نصيباً في المساعدة في انهيار النظام القائم .

وكانت اهانة أخرى للسلوك الصالح هي «الهجمات المتطرفة ضد مؤسسي الشركات» الذين لم يكونوا على أي حال «الا أبناء عصرهم» ؛ ولذا فقد «كان من الأفضل الامتناع ... عن التهجم على ستراوسبرغ ومن شابهه» . ومن سوء الحظ أن كل امرىء انما هو «ابن عصره» ، واذا كان ذلك عذراً كافياً فانه لا تجوز بعد الآن مهاجمة كائن من كان ، ويتوقف كل سجال أو كل نضال من طرفنا ؛ اننا نقبل بهدوء بأن يدوس الخصوم على أقدامنا لأننا ، نحن الذين نتحلى بالحكمة البالغة ، نعرف أن هؤلاء الخصوم ليسوا «الا أبناء عصرهم» فهم لا يستطيعون التصرف بصورة مغايرة . وبدلاً من أن نردَّ لهم الصاع صاعين فان من واجبنا بالأحرى أن نشفق على هؤلاء البائسين .

ومن بعد فأن تأييد الكومونة ترتبت عليه سيئة أن «الناس الذين كانوا لولا ذلك يتخذون منا موقفاً ودياً قد انصرفوا عنا ، وعلى العموم تعاظم حقد البورجوازية علينا .» وفيما عدا ذلك ، فان الحزب «لا ينجو من اللوم كلياً لمرور قانون تشرين الأول (٢) ، لأنه أثار حقد البورجوازية بصورة لا ضرورة لها .»

ذلك هو برنامج نقاد زوريخ الثلاثة . من الواضح أنه لا يترك أدنى مجال

(١) ختم انهيار عام ١٨٧٣ مرحلة التاسيس المحموم للشركات ومضاربة الأعمال المجنونة والمقامرة في البورصة التي أعقبت انتهاء الحرب الفرنسية البروسية في ١٨٧٠ ـ ١٨٧١ .

(٢) الاشارة الى القانون الاستثنائي ضد الاشتراكيين المطبق من قبل بسمارك في تشرين الأول ١٨٧٨

للاستياء ، وأقل ما يمكن من قبلنا ، نحن الذين ألفنا جيداً هذا اللغو كله منذ أيام عام ١٨٤٨ . انهم ممثلو البورجوازية الصغيرة يرفعون صوتهم ههنا ، يملؤهم القلق لئلا تعمد البروليتاريا تحت ضغط الموقف الثوري الى «المضي بعيداً جداً» . الوساطة العامة بدلاً من المعارضة السياسية الحازمة ؛ ومحاولة كسب الحكومة والبورجوازية واقناعهما بدلاً من النضال ضدهما ؛ والخضوع الذليل والاعتراف بأن العقوبة كانت مستحقة بدلاً من المقاومة العنيدة لسوء المعاملة من فوق . ومن وجهة النظر التاريخية ، فان جميع النزاعات الضرورية تفسر من حيث هي سوء فهم ، وجميع المناقشات تنتهي بالتأكيد بأننا جميعاً متفقون في كل الأحوال على النقطة الرئيسية . وان الناس الذين برزوا على اعتبارهم ديموقراطيين بورجوازيين عام ١٨٤٨ يستطيعون تماماً ان يسموا أنفسهم اشتراكيين ديموقراطيين في الوقت الحاضر . ان الجمهورية الديموقراطية بالنسبة الى أولئك بعيدة المنال بُعْدَ سقوط النظام الرأسمالي بالنسبة الى هؤلاء ، وبالتالي فهي عديمة الاهمية اطلاقاً في السياسة العملية الراهنة ؛ ان في مقدور المرء أن يتوسط ، وأن يتواطأ ، وان ينزع النزعة الخيرية كما يحلو له . وينطبق الأمر نفسه تماماً على النضال الطبقي بين البروليتاريا والبورجوازية ، فهو معترف به على الورق لأنه ليس في المقدور انكاره بعد الآن ، لكنه يطمس في الممارسة ، ويمدد ، ويخفف . فالحزب الاشتراكي الديموقراطي **لا يجوز** أن يكون حزباً عمالياً ، لا يجوز أن يتعرض لكراهية البورجوازية أو أي كائن آخر ؛ ان من واجبه في المحل الأول أن يقوم بالدعاية النشيطة في صفوف البورجوازية ؛ فبدلاً من أن يشدد على الأهداف البعيدة المنال التي تخيف البورجوازية وهي على أي حال لا يمكن بلوغها في جيلنا ينبغي له بالحري أن يكرس كل قوته وطاقته لتلك الاصلاحات البورجوازية الصغيرة المتفرقة التي ربما كان في مستطاعها ، إذ تزود النظام القديم للمجتمع بدعائم جديدة ، ان تحول الكارثة النهائية الى عملية انحلال تدريجية تتم شيئاً فشيئاً وبصورة سلمية قدر الامكان . ان هؤلاء هم نفس اولئك الناس الذين لا يقتصرون ، وقد انخرطوا ظاهرياً في نشاط لا يكل ، على ألا يفعلوا شيئاً هم أنفسهم ، بل يحاولون منع حدوث أي شيء كان باستثناء ـ الثرثرة ؛ نفس اولئك الناس الذين كان خوفهم من مختلف أشكال الفعل سبباً عام ١٨٤٨ وعام ١٨٤٩ في تعويق الحركة لدى كل خطوة وفي سقوطها آخر

الأمر ؛ نفس اولئك الناس الذين لا يرون رد الفعل قط ، ومن ثم يذهلون كل الذهول اذ يشاهدون أنفسهم في النهاية في طريق مسدودة حيث لا سبيل الى المقاومة ولا الى الهرب ؛ نفس اولئك الناس الذين يريدون أن يحشروا التاريخ في حدود أفقهم البورجوازي الصغير الضيق والذين يتابع التاريخ دائماً طريقه ويخلفهم وراءه .

وأما بشأن قناعاتهم الاشتراكية ، فهذا ما سبق نقده بصورة ملائمة في **البيان** ، في الفصل عن «الاشتراكية الألمانية أو الحقيقية» . حيث يُنحّى النضال الطبقي جانباً على اعتباره ظاهرة «خشنة» غير مرغوب فيها لا يتبقى أي شيء كأساس للاشتراكية سوى «حب الانسانية الحقيقي» واللغو الأجوف عن «العدالة» .

انها ظاهرة حتمية ، متجذرة في سياق التطور ، أن يلتحق الناس الذين ينتسبون حتى هذا الحين إلى الطبقات الحاكمة بالبروليتاريا المناضلة ويزودوها بالعناصر التثقيفية . لقد قررنا ذلك بكل وضوح في **البيان** ، لكنه لا بدّ هنا من الاشارة الى نقطتين :

**أولاً** ، لا بدّ لهؤلاء الناس كي يكونوا ذوي فائدة للحركة البروليتارية من تزويدها بالعناصر التثقيفية الفعلية . لكن ليست تلك هي الحال بالنسبة الى الغالبية العظمى من المهتدين البورجوازيين الألمان فلا **Zukunft** ولا **Neue Gesellschaft** أسهمتا بأي شيء يمكن أن يتقدم بالحركة خطوة واحدة الى الأمام . ان ثمة نقصاً مطلقاً ههنا في المواد التثقيفية الفعلية ، الواقعية والنظرية على حد سواء . واننا لنجد في مكانها محاولات من أجل التوفيق بين الأفكار الاشتراكية المتمثلة بصورة سطحية وبين وجهات النظر النظرية شديدة التنوع التي جلبها هؤلاء السادة معهم من الجامعات أو من أي مكان آخر والتي كانت كل واحدة منها أشد اضطراباً من الأخرى من جراء عملية الانحلال التي تجتازها في الوقت الحاضر بقايا الفلسفة الألمانية . وبدلاً من أن يبدأوا بأن يدرسوا هم أنفسهم بصورة شاملة العلم الجديد فضل كل منهم أن يرتبه بحيث يتلاءم مع وجهة النظر التي جاء بها ، وصنع لنفسه في الحال علماً خصوصياً وقفاً عليه بالذات وتقدم حالاً زاعماً أنه يريد أن يعلمه . ومن هنا فإن بين هؤلاء القوم وجهات نظر عديدة بقدر الرؤوس التي بينهم ؛ فبدلاً من أن ينتجوا الوضوح في حالة واحدة لم ينتجوا الا الالتباس الميئوس منه فقط ـ ومن حسن الحظ في صفوفهم حصراً

على وجه التقريب . ان العناصر التثقيفية التي مبدؤها الأولي أن تعلّم ما لم تتعلمه هي نفسها يمكن للحزب أن يستغني عنها تماماً .

**ثانياً** ، اذا انضم الناس من هذا النوع من الطبقات الأخرى الى الحركة البروليتارية ، فيجب أن يكون الشرط الأول لذلك ألا يجلبوا معهم أية بقايا من المستبقات البورجوازية والبورجوازية الصغيرة ، الخ ، بل يتخذون وجهة النظر البروليتارية بكل اخلاص . بيد أن هؤلاء السادة مترعون ، كما ثبت ذلك ، بالأفكار البورجوازية والبورجوازية الصغيرة . ومن المؤكد أن لهذه الأفكار ما يبررها في مثل هذا البلد البورجوازي الصغير الذي هو ألمانيا ، لكن **خارج** حزب العمال الاشتراكي الديموقراطي فقط . واذا تشكل هؤلاء السادة في حزب اشتراكي ديموقراطي بورجوازي صغير ، فان لهم الحق التام في ذلك ؛ وانه لفي مقدور المرء أن يتفاوض معهم أذن ، وأن يشكل معهم **كتلة** وفقاً للظروف ، الخ . أما في حزب عمالي ، فأنهم يشكلون عنصراً مدنساً . واذا كانت هناك أسباب تحملنا على التهاون معهم في هذا الحزب في الوقت الحاضر ، فإن من واجبنا أن نتهاون معهم **فقط** وألا نتيح لهم أي نفوذ في قيادة الحزب وأن نظل مدركين أن القطيعة معهم انما هي قضية وقت ليس غير . وفيما عدا ذلك فانه يبدو أن هذا الوقت قد حان . كيف يستطيع الحزب أن يحتمل في صفوفه بعد الآن مؤلفي هذه المقالة ، هذا أمر لا يمكننا فهمه . أما اذا سقطت قيادة الحزب بالذات أكثر أو أقل في أيدي هؤلاء الناس ، فان الحزب سوف يتشوه ويحُرم بعد الآن من اندفاعته البروليتارية .

وأما فيما يتعلق بنا ، فانه نظراً لماضينا بأكمله ليس أمامنا الا طريق واحدة مفتوحة . لقد شددنا طوال قرابة أربعين عاماً على الصراع الطبقي من حيث هو القوة القائدة في التاريخ ، وبصورة خاصة على الصراع الطبقي بين البورجوازية والبروليتاريا من حيث هو الرافعة العظيمة للثورة الاجتماعية الحديثة ؛ ولذا فانه من المحال بالنسبة الينا أن نتعاون مع أناس يريدون أن يشطبوا هذا الصراع الطبقي من الحركة . وحين تشكلت الأممية صغنا بكل وضوح شعار المعركة : ان تحرر الطبقات العاملة يجب أن يتحقق بواسطة الطبقات العاملة بالذات . ولذا فإنه ليس في وسعنا أن نتعاون مع أناس ينادون صراحة بأن العمال يفتقرون الى الثقافة افتقاراً شديداً بحيث

لا يستطيعون أن يتحرروا بأنفسهم ويجب تحريرهم من فوق من قبل البورجوازيين الكبار والبورجوازيين الصغار من أصحاب نزعة الخير . واذا ما تبنت صحيفة الحزب الجديدة خطاً يتفق مع آراء هؤلاء السادة ، يعني خطاً بورجوازياً لا بروليتارياً ، فلن يتبقى أمامنا اذن ، مهما يكن أسفنا لذلك عظيماً ، الا أن ننادي علناً بمعارضتنا لها ، وأن ننقض أواصر التضامن الذي مثلنا به حتى الآن الحزب الألماني في الخارج . لكنه يؤمل ألا تصل الأمور الى مثل هذا المأزق ...

## ١٦٢

## ماركس الى أ . سورج

**لندن ، في ١٩ ايلول ١٨٧٩**

... قد تبلغ الأمور في الحقيقة نقطة حيث لا بدّ لأنجلز ولي من إثارة ضجة في «بيان عام» ضد اللايبزغيين وحلفائهم الزوريخيين .

هذه هي الأوضاع : كتب بيبل الينا أنهم يريدون أن يؤسسوا صحيفة حزبية في زوريخ [1] وطلب منا اسمينا على اعتبارنا مراسلين . وقد أعطي لنا اسم هيرش على اعتباره رئيس التحرير المتوقع . وعلى هذا الأساس **قبلنا** ، وقد كتبت مباشرة الى هيرش (وكان في باريس وقتئذ ، وقد نفي عنها منذ ذلك الحين ، للمرة الثانية) أن يقبل بمركز رئاسة التحرير ، مبيناً أنه وحده يزودنا باليقين بأن خليطاً من الدكاترة والطلاب والأوغاد الاشتراكيين المحترفين ، كاولئك الذين يتبخترون في **Zukunft** ، الخ ، وقد بدأوا من الآن يتغلغلون في **Vorwarts** ، سوف يُبعد عنها ، وبأن خط الحزب سوف يُتمسك به بحزم ... إن هؤلاء الناس ، الأصفار في النظرية وعديمي النفع في الممارسة ، يريدون أن يقلموا أظفار الاشتراكية (التي رتبوها وفقاً للوصفات الجامعية) ، وبصورة خاصة أظافر الحزب الاشتراكي الديمقراطي ، كي ينوروا العمال ، أو على حد تعبيرهم كي ينفثوا فيهم «عناصر الثقافة» من معرفتهم الناقصة الملتبسة ، وقبل كل

---

(١) **Der Sozialdemokrat** ، الصحيفة المركزية للاشتراكية الديموقراطية ، وقد باشرت الصدور في زوريخ في ايلول ١٨٧٩ .

شيء أن يجعلوا الحزب محترماً في أعين البورجوازية الصغيرة . انهم **مجرد مدعين ضد ثوريين** بائسين ...

وبعد فاذا عمدت **Wochenblatt** ـ صحيفة الحزب ـ فعلياً الى **سلوك الخط** الذي باشرته صحيفة هوشبرغ **Jahrbuch** ، فسوف نضطر الى اتخاذ موقف علني ضد مثل هذا الابتذال للحزب والنظرية ! لقد حرر انجلز مذكرة عامة (رسالة) الى بيبل ، الخ (من أجل **التداول الخاص** طبعاً بين قادة الحزب الألمان وحدهم) تعرض فيه وجهة نظرنا دونما تحفظ . وهكذا فقد أنذر هؤلاء السادة مقدماً ، وهم على اطلاع جيد يكفي ليعرفوا أن هذا يعني : اذا لم تحبه فبامكانك أن تصبر عليه ! اذا كانوا راغبين في التعرض للشبهة فبئس المصير ! لكنه لن يُسمح لهم في حال من الأحوال بتعريضنا **نحن** للشبهة . وانه لفي مقدورك أن ترى الى أي حد جعلتهم البرلمانية حمقى من الحقيقة التالية ، من بين أمور أخرى ، ألا وهي أنهم يتهمون هيرش بجريمة فادحة ـ بسبب ماذا ؟ لأنه عامل الوغد كايسر بشيء من القسوة في **Laterne** لخطابه المخزي عن قانون التعرفات الذي وضعه بسمارك . لكنهم يقولون الآن أن الحزب ، يعني تلك الحفنة من ممثلي الحزب البرلمانيين ، قد فوضت كايسر بأن يقول مثل ذلك الكلام ! وان هذا نيجلب على هذه الحفنة مزيداً من العار ! لكن هذه ذريعة بائسة مع ذلك ! وفي الحقيقة انهم كانوا على قدر كاف من الخبث ليدعوا كايسر يتحدث باسمه وباسم ناخبيه ولكنه تكلم في الحقيقة باسم الحزب . ومهما يكن من أمر ، فقد تلوثوا في هذه الأثناء حتى درجة بعيدة بالبلاهة البرلمانية بحيث يحسبون أنهم **فوق النقد** ، وبحيث يهاجمون النقد على اعتباره **طعناً بالذات الملكية** ...

## ١٦٣

## انجلز الى أ . بيبل

**لندن ، في ١٤ تشرين الثاني ١٨٧٩**

وان هذا ليحملني الى التقرير(١) . مهما تكن البداية جيدة . ومهما تكن معالجة

---

(١) ينتقد انجلز في هذه الرسالة تقرير الفريق الاشتراكي الديمقراطي في الرايخستاغ المنشور في الاشتراكي الديمقراطي في تشرين الأول ١٨٧٩

المناقشة حول تعرفة الحماية حاذقة ، فان التنازلات الى البورجوازيين الصغار الألمان المتضمنة في القسم الثالث غير مقبولة ..ما الداعي الى تلك الفقرة النافلة كلياً عن «الحرب الأهلية» ، وما الداعي الى ذلك التزلف «للرأي العام» الذي سوف يكون في المانيا دائماً رأي البورجوازي الصغير صاحب مشرب الجعة ؟ وما الداعي هنا الى الطمس الشامل لطابع الحركة الطبقي ؟ وما السبب في تزويد الفوضويين بهذا السبب للفرحة؟ ولا تنس أن هذه التنازلات جميعاً عديمة الجدوى . ان البورجوازي الصغير الألماني هو الجبن متجسداً ، وهو لا يحترم الا اولئك الذين يخيفونه ، لكنه يعتبر كل من يحاول أن يستميله واحداً من طرازه الخاص ولا يحترمه أكثر مما يحترم نفسه بالذات ، يعني أنه لا يحترمه البتة . والآن وقد استكانت من جديد حتى درجة كبيرة «عاصفة» الاستياء لدى البورجوازيين الصغار أصحاب مشارب الجعة ، الذين يسمون الرأي العام ، وعطلت الضرائب الفادحة فكر هؤلاء الناس ، فما الداعي الى هذه الخطب المعسولة ؟ لوكنت تعرف فحسب كيف يتردد صداها في الخارج ؟ انه لأمر جيد تماماً أن يُصدر صحفَ الحزب أناس هم في خضم الحزب والصراع . لكنك اذا أقمت في الخارج لمدة ستة أشهر فقط فسوف يختلف رأيك كلياً في هذا الأذلال الذاتي غير الضروري مطلقاً لنواب الحزب أمام البورجوازيين الصغار . ان العاصفة التي تفجرت فوق رؤوس الأشتراكيين الفرنسيين بعد الكومونة قد كانت بطبيعة الحال شيئاً مختلفاً كل الاختلاف عن الضوضاء المثارة في ألمانيا بسبب قضية نوبيلينغ(١) . ولشد ما كان سلوك الفرنسيين أعظم اعتزازاً وكرامة ! إنك لن تجد فيما بينهم مثل هذا الضعف ، مثل هذا المديح لخصومهم . لقد لاذوا بالصمت حين لم يكن في مقدورهم التحدث بحرية لقد تركوا البورجوازيين الصغار يفرغون ما في جعبتهم عارفين أن زمنهم سوف يحين مرة أخرى بكل تأكيد ؛ وهذا هو قد حان الآن ...

وأما فيما عدا ذلك فكل ما أريد هو الاشارة الى تلميحات أوير بأننا هنا نستهين بالمصاعب التي لا بدّ للحزب من مجابهتها في ألمانيا كما نستهين بأهمية النجاحات

---

(١) في حزيران من عام ١٨٧٨ حاول شخص يدعى نوبيلينغ اغتيال وليم الأول ، وهي المحاولة التي كانت ذريعة لاصدار القانون المناهض للاشتراكية

التي تحققت بالرغم من ذلك وبالسلوك المثالي كلياً الذي سلكته **الجماهير** الحزبية حتى الوقت الراهن . انه لمن المفروغ منه طبعاً أن كل نصر يكسب في ألمانيا يبهج قلوبنا كمثل أي نصر يكسب في مكان آخر ، بل أكثر من ذلك لأن الحزب الألماني اعتمد منذ البداية على موضوعاتنا النظرية في تطوره . ولهذا السبب بالذات فان من واجبنا أن نعنى بصورة خاصة بأن يكون السلوك العملي للحزب الألماني والبيانات العامة للقيادة الحزبية بالخاصة منسجمة مع النظرية العامة . ومن المؤكد أن نقدنا سوف يثير حنق عدد كبير من الناس . بيد أن ما يجب أن يكون اعظم قيمة من أية مدائح غير نقدية بالنسبة الى الحزب وقيادته هو أنه يملك في الخارج عدداً كبيراً من الناس الذين لم يتأثروا بالشروط المحلية المشوشة وبتفاصيل الصراع بحيث يقيسون الوقائع والبيانات من حين لآخر بالمبادىء النظرية الصالحة لجميع الحركات البروليتارية الحديثة ، وهم يعكسون الانطباع الذي تخلقه أفعاله خارج ألمانيا .

المخلص في الصداقة

**ف . انجلز**

## ١٦٤

# انجلز الى أ . بيبل

**لندن ، في ١٦ كانون الأول ١٨٧٩**

...ليس لنا مكان في جريدة يمكن فيها فعلياً التفجع على ثورة عام **١٨٤٨** التي فتحت للمرة الأولى البوابات على مصاريعها أمام الاشتراكية الديموقراطية أنه ليتبين بكل وضوح من هذه المقالة ومن رسالة هوشبرغ أن الثلاثي الرئيسي يطالب ، بالاستناد الى مبدأ الحقوق المتساوية ، بحق عرض آرائه الاشتراكية البورجوازية الصغيرة التي صيغت للمرة الأولى بصورة واضحة في **Jahrbuch** ، وذلك جنباً الى جنب مع الآراء البروليتارية في **الاشتراكي الديموقراطي** . ولست أستطيع أن أرى كيف يمكنكم أنتم في لايبزغ أن تمنعوا ذلك بدون قطيعة فعلية اذا ما وصلت الأمور مرة الى هذا المأزق . أنت لا تزال تعتبر هؤلاء الناس رفاقاً حزبيين ، مثلما كانوا فيما مضى ، ونحن لا نستطيع أن نفعل ذلك . أن المقالة في **Jahrbuch** ترسم خطاً حاداً ومتميزاً

بصورة مطلقة فيما بيننا . بل لسنا نستطيع أن نتعامل مع هؤلاء الناس طالما أصروا على انتسابهم الى نفس الحزب الذي ننتسب اليه . ان القضايا موضع البحث هنا هي قضايا لا يمكن بعد الآن مناقشتها أبداً ضمن أي حزب بروليتاري ان جعلها موضوع مناقشة ضمن أي حزب معناه أن نطرح على النقاش مجمل الاشتراكية البروليتارية .

وواقع الأمر أنه من الأفضل في هذه الظروف ألا نتعاون(١) . سوف نستمر في الاحتجاج طوال الوقت ، ثم نعلن على الملأ بعد أسابيع قليلة انسحابنا الأمر الذي لن يخدم القضية .

إننا نأسف كثيراً لأننا لا نستطيع في هذا الوقت الذي حُظرالحزب فيه أن نقف الى جانبكم دون تحفظ . لقد وضعنا جانباً جميع الاعتبارات الأخرى طالما بقي الحزب في ألمانيا أميناً لطابعه البروليتاري . أما الآن ، وقد أظهرت العناصر البورجوازية الصغيرة التي قُبلت فيه ألوانها الحقيقية صراحة ، فقد تغير الوضع . فحالما يسمح لهم بتهريب أفكارهم البورجوازية الصغيرة بالمفرق الى صحيفة الحزب الألماني ، تغلق علينا هذه الصحيفة بكل بساطة ...

أما فيما عدا ذلك ، فان التاريخ العالمي يأخذ مجراه ، غير آبه بهؤلاء البورجوازيين الصغار الحكماء والمعتدلين . ففي روسيا لا بدّ أن تبلغ الامور مرحلة الازمة خلال أشهر قليلة من الآن . فاما أن يطاح بالحكم المطلق وعندئذ ، بعد سقوط الاحتياطي الكبير للرجعية ، سوف يسود اوروبا جو مختلف في الحال . وأما أن تندلع حرب اوروبية تدفن الحزب الألماني الحالي تحت الصراع الحتمي لكن شعب في سبيل وجوده القومي . ان مثل هذه الحرب سوف تكون الكارثة العظمى بالنسبة الينا : فقد ترجع بالحركة القهقرى عشرين سنة . بيد أن الحزب الجديد الذي لا بدّ أن ينبثق على أي حال سوف يكون في جميع البلدان الأوروبية خالياً من كتلة من الشكوك والتفاهات التي تعوق الحركة في كل مكان في الوقت الراهن

مع خالص الود

**ف . إ**

---

(١) مع الاشتراكي الديموقراطي

# ١٨٨٠

## ١٦٥

## انجلز الى م . ك . كابلوكوفا

**لندن ، في ٥ آب ١٨٨٠**

عزيزتي السيدة كوبلوكوفا

عطفاً على السطور القليلة التي كتبتها الى بيارتيز أستطيع فقط أن أقول لك إني عاجز في الوقت الحاضر عن توصيتك بأية وثائق أو تقارير غير تلك التي سودتها أنت نفسك في رسالتك الأخيرة . وعلى أي حال ، بعد عطلة المدارس ، حين يعود أناس مختلفون من معارفي ، سأقوم بمزيد من البحث واذا عثرت على أي شيء جديد أرسلته الى عنوانك في موسكو أو أخبرته بالامر . وكيما تبدو هذه المراسلات عديمة الضرر كلياً سأكتب بالانكليزية وأوقع الرسائل باسم إ . بورنز . أرجو أن توجهي أي اتصال لي من هناك الى الآنسة إ . بورنز ، ١٢٢ ريجنت بارك رود ، ن . و . لندن . ولا حاجة الى اي غلاف داخلي ، فهي ابنة اختي .

قرأت باهتمام بالغ ما رويته عن نشاطاتك في موسكو وعن مشروع تأسيسك مدرسة تجارية بمساعدة رئيس الزمستفو . ان لدينا ههنا جميع التقارير الاحصائية الخاصة بجميع الزمستفويات الروسية ، وعلى العموم مواد ممتازة تماماً عن الشروط الاقتصادية في روسيا . ومن سوء الحظ أني لا أستطيع أن أراجعها في الوقت الحاضر نظراً لأنها لدى ماركس في داره وهو حالياً في منتجع على الساحل مع أسرته بكاملها . بيد أن ذلك لن يقدم لي عوناً كبيراً في الجواب عن سؤالك لأنه يتطلب معرفة وثيقة بفروع الاقتصاد الداخلي موضوع البحث ، وطريقة عملها ، ومنتجاتها ، وقدرتها على المنافسة وهو ما لا يمكن تحقيقه الا على النطاق المحلي وحده . وعلى العموم ، يخيل الي أن الصناعات التي تذكرينها يمكن ، حتى درجة عريضة على الأقل ، أن تكون قادرة

بعد حتى فترة من الزمن على المنافسة مع الصناعة الكبيرة الحديثة . أن مثل هذه التحولات الصناعية بطيئة التقدم حتى درجة كبيرة . ففي ألمانيا نجد أن النول اليدوي نفسه لم يحذف بعد كلياً من بعض الفروع الصناعية التي طرد منها في انكلترا قبل ٢٠ ـ ٣٠ عاماً . وفي روسيا قد تتحرك الأمور بمزيد من البطء أيضاً . فالشتاء الطويل هنالك يتيح للفلاح وقتاً حراً كبيراً ، فاذا هو كسب خلال اليوم شيئاً ، مهما يكن ضئيلاً ، فنعماً بذلك . ومن الطبيعي أن هذه الطرق البدائية في الانتاج لا تستطيع أن تفلت من مصيرها الأخير ، ويمكن القول في بلد صناعي عالي التطور كما هو البلد الذي نحن فيه هنا مثلاً إن في التعجيل بهذه العملية الانحلالية بالأحرى من اطالتها مزيداً من الانسانية . بيد أن الظروف يمكن كلياً أن تكون مغايرة في روسيا ، وبخاصة نظراً لأن تبدلات هائلة في الأوضاع السياسية تتراءى في الأفق . ان المسكنات الحقيرة التي لم تؤد في ألمانيا وسواها سوى لخير ضئيل بصورة لا متناهية ، كما سنحت لك الفرصة للاقتناع بذلك ، قد تساعد الناس هنا وهناك في روسيا في التغلب على الأزمة السياسية والحفاظ على صناعتهم فعالة حتى يصبحوا هم أنفسهم في مركز يكون لهم فيه كلمتهم الخاصة . ولعل المدارس تمكنهم من أن يعرفوا وقتئذ حتى درجة ما ما يجب أن يقولوه ، فجميع العناصر التثقيفية المبعثرة بين الشعب تسهم في هذا الهدف أكثر أو أقل . ولعل التعليم التقني يحقق هدفه بمزيد من اليسر اذا ما هو جرب من جهة واحدة أن يجعل الكد المبذول على الأقل في أكثر الصناعات المألوفة قابلية للحياة أكثر عقلانية ، ومن جهة ثانية أن يعطي الأطفال ما يكفي من التدريب التقني البدائي العام بحيث يصبح تغيير الصناعة أسهل عليهم .. وباستثناء مثل هذه العموميات يصعب على المرء أن يقول أي شيء من بعيد . لكن هذا الأمر يبدو مؤكداً حتى درجة كبيرة : ان غوبرنيا موسكو لن تصبح مركزاً للصناعة الحديثة عاجلاً جداً نظراً لبعدها الكبير عن مناطق الفحم ونظراً للنقص في الحطب منذ الآن . ولعل بعض أنواع الصناعة المنزلية ، وان تكن عرضة لتبدل متكرر ، تستمر لفترة من الزمن حتى اذا أتاحت تعرفات الحماية قيام بعض المانيفاكتورات الكبيرة ، مثل صناعة القطن في شويا وايفانوفو وغوبرينا . ومع الزمن لن يكون في الامكان مساعدة الفلاحين إلا اذا حصلوا على المزيد من الأرض وزرعوها بصورة جماعية .

إن معلوماتك المتعلقة بالانحلال البدئي **للأوبشينا**[1] والأرتل[2] تؤكدها الأنباء الواردة من أماكن أخرى . ومهما يكن من أمر ، فان عملية الانحلال هذه قد تستمر طويلاً . ولما كان الاتجاه العام في اوروبا الغربية هو بالضبط في المنحى المضاد ومن المفروض أن يزداد شدة حتى درجة هائلة خلال الانتفاضة التالية ، فمن المتوقع أن يصبح هذا الاتجاه في روسيا أيضاً ، وقد انتجت العديد من العقول الناقدة خلال السنوات الثلاثين الأخيرة ، على قدر كاف من القوة في الوقت الملائم بحيث يستنجد بالحافز الطبيعي العريق عند الشعب الى التشارك قبل أن يخبو هذا الحافز كلياً : ولهذا السبب فان الرابطات الانتاجية والأشكال الأخرى لتشجيع نظام التشارك بين الشعب يجب أن ينظر اليها في روسيا من زاوية تختلف عنها في الغرب . بيد أنها سوف تظل مع ذلك مسكنات حقيرة على الدوام .

مع عميق الاحترام

**ف . انجلز**

## ١٦٦

# ماركس الى ف . أ . سورج

**لندن ، في ٥ تشرين الثاني ١٨٨٠**

...تسير الأمور بصورة رائعة عموماً (أقصد بذلك الأوضاع العامة في اوروبا) ، وكذلك داخل الحزب الثوري حقاً وفعلاً في القارة .

والأرجح أنك لاحظت **أن المساواة**[3] (وذلك بصورة رئيسية بفضل انضمام **غيسد** الينا وأعمال صهري لافارغ) زودتنا **بالصحيفة العمالية** «الفرنسية» الأولى بكل معنى الكلمة . ولم يكن بدّ **لمالون** أيضاً ، في **المجلة الاشتراكية** ، أن يعتنق «socialisme moderne scientifique»[4] ، يعني الاشتراكية **الألمانية** ، وان يكن ذلك مع

---

(١) جماعية قروية

(٢) من أجل وصف الأرتل راجع مقالة انجلز «في العلاقات الاجتماعية في روسيا» ، ماركس وانجلز ، **المؤلفات المختارة** ، المجلد الثاني ، موسكو ١٩٥٥ ، ص ٤٩ ـ ٦١ من الطبعة الانكليزية

(٣) صحيفة اشتراكية يومية صدرت في باريس وكان يرأس تحريرها غيسد ولافارغ .

(٤) الاشتراكية العلمية الحديثة

التهافتات اللاصقة بطبيعته الانتقائية (كنا عدوين ، نظراً لأنه كان في الأصل أحد مؤسسي **Alliance**[التحالف]) . ولقد كتبت[1]«Questionnaire»من أجله ، وقد طبع للمرة الأولى في **المجلة الاشتراكية** ، ومن بعد وزعت طبعاته التالية بأعداد كبيرة في جميع أنحاء فرنسا . وبعد ذلك بوقت قصير قدم غيسد الى لندن لوضع برنامج انتخابي عمالي معنا (انجلز ولافارغ وأنا) من أجل الأنتخابات العامة الآتية . وباستثناء بعض الهراء ، الذي وجد غيسد من الضروري أن يصوغه للعمال الفرنسيين رغماً عن احتجاجنا ، مثل **تحديد حد أدنى للأجور** قانونياً ، وما شابه ذلك (قلت له :«اذا كانت البروليتاريا الفرنسية على هذا القدر من الصبيانية بعد بحيث تطالب بمثل هذا الطعم ، فلا حاجة الى وضع أي برنامج كان اذن»)، فإن هذه الوثيقة المقتضبة جداً في قسمها الاقتصادي تتكون فقط من مطالب نشأت بالفعل بصورة عفوية من الحركة العمالية نفسها . وان الهدف الشيوعي ليعرَّف بكلمات قليلة في فقراتهاالافتتاحية . تلك كانت خطوة شديدة في اتجاه جذب العمال الفرنسيين نحو الأرض من ضبابهم الهرائي ، وبالتالي كانت صدمة عنيفة بالنسبة الى جميع الطائشين الفرنسيين الذين يحيون من «صنع الضباب» . وبعد المعارضة الأعنف من قبل الفوضويين تم تبني البرنامج أولاً في المنطقة الوسطى ـ يعني باريس وكل ما يصاحبها ـ وفي وقت لاحق في مراكز عمالية عديدة أخرى . وان التشكل المتواقت لجماعات معارضة من العمال قبلت على أي حال معظم مطالب البرنامج «العملية» (باستثناء الفوضويين الذين لا يتشكلون من عمال فعليين بل من [2]déclassés مع عدد ضئيل من العمال المخدوعين على اعتبارهم جنودهم العاديين) وحقيقة أن مواقف متباعدة جداً قد تم التعبير عنها بخصوص مسائل أخرى يبرهنان في رأيي على أن تلك **أول حركة عمالية فعلية** في فرنسا . فحتى الآن لم تتوفر هنالك الا الشيع ، وكانت بالطبع تتلقى شعاراتها من مؤسس الشيعة ، فيما كانت كتلة البروليتاريا تتبع البورجوازيين الراديكاليين أو شبه الراديكاليين وتقاتل من أجلهم في اليوم الحاسم ، وما ذلك الا كي تُذبح وتُنفى .

(١) «**الاستبيان**» ، ويقصد ماركس الاستبيان الذي حرره بشأن شرط الطبقة العاملة في فرنسا ، وقد صدر باسم «الاستفتاء العمالي» .

(٢) العناصر التي لا تنتسب الى أي طبقة .

الخ ، في اليوم التالي بالضبط من قبل اولئك الذين سلمتهم القيادة هي نفسها .

ان (١) **Emancipation** التي صدرت في ليون قبل أيام سوف تكون صحيفة **الحزب العمالي** الذي برز على أساس الاشتراكية الألمانية ...

وفي روسيا حيث يقرأ **رأس المال** ويقدر أكثر من أي مكان آخر حصلنا على نجاح أعظم من ذلك أيضاً . من جهة واحدة لدينا **النقاد** (وهم في الأغلب أساتذة جامعيون شبان ، وبعضهم أصدقاء شخصيون لي ، وكذلك بعض كتاب المجلات) ، ومن جهة ثانية **اللجنة المركزية الارهابية** (٢) التي أثار **برنامجها** المطبوع سراً والموزع في بطرسبورغ مؤخراً نقمة عظيمة بين الروس الفوضويين في **سويسرا** ، الذين يصدرون **الاقتسام الأسود** (هذه هي الترجمة الحرفية عن الروسية(٣)) في جنيف . ان هؤلاء الأشخاص ـ ومعظمهم (لا كلهم) أناس غادروا روسيا **بارادتهم** ـ يشكلون ما يسمى حزب الدعاية بالمعارضة مع الارهابيين الذين يخاطرون بحياتهم . (كيما يقوموا بالدعاية **في روسيا** انتقلوا الى **جنيف** ! يا له من (٤)quid pro quo!) . ان هؤلاء السادة ضد أي عمل سياسي ثوزي . ان من واجب روسيا أن تقوم بقفزة بهلوانية الى العصر الألفي الفوضوي الشيوعي الملحد ! وانهم ليستعدون لهذه القفزة في هذه الأثناء بالتمذهب الأشد عناء ، هذا التمذهب الذي نودي على مبادئه المزعومة في الشارع منذ باكونين الراحل .

والآن كفى من أجل هذه المرة . دعني اسمع منك عاجلاً . أفضل التمنيات من زوجتي .

Totus Tuus

**كارل ماركس**

---

(١) التحرر .

(٢) يقصد ماركس اللجنة التنفيذية المؤسسة عام ١٨٧٩ للجمعية النارودنية السرية المعروفة باسم «Narodnaya «Volya» [«ارادة الشعب»] .

(٣) Cherny Peredel

(٤) بديل .

# ١٨٨١

## ١٦٧

## ماركس الى ن . ف . دانييلسون

**لندن ، في ١٩ شباط ١٨٨١**

...قرأت بأعظم الاهتمام مقالتك(١) «الأصيلة» بأفضل معاني الكلمة . ومن هنا كانت المقاطعة . اذا أنت اخترقت شباك التفكير الروتيني ، فمن المؤكد دائماً أنك سوف «تُقاطَع» في المحل الأول ؛ ذلك سلاح الدفاع الوحيد الذي يعرف أصحاب الروتين كيف يستعملونه في حيرتهم . لقد «قوطعت» في ألمانيا طوال سنوات وسنوات ، ولا أبرح موضع المقاطعة في انكلترا ، مع هذا الاختلاف الصغير ، ألا وهو أن شيئاً ما بالغ السخف والبلاهة يشن ضدي من حين لآخر بحيث أحمر خجلاً اذا أنا أبديت علنا أي اهتمام به . ولكن تابع ! ان الشيء التالي الواجب عمله ـ في رأيي ـ هو أن تأخذ **دين الملاكين العقاريين** المتعاظم بصورة مذهلة ، وهم ممثلو الطبقة العليا في الزراعة ، وتبين لهم كيف «يبلورون» في الأخذ والرد تحت رقابة «دعائم المجتمع الجديدة» .

اني معني جداً بأن أرى مساجلاتك مع **الكلمة**(٢) . وحالما أبحر في مياه أهدأ سوف ألتفت بمزيد من العناية الى دراستك **Esquisse** . أما في الوقت الحاضر فلا يمكنني أن أغفل ملاحظة واحدة . ولما كانت التربة قد انهكت وهي لا تحصل على العناصر ـ بالسماد الاصطناعي والنباتي والحيواني ، الخ ـ كي تسد حاجاتها ، فانها ستواصل مع الرحمة المتبدلة للفصول والظروف المستقلة عن التأثير الانساني في اعطاء مواسم

---

(١) المقالة المذكورة : «نبذات عن اقتصادنا الاجتماعي لما بعد الاصلاح» ، كتبها دانييلسون بالاسم المستعار **نيقولاي ـ اون** ونشرت في مجلة **الكلمة** في تشرين الأول عام ١٨٨٠ .

(٢) **Clovo** .

مختلفة المقادير جداً ، وان يكن الطابع الركودي للانتاج ، اذا لخصنا مرحلة **تمتد على** سنوات ، مثلاً من **١٨٧٠** الى **١٨٨٠** ، يمثل بصفة شديدة البروز. **وفي مثل هذه** الظروف تعبد الشروط المناخية الملائمة الطريق أمام **سنة مجاعة** باستهلاكها وتحريرها السريعين للأسمدة المعدنية التي لا تبرح كامنة في التربة ، بينما العكس بالعكس ، اذ أن **سنة مجاعة** ، والأكثر من ذلك سلسلة من السنوات الرديئة التالية لها ، تتيح للمعادن الدفينة في الأرض ان تتراكم من جديد وأن تعمل بصورة فعالة مع عودة الشروط المناخية المناسبة . ومن الطبيعي أن مثل هذه العملية تجري في كل مكان ، لكنها في **الامكنة الأخرى** تكبح بفعل التدخل المعدل الذي يمارسه المزارع نفسه . انها تصبح **العامل المنظم الوحيد** حيث كف الانسان عن كونه «قوة» ـ لانعدام الوسائط .

وهكذا فان لدينا في **١٨٧٠** موسماً ممتازاً في بلادك ، بيد أن هذه السنة **سنة قمية** ، ومن حيث هي مثل هذه السنة فسوف تعقبها في الحال سنة رديئة جداً ؛ ان سنة **١٨٧١** ، الموسم بالغ الرداءة ، يجب أن تعتبر نقطة الانطلاق لدورة صغيرة جديدة ، حتى نبلغ السنة القمية الجديدة ١٨٧٤ ، التي أعقبتها في الحال سنة المجاعة **١٨٧٥** ؛ ومن بعد بدأت الحركة الصاعدة من جديد ، منتهية بسنة المجاعة الأسوأ أيضاً ١٨٨٠ . ان خلاصة السنوات خلال الفترة بكاملها تثبت أن متوسط الانتاج السنوي ظل على حاله وأن العوامل الطبيعية الخالصة أدت لوحدها الى التبدلات الحادثة بمقارنة السنوات الافرادية ودورات السنين الأصغر .

ولقد كتبت اليك قبل بعض الوقت أنه اذا كانت الأزمة الصناعية والتجارية الكبيرة قد اجتازتها انكلترا دون الانهيار المالي القمي في لندن ، فان هذه الظاهرة **الاستثنائية** قد كان مردها الوحيد الى ـ المال الفرنسي . وان هذا ليراه في الوقت الحاضر ويعترف به الروتينيون الانكليز أنفسهم . وهكذا تقول «**Statist**» (**٢٩** كانون الأول **١٨٨١**) : «لم تكن السوق المالية ميسورة جداً مثلما كانت في السنة الماضية إلا **بفضل حدث طارىء** . ان **مصرف فرنسا** قد سمح في أوائل الخريف بأن يهبط مخزونه من السبائك الذهبية من **٣٠** مليون ليرة سترلينية الى **٢٢** مليون ليرة

استرلينية ... **ومما لا شك فيه أننا نجونا بأعجوبة في الخريف الأخير** اذ لم يكن هناك الا مهرب ضيق جداً !»

ان **نظام الخطوط الحديدية الانكليزية** يجري على نفس المستوى المائل الذي يجري عليه **نظام الدين العام** الأوروبي . ان الطغاة السائدين من بين مدراء شبكات الخطوط الحديدية المختلفة لا يكتفون بالتعاقد ـ بصورة تدريجية ـ على قروض جديدة **كي يوسعوا شبكاتهم** ، يعني «المنطقة» حيث يحكمون على اعتبارهم ملوكاً مطلقي السلطة ، بل يوسع كل منهم شبكته الخاصة **بغرض الحصول على ذرائع جديدة من أجل الانخراط في قروض جديدة** تمكنهم من دفع الفائدة المستحقة لأصحاب السندات ، والديون المستحقة ، الخ ، وكذلك إلقاء عظمة من حين لآخر الى المساهمين العاديين الغاصين بالاوهام في صورة أرباح مزدادة نوعاً ما . ان هذه الطريقة السارة لا بدّ أن تنتهي ذات يوم الى كارثة بشعة .

وفي **الولايات المتحدة** أصبح ملوك الخطوط الحديدية هدفاً للهجمات ليس من قبل المزارعين وغيرهم من[1]«entrepreneurs» الصناعيين في الغرب وحدهم ، بل كذلك من جانب ممثل التجارة الكبير ـ **غرفة تجارة نيويورك** . وان ملك الخطوط الحديدية الأخطبوط والمحتال المالي **غولد** قد أخبر من جانبه الطغاة التجاريين في نيويورك : أنتم تهاجمون الخطوط الحديدية حالياً لأنكم تعتبرونها غير حصينة البتة نظراً لعدم شعبيتها في الوقت الراهن ؛ لكن حاذروا : فبعد الخطوط الحديدية سوف يكون **لكل نوع من الشركات** (هذا يعني في اللهجة اليانكية **الشركة المساهمة**) دوره ؛ ومن ثم ، في وقت لاحق ، **سائر أشكال الرأسمال المتشارك** ؛ وأخيراً **سائر أشكال الرأسمال** ؛ وهكذا فانتم تعبدون الطريق أمام ـ **الشيوعية** التي تنتشر اتجاهاتها أكثر فأكثر منذ الآن بين الناس . ان السيد غولد «a le flair bon»[2] .

وان في **الهند** تعقيدات خطيرة ، ان لم يكن انفجاراً عاماً ، في انتظار الحكومة البريطانية . ان ما يأخذه الانكليز منهم سنوياً في شكل ريع ، وأرباح للخطوط

(١) المتعهدين .

(٢) حاسة شم قوية .

الحديدية عديمة الجدوى بالنسبة الى الهندوس ؛ ورواتب من أجل العسكريين والمستخدمين المدنيين ، ومن أجل الحرب الأفغانية وغيرها من الحروب ، الخ ، الخ ـ ان ما يأخذونه منهم **دون معادل وبصورة مستقلة تماماً** عما يمتلكونه لأنفسهم سنوياً **داخل الهند** ـ اذا تحدثنا فقط عن **قيمة السلع** التي لا بدّ للهنود أن **يرسلوها** الى انكلترا سنوياً وبدون مقابل ـ انها تبلغ **أكثر من المبلغ الاجمالي لدخل الملايين الستين من الشغيلة الزراعيين والصناعيين في الهند** !هذه مصادرة حتى القطرة الاخيرة ! ان سنوات المجاعة تتدافع **وبأبعاد** لم يشك أحد بها في اوروبا حتى الآن ! وثمة مؤامرة فعلية تجري حيثما يتعاون الهندوس والمسلمون : فالحكومة البريطانية تدرك أن ثمة شيئاً ما «**يختمر**» ، بيد أن هؤلاء الناس الضاحلين (أقصد الرجال الحكوميين) ، وقد أفسدتهم **طرائقهم** البرلمانية الخاصة في الحديث والتفكير ، لا يرغبون حتى في الرؤية بوضوح ، وفي ادراك المدى الكامل للخطر العتيد ! أن تخدع الآخرين وبخداعهم تخدع نفسك ـ هذه هي **الحكمة البرلمانية** في جوهرها ! tant mieux(١) .

أيمكنك أن تخبرني ما اذا كان كتاب البروفسور لانكستر «**فصل عن التدهور**» (رأيتك تستشهد به في مقالتك) قد ترجم الى الروسية ؟ انه صديق لي .

كان لدينا هنا في الشهر الماضي زائرون روس ، وفي عدادهم البروفسور سيبير (وقد استقر حالياً في زوريخ) والسيد كابلوكوف (موسكو) . كانوا طوال اليوم يدرسون في المتحف البريطاني .

أليس من أخبار عن صديقنا المشترك ؟(٢)

وبالمناسبة . ان المؤلف الاحصائي الأخير **لجانسون** ـ الذي يقارن بين روسيا واوروبا ـ قد ترك انطباعاً كبيراً . سوف يسعدني أن أراه .

مع أطيب تمنياتي

المخلص كلياً

**كارل ماركس**

---

(١) نعماً .

(٢) هـ . لوباتين .

## ١٦٨

# ماركس الى دوميلا - نيوونهويس

### لندن ، في ٢٢ شباط ١٨٨١

... «المسألة» التي تنبئني عنها ، المتعلقة بمؤتمر زوريخ العتيد ، تبدو لي ضلالاً[١] . ان الشيء الواجب عمله في أية لحظة محددة ، معطاة ، في المستقبل ، الشيء الواجب عمله في الحال ، يتوقف كلياً بطبيعة الحال على الشروط التاريخية المعينة التي ينبغي للمرء أن يفعل فيها . بيد أن هذه المسألة مطروحة في السحب ، وبالتالي فهي بالفعل قضية شبحية لا يمكن أن يكون الجواب الوحيد عنها الا - نقد للمسألة بالذات . فلا يمكن حل أية معادلة الا اذا كانت عناصر حلها متضمنة في معطياتها. وفضلا عن ذلك فان ارتباكات حكومة ظهرت الى الوجود بغتة بفعل انتصار الشعب لا تملك أي عنصر «اشتراكي» نوعاً . ان الأمر على النقيض من ذلك . ان السياسيين البورجوازيين الظافرين يستشعرون في الحال أنهم وضعوا في مركز مربك من جراء «انتصارهم» بالذات ، بينما يستطيع الاشتراكيون على الأقل أن يفعلوا دونما ادنى ارتباك . ومهما يكن من أمر ، فإن ثمة شيئاً تستطيع أن تكون منه على يقين : لا تبلغ حكومة اشتراكية السلطة في بلد مالم تكن الشروط قدتطورت بحيث تستطيع أن تتخذ في الحال التدابير الضرورية من أجل قهر كتلة البورجوازية بصورة كافية من أجل تحقيق الأمنية[٢] الأولى التي هي كسب الوقت من أجل العمل المقبل .

ولعلك تشير الى كومونة باريس ؛ ولكننا اذا تركنا جانباً حقيقة أن سذه كانت مجرد انتفاضة مدينة في ظل شروط استثنائية ، فان غالبية الكومونة لم تكن اشتراكية في حال من الأحوال - ولا كان يمكن أن تكون اشتراكية . وعلى أي حال ، فقد كان في مقدورها بالنزر اليسير من الحس السليم أن تتوصل الى مواطأة مع فرساي تكون نافعة لكتلة الشعب بأسرها - وهو الشيء الوحيد الذي كان في الامكان بلوغه في ذلك

---

(١) في رسالة مؤرخة في ٦ كانون الثاني ١٨٨١ أخبر ف . دوميلا - نيوونهويس ماركس بأن مؤتمر زوريخ العتيد للحزب الهولندي سوف يطرح على المناقشة مسألة أية تدابير تشريعية يجب على الاشتراكيين ، اذا استلموا السلطة ،أن يحققوها لضمان انتصار الاشتراكية .

(٢) desideratum ، باللاتينية في النص الاصلي .

الحين . وكان استملاك مصرف فرنسا وحده يكفي لوضع حد بالارهاب لتبجح جماعة فرساي ، الخ ، الخ .

ان المطالب العامة للبورجوازية الفرنسية قبل عام ١٧٨٩ قد كانت محددة بنفس العبارات تقريباً التي حددت بها في اليوم الراهن، mutatis mutandis[1] ، المطالب الأولية الفورية للبروليتاريا ، هذه المطالب المتشابهة على وجه التقريب في جميع البلدان ذات الانتاج الرأسمالي . ولكن أكان لدى أي رجل فرنسي من القرن الثامن عشر أوهى فكرة بصورة مسبقة ، قبلية ، عن الطريقة التي سوف تطبق بها عنوة مطالب البورجوازية الفرنسية ؟ ان النوقع العقائدي ، والوهمي بالضرورة ، لبرنامج العمل الخاص بأية ثورة في المستقبل لا يفعل سوى إلهاء المرء عن صراع الساعة الراهنة . ان حلم قرب نهاية العالم قد ألهم المسيحيين الأولين في صراعهم مع الامبراطورية الرومانية ومنحهم الثقة بالنصر . وان التفهم العلمي لما يطرأ على النظام السائد للمجتمع من تفسخ حتمي يتواصل باستمرار أمام أنظارنا والحمى المتعاظمة أبداً التي تجلد الجماهير بها من قبل الحكومات التي تجسد اشباحاً ،فيما يتقدم التطور الايجابي لوسائل الانتاج بخطى عملاقة في الوقت نفسه ـ هذا كله يشكل ضمانة كافية بأنه حين تندلع ثورة بروليتارية حقيقية فان جميع الشروط[2] (وان يكن من المؤكد أن هذه الشروط لن تكون خيالية) سوف تكون قائمة .

ان قناعتي هي أن الوقت من أجل رابطة أممية جديدة للشغيلة لم يحن بعد ، ولهذا السبب أرى أن جميع المؤتمرات العمالية أو المؤتمرات الاشتراكية ، بقدر ما لا ترتبط بصورة مباشرة بالشروط القائمة في هذه الأمة بالخاصة أو تلك ، لا تقتصر على كونها عديمة الجدوى ، بل هي ضارة حقاً وفعلاً . فسوف تضمحل أبداً في تفاهات مبتذلة عامة لا حصر لها .

مع اخلاصي الودي

المخلص

**كارل ماركس**

---

(١) مهما اختلفت الظروف .

(٢) modus operandi ، باللاتينية في النص الاصلي .

## ١٦٩

# ماركس الى ف . إ . زاسولتيش

**لندن ، في ٨ آذار ١٨٨١**

ايتها المواطنة العزيزة

إن مرضاً عصبياً أشكو منه بصورة دورية منذ السنوات العشر الأخيرة منعني من الرد بصورة أبكر على رسالتك المؤرخة في ١٦ شباط . ويؤسفني أني لا أستطيع أن أقدم اليك عرضاً موجزاً ومعيناً للنشر عن المسألة التي شرفتني بعرضها علي . ولقد مضت أشهر منذ وعدت بعمل عن الموضوع نفسه للجنة سان بطرسبورغ . ومهما يكن من أمر ، فاني أرجو أن تكفي بضعة أسطر كي لا تترك لديك أدنى ارتياب في سوء التفاهم حيال ما يسمى نظريتي .

حين حللت تكون الانتاج الرأسمالي قلت :

«هناك اذن ، في اعماق النظام الرأسمالي ، الانفصال الجذري للمنتج عن وسائل الانتاج ... وان أساس كل هذا التطور هو **نزع ملكية الزراع** . وهو لم يكتمل بصورة جذرية بعد الا في انكلترا . لكن **جميع بلدان اوروبا الغربية الأخرى** تجتاز الحركة نفسها (**رأس المال** ، الطبعة الفرنسية ، ص : ٣١٥) .

ان «القدر التاريخي» لهذه الحركة مقصور اذن بكل وضوح على بلدان اوروبا الغربية . وان السبب في هذا القصر مبين في هذه الفقرة من الفصل الثاني والثلاثين :

«ان **الملكية الخاصة** ، المؤسسة على العمل الشخصي ... سوف تحل مكانها **الملكية الخاصة الرأسمالية ، المؤسسة على استثمار عمل الغير ، على العمل المأجور**» (**المصدر نفسه** ، ص : ٣٤٠) .

**فالمقصود اذن ، في هذه الحركة الغربية ، هو تحول شكل الملكية الخاصة الى شكل آخر للملكية الخاصة** . وانه ليترتب عند الفلاحين الروس ، على العكس من ذلك ، **تحويل ملكيتهم المشاعة الى ملكية خاصة** .

فالتحليل المعطى في **رأس المال** لا يقدم اذن أسباباً لا مع ولا ضد حيوية المشاعة الريفية . لكن الدراسة الخاصة التي قمت بها عنها ، والتي بحثت عن موادها في

المصادر الأصلية ، قد أقنعتني بأن هذه المشاعة هي نقطة الأستناد للأحياء الأجتماعي في روسيا ، لكن كي تتمكن من العمل بهذه الصفة يتعين قبلاً حذف المؤثرات المتلفة التي تهاجمها من كل الجوانب ومن بعد ضمان الشروط الطبيعية لتطور عفوي لها .

يشرفني ، أيتها المواطنة العزيزة ، ان أكون مخلصاً لك كلياً

المخلص

**كارل ماركس**

## ١٧٠

## انجلز الى إ . برنشتاين

**لندن ، في ١٢ آذار ١٨٨١**

ان وصف كل تدخل للدولة في المزاحمة الحرة ـ تعرفات الحماية ، النقابات الحرفية ، احتكار التبغ، تأميم فروع من الصناعة، مصرف Seehandlung[١]، معمل البورسلين الملكي ـ «بالاشتراكية» شعوذة خالصة تقوم بها بورجوازية مانشستر في مصالحها الخاصة . ان من واجبنا أن **ننقد** ذلك دون أن **نؤمن** به . واذا نحن آمنا به ووضعنا نظرية على أساس هذا الأيمان فسوف تنهار نظريتنا مع مقدماتها سواء بسواء بفعل البرهان البسيط على أن هذه الاشتراكية المزعومة لا تعدو كونها من جهة واحدة رجعية اقطاعية ومن جهة ثانية ذريعة من أجل ابتزاز المال ، مع النية الخاضعة لها بتحويل أكبر قدر ممكن من البروليتاريين الى موظفين وأصحاب معاشات تابعين للدولة ، وتنظيم جيش من العمال مشابه للجيش الانضباطي من الجنود والموظفين المدنيين يقوم الى جانبه . الضغط على الناخبين من قبل الرؤساء في جهاز الدولة بدلاً من مراقبي المصانع ـ يا له من نوع رائع من الاشتراكية ! لكن هذا ما سوف تنتهي اليه اذا آمنت بما لا تؤمن به البورجوازية نفسها ، بل تزعم فحسب أنها تؤمن به : أن الدولة تعني الاشتراكية ...

---

(١) اسمه الكامل Seehandlungsgesellschaft : مصرف تجاري وائتماني تأسس في بروسيا عام ١٧٧٢ ، وقد أعيد تنظيمه في وقت لاحق في المصرف الحكومي البروسي .

## ١٧١

# ماركس وانجلز

## الى رئيس اللقاء السلافي المنعقد في ٢١ آذار ١٨٨١ احتفالاً بذكرى كومونة باريس

أيها المـواطن !

لا بدّ أن نخبركم بأسف بالغ أننا لن نتمكن من حضور لقائكم .

حين سقطت كومونة باريس بفعل المذبحة الرهيبة التي نظمهـا المدافعـون عن «النظام» ، لم يفكر الظافرون مطلقاً بأنه لن تنقضي عشرة أعوام حتى يجري حدث في بطرسبورغ البعيدة لعله لا بدّ أن ينتهي أخيراً وبصورة مؤكدة ، بعد صراعات عنيفة وطويلة ، الى إقامة كومونة روسية .

وأن ملك بروسيا الذي هيأ الكومونة بحصاره باريس وأجباره بذلك البورجوازية الحاكمة على تسليح الشعب ـ أن ملك بروسيا هذا بالذات ، بعد عشر سنوات ، وقد حوصر في عاصمته نفسها من قبل الاشتراكيين ، لن يكون في مقدوره أن يحافظ على عرشه الا باعلانه حالة الحصار في عاصمته برلين .

ومن جهة أخرى فأن الحكومات القارية التي أجبرت رابطة الشغيلة الأممية ، بعد سقوط الكومونة بفعل اضطهاداتها ، على التخلي عن تنظيمها الصوري الخارجي ـ هذه الحكومات التي اعتقدت أنه في مقدورها أن تسحق الحركة العمالية الأممية العظيمة بالمراسيم والقوانين الخاصة ـ لم تفكر مطلقاً بأن الحركة العمالية الأممية اياها ، بعد عشرة أعوام ، سوف تحتضن الطبقات العاملة ليس في اوروبا وحدها بل في أميركا أيضاً ؛ وأن نضالاً مشتركاً في سبيل مصالح مشتركة ضد عدو مشترك سوف يضمها في أممية عفوية جديدة أعظم من ذي قبل ، تتنامى أكثر فأكثر متجاوزة سائر أشكال الترابط الخارجية .

وهكذا فان الكومونة التي حسبت دول العالم القديم أنها أبيدت تحيا أقوى من أي وقت آخر بحيث نستطيع أن ننضم اليكم في الهتاف : عاشت الكومونة !

# ١٧٢

# ماركس الى ف . أ . سورج

**[لندن ،] في ٢٠ حزيران ١٨٨١**

... قبل أن أتلقى نسختك من هنري جورج حصلت على نسختين أخريين ، احداهما من سوينتون والأخرى من فيلار براون ، وقد أعطيت واحدة الى انجلز والأخرى الى لافارغ . ولا بدّ لي اليوم من الاقتصار على صياغة مقتضبة جداً لرأيي في الكتاب .

ان الرجل **متخلف كلياً** نظرياً . انه لا يفهم شيئاً عن طبيعة **فضل القيمة** ، وهكذا يتيه في التأملات ، التي تتمثل بالقدوة الانكليزية لكنها في مستوى أدنى حتى من القدوة الانكليزية ، عن تلك الاقسام من فضل القيمة التي بلغت وجوداً مستقلاً ، يعني علاقة الربح ، والريع ، والفائدة ، الخ . ان عقيدته الأساسية هي أن **جميع الأشياء** سوف تكون **على ما يرام** اذا ما دُفع الريع العقاري الى الدولة . (لسوف تجد مدفوعات من هذا القبيل أيضاً بين **التدابير الانتقالية** المتضمنة في **البيان الشيوعي**) . لقد نشأت هذه الفكرة مع الاقتصاديين البورجوازيين ؛ فقد طرحت بادىء الأمر (فيما عدا مطلب مماثل في أواخر القرن الثامن عشر) من قبل التلامذة **الراديكاليين** الأولين لريكاردو ، بعد وفاته بالضبط . وقد قلت عنه عام ١٨٤٧ ، في كتابي ضد برودون : «اننا نفهم الاقتصاديين من أمثال ميل (الكبير ، وليس ابنه جون ستوارت ، الذي يكرر ذلك ايضاً في شكل معدل حتى درجة ما) ، وشيربولييز ، وهيلديتش ، وآخرين ، الذين يطالبون بوجوب تسليم الريع الى الدولة بدلاً من الضرائب . ان هذا لتعبير صريح عن الحقد الذي يحمله **الرأسمالي الصناعي** حيال **الملاك العقاري** الذي يبدو في نظره شيئاً عديم المنفعة ، نامية زائدة على الجسد العام للانتاج البورجوازي»[1] .

ولقد تبنينا نحن أنفسنا ، كما ذكرت أعلاه ، هذا الاستملاك للريع العقاري من

---

(١) ماركس : بؤس الفلسفة .

قبل الدولة في عداد **تدابير انتقالية** كثيرة أخرى هي ويجب أن تكون ، كما قرر كذلك في **البيان** ، ذاتية التناقض .

لكن الشخص الأول الذي حول هذه الأمنية للاقتصاديين البورجوازيين الانكليز الى **ترياق اشتراكي** ، واعلن أن هذه العملية حل للتناقضات المتضمنة في نمط الانتاج الحالي ، قد كان **كولنز** ، وهو ضابط سابق عجوز في فرسان نابليون ، وقد ولد في بلجيكا ، وأفرح العالم في الأيام الأخيرة لغيزو والايام الأولى لنابليون الصغير(١) بما منحه من مجلدات ضخمة من مقعده في باريس عن هذا «الاكتشاف» الخاص به . وقد حقق كذلك اكتشافاً آخر : أنه بالرغم من عدم وجود اله فهناك نفس بشرية «**خالدة**» ، وأن الحيوانات لا تملك «أية مشاعر» . ذلك أنه لو كان للحيوانات مشاعر ، يعني نفوساً ، فلا بدّ أن نكون من أكلة لحوم البشر ولن يكون في الامكان قط إقامة مملكة الحق على الأرض . ان «نظريته المناهضة للملكية العقارية» مع نظريته عن النفس ، الخ ، قد بشر بهما شهرياً طوال سنوات في(٢) **Philosophie de l'Avenir** الباريسية من قبل القلة الباقية من تلامذته ، ومعظمهم بلجيكيون . انهم يسمون أنفسهم «جماعيين عقلانيين» ويمتدحون هنري جورج . ومن بعدهم والى جانبهم عمد المصرفي البروسي وجامع اليانصيب السابق سامتر من بروسيا الشرقية ، وهو فتى ضحل التفكير ، في عداد أمور أخرى ، الى نشر هذه «الاشتراكية» في مجلد سميك .

ان جميع هؤلاء «الاشتراكيين» منذ كولنز يملكون هذا الشيء المشترك ، ألا وهو أنهم يتركون **العمل المأجور** ، وبالتالي **الانتاج الرأسمالي** ، قائمين في الوجود ويحاولون أن يخدعوا أنفسهم أو العالم في الوهم بأن جميع شرور الانتاج الرأسمالي سوف تتلاشى من تلقاء نفسها بتحويل الريع العقاري الى ضريبة دولة . وهكذا فلا يعدو الأمر كله كونه محاولة مزينة بالمزاعم الاشتراكية من أجل **انقاذ الحكم الرأسمالي وإعادة تأسيسه** في واقع الأمر على **أساس أوسع حتى** من أساسه الحالي .

ان هذا الظلف المشقوق ـ الظلف التفه في الوقت نفسه ـ يبرز بصورة لا تخطئها

---

(١) نابليون الثالث .

(٢) فلسفة المستقبل .

العين من نداءات هنري جورج . وانه ليستحق على ذلك المزيد من اللوم لأنه كان من واجبه أن يطرح السؤال المضاد . كيف حدث أنه في الولايات المتحدة ، حيث كانت الأرض نسبياً ، يعني بالمقارنة مع اوروبا المتحضرة ، في متناول الجماهير الغفيرة من الشعب ولا تزال حتى درجة ما (يعني نسبياً ) ، تطور الاقتصاد الرأسمالي وما يقابله من استعباد للطبقة العاملة **بسرعة أعظم وبمزيد من العار** منه في أي بلد آخر ؟

ومن جهة أخرى فأن كتاب جورج ، مثله مثل الاحساس الذي خلقه فيك ، هام لأنه جهد أول ، وان يكن جهداً مجهضاً ، للتحرر من الاقتصاد السياسي القديم .

وفضلاً عن ذلك فلا يبدو أن هنري جورج يعرف شيئاً عن تاريخ **المناهضين للريع الأميركين** الأولين الذين كانوا ممارسين أكثر منهم نظريين . وفيما عدا ذلك فانه كاتب ذو موهبة (مع موهبة من أجل الاعلان اليانكي أيضاً) ، كما يثبت ذلك على سبيل المثال مقاله عن كاليفورنيا في **Atlantic** . وانه ليملك بالاضافة الى ذلك ذينك التبجح والوقاحة اللذين يميزان على الدوام سائر مثل هؤلاء المتاجرين بالعقاقير الترياقية .

من سوء الحظ أن مرض زوجتي ، وهذا سر بيننا ، مستعص . لسوف أصحبها خلال أيام قليلة الى ايستبورن على الساحل .

تحياتي الأخوية

المخلص

**ك . ماركس**

## ١٧٣

## انجلز الى إ . برنشتاين

**لندن ، في ٢٥ تشرين الأول ١٨٨١**

... لكن الحقيقة التي لا مراء فيها هي أن غيسد انضم الينا حين كانت المسألة تتعلق بصياغة مسودة برنامج حزب العمال الفرنسي ، وقد أملى ماركس عليه مقدمتها كلمة فكلمة بحضور لافارغ وحضوري شخصياً بالضبط هنا في غرفتي. لن يكون العامل حراً الا حين يكون مالكاً لأدوات عمله ـ ويمكن أن تكون تلك هي الحال سواء

بالشكل الفردي أو الجماعي ؛ ولما كان شكل الملكية الفردي يقضي عليه التطور الاقتصادي ، وذلك بصورة متعاظمة يوماً بعد يوم ، فانه لا يتبقى سوى شكل الملكية الجماعي ، الخ ـ وتلك رائعة للمناظرة المتماسكة نادراً ما تصادف وقد صيغت في كلمات واضحة في متناول الجماهير ؛ ولقد دهشت أنا نفسي لهذه الصيغة الدقيقة الواضحة . ومن بعد نوقشت بقية محتويات البرنامج ، فوضعنا شيئاً أو حذفنا شيئاً هنا وهناك . أما أن غيسد ليس الناطق باسم ماركس الا بصورة ضئيلة جداً ، فهذا ما يتضح من اصراره على وضع مطلبه السخيف الخاص بالحد الأدنى من الأجور ، ولما كانت مسؤولية ذلك لا تقع علينا بل على الفرنسيين فقد أتحنا له أخيراً أن يفعل ما يريد بالرغم من اعترافه بأن ذلك لغو خالص من وجهة النظر النظرية .

وكان بروس في لندن في ذلك الحين وكان يسهم في الآمر بكل سرور . بيد أنه لم يكن لدى غيسد الا وقت ضئيل ، وكان يتوقع من بروس ، وله مسوغاته في ذلك ، أن يباشر مناقشات طويلة النفس عن عبارات فوضوية غير مفهومة . ولذا أصر غيسد على عدم حضور بروس هذه الجلسة . كان ذلك من شأنه . بيد أن بروس لم يغفر له ذلك قط ومؤامراته ضد غيسد تبدأ من ذلك التاريخ .

ولقد ناقش الفرنسيون فيما بعد هذا البرنامج وتبنوه مع تعديلات طفيفة ليست تلك التي أدخلها مالون بالتحسينات عليه في حال من الأحوال .

وفيما عدا ذلك كتبت مقالتين لـ « **Egalité No. II**» عن «اشتراكية الهر بسمارك» ، وبذلك تكتمل حصيلة اسهامنا الفعال في الحركة الفرنسية في حدود معرفتي .

بيد أن الأمر الأشد ارباكاً بالنسبة الى المتذمرين الحقيرين الذين هم نكرات لكنهم يريدون أن يكونوا هامين هو ما يلي : لقد اكتسب ماركس بمنجزاته النظرية والعملية مركزاً مرموقاً بحيث أن أفضل الناس في سائر حركات الطبقة العاملة في مختلف أرجاء العالم وضعوا فيه ثقتهم التامة . وانهم ليلتفتون اليه في الظروف الحرجة طلباً للنصح ويجدون من بعد ، عادة ، أن نصيحته كانت الفضلى . وانه ليشغل هذا المركز في ألمانيا،وفي فرنسا، وفي روسيا، هذا اذا أغضينا عن ذكر البلدان الأصغر . وبالتالي فليست القضية ان ماركس يفرض رأيه ، وأقل من ذلك ارادته ، على الناس ، بل أن الناس يأتون اليه من تلقاء أنفسهم . وهذا هو ما يقوم عليه نفوذ

ماركس الخاص ، هذا النفوذ بالغ الأهمية بالنسبة الى الحركة .

ولقد أراد مالون هو الأخر أن يأتي الى هنا ، متوقعاً أن يحصل على دعوة خاصة من ماركس بواسطة لافارغ ، لكنه لم يحصل بالطبع على هذه الدعوة . ان المرء ليود بكل سرور أن يتفاوض معه مثلما يتفاوض مع أي امرىء آخر ، أما دعوته ـ فلماذا ؟ هل دعي أي امرىء آخر على هذا الغرار ؟ ان ماركس ، وأنا شخصياً في المحل الثاني ، قد اتخذنا نفس هذا الموقف حيال الحركة الفرنسية والحركات الوطنية الأخرى على حد سواء . إننا نحافظ على الاتصال الدائم بها بقدر ما تتيح الظروف لنا ذلك وبقدر ما تسنح لنا الفرصة له . وان محاولة التأثير في الناس رغم ارادتهم لن تعود علينا الا بالضرر ، لأنها سوف تدمر الثقة القديمة التي يعود تاريخها الى أيام الأممية . وفي الحقيقة أننا حصلنا على خبرة كبيرة جداً في الأمور الثورية من أجل ذلك ...

# ١٨٨٢

## ١٧٤

## انجلز الى إ . برنشتاين

**لندن ، في ٢٥ كانون الثاني ١٨٨٢**

... اهتممنا اهتماماً بالغاً بالتقارير عن المجريات بين «القادة» في ألمانيا . وأنا لم أخف قط الحقيقة التالية ، ألا وهي أن الجماهير في ألمانيا أفضل حتى درجة كبيرة من السادة الذين في القيادة ، وخاصة منذ أصبح الحزب ، بفضل الصحافة والتحريض ، بقرة حلوباً لهم ، موفراً الزبدة لخبزهم ، وهذا بسمارك والبورجوازية الآن يذبحان تلك البقرة على حين غرة . وان الألف شخص الذين فقدوا من جراء ذلك معيشتهم في الحال قد شاء لهم سوء طالعهم الشخصي ألا يوضعوا بصورة مباشرة في مركز الثوريين ، يعني أن يرسلوا الى المنفى . ولولا ذلك لكان الكثيرون من أولئك الذين يتفجعون على حظهم في الوقت الحاضر قد ذهبوا الى معسكر موست أو وجدوا على أي حال أن **الاشتراكي الديموقراطي** بالغة الوداعة . ان معظم اولئك الناس بقوا في ألمانيا ولم يكن لهم بد من ذلك ، وحصلوا على مناصب رجعية بالأحرى ، وظلوا منبوذين اجتماعياً ، مرتبطين من أجل معيشتهم بالبورجوازيين الصغار ، وقد تلوث عدد كبير منهم بالنزعة البورجوازية الصغيرة . وما أسرع ما علقوا أمالهم جميعاً على إلغاء القانون المناهض للاشتراكية . ولا عجب أن تكون هذه الفكرة المجنونة بامكانية بلوغ ذلك بواسطة الضعف قد تملكتهم تحت ضغط النزعة البورجوازية الصغيرة . ان ألمانيا بلد بغيض بالنسبة الى الناس أصحاب قوة الارادة الهزيلة . ان ضيق وحقارة العلاقات المدنية والسياسية على السواء ، والطابع المدني الصغير حتى للمدن الكبرى ، وما يصادفه المرء من دواعي التكدير الصغيرة لكن المتعاظمة أبداً في

النضال مع الشرطة والبيروقراطية ـ هذه الأمور جميعاً تثير الأعصاب بدلاً من أن تهيج المقاومة ، وبذلك يصبح الكثيرون أطفالاً هم أنفسهم في هذه الدار الكبيرة لحضانة الأطفال . إن العلاقات الحقيرة تولد الأراء الحقيرة ، بحيث يتطلب الأمر قدراً كبيراً من الذكاء والطاقة من أي امرىء يحيا في ألمانيا كي يتمكن أن يرى ما وراء محيطه المباشر ، وأن يتابع مشاهدة الترابط الكبير لأحداث العالم ولا يقع في تلك «الموضوعية» الراضية عن الذات التي لا ترى أبعد من أنفها ، ولهذا السبب بالذات ترتد الى الذاتية الأضيق ذهناً حتى اذا تقاسمها الآلاف من أمثال هؤلاء الناس .

لكنه مهما يمكن أن يكون من الأمور الطبيعية صعود هذا الاتجاه الذي يغطي افتقاره الى البصيرة وقوة المقاومة بالحكمة «الموضوعية» الفائقة ، فلا بدّ من محاربته بحزم . وهنا تقدم الجماهير العمالية أفضل دعامة . فهي وحدها التي تحيا في ألمانيا في شروط حديثة أكثر أو أقل ؛ وجميع آلامها الصغرى والكبرى تتمركز في الاضطهاد الناجم عن **الرأسمال** ؛ وفيما نجد أن جميع النضالات الأخرى في ألمانيا ، الاجتماعية والسياسية على السواء ، حقيرة وقميئة وتقتصر على مجرد التفاهات التي سويت في الأماكن الأخرى منذ زمن طويل ، فان نضالها هو النضال الوحيد الذي يخاض غماره بصورة رائعة ، النضال الوحيد الذي يجاري الزمان الراهن ، النضال الوحيد الذي لا يتعب المقاتلين بل يزودهم بطاقة متجددة أبداً ...

## ١٧٥

# انجلز الى ج . ب . بيكر

**لندن ، في ١٠ شباط ١٨٨٢**

... تمعنا في اقتراحك وكان رأينا أن وقت تنفيذه لم يحن بعد لكنه يقترب(١) . فبادىء ذي بدء لن تفعل أممية جديدة معاد تنظيمها صورياً إلا إثارة اضطهاد جديد في ألمانيا والنمسا وهنغاريا وايطاليا واسبانيا ولن تؤدي آخر الأمر الا الى الاختيار بين التخلي عن الأمر كله أو المضي فيه سراً . ولسوف يكون الأمر الأخير كارثة من جراء التوق

---

(١) في رسالة الى انجلز بتاريخ الأول من شباط ١٨٨٢ اقترح بيكر اعادة تنظيم الأممية .

المحتوم الى المؤامرات والانقلابات ومن جراء التغلغل المحتوم أيضاً لجواسيس الشرطة . وحتى في فرنسا ليس من المحال أن يطبق من جديد القانون المناهض للأممية الذي لم يلغ في حال من الأحوال .

وفي المحل الثاني فبينما يستمر النزاع الراهن بين Egalité و Prolétaire لايمكن الاعتماد على الفرنسيين مطلقاً . ولذا لا بدّ للمرء أن ينحاز، الأمر الذي يملك أيضاً جوانبه الرديئة . وبقدر ما يتعلق الأمر بنا شخصياً فنحن في صف **Égalité** ، لكننا سوف نعنى جيداً بألا ننحاز الى هؤلاء الناس بصورة علنية **في الوقت الحاضر** لأنهم يرتكبون خطيئة تكتيكية أثر أخرى بالرغم من تحذيرنا الواضح لهم .

وفي المحل الثالث فان الانكليز أصعب على الرد الى جادة الصواب الآن منهم في أي وقت مضى . لقد حاولت طوال خمسة أشهر أن أحقق الارتباط مع الحركة الميثاقية القديمة وأنشر أفكارنا من خلال Labour Standard (١) التي اعتدت أن أحرر لها مقالات افتتاحية . كنت أريد أن أرى ما اذا كان سيكون ثمة تجاوب ، لكنه لم يكن هناك أي تجاوب على الاطلاق ، وبما أن رئيس التحرير ، وهو رجل مخنث طيب النوايا لكنه ضعيف ، أصيب بالذعر أخيراً من الهرطقات القارية التي كنت أكتبها في الصحيفة ، فقد تخليت عن الأمر .

وهكذا فلن يبقى الا أممية مقصورة ، باستثناء بلجيكا ، على **المغتربين** ، لأن سويسرا نفسها ، ربما باستثناء جنيف وضواحيها ، لا يمكن الاعتماد عليها ـ انظر Arbeiterstimme وبوركلي . بيد أنه أمر يكاد لا يستحق العناء أن نشكل جمعية تتألف من لاجئين فقط ، لأنك لا تستطيع أن تمضي بعيداً مع الهولنديين ، والبرتغاليين والدانمركيين ، وبقدر ما تنقص علاقتك بالصربيين والرومانيين يكون ذلك أفضل .

ومن جهة أخرى فالأممية مستمرة فعلياً في **الوجود** . إن **هناك** علاقة بين العمال الثوريين في جميع البلدان ، وذلك بقدر ما يمكن صنع هذا الأمر . ان كل صحيفة اشتراكية مركز أممي ؛ فمن جنيف وزوريخ ولندن وباريس وبروكسل وميلانو تمتد الخيوط في سائر الاتجاهات وتتصالب مراراً وتكراراً بحيث لا أعرف بالفعل ما هي القوة

---

(١) **الراية العمالية** ، صحيفة يومية للنقابات الانكليزية صدرت في لندن ١٨٨١ ـ ١٨٨٤ .

الجديدة التي سوف يسهم بها في الحركة في الوقت الحاضر تجميع هذه المراكز الصغيرة حول مركز رئيسي كبير . انه لن يفعل على الأرجح الا زيادة الاحتكاك . وان هذا هو بالذات السبب في أن تجميع القوى ، حين يحين أوانه ، لن يتطلب الا برهة وجيزة من دون أي تحضير طويل . ان أسماء أبطال الشعب في أي بلد معروفة في جميع البلدان الأخرى ، وسوف يخلق بيان يوقعونه ويدعمونه جميعاً انطباعاً هائلاً ، مختلفاً كل الاختلاف عن الأثر الذي سوف يكون لأسماء المجلس العام القديم ، ومعظمها مجهولة في الوقت الحاضر . ولهذا السبب بالذات ينبغي الاحتفاظ بمثل هذه التظاهرة للحظة التي يمكن أن يكون لها فيها فعل حاسم ، يعني حين تستدعيها الأحداث في أوروبا. وإلا فان أثرها في المستقبل سوف يفسد ولن يكون الأمر كله أكثر من طلقة في الهواء . ومهما يكن من شيء ،فان مثل هذه الأحداث تنضج في روسيا حيث سوف تنخرط طليعة الثورة في المعركة وهذا، بالاضافة الى فعله في ألمانيا ، هو في رأينا ما يجب أن ينتظره المرء ، وعندئذ سوف يحين الوقت من أجل تظاهرة كبرى ومن أجل إنشاء أممية صورية ، رسمية ، لن تكون بعد الآن مجرد جمعية دعائية ، بل جمعية من أجل العمل فقط . ولذا فاننا نرى بحزم أن مثل هذه الوسيلة الممتازة للنضال لا يجوز أن تضعف بانهاكها واتلافها في وقت لا تبرح الأمور فيه هادئة نسبياً . حين لا نكون الا في عشية الثورة فحسب .

اني أعتقد بأنك سوف تتفق معنا حين تعيد النظر في الأمر . وفي هذه الأثناء نتمنى كلانا لك شفاء تاماً وعاجلاً ونأمل أن نسمع منك في القريب العاجل أنك نشيط من جديد كل النشاط وأنك تقف على قدميك .

المخلص كذي قبل

ف . إ .

## ١٧٦

## انجلز الى ك . كاوتسكي

### لندن ، في ١٢ ايلول ١٨٨٢

.. تسألني ما هو رأي العمال الانكليز في السياسة الاستعمارية . حسناً ، انه على

وجه الدقة نفس رأيهم في السياسة على العموم ، نفس رأي البورجوازيين . فلا وجود هنا لأي حزب عمالي ، بل كما ترى لا يوجد سوى المحافظين والأحرار الراديكاليين ، والعمال يشاركون سعداء في وليمة الاحتكار الانكليزي للسوق العالمية والمستعمرات . وفي رأيي ان المستعمرات بالخاصة ، يعني البلدان التي يحتلها سكان اوروبيون ـ كندا ، والكاب ، واستراليا ـسوف تصبح مستقلة ؛ ومن جهة أخرى فان البلدان التي يقطنها سكان مولدون ، والتي هي مستعبدة بكل بساطة ـ الهند ، والجزائر ، والممتلكات الهولندية والبرتغالية والاسبانية ـ يجب أن يعهد بها بصورة مؤقتة إلى البروليتاريا وأن تقاد خطاها بأقصى سرعة ممكنة في اتجاه الاستقلال . أما كيف ستتطور هذه العملية ، فأنه من العسير تقرير ذلك . لعل الهند تستطيع ، وهذا أمر مرجح كثيراً في الحقيقة ، أن تصنع ثورة . ولما كانت البروليتاريا التي تخوض عملية التحرر الذاتي لا تستطيع أن تقود حروباً استعمارية البتة ، فلا بدّ أن يترك لها أن تأخذ مجراها ؛ ولن ينقضي الأمر دون مختلف أنواع الدمار طبعاً ، لكن هذا الأمر لا يمكن أن ينفصل عن جميع الثورات . ويمكن أن يحدث الأمر نفسه في مكان آخر ، مثلاً في الجزائر ومصر ، ومن المؤكد أنه سيكون أفضل الاشياء **بالنسبة لنا** . سوف يكون لنا عمل يكفينا في أوطاننا . وحين تتم اعادة تنظيم اوروبا ، وأميركا الشمالية ، فان هذا سيوفر زخماً عظيماً جداً وقدرة رائعة جداً بحيث أن البلدان نصف المتحضرة ستتأثر حظاها من تلقاء نفسها ، والحاجات الاقتصادية وحدها تكفي لتأمين ذلك . أما ماهي المراحل الاجتماعية والسياسية التي سيتعين بعدئذ على هذه البلاد أن تجتازها قبل أن تصل هي الأخرى الى التنظيم الاجتماعي ، فأعتقد أننا لا نستطيع اليوم أن نقدم سوى فرضيات لا قيمة لها في هذا المضمار . ان شيئاً واحداً مؤكد ، ألا وهو أن البروليتاريا الظافرة لاتستطيع أن تفرض أي سعادة من أي نوع على أي أمة أجنبية دون أن تسيء الى انتصارها الخاص بمثل هذا العمل . وهذا لا ينفي طبعاً في حال من الأحوال امكانية الحروب الدفاعية من مختلف الأنواع ...

## ١٧٧
## انجلز الى إ . برنشتاين

عزيزي الهر برنشتاين لندن ، في ٢٠ تشرين الأول ١٨٨٢

كان بودي منذ زمن طويل أن أكتب اليك عن الشؤون الفرنسية ، لكنني لم أستطع أن أفعل ذلك الا الآن . وان المكسب في الأمر أنني أستطيع حالياً أن أرمي عضفورين بحجر واحد .

أ ـ سان إتيين . بالرغم من نصيحة البلجيكيين النصوح فقد وقع الأمر المحتم وانفصلت العناصر التي لا سبيل الى التوفيق بينها (١). ولقد أحسنوا صنعاً . ففي البداية ، حين تأسيس Parti ouvrier (٢) ، كان لا بدّ من قبول جميع العناصر التي قبلت البرنامج . ولو أنهم فعلوا ذلك مع تحفظات سرية فلم يكن بدّ من ظهورها في وقت لاحق . ونحن هنا لم نخطىء قط بخصوص مالون وبروس ، فكلاهما تدربا في مدرسة المكائد الباكونينية . بل لقد كان مالون واحداً من المتهمين الذين انشأوا «تحالف» باكونين السري (كان واحداً من الأعضاء السبعة عشرة الذين وقعوا على الوثيقة) . ولكنه لم يكن بدّ على أي حال من إتاحة الفرصة لهما كي يظهرا ما اذا كانا قد نبذا الممارسة الباكونينية فضلاً عن النظرية الباكونينية . ولقد بين مجرى الأحداث أنهما تبنيا البرنامج (وزوراه ـ فقد أدخل مالون عليه تعديلات عديدة جعلته أسوأ مما كان) وفي نيتهما الباطنية أن ينسفاه . ان ما بدىء في ريمز وباريس أنهي في سان إيتيين . ولقد جرد البرنامج من طابعه الطبقي البروليتاري . فالمقدمة الشيوعية لعام ١٨٨٠ قد استعين بها بأنظمة الأممية لعام ١٨٦٦ ، هذه الأنظمة التي لم يكن بدّ من صياغتها بخطوط عريضة جداً لأن البرودونيين الفرنسيين كانوا متخلفين جداً ، ومع ذلك لم يكن من الصواب استبعادهم . ولقد ألغيت مطالب البرنامج الايجابية ، نظراً لأن كل محلة أعطيت الحق بأن تضع برنامجاً خاصاً كلما حلا ذلك لها وذلك لأغراض

---

(١) حدث انشقاق في حزب العمال الفرنسي في مؤتمر سان إتيين في ٢٥ ايلول ١٨٨٢ ، فانسحبت الأقلية بقيادة غيسد ولافارغ وعقدت مؤتمرها الخاص في روان ، فيما شكلت الأكثرية الانتهازية بقيادة مالون وبروس حزباً منفصلاً ، حزب ما يسمونه الامكانيين ، وكانوا يشكلون الاتجاه الانتهازي المتطرف في حركة الطبقة العاملة الفرنسية في أواخر القرن التاسع عشر .

(٢) الحزب العمالي .

خاصة . ولا يقتصر الأمر على أن حزب سان إتيين المزيف ليس بحزب عمالي البتة ، بل ليس هو بحزب في حال من الأحوال لأنه في واقع الأمر لا يملك برنامجاً . انه على الأكثر حزب مالون ـ بروس . ان الاعتراض الأقوى الذي كان يمكن لكلاهما أن يجابها البرنامج القديم به هو أنه يصد عدداً من الناس أكثر مما يجتذب . ولقد عولج هذا الأمر في الوقت الحاضر :فليس لدي أي من البرودونيين أو الراديكاليين حجة بعد الآن للبقاء خارج الحزب ، واذا شق مالون وشركاه طريقهم فان «الخليطة الثورية» التي يشكو فولمار منها سوف تكون البيان الرسمي للبروليتاريا الفرنسية .

ولقد ساد في جميع البلدان اللاتينية (وربما في غيرها أيضاً) تراخ كبير دائماً فيما يتعلق بالأوراق الاعتمادية لمقاعد المؤتمرات ، وكان الكثير منها عاجزاً عن مقاومة نور النهار . وبقدر ما كان هذا الأمر لا يبالغ فيه وبقدر ما كان لا يتناول الا الأمور ذات الأهمية الثانوية ، فانه ما كان يترتب عليه إلا ضرر قليل . بيد أن الباكونينيين جعلوا هذه الممارسة القاعدة السائدة (في الجورا بادىء الأمر) ، وجعلوا من الحصول الاحتيالي على المقاعد مهمة منتظمة ، وسعوا بهذه الطريقة للوصول الى القمة . ولقد حدث الأمر نفسه حالياً في سان إتيين . فقد ساد التكتيك الباكونيني القديم عموماً الاستعدادات للمؤتمر ، وهو التكتيك الذي يبرر جميع الوسائل ـ الأكاذيب ، والافتراء ، والمكائد السرية . وهذه هي التجارة الوحيدة التي يجيدها بروس . ان الناس ينسون ان الحيلة والخداع ، اللذين قد ينجحان في قطاعات صغيرة وعلى مساحة ضيقة مثل الجورا ، سوف يؤولان بالضرورة عند تطبيقهما على حزب عمالي حقيقي في بلد كبير الى نهاية كل من يمارس مثل هذه الأساليب. إن النصر الزائف في سان إتيين لن يدوم طويلاً ، وسرعان ما ينتهي مالون وبروس الى الأبد .

يبدو أن أي حزب عمالي في بلد كبير لا يمكن أن يتطور الا من خلال الصراع الباطن ، وهو ما يتفق مع قوانين التطور الجدلي عامة . ان الحزب الألماني قد أصبح ما هو عليه في الصراع بين أنصار أيزناخ واللاساليين حيث لعبت حتى الشجارات دوراً رئيسياً . ولم تصبح الوحدة ممكنة الا حين انقضت ايام تلك العصبة من الأوغاد الذين دربهم لاسال بصورة خصوصية كي يكونوا أدوات له ، وقد تحققت حتى وقتذاك بقدر كبير من التهور من جانبنا . وفي فرنسا لا بدّ لاولئك الناس الذين يواصلون ،

وقد ضحوا بالنظرية الباكونينية ، استخدام الوسائل الباكونينية في الصراع ، وهم يريدون في الوقت نفسه أن يضحوا بطابع الحركة الطبقي بغرض متابعة أغراضهم الخصوصية ، أن ينتهي زمانهم قبل أن تكون الوحدة ممكنة من جديد . ان التبشير بالوحدة في مثل هذه الظروف سوف يكون جنوناً خالصاً . ان العظات الأخلاقية لا تنفع شيئاً ضد الأمراض الطفولية التي هي بكل بساطة لا مفر منها في الظروف السائدة في الوقت الراهن .

وأما فيما عدا ذلك ، فان جماعة روان أنفسهم في حاجة الى النقد المستمر والصارم . انهم في غالب الأحيان مهووسون بالعبارات الثورية والتوق العقيم الى الأفعال ...

## ١٧٨

## انجلز الى أ . بيبل

**لندن ، في ٢٨ تشرين الأول ١٨٨٢**

... قرأت المقالة الثانية (١) بسرعة ، وشخصان أو ثلاثة أشخاص يقاطعونني بأحاديثهم طوال الوقت . والا فان الطريقة التي يتصور الكاتب بها الثورة الفرنسية كان يجب أن تقودني الى اكتشاف التأثير الفرنسي ، ومعه صاحبنا فولمار أيضاً من دون ريب . ولقد أدركتَ هذا الجانب بصورة صحيحة تماماً . إن الحلم في تحقيق عبارة «كتلة ثورية واحدة» يتحقق أخيراً . فجميع الأحزاب الرسمية وحدة في كومة واحدة **هنا** ، بالضبط مثل جميع الاشتراكيين في طابور واحد **هناك** ـ معركة كبيرة وحاسمة ؛ النصر على طول الخط بضربة واحدة . ان الأمور لا تجري في الحياة الواقعية بمثل هذه البساطة . في الحياة الواقعية ، كما تلاحظ أيضاً ، تبدأ الثورة خلافاً لذلك ، بتجميع غالبية الشعب وغالبية الأحزاب الرسمية أيضاً **ضد** الحكومة التي تنعزل اذن والاطاحة بها ؛ ولن يحدث الانقسام الكبير الذي يتحدث فولمار عنه ، جالباً معه فرصة حكمنا ، الا بعد أن تكون الأحزاب الرسمية الباقية في الوجود قد دمرت بعضها بعضاً وعلى التوالي في صراع باطن . واذا أردنا على غرار فولمار أن نبدأ مباشرة

(١) الاشارة الى مقالة فولمار الثانية في **الاشتراكي الديمقراطي** عن مسألة إلغاء القانون الاستثنائي ضد الاشتراكيين

بالفصل الأخير للثورة فلا بدّ أن نجد أنفسنا في وضع سيء بصورة رهيبة ...

لقد وقع الانقسام المتوقع منذ زمن طويل في فرنسا . ومما لا ريب فيه أن الاتفاق الأصلي بين غيسد ولافارغ من جهة واحدة ومالون وبروس من جهة ثانية قد كان أمراً لا مفر منه حين تأسس الحزب ، لكننا ، ماركس وأنا ، لم نتوهم قط أنه سيدوم . ان المسألة موضع البحث مسألة مبدئية خالصة : هل سيقاد الصراع من حيث هو صراع طبقي للبروليتاريا ضد البورجوازية ، أم أنه سيكون من الجائز ، بالأسلوب الانتهازي الصالح (أو كما يسمى في الترجمة الاشتراكية : الامكاني) ، التخلي عنه باسقاط طابع الحركة الطبقي جنباً الى جنب مع برنامجها حيث يمكن بهذه الطريقة كسب المزيد من الاصوات ومن الانصار ؟ وحين أعلن مالون وبروس تأييدهما للحل الثاني فقد ضحيا بالطابع الطبقي البروليتاري للحركة وجعلا الانفصال محتوماً . وان هذا لأفضل . ان تطور البروليتاريا يجري في كل مكان في ملء الصراعات الباطنة ، وفرنسا التي تشكل في الوقت الحاضر حزباً عمالياً للمرة الأولى ليست استثناء . ونحن في ألمانيا تجاوزنا الطور الأول من الصراع الباطن ، ولا تزال أمامنا أطوار أخرى . ان الوحدة شيء جيد تماماً ما دامت ممكنة ، لكن ثمة أشياء هي فوق الوحدة . وحين يكون المرء ، مثل ماركس ومثلي ، قد قاتل طوال حياته ضد الاشتراكيين المدعين بصورة أقسى من نضاله ضد أي انسان آخر (ذلك أننا اعتبرنا البورجوازية من حيث هي طبقة فحسب ولم نتورط قط على وجه التقريب في نزاعات مع بورجوازيين فرادى ، فانه لا يمكن أن يأسى كثيراً لاندلاع الصراع الحتمي .

أرجو أن يصلك هذا قبل أن يضعوك خلف القضبان . أصدق التحيات من ماركس وتوسي . لقد أبلّ ماركس كلياً واذا لم تنكس ذات الجنب عنده فسوف يكون في الخريف القادم أقوى مما كان لسنوات خلت . اذا شاهدت ليبكنخت في Kafigturm[1] (كما يقولون في بون) ، فبلغه أطيب الأمنيات من قبلنا جميعاً .

المخلص

ف . إ .

---

(١) قفص البرج : والمقصود السجن هنا .

## ١٧٩

# انجلز الى ماركس

### لندن ، في ١٥ كانون الأول ١٨٨٢

عزيزي المغربي

أرجو ان تجد طيه الملحق **للمارش** [١] . كن لطيفاً بحيث تعيده **يوم الأحد** ، بحيث أستطيع مراجعته يوم الاثنين ـ لم أتمكن من إنهاء المراجعة الأخيرة هذا اليوم .

اني اعتبر الرأي المعروض هنا بشأن شرط طبقة الفلاحين في القرون الوسطى وقيام قنانة **ثانية** في منتصف القرن الخامس عشر أمراً لا جدال فيه على العموم . ولقد راجعت موررر كله من أجل جميع الفقرات ذات الصلة بالموضوع ووجدت جميع موضوعاتي على وجه التقريب هناك ، **والاكثر من ذلك مؤيدة بالبراهين** ، فيما يوجد إلى جانبها العكس من ذلك بالضبط ، لكن إما غير مؤيد بالبراهين وإما مأخوذ من مرحلة **ليست** هي المرحلة موضوع البحث . وان هذا لينطبق بصورة خصوصية على Fronhofe ، المجلد الرابع ، الخاتمة [٢] . وتنشأ هذه التناقضات عند موررر من : ١ ـ عادته في ايراد البراهين والأمثلة من جميع المراحل جنباً الى جنب ومختلطة ؛ ٢ ـ من بقايا ثغراته الفقهية التي تضع العصي في عجلاته كلما تعلق الأمر بفهم **تطور ما** ؛ ٣ ـ من الأهمية الناقصة التي يعلقها على **القوة** والدور الذي تلعبه ؛ ٤ ـ من مستبقه المستنير القائل انه **لا بدّ** حدث بكل تأكيد منذ العصور الوسيطة المظلمة تقدم متصل الى أوضاع أفضل ؛ ولا يمنعه هذا من رؤية الطابع التضادي لأي تقدم فعلي فحسب ، بل بعض حالات التقهقر أيضاً .

وعلى أي حال ، فان اعادة تطبيق القنانة بصورة عمومية كانت أحد الأسباب في عدم نمو أية صناعة في ألمانيا في القرنين السابع عشر والثامن عشر . فأولاً كان هناك تقسيم العمل **المقلوب** بين النقابات الحرفية ـ نقيض تقسيم العمل السائد في

---

(١) ان مؤلف انجلز **المارش** قد نشر في الأصل كملحق العلمية الألمانية من **الاشتراكية الطوباوية والاشتراكية العالمية** عام **١٨٨٢** .

(٢) يشير انجلز الى كتاب ج . ل . موررر **تاريخ الأملاك الزراعية والمزارع الفلاحية والانظمة المتحكمة فيها في ألمانيا** .

المانيفاكتورات : كان العمل مقسماً بين النقابات الحرفية بدلاً منه داخل **الورشة** . و**في هذه المرحلة حدثت في انكلترا الهجرة الى الأرياف حيث لا تسود** النقابات الحرفية ، لكن هذا الأمر حظر في ألمانيا من جراء تحويل الفلاحين وسكان الجماعيات الأسواق الزراعية الى أقنان . بيد أن هذا كان السبب أيضاً في الأنهيار الأخير الذي أصاب النقابات الحرفية حالما قامت مزاحمة المانيفاكتورة الأجنبية . ولسوف أحذف هنا الأسباب الأخرى التي اشتركت مع هذا السبب في لجم المانيفاكتورة الألمانية .

اليوم أيضاً ساد طوال النهار الضباب والمصباح الغازي . من الأرجح أن بطارية هارغان لا تصلح للإضاءة ؛ يمكن استخدامها في أفضل الأحوال للبرق ، الخ . المزيد في هذا الشأن حالما يتضح الأمر بصورة جازمة .

اعتن بنفسك جيداً . أرجو أن يتحسن الطقس عاجلاً بحيث يسمح لك بالخروج .

**المخلص**

**ف . إ .**

## ١٨٠

## انجلز الى ماركس

### لندن ، في ١٦ كانون الأول ١٨٨٢

... ان النقطة المتعلقة بالاختفاء التام تقريباً ـ قانونياً أو فعلياً ـ للقنانة في القرنين الثالث عشر والرابع عشر هي النقطة الأهم بالنسبة لي ، لأنك عبرت فيما مضى عن رأي مخالف لهذا الأمر . ففي منطقة الالب الشرقية قرر الاستعمار أن الفلاحين **الألمان** أحرار ؛ ويعترف مورر بأن «جميع» الفلاحين في شليسويغ ـ هولشتاين في ذلك الزمن استعادوا حريتهم (ربما في وقت متأخر حتى درجة ما عن القرن الرابع عشر) . وانه ليعترف كذلك بأن الأقنان عوملوا بصورة أفضل في جنوبي ألمانيا في تلك المرحلة على وجه الدقة . ويصح الأمر نفسه أكثر أو أقل في سكسونيا الواطئة (اقصد الـ meiers الجدد الذين كانوا مستأجرين وراثيين في حقيقة الأمر) . وانه ليعارض فقط رأي

كندلنجر بأن القنانة **نشأت** أولاً في القرن السادس عشر . أما أنها صقلت **مجدداً** بعد ذلك وظهرت في طبعة ثانية فهذا ما يبدو لي أمراً لا جدال فيه . ويعطي مايتـزن التواريخ التي بدىء فيها بذكر الأقنان من جديد في بروسيا الشرقية ؟ وبراندنبورغ وسيليزيا : منتصف القرن السادس عشر ؛ ويعطي هنسن المعلومات نفسها من أجل شليسويغ ـ هولشتاين . وإذا كان مورر يسمى ذلك شكلاً **أخف** من القنانة فهو على صواب بالمقارنة مع القرن التاسع حتى القرن الحادي عشر ، حين كانت العبـودية الجرمانية القديمة مستمرة بعد ، كما أنه على صواب بخصوص السلطات القانونية التي كان السيد يملكها بعد وقتئذ وفي وقت لاحق ـ وفقاً لكتب القوانين الخاصة بالقرن الثالث عشر ـ على أقنانه . لكنه بالمقارنة مع المركز **الفعلي** للفلاحين في القرن الثالث عشر والقرن الرابع عشر ، وفي شمالي ألمانيا في القرن الخامس عشر أيضاً ، فقد كانت القنانة الجديدة ما شئت ما عدا التخفيف منها . وبصورة خاصة بعد حرب الثلاثين عاماً ! وانه لأمر هام أيضاً أنه فيما كانت درجات العبودية والقنانة لا حصر لها في القرون الوسيطة ، بحيث تخلى(١) Sachsenspiegel عن أي محاولة له للحديث عن Egen Lude recht (٢) ، فقد أصبح هذا بسيطاً بصورة مرموقة بعد حرب الثلاثين عاماً . وباختصار ، فإني بالغ القلق لمعرفة رأيك ...

---

(١) **مرآة سكسونيا** ، وهو كتاب قانون ألماني في العصر الوسيط يعرض القوانين العرفية المحلية (في سكسونيا) .

(٢) حقوق المملوكين ، يعني الأقنان .

# ١٨٨٣

## ١٨١

## انجلز الى إ . برنشتاين

**لندن ، في ١٨ كانون الثاني ١٨٨٣**

... كنا سعداء جداً بشأن الأجوبة التي قدمها غريللنبرجر **والاشتراكي الديموقراطي** رداً على مراءاة بوتكامر(١) . هكذا يجب أن تصنع الأمور . لا التلوي والانحناء تحت ضربات الخصم ، لا الزمجرة والأنين والتلعثم بالمعاذير بأنك لم تكن تقصد أية اساءة ـ كما يفعل الكثيرون بعد . رد الصاع صاعين ، هذا ما ينبغي لك فعله ، ضربتان أو ثلاث ضربات مقابل ضربة يوجهها العدو . ذلك كان تكتيكنا دائماً ، وأعتقد أننا حتى الآن تغلبنا على كل واحد من خصومنا على وجه التقريب . لقد قال فريتز العجوز في بعض تعليماته الى جنرالاته : «وباختصار ، فأن عبقرية جنودنا تستقيم في هجومهم ، وهذا أمر جيد جداً» ، وهذه هي الطريقة التي يتصرف بها عمالنا في ألمانيا . لكنه اذا انسحب كايسر على سبيل المثال أثناء المناقشة عن القوانين الاستثنائية ـ على افتراض أن الفقرة المقتطفة(٢) صحيحة ـ وأعول بأننا لسنا بثوريين إلا بالمعنى البكويكي ، فماذا اذن ؟ اليك ما كان يجب أن يقال : أن الرايخستاغ كله والبونديسرات انما يجلسان هناك بفضل ثورة ؛ وأنه حين ابتلع وليم العجوز ثلاثة تيجان ومدينة حرة فقد كان ثورياً أيضاً ؛ وأن الشرعية بأكملها ، ما يسمى أساس الحق بأسره ، لا يعدو كونه نتاج ثورات لا حصر لها تمت ضد ارادة الشعب وكانت موجهة ضد الشعب . متى نتخلص أخيراً من ذلك الترهل الألماني

---

(١) يشير انجلز الى الخطاب الذي ألقاه النائب الاشتراكي الديموقراطي في الرايخستاغ غريللنبرجر والمقالات التي نشرت في **الاشتراكي الديموقراطي** بشأن المناقشة في الرايخستاغ عن تمديد القانون الاستثنائي ضد الاشتراكيين .

(٢) من قبل فييريك .

اللعين في الفكر والارادة الذي جلب الى الحزب بجهد كبير جداً جنباً الى جنب مع ...

## ١٨٢

## انجلز الى إ . برنشتاين

**لندن ، في ٢٧ شباط ـ ١ آذار ١٨٨٣**

... إننا لا ننتسب الى الحزب الألماني أكثر مما ننتسب الى الحزب الفرنسي أو الأميركي أو الروسي الا بمشقة ، ونستطيع أن نعتبر أنفسنا مقيدين بالبرنامج الألماني بصورة ضئيلة بقدر تقيدنا بالبرنامج الأدنى . واننا لنعلق أهمية على وضعنا الخاص هذا من حيث نحن ممثلان للاشتراكية **الأممية** . بيد أن هذا يحظر علينا أيضاً أن ننتسب الى أي حزب قومي خصوصي حتى نعود الى ألمانيا ونسهم بصورة مباشرة في الصراع هناك . أما الآن فلن يكون لذلك معنى ...

... لقد كافحنا حتى الدرجة القصوى منذ البداية الروح البورجوازي الصغير والمرائي داخل الحزب لأن هذا الروح الذي نما منذ أيام حرب الثلاثين عاماً لوث **جميع** الطبقات في ألمانيا وأصبح شراً ألمانياً موروثاً ، شقيقاً للعبودية ، ولخنوع الرعية الذليل ، ولسائر العيوب الألمانية الوراثية . وان هذا هو ما جعلنا موضع السخرية والازدراء في الخارج . انه السبب الرئيسي في رخاوة ووهن الخلق السائدين فيما بيننا ، وهو يسود على العرش مثلما يسود في مسكن الاسكافي . ولم تتطور في ألمانيا طبقة خالصة تقريباً من هذا الوباء الألماني الوراثي ، طبقة برهنت على امتلاكها نظرة حرة ، وطاقة ، وعزيمة ، وعناداً في النضال ، الا منذ تشكلت فيها بروليتاريا **حديثة** . أفليس من واجبنا أن نقاتل ضد أي محاولة من أجل حقن هذه الطبقة السليمة ـ الطبقة السليمة الوحيدة في ألمانيا ـ اصطناعياً بالسم الوراثي القديم للترهل البورجوازي الصغير وضيق الفكر البورجوازي الصغير ؟ بيد أن القادة ، في ذعرهم إثر المحاولات الاجرامية والقانون المناهض للاشتراكية مباشرة ، قد أظهروا خوفاً عظيماً إنما أثبت أنهم عاشوا طويلاً جداً بين المرائين وأنهم تحت ضغط الرأي المرائي . وكان لا بدّ للحزب في ذلك الحين أن **يظهر** بورجوازياً صغيراً ان لم **يصبح** بورجوازياً صغيراً حقاً وفعلاً.ومن حسن الحظ أنه تم في الوقت الراهن التغلب على هذه الأمور

جميعاً ، بيد أن العناصر البورجوازية الصغيرة التي اجتذبت الى الحزب قبل وقت قصير من القانون المناهض للاشتراكية وسادت بصورة خاصة بين المتخرجين في المعاهد وغير المتخرجين من الذين لم يجتازوا الامتحانات لا تبرح في صفوفنا ويجب أن تراقب بانتباه ...

## ١٨٣

## انجلز الى إ . برنشتاين

**لندن ، في ١٤ آذار ١٨٨٣**

عزيزي برنشتاين

لا بدّ أنك تلقيت برقيتي . لقد حدث ذلك كله بسرعة فظيعة . فبعد أفضل الآمال حدث انهيار مفاجىء في القوة هذا الصباح ، ومن بعد أغفى بصورة بسيطة . وفي دقيقتين كفت هذه العبقرية عن التفكير ، وذلك بالضبط حين كان الأطباء يشجعوننا على الأمل بالتحسن . ان قيمة هذا الرجل في الحقل النظري ، وكذلك في الحقل العملي في اللحظات الحاسمة ، لا يمكن تقديرها الا من قبل امرىء كان برفقته باستمرار . ان آفاقه العريضة سوف تختفي معه عن المسرح لسنوات طوال . هذه أمور لا تبرح ما وراء فهمنا نحن الباقين . ولسوف تواصل الحركة مجراها ، لكنها سوف تفتقد تدخله الهادىء ، الرصين، الذي يأتي في حينه ، هذا التدخل الذي أنقذها حتى الآن من الضلالات الطويلة على الطرقات الخاطئة .

المزيد من المعلومات عاجلا . الساعة الآن الثانية عشرة ليلاً ، ولا بدّ لي أن أكتب رسائل وأهتم بأمور متباينة طوال ما بعد الظهر والمساء .

المخلص

**ف . إ .**

## ١٨٤

## انجلز الى ف . أ . سورج

**لندن ، في ١٥ آذار ١٨٨٣ ، الساعة ١١,٤٥مساء**

عزيزي سورج

وصلت برقيتك الليلة . شكراً من أعماق القلب !

لم يكن في الامكان إعلامك بانتظام عن حالة ماركس الصحية لأنها كانت تتغير باستمرار . وهذه هي باقتضاب الوقائع الرئيسية :

لقد أصيب قبل وفاة زوجته بوقت قصير بهجمة من ذات الجنب ، في تشرين الأول ١٨٨١ . وبعدما أبلَّ أرسل الى ألجيه في شباط **١٨٨٢** ، فتعرض أثناء السفر للبرد والرطوبة ووصل بهجمة أخرى من ذات الجنب . واستمر الطقس الرديء جداً ، وحين تحسنت حاله أرسل الى مونتي كارلو (موناكو) تجنبا لحرارة الصيف المقترب . ووصل من جديد بهجمة من ذات الجنب ، أخف هذه المرة . وانه الطقس الفظيع من جديد . وحين شفي أخيراً قصد أرجانتول ، قرب باريس ، ليقيم مع ابنته ، مدام لونغيه . ولقد تردد على الينابيع الكبريتية في إنجيين القريبة لمعالجة التهاب القصبات الذي يشكو منه منذ زمن طويل . وكان الطقس مخيفاً هنا مرة أخرى ، ولكن المعالجة أفادته حتى درجة ما . ومن بعد مضى الى فيفيي لستة أسابيع ورجع في ايلول وقد شفي تماماً في ظاهر الأمر . وسمح له أن يقضي الشتاء على الساحل الجنوبي لانكلترا . ولقد كان هو نفسه متعباً جداً من الضرب على وجهه دون أن يفعل شيئاً بحيث كان من الأرجح أن فترة أخرى من النفي الى جنوبي اوروبا سوف تسيء اليه معنوياً بقدر ما تعود عليه بالمنفعة جسدياً .وحين بدأ موسم الضباب في لندن أرسل الى جزيرة وايت حيث لم تفعل السماء شيئاً سوى الإمطار ، فاصيب بالبرد من جديد . وكنا ننوي ،شورليمر وأنا ، أن نزوره حوالي رأس السنة حين جاءت الأنباء التي اضطرت توسي الى اللحاق به في الحال . وبعد ذلك مباشرة جاءت وفاة جيني(١) ، فعاد بهجمة جديدة من التهاب القصبات . ولقد كان هذا أمراً خطيراً بعد كل ما تعرض له من قبل،وفي مثل سنه. وحدث عدد من الاختلاطات، وبصورة خاصة خراجاً رئوياً، وفقداناً سريعاً للقوة بصورة رهيبة . وبالرغم من ذلك كله ، فقد كان السير العام للمرض يتقدم بصورة ملائمة ، ويوم الجمعة الفائت أعطانا الطبيب الرئيسي المشرف على علاجه ، وهو من أبرز الأطباء الشباب في لندن ، وقد نصحه به بصورة خاصة إدوين ري لانكستر ، أملاً براقاً بشفائه . ومع ذلك فان كل من تفحص النسيج

الرئوي تحت المجهر يعرف مبلغ خطورة انفجار جدار أحد الأوعية الدموية عبر رئة متقيحة . وهذا هو السبب في أنني كنت أخاف بصورة قاتلة كل صباح خلال الأسابيع الستة الماضية من أن أجد الستائر مسدلة حين أدور حول زاوية الشارع . والبارحة عصراً في الساعة الثانية والنصف ، وهو أفضل وقت لزيارته أثناء النهار ، وصلت لأجد البيت غارقاً في الدموع . كان يبدو أن النهاية قريبة. وسألت عما حدث ، وحاولت أن أصل الى قلب الأمر ، وأن اقدم العزاء . لقد حدث نزف طفيف ، لكنه جعل على حين غرة ينهار سريعاً . وصعدت عجوزنا لنشن الطيبة ، التي كانت تعنى به أفضل مما تعنى أي أم بولدها ، الى الأعلى وهبطت ثانية ، وقالت انه نصف نائم واني استطيع أن أمضي معها . وحين دخلنا الغرفة كان مضطجعاً هناك نائماً ، لكن لم يستيقظ بعدئذ قط.ان نبضه وتنفسه قد توقفا.في تينك الدقيقتين توفي،بسلام ودونما ألم.

ان جميع الأحداث التي تقع بفعل الضرورة الطبيعية تحمل عزاءها الخاص معها ، مهما تكن رهيبة . وكذلك الأمر في هذه الحال . لقد كان في مقدور الحذق الطبي أن يضمن له بضع سنوات أخرى من الوجود الانباتي ، حياة كائن عاجز يموت ـ الأمر الذي يشكل نصراً للفن الطبي ـ ليس على حين غرة ، بل أنملة بعد أنملة . بيد أن ماركس ما كان يمكن على أي حال أن يتحمل هذا الأمر . فأن يعيش وأمامه جميع تلك الأعمال غير المنجزة ، تعذبه الرغبة في إكمالها وهو عاجز عن ذلك ، كان هذا سيكون أمرّ ألف مرة عليه من الموت الهادىء الذي احتضنه . ولقد كان من عادته أن يقول ، مستشهداً بأبيقور : «ليس الموت كارثة بالنسبة الى من يموت بل بالنسبة الى الباقين على قيد الحياة .» وأن يبقى هذا العبقري الجبار متلاشياً ببطء من حيث هو حطام جسدي ، لمجد الطب وسخرية المرائين الذين ما أكثر ما أحالهم غباراً منثوراً في أوج قوته ـ لا ، انه لأفضل ألف مرة أن الأمر كما هو الآن ، أفضل ألف مرة أننا سوف نحمله ، بعد غد ، الى القبر حيث ترتاح زوجته .

وبعد الأمور التي جرت من قبل ، وما لا يعرفه حتى الأطباء مثل معرفتي له ، فلم يكن هناك في رأيي حل آخر .

ليكن . ان الجنس البشري أقصر قدر رأس كاملة ، وهي أعظم رأس في عصرنا . ان حركة البروليتاريا تستمر ، لكنها ذهبت تلك النقطة المركزية التي كان يتوجه

نحوها بعفوية الفرنسيون والروس والأميركيون والألمان في اللحظات الحاسمة كي يتلقوا دائماً تلك النصيحة النيرة التي لا جدال فيها والتي لا تستطيع أن تمنحها الا العبقرية والا المعرفة الشاملة بالأوضاع . ان الأنوار المحلية والمواهب الصغيرة ، ان لم يكن الدجالون ، قد اطلقت أيديهم . ويظل النصر الأخير مؤكداً ، لكن الالتفافات والانحرافات المؤقتة والمحلية ـ وهي أمور لا مفر منها ـ سوف تنمو الآن أكثر من أي وقت مضى . حسناً ، سوف ندرك مرامي ذلك ؛ والا فلماذا وجودنا هنا ؟ وما أبعدنا عن فقدان الشجاعة من جراء ذلك .

المخلص

**ف . إنجلز**

## ١٨٥

## انجلز الى ب . فان باتن

**لندن ، في ١٨ نيسان ١٨٨٣**

أيها الرفاق المحترمون

ان بياني رداً على استفساركم في الثاني من نيسان بخصوص موقف كارل ماركس من الفوضويين عامة ومن جوهان موست خاصة سوف يكون مقتضباً وواضحاً .

لقد نادينا ، ماركس وأنا ، منذ عام **١٨٤٥** بالرأي القائل ان **إحدى** النتائج الأخيرة للثورة البروليتارية المقبلة سوف تكون الانحلال التدريجي والاختفاء النهائي لتلك المنظمة السياسية المدعوة **الدولة** ؛ فهذه منظمة كان الغرض الرئيسي منها دائماً أن تضمن بالقوة المسلحة الخضوع الاقتصادي للغالبية الكادحة للأقلية الثرية . ومع اختفاء الأقلية الثرية تختفي كذلك ضرورة قوة دولتية مسلحة قمعية . ولقد نادينا دائماً في الوقت نفسه أنه في سبيل بلوغ هذه الغاية والغايات الأخرى الأهم حتى درجة كبيرة للثورة الاجتماعية في المستقبل لا بدّ للطبقة البروليتارية بادىء الأمر أن تستملك القوة السياسية المنظمة للدولة وتقضي بواسطة هذا العون على مقاومة الطبقة الرأسمالية وتعيد تنظيم المجتمع . ولقد تقرر هذا الأمر بكل وضوح في **البيان الشيوعي** لعام **١٨٤٧** ، خاتمة الفصل الثاني .

ويقلب الفوضويون الوضع ، فيقولون انه على الثورة البروليتارية ان **تبدا** بالغاء المنظمة السياسية للدولة . بيد أن المنظمة الوحيدة التي تجدها الطبقة العاملة ، بعد انتصار البروليتاريا ، جاهزة للاستخدام هي منظمة الدولة . ولقد تتطلب التكييف مع الوظائف الجديدة . لكن تدمير هذه المنظمة في مثل تلك اللحظة معناه تدمير الجهاز الوحيد الذي تستطيع بواسطته الطبقة العاملة الظافرة أن تمارس سلطانها الذي استولت عليه حديثاً ،وتقمع أعداءها الرأسماليين وتنفذ الثورة الاقتصادية للمجتمع ، هذه الثورة التي لا بد للنصر بأكمله أن ينتهي بدونها الى هزيمة والى مجزرة للطبقة العاملة أشبه بتلك التي جرت بعد كومونة باريس .

أيتطلب الأمر تأكيدي الواضح بأن ماركس عارض هذه السخافات الفوضوية منذ اليوم الأول الذي بوشرت فيه في شكلها الراهن من قبل باكونين ؟ ان جماع التاريخ الداخلي لمنظمة الشغيلة الأممية هناك لاثبات ذلك . لقد حاول الفوضويون الحصول على قيادة الأممية بأدنأ الأساليب ، وذلك منذ عام **١٨٦٧** ، وكان ماركس العقبة الرئيسية في سبيلهم . وكانت نتيجة الصراع الذي استمر خمس سنوات طرد الفوضويون من الأممية في مؤتمر لاهاي في ايلول **١٨٧٢** ، وكان ماركس الرجل الذي بذل الجهد الأعظم في سبيل تحقيق هذا الطرد . وان صديقنا القديم ف . أ . سورج من هوبوكين ، الذي كان حاضراً بصفته مندوباً ، يستطيع أن يقدم اليكم تفاصيل أخرى اذا شئتم .

والآن بخصوص جوهان موست . اذا أكد أي امرىء بأن موست ، منذ انقلب فوضوياً ، قد كانت له أية علاقة مع ماركس أو حصل منه على أي تأييد ، **فهو** إما امرؤ مخدوع أو كذاب عن عمد . فبعد صدور أول عدد من Freiheit اللندنية لم يقم موست بزيارة لماركس أو لي الا مرة واحدة ، وعلى الأكثر مرتين . وكذلك لم نزره أو نلتق به مصادفة في أي مكان أو في أي زمان منذ انفجرت فوضويته الجديدة في هذه الصحيفة . وفي الحقيقة أننا كففنا أخيراً عن تلقيها نظراً لأنه «لم يكن فيها أي شيء» على الاطلاق . لقد كنا ننطوي حيال فوضويته وتكتيكه الفوضوي على نفس الاحتقار الذي كنا ننطوي عليه حيال اولئك الناس الذين تعلم منهم .

وحين كان موست لا يزال في ألمانيا نشر مقتطفاً «شعبياً» من **رأس المال** ، وقد طُلب

من ماركس مراجعته من أجل طبعة ثانية . ولقد ساعدت ماركس في هذا العمل . ولقد وجدنا من المحال أن نحذف أكثر من الأخطاء الأسوأ إلا اذا أعدنا كتابة المقتطف بأكمله من بدايته الى نهايته ، وقد وافق ماركس على إدخال تصحيحاته بشرط واضح ، ألا وهو ألا يربط اسمه في حال من الأحوال حتى بهذا الشكل المراجع لعمل جوهان موست .

إن لكم ملء الحرية في نشر هذه الرسالة في **صوت الشعب** اذا رغبتم في ذلك

المخلص

**ف . إ**

## ١٨٦

## انجلز الى إ . برنشتاين

**ايستبورن ، في ٢٧ آب ١٨٨٣**

.. في الصراع الطبقي بين البروليتاريا والبورجوازية لعبت الملكية البونابرتية (التي شرح ماركس خصائصها في **الثامن عشر من برومير** وشرحتها أنا في **مسألة الاسكان** ، القسم الثاني ، وفي غيره) دوراً مماثلاً للدور الذي لعبته الملكية المطلقة القديمة في الصراع بين الاقطاعية والبورجوازية ، لكنه كما أن هذا الصراع ما كان يمكن أن يجري في ظل الملكية المطلقة القديمة ، بل في ظل ملكية دستورية فقط (انكلترا ، فرنسا ١٧٨٩ ـ ١٧٩٢ و ١٨١٥ ـ ١٨٣٠) ، كذلك ما كان يمكن للصراع بين البورجوازية والبروليتاريا أن يخاض الا في ظل جمهورية . وبالتالي فاذا كانت الشروط الملائمة والماضي الثوري قد ساعدت الفرنسيين على الاطاحة بالبونابرتية وإقامة جمهورية بورجوازية ، فان الفرنسيين يمتازون علينا ، نحن الذين لا نبرح نتعثر في خليط من نصف الاقطاعية والبونابرتية، بأنهم يملكون بصورة مسبقة الشكل الذي يجب أن يجري الصراع فيه بينما لا يزال علينا أن **نفوز** به . انهم يتقدمون علينا سياسياً بمرحلة كاملة . وبالتالي فان نتيجة إعادة الملكية في فرنسا لابدّ أن تكون أن يوضع في جدول الأعمال من جديد النضال في سبيل اعادة الجمهورية **البورجوازية** .

بيد ان استمرار الجمهورية سوف يكون معناه من جهة أخرى تشديد الصراع الطبقي المكشوف **المباشر** بين البروليتاريا والبورجوازية حتى بلوغ أزمة ما .

وفي بلادناأيضاً فأن النتيجة الأولى والمباشرة للثورة لا يمكن **ولا يجب** أن تكون في **الشكل الا جمهورية بورجوازية** . بيد أن هذه ليست هنا إلا مرحلة انتقالية مقتضبة نظراً لأننا لا نملك لحسن الحظ حزباً بورجوازياً جمهورياً خالصاً . إن الجمهورية البورجوازية، التي قديتزعمها الحزب التقدمي ، سوف تخدمنا في بداية الأمرمن أجل **كسب الجماهيرالغفيرةمن العمال إلى الاشتراكيةالثورية**. ولسوف يتحقق ذلك في سنةأو سنتين ويؤدي إلى الانهاك التام والدمارالذاتي ، باستثنائنا نحن ، لسائرالأحزاب المتوسطة التي ربما تكون قائمة بعد . وعندئذ فقط نستطيع أن نستلم الأمور بنجاح .

ان الخطيئة الكبرى التي يرتكبها الألمان هي الاعتقاد بأن الثورة شيء يمكن صنعه بين ليلة وضحاها . وحقيقة الأمر أنها عملية لتطور الجماهير تستغرق سنوات عديدة حتى في ظل شروط تناسب تسارعها . وان أية ثورة تتحقق بين ليلة وضحاها لا تفعل الا ازاحة رجعية كانت بالية منذ البداية (١٨٣٠) أو الانتهاء مباشرة الى النقيض مما كان مرادها(١٨٤٨ ، فرنسا) .

المخلص

**ف . إ**

# ١٨٨٤

## ١٨٧

## انجلز الى إ . برنشتاين

### لندن ، في الأول من كانون الثاني ١٨٨٤

... وأما بخصوص استفسارك السابق المتعلق بالفقرة الواردة في مقدمة **البيان** (١) والمأخوذة من **الحرب الأهلية في فرنسا** فلا بدّ في الأغلب أن توافق على الجواب المعطى في الأصل(**الحرب الأهلية** ، ص : ١٩ وما يليها) . واني أرسل اليك نسخة في حالة افتقارك الى نسخة هناك . أن المسألة بكل بساطة هي بيان أن البروليتاريا الظافرة يجب أن تحقق باديء الأمر إعادة تكوين سلطة الدولة القديمة البيروقراطية والممركزة ادارياً قبل أن تستطيع استخدامها لأغراضها الخاصة ؛ حيث أن جميع الجمهوريين البورجوازيين منذ عام ١٨٤٨ قد نددوا بهذه الآلة ما كانوا في المعارضة ، لكنهم استلموها حالما صاروا في الحكم واستخدموها دون تغيير ضد الرجعية بصورة جزئية، لكن ضد البروليتاريا أكثر من ذلك . وأما أن الاتجاهات **غير الواعية** للكومونة قد سجلت في **الحرب الأهلية** كمفخرة لها من حيث هي خطط أكثر أو أقل وعياً ، فقد كان هذا مسوغاً ، بل ضروري في ظل الظروف السائدة . ولقد ألحق الروس بصورة مناسبة جداً هذه الفقرة من **الحرب الأهلية** بترجمتهم **للبيان** . ولو أن الطبعة ما كان يجب أن تنهى في ذلك الحين بسرعة فائقة لكان في امكاننا أن نضيف ذلك وأشياء أخرى أيضاً ...

---

(١) في مقدمة الطبعة الألمانية من **البيان الشيوعي** لعام ١٨٧٢ استشهد ماركس وانجلز ، وهما يتحدثان عن دروس كومونة باريس، بهذه الفقرة من الحرب الاهلية في فرنسا : «...لا تستطيع الطبقة العاملة أن تستولي فحسب على آلة الدولة الجاهزة وتستخدمها لاغراضها الخاصة .»

## ١٨٨

## انجلز الى ك . كاوتسكي

**لندن ، في ١٦ شباط ١٨٨٤**

... انه ليكون أمراً جيداً أن يكلف امرؤ ما عناء ايضاح اشتراكية الدولة المتفشية في الوقت الحاضر باستخدام مثالها في **جافا** حيث تزدهر ممارستها كل الازدهار. ان جميع المواد من أجل ذلك متوفرة في **جافا** ، **أو كيف تدار المستعمرة** ، بقلم إ . و . ب . موني ، المحامي ، لندن ١٨٦١ ، في مجلدين . وانه ليتبين هنا كيف نظم الهولنديون الانتاج تحت اشراف الدولة على أساس الشيوعية الجماعية القديمة ووفروا للناس ما يعتبرونه حياة رخية تماماً . والنتيجة : ان الناس باقون في مرحلة البلاهة البدائية ، والخزانة القومية الهولندية تجمع كل عام ٧٠ مليون مارك (وأكثر من ذلك بكل تأكيد في الوقت الحاضر) . إن هذه الحالة بالغة الأهمية ، ويمكن بكل سهولة استخلاص الدروس العملية منها.وبالمناسبة، فهي برهان على الطريقة التي توفر بها الشيوعية البدائية اليوم هناك وفي الهند وروسيا على حد سواء القاعدة الأعرض والأروع من أجل الاستثمار والطغيان (طالما أنها لا تستحث بأي عنصر من الشيوعية الحديثة) وكيف أنها تظهر في شروط المجتمع الحديث مسألة بالية بصورة صارخة (لا بدّ من حذفها أو تطويرها قدماً) بقدر ما كانت عليه رابطات المارش المستقلة في الكانتونات الأصلية .

ان ثمة كتاباً **موثوقاً** عن شروط المجتمع البدائي ، موثوقاً بقدر داروين في علم الحياة ، وبالطبع فان ماركس مرة أخرى هو الذي أكتشفه : مورغان ، **المجتمع القديم** ، ١٨٧٧ . ولقد تحدث ماركس عنه ، لكن رأسي كانت غاصة بأشياء أخرى في ذلك الحين ، وهو لم يعد الى الحديث عنه قط . ولا ريب أن هذا ناسبه نظراً لأنه كان يريد أن يدخل الكتاب بين الألمان **بنفسه** ، كما يتضح لي من المقتطفات الواسعة جداً التي أخذها منه . ان مورغان قد اكتشف التصور المادي الماركسوي للتاريخ بصورة مستقلة ضمن الحدود التي يفرضهاموضوعه،وهو يخلص بخصوص المجتمع الراهن الى مطالب شيوعية بصورة مباشرة . إن الجانس الروماني والأغريقي يفسر

كلياً للمرة الأولى بجانس المتوحشين ، وبالخاصة الهنود الأمريكيين ، وبذلك يكون قد أرسي أساس ثابت من أجل تاريخ الأزمان البدائية . ولو أن الوقت كان متوفراً لصنعت المواد ، بالاستناد الى ملحوظات ماركس ، من أجل مقالة خاصة في **الاشتراكي الديمقراطي** أو **الحياة الجديدة** ، لكنني لا أستطيع حتى مجرد التفكير في ذلك . ان كل ذلك اللغو بقلم تايلور ولوبوك وشركاهما عن الزواج الداخلي والزواج الخارجي وأي شيء سمي به ذلك الهراء قد سحق الآن بصورة حاسمة . إن هؤلاء السادة قد قمعوا الكتاب هنا قدر طاقتهم،ذلك أنه طبع في أميركا.ولقد أوصيت عليه قبل خمسة أسابيع ، لكنني لا أستطيع الحصول عليه ، بالرغم من أن مؤسسة لندنية ورد اسمها على صفحة الغلاف بوصفها شريكة في النشر .

مع أطيب تمنياتي .

المخلص

**ف . إ .**

## ١٨٩

## انجلز الى ف . إ . زاسوليتش

**لندن ، في ٦ آذار ١٨٨١**

ايتها المواطنة العزيزة .

انه لعيد بالنسبة الى بنات ماركس وبالنسبة الي عندما تصدر الطبعة الروسية من **بؤس الفلسفة** . وانه لمن المفروغ منه أنه سوف يسعدني أن أضع تحت تصرفك كل المواد التي قد تكون نافعة لك لهذا الغرض . اني اقترح أن أفعل ما يلي :

ان طبعة فرنسية جديدة ، الى جانب الطبعة الألمانية ، هي قيد الطبع حالياً في باريس . وأني لأهيىء بعض الملحوظات التفسيرية لهاتين الطبعتين وسوف أرسل النص اليك .

ومن أجل المقدمة سوف تكفي مقالة بقلم ماركس عن برودون ظهرت في **الاشتراكي الديموقراطي** البرلينية (١٨٦٥) وهي تحتوي كل ما يلزم على وجه التقريب ؛ ولسوف توضع في رأس الطبعتين ، الفرنسية والألمانية . ان هناك نسخة

واحدة باقية وهي تخص محفوظات حزبنا في زوريخ . واذا لم تتوفر نسخة أخرى بين أوراق ماركس أو أوراقي (وهو ما سوف أعرفه خلال أسابيع قليلة) ، فانك تستطيعين بكل سهولة الحصول على نسخة بواسطة برنشتاين .

ولا بدّ لي أن أكتب مقدمة خصوصية من أجل الطبعة الألمانية بغرض دحض التأكيد السخيف للاشتراكيين الرجعيين بأن ماركس انتحل رودبرتوس في **رأس المال** والبرهان على أن ماركس ، على النقيض من ذلك ، انتقد رودبرتوس في **بؤس** قبل أن يكتب رودبرتوس رسائله الاجتماعية . ويخيل الي أن هذه الأمور لا تهم الجمهور الروسي نظراً لأن اشتراكيينا المزيفين لم يتغلغلوا هناك بعد . لكن احكمي على الأمر بنفسك . ان المقدمة تحت تصرفك اذا اعتقدت أنك تحتاجين اليها .

أسعدني جداً ما أخبرتني به عن الدراسة المتزايدة في روسيا للكتب عن النظرية الاشتراكية . يبدو أن الفكر النظري والنقدي ، الذي انعدم على وجه التقريب في مدارسنا الألمانية ، قد التجأ الى روسيا . وأنت تسألينني أن أقترح عليك كتباً من أجل الترجمة . بيد أنك ترجمت حتى الآن أو وعدت بأن تترجمي جميع أعمال ماركس تقريباً . ولقد أخذت زبدة أعمالي . ان بقية كتبنا الألمانية إما فقيرة نظرياً واما تعالج مسألة مقتصرة أكثر أو أقل على ألمانيا . ولقد أنتج الفرنسيون مؤخراً عدداً من الأشياء الجيدة ، لكنها لا تبرح مجرد بدايات . ان خلاصة دوفيل عن **رأس المال** جيدة بقدر ما يتعلق الأمر بالقسم النظري ، لكن القسم الوصفي حرر بشيء من العجلة وهو يكاد يكون عصياً على الفهم بالنسبة الى أي امرىء لا يعرف الأصل . وفيما عدا ذلك ، فهو ضخم جداً بالنسبة الى خلاصة . ومع ذلك لا أزال أعتقد أنه يمكن أن يصنع به شيء جيد اذا اشتغل المرء به ؛ وان خلاصة **لرأس المال** نافعة دائماً في بلد لا يمكن فيه الحصول على الكتاب نفسه الا بكل صعوبة .

حين تحدثت عن الوضع في روسيا كنت أفكر بكل تأكيد ، في جملة الأشياء التي كنت أفكر بها ، بماليتها ـ بصورة خاصة ، لكن ليس على سبيل الحصر . فبالنسبة الى حكومة تعاني ما تعانيه حكومة بطرسبورغ من ضيق ، وبالنسبة الى قيصر أسير مثل ناسك غاتشينا ، لا يمكن أن يستمر الوضع دون أن يزداد توتراً أكثر فأكثر . فمع النبلاء والفلاحين المتكافئين في الافلاس ، ومع مشاعر الجيش الشوفينية المهانة وحيرة

هذا الجيش نفسه حيال مشهد عاهل مختبىء أبداً ، ومع ضرورة حرب في الخارج كمنفذ «للأهواء الشريرة» والاستياء العام ، ومع الاستحالة المتواقتة لشن مثل هذه الحرب لانعدام المال والظروف السياسية الملائمة ـ ومن بعد انتليجنتزيا وطنية قوية تلتهب رغبة في تحطيم الأغلال التي تقيدها ـ وبالاضافة الى ذلك كله الحاجة المباشرة الى المال وسكين رجال الفكر العامين المسلطة على عنق الحكومة ـ يخيل الي أنه لا بدّ لكل شهر أن يضاعف من استحالة الوضع وأنه اذا برز دوق كبير جسور ودستوري الذهنية فلا بدّ «للمجتمع» الروسي نفسه أن يجد أن أفضل سبيل من أجل الخروج من هذا المأزق هو في ثورة قصر . وبعد ، فهل ينقذ بسمارك وبلايخرودر أصدقاءهما الجدد ؟ أشك في ذلك . واني لأميل أكثر الى التساؤل عن أي من الفريقين المتعاقدين سوف ينهب من قبل الفريق الآخر .

تجدين طيه مخطوطة (نسخة) بقلم ماركس أرجو أن تستخدميها بأفضل صورة ترتأين . ولست أذكر ما اذا كان قد عثر في **Slovo** أو **Otechestvenniye Zapiski** على المقالة : «كارل ماركس أمام محكمة السيد جوكوفسكي» . لقد حرر هذا الجواب الذي يحمل طابع شيء كتب كي ينشر في روسيا ، لكنه لم يرسله قط الى بطرسبورغ خوفاً من أن يكون اسمه وحده كافياً ليعرض للخطر وجود الصحيفة التي سوف تنشر رده(1) .

المخلص كلياً

**ف . انجلز**

أجد ترجمتك لكراستي ممتازة(2) . ما أجمل اللغة الروسية ! إنها تملك جميع النواحي الجيدة لدى اللغة الألمانية ، من دون خشونتها الرهيبة .

## ١٩٠

## انجلز الى إ . برنشتاين

**لندن ، في ٢٤ آذار ١٨٨٤**

---

(١) إن رسالة ماركس التي كتبها عام ١٨٧٧ الى هيئة تحرير الصحيفة المذكورة قد نشرت للمرة الأولى عام ١٨٨٦ في العدد الخامس من **راية الشعب** ، جنيف .

(٢) يقصد انجلز كراسته **الاشتراكية الطوباوية والعلمية** ، وقد صدرت ترجمتها الروسية التي نقلتها زاسوليتش في صيف عام ١٨٨١ .

... وعلى أي حال فقد كانت مقالة آذار جيدة جداً والنقاط الأساسية مؤكدة بصورة مناسبة . وينطبق الأمر نفسه على المقالة في العدد التالي عن العظة الى الفلاحين التي ألقاها عضو حزب الشعب ؛ والشيء العفن الوحيد فيها هو إشارته الى «مفهوم» الديموقراطية . ان هذا المفهوم يتغير كلما تغير الشعب(١)» ، وبذلك لا يتقدم بنا خطوة واحدة الى الأمام . وفي رأيي أن ما كان يجب أن يقال هو ما يلي : ان البروليتاريا أيضاً تتطلب **أشكالاً** ديموقراطية ، من أجل الاستيلاء على السلطة السياسية ، لكنها ليست بالنسبة اليها ، مثلها كمثل سائر الأشكال السياسية ، سوى ومسائل ليس غير . لكنه اذا كانت الديموقراطية اليوم مطلوبة من حيث هي **غاية** ، فلا بدّ للمرء أن يبحث عن التأييد لدى طبقة الفلاحين والبورجوازية الصغيرة ، يعني لدى طبقات هي في سبيلها الى الانحلال و**رجعية** بالمقارنة مع البروليتاريا حالما تسعى الى المحافظة على نفسها بصورة مصطنعة . وفيما عدا ذلك يجب ألا ينسى أن الجمهورية الديموقراطية على وجه الدقة هي الشكل **المنطقي** للحكم البورجوازي ؛ وصحيح أنها أصبحت بالغة الخطر بسبب التطور الذي حققته البروليتاريا حتى الآن ، لكنها لا تبرح ممكنة ، كما تبين فرنسا وأميركا ، من حيث هي حكم بورجوازي خالص . وهكذا فان «مبدأ» الليبرالية المعتبر من حيث هو شيء «محدد ، متكون تاريخياً» ، ليس سوى تهافت في واقع الأمر . ان الملكية الدستورية الليبرالية شكل مناسب من السيطرة البورجوازية : ١ً - في البداية ، اذ لا تكون البورجوازية قد انتهت كلياً بعد من الملكية المطلقة ، و٢ً - في النهاية ، حين تكون البورجوازية قد جعلت في هذه الأثناء الجمهورية الديموقراطية بالغة الخطورة . ومع ذلك تظل الجمهورية الديموقراطية دائماً الشكل **الأخير** من الحكم البورجوازي ، ذلك الشكل الذي يقضي عليها نهائياً . وهذا سوف يختتم محاضرتي .

ترسل نيم تحياتها ؛ لم أر توسي البارحة

المخلص

ف . إ .

---

(١) demos ، باللاتينية في النص الأصلي

## ١٩١

# انجلز الى ك . كاوتسكي

**لندن ، في ٢٦ نسيان ١٨٨٤**

عزيزي كاوتسكي

حزمت أمري ، كما أخبرت الجميع هنا ، كي أخدع بسمارك وأكتب شيئاً (مورغان) لن يستطيع بكل بساطة حظره ، لكن الحيلة لم تنجح بالرغم من سائر جهودي . فأنا بكل بساطة لا أستطيع أن أصوغ الفصل عن الزواج الأحادي والفصل الختامي عن الملكية الخاصة من حيث هي مصدر للتناحر الطبقي وكذلك من حيث هي رافعة من أجل انحلال النظام الجماعي القديم بطريقة تتيح لي تمريرهما في ظل القانون المناهض للاشتراكية(١) . ليأخذني الشيطان : لا أستطيع أن أفعل غير ذلك ، حسب تعبير لوثر .

ولن يكون للأمر كله معنى على الاطلاق اذا أردت أن أقدم تقريراً «موضوعياً» عن مورغان دون معالجته نقدياً ، ودون استخدام النتائج الحاصلة مؤخراً ، ودون عرضها في ارتباطها بآرائنا وبالنتائج الحاصلة مسبقاً . لن يكسب عمالنا شيئاً من ذلك . حسناً اذن ؛ إما جيد وضروري لكنه ـ محظور ؛ وإما مسموح به لكنه ـ مكتوب بحقارة . وهذا ما لا أستطيع .

أناعلى يقين من أني سأنتهي منه في الأسبوع المقبل (سكورلمر هنا مرة أخرى حتى يوم الاثنين). لسوف يكون هناك أربع ملازم كاملة أو أكثر . وإذا شئتم ياقوم أن تغامروا بعد قراءة هذا الشيء بنشره في **الحياة الجديدة** فيجب أن تتحملوا مسؤولية كل الدم الذي سوف يراق ولا تلوموني فيما بعد . لكن اذا مارستم الحيطة ولم تعرضوا للخطر الصحيفة بأكملها بسبب مقالة واحدة ، فانشروا هذا الشيء اذن في كراس ، إما في زوريخ أو على غرار **المرأة**(٢) . هذا من شأنكم .

أعتقد أن هذا الشيء سوف تكون له أهمية خاصة بالنسبة الى نظرتنا العامة الى العالم . لقد أتاح مورغان لنا أن ننظر إلى الأمور من وجهات نظر جديدة كلياً

---

(١) يقصد انجلز مؤلفه أهل العائلة والملكية الخاصة والدولة .

(٢) اوغوست بيبل : **المرأة والاشتراكية** .

بتزويدنا في ما قبل تاريخه باساس واقعي كنا نفتقر اليه حتى هذا الحين . ومهما تكن الشكوك التي لا تبرح تراودك بشأن التفاصيل في تاريخ العصور البدائية «المتوحشين» ، فان الجانس يسوي الموضوع في خطوطه الرئيسية ويفسر تاريخ المجتمع القديم . وهذا هو السبب في ضرورة صياغة هذا الشيء بصورة جدية ، واعتباره بعناية ، والبرهان عليه في سائر ترابطاته ، لكن معالجته كذلك دون أدنى اهتمام بالقانون المناهض للاشتراكية .

ولا تزال هناك نقطة هامة أخرى : يجب أن أبين كيف استبقت عبقرية فوريه مورغان في أمور عديدة جداً . وكان لا بدّ من مورغان في سبيل ابراز تألق نقد فوريه للحضارة . وإن هذا ليتطلب قدراً كبيراً من العمل ...

## ١٩٢

## انجلز الى إ . برنشتاين

**لندن ، في ٢٣ أيار ١٨٨٤**

... إني سعيد في أعماقي لأن القانون المناهض للاشتراكية ظل ساري المفعول ولم يُلغَ ، والا حقق البورجوازي الصغير الليبرالي نصراً عظيماً للمحافظين في الانتخابات . ولن يقتصر على خوض النار والمياه بل سوف يجتاز أعمق الحفر الموحلة كي يحافظ على القانون المناهض للاشتراكية فعالاً . وكان يترتب على ذلك اذن قانون جديد وأقسى. وكما يبدو الآن ، فقد بسط على الأغلب للمرة الأخيرة ، واذا ما قضى ويل العجوز من جراء قولنجه الكلوي فسرعان ما يكف عن الوجود عملياً . وان الهزيمة التامة التي مني بها أصحاب الفكر الحر الألمان والوسط عند الاقتراع تملك بعض القيمة هي الأخرى ، لكن الأهم من ذلك حق بسمارك في العمل . فمنذ أخذ هذا المأفون ذلك الأمر في يده أصبحت هناك إمكانات لتخلصنا من المطبلين للكوارث من أمثال جايسر . ومهما يكن من أمر ، فلم يكن بدّ من بسمارك كي يقوم بمثل هذا العمل السخيف في مواجهة حركة عمالية لا يمكن كبحها حتى بقوانين استثنائية . وفي هذه

الأثناء يفعل قومنا حسناً اذ يحشرونه أكثر فأكثر في هذه القضية بالضغط عليه لانجاز الأمر . فحالما يتورط هذا الفتى أكثر قليلاً (ومن المؤكد أنه لن يفعل ذلك عاجلاً) ، فسوف ينحل الخداع كله في الحكم البوليسي البروسي . ولن تفيده العبارة الجوفاء الا بصورة هزيلة جداً من حيث هي برنامج انتخابي .

كان فوريه سباقاً الى تقديم حق العمل الذي لا يتحقق عنده إلا في المستعمرة التعاونية ، وبالتالي يفترض بصورة مسبقة تطبيق هذه المستعمرة التعاونية . وإن أنصار فوريه ـ وهم بورجوازيون صغار محبون للسلام من **الديموقراطية المسالمة** كما سميت صحيفتهم ـ قد نشروا هذه العبارة بالضبط لأنها تتردد عديمة الضرر . وقد أسرجت هذه العبارة الى عمال باريس لعام ١٨٤٨ ـ بمفاهيمهم الضبابية كلياً في مجال النظرية ـ لأنها كانت تبدو عملية جداً ، وطوباوية بقدر ضئيل جداً ، وقابلة للتحقيق حتى درجة كبيرة دون أية متاعب . ولقد حققتها الحكومة ـ بالطريقة الوحيدة التي يمكن للمجتمع الرأسمالي أن يحققها بها ـ بتشييدها ورشات وطنية حمقاء . ولقد تحقق الحق في العمل بالطريقة ذاتها هنا في لانكشاير إبان أزمة القطن في ١٨٦١ ـ ١٨٦٤ بتشييد الورشات البلدية . وانه ليتحقق في ألمانيا كذلك باقامة مستعمرات للعمال للتجويع والجلد تثير في الوقت الحاضر حماسة البورجوازيين الصغار. ان الحق في العمل ، اذا ما طرح من حيث هو مطلب **منفصل** ، **لا يمكن** أن يتحقق بأي طريقة أخرى . ان المرء يطالب المجتمع الرأسمالي بأن عليه أن يجعل هذا الحق فعالاً ، لكن هذا المجتمع لا يستطيع أن يفعل ذلك إلا ضمن إطار شروط الوجود الخاصة به ، واذا ما طُلب حق العمل **منه** فإنه يُطلب خاضعاً لهذه الشروط المحددة ؛ ومن هنا فان ما يطلب هو الورشات الوطنية وبيوت العمل والمستعمرات . بيد أنه اذا كان مطلب حق العمل يفترض فيه أنه يتضمن **بصورة غير مباشرة** مطلب تحويل نمط الانتاج الرأسمالي ، فانه تراجع جبان بالمقارنة مع الحالة الراهنة للحركة ، تنازل للقانون المناهض للاشتراكية ، عبارة لا يمكن أن تخدم غرضاً آخر سوى بث الاضطراب والحيرة بين العمال بخصوص الأهداف التي من واجبهم ملاحقتها والشروط الوحيدة التي يمكنهم في ظلها إنجاز أهدافهم ...

## ١٩٣

# انجلز الى أ . بيبل

**لندن ، في ٦ حزيران ١٨٨٤**

... لن يكون في مقدورنا أبداً أن نحرر الجماهير من الأحزاب الليبرالية ما لم تعط هذه الأحزاب الفرصة لتشويه سمعتها في الممارسة ، للامساك بزمام الدولة وبيان أنها لا تستطيع شيئاً . وكما كان الأمر عام ١٨٤٨ فاننا لا نبرح الآن معارضة المستقبل ويجب بالتالي أن ندفع بأكثر الأحزاب الراهنة تطرفاً الى الدفة قبل أن نستطيع أن نصبح معارضة حالية بالمقارنة معها . ان الركودة السياسية ، يعني الصراع الذي لا هدف له ولا غاية بين الأحزاب الرسمية ، كما هي الحال الآن ، لا يمكن أن تخدمنا طويلاً . لكن صراعاً تقدمياً لهذه الأحزاب مع الانتقال المتدرج لمركز الثقل نحو اليسار يمكن أن يخدمنا . وهذا ما يجري في الوقت الراهن في فرنسا حيث يدور النضال السياسي كما هي الحال دائماً في الشكل الكلاسيكي . إن الحكومات المتعاقبة تتحرك أكثر فأكثر نحو اليسار وحكومة لكليمنصو هي في مجال النظر منذ الآن . ولن تكون الحكومة البورجوازية الأشد تطرفاً . ومع كل تحرك الى اليسار تتوفر التنازلات للعمال (مثلاً الاضراب الأخير في دينان حيث للمرة الأولى لم يتدخل العسكريون) . والأهم من ذلك أن الميدان ينظف بمزيد من القوة من أجل المعركة الحاسمة ويتضح موقف الأحزاب أكثر فأكثر ويصبح أكثر دقة . واني لأعتبر أن هذا التطور البطيء لكن الذي لا يقاوم والذي تمر به الجمهورية الفرنسية في اتجاه نتيجته الضرورية الأخيرة ـ التضاد بين البورجوازيين الراديكاليين والاشتراكيين المزيفين والعمال الثوريين فعلياً ـ هو أحد الأحداث الأهم وآمل ألا يقاطع ؛ وأني لسعيد لأن قومنا ليسوا على قدر كاف من القوة بعد في باريس (لكنهم الأقوى في الأقاليم) كي يُضللوا للقيام بحركات انقلابية بمعونة العبارات الثورية .

ومن الطبيعي أن التطورات في ألمانيا المضطربة بعيدة عن سلوك الخطوط النقية كلاسيكياً التي ظهرت للعيان في فرنسا . إننا متخلفون جداً من أجل ذلك ولا نختبر الأشياء جميعاً الا بعد أن تكون قد أضحت باطلة في الأماكن الأخرى . لكنه بالرغم

من الطبيعة البغيضة لأحزابنا الرسمية فان الحياة السياسية من أي نوع كانت أكثر ملاءمة حتى درجة كبيرة لنا من الأنعدام الحالي القاتل لكل حياة سياسية دونما أحداث تجري باستثناء المكائد في ميدان السياسة الخارجية ...

## ١٩٤

## إنجلز الى اوجيني بابريتز

**[لندن ،] في ٢٦ حزيران ١٨٨٤**

سيدتي العزيزة

ان الصحيفة الليتوغرافية[١] التي كتبت الي بشأنها معروفة لدي مسبقاً بشهرتها بالرغم من أنه لم تتح لي مطلقاً فرصة مشاهدة أية نسخة منها[٢] .

ألست تظلمين مواطنيك حتى درجة ما ؟ ليس لدينا سبب ، ماركس وأنا ، للشكوى منهم . فاذا كانت بعض المدارس قد اشتهرت بحميتها الثورية أكثر مما اشتهرت بدراستها العلمية ، واذا كان ثمة فيما مضى ولا يزال تلمس هنا وهناك ، فان فكراً نقدياً قد برز بوضوح هناك من جهة أخرى فضلاً عن اخلاص للبحث حتى في ميدان النظرية الخالصة جدير بالأمة التي أنتجت دوبروليوبوف وتشيرنيشفسكي . ولست أتحدث عن الاشتراكيين الثوريين الناشطين فحسب ، بل كذلك عن المدرسة التاريخية والنقدية في الأدب الروسي ، وهي تتفوق بصورة غير محدودة على كل ما أنتج في هذا الخط في ألمانيا وفرنسا من قبل العلم التاريخي الرسمي . وان أفكارنا وعلم الاقتصاد السياسي الذي أعاد ماركس سبكه قد لقيت على الدوام حتى بين الثوريين الناشطين تفهماً شديداً . ومما لا ريب فيه أنك تعرفين أن العديد من مؤلفاتنا ترجمت مؤخراً ونشرت بالروسية وأن مؤلفات أخرى سوف تتلوها ، وبصورة خاصة **بؤس الفلسفة** لماركس . وان مؤلفه الأصغر ، **العمل المأجور ورأس المال** ، المكتوب قبل عام

---

(١) الليتوغرافيا هي الطباعة على الحجر .

(٢) يشير انجلز الى المجموعات الليتوغرافية **المعرفة الاشتراكية** التي نشرتها في عام ١٨٤٨ جمعية المترجمين والناشرين في موسكو ، وهي جمعية سرية . وكانت المجموعة الأولى تضم كتاب انجلز **الاشتراكية الطوباوية والاشتراكية العلمية** وفصولا مختلفة من **شرط الطبقة العاملة في انكلترا** .

١٨٤٨ ، ينتسب كذلك الى هذه السلسلة وقد نشر تحت هذا العنوان .

واني لأعتز جداً باعتقادك بأنه من المفيد ترجمة كتابي **موجز ، الخ** .(١).وبالرغم من أني لا أبرح فخوراً حتى درجة ما بمؤلفي الأول هذا في العلوم الاجتماعية فاني أعرف جيداً أنه بات عتيقاً تماماً في الوقت الحاضر ، وهو لا يغص بالأخطاء فحسب ، بل بالغلطات المضحكة أيضاً . وأني لأخشى أن يؤدي الى سوء فهم أكثر مما يحسن صنعاً .

أرسل اليك بالبريد نسخة من **ثورة دوهرنغ في العلم ، الخ** .

وأما مقالاتنا الصحفية القديمة فلسوف يكون من العسير العثور عليها بعد هذا الزمن الطويل . وان معظمها مجرد عن الأهمية في الوقت الحاضر . وحين يتاح لي فراغ كاف بعد نشر المخطوطات التي تركها ماركس فاني أنوي اصدارها في شكل مجموعة مع هوامش ايضاحية ، الخ . لكن هذه مسألة تخص المستقبل .

لم أفهم جيداً عن أي **بيان** الى العمال الانكليز تتحدثين . أتراه **الحرب الأهلية في فرنسا** ، وهي بيان الأممية عن كومونة باريس ؟ اني أستطيع أن أرسل هذا الشيء اليك .

اذا سمحت لي همتي بذلك فسوف أسألك الأذن بزيارتك . فبالرغم من أنني أجدني في حالة مقبولة **في البيت** ، فمن سوء الحظ أنه محظور علي السير في المدينة . وإذا شئت أن تشرفيني بزيارة فسوف تجدينني على الدوام تحت تصرفك حوالي السابعة أو الثامنة مساء .

تقبلي يا سيدتي تقديري الأعلى .

**ف . إنجلز**

## ١٩٥

## إنجلز إلى ك . كاوتسكي

**لندن ، في ٢٦ حزيران ١٨٨٤**

عزيزي كاوتسكي

---

(١) موجز نقد الاقتصاد السياسي .

ان الكراسة ضد رودبرتوس[1] **تعود** غداً بالبريد **المضمون** . وجدت ملاحظات قليلة أقدمها ؛ دونت على عجل بعض التعليقات بقلم الرصاص . وبالاضافة الى ذلك ما يلي :

أ ـ كان القانون الروماني القانون الكامل **للانتاج السلعي البسيط** ، يعني قبل الرأسمالي ، الذي كان يتضمن على أي حال معظم العلاقات القانونية للمرحلة الرأسمالية . وبالتالي بالضبط ما كان **يحتاجه** أصحابنا من سكان المدن في زمن صعودهم **ولم** يجدوه في قانون الجمارك المحلي .

ولدي عدد من الاعتراضات على الصفحة ١٠ .

١ ـ ليست فضل القيمة الا الاستثناء في الانتاج العبودي والرقي . وكان من الواجب أن يقال **فضل الانتاج** ، ومعظمه يستهلك بصورة مباشرة ولا **يخلق فضل قيمة** .

٢ ـ ليس تفسير وسائل الانتاج بالضبط **كما هو معطى** . ان المنتج ، وبالتالي وسائل الانتاج أيضاً حتى درجة ما ، على الأقل في بعض الحالات ، يسيطر على المنتجين في جميع المجتمعات القائمة على أساس تقسيم للعمل نشأ بصورة طبيعية : ففي العصور الوسيطة سيطرت الأرض على الفلاح الذي لم يكن سوى ملحق للأرض ، وسيطرت الأداة اليدوية على الحرفي . وان تقسيم العمل هو بصورة مباشرة سيطرة أداة العمل على العامل ، حتى أن لم يكن ذلك بالمعنى الرأسمالي .

وان ثمة شيئاً مماثلاً في خاتمة تفسيرك لوسائل الانتاج .

١ ـ يجب ألا تفصل **الزراعة** ، وكذلك **التقنية** ، عن الاقتصاد السياسي كما هو الأمر في الصفحتين ٢١ و٢٢ . ان المناوبة في المحاصيل ، والسماد الصناعي ، والآلة البخارية ، والنول الآلي ، لا تنفصل عن الانتاج الرأسمالي بالضبط كما لا تنفصل أدوات المتوحش أو الهمجي عن **إنتاجه** . ان أدوات المتوحش تحدد **مجتمعه** بقدر ما تحدد الأدوات الأحدث المجتمع الرأسمالي . وترتد نظرتك الى ما يلي : أنه من

---

(١) المقصود مقالة كتبها كاوتسكي ضد كتاب رودبرتوس رأس المال (**الحياة الجديدة** ، ١٨٨٤ .)

الصحيح أن الانتاج يحدد **حالياً** المؤسسات الاجتماعية ، لكنه لم يكن يفعل ذلك قبل المجتمع الرأسمالي لأن الأدوات لم تكن قد اقترفت الخطيئة الأصلية بعد .

وحالما تتحدث عن وسائل الانتاج تتحدث عن المجتمع ، وبصورة أخص المجتمع **المحدد** بوسائل الانتاج هذه . ان وسائل الانتاج **في ذاتها** ، خارجاً عن المجتمع ، دون تأثير فيه ، هي غير موجودة سواء بسواء مع الرأسمال **في ذاته** .

ولكن كيف انتهت وسائل الانتاج ، التي لم تمارس في العصور السابقة ، بما في ذلك الانتاج السلعي البسيط ، الا سيطرة هزيلة جداً بالمقارنة مع الوقت الحاضر ، الى ممارسة السيطرة الاستبدادية الحالية ، هذا أمر لا بدّ من البرهان عليه بعد ، ويبدو لي برهانك ناقصاً لأنه لا يأتي على ذكر القطب الواحد : تكون طبقة لم يعد في حوزتها أية وسائل انتاج ، وبالتالي أية وسائط معيشية ، وبالتالي لا بدّ لها أن تبيع نفسها بالمفرق .

ولا بدّ ، بخصوص مقترحات رودبرتوس الايجابية ، من التشديد على برودونيته ـ كما تعلم ، فقد نادى بنفسه برودون الأول نظراً لأنه ، حسب ادعائه ، استبق برودون الفرنسي . ولا بدّ من البرهان على القيمة المكونة التي اكتشفها رودبرتوس منذ عام ١٨٤٢ . وتشكل هذه المقترحات خطوة الى الوراء يؤسى لها بالمقارنة مع اقتراحات بري ومصرف المبادلة ولبرودون . فعلى العامل أن يحصل على ١/٤ المنتج فقط ، لكن هذا مؤكد ! ويمكننا أن نتحدث عن هذا الأمر في وقت لاحق .

ان الراحة (البدنية) تعود علي بفائدة عميمة . فأنا أشعر بالتحسن يوميا ، وسوف أشفى كلياً هذه المرة . وان إملاء **رأس المال** ، الكتاب الثاني ، يتقدم بصورة ممتازة . لقد بلغنا حتى الآن القسم الثاني ، لكن ثمة فجوات كبيرة عديدة ههنا . ومن الطبيعي أن نشره مؤقت فحسب ، لكن دوره آتٍ أيضاً . اني أستطيع أن أرى طريقي قدماً ، وهذا هو الشيء الضروري الوحيد .

تسلمت . رسالة إيد(١) . شكراً . لكنه لا بدّ لكم ياقوم من الصبر والاعتياد على طريقتي في المراسلة . لايجوز أن أفقد همتي مرة أخرى ، وهناك كومة رهيبة من المواد

---

(١) إدوار برنشتاين .

تتكدس ـ عمل ومراسلة على حد سواء .

ان **العمل المأجور والرأسمال** سيتبع حالما تتم مراجعته ؛ ربما غداً .

المخلص

**ف . إ .**

## ١٩٦

## انجلز الى ك . كاوتسكي

**لندن ، في ٢٠ أيلول ١٨٨٤**

عزيزي كاوتسكي

لنعد الى المخطوطات المسجلة .

كانت مقالتك عن رودبرتوس جيدة جداً بقدر ما يتعلق الأمر بالاقتصاد . وان ما أعترض عليه من جديد هو التأكيدات القاطعة في ميادين لا تشعر بالثقة فيها وحيث كشفت عن نقاط الضعف عندك أمام شرام الذي كان على قدر كافٍ من البراعة بحيث ركز عليها .

وان هذا ليتناول بصورة خاصة «التجريد» الذي لا ريب أنك عجنته كثيراً جداً على العموم . وان الفارق في هذه الحال هو كما يلي :

يلخص ماركس المضمون المشترك الكامن في الأشياء والعلاقات ويرده الى تعبيره المنطقي العام . وبالتالي فان تجريده لا يفعل الا أن يعكس ، في شكل الفكر ، المضمون الكامن مسبقاً في الأشياء .

وعلى النقيض من ذلك فان رودبرتوس ينشىء لنفسه تعبيراً منطقياً ناقصاً أكثر أو أقل ويقيس الأشياء بهذا المفهوم الذي لا بدّ لها أن تتخذه من حيث هو خطها المرشد . انه يبحث عن مضمون حقيقي ، **أزلي** ، للأشياء والعلاقات الاجتماعية التي مضمونها انتقالي أساساً على أي حال . ومن هنا كان الرأسمال **الحقيقي** . ليس هذا بالرأسمال **الحالي** الذي لا يعدو كونه تحقيقاً ناقصاً للمفهوم . وبدلاً من أن يستخرج مفهوم الرأسمال من الرأسمال الحالي ، الرأسمال الوحيد الموجود فعلياً ، يلتجىء الى الانسان المنعزل كيما يصل من الرأسمال الحالي الى الرأسمال الحقيقي ويسأل ما الذي

يمكن أن يقوم بوظيفة الرأسمال في العملية الانتاجية لمثل هذا الانسان . ذلك بالطبع وسائل الانتاج البسيطة . ولذا فان الرأسمال الحقيقي يكوم دوئما اعتبار جنباً الى جنب مع وسائل الانتاج التي يمكن أن تكون أو لا تكون الرأسمال وفقاً للظروف . وبالتالي فان جميع خصائص الرأسمال السيئة ، يعني **الفعلية** ، تحذف من الرأسمال . وانه ليستطيع من بعد أن يطالب بأن يتخذ الرأسمال الفعلي هذا المفهوم مرشداً له ، يعني يجب أن يعمل من حيث هو وسائل انتاج مجردة ، يجب أن يرفض كل الأشياء التي تجعل منه رأسمالاً ويظل مع ذلك رأسمالاً ، بل يصبح رأسمالاً حقيقياً لهذا السبب بالضبط ...

## ١٩٧

## انجلز الى أ . بيبل

**لندن ، في ١١ كانون الأول ١٨٨٤**

...ميزتنا الكبرى هي أن الثورة الصناعية في أوجها عندنا ، بينما هي قد استنفذت بصورة رئيسية في فرنسا وانكلترا . فههنا تحقق الانقسام الى المدينة والريف ، الى مناطق صناعية ومناطق زراعية ، حتى درجة بعيدة بحيث لايتغير الا ببطء . ان الكتلة العظمى من الناس ينشأون في الشروط التي لا بدّ لهم أن يحيوا فيها في وقت لاحق وقد اعتادوا عليها ؛ وحتى التذبذبات والأزمات باتت شيئاً يأخذونه عملياً على أنه أمر مفروغ منه . وتضاف الى ذلك ذكرى المحاولات الفاشلة للحركات السابقة . أما عندنا ، من جهة أخرى، فان الأمور جميعاً آخذة مجراها . ان بقايا الانتاج الصناعي الفلاحي القديم الذي يراد منه تلبية حاجات المنتج الشخصية يستعاض عنه بالصناعة المنزلية الرأسمالية ، فيما هذه الصناعة المنزلية الرأسمالية تستسلم منذ الآن ، في أماكن أخرى ، للانتاج الآلي . وان طبيعة صناعتنا بالذات ، التي تعرج متخلفة في آخر الذيل ، تجعل الانتفاضة الاجتماعية أساسية أكثر فأكثر . ولما كانت سلع الانتاج الكتلي ، سواء منها الخاصة بالاستهلاك الجماهيري أو الخاصة بالترف ، قد احتكرت سلفاً من قبل الانكليز والفرنسيين ، فان ما يتبقى لصناعتنا التصديرية هو بصورة رئيسية بضائع صغيرة تبلغ هي الأخرى على أي حال كميات عملاقة ،

وهي تنتج بادىء الأمر من قبل الصناعة المنزلية ، وفي وقت لاحق فقط من قبل الآلات ، وذلك حين يأخذ هذا الخط في الانتاج في العمل هو الآخر على نطاق كتلي . وبهذه الطريقة تدخل الصناعة المنزلية (الرأسمالية) الى مناطق أوسع حتى درجة كبيرة وتمهد الطريق بصورة أشمل أكثر فأكثر . واذااستثنيت بروسيا الواقعة شرقي الإلبِ ، يعني بروسيا الشرقية وبوميرانيا وبوزن والقسم الأكبر من براندنبورغ ، وفضلاً عن ذلك بافاريا القديمة ، فهناك مناطق قليلة لم يجرف الفلاح فيها بصورة متعاظمة في تيار الصناعة المنزلية . وهكذا فان المنطقة المثورة صناعياً تصبح عندنا أوسع من أي مكان آخر .

ولنتابع . نظراً لأن العامل في الصناعة المنزلية يقوم في الأغلب بنصيبه الصغير من الزراعة فانه يصبح في الامكان انقاص الأجور بطريقة لا نظير لها في أي مكان آخر . ان ما كان يشكل فيما مضى سعادة الانسان الصغير ، الجمع بين الزراعة والصناعة ، يصبح الآن الوسيلة الأعتى من أجل الاستثمار الرأسمالي . ان رقعة البطاطس ، والبقرة ، والنصيب الضئيل من الزراعة ، تتيح بيع قوة العمل دون سعرها ؛ انهاتتطلب ذلك بالضرورة اذ تربط العامل الى قطعته من الأرض التي لا تدعمه مع ذلك الا بصورة جزئية . وهكذا فان ما يتيح امكانية وضع صناعتنا على أساس تصديري هو حقيقة أن الشاري يمثل عادة مع فضل القيمة بأكملها ، في حين أن الربح الرأسمالي يتشكل من طرح قسم من الأجرة العادية . وتلك هي الحالة أكثر أو أقل مع كل صناعة منزلية ريفية ، لكنها ليست في أي مكان كما هي عندنا .

ويضاف الى ذلك أن ثورتنا الصناعية التي انطلقت بفعل ثورة ١٨٤٨ بتقدمها البورجوازي (بالرغم من ضعفه) قد تسارعت حتى درجة كبيرة أ ـ بفعل التخلص من العوائق الداخلية في ١٨٦٦ حتى ١٨٧٠ ، و٢ً ـ بفعل المليارات الفرنسية(١) التي كان لا بدّ على أي حال من توظيفها رأسمالياً . وهكذا حققنا ثورة صناعية هي أعمق وأكمل ومكانياً أوسع وأشمل من ثورات البلدان الأخرى ، وهذا ببروليتاريا جديدة

(١) المقصود المليارات الخمسة من الفرنكات التي ابتزتها ألمانيا من فرنسا كتعويض حسب نصوص اتفاقية فرانكفورت المعقودة في ١٠ أيار ١٨٧١ .

وسليمة كلياً ، لم تحطم الهزائم معنوياتها ، وأخيراً ـ بفضل ماركس ـ بنظرة نافذة الى أسباب التطور الاقتصادي والسياسي والى شروط الثورة الوشيكة لم يحصل عليها أي من السابقين لنا . ولكنه **من واجبنا** ، لهذا السبب بالضبط ، ان ننتصر .

وأما بشأن الديموقراطية الخالصة ودورها في المستقبل فلست أشاطرك الرأي . فمن الواضح أنها تلعب دوراً هو أكثر ثانوية في ألمانيا حتى درجة كبيرة منه في البلدان الأخرى ذات النمو الاقتصادي الأقدم . بيد أن هذا لا ينفي إمكانية اكتسابها ، عند مجيء الثورة ، أهمية مؤقتة من حيث هي الحزب **البورجوازي** المتطرف ، كذلك الدور الذي لعبته من قبل في فرانكفورت ، ومن حيث هي الملاذ الأخير للاقتصاد البورجوازي بأسره ، وحتى الاقتصاد الاقطاعي . ان الكتلة الرجعية بأكملها سوف تدعمها وتقويها في مثل هذه اللحظة ؛ فكل من اعتاد أن يكون رجعياً سوف يتصرف اذن وكأنه ديموقراطي . وهكذا فان الكتلة الاقطاعية البيروقراطية بكاملها ، بين آذار وأيلول ۱۸٤۸ ، قد عضدت الليبراليين بغرض كبح الجماهير الثورية ، وحين تم انجاز ذلك بغرض طرد الليبراليين كذلك بطبيعة الحال . هكذا في فرنسا ، من أيار ۱۸٤۸ حتى انتخاب بونابرت في كانون الأول ـ كان الحزب الجمهوري الخالص **للوطني** ، أضعف الأحزاب جميعاً ، في السلطة ، وذلك فقط لأن الرجعية الجماعية بكاملها قد نظمت خلفه . ولقد حدث هذا الأمر في جميع الثورات : إن الحزب الأشد وداعة القادر بعد بطريقة ما على الحكم ينضم الى الأحزاب التي في السلطة بالضبط لأن المهزومين يجدون فيه فرصتهم الأخيرة في الخلاص . ولا يمكن أن نتوقع الآن أن نحصل في فترة الأزمة على أغلبية الناخبين وبالتالي أغلبية الأمة خلفنا . ان الطبقة البورجوازية بكاملها وبقايا الطبقة الاقطاعية المالكة ، وفئة عريضة من البورجوازية الصغيرة ومن السكان الريفيين أيضاً ، سوف يلتفون اذن حول الحزب البورجوازي المتطرف الذي سوف يقوم اذن بالبوادر الثورية الأشد تطرفاً ، وأرى أنه يمكن حتى درجة كبيرة أن يمثل في الحكومة المؤقتة ، بل يشكل بصورة مؤقتة غالبيتها . وأما كيف أن المرء ، من حيث هو أقلية ، **لا يجوز** أن يتصرف في هذه الحال ، فهذا ما بينته الأقلية الاشتراكية الديموقراطية في حكومة باريس في شباط ۱۸٤۸ . ومهما يكن من شيء ، فلا زالت تلك مسألة أكاديمية في الوقت الراهن .

وبعد ، فان الأمور قد تسلك مجرى آخر بالطبع في ألمانيا ، وذلك لأسباب عسكرية . وكما هي الأحوال في الوقت الحاضر ، فان دفعة من الخارج لا يمكن على وجه التقريب ان تأتي من أي مكان آخر سوى روسيا . واذا لم تجر الأمور كذلك ، اذا أعطيت الدفعة داخل ألمانيا ، فان الثورة اذن لا يمكن أن تبدأ إلا من الجيش . ان أمة غير مسلحة ضد جيش حديث هي من وجهة النظر العسكرية كمية لاغية . وفي هذه الحال ـ اذا تحركت احتياطاتنا التي تتراوح أعمارها بين العشرين والخامسة والعشرين والتي لا يحق لها الاقتراع لكنها مدربة ـ فان الديموقراطية الخالصة يمكن حذفها . بيد أن هذه المسألة لاتبرح هي الأخرى أكاديمية في الوقت الحاضر ، وان كنت مضطراً شخصياً ، بصفتي ممثلاً اذا جاز التعبير لقيادة الحزب العامة ، لأخذها بعين الاعتبار . وعلى أي حال ، فان خصمنا الأوحد في يوم الأزمة وفي غداة الأزمة سوف يكون **الرجعية بكاملها التي سوف تتجمع حول الديموقراطية الخالصة** ، وهو ما أعتقد أنه من الواجب ألا يغيب عن أنظارنا ...

# ١٨٨٥

## ١٩٨

## انجلز الى ف . إ . زاسوليتش

**[لندن ،] في ٢٣ نيسان ١٨٨٥**

أيتها المواطنة العزيزة .

لا أزال أدين لك بجواب عن رسالتك المؤرخة في الرابع عشر من شباط . ان التأخير ،ومن المؤكد أنه يجب ألا يعزى الى الكسل من جانبي ، قد كان مرده الى الظروف التالية :

سألتني رأيي عن كتاب بليخانوف **خلافاتنا** . ولا بدّ للمرء أن يقرأه كي يفعل ذلك ، وفي مقدوري أن أقرأ الروسية بسهولة لا بأس بها حين انصرف اليها لفترة اسبوع . بيد أن هناك فصولاً كاملة يكون ذلك مستحيلاً علي ، وعندئذ أفقد الممارسة واضطر الى تعلمها من جديد اذا جاز التعبير . وهذا ما حدث لي في حالة **خلافاتنا** .

إن **مخطوطات** ماركس التي أمليها على سكرتير تشغلني طوال اليوم ؛ وفي المساء يأتي زائرون لا يستطيع المرء أن يطردهم على أي حال ؛ وهناك بروفات لا بدّ من قراءتها وقدر كبير من المراسلات لا بدّ من معالجتها ، وأخيراً هناك ترجمات كتابي **أصل ، الخ** (الى الايطالية ، والدانمركية ، الخ .) ، التي يطلب مني مراجعتها ، وليست مراجعتها في بعض الأحيان بالأمر النافل ولا بالأمر اليسير . واذن ، فان جميع هذه المقاطعات منعتني من المضي الى أبعد من الصفحة ٦٠ من **خلافاتنا** . ولو أني حصلت على ثلاثة أيام تكون لي فان الكتاب سينتهي اذن ، كما أني سأكون قد جددت معرفتي بالروسية في الوقت نفسه .

وفي هذه الأثناء ، فان القسم الصغير الذي قرأته من الكتاب يكفي فيما أعتقد لتعريفي أكثر أو أقل بالخلافات موضع البحث .

وقبل كل شيء أكرر لك أني فخور بمعرفتي بأن ثمة حزباً في صفوف الشبيبة في روسيا يقبل صراحة وبدون مواربة بنظريات ماركس الاقتصادية والتاريخية الكبيرة وقد قطع علاقاته بصورة حاسمة بجميع التقاليد الفوضوية وسلافية النزعة أكثر أو أقل لأسلافه . ولقد كان ماركس نفسه يعتز بذلك بنفس القدر لو عاش فترة أطول . ذلك تقدم سوف تكون له أهمية عظيمة من أجل تطور روسيا الثوري . فعندي أن نظرية ماركس التاريخية هي الشرط الأساسي لكل تكتيك ثوري رشيد وحازم ؛ وانه ليكفي المرء في سبيل اكتشاف هذا التكتيك أن يطبق النظرية على الشروط الاقتصادية والسياسية للبلد المقصود .

لكنه لا بدّ للمرء في سبيل ذلك من معرفة هذه الشروط ، وبقدر ما يتعلق الأمر بي فاني اعرف القليل جداً عن الاوضاع الفعلية في روسيا كي أعد نفسي كفيلاً بالحكم بصورة مفصلة على التكتيك اللازم هناك في فترة معينة . وفضلاً عن ذلك فان التاريخ الداخلي والصميمي للحزب الثوري الروسي ، وعلى الأخص للسنوات القليلة الأخيرة ، مجهول كلياً مني على وجه التقريب . ان أصدقائي من بين narodovolsty لم يحدثوني عنه أبداً . ومع ذلك فهذا عنصر لا غنى عنه من أجل تكوين رأي المرء .

ان ما أعرفه أو أعتقد أني أعرفه عن الوضع في روسيا يحملني على التفكير بأن الروس يقتربون من عام ١٧٨٩ الخاص بهم . **فلا بدّ** أن تندلع الثورة هناك خلال فترة محدودة من الزمن : **قد** تندلع في أي يوم . وفي هذه الظروف تكون البلاد أشبه بلغم مشحون لا يتطلب الا شرارة تطبق عليه . وهذا بصورة خاصة منذ ١٣ آذار(١) . تلك احدى الحالات الاستثنائية حيث يمكن لحفنة من الرجال أن **يصنعوا** ثورة ، يعني بدفعة صغيرة واحدة تؤدي بنظام كامل هو (كي نستخدم استعارة بليخانوف) في توازن مضطرب أكثر أو أقل ، الى الانهيار ، وذلك بواسطة عمل غير ذي بال بحد ذاته كي يطلق قوى متفجرة تصبح في وقت لاحق غير قابلة للتحكم بها . وهكذا فاذا كان للبلانكية ـ الفكرة الخيالية عن قلب مجتمع كامل بعمل مؤامرة صغيرة ـ سبب للوجود قط ، فمن المؤكد أن ذلك هو الوضع في بطرسبورغ في الوقت الحاضر . واذا ما طبقت

(١) يشير انجلز الى مصرع ألكسندر الثاني الذي وقع في (١٣) آذار.

الشرارة على البارود ، واذا ما أطلق عقال القوى وحولت الطاقة الوطنية من الكمون الى الحركية (وهي صورة مفضلة أخرى عند بيلخانوف وصورة ممتازة) ـ فان الناس الذين وضعوا الشرارة في اللغم سوف يكنسهم الانفجار الذي سوف يكون أقوى منهم ألف مرة والذي سوف يبحث عن متنفسه حيث يستطيع ، كما تقرر ذلك القوى والمقاومات الاقتصادية .

ولنفترض أن هؤلاء الناس يتوهمون أن في مستطاعهم الاستيلاء على السلطة ، فما أهمية ذلك ؟ فإذا هم صنعوا الفجوة التي سوف تمزق السد ، فان الفيضان نفسه سوف يجردهم عاجلاً من أوهامهم . لكن اذا شاءت المصادفات أن تؤول هذه الاوهام الى منحهم قوة ارادة متفوقة ، فلماذا الشكوى من ذلك ؟ ان الناس الذين يتباهون بأنهم **صنعوا** ثورة يرون دائماً في الغداة أنهم لا يملكون أدنى فكرة عما يصنعون ، وأن الثورة **المصنوعة** لا تشبه مطلقاً الثورة التي كانوا يودون صنعها . وهذا هو ما يسميه هيغل سخرية التاريخ ، وهي سخرية لا يفلت منها الا القليل من الشخصيات التاريخية . انظري الى بسمارك ، الثوري رغماً عنه ، وغلادستون الذي انتهى الى النزاع مع قيصره المعبود .

ان الشيء الهام بالنسبة الي هو أن الدفعة في روسيا يجب أن تعطى ، أن الثورة يجب أن تندلع . أما أن هذه العصبة أو تلك قد أعطت الاشارة ، وأما أنها حدثت تحت هذه الراية أو تلك ، فهذا ما لا يملك الا أهمية ضئيلة عندي . فاذا كانت مؤامرة قصر فسوف تكنس غداً . فهناك حيث الوضع بالغ التوتر ، وحيث العناصر الثورية تراكمت حتى درجة عالية ، وحيث الشروط الاقتصادية للكتلة الهائلة من الشعب تصبح أشد استحالة يوماً بعد يوم ، وحيث كل مرحلة من التطور الاجتماعية ممثلة ، من الكومونة البدائية حتى الصناعة الكبيرة الحديثة والرأسمال الكبير ، وحيث جميع هذه التناقضات ملجمة بطغيان لا مثيل له ، طغيان يصبح بغيضاً أكثر فأكثر في أنظار شبيبة يتحد فيها كرامة الأمة وذكاؤها ـ هناك ، حيث تندلع ١٧٨٩ مرة ، فان ١٧٩٣ لن تتوانى كثيراً عن اللحاق بها .

سوف أودعك الآن ، أيتها المواطنة العزيزة . ان الساعة الثانية والنصف بعد منتصف الليل ، ولن يكون لدي غداً وقت لأضيف أي شيء كان قبل أن يغلق

البريد أبوابه . اذا كنت تفضلين ذلك ، فاكتبي الي بالروسية ، لكن لا تنسي من فضلك أن الخط الروسي شيء لا يتاح لي أن أقرأه كل يوم .

المخلص لك كلياً

**ف . إنجلز**

## ١٩٩

## انجلز الى جيرترود غليوم ـ شاك

[لندن ، **حوالي ٥ تموز ١٨٨٥**]

أيتها السيدة المحترمة

رداً على استفسارك لا أستطيع سوى أن أخبرك بأني لا أملك الحق في إعطاء المعلومات المعينة آخر الأمر للنشر عن مساهمة ماركس ومساهمتي السرية في بعض المؤلفات السياسية . وكذلك لا أستطيع أن أتحمل أية مسؤولية ، لا باسم ماركس ولا باسمي شخصياً ، من أجل برنامج فرنسي عام ما كان يمكن على الأكثر ، من جراء طبيعة الأمور بالذات ، أن نسأل أكثر من نصيحتنا بشأنه . ومهما يكن من أمر ، ففي أمكاني أن أخبرك سراً أن مقدمة برنامج حزب العمال من اتجاه روان[١] صادرة عن ماركس في الأصل .

ان الفرنسيين أقل اصراراً من الألمان بخصوص تحديد العمل النسائي لأن العمل الذي تؤديه النساء في المعامل في فرنسا ، وبصورة خاصة في باريس ، لا يلعب إلا دوراً صغيراً نسبياً . وبقدر معرفتي فان الاشتراكيين جميعاً يطالبون بأجور متساوية لقاء العمل المتساوي لأي من الجنسين ، وذلك حتى إلغائها عامة . أما أن المرأة العاملة تتطلب حماية خاصة ضد الاستغلال الرأسمالي بفعل وظائفها الفيزيولوجية الخاصة ، فهذا ما أراه مفروغاً منه . وان النساء الأنكليزيات اللائي طالبن بالحق الصوري لأعضاء جنسهن بحيث يتحن استثمارهن من قبل الرأسماليين بصورة كاملة كما هي حال الرجال هن في الأغلب ، بصورة مباشرة أو غير مباشرة ، معنيات

---

(١) يكتب انجلز حزب العمال من اتجاه روان ويقصد ذلك القسم من حزب العمال الفرنسي الذي انفصل ، بقيادة غيسد ولافارغ ، عن الامكانيين عام ١٨٨٢ ودعا الى مؤتمره الخاص في روان .

بالاستغلال الرأسمالي لكلا الجنسين . واني لأعترف بأني أعظم اهتماماً بصحة الأجيال المقبلة مني بالمساواة الصورية المطلقة للجنسين خلال السنوات الأخيرة من النمط الرأسمالي في الانتاج . وقناعتي أن المساواة الحقيقية للنساء والرجال لا يمكن أن تصبح حقيقية الا حين يلغى استثمار أي من الجنسين من قبل الرأسمال ويحول العمل المنزلي الخاص الى فرع من الانتاج الاجتماعي ...

## ٢٠٠

## انجلز الى أ . بيبل

### لندن ، في ٢٨ تشرين الأول ١٨٨٥

... ان الانحطاط المزمن في سائر الفروع الصناعية الحاسمة لا يبرح مستمراً دون انقطاع أيضاً هنا كما في فرنسا وأميركا . على الأخص في الحديد والقطن . هذا وضع لم يسبق له مثيل ، وان يكن بأكمله النتيجة المحتومة للنظام الرأسمالي : فرط انتاج هائل حتى أنه لا يستطيع أن ينحل في الأزمة ! ان الزيادة في الرأسمال المتوفر الباحث عن توظيف كبيرة جداً حتى أن معدل الحسم هنا يتراوح حالياً بين ١ و ١١/٢ بالمائة سنوياً ، ومن أجل المال الموظف في اعتمادات قصيرة الأجل ، الذي يمكن دفعه بكامله أو استرداده في أي حين (المال تحت الطلب) ، فان المرء لا يستطيع الا بكل صعوبة أن يحصل على ١/٢ بالمائة سنوياً . بيد أن الرأسمالي المالي ، حين يختار أن يوظف ماله بهذه الطريقة بالأحرى من المشروعات الصناعية الجديدة ، فانه يعترف بأن العملية كلها تبدو في أنظاره متعفنة حتى درجة كبيرة . وان هذا الخوف من الاستثمارات الجديدة والمضاربة القديمة ، الذي تظاهر من قبل في أزمة عام ١٨٦٧ ، هو السبب الرئيسي في أن الأمور لم تبلغ الأزمة الحادة . لكنه لا بدّ أن تأتي أخيراً على أي حال ، وعندئذ فلنأمل في أن تضع حداً للنقابات القديمة هنا . ان هذه الاتحادات حافظت في لا مبالاة على الطابع الحرفي الذي التصق بها منذ البداية والذي يصبح غير قابل للاحتمال أكثر فأكثر كل يوم . ومما لا ريب فيه أنك تفترض أن المهندسين ، والنجارين ، والبناة ، الخ ، يقبلون أي عامل في حرفتهم دونما ضوضاء ؟ أبداً . فكل من يريد الانضمام لا بدّ أن يلتحق أولاً على اعتباره متمهناً لمرحلة تمتد سنوات (سبع

سنوات عادة) باحد العمال المنتسبين الى الاتحاد . ولقد كانت الغاية من ذلك الابقاء على عدد العمال محدوداً ، لكنه لم يكن لها أي غرض باستثناء أنها درت ربحاً على معلم المتمهن الذي لم يفعل له بالمقابل أي شيء على الاطلاق حقاً وفعلاً . وكان هذا مقبولاً حتى عام ١٨٤٨ . لكن النمو العملاق في الصناعة منذ ذلك الحين انتج طبقة من العمال عددهم يضاهي عدد العمال «الحاذقين» في النقابات أو يزيد عنه وعملهم يضاهي في جودته عمل العمال «الحاذقين» أو يتفوق عليه ، لكنهم لا يستطيعون قط أن يصبحوا أعضاء . ان هؤلاء الناس قد رُبّوا **فعلياً** على انظمة الحرفة الخاصة بالنقابات . لكن هل تفترض أن الاتحادات راودها الحلم قط في التخلص من هذا الهراء السخيف ؟ أبداً على الاطلاق . لا استطيع أن أتذكر اني قرأت اقتراحاً واحداً من هذا النمط في مؤتمر للنقابات . ان هؤلاء المجانين يريدون اصلاح المجتمع بحيث يلائمهم لكن من دون أن يصلحوا أنفسهم ليلائموا تطور المجتمع . انهم يتشبثون بوساوسهم التقليدية التي لا تعود عليهم الا بالضرر ، بدلاً من التخلص من الهراء ، وبذلك يضاعفون من أعدادهم ومن قوتهم ويصبحون من جديد ، فعلياً ، ما يتقهقرون عنه يومياً في الوقت الحاضر - رابطات لجميع العمال في حرفة ضد الرأسماليين . وأعتقد أن هذا سوف يوضح لك أشياء عديدة في سلوك هؤلاء العمال المميزين ...»

## ٢٠١

# انجلز الى ن . ف . دانييلسون

## لندن ، في ١٣ تشرين الثاني ١٨٨٥

سيدي العزيز

تلقيت رسالتيك المؤرختين ١٨/٦ و ٢١/٩ آب بينما كنت في جيرسي وأرسلت اليك في الحال الرسالة التي طلبتها من أجل **رسول الشمال** . ولقد منعني ضغط العمل منذ ذلك الحين عن الرد بمزيد من التفاصيل على هاتين الرسالتين وكذلك على الرسالة المؤرخة في ٢٥ آب/ ٥ أيلول .

لم يكن لدي ريب في أن الكتاب الثاني سوف يوفر لك مثل ما وفره لي من سرور .

وفي الحقيقة أن ما ينطوي عليه من الشروح هي من مرتبة عليا بحيث أن القارىء المبتذل لن يكلف نفسه عناء فهمها جيداً ومتابعتها حتى النهاية . وتلك هي الحال بالفعل في ألمانيا حيث انحدرت جميع العلوم التاريخية ، بما فيها الاقتصاد السياسي ، حتى درجة كبيرة بحيث لا يمكنها تقريباً أن تنحدر دون ذلك . ان Katheder-Sozialisten(1) عندنا لم يكونوا قط ، نظرياً ، أكثر من رجال اقتصاد مبتذلين من أصحاب النزعة الخيرية الخفيفة ، وهم انحدروا في الوقت الحاضر الى مستوى مجرد الدعاة لاشتراكية الدولة البسماركية . ولسوف يظل الكتاب الثاني بالنسبة اليهم كتاباً مغلقاً أبداً . تلك رائعة مما يسميه هيغل die Ironie der Weltgeschichte(2) ، أن يكون العلم التاريخي الألماني قد ارتد مرة أخرى ، من جراء ارتفاع ألمانيا الى مركز الدولة الأوروبية الأولى ، الى نفس الوضع الخبيث الذي رد اليه من جراء الانحطاط السياسي الفظيع لألمانيا في اعقاب حرب الثلاثين عاماً . لكن تلك هي الحقيقة . وهكذا فان «العلم» الألماني يحملق في هذا المجلد الجديد دون أن يكون في مقدوره فهمه ؛ ولا يمنعهم من نقده علناً الا خوف مطبق من العواقب ، وهكذا فان الأدب الاقتصادي الرسمي يلوذ بصمت حذر بشأنه . ومهما يكن من أمر ، فان الكتاب الثالث سوف يجبرهم على النطق .

وبخصوص هذا الكتاب الثالث أنجزت أول نسخة عن الأصل الى مخطوطة مقروءة . وان ثلاثة أرباعه قمينة على وجه التقريب بالنشر كما هي ، بيد أن الربع الأخير ، وربما الثلث ، سوف يتطلب مقداراً كبيراً من العمل : القسم الأول (علاقة Mehrwertsrate بـ Profitrate(3)) ومن بعد الأقسام التالية عن Kredit وكذللك عن Grundrente(4) جزئياً ، فضلاً عن بعض الأجزاء من سائر الأقسام الأخرى على وجه التقريب ، ولقد اضطررت خلال الشهرين الأخيرين الى الاهتمام بقدر كبير من الأعمال الأخرى التي أهملت من جراء اهتمامي المقصور على الكتابين الثاني

---

(1) الاشتراكيون المحترفون .

(2) سخرية التاريخ العالمي .

(3) معدل فضل القيمة الى معدل الربح .

(4) الريع العقاري .

والثالث . ولسوف يستمر هذا لبعض الوقت أيضاً ، ومن بعد ربما شغلتني مراجعة الترجمة الانكليزية للكتاب الأول ، التي أكتملت تقريباً ، طوال شهر ، لكنني سأباشر بعدئذ بالكتاب الثالث وأواصله حتى النهاية . ولعله يصدر في قسمين ، نظراً لأنه سيتضمن حوالي ألف صفحة .

أشكرك جزيل الشكر من أجل مقتطفاتك من رسائل المؤلف(١) من عام ١٨٧٩ حتى عام١٨٩١ . لم يكن في مقدوري قراءتها دون ابتسامة حزينة . واحسرتاه ، فقد اعتدنا جداً هذه الاعتذارات عن عدم إنهاء العمل ! فكلما جعلت حالته الصحية من المحال بالنسبة اليه الاستمرار فيه أثقلت هذه الاستحالة بوطأة على ذهنه بحيث يغتبط أيما اغتباط اذا استطاع فقط أن يجد بعض العذر النظري لعدم اكمال العمل وقتئذ . ولقد استخدم جميع هذه الحجج في ذلك الحين حيالي ، فقد كان يبدو أنها تخفف عن ضميره .

بعدما انهي الكتاب الثالث وأختار من المخطوطات الأخرى الأقسام الصالحة للنشر من المرجح أن أحاول أن أجمع من مراسلات المؤلف الأشياء الهامة علمياً ، ورسائله اليك تأتي في المرتبة الأولى في هذا المجال . وحين يحين الأوان ، فأني سأنتفع اذن من عرضك اللطيف بأن تضع تحت تصرفي نسخاً عن هذه الرسائل .

اني على الأغلب راغب في أن أشحن اليك كراسات ، الخ ـ وهي طبعات جديدة من كتابات المؤلف وكتاباتي الخاصة ، الخ ، لكنني لا أدري ما اذا كان إرسالها اليك مباشرة أمراً سليماً . سأكون شاكراً جداً اذا أخبرتني ما يجب عمله .

أرجو أن تكون صحة صديقنا المشترك(٢) في تحسن بالرغم من الإنذار السيء الذي وضعه اطباؤه . ان أية أخبار تتعلق به ستلقى الترحاب دائماً .

ان تلك الأزمة التي يتحدث المؤلف عنها في رسالته قد كانت أزمة استثنائية حقاً وفعلاً(٣) . والحقيقة هي أنها متواصلة ، وأوروبا وأميركا بأسرهما تعانيان من وطأتها حتى هذا اليوم . وان غياب الانهيار المالي أحد أسبابها . لكن السبب الرئيسي هو

---

(١) المقصود رسائل ماركس الى دانييلسون .

(٢) هـ . لوباتين .

(٣) انظر الرسالة ١٥٨ من هذه المجموعة المختارة .

من دون ريب حالة Weltmarkt[1] التي تغيرت كلياً . فمنذ عام ١٨٧٠ أصبحت ألمانيا ، وأميركا بصورة خاصة ، المنافستين لأنكلترا في الصناعة الحديثة ، في حين طورت معظم البلدان الاوروبية الأخرى مانيفاكتوراتها الخاصة حتى درجة كبيرة بحيث كفت عن تبعيتها لأنكلترا . وكانت عاقبة ذلك انتشار عملية فرط الانتاج على منطقة أوسع جداً منها حين كانت مقتصرة على انكلترا وقد اتخذت ـ حتى الآن ـ طابعاً مزمناً بدلاً من الطابع الحاد . ان هذا التدهور المزمن المتواصل ـ بتأخيره على هذا الغرار العاصفة التي كانت فيما مضى تنقي الجو مرة كل عشر سنوات ، لابدّ أن يهيء لانهيار على قدر كبير من العنف والسعة لم نعرفهما من قبل أبداً . ويزيد الطين بلة أن الأزمة الزراعية التي يتحدث المؤلف عنها استمرت هي الأخرى حتى الوقت الراهن ، وشملت جميع البلدان الأوروبية تقريباً ، ولا بدّ أن تستمر ما دامت الأراضي العذراء للبراري الأميركيـة الغربية لا تبرح غير مستهلكة .

مع عميق الاخلاص

**ب . و . روشر**

## ٢٠٢

## انجلز الى مينـا كاوتسكي

**لندن ، في ٢٦ تشرين الثاني ١٨٨٥**

... قرأت الآن أيضاً **القدماء والمحدثون**[2] التي أشكرك من أجلها صادقاً . ان حياة عمال مناجم الملح موصوفة بريشة بارعة كمثل صور الفلاحين في **ستيفان**[3] . وان معظم المشاهد التي تصور مجتمع فيينا جميلة جداً هي الأخرى . وفي الحقيقة أن فيينا هي المدينة الألمانية الوحيدة التي تملك مجتمعاً . فليس في مقدور برلين أن تتباهى الا «ببعض الأوساط» ، وعلى الأخص حلقات غامضة كثيرة : ولهذا السبب فان الرواية

---

(١) السوق العالمية .

(٢) رواية بقلم مينا كاوتسكي .

(٣) **ستيفان فوم غريلنهوف** ، رواية للكاتبة نفسها .

الوحيدة التي يمكن أن تمد جذورها هناك هي الرواية التي بطلها أديب أو موظف أو ممثل . أما اذا كانت العقدة في هذا القسم من روايتك لا تتطور في شيء من العجلة الزائدة في بعض المواضع ، فهذا ما يمكن تركه لحكمك الأفضل . ان أموراً كثيرة تترك هذا الانطباع في الناس الذين من نمطنا قد تبدو طبيعية جداً في فيينا نظراً لطابع المدينة الأممي الخاص واختلاطها بالعناصر الأوروبية الجنوبية والشرقية . ان الشخصيات تبدي في كلا المجالين ذلك التفرد الحاد المألوف جداً في عملك . ان كل شخصية منهم نموذج لكنها في الوقت نفسه فرد محدد«Dieser»(١) كما كان هيغل العجوز يعبر عن نفسه ، وكذلك يجب أن تكون الأمور . وبعد ، كي أكون منزهاً ، فلا بدّ لي أن أجد خطأ في موضع ما ، الأمر الذي يحملني الى أرنولد . في الحقيقة أنه رجل جدير جداً ، ومقتله في انهيال لا يمكن توفيقه مع العدالة الشعرية الا على أساس افتراض من هذا النمط : لقد كان طيباً جداً بالنسبة الى هذا العالم . بيد أنه لا يكفي المؤلف قط أن يضع بطله الخاص على قاعدة مرتفعة جداً ، وهذه هي الخطيئة التي يخيل الي حتى درجة ما أنك وقعت فيها هنا . ان هناك بعد في إيلزا بعض الصفات الفردية ، وإن تكن مؤمثلة ، أما في أرنولد فالشخصية تنصهر أكثر من ذلك في المبدأ .

ان الرواية نفسها تميط اللثام عن أصول هذا القصور . فمن الواضح أنك أحسست الرغبة في اتخاذ موقف علني في كتابك ، في الشهادة على معتقداتك أمام العالم بأسره . ولقد تحقق ذلك من قبل ، فهو شيء من الماضي ، ولا حاجة بك الى تكراره في هذا الشكل . أنا لست معارضاً في حال من الأحوال للشعر المنحاز بصفته هذه . ان ايزخليوس ، أبا المأساة ، وأريستوفان أبا الملهاة ، قد كانا على حد سواء شاعرين منحازين حتى درجة عالية . ولم يكن دانتي وسرفانتس بأقل منهما انحيازاً ، وأفضل ما يمكن قوله عن **المكيدة والحب** لشيلر هو أنها تمثل المأساة الألمانية الأولى التي تعالج مشكلة سياسية . وان الروس والنروجيين المحدثين ، الذين ينتجون روايات ممتازة ، يكتبون جميعاً بهدف . ومهما يكن من أمر ، فاني أعتقد أن الانحياز يجب أن يتضح من الوضع والفعل بالذات دون إشارة واضحة اليه وأن المؤلف ليس

---

(١) الرجل . «هذا»

مضطراً أن يقدم الى القارىء على طبق الحل التاريخي المقبل للنزاعات الاجتماعية التي يصفها . ويجب أن يضاف الى ذلك أن الروايات موجهة على الأغلب في شروطنا الى قراء من الحلقات البورجوازية ، يعني الحلقات التي ليست هي بحلقاتنا بصورة مباشرة . وهكذا ففي اعتقادي أن الرواية الاشتراكية التي تعالج قضية سياسية تحقق رسالتها بصورة كاملة اذا هي بددت ، بواسطة وصف صادق للعلاقات الواقعية ، الأوهام التقليدية السائدة بخصوص هذه العلاقات ، وزعزعت تفاؤل العالم البورجوازي ، وثبتت بصورة محتومة الشكوك بخصوص الصلاحية الأبدية للنظام القائم ، دون أن تقدم هي نفسها حلاً مباشراً للمشكلة المطروحة ، حتى دون أن تنحاز أحياناً بصورة ظاهرة . وهنا فان معرفتك الدقيقة بالفلاحين النمسويين ومجتمع، فيينا على حد سواء وتصويرك الحي بصورة رائعة لهذا المجتمع واولئك الناس يصادفان مواد غزيرة ، وقد برهنت في **ستيفان** على أنك قادرة على معالجة شخصياتك بتلك السخرية الرائعة التي تشهد على تحكم المؤلف في الكائنات التي خلقها ...

# ١٨٨٦

# ٢٠٣

## انجلز الى ف . أ . سورج

لندن . في ٢٩ تشرين الثاني ١٨٨٦

عزيزي سورج

حملت اليوم الأوراق النظيفة الأخيرة من المقدمة(١) الى الناشر بحيث تخلصت أخيراً من ذلك الكابوس . أتوقع أن يكون في مقدوري أن أرسل اليك نسخة من المقدمة خلال اسبوعين . بعد غد تأتي السيدة ليبيكنخت الى هنا لتنتظر زوجها الذي غادر نيويورك قبل البارحة فقط .

مما لا ريب فيه أن نجاح هنري جورج(٢) أماط اللثام عن كتلة من الدجل ، وأنا سعيد لأني لم أكن هناك . لكنه كان بالرغم من ذلك كله يوماً بالغ الأهمية . لم يفهم الألمان كيف يستخدمون نظريتهم كرافعة تستطيع أن تحرك الجماهير الأميركية ؛ انهم لا يفهمون النظرية هم أنفسهم في الغالب ويعاملونها بطريقة عقائدية ومذهبية وكأنها شيء من الواجب حفظه عن ظهر قلب . وعندئذ يستطيع أن يوفر جميع الحاجات دون مزيد من الضوضاء . انها بالنسبة اليهم دستور ايمان وليس دليلاً للعمل . والأكثر من ذلك أنهم لا يتعلمون ، بدافع المبدأ ، الانكليزية مطلقاً . ولذا كان على الجماهير الأميركية أن تبحث عن طريقها الخاصة ، ويبدو أنها عثرت عليه في الوقت الراهن في فرسان العمل(٣) الذين يبدو أن مبادئهم المشوشة وتنظيمهم السخيف تقابل تشوشهم

---

(١) للطبعة الأنكليزية من **رأس المال** ، الكتاب الأول (١٨٨٦) .

(٢) يلمح انجلز الى الانتخابات البلدية في نيويورك التي حقق فيها هنري جورج ، بفضل التأييد العمالي ، نجاحاً كبيراً : ٦٧٠٠٠ صوت في مصلحته .

(٣) **جماعة** فرسان العمل ، وقد قامت في الولايات المتحدة من نهاية الستينات حتى أوائل التسعينات من القرن

الخاص . لكن فرسان العمل ، وفقاً لجميع الأمور التي بلغت مسامعي ، قوة فعلية ، وعلى الأخص في نيوانكلاند والغرب ، وقوتهم تزداد يومياً من جراء معارضة الرأسماليين الوحشية . أعتقد انه من الضروري أن نعمل بينهم ، أن نشكل ضمن هذه الكتلة التي لا تبرح طيعة تماماً بعد نواة من الناس الذين يفهمون الحركة وأهدافها ، ويستلمون من بعد قيادة قسم على الأقل منها حين يحدث انحلال «الجماعة» الراهنة المحتوم والوشيك حالياً . لقد كان الجانب الأشد تعفنا من فرسان العمل حيادهم السياسي الذي انتهى الى الخداع الخالص من جانب أمثال باودرلاي ، الخ : لكن سلوك الجماهير في تشرين الثاني ، وبصورة خاصة في نيويورك ، خفف من حدة ذلك . ان الخطوة الكبرى الأولى ، الهامة بالنسبة الى كل بلد يدخل حديثاً الى الحركة ، هي دائماً تشكيل العمال في حزب سياسي مستقل ، ولا أهمية لكيفية ذلك طالما أنه حزب عمال متميز . ولقد اتخذت هذه الخطوة بأسرع جداً مما يحق لنا أن نتوقع ، وهذا هو الشيء الرئيسي . أما أن البرنامج الأول لهذا الحزب لا يبرح مشوشاً وناقصاً حتى الدرجة القصوى ، وأما انه رفع راية هنري جورج ، فذانك شران لا محيد عنهما ، لكنهما في الوقت نفسه شران عابران ليس غير . فلا بدّ أن يتوفر للجماهير الزمن والفرصة كي تتطور ، وانه لفي مقدورها أن تملك الفرصة حين تكون لها حركة خاصة بها فحسب ـ ولا أهمية لشكل هذه الحركة طالما أنها حركتها **الخاصة** ـ تدفعها فيها أخطاؤها الخاصة ابعد فأبعد وتتعلم أن تنتفع منها . إن الحركة في أميركا هي في نفس المرحلة التي كانت فيها في بلادنا قبل ١٨٤٨ ؛ ولا بدّ للناس الأذكياء حقاً هناك من أن يلعبوا أولاً الدور الذي لعبته العصبة الشيوعية بين الجمعيات العمالية قبل ١٨٤٨ . سوى أن الأمور في أميركا سوف تتقدم بسرعة أعظم بصورة لا متناهية . فأن تحقق الحركة مثل هذه النجاحات الانتخابية بعد ثمانية أشهر من وجودها تقريباً أمر لم يسبق له مثيل قط . وما يعوزها بعد سوف توفره البورجوازية ؛ انهم لم يظهروا في أي مكان في العالم كله بهذا القدر من الخزي والطغيان كما فعلوا هناك ، وقضاتكم بزوا بصورة لامعة أتفه المحامين الصغار لبسمارك في الرايخ . فحيث تخوض

الماضي ، وكانت تضم بصورة رئيسية العمال غير الحاذقين ، وبلغت أوجها عام ١٨٨٦ حين تجاوز عدد أعضائها ٧٠٠٠٠٠ عضو .

البورجوازية الصراع بمثل هذه الطرق يتم بلوغ المرحلة القمية سريعاً ، واذا نحن في اوروبا لم نحث الخطا فسوف يتجاوزنا الأميركيون عاجلاً جداً . أما في الوقت الحاضر بالضبط ، فلا مجال للشك في ضرورة وجود عدد من رجالنا هناك ، رجال ضليعين كلياً في النظرية وخبيرين جيداً في التكتيك ، وهم يستطيعون فضلاً عن ذلك أن يتكلموا الأنكليزية ويكتبوها ؛ ذلك أن الأميركيين ، لأسباب تاريخية جيدة ، متخلفون حتى درجة كبيرة جداً في جميع المسائل النظرية ؛ واذا هم لم يحملوا معهم من اوروبا أية مؤسسات وسيطية ، فقد حملوا معهم جمهرة من التقاليد الوسيطية : الدين ، والقانون الأنكليزي العام (الاقطاعي) ، والتطير ، والروحانية ـ باختصار مختلف أنواع الحماقات التي لا تضر بالأعمال مباشرة وهي حالياً مفيدة جداً في تخدير الجماهير . فاذا لم يتوفر هناك أناس أذهانهم نيرة نظرياً ، وهم يستطيعون أن يخبروهم سلفاً بعواقب أخطائهم ويوضحوا لهم أن كل حركة لا تضع نصب أعينها باستمرار تدمير نظام الأجرة على اعتباره الهدف الأخير مقدرلها أن تضل الطريق وتسقط ـ فان في الامكان اذن تفادي قدر كبير من الهراء واختصار العملية حتى درجة كبيرة . لكنه لا بدّ من صنع ذلك على الطريقة الانكليزية ؛ فمن الواجب وضع الطابع الألماني النوعي جانباً ، والسادة من **Sozialist** لا يليقون بذلك البتة ، أما اولئك الذين من **Volkszeitung** فليسوا اذكى الا حين يتعلق الأمر **بالأعمال** .

ولقد كان أثر الأنتخابات الأميركية في تشرين الثاني هائلاً في اوروبا . فقد كان انعدام أية حركة عمالية حتى الآن في انكلترا ، وفي أميركا بصورة أخص ، الورقة الرابحة الكبرى في أيدي الجمهوريين الراديكاليين في كل مكان ، وبالخاصة في فرنسا ، وقد أسكت هؤلاء السادة تماماً في الوقت الحاضر ؛ ففي الثاني من تشرين الثاني انهارت سياسة السيد كليمنصو بأكملها . لقد كان شعاره الأزلي : «انظروا الى أميركا ، حيث توجد جمهورية حقيقية ، ولا يوجد نقد أو حركة عمالية .» وان الأمر نفسه ليحدث للتقدميين و «الديموقراطيين» في ألمانيا وهنا ـ حيث يشاهدون كذلك بدايات حركتهم الخاصة . ان هذه الحقيقة بالذات ، ألا وهي أن الحركة تحتد بمثل هذه الشدة من حيث هي حركة عمالية وقد انبثقت بصورة مباغتة جداً وبفعالية بالغة ، قد أذهلت هؤلاء الناس كلياً .

ان انعدام آية مزاحمة من جهة واحدة وبلاهة الحكومة من جهة ثانية قد مكنا هنا السادة من الاتحاد الديموقراطي الاشتراكي[1] أن يشغلوا مركزا ما كانوا يجرؤون على الحلم به قبل ثلاثة أشهر. أن الهرج والمرج بشأن الخطة ـ التي ما كان من المنوي قط أن تؤخذ جدياً ـ الخاصة باستعراض خلف موكب اللورد مايور في ٩ تشرين الثاني، وفي وقت لاحق الهرج والمرج نفسيهما بشأن الاجتماع في ساحة فلغار في ٢١ تشرين الثاني، حين جرى الحديث عن نصب المدفعية ثم تراجعت الحكومة أخيراً ـ هذه الأمور جميعاً أجبرت السادة من الاتحاد الديموقراطي الاشتراكي على عقد اجتماع عادي جداً آخر الأمر في ٢١ من الشهر، دون تفاخرات جوفاء ودون تظاهرات ثورية زائفة مع لحن رعاعي مرافق ـ واكتسب البورجوازيون الصغار على حين غرة الاحترام لهؤلاء السادة الذين أثاروا مثل هذه الضوضاء ومع ذلك تصرفوا بصورة محترمة. ومنذ ذلك الحين لم يعد أحد، باستثناء الاتحاد الديموقراطي الاشتراكي، معنياً بالعاطلين عن العمل الذين يشكلون كتلة كبيرة بالأحرى كل شتاء أثناء الركودة المزمنة في الاعمال ويعانون مصاعب بالغة الحدة، والاتحاد الديموقراطي الاشتراكي يكسب اللعبة ويداه مخفوضتان. ان الحركة العمالية قد بدأت هنا، هذا ما لا ريب فيه، واذا كان الاتحاد الديموقراطي الاشتراكي أول من حصد الموسم فتلك نتيجة لجبن الراديكاليين وبلاهة العصبة الاشتراكية[2] التي تتضارب بالأكف مع الفوضويين ولا تستطيع الخلاص منهم، وبالتالي لا تجد وقتاً للاهتمام بالحركة الحية التي تجري خارجاً تحت أنفها بالضبط. وفيما عدا ذلك، فالى متى سوف يثابر هايندمان وشركاه في اسلوب عملهم الحالي العقلاني نسبياً، هذا ما ينطوي على الإشكال. ومهما يكن من شيء، فاني أتوقع أن يرتكبوا عاجلاً اخطاء فادحة من جديد؛ انهم في عجلة فائقة من أمرهم. وعندئذ سوف يرون أنه ليس في الامكان فعل ذلك في حركة جادة.

ان الأمور تزداد حلاوة باستمرار في ألمانيا. ففي لايبزغ أحكام تبلغ حتى أربع

(١) الاتحاد الاشتراكي الديموقراطي تاسس في انكلترا عام ١٨٨٤ وقاده هايندمان، وكان عصبياً بطبيعته وانتهج سياسة انتهازية انتقدها انجلز بشدة.

(٢) **العصبة الأشتراكية**. تشكلت في أوائل عام ١٨٨٥ من الجناح اليساري من الاتحاد الديموقراطي الاشتراكي نتيجة انقسامه، وقد تغلبت فيها في وقت لاحق الاتجاهات الفوضوية. انحلت في ١٨٩٠.

سنوات **من الأشغال الشاقة** «للتحريض على الفتنة» ! انهم يبغون إثارة الشعب بأي ثمن كان .

لا يزال في مكتبي سبعة أشياء صغيرة لا بدّ لي من عملها ـ ترجمات ايطالية وفرنسية ، ومقدمات ، وطبعات جديدة ، الخ .ـ وعندئذ الى الكتاب الثالث باستقامة ودون توقف .

صاحبك العجوز

**ف . إ .**

## ٢٠٤

## انجلز الى فلورنس كيلي ـ فيشنيوتيزكي

### لندن ، في ٢٣ كانون الأول ١٨٨٦

... سوف تدور مقدمتي[١] بكاملها ، طبعاً ، حول المسافة الشاسعة التي قطعها الشغيلة الأميركيون خلال الأشهر العشرين الأخيرة ، وتتناول كذلك بطبيعة الحال هنري جورج وخطته الخاصة بالأرض[٢] . بيد أنها لا تستطيع أن تزعم معالجة الأمر بصورة واقية . وكذلك لا أعتقد أن الوقت حان لذلك . ان انتشار الحركة ، وتقدمها بصورة منسجمة ، وتجذرها ، وشمولها قدر الامكان البروليتاريا الأميركية بأكملها ، أهم حتى درجة بعيدة من ضرورة بدئها وتقدمها ، منذ البداية ، على خطوط مضبوطة نظرياً بصورة كاملة . ليس ثمة طريق الى وضوح الفهم النظري أفضل من أن يتعلم المرء من أخطائه الخاصة «durch Schaden Klug Werden»[٣] . وليس ثمة طريق أخرى بالنسبة الى طبقة عريضة بأكملها ، وعلى الأخص بالنسبة الى أمة عملية حتى درجة فائقة وتحتقر النظرية جداً كالأميركيين . ان الشيء الأهم هو حمل الطبقة العامية على التحرك **من حيث هي طبقة** ؛ واذا تم الحصول على ذلك فسرعان ما يجدون

---

(١) يتحدث انجلز عن مقدمة الطبعة الاميركية (١٨٨٧) لكتابه **شرط الطبقة العاملة في انكلترا** .

(٢) طالب هنري جورج بتأميم الأرض بأن تفرض عليها ضريبة كبيرة وبما يكفي بحيث تضاهي مصادرة جميع الريوع لمصلحة الدولة .

(٣) التعلم من التجربة المريرة .

الاتجاه الصحيح ، وجميع الذين يقاومون ، هنري جورج أو باودرلاي ، سوف يتركون خارجاً في الصقيع مع شيع صغيرة خاصة بهم . ولذا فاني أعتقد كذلك أن فرسان العمل عامل بالغ الأهمية في الحركة لا يجوز ازدراؤه من الخارج بل يجب تثويره من الداخل ، وأرى أن الكثيرين من الألمان هناك ارتكبوا خطيئة شنيعة حين حاولوا ، في مواجهة حركة جبارة ومجيدة ليست من صنعهم ، أن يجعلوا من نظريتهم المستوردة وغير المفهومة دائماً نوعاً من ـ alleinselig machendes Dogma (١) ، وأن يتنحوا عن كل حركة لا تقبل هذه العقيدة . ليست نظريتنا عقيدة بل عرض لعملية تطور ، وهذه العملية تشتمل على أطوار متعاقبة . وأن يتوقع المرء من الأميركيين أن يباشروا بوعي تام للنظرية التي وضعت في بلدان صناعية أخرى يعني أن يتوقع المستحيل . ان ما يجب أن يفعله الألمان هو أن يتصرفوا حسب نظريتهم الخاصة ـ اذا فهموها كما فهمناها في ١٨٤٥ و ١٨٤٨ ، ان يذهبوا الى أية حركة عامة حقيقية للطبقة العاملة ، ويقبلوا بمنطلقها (٢)Faktische كما هو ، ويرتقوا بها تدريجياً الى المستوى النظري بأن يبينوا كيف أن كل خطيئة ترتكب ، كل نكسة تعانى ، قد كانت عاقبة ضرورية للآراء النظرية المغلوطة في البرنامج الأصلي : ان من واجبهم ، حسب كلمات البيان الشيوعي ، أن in der Gegenwart der Bewegung die Zukunft der Bewegung zu represen tieren(٣) لكن اعطوا قبل كل شيء الحركة الوقت كي تتوطد ؛ لا تزيدوا التشوش الحتمي للبداية الأولى سوءاً باجبار الناس على ابتلاع أشياء لا يستطيعون في الوقت الحاضر أن يفهموها بصورة مناسبة ، لكنهم سوف يتعلمونها عاجلاً . ان مليوناً أو مليونين من أصوات الشغيلة في تشرين الثاني المقبل في مصلحة حزب صادق للشغيلة لأفضل بما لا يقاس في الوقت الحاضر من مائة ألف صوت في مصلحة برنامج انتخابي سليم مذهبياً . ان المحاولة الأولى بالذات ـ وسرعان ما سوف تجري اذا تقدمت الحركة ـ من أجل توطيد الجماهير المتحركة على أساس وطني سوف تضعهم جميعاً وجهاً لوجه ، من جيورجيين ، وفرسان عمل ،

---

(١) العقيدة المخلصة الوحيدة .

(٢) الفعلي .

(٣) ان يمثلوا في حركة الحاضر مستقبل هذه الحركة .

ونقابيين ، وسائر الآخرين ؛ واذا كان اصدقاؤنا الألمان قد تعلموا في هذه الأثناء ما يكفي من لغة البلد كي يدخلوا في نقاش ، فان الوقت يحين اذن لهم كي ينقدوا آراء الآخرين ، وإما يبينون وقتئذ تهافت وجهات النظر المتنوعة يستدرجونهم بصورة متدرجة الى فهم موقفهم الفعلي الخاص ، والموقف الذي صنع لهم من جراء العلاقة المتبادلة بين الرأسمال والعمل المأجور . لكني سوف أعتبر كل ما يمكن أن يؤخر أو يمنع هذا الرسوخ الوطني لحزب الشغيلة ـ كائناً ما كان برنامجه ـ خطيئة كبرى ، وبالتالي لا أعتقد أنه حان الأوان للتكلم جهاراً بصورة كاملة وجامعة سواء فيما يتعلق بهنري جورج أو بفرسان العمل ...

# ١٨٨٧

## ٢٠٥

## إنجلز الى فلورنس كيلي ـ فيشنيوتيزكي

[لندن ،] في ٢٧ كانون الثاني ١٨٨٧

... أعتقد أن الحركة في أميركا ، في هذه البرهة بالضبط ، تُرى بصورة أفضل عبر المحيط . فلا بدّ أن المشاحنات الشخصية والنزاعات المحلية تشوش حتى قدر كبير عظمتها حين يُنظر اليها موضعياً . وان الشيء الوحيد الذي يمكن فعلياً أن يؤخر مسيرتها هو تمكين هذه الخلافات في شيع قائمة . ولسوف يكون هذا أمراً لا مناص منه حتى درجة معينة ، لكنه بقدر ما ينقص يكون ذلك أفضل ، وانه لمن واجب الألمان أن يحتاطوا لذلك أكثر من أي شيء آخر . ان نظريتنا نظرية للتطور ، وليست هي عقيدة يجب حفظها عن ظهر قلب وتكرارها آلياً . Je weniger sie den Amerikanern von aufien eingepaakt wird und je mehr sie sie durch eigne ErfahRung - unter dem Beistand de Deutschen - erproben desto riefer geht sie ihmen in Fleisch und Blut über[1]. حين رجعنا الى ألمانيا في ربيع ١٨٤٨ انضممنا الى الحزب الديموقراطي على اعتبار ذلك الوسيلة الممكنة الوحيدة من أجل كسب اذن الطبقة العاملة ؛ ولقد كنا الجناح الأكثر تقدماً في ذلك الحزب ، لكننا كنا مع ذلك مجرد جناح فيه . وحين أسس ماركس الأممية وضع الأنظمة العامة بحيث يستطيع جميع الاشتراكيين من الطبقة العاملة في ذلك الحين الانضمام اليها ـ من أنصار برودون وأنصار بيير لورو ، وحتى الفئة الأكثر تقدماً من النقابات الأنكليزية ؛ ولم تصبح الأممية الا بواسطة هذا

---

(١) بقدر ما يكون نقلها الى رؤوس الأميركيين أقل من الخارج وبقدر ما يختبرونها أكثر ـ بمساعدة الألمان ـ بتجربتهم الخاصة ، فانها سوف تصبح أكثر فأكثر قسماً من لحمهم ودمهم .

الموقف ما كانت عليه ، الوسيلة من اجل حل سائر هذه الشيع الصغرى وابتلاعها بصورة تدريجية ، باستثناء الفوضويين الذين لم يكن ظهورهم المباغت في بلدان مختلفة الا نتيجة لرد الفعل البورجوازي العنيف بعد الكومونة ، وبالتالي كان في امكاننا بسلام ان نترك هذه الشيعة تقضي من نفسها ، كما فعلت . ولو أننا أصررنا منذ ١٨٦٤ ـ ١٨٧٣ على ألا نعمل معاً الا مع اولئك الذين يتبنون صراحة برنامجنا ، فأين كان يمكن أن نكون اليوم ؟ وإني لأعتقد أن نشاطنا العملي بأكمله قد بين أنه في الامكان العمل مع الحركة العامة للطبقة العاملة في كل مرحلة من مراحلها دون أن نتخلى عن موقفنا المتميز وحتى عن منظمتنا أو نخفيهما ، وأنا أخشى أن يرتكب الأميركيون الألمان خطيئة فادحة اذا هم اختاروا خطاً مختلفاً ...

# ١٨٨٨

## ٢٠٦

## انجلز الى مارغريت هاركنس

[لندن ، أوائل نيسان ١٨٨٨]

عزيزتي الأنسة هاركنس

أشكرك جزيل الشكر لارسالك الي كتابك **فتاة المدينة** بواسطة السادة فيزيتيللي . لقد قرأته بسرور عظيم وبفهم بالغ . انه بالفعل ، كما يسميه صديقي ايشهوف ، مترجمك ، ein kleines Kunstwerk(١) ؛ وانه ليضيف الى ذلك ، وهذا ما سوف يرضيك ، أن ترجمته بنتيجة ذلك يجب أن تكون حرفية ، نظراً لأن أي حذف أو محاولة للتعديل فيه لن تفعل سوى تدمير جزء من القيمة الأصلية .

ان ما لفت نظري في قصتك أكثر من أي شيء آخر فضلاً عن حقيقتها الواقعية هو اظهارها شجاعة الفنان الحقيقي . ولا يقتصر ذلك على طريقة معاملتك لجيش الخلاص ، متحدية المحترمية المتشامخة ، وهي المحترمية التي ربما تعلمت من روايتك ، للمرة الأولى ، **السبب** في أن جيش الخلاص يتمتع بمثل هذا التأثير في الجماهير الشعبية . بل بصورة رئيسية في الطريقة الصريحة غير المصقولة التي تروين بها القصة القديمة والقديمة جداً ، قصة الفتاة البروليتارية التي غرر بها رجل من الطبقة الوسطى ، وهي محور الكتاب كله . ولقد كان مؤلف تافه يسعى الى إخفاء طابع العقدة الذي يراه مبتذلاً تحت أكوام من التركيبات والزخارف المصطنعة ، الأمر الذي ما كان لينقذها من مصير افتضاحها . لقد أحسست أن في مقدورك التصدي لرواية قصة قديمة لأنه في مقدورك أن تجعلي منها قصة جديدة بمجرد روايتها بصدق .

---

(١) أثر فني صغير

ان بطلك السيد آرثر غرانت رائع .

واذا كان لدي ما انتقده فهو أن الرواية ربما لم تكن ، في آخر الأمر ، على قدر كاف من الواقعية . ففي اعتقادي أن الواقعية تنطوي ، فضلاً عن حقيقة التفاصيل ، على حقيقة تصوير الشخصيات النموذجية في ظروف نموذجية . وأن شخصياتك لعلى قدر كاف من النموذجية في حدود وصفك لها ؛ بيد أن الظروف المحيطة بها ، حيث تعمل ، ربما لم تكن على قدر مساو من النموذجية . ففي **فتاة المدينة** تمثل الطبقة العاملة من حيث هي كتلة منفصلة ـ عاجزة عن مساعدة ذاتها ، بل غير مظهرة (باذلة) أية محاولة للعمل على مساعدة ذاتها . ان جميع المحاولات من أجل سحبها من بؤسها البليد تأتي من الخارج ، من علٍ . والحقيقة أنه اذا كان هذا الوصف صحيحاً حوالي عام ١٨٠٠ أو ١٨١٠ ، في أيام سان سيمون وروبرت أوين ، فهو لا يمكن أن يكون كذلك عام ١٨٨٧ بالنسبة الى رجل كان له طوال خمسين عاماً شرف الاسهام في معظم المعارك التي خاضتها البروليتاريا المناضلة . ان ردة الفعل الثائرة من جانب الطبقة العاملة ضد الوسط الذي يضطهدها ومحاولاتها ـ الاختلاجية ، نصف الواعية أو الواعية ـ في سبيل استعادة حقوقها الانسانية تخص التاريخ ، وبالتالي يجب أن تطالب بمكانها في ميدان الواقعية .

ما أبعدني عن لومك لأنك لم تكتبي رواية اشتراكية خالصة ، «Tendenzroman»(١) كما نقول نحن الألمان ، لتمجيد الآراء الاجتماعية والسياسية للمؤلفين . ليس هذا ما أقصده مطلقاً . فبقدر ما تبقى أراء المؤلف خفية يربح العمل الفني . ان الواقعية التي أنوه بها يمكن أن تتظاهر حتى بالرغم من آراء المؤلف . ولأستشهد بمثال . ان بلزاك الذي اعتبره معلماً في الواقعية أعظم حتى درجة كبيرة من جميع أمثال زولا passés, présents et avenir(٢) ، يعطينا في «الملهاة الانسانية» تاريخاً واقعياً بصورة ليس أروع منها «للمجتمع» الفرنسي ، واصفاً بتسلسل زمني ، سنة فسنة على وجه التقريب ، من ١٨١٦ حتى ١٨٤٨ ، الضغط المتعاظم للبورجوازية

(١) رواية منحازة .

(٢) الماضين والحاضرين والمقبلين .

الصاعدة على مجتمع النبلاء الذي كان قد تشكل من جديد بعد عام ١٨١٥ ورفع مرة أخرى ، بقدر استطاعته ، راية (١) la vieille politesse française . انه يصف كيف سقطت بقايا هذا المجتمع النموذجي في رأيه أمام تدخل الوصولي المبتذل المزود بالمال ، أو أفسدت من قبله ؛ وكيف أن السيدة الكبيرة التي لم تكن خياناتها الزوجية إلا اسلوباً من أجل تأكيد الذات يتفق كل الاتفاق مع الطريقة التي زوجوها بها قد أخلت المكان للبورجوازية التي تأخذ زوجاً في سبيل الحصول على المال أو الزينة ، وهو يجمع حول هذه اللوحة المركزية تاريخاً كاملاً للمجتمع الفرنسي تعلمت منه حتى في التفاصيل الاقتصادية (مثال ذلك إعادة توزيع الملكية الفعلية والشخصية بعد الثورة) أكثر مما تعلمت من جميع المؤرخين والاقتصاديين والاحصائيين المحترفين لتلك المرحلة . ومما لا ريب فيه أن بلزاك كان شرعياً في السياسة ؛ فعمله العظيم مرثاة متصلة تتفجع للانحطاط العضال للمجتمع الجيد ، وعواطفه جميعاً مع الطبقة التي حكم عليها بالفناء . وبالرغم من ذلك كله فليس أحدً من هجائه ولا أمرّ من سخريته عندما يضع موضع الحركة اولئك النبلاء ـ وهم الرجال والنساء الذين يتعاطف معهم في أعماقه . وان الرجال الوحيدين الذين يتحدث عنهم دائماً باعجاب غير مقنع هم خصومه السياسيون الألد ، الأبطال الجمهوريون لدير القديس ميري(٢) ، هؤلاء الرجال الذين كانوا في ذلك الزمان (١٨٣٠ ـ ١٨٣٦) الممثلين الحقيقيين للجماهير الشعبية . وأما أن بلزاك اضطر على هذا الغرار الى معارضة عواطفه الطبقية الخاصة ومستبقاته السياسية ، أنه رأى ضرورة سقوط نبلائه المفضلين ، ووصفهم على اعتبارهم أناساً لا يستأهلون مصيراً أفضل ، وأنه رأى الرجال الحقيقيين للمستقبل حيث كان يمكن في ذلك الحين العثور عليهم وحدهم ـ فهذا ما اعتبره أحد الأنتصارات العظمى للواقعية وإحدى السمات الأبرز في بلزاك العجوز .

ولا بدّ لي من الاعتراف ، دفاعاً عنك ، بأنه ليس في العالم المتحضر مكان يبدي الشغيلة فيه مقاومة أقل فعالية ، وخضوعاً منفعلاً أعظم للقدر ، وبلادة أعظم منهم في

(١) الدماثة الفرنسية القديمة .

(٢) اشارة الى انتفاضة الجناح اليساري من الحزب الجمهوري ، جمعية حقوق الإنسان والمواطن ، التي حدثت في باريس في الخامس والسادس من حزيران ١٨٣٢ في شارع دير القديس ميري في أعقاب جنازة الجنرال لامارك .

ايست ـ اند في لندن . وكيف لي أن أعلم ما اذا كنت تملكين الأسباب الجيدة للأكتفاء هذه المرة بوصف الجانب المنفعل في حياة الطبقة العاملة ـ محتفظة بالجانب الفاعل منها لمؤلف آخر ؟...

# ١٨٨٩

## ٢٠٧

## انجلز الى ك . كاوتسكي

**لندن ، في ٢٠ شباط ١٨٨٩**

عزيزي كاوتسكي

أعيد طيه مقالة **الحياة الجديدة**(١) مع تعليقات هامشية خاطفة ؛ العيب الرئيسي : انعدام المواد الصالحة ـ تين وتوكفيل ، المؤهلان لها من قبل البورجوازيين الصغار ، لايناسبان هنا . ولو أنك قمت بالعمل **هنا** لوجدت مواد مختلفة كل الاختلاف ـ نوع أفضل من المواد **المستعملة** وأحمال من المواد **الجديدة** . وفضلاً عن ذلك ، فان أفضل عمل عن الفلاحين هو بقلم كاريف(٢) ، بالروسية .

ومهما يكن من شيء ، فاذا استطعت الحصول هناك على **مورو دي جونيس** ، «**النظام الاقتصادي والاجتماعي لفرنسا من هنري الرابع حتى لويس الرابع عشر**» ، باريس ١٨٦٨ ، فسوف تجد مطالعته مفيدة .

القسم الثاني ، ص : ٣ . ههنا يفتقر الى عرض نير عن **كيفية** قيام الملكية المطلقة من حيث هي مواطأة نشأت بصورة **طبيعية** بين النبالة والبورجوازية وكيف كان عليها بالتالي أن تحمي مصالح معينة لكلا الفريقين وأن توزع المكافآت عليهما . ولقد نالت النبالة ـ المتقاعدة سياسياً ـ كنصيب لها في هذه العملية نهب طبقة الفلاحين وخزينة الدولة والنفوذ السياسي غير المباشر بواسطة البلاط ، والجيش ، والكنيسة ، والسلطات الادارية العليا ، بينما حصلت البورجوازية على الحماية بواسطة التعرفات

---

(١) المقصود مقالة كاوتسكي «التناحرات الطبقية عام ١٧٨٩ . اسهام في الذكرى المائة لثورة الفرنسية» .
(٢) كارييف : **الفلاحون والمسألة الفلاحية في فرنسا خلال الربع الأخير من القرن الثامن عشر** .

الجمركية ، والاحتكارات ، وادارة منظمة **نسبياً** للشؤون العامة والعدل . اذا أنت بدأت بهذه الأمور فان أشياء كثيرة سوف تصبح أوضح وأسهل .

وشيء آخر ناقص في هذا القسم هو ذكر النبالة القضائية (noblesse de robe) والقضاة ـ la robe ـ عموماً ، الذين شكلوا كذلك بصورة فعلية طبقة صاحبة امتيازات وامتلكوا سلطاناً كبيراً في البرلمانات ـ حيال التاج . ولقد تصرفوا في قدرتهم **السياسية** من حيث هم المدافعون عن المؤسسات التي تحد من سلطان التاج ، وبالتالي انحازوا الى صف الشعب ، لكنهم كانوا في قدرتهم **القضائية** الفساد المجسد (أنظر **مذكرات** بومارشيه) . ان ما تقوله فيما بعد عن هذه العصابة لايكفي .

III ، ص : ٤٩ . انظر الملحوظة رقم واحد من كاريبف طيه .

في الصفحة ٥٠ «**هذا النوع** من البورجوازي» تحول بصورة مفاجئة الى «البورجوازي» **الممتاز** ، مما يتعارض بحدة مع تراتب البورجوازية ، وهو الموضوع المطروح على المناقشة . انك تعمم جملة تعمياً كبيراً جداً ، الأمر الذي يجعلك في كثير من الأحيان مطلقاً في أحكامك حيث لا بدّ من النسبية العظمى .

IV ، ص : ٥٤ . هنا يكون من المناسب على أي حال أن يؤتى على ذكر **كيف** توصل هؤلاء العاميون المحرومون من حماية القانون ، وقد استبعدوا عن أي مجتمع قائم على الأوضاع الطبقية وبالتالي فهو مجرد من الحقوق نسبياً ، بصورة تدريجية خلال الثورة فقط الى ما تسميه اللاتسرولية (ية مرة أخرى !) وما الدور الذي لعبوه . وعندئذ فسوف يكون في مقدورك أن تتغلب على المصاعب التي تقصفها في ص : ٥٣ بتعابير غامضة وتلميحات سرية الى أنماط الانتاج الجديدة . وعندئذ سوف يتضح أن البورجوازية كانت على قدر كبير من الجبن في هذه الحال كما هو شأنها دائماً كي تدافع عن مصالحها الخاصة ؛ وانه بدءاً من أحداث الباستيل لم يكن بدّ للعاميين من أن يقوموا بالعمل كله من أجلها ؛ وأنه لولا تدخل العاميين في ١٤ تموز و ٥ ـ ٦ تشرين الأول و ١٠ آب و٢ أيلول ، الخ ، لكانت البورجوازية سقطت أمام ancien régime(١) في كل مرة ؛ وأن التحالف المتحالف مع البلاط كان سيخنق الثورة وأن هؤلاء العاميين

---

(١) النظام القديم .

وحدهم هم بالتالي الذين نفذوا الثورة ، لكن هذا الأمر ما كان ليتحقق لولا ان هؤلاء العاميين نسبوا الى المطالب الثورية البورجوازية معنى لم تكن تملكه ، لولا أنهم دفعوا المساواة والاخاء حتى حدود قصوى بحيث انقلب المعنى البورجوازي لهذين الشعارين رأساً على عقب بصورة تامة ، لأن المعنى حين يدفع الى حده الأقصى يتحول الى ضده ؛ وأن هذين المساواة والاخاء **العاميين** قد كانا بالضرورة مجرد حلم في وقت كانت المسألة فيه هي صنع **النقيض بالضبط**، وأن هذا التصور **العامي** للشعارات الثورية أصبح ، كما هي الحال دائماً ـ سخرية القدر ـ الرافعة الأقوى من أجل تنفيذ هذا النقيض في الواقع : المساواة **البورجوازية** ـ أمام القانون ، والاخاء ـ في الاستغلال .

ولسوف اقول عن نمط الانتاج الجديد أقل من ذلك كثيراً . ان فجوة هائلة تفصله دائماً عن **الحقائق** التي تتحدث عنها ، وحين يقدم في **هذا** الشكل المباشر يبدو وكأنه **تجريد خالص** لا يوضح الأمور بل يشوشها بالأحرى .

وأما الارهاب فقد كان في الأساس **أجراء حربياً** بقدر ما كان له معنى . ان الطبقة أو الفريق العصبي من الطبقة الذي كان في مقدوره وحده أن يحافظ على انتصار الثورة لم يحتفظ بالسلطة بهذه الوسيلة فحسب (هذا كان أقل ما يمكن بعد الانتصار على العصيانات) بل ضمن لنفسه حرية الحركة ، متسعاً لها ، امكانية مركزة القوى في النقطة الحاسمة ، الحاشية ضرورية . وفي أواخر ١٧٩٣ بات هذا الأمر مضموناً بصورة جيدة ؛ وكانت بداية ١٧٩٤ حسنة . فالجيوش الفرنسية حققت التقدم في كل مكان على وجه التقريب . ان مجلس العموم باجراءاته القصوى قد بات نافلاً . فنشره للثورة أضحى عائقاً لروبسبيير ولدانتون على حد سواء ، وكلاهما يريد السلام ، لكن كلاً منهما على طريقته الخاصة . وخرج روبسبيير من هذا النزاع بين عناصر ثلاثة ظافراً ، لكن **الارهاب أصبح الآن بين يديه وسيلة للبقاء الذاتي** ، وبالتالي عبثاً . وفي ٢٦ حزيران وضع جوردان في فلوروس بلجيكا بأسرها عند قدمي الجمهورية . وهكذا أصبح الارهاب لا مكان له البتة . وفي ٢٧ تموز سقط روبسبيير ، وبدأت العربدة البورجوازية .

ان «الرخاء للجميع على أساس العمل» يعبر بعد بقدر كبير من التحديد عن

مطامح الاخاء العامي لذلك العصر . وما كان في مقدور آحد أن يقول ما يريدون حتى أعطى بابوف للأمر شكلاً محدداً بعد سقوط مجلس العموم بوقت طويل . وفيما جاء مجلس العموم بمطامحه في الاخاء باكراً جداً ، فان بابوف بدوره جاء متأخراً جداً .

ص : ١٠٠ . المتسولون . انظر الملحوظة الثانية من كارييف .

ان القسم عن طبقة الفلاحين أشد معاناة بسبب انعدام جميع المصادر ، حتى العادية جداً .

ان الأخطاء التي ارتكبها رانكية قد بينتها جيداً(١) . ومن سوء الحظ أنك لم تستخدم المنشورات النمسوية مع اعتراضاتها ، وهي معطاة من قبل سايبل . ان أشياء كثيرة متعلقة بتقسيم بولونيا الثاني ، الخ ، يمكن استخراجها منها بعد ، ولما كانت تعتمد على مواد **محفوظة** فهي صالحة للاستعمال كلياً ...

الملحوظة الأولى . **الطبقة الرابعة** .

ان مفهوم طبقة رابعة الى جانب الطبقات الأولى والثانية والثالثة قام بصورة باكرة جداً في الثورة . في البداية الأولى ظهر دوفورني دي فيلييه ، «نصوص الطبقة الرابعة ، طبقة الشغيلة المياومين الفقراء ، والعاجزين ، والمعوزين ، الخ ، طبقة المحرومين» ، **٢٥** نيسان **١٧٨٩** . بيد أن الطبقة الرابعة يقصد بها على الأغلب **الفلاحون** . مثال ذلك نوالياك ، «أقوى الكراسات . طبقة الفلاحين في مجلس الطبقات ، **٢٦** شباط **١٧٨٩**» ، ص : **٩** : «لنأخذ الطبقة الرابعة من الدستور السويدي» .

فيرتو ، «رسالة فلاح الى كاهنه عن الطريقة الجديدة في دعوة مجلس الطبقات» ، سارتوفيل ، **١٧٨٩** ، ص : **٧** : «بلغني أنه في أحد البلدان الشمالية ... تقبل طبقة الفلاحين في مجلس الطبقات» .

وان المرء ليصادف كذلك تفسيرات أخرى للطبقة الرابعة . فثمة كراسة تتحدث دفاعاً عن الطبقة الرابعة **للتجار** ، وأخرى تحامي عن طبقة **القضاة** ، الخ .

كارييف ، **الفلاحون والمسألة الفلاحية في فرنسا في الربع الأخير من القرن الثامن عشر** ، موسكو **١٧٨٩** ، ص : **٣٢٧** .

---

(١) ينتقد كاوتسكي في المقالة آنفة الذكر مؤلف رانكية عصور التاريخ الحديث .

الملحوظة الثانية ، **المتسولون** .

انه لأمر هام أن عدد الأشخاص المفقرين (niscich, Niscyi تعني أفقر الفقراء) كان أعظم في الاقاليم التي كانت تعتبر الأقاليم الأخصب ، لأنه لم يكن في هذه المحلات الا عدد ضئيل جداً من الفلاحين الذين يملكون ارضاً .

لكن لندع الأرقام تتحدث من تلقاء ذاتها . في أرجانتري (بريتانيا) كان أكثر من نصف السكان الذين يعدون ٢٣٠٠ نسمة والذين لا يكسبون معاشاً من الصناعة أو التجارة عاجزين على وجه التقريب عن رد الذئب عن بابهم ، وأكثر من ٥٠٠ شخص اضطروا الى التسول . وفي دينفيل (أرتوا) كانت ٦٠ عائلة من أصل ١٣٠ عائلة في عوز . نورماندي : في سان باتريس كان ٤٠٠ من أصل ١٥٠٠ عضو من السكان وفي سان لوران ثلاثة أرباع السكان البالغ عددهم ٥٠٠ نسمة يعيشون على الصدقات (تين) . واننا لنعلم مثلاً من تفويضات مأموري التنفيذ في دواي ان نصف العائلات التي تعد ٣٣٢ عائلة في قرية تخص خورانية بوفينيي تحيا على الصدقة وحدها . وأن ٦٥ عائلة من أصل ١٤٣ عائلة تحولت الى التسول في قرية أخرى من خورانية ايكس ، في حين أن ١٠٠ عائلة من أصل ٤١٣ عائلة في محلة أخرى (خورانية لاندوس) هي في حالة عوز مدقع ، وهكذا دواليك . وفي قهرمانية بوي في فيلاي ، حسب نص تفويض الاكليروس المحلي ، كان ٥٨٨٩٧ شخصاً من أصل مجموع السكان البالغين ١٢٠٠٠٠ نسمة عاجزين كلياً عن دفع اية ضرائب من أي نوع كان (المحفوظات البرلمانية للأعوام ١٧٨٧ ـ ١٨٦٠ ، المجلد الخامس ، ص : ٤٦٧) . وكانت اللوحة كما يلي في قرى ناحية كارهيكس : فريروغان ـ ١٠ عائلات ميسورة (dostatocny) ، و ١٠ عائلات فقيرة ، و ١٠ عائلات معوزة . موتريف ـ ٤٧ عائلة تملك وسائل المعيشة ، و ٧٤ عائلة أقل يسراً ، و ٦٤ عائلة من الفقراء والشغيلة المياومين .

بول ـ ٢٠٠ مزرعة ، ومعظمها يجب بحق أن تدعى ملاجىء للشحاذين (المحفوظات الوطنية ، المجلد الرابع ، ص : ١٧) . وان مفوض خورانية ماربوف يتفجع لحقيقة أن حوالي ١٠٠ من أصل السكان الخمسمائة هم متسولون (بوافان ـ شامبو ، **ملحوظات تاريخية عن الثورة في قضاء اوز** ، ١٨٧٢ ، ص : ٨٣) . وان

فلاحي قرية هارفيل برُوون أن ثلثهم بالكامل في حالة من العوز التام من جراء نقص الاستخدام (عريضة سكان كومونة هارفيل ، المحفوظات الوطنية) .

ولم تكن الأمور بأفضل من ذلك في المدن . ففي ١٧٨٧ كان في ليون ٣٠٠٠٠ عامل معوز . وفي باريس كان السكان الذين يعدون ٦٥٠٠٠٠ نسمة يشتملون على ١١٨٧٨٤ فقير (تين ، المجلد الأول ، ص : ٥٠٧) . وفي رينز كان واحد من كل ثلاثة يسأل الصدقات كي يعيش ، وكان الثلث الآخر مهدداً أبداً بالاملاق (دي شاتولييه ، **الزراعة في بريتانيا** ، باريس ١٨٦٣ ، ص : ١٧٨) . وان مدينة لونس ـ دي ـ سونيه الصغيرة في الجورا قد كانت على قدر كبير من الاملاق بحيث أنه حين طبقت الجمعية التأسيسية المؤهلات من أجل الناخبين لم يسجل في قوائم المواطنين الفعالين سوى ٧٢٨ شخصاً من أصل سكانها البالغ عددهم ٦٥١٨ (سوميه ، **تاريخ الثورة في الجورا** ، باريس ١٨٤٦ ، ص : ٣٣) . فلا عجب اذن اذا كانت حالات الاحسان تعد بالملايين في زمن الثورة . وهكذا فان كراساً اكليريكياً صادراً عام ١٧٩١ يقرر أن في فرنسا ٦ ملايين من المملقين («نصيحة الى الفقراء بشأن الثورة الراهنة وبشأن ملكية الاكليروس» ، ص : ١٥) ، وهو أمر مبالغ به حتى درجة ما على أي حال ؛ بيد أن رقم ١٢٠٠٠٠٠ مملق المعطى لعام ١٧٧٤ ربما لم يكن دون الواقع (دوفال ، **تفويضات المارش** ، باريس ١٨٧٣ ، ص : ١١٦) .

(أعتقد أنك قد تحب الحصول على بعض الشواهد **الفعلية**)

كارييف ، ص : ٢١١ ـ ٢١٤ .

اذا كانت ملاحظاتي تبدو جافة فأرجو أن تعتبر أن السبب الوحيد في ذلك نقص الوقت والهوامش على الورق . فلم يكن لدي وقت لمقارنة المصادر ، بحيث اضطررت الى الاعتماد في الأشياء جميعاً على ذاكرتي ـ وهكذا فان أموراً كثيرة ليست محددة كما كنت أودها أن تكون .

## ٢٠٨

## انجلز الى ف . أ . سورج

**لندن ، ٨ حزيران ١٨٨٩**

... باستثناء الاتحاد الديموقراطي الاشتراكي ، لا يملك الامكانيون منظمة

اشتراكية واحدة في صفهم في اوروبا بأسرها وبالتالي فهم يرتدون باستمرار الى النقابات غير الاشتراكية . ولشد ما كانوا يتمنون لو أن في مقدورهم أن يحصلوا على النقابات القديمة هنا ، برود هارست وشركاه ، لكن هؤلاء كانوا متبرمين من الأوضاع هنا في لندن في تشرين الثاني . ولسوف يحصلون من أميركا على فارس عمل واحد .

والشيء الرئيسي هو ـ وهذا هو السبب في أنني أبذل هذا الجهد العظيم ـ أن الانقسام القديم في الأممية اشتعل هنا من جديد ، فهي معركة لاهاي القديمة . وان الخصوم هم أنفسهم ، مع هذا الفارق فقط ، ألا وهو أن راية الامكانيين استبدلت براية الفوضويين : بيع المبادىء للبورجوازية لقاء تنازلات ضئيلة ، وبصورة خاصة لقاء أعمال جيدة الأجر يحصل القادة عليها (في مجالس المدن ، وسوق العمل ، الخ ،) . وان التكتيك هو نفسه على وجه الدقة . فبيان الاتحاد الديموقراطي الاشتراكي ، ومن الواضح أن بروس حرره ، طبعة جديدة من تعميم سونفيليه . وان بروس ليعلم ذلك أيضاً ؛ انه يواصل الهجوم على الماركسية السلطوية بالأكاذيب والافتراءات نفسها ، وهايندمان يقلده ـ ومصادره الرئيسية للاعلام عن الأممية ونشاط ماركس السياسي هي الاستياءات المحلية للمجلس العام : ايكاريوس وجونغ وشركاهما .

وكان من الواجب أن يشكل تحالف الامكانيين والاتحاد الديموقراطي الاشتراكي نواة أممية جديدة تؤسس في باريس : مع الألمان ، اذا جعلوا أنفسهم صالحين ليكونوا العضو الثالث في العصبة ؛ والا فضدهم . ومن هنا كانت المؤتمرات الصغيرة العديدة المتلاحقة ، وهي تزداد عدداً باستمرار ؛ ومن هنا كانت الصلابة التي عامل الحلفاء بها جميع الاتجاهات الفرنسية والانكليزية وكأن لا وجود لها ؛ ومن هنا المكائد ، وعلى الأخص مع تلك الأمم الصغيرة التي كانت سنداً لباكونين أيضاً . بيد أن هذا النشاط أصبح مشؤوما عندما دخل الألمان ، بقرارهم في سان غال(١) ، حركة المؤتمر أيضاً ، بكل سذاجة ـ في جهل مطبق لما يجري في أماكن أخرى . وبما أن هؤلاء الناس الصغار فضلوا أن يعارضوا الألمان بالأحرى من الاتفاق معهم ـ ذلك أن هؤلاء كانوا

---

(١) في ١٨٨٧ في مؤتمر سان غال للاشتراكية الديموقراطية الألمانية صدرت التعليمات الى لجنة الحزب التنفيذية كي تدعو . بالاشتراك مع المنظمات العمالية في البلدان الأخرى ، مؤتمراً أممياً في خريف عام ١٨٨٨ .

يعتبرون وقد تمركسوا جداً ـ فقد أصبح الصراع لا مفر منه . ولا يمكنك أن تتصور سذاجة الألمان . لقد بذلت جهداً هائلاً كي أوضح حتى لبيبل ما كان معنى ذلك كله ، بالرغم من أن الامكانيين كانوا عارفين بالأمر جيداً وكانوا ينادون به يومياً . ومع هذه الأخطاء جميعاً لا أملك الا أملاً ضئيلاً في أن تتحسن الأمور ، وفي أن يظفر بمثل هذه السرعة العقل الأصيل الذي يرتفع بصورة تدريجية الى الوعي الذاتي في هذه القضية . وانه ليسرني جداً البرهان على أن أحداثاً كتلك التي جرت في ١٨٧٣ و ١٨٧٤ لن تتكرر أبداً في الوقت الحاضر . ان المكيدين قد هزموا منذ الآن ، وأهمية المؤتمر ـ سواء أعقبه مؤتمر آخر أو لا ـ تقوم في حقيقة أن إجماع الأحزاب الاشتراكية في أوروبا أُثبت للعالم أجمع ، مع بقاء المتآمرين القلة خارجاً في الصقيع الا اذا خضعوا ...

## ٢٠٩

# إنجلز الى ف . أدلر

**لندن ، في ٤ كانون الأول ١٨٨٩**

عزيزي أدلر

أوصيتك أن تراجع كتاب أفنيل كلوتس(١) للأسباب التالية :

في رأيي (ورأي ماركس) أن الكتاب يتضمن أول تقرير نوعي ومضبوط ، مؤسس على دراسة للمحفوظات ، عن المرحلة الحرجة من الثورة الفرنسية ، يعني من ١٠ آب حتى ٩ ترميدور .

كانت كومونة باريس وكلوتس الى جانب الحرب الدعائية على اعتبارها وسيلة الخلاص الوحيدة ، بينما كانت لجنة السلامة العامة تلعب دور رجل الدولة ، وكانت خائفة من الائتلاف الأوروبي ، وقد حاولت الحصول على السلم بتقسيمها الدول المتحالفة . لقد كان دانتون راغباً في الصلح مع انكلترا ، يعني مع فوكس والمعارضة الانكليزية التي كانت تأمل في الوصول الى السلطة في الانتخابات ؛ ولقد تآمر روبسبيير مع النمسا وبروسيا في بال وحاول أن يتوصل الى التفاهم معهما . ولقد

(١) المقصود كتاب جورج أفنيل : أناكارسيس كلوتس ، خطيب الجنس البشري ، باريس ١٨٦٥ .

تحالفت كلتاهما ضد الكومونة وغرضها قبل كل شيء الاطاحة بالناس الذين يريدون الحرب الدعائية والتحويل الجمهوري لاوروبا . ولقد نجحتا ، فأعدمت الكومونة (هيبرت وكلوتس ، الخ .) . لكن الاتفاق أصبح اعتباراً من ذلك الحين مستحيلاً بين أولئك الذين كانوا يريدون أن يعقدوا الصلح مع انكلترا وحدها وأولئك الذين كانوا يريدون عقده مع الدول الألمانية وحدها . وانتهت الانتخابات الانكليزية في مصلحة بيت ، وأبقي فوكس بعيداً عن الحكم طوال سنوات ، الأمر الذي دمر مركز دانتون ، فانتصر روبسبيير ، وقطع رأسه . ولكن ـ وهذا ما لم يؤكد أفنيل عليه بصورة كافية ـ بينما رفع عهد الارهاب الآن حتى قمة من الجنون لضرورته من أجل إبقاء روبسبيير في السلطة في ظل الشروط الداخلية القائمة ، فقد جعله انتصار فلوروس في ٢٤ حزيران ١٧٩٤ نافلاً كلياً ، وهو الانتصار الذي لم يحرر الحدود فحسب ، بل سلم بلجيكا ، وبصورة غير مباشرة الضفة اليسرى من نهر الراين ، للأراضي الفرنسية . وبذلك بات روبسبيير نافلاً أيضاً فسقط في ٢٤ تموز .

ان الثورة الفرنسية بأكملها تسودها حرب الائتلاف ، وسائر نبضاتها وقف عليها . فاذا تغلغل الجيش الحليف في فرنسا ـ سيادة فعالية العصب المبهم ، وضربات قلب عنيفة ، وأزمة ثورية . واذا هو رد مدحوراً ـ سيطرة العصب الودي ، فتصبح ضربات القلب أبطأ ، وتندفع العناصر الرجعية مرة أخرى الى المقدمة ؛ وان العاميين ، أصول البروليتاريا اللاحقة ، الذين طاقتهم وحدها أنقذت الثورة ، يردون الى الحكمة والنظام .

والمأساة هي أن الحزب المؤيد للحرب à outrance[1] ، الحرب في سبيل تحرر الأمم ، قد برهن على أنه مصيب وأن الجمهورية تغلبت على أوروبا ، ولكن لم تفعل ذلك الا بعد وقت طويل من قطع رأس ذلك الحزب ؛ وعندئذ جاء في موضع الحرب الدعائية صلح بال والعربدة البورجوازية لحكم الادارة .

يجب أن تعاد صياغة الكتاب بأكمله وأن يختصر ـ فالبلاغة يجب أن تحذف ، والوقائع المأخوذة من كتب التاريخ العادية أن تكمّل وتبرز بصورة جريئة . وأنه

(١) القصوى .

ليمكن أن يوضع كلوتس في الخلفية تماماً ، كما يمكن ادراج أهم الأشياء من **أيام الاثنين الثورية**(1) ، وبذلك نستطيع أن نحصل على عمل عن الثورة لم يصدر له مثيل من قبل قط .

ان ايضاحاً للطريقة التي وضعت بها معركة فلوروس نهاية لعهد الارهاب قد أسهم به عام ١٨٤٢ في **المجلة الرينانية** (الأولى) ك . ف . كوبن في نقد ممتاز لكتاب هـ . ليو **تاريخ الثورة الفرنسية** .

أفضل التمنيات لزوجتك ولويز كاوتسكي

المخلص

ف . انجلز

## ٢١٠

## انجلز الى ف . أ . سورج

**لندن ، في ٧ كانون الأول ١٨٨٩**

عزيزي سورج

تلقيت الرسالتين المؤرختين في ٨ و ٢٩ تشرين الأول . شكراً .

لن تنتهي الأمور بمثل هذه الصورة الجيدة . تصفية حزب العمل الاشتراكي . ان لروزنبورغ عدداً كبيراً من الورثة فضلاً عن شوايتز ، ومن المؤكد أن الألمان العقائديين المغرورين هناك لا يرغبون في التنازل عن مركزهم المغتصب كمعلمين للأميركيين «غير الناضجين» . والا كانوا نكرات .

ولقد ثبت ههنا أن أمة كبيرة لا يمكن أن تقوم الوصاية عليها بأسلوب مذهبي وعقائدي بكل بساطة ، حتى اذا كان لدى المرء أفضل النظريات التي تم اعدادها في شروط الحياة الخاصة بتلك الأمة ؛ وحتى اذا كان الأوصياء أفضل نسبياً من حزب العمل الاشتراكي . ان الحركة في الوقت الحاضر هي في طريقها أخيراً ، وبصورة حاسمة فيما أعتقد . بيد أنها ليست اشتراكية مباشرة ، وأولئك من بين الانكليز الذين

---

(1) كتاب جورج أفنيل أيام الأثنين الثورية (Lundis révolutionnaires) ، مجموعة من الدراسات عن الثورة الفرنسية البورجوازية في أواخر القرن الثامن عشر .

فهموا نظريتنا أفضل الفهم باقون خارجها : هايندمان لأنه غيور وكائد بصورة عضالة ، وباكس لأنه دودة كتب . وان الحركة ، صورياً ، هي قبل كل شيء حركة نقابية ، بيد أنها تختلف كل الاختلاف عن حركة النقابات **القديمة** : الشغيلة المهرة والأرستقراطية العمالية .

ان القوم يبذلون الآونة قصارى جهودهم بطريقة مختلفة كلياً ، فهم يجتذبون الى الصراع جماهير أعظم حتى درجة كبيرة ، ويهزون المجتمع بعمق أعظم جداً ، ويطرحون مطالب أبعد مدى حتى قدر عظيم : يوم العمل من ثماني ساعات ، واتحاد عام لجميع المنظمات ، والتضامن التام . وان عمال الغاز واتحاد الشغيلة العام قد أنشآ بواسطة توسي فروعاً نسائية **للمرة الأولى** . وفضلاً عن ذلك فالقوم ينظرون الى مطالبهم الفورية بأنفسهم من حيث هي مطالب مؤقتة **فقط** . بالرغم من أنهم لا يعرفون هم أنفسهم بعد الهدف الأخير الذي يعملون في اتجاهه . بيد أن هذه الفكرة الغامضة تأصلت فيهم بقوة كافية بحيث ينتخبون كقادة لهم الاشتراكيين الصريحين **فقط** . ولا بدّ لهم ، مثلهم مثل الناس جميعاً ، ان يتعلموا بتجاربهم الخاصة ، ومن أخطائهم الخاصة . لكن بما أنهم يستقبلون ، خلافاً للنقابات القديمة ، بضحكة ساخرة كل اقتراح ينص على هوية المصالح بين الرأسمال والعمل ، فان ذلك لن يستغرق وقتاً طويلاً ...

ان ابعث الأشياء على النفور هنا «المحترمية» البورجوازية التي تغلغلت عميقاً في عظام العمال . ان انقسام المجتمع الى شرائح لا حصر لها ، وكل شريحة معترف بها دون مناقشة ، ولكل شريحة كبرياؤها الخاصة ، لكن احترامها الفطري كذلك «للأفضل» منها و«المتفوقين» عليها ، انقسام قديم جداً وراسخ جداً بحيث لا يبرح البورجوازيون يجدون أن طعمهم مقبول بسهولة . ومثال ذلك أني لست على يقين تام من أن جون بورنز ليس في قرارة نفسه أشد اعتزازاً بشعبيته لدى الكاردينال مانتغ واللورد مايور والبورجوازية على العموم منه بشعبيته لدى طبقته الخاصة . وان شامبيون ـ وهو ملازم سابق ـ قد تآمر قبل سنوات مع العناصر البورجوازية ، وبالخاصة المحافظة ، وبشر بالاشتراكية في المؤتمر الكنسي للقساوسة ، الخ . بل ان توم مان نفسه ، الذي اعتبره أفضلهم جميعاً ، مغرم بذكر أنه سوف يتعشى مع اللورد

مايور . واذا قارن المرء هذا مع الفرنسيين أدرك ما فائدة الثورة على أي حال ...

## ٢١١

## انجلز الى غ . ترير

### لندن ، في ١٨ كانون الأول ١٨٨٩

عزيزي الهر ترير

أشكرك جزيل الشكر لاتصالك الهام في الثامن منه .

اذا كان لا بدّ لي أن أقول لك رأيي في الانجاز الكبير الأخير لدولة كوبنهاغن (١) الذي وقعت ضحية له ، فسوف أبدأ بنقطة لا اتفق معك فيها .

أنت ترفض مبدئياً أي تعاون كان ، حتى التعاون العابر جداً ، مع الأحزاب الأخرى . وأنا ثوري بما فيه الكفاية بحيث لا أسمح حتى لمثل هذه الوسيلة بأن تحظر علي بصورة مطلقة حين تكون في بعض الظروف الطريقة الأكثر فائدة أو على الأقل الأقل ضرراً .

إننا نوافق على ما يلي : أن البروليتاريا لا تستطيع الاستيلاء على السيطرة السياسية ، الباب الوحيد الى مجتمع جديد ، دون ثورة عنيفة . وكي تكون البروليتاريا على قدر كاف من القوة كي تنتصر في اليوم الحاسم يجب عليها ـ وهذا ما نادينا به ماركس وأنا منذ عام ١٨٤٧ ـ أن تشكل حزباً منفصلاً متميزاً من جميع الأحزاب الأخرى ومعارضاً لها ، حزباً طبقياً واعياً .

بيد أن هذا لا يعني أن هذا الحزب لا يستطيع في بعض الأوقات أن يستخدم الأحزاب الأخرى لأغراضه . كذلك لا يعني هذا أنه لا يستطيع أن يؤيد أحزاباً أخرى لآماد قصيرة في توفير التدابير التي اما أن تكون مفيدة للبروليتاريا بصورة مباشرة أو تمثل تقدماً على طريق النمو الاقتصادي أو الحرية السياسية . أن كل من يشن نضالاً فعلياً في ألمانيا في سبيل إلغاء حق البكورة وغير ذلك من البقايا الاقطاعية ، والبيروقراطية ، وتعرفات الحماية ، والقانون المناهض للاشتراكية ، وتقييد

---

(١) إشارة الى أن القيادة الانتهازية للحزب الاشتراكي الدانمركي طردت من لجنتها التنفيذية ومن الحزب عضوين يساريين (أحدهما ترير نفسه) لمعارضتهما أية كتلة مع الحزب البورجوازي اليساري الدانمركي venstre .

حق التجمع وتشكيل المنظمات ، سوف يحصل على تأييدي . ولو أن حزبنا الألماني التقدمي أو حزبكم الدانمركي **Venstre** كانا حزبين راديكاليين بورجوازيين فعليين ولم يكونا يتشكلان بكل بساطة من مدعين بائسين يولون الأدبار الى الأدغال لأول تهديد من جانب بسمارك أو إيستروب ، فاني ما كنت في حال من الأحوال أعارض **بصورة مطلقة** أي تعاون مؤقت معهما لأغراض محددة . فحين يقترع نوابنا الى جانب اقتراح قدم من قبل الطرف الآخر ـ وهذا ما فعلوه كثيراً ـ فان هذا تعاون معلل . بيد أني لا أؤيد ذلك الا اذا كانت الفائدة بالنسبة الينا مباشرة أو اذا كان التطور التاريخي للبلاد في اتجاه الثورة الاقتصادية والسياسية أمر لا جدال فيه ويستحق ذلك ، وبشرط الا يتعرض طابع الحزب الطبقي البروليتاري للخطر من جراء ذلك . وهذا هو الحد المطلق بالنسبة الي . ولسوف تجد ان هذه السياسة طرحت بصورة باكرة منذ **١٨٤٧** في **البيان الشيوعي** ؛ وقد انتهجناها في ١٨٤٨ ، في الأممية ، في كل مكان ...

# ١٨٩٠

## ٢١٢

## انجلز إلى ب . إرنست

**لندن ، في ٥ حزيران ١٨٩٠**

... فيما يتعلق بمحاولتك معالجة الأمر مادياً يجب أن أقول في المحل الأول إن الطريقة المادية تنقلب إلى نقيضها إذا لم تؤخذ من حيث هي مبدأ المرء المرشد في البحث التاريخي بل من حيث هي نموذج جاهز يصوغ المرء وفقاً له حقائق التاريخ بحيث تكون مناسبة له . وإذا كان الهر باهر يعتقد أنه ضبطك ترتكب مثل هذه الخطيئة ، فيخيل إلي أنه ليس على خطأ تام .

لقد وضعت النروج بأكملها وكل ما يجري فيها في مقولة واحدة ، : البورجوازية الصغيرة(١) ، ومن بعد نسبت دونما تردد إلى هذه البورجوازية الصغيرة النروجية الصفات التي تميز في رأيك البورجوازية الصغيرة **الألمانية** . بيد أن حقيقتين تعترضان السبيل هنا .

أولاً : حين اتخذ النصر على نابليون ، في أوروبا بأجمعها ، صورة انتصار الرجعية على الثورة ، وكانت الثورة توحي بعد في مهدها ، فرنسا ، بقدر كافٍ من القوة بحيث تنتزع دستوراً بورجوازياً ليبرالياً من الحكم الملكي العائد ، وجدت النروج الفرصة كي تكسب معركتها في سبيل دستور هو أكثر ديموقراطية حتى درجة كبيرة من أي دستور آخر في أوروبا المعاصرة .

ثانياً : لقد اختبرت النروج خلال السنوات العشرين الأخيرة انطلاقة أدبية ليس ما يوازيها خلال هذه المرحلة في أي بلد آخر باستثناء روسيا . وسواء أكان هؤلاء

---

(١) Spiessbürgertum

الناس بورجوازيين صغاراً أم غير ذلك ، فقد صنعوا أكثر مما صنعه الآخرون وتركوا طابعهم أيضاً في الآداب الأخرى ، وليس الأدب الألماني بآخر هذه الآداب .

وإن هذه الحقائق لتلزمنا ، في رأيي ، بأن نستقصي حتى درجة ما الخصائص النوعية للبورجوازية الصغيرة النروجية .

وإنه لمن الأرجح أنك سوف تجد هنا أن ثمة فارقاً جوهرياً تماماً . إن البورجوازية الصغيرة الألمانية حصيلة ثورة فاشلة ، حصيلة تطور اوقف وقمع . إن الصفات فائقة البروز المميزة لها ـ الجبن وضيق التفكير والضعف والعجز عن اتخاذ أدنى مبادرة ـ هي نتيجة لحرب الثلاثين عاماً والمرحلة التالية لها ، وهي بالضبط مرحلة الصعود السريع لجميع الشعوب الأخرى على وجه التقريب . وكان هذا الطابع عالقاً بها بعد حين انجرفت ألمانيا مرة أخرى في الحركة التاريخية ، وكانت على قدر كاف من العِناد كي تدمغ بطابعها جميع الطبقات الأخرى في المجتمع الألماني بطابعها الأكثر أو الأقل عمقاً من حيث هي الخط الألماني العام حتى حطمت أخيراً طبقتنا العاملة هذه الحدود الضيقة . وأما أن شغيلتنا «لا يملكون وطناً» فهذا ما يثبته بصورة أكمل طرحهم ضيق التفكير البورجوازي الصغير الألماني طرحاً تاماً .

وبالتالي فليست البورجوازية الصغيرة الألمانية طوراً تاريخياً طبيعياً بل صورة كاريكاتورية مسيخة ، نموذجاً للانحلال ، بالضبط كما أن اليهودي البولوني صورة كاريكاتورية لليهودي عامة . إن البورجوازيين الصغار الانكليز والفرنسيين ، الخ ليسوا في حال من الأحوال على مثل مستوى البورجوازيين الصغار الألمان .

والأمر على النقيض من ذلك في النروج حيث شكلت طبقة الفلاحين الصغار والبورجوازية الصغيرة مع خليط زهيد من البورجوازية المتوسطة ـ كما كانت الحال في انكلترا وفرنسا في القرن السابع عشر مثلاً ـ الوضع الطبيعي للمجتمع خلال عدة قرون . وليس لدينا ههنا في حال من الأحوال عودة الزامية إلى ماضٍ بال من جراء حركة كبيرة فاشلة وحرب ثلاثين عاماً . صحيح أن البلاد كانت متخلفة من جراء عزلتها وشروطها الطبيعية ، لكنها كانت في وضع يقابل تماماً شروطها الانتاجية ، فهو وضع طبيعي إذن . ومؤخراً فقط تسرب نذر يسير من الصناعة الحديثة بصورة متفرقة إلى البلد ، بيد أنه لا يوجد ههنا مكان للبورصة التى هى الرافعة الأقوى لمركزة رأس

المال ؛ وفضلاً عن ذلك فإن التوسع الهائل للبحرية التجارية بالضبط يمارس تأثيراً محافظاً . ذلك أن النروج ، فيما القوة البخارية تضع في كل مكان المراكب الشراعية خارج الاستعمال ، تزيد اسطولها البحري الشراعي بصورة جبارة وهي إذا لم تكن تملك أكبر اسطول شراعي في العالم ، فمن المؤكد أنها تملك ثاني أكبر اسطول من هذا النوع ، وهو في معظمه ملك أصحاب السفن الصغار والمتوسطين ، كما كانت الحال في انكلترا حوالي عام ١٧٢٠ . ومهما يكن من شيء ، فإن هذا الأمر قد بعث شيئاً من الحركة في هذه الأوضاع الراكدة القديمة بحيث تجد هذه الحركة تعبيراً عنها كذلك في الانبعاث الأدبي .

ولم يكن الفلاح النروجي قناً قط ، الأمر الذي يوفر خلفية مختلفة كل الاختلاف للتطور بمجموعه ، كما هي الحال في قشتالة . إن البورجوازي الصغير النروجي ابن فلاح حر ، وهو في ظل هذه الظروف رجل حقيقي بالمقارنة مع البورجوازي الصغير الألماني المتدني . كذلك فإن المرأة النروجية من الطبقة المتوسطة الدنيا تقف عالياً جداً فوق زوجة البورجوازي الصغير الألماني . وكائنة ما كانت عيوب تمثيليات ابيسن على سبيل المثال ، فهي تعكس عالماً هو ، بالرغم من كونه عالم البورجوازية الصغيرة والمتوسطة ، مختلف بصورة لا متناهية عن العالم الألماني ، عالماً لا يبرح الناس فيه يملكون قوة الخلق وروح المبادرة ويتصرفون بصورة مستقلة ، وإن يكن تصرفهم يبدو غريباً بالأحرى في الغالب في نظر الغرباء . وإني لأفضل أن أقوم بدراسة جامعة لمثل هذه الأمور قبل أن أدينها ...

## ٢١٣

## أنجلز إلى ك . شميدت

**لندن ، في ٥ آب ١٨٩٠**

... شاهدت عرضاً لكتاب بول بارث(١) بقلم ذلك الطير نذير الشؤم موريتز ويرث في المجلة الفييناوية **Deutsche Worte** ، وقد ترك هذا النقد في ذهني انطباعاً سيئاً عن الكتاب نفسه أيضاً . لسوف ألقي عليه نظرة ، لكن لا بدّ لي من القول إنه إذا كان

(١) بول بارث ، **فلسفة التاريخ عند هيغل والهيغليين حتى ماركس وهارتمان** .

«موريتز الصغير» على صواب حين يورد بأمانة الفقرة حيث يزعم بارث أنه لم يستطع أن يعثر في جميع أعمال ماركس سوى على مثال واحد عن تبعية الفلسفة لشروط الوجود المادية ، ألا وهو حيث يعلن ديكارت أن الحيوانات آلات ، فإني أرثي إذن للرجل الذي يستطيع أن يكتب مثل هذه الأشياء . وإذا كان هذا الرجل لم يستطع بعد أن يكتشف أنه إذا كانت شروط الوجود المادية هي[1] **primum agens** فهذا لا يمنع المجالات الايديولوجية من التأثير فيها بدورها ، وإن يكن تأثيراً ثانوياً ، فمن المؤكد أنه لم يفهم الموضوع الذي يعالجه . ومهما يكن من شيء ، فاني أكرر أن هذه الأشياء جميعاً متداولة ، وموريتز الصغير صديق خطر . إن للتصور المادي للتاريخ عدداً كبيراً من مثل هؤلاء الأصدقاء في هذه الأيام ، وهو يخدمهم كذريعة **لعدم** دراسة التاريخ . وكما كان ماركس يقول بشأن «الماركسيين» الفرنسيين في أواخر السبعينات : «كل ما أعرفه هو أنني لست ماركسياً» .

ولقد قامت مناقشة كذلك في **Volkstribune** عن توزيع المنتجات في المجتمع المقبل ، ما إذا كان هذا التوزيع سيجرى وفقاً لمقدار العمل المقدم أو بطريقة أخرى . ولقد نوقشت المسألة «بصورة مادية» جداً في تعارض مع اللغو الايديولوجي الشهير عن العدالة . بيد أنه من الغريب بما فيه الكفاية أن أحداً لم تستوقفه حقيقة أن طريقة التوزيع تتوقف أساساً ، آخر الأمر ، على كمية المنتجات المتوفرة للتوزيع ، وأن هذه الكمية لا بدَّ بالتأكيد أن تتغير مع تقدم الانتاج والتنظيم الاجتماعي ، بحيث تتغير طريقة التوزيع هي الأخرى . لكن جميع المشتركين في المناقشة ، بدلاً من أن ينظروا إلى «المجتمع الاشتراكي» من حيث هو شيء يتعرض لتغير وتقدم متصلين ، قد نظروا إليه من حيث هو شيء ثابت ومقرر بصورة نهائية ، وبالتالي فلا بدّ أن تكون له طريقة للتوزيع ثابتة بصورة نهائية . ومهما يكن من شيء ، فإن كل ما يستطيع المرء أن يفعله بصورة عاقلة هو ١ ـ أن يحاول اكتشاف طريقة التوزيع الواجب استخدامها في **البداية** ، و٢ ـ أن يحاول العثور على **الاتجاه العام** للتطور اللاحق . لكنني لم أجد في هذا الشأن كلمة واحدة في المساجلة برمتها .

---

(١) العامل الأولي ، السبب الأول .

وعلى العموم ، فإن كلمة «مادية» تخدم العديدين من الكتاب المحدثين في ألمانيا من حيث هي مجرد عبارة يمكن أن تكون لصاقة لجميع الأشياء دونما مزيد من الدراسة ، يعني أنهم يعتقدون أنه يكفي وضع هذه اللصاقة لحسم الأمر . بيد أن تصورنا للتاريخ هو قبل كل شيء دليل للدراسة وليس هو رافعة للبناء على طريقة التصور الهيغلي . إن التاريخ بأسره يجب أن يدرس من جديد ، وشروط الوجود الخاصة بالتشكيلات الاجتماعية المختلفة يجب أن تستقصى بصورة مفصلة قبل أن تبذل المحاولة الهادفة لأن تستخلص منها الآراء السياسية والفقهية والجمالية والفلسفية والدينية وغيرها المقابلة لها . وحتى الآن لم يصنع إلا القليل في هذا المضمار لأنه لم ينصرف إليه بصورة جدية إلا أفراد قلائل . وإنه لفي مقدورنا في هذا الحقل أن نستخدم أكواماً من المعونة ، فهو فسيح بصورة هائلة ، وكل من يريد أن يعمل بصورة جادة يستطيع أن يحقق الكثير وأن يشتهر . لكن العدد العديد من الألمان الشبان ، بدلاً من ذلك ، يستخدمون اللغو الفارغ عن المادية التاريخية (**والأشياء جميعاً** يمكن أن تحول إلى لغو) بغرض وحيد هو أن يصنعوا من معارفهم التاريخية الهزيلة نسبياً ـ ذلك أن التاريخ الاقتصادي لا يبرح في القماط !ـ نظاماً محكماً بأسرع وقت ممكن ، ومن بعد يعتبرون أنفسهم مفكرين جبابرة .

وإن هذه اللحظة بالذات هي التي اختارها شخص مثل بارث كي ينقض على هذا الشيء الذي انحط في الحقيقة في وسطه الخاص إلى لغو أجوف .

ومهما يكن من أمر ، فإن هذا كله سوف يتقوم.إننا اليوم على قدر كاف من القوة في ألمانيا كي نتحمل الكثير . وإن إحدى الخدمات الجلى التي أداها القانون المناهض للاشتراكية هو تحريرنا من تطفل المثقف الألماني الذي أصابته مسحة من الاشتراكية . وإننا لعلى قدر كاف من القوة أيضاً اليوم كي نهضم هذا المثقف الألماني الذي يتبجح من جديد . وأنت الذي فعلت شيئاً في الحقيقة لا بدّ أنك لاحظت بنفسك قلة أولئك الأدباء الشباب الذين ارتبطوا بالحزب والذين يكلفون أنفسهم عناء دراسة الاقتصاد ، والتاريخ الاقتصادي ، وتاريخ التجارة ، والصناعة ، والزراعة ، والتشكيلات الاجتماعية . وقلة أولئك الذين يعرفون مورر إلا من اسمه ! إن غرور الصحفي يجب أن يحل جميع المصاعب هنا ، والنتيجة تقابل ذلك ! وما أكثر ما يبدو كما لو أن هؤلاء

السادة يحسبون أن أي شيء يصلح من أجل العمال . لو أن هؤلاء السادة يعلمون فقط أن ماركس كان يعتقد أن أفضل أعماله لا تبرح دون ما يحتاجه العمال ، وكيف كان يرى بمثابة الإثم أن يقدم إلى العمال أي شيء لا يبلغ مرتبة الكمال !...

## ٢١٤

## أنجلز إلى ج . بلوخ

**لندن ، في ٢١ ـ ٢٢ ايلول ١٨٩٠**

... وفقاً للتصور المادي عن التاريخ ، فإن العامل المقرر في التاريخ هو ، آخر الأمر ، إنتاج الحياة الفعلية وتكاثرها . ولم يؤكد ماركس أو أنا أكثر من ذلك قط . ولذا فإذا شوه بعضهم هذا الموقف بحيث يقول إن العامل الاقتصادي هو العامل المقرر **الوحيد** فإنه يحول تلك الموضوعة إلى عبارة مجردة ، فارغة ، لا معنى لها . إن الوضع الاقتصادي هو الأساس ، لكن العناصر المختلفة للبنية الفوقية ـ الأشكال السياسية للصراع الطبقي ونتائجه ، ومثالها : الدساتير المطبقة من قبل الطبقة الظافرة بعد معركة ناجحة ، الخ .، والأشكال القانونية ، وحتى انعكاسات جميع هذه الصراعات الفعلية في أدمغة المشاركين ، والنظريات السياسية والحقوقية والفلسفية ، والآراء الدينية وتطورها اللاحق إلى أنظمة عقائدية ـ تمارس كذلك تأثيرها في مجرى الصراعات التاريخية وفي كثير من الأحوال تحدد **شكلها** بصورة متفوقة . إن هناك تفاعلاً بين سائر هذه العوامل التي تنتهي الحركة الاقتصادية إلى شق طريق لها فيها على اعتبارها ضرورية ، وذلك في ملء العدد اللا متناهي من المصادفات (يعني الأشياء والأحداث التي يكون ترابطها الباطن بعيداً جداً ومحالاً على الاثبات بحيث نستطيع أن نعتبره غائباً وأن نهمله) . وإلا فإن تطبيق النظرية على أية مرحلة من التاريخ سوف يكون أسهل من حل معادلة بسيطة من الدرجة الأولى .

إننا نصنع تاريخنا بأنفسنا ، لكننا نصنعه في المحل الأول في ظل مقدمات وشروط محددة جداً . ومن بين هذه المقدمات والشروط تكون الاقتصادية منها حاسمة . بيد أن الشروط والمقدمات ، السياسية الخ ، بله الأعراف التي تراود الأذهان البشرية ، تلعب دوراً هي الأخرى ، وإن لم يكن الدور الحاسم . إن الدولة البروسية نشأت

وتطورت أيضاً انطلاقاً من أسباب تاريخية هي أسباب اقتصادية في آخر الأمر . بيد أنه يكون من الصعب التأكيد دون حذلقة أنه من بين الدول الصغيرة العديدة في ألمانيا الشمالية فأن براندنبورغ بالذات هي التي عينتها الضرورة الاقتصادية ، من دون أية عوامل أخرى أيضاً (وقبل كل شيء حقيقة انخراطها في الشؤون البولونية بفضل ملكية بروسيا ، وبالتالي في العلاقات السياسية الدولية الحاسمة أيضاً في تكوين الدولة السلالية النمسوية) ، كي تصبح القوة الكبرى حيث تجسد الفارق الاقتصادي ، واللغوي ، وبعد الاصلاح الفارق الديني أيضاً بين الشمال والجنوب وإنه ليكون من الصعب على المرء ، دون أن يجعل من نفسه موضع السخرية ، أن يفسر اقتصادياً وجود كل دولة صغيرة في ألمانيا ، في الماضي والحاضر ، أو أصل تباديل الحروف الساكنة في اللغة الألمانية العالية التي وسعت الخط الفاصل الجغرافي المشكل من الجبال من سلسلة الجبال الجنوبية حتى تاونوس لتشكل شقاً نظامياً يجتاز ألمانيا بأسرها .

وفي المحل الثاني ، فإن التاريخ مصنوع على أي حال بحيث أن النتيجة النهائية تنشأ دائماً من النزاعات بين إرادات فردية عديدة جُعلت كل منها بدورها ما هي عليه بفعل جمهرة من الشروط الحياتية الخصوصية . وهكذا فإن ثمة عدداً لا يحصى من القوى المتقاطعة ، مجموعة لا نهاية لها من متوازيات أضلاع القوى تؤدي إلى حصيلة واحدة ـ الحدث التاريخي الذي يمكن أن ينظر إليه ، بدوره ، على اعتباره نتاج قوة تعمل من حيث هي كل واحد **بصورة لا شعورية** ودون خيار . ذلك أن كل إرادة مفردة تعارضها كل إرادة أخرى ، فإذا ما ينبثق شيء لم يكن أحد راغباً فيه . هكذا جرى التاريخ حتى الوقت الحاضر على طريقة عملية طبيعية وهو جوهرياً خاضع لقوانين الحركة نفسها . لكنه من جراء كون إرادات الأفراد ـ وكل واحد منهم يرغب فيما تستحثه إليه بنيته البدنية والظروف الخارجية التي هي ظروف اقتصادية في آخر الأمر (إما ظروفه الشخصية الخاصة وإما ظروف المجتمع عامة) ـ لا تبلغ ما تريده ، بل هي تنصهر في متوسط عام ، في حصيلة مشتركة ، فلا يجوز الاستنتاج بأنها مساوية للصفر . إن الأمر على النقيض من ذلك ، فكل منها تسهم في الحصيلة وهي ضمن هذه الحدود متضمنة فيها .

ولذا فإني سأطلب منك أن تدرس هذه النظرية في مصادرها الأصلية وليس بالواسطة ؛ إن ذلك لأسهل حتى درجة كبيرة ، فماركس لم يكتب شيئاً على وجه التقريب إلا وهي تلعب دوراً فيه . لكن **انقلاب لويس بونابرت في ١٨ برومير** يشكل بصورة خاصة مثالاً ممتازاً على تطبيقها . وإن في **رأس المال** تنويهات عديدة إليها أيضاً . ومن بعد ، فهل أستطيع أن أوجه انتباهك إلى كتاباتي : **ثورة الهر أوجين دوهرنغ في العلوم** و **لودفيغ فيورباخ ونهاية الفلسفة الكلاسيكية الألمانية** ، حيث أعطيت تقريراً عن المادية التاريخية هو في حدود معرفتي التقرير الأكثر تفصيلاً .

وإننا ، ماركس وأنا ، ملومان حتى درجة ما لأن الشباب يشددون أحياناً على الجانب الاقتصادي أكثر مما يجب . فلم يكن لنا بدّ من التشديد على المبدأ الرئيسي حيال خصومنا الذين أنكروه ، ولم يتوفر لنا دائماً الوقت أو المكان أو الفرصة كي نعطي العناصر الأخرى المشتركة في التفاعل حقها . لكنه حالما كان الأمر يتعلق بتقديم شريحة من التاريخ ، يعني بتطبيق عملي ، فقد كان الأمر يختلف،ولم تكن أدنى خطيئة يسمح بها . وعلى أي حال ، فانه لمن سوء الحظ أنه يحدث في كثير من الأحيان أن يحسب الناس أنهم فهموا كلياً النظرية الجديدة وأنهم يستطيعون تطبيقها دون مزيد من الضجيج حالما يتمثلون مبادئها الرئيسية ، وحتى هذه المبادىء بصورة غير صحيحة دائماً . ولا أستطيع أن أستثني من هذا اليوم الكثيرين من «الماركسيين» المحدثين ، ولا بدّ من القول بأن أشياء غريبة صنعت في هذا المجال أيضاً ...

## ٢١٥

## أنجلز إلى ك . شميدت

### لندن ، في ٢٧ تشرين الأول ١٨٩٠

عزيزي شميدت

أنتهز اللحظات الحرة الأولى كي أرد عليك . أعتقد أنك تحسن صنعاً إذا قبلت المنصب في **Züricher Post** ، إذ في مقدورك دائماً أن تتعلم فيها قدراً كبيراً عن الاقتصاد ، وبالخاصة إذا وضعت نصب عينيك أن زوريخ ليست آخر الأمر سوى سوق مالية وسوق للمضاربة من الدرجة الثالثة ، بحيث أن الانطباعات التي تترك

أثرها في المرء هناك يضعفها بل يشوهها بصورة شعورية انعكاس مثنى أو مثلث. بيد أنك سوف تحصل على معرفة عملية بالآلية وتضطر إلى متابعة مجرى البورصة في لندن ونيويورك وباريس وبرلين وفيينا مباشرة ، وبذلك تنكشف لك السوق العالمية في انعكاسها من حيث هي سوق مالية وبورصية . إن الانعكاسات الاقتصادية والسياسية وغيرها هي بالضبط مثل تلك الانعكاسات فى العين البشرية : إنها تمر من خلال عدسات محدبة وبذلك تبدو مقلوبة رأساً على عقب واقفة على رأسها ، والفارق الوحيد هو أنه لا وجود لذلك الجهاز العصبي الذي سوف يضعها على أقدامها من جديد ليقدمها إلينا . إن رجل السوق المالية لا يرى حركة الصناعة والسوق العالمية إلا في الانعكاس المقلوب للسوق المالية وسوق البورصة ، وعندئذ تصبح النتيجة سبباً بالنسبة إليه . ولقد لاحظت ذلك من قبل في الأربعينات في مانشستر : كانت تقارير بورصة لندن عديمة الجدوى تماماً من أجل فهم مجرى الصناعة ونهاياته العليا والدنيا الدورية لأن هؤلاء القوم حاولوا أن يفسروا الأشياء جميعاً بواسطة الأزمات في السوق المالية ، وهي الأزمات التي لم تكن طبعاً في حد ذاتها على العموم إلا مجرد أعراض ليس غير . وفي ذلك الحين كان المطلوب البرهان على أن فرط الانتاج المؤقت لا علاقة له بالأزمات الصناعية ، بحيث كان للأمر فضلاً عن ذلك جانبه المتميز ، الباعث على التزوير . ولقد زال هذا العنصر في الوقت الحاضر ـ بالنسبة إلينا ، على أي حال ، بصورة نهائية ـ وفضلاً عن ذلك فإنها لحقيقة في واقع الأمر أنه يمكن أن يكون للسوق المالية أيضاً أزماتها الخاصة حيث لا تلعب الاضطرابات المباشرة في الصناعة إلا دوراً ثانوياً أو لا تلعب أي دور على الاطلاق . ولا يزال في هذا المجال الشيء الكثير الواجب تقريره ودراسته ، وبالخاصة فيما يتعلق بتاريخ السنوات العشرين الأخيرة .

وحيث يكون تقسيم للعمل على نطاق اجتماعي تصبح عمليات العمل المنفصلة مستقلة عن بعضها بعضاً . وإن الانتاج هو العامل الحاسم في آخر تحصيل . لكنه حالما تصبح التجارة بالمنتجات مستقلة عن الانتاج بالخاصة يترتب على ذلك حركة خاصة بها تتبع بعد ، بينما هي خاضعة من حيث هي كل واحد لحركة الانتاج ، قوانين خاصة بها تشتق من طبيعة هذا العامل الجديد ، وذلك في تفاصيلها وضمن تلك التبعية العامة ؛ وإن لهذه الحركة أطواراً خاصة بها ، وهي تؤثر بدورها في حركة

الانتاج . لقد كان اكتشاف أميركا مسبباً عن الظمأ إلى الذهب الذي ساق البرتغاليين من قبل إلى إفريقيا (انظر سويتبير : **انتاج المعادن الثمينة**) ، وذلك لأن الصناعة الأوروبية المتوسعة حتى درجة هائلة في القرنين الرابع عشر والخامس عشر والتجارة المقابلة لها كانتا تتطلبان من وسائط المبادلة أكثر مما تستطيع أن توفره ألمانيا التي كانت البلد الكبير المنتج للفضة (المعدن) من ١٤٥٠ حتى ١٥٥٠ . وكان غزو الهند من قبل البرتغاليين والهولنديين والانكليز بين ١٥٠٠ و ١٨٠٠ يستهدف **الاستيراد** من الهند ـ ولم يحلم امرؤ بتصدير أي شيء إليها . ومع ذلك فقد كان لهذه الاكتشافات والفتوحات ، الناجمة عن المصالح التجارية وحدها ، رد فعل عملاق على الصناعة : ان الحاجة إلى **التصدير** إلى هذه البلدان هي وحدها التي خلقت وطورت الصناعة الكبيرة الحديثة .

وتلك هي الحال كذلك بالنسبة إلى السوق المالية . فما كادت التجارة بالمال تنفصل عن التجارة بالبضائع حتى حصلت ـ تحت بعض الشروط التي فرضها الانتاج والتجارة بالبضائع وضمن هذه الحدود ـ على تطور خاص بها ، وقوانين خاصة قررتها طبيعتها بالذات ، وكانت لها أطوار منفصلة . وإذا أضفنا إلى ذلك أن تجارة النقد ، وقد تطورت قدماً ، انتهت إلى الاشتمال على التجارة بالسندات المالية وأن هذه السندات المالية ليست مجرد أوراق حكومية بل أسهم صناعية ونقلية أيضاً ، بحيث أن التجارة النقدية تكتسب إشرافاً مباشراً على جزء من الانتاج (الذي يسيطر عليها إجمالاً) ، فإن ارتكاس التجارة النقدية على الانتاج يصبح إذن أقوى وأعقد . إن المتاجرين بالمال هم أصحاب الخطوط الحديدية ، والمناجم ، ومعامل الحديد ، الخ . وإن وسائل الانتاج هذه تتخذ مظهراً مزدوجاً : فلا بدّ أحياناً من توجيه عملها في مصالح الانتاج المباشر أحياناً ووفقاً لمتطلبات المساهمين أحياناً أخرى ، وذلك بقدر ما هم مصرفيون. وإن أبرز مثال على ذلك تقدمه الخطوط الحديدية في أميركا الشمالية التي يتوقف عملها كلياً على عمليات البورصة اليومية التي يقوم بها أمثال جيي غولد أو فاندر لبلت ، الخ ، الذين ليست لهم علاقة على الاطلاق بالخطوط الحديدية بالخاصة وبمصالحها من حيث هي واسطة مواصلات . وحتى هنا في انكلترا شاهدنا نزاعات استمرت عقوداً بين شركات الخطوط الحديدية المختلفة بخصوص حدود

الأراضي الخاصة بكل منها على حدة ـ وهي نزاعات أهدرت عليها مبالغ طائلة من المال ليس في مصلحة الانتاج والمواصلات بل لمجرد خصومة غرضها الوحيد عادة تسهيل الصفقات المالية للمساهمين المصرفيين .

بهذه الاشارات القليلة إلى تصوري للعلاقة بين الانتاج والتجارة السلعية ولعلاقتهما معاً بالتجارة النقدية أكون قد أجبت ، بصورة جوهرية ، عن أسئلتك بخصوص «المادية التاريخية» عموماً . وإن الأمر لأسهل على الادراك من وجهة تقسيم العمل . إن المجتمع يخلق بعض الوظائف العامة التي لا يستطيع استغناء عنها . وإن الأشخاص المعينين لهذه الغاية يشكلون فرعاً جديداً من تقسيم العمل **ضمن المجتمع** . وإن هذا ليعطيهم مصالح خصوصية متميزة أيضاً من مصالح أولئك الذين منحوهم السلطة ؛ وإنهم ليجعلون أنفسهم مستقلين عن هؤلاء ـ تتشكل الدولة . ومن بعد تسير الأمور بطريقة مماثلة لمجراها في التجارة السلعية وفي التجارة المالية لاحقاً : إن السلطة الجديدة المستقلة ، وهي ملزمة بصورة رئيسية باتباع حركة الانتاج . ترتكس بدورها ، من جراء استقلالها النسبي الخاص ـ يعني الاستقلال النسبي الذي مُنح لها من قبل والذي يواصل تطوره قدماً بصورة تدريجية ـ على شروط الانتاج ومجراه . ويحدث تفاعل متبادل بين قوتين متفاوتتين : فمن جهة واحدة الحركة الاقتصادية ، ومن جهة ثانية السلطة السياسية الجديدة التي تسعى إلى أكبر قدر ممكن من الاستقلال والتي تكتسب ، وقد أنشئت مرة ، حركة خاصة بها . وعلى العموم فإن الحركة الاقتصادية تفرض نفسها ، لكنه لا بدّ لها كذلك أن تتحمل ردود الفعل من جانب الحركة السياسية التي أقامتها هي نفسها والتي تتمتع باستقلال ، ردود فعل سلطة الدولة من جهة واحدة ، وحركة المعارضة التي تشكلت بصورة متواقتة من جهة ثانية . وكما أن حركة السوق الصناعية تنعكس ، في خطوطها الرئيسية ومع التحفظات المشار إليها أعلاه ، في السوق المالية ، وبشكل **مقلوب** طبعاً ، كذلك ينعكس الصراع بين الطبقات الموجودة من قبل والمتحاربة في الصراع بين الحكومة والمعارضة ، لكن في شكل مقلوب كذلك ، لا بصورة مباشرة بعد الآن بل بصورة غير مباشرة ، ليس من حيث هو صراع طبقي بل من حيث هو قتال في سبيل المبادىء السياسية ، وبصورة مشوهة جداً بحيث تطلب منا فهمه آلاف السنين .

إن ارتكاس سلطة الدولة على التطور الاقتصادي يمكن أن يكون من ثلاثة أنواع : فقد يسير في الاتجاه نفسه ، وعندئذ يكون التطور أسرع ؛ وقد يعارض خط التطور ، وفي هذه الحال يذهب في هذه الأيام هباء منثوراً مع مرور الوقت عند كل شعب كبير ؛ أو أنه يمنع التطور الاقتصادي من الانطلاق على خطوط معينة ويصف له خطوطاً أخرى . وإن هذه الحال لترتد أخيراً إلى إحدى الحالتين السابقتين . بيد أنه من الجلي أن السلطة السياسية تستطيع في الحالتين الأولى والثانية أن تلحق ضرراً كبيراً بالتطور الاقتصادي وتتسبب في تبذير هائل للطاقة والمواد .

ومن بعد فإن هناك حالة الاستيلاء على الموارد الاقتصادية وتدميرها العنيف ، وهي الحالة التي يمكن أن يترتب عليها في بعض الظروف خراب تطور اقتصادي محلي أو وطني بكامله . وإن لمثل هذه الحالة في الأيام الراهنة النتيجة المضادة عادة ، على الأقل لدى الشعوب الكبيرة : فمع مرور الزمن يكسب المغلوب في أغلب الأحيان ، اقتصادياً وسياسياً ومعنوياً ، أكثر مما يكسب الغالب .

وتلك هي الحال بالنسبة إلى الحق . فحالما يصبح تقسيم العمل الجديد الذي يخلق المحامين المحترفين ضرورياً يُفتتح مجال آخر جديد ومستقل يملك هو الآخر ، بالرغم من كل تبعيته العامة للانتاج والتجارة ، قدرته النوعية على الارتكاس على هذه المجالات . ففي دولة حديثة ليس من واجب الحق أن يقابل فحسب شرطها الاقتصادي العام ويكون تعبيراً عنه ، بل يجب أن يكون كذلك تعبيراً **متماسكاً باطنياً** لا يرتد إلى العدم من جراء تناقضاته الباطنة . وإن الانعكاس الصادق للشروط الاقتصادية يعاني بصورة متعاظمة في سبيل تحقيق هذا الغرض . وبقدر ما يكون الأمر كذلك يندر حدوث أن تكون مدونة قانونية التعبير الفظ والقاسي والصرف لسيطرة طبقة ما ـ أفلن يكون ذلك متعارضاً إذن مع «مفهوم الحق» ؟ وحتى في مدونة نابليون فإن مفهوم الحق الخالص والحازم الذي نادت به البورجوازية الثورية للأعوام **١٧٩٢ ـ ١٧٩٦** قد دنس مسبقاً بطرق عديدة ، وكان لا بدّ له ، بقدر ما هو مجسد هناك ، أن يتعرض يومياً لمختلف أشكال التلطيفات من جراء سلطان البروليتاريا الصاعد . ولا يمنع هذا مدونة نابليون من أن تكون مجموعة القوانين التي تخدم كأساس لكل مدونة قانونية جديدة في أي جزء من العالم . وهكذا فإن مجرى «تطور الحق» إنما يستقيم

حتى درجة كبيرة ، اولا في محاولة التخلص من التناقضات الناشئة عن الترجمة المباشرة للعلاقات الاقتصادية إلى مبادىء قانونية وإقامة جملة قانونية متناغمة ، ومن بعد في الفجوات المتكررة الحادثة في هذه الجملة بفعل تأثير ودفع التطور الاقتصادي اللاحق الذي يحشرها في مزيد من التناقضات (إني أتحدث هنا في الوقت الراهن عن القانون المدني وحده .)

إن انعكاس العلاقات الاقتصادية على اعتباره مبادىء فقهية هو بالضرورة انعكاس مقلوب أيضاً : انه يجري دون أن يكون الشخص الفاعل شاعراً به ؛ إن رجل الحقوق يتوهم أنه يشتغل بموضوعات قبلية ، بينما ليست هي في واقع الأمر إلا انعكاسات اقتصادية ؛ وهكذا فإن الأشياء جميعاً رأساً على عقب . وإنه ليبدو لي جلياً أن هذا الانقلاب الذي يشكل ، بقدر ما يظل مجهولاً ، ما نسميه **وجهة النظر الايديولوجية** ، يؤثر بدوره في القاعدة الاقتصادية ويستطيع ضمن بعض الحدود أن يعدلها . إن أساس حق الأرث - مع افتراض أن المراحل التي تم بلوغها في تطور الأسرة هي نفسها - هو أساس اقتصادي . ومع ذلك فإنه يكون من العسير البرهان مثلاً على أن حرية الموصي المطلقة في انكلترا والقيود الصارمة في جميع التفاصيل المفروضة عليه في فرنسا مردها إلى أسباب اقتصادية فحسب . ومهما يكن من شيء ، فإن هذه وتلك تؤثران بدورهما في المجال الاقتصادي حتى درجة بالغة ، لأنهما تؤثران في توزيع الثروة .

وأما ميادين الايديولوجية التي تحلق أعلى من ذلك أيضاً في الهواء - الدين ، والفلسفة ، الخ .- فانها تملك مخزوناً سابقاً للتاريخ صادفته مسبقاً وتولته في المرحلة التاريخية مما نسميه البلاهة اليوم . إن مختلف هذه التصورات المزيفة عن الطبيعة ، وعن وجود الانسان الخاص ، وعن الروح ، وعن القوى السحرية ، الخ ، لا تملك في الأغلب إلا عنصراً اقتصادياً سالباً كأساس لها ؛ ان التطور الاقتصادي المتدني في المرحلة قبل التاريخية يُكمِّل ، لكنه يشترط هنا وهناك أيضاً ، بل يُسَبِّب بالتصورات الزائفة عن الطبيعة . وبالرغم من أن الضرورة الاقتصادية كانت القوة الدافعة الرئيسية للتقدم في معرفة الطبيعة وقد أصبحت كذلك أكثر فأكثر ، فمن المؤكد أنه يكون من قبيل التحذلق أن نحاول البحث عن أسباب اقتصادية لهذا الهراء البدائي

برمته . أن تاريخ العلم هو تاريخ التخلص المتدرج من هذا الهراء أو بالأحرى تاريخ الاستعاضة عنه بهراء جديد لكنه أقل سخفاً باستمرار. وأن الناس الذين يعنون بذلك ينتسبون بدورهم إلى مجالات خاصة في تقسيم العمل ويلوحون في أنظارهم الخاصة وكأنهم يعملون في حقل مستقل. وبقدر ما يشكلون فريقاً مستقلاً ضمن التقسيم الاجتماعي للعمل ، فإن منتجاتهم ، بما فيها أخطاؤهم ، ترتكس على تطور المجتمع بأكمله ، حتى على تطوره الاقتصادي . ومهما يكن من شيء ، فإنهم يخضعون هم أنفسهم ، بدورهم ، للتأثير السائد للتطور الاقتصادي . وهذا ما يمكن البرهان على صحته بكل سهولة في الفلسفة مثلاً بالنسبة إلى المرحلة البورجوازية . فقد كان هوبس أول مادي حديث (بمعنى القرن الثامن عشر) ، لكنه كان نصيراً للحكم المطلق في مرحلة كانت الملكية المطلقة فيها في أوجها في مختلف أرجاء أوروبا وقد دخلت في انكلترا حلبة الصراع ضد الشعب . وكان لوك ، في الدين والسياسة على حد سواء ، ابناً للمواطأة الطبقية لعام ١٦٨٨ . لقد كان الربوبيون الانكليز ومكملوهم الأحزم ، الماديون الفرنسيون ، فلاسفة البورجوازية الحقيقيين ، بل كان الفرنسيون فلاسفة الثورة البورجوازية أيضاً . وإننا لنشاهد البورجوازي الصغير الألماني يمر في الفلسفة الألمانية من كانط حتى هيغل ، ايجابياً أحياناً وسلبياً أحياناً . لكن الفلسفة الخاصة بكل عصر تفترض مسبقاً في مجال محدد من تقسيم العمل حصيلة معينة من الأفكار سلمت إليها من قبل أسلافها وهي منها تنطلق . وهذا هو السبب في أن بلداناً متخلفة اقتصادياً تستطيع بعد أن تلعب دوراً رئيسياً في الفلسفة : فرنسا في القرن الثامن عشر بالمقارنة مع انكلترا التي اعتمد الفرنسيون على فلسفتها ، وفي وقت لاحق ألمانيا بالمقارنة مع كلتيهما. بيد أن الفلسفة وازدهار الأدب العام في فرنسا وألمانيا على حد سواء قد كانا نتيجة لنهوض اقتصادي عام . اني أرى أن التفوق الأخير للتطور الاقتصادي محقق في هذين المجالين أيضاً، بيد أنه يجري ضمن إطار الشروط التي يفرضها المجال موضوع البحث بالذات : في الفلسفة مثلاً بفعل المؤثرات الاقتصادية (التي لا تفعل بدورها على العموم إلا تحت أقنعة سياسية ، الخ .) في المواد الفلسفية المتوفرة الموروثة عن السابقين . إن الاقتصاد هنا لا يخلق أي شيء من جديد ، بيد أنه يقرر الطريقة التي تتعدل بها المواد الفكرية المتوفرة،

وذلك بصورة غير مباشرة على الأغلب : ذلك أن الانعكاسات السياسية والقانونية والأخلاقية هي التي تمارس أعظم تأثير مباشر في الفلسفة .

وبخصوص الدين سبق فقلت كل ما هو لا غنى عنه في الفصل الأخير عن فيورباخ .

وبالتالي فإذا كان بارث يفترض أننا ننكر أي رد فعل على الاطلاق من جانب الانعكاسات السياسية ،الخ ، على الحركة الاقتصادية نفسها ، فانه لا يفعل سوى محاربة طواحين هوائية . ما عليه إلا أن يلقي نظرة على كتاب ماركس **الثامن عشر من برومير** الذي يعالج بصورة حصرية على وجه التقريب الدور **الخصوصي** الذي تلعبه الصراعات والأحداث السياسية ، طبعاً ضمن تبعيتها العامة للشروط الاقتصادية . أو **رأس المال** ، القسم عن يوم العمل مثلاً ، حيث التشريع الذي هو عمل سياسي بالتأكيد يملك ذلك التأثير القاطع . أو القسم عن تاريخ البورجوازية . (الفصل الرابع والعشرون) . وإلا فلماذا نناضل في سبيل دكتاتورية البروليتاريا إذا كانت السلطة السياسية عاجزة اقتصادياً ؟ إن العنف (يعني سلطة الدولة) هو قوة اقتصادية أيضاً !

لكنني لا أملك الوقت لأنقد الكتاب بكامله الآن . فلا بدّ لي قبلاً من إخراج الكتاب الثالث(١) ، وفيما عدا ذلك أعتقد أن برنشتاين مثلاً يستطيع أن يعالجه بصورة فعالة تماماً .

إن ما يفتقر إليه جميع هؤلاء السادة هو الجدلية.إن كل ما يرونه دائماً هو السبب هنا والنتيجة هناك . أما أن هذا تجريد أجوف ، وان مثل هذه التضادات القطبية الميتافيزيائية لا وجود لها في العالم الواقعي إلا إبان الأزمات ، في حين أن العملية الواسعة بأسرها تجري في شكل الفعل والتفاعل ، وإن يكن بين قوى متفاوتة جداً ـ والحركة الاقتصادية هي حتى درجة بعيدة القوة الأقوى والأحسم والأكثر أولية ـ وأن الأشياء جميعاً هنا هي نسبية وليس ثمة شيء مطلق أبداً ـ فهذا ما لا يرونه قط . وبقدر ما يتعلق الأمر بهم ، فانه لم يكن هيغل وجود مطلقاً ...

---

(١) من رأس المال

# ١٨٩١

## ٢١٦

## انجلز إلى ك . كاوتسكي

**لندن ، في ٢٣ شباط ١٨٩١**

عزيزي كاوتسكي

لا بد أنك استلمت برقيتي العاجلة لقبل البارحة ، لذا لنعد الآن من جديد إلى موضوعنا ـ رسالة ماركس(١)

كان الخوف من أن تضع سلاحاً في أيدي خصومنا عديم الأساس . ومن الطبيعي أنه يمكن إشاعة تلميحات خبيثة في كل مناسبة ، لكن الانطباع الذي تلقاه خصومنا عموماً قد كان الارتباك التام حيال هذا النقد الذاتي الباعث على أعظم الحيرة ، وقد أدى إلى هذا الشعور : أية قوة باطنة لا بد أن يملكها حزب يستطيع أن يقوم بمثل هذا العمل . وهذا ما يتبين بكل وضوح من الصحف المعادية التي أرسلتها إلي (ولك الشكر الجزيل لذلك) ومن تلك الصحف التي أستطيع الحصول عليها بطرق أخرى . وإذا شئت الصراحة ، فقد كانت تلك هي نيتي بالفعل حين نشرت الوثيقة .

ولقد كنت مدركاً لأن بعض الأشخاص هنا وهناك لا يمكن للوهلة الأولى إلا أن يتأثروا بها بصورة غير سارة ، ولكنه ما كان في الامكان تفادي ذلك، وفي اعتقادي أن المضمون المادي للوثيقة يعوض عن ذلك بسعة . وكنت أعرف كذلك أن الحزب على قدر كاف من القوة بحيث يتحمل الصدمة ، وأعترف بأنه يستطيع كذلك أن يهضم

---

(١) المسألة المطروحة على البحث هي كتاب ماركس **نقد برنامج غوتا** الذي نشره أنجلز في أوائل ١٨٩١ في **الحياة الجديدة** بالرغم من معارضة القادة الانتهازيين للاشتراكية الديموقراطية الألمانية . وكان نشر مخطوط ماركس في ذلك الحين بالضبط قد أصبح أمراً ضرورياً لأنه كان متوقعاً من المؤتمر الثاني (ايرفورت) للحزب الاشتراكي الديموقراطي في ألمانيا أن يتخذ برنامجاً جديداً .

اليوم هذه اللغة الصريحة المستخدمة قبل خمسة عشر عاماً ، وأما أن المرء يستطيع باعتزاز في موضعه أن يشير إلى اختبار القوة هذا ويقول : أين يوجد حزب آخر يجرؤ على مثل ذلك ؟ فهذا ما أترك أمره في هذه الأثناء لصحيفة Arbeiter Zeitung السكسونية والفيينوية و Zuricher Post .

أما أنك اتخذت على نفسك في العدد ٢١ من **الحياة الجديدة** مسؤولية النشر ، فهذا جميل منك ، لكن لا تنس أنني في آخر الأمر قد أعطيت الدفعة الأولى ، والأكثر من ذلك أني ألزمتك به حتى درجة ما(١) . ولذا فإني أتخذ المسؤولية الرئيسية على كاهلي . وبقدر ما يتعلق الأمر بالتفاصيل فمن المؤكد أنه يمكن أن يكون للمرء بشأنها آراء مختلفة . ولقد شطبت أو عدلت جميع الأشياء التي اعترضتما أنت وديتز عليها ، ولو أن ديتز شدد على مزيد من الفقرات لكنت أكثر تساهلاً إذن بقدر ما هو ممكن ، وهو ما أثبته لك دائماً . لكن بقدر ما يتعلق الأمر بالنقطة الرئيسية ، فقد كان **من واجبي** أن أنشر المخطوط طالما أن البرنامج طرح على المناقشة . وبصورة خاصة الآن ، بعد تقرير ليبكنخت في لاهاي ، حيث استخدم من جهة مقتطفات منه بكل فظاظة وكأنها ملكيته الخاصة ، ومن جهة ثانية عارضه حتى درجة ما دون أن يخصصه بالاسم . فمن المؤكد أن ماركس كان سيجابه هذا النص المعدل بالأصل الخاص به ، وكان من واجبي أن أفعل الشيء نفسه من أجله. ومن سوء الحظ أني لم أكن قد حصلت على الوثيقة في ذلك الحين : أني لم أعثر عليها إلا بعد ذلك بوقت طويل بعد كثير من البحث .

تقول أن بيبل كتب إليك بأن حكم ماركس على لاسال أثار الاستياء بين اللاساليين القدامى . قد يكون الأمر كذلك . إن هؤلاء الناس كما ترى لا يعرفون القصة الحقيقية ولا يبدو أن شيئاً جرى كي ينورهم بشأنها . إذا كانوا لا يعرفون أن عظمة لاسال بأكملها تقوم على هذه الحقيقة ، ألا وهي أن ماركس سمح له طوال سنوات بأن يعرض نتاج أبحاث ماركس وكأنها أبحاثه الخاصة ، وفضلاً عن ذلك

---

١ ـ حين أرسل انجلز إلى كاوتسكي **نقد برنامج غوتا** لينشره في **الحياة الجديدة** لفت نظره إلى أنه إذا لم يصدره فأنه سوف ينشره هو (انجلز) في Arbeiter Zeitung الصادرة في فيينا .

يشوهها من جراء ثقافته المعيبة في الاقتصاد ، فتلك ليست خطيئتي إذن . بيد أنني المنفذ الأدبي لوصية ماركس وعلي بصفتي هذه واجبات أنفذها .

إن لاسال يخص التاريخ منذ خمسة وعشرين عاماً . وإذا كان النقد التاريخي بحقه قد ظل معلقاً بصورة مؤقتة في ظل القانون الاستثنائي ، فقد حان الأوان أخيراً كي يقول هذا النقد كلمته ولكي يوضح موقف لاسال حيال ماركس . ومن المؤكد أن الأسطورة التي تخفي صورة لاسال الحقيقية وتمجده لا يمكن أن تصبح أحد بنود ايمان الحزب . ومهما يكن عالياً تقدير المرء للخدمات التي قدمها لاسال إلى الحركة فإن دوره التاريخي فيها يظل دوراً ملتبساً . فلاسال الاشتراكي يطارده لدى كل خطوة لاسال الدهماوي ، وفي كل مكان يبرز لاسال المحامي مدبر قضية هاتزفيلدت القانونية(١) من خلال لاسال الداعية والمنظم : الكلبية نفسها في اختيار الوسائل والنزوع نفسه لاحاطة نفسه بالناس المشكوك فيهم والفاسدين الذين يمكن استخدامهم كمجرد أدوات ثم نبذهم . لقد كان حتى عام **١٨٦٢** ديمقراطياً بروسياً مبتذلاً بصورة نوعية في نشاطه العملي مع ميول بونابرتية شديدة (لقد ألقيت لتوي نظرة على رسائله إلى ماركس) ، فانعطف بصورة مفاجئة لأسباب شخصية خالصة وباشر تحريضه ، وقبل أن ينقضي عامان كان يطالب بأن ينحاز العمال إلى جانب الملكية ضد البورجوازية ، ويتآمر مع بسمارك ، القريب منه في خلقه ، بطريقة من المؤكد أنها كانت ستؤدي إلى خيانة الحركة خيانة فعلية لولا أنه اغتيل في الوقت المناسب لحسن حظه . إن الأشياء الصحيحة التي استعارها من ماركس في كتاباته التحريضية متشابكة أيما تشابك بأشيائه اللاسالية الخاصة في عروض مزيفة دائماً بحيث لا يمكن إلا بكل صعوبة الفصل بين هذه الأشياء وتلك . إن تلك الفئة من العمال الذين يحسون أن حكم ماركس يسيء إليهم لا يعرفون لاسال إلا من خلال تينك السنتين من التحريض ، وهم لا يعرفون حتى هاتين السنتين إلا من خلال نظارات ملونة . بيد أن النقد التاريخي لا يستطيع أن يقف إلى الأبد في وضعية الاحترام أمام مثل هذه المستبقات . لقد كان من واجبي أخيراً أن أصفي الحسابات بين ماركس ولاسال ، وهو ما قمت

---

(١) ادار لاسال في ١٨٤٥ ـ ١٨٥٤ على اعتباره محاميا قضية طلاق الكونتيسة هاتزفيلدت .

به ، وأستطيع في الوقت الحاضر أن أرضى عن ذلك . وفيما عدا ذلك ، فإن لدي شخصياً أشياء أخرى أفعلها حالياً . وإن حكم ماركس القاسي على لاسال سوف يكون له تأثيره بحد ذاته ويمنح الشجاعة للآخرين . لكن إذا اضطرتني الظروف ، فلن يكون لي الخيار في الأمر : سوف أكون ملزماً بتكنيس أسطورة لاسال بصورة نهائية وحاسمة .

أما أن أصواتاً ارتفعت في فريق الرايخستاغ(١) مطالبة بوضع **نيوزيت** تحت الرقابة ، فتلك قضية رائعة في الحقيقة . ما هذا ؟ شبح دكتاتورية الفريق أثناء القانون المناهض للاشتراكية (وقد كانت بالطبع ضرورية ونفذت بصورة ممتازة) أم ذكرى التنظيم الصارم على طريقة فون شوايتزر ؟ إنها في الواقع فكرة لامعة أن يوضع العلم الاشتراكي الألماني ، بعد تحرره من قانون بسمارك الاشتراكي . تحت قانون اشتراكي جديد من الواجب صنعه وتنفيذه من قبل سلطات الحزب الاشتراكي الديموقراطي بالذات . وفيما عدا ذلك ، فإنه مقدر أن لا تنمو الأشجار حتى السماء .(٢)

إن المقال في **فورفارتس** لا يثيرني كثيراً(٣) . سوف أنتظر تقرير ليبكنخت عما حدث ومن بعد أرد على كليهما بلهجة ودية قدر الامكان . وليس في مقال **فورفارتس** إلا أخطاء قليلة فقط من الواجب تصحيحها (مثال ذلك أننا لم نكن راغبين في الوحدة) ، وأن الأحداث برهنت على أن ماركس كان على خطأ الخ ، وأشياء قليلة واضحة يجب تأكيدها . ولذا فإن في نيتي بهذا الجواب ، من جهتي ، أن أختتم المناقشة الحالية ، إلا إذا أجبرتني هجمات جديدة أو تأكيدات كاذبة على الاستمرار .

أخبر دييتز أني أعمل في **الأصل**(٤) ولكن فيشر كتب إلى اليوم وما يطلبه هو ثلاث مقدمات جديدة .

المخلص

ف .أ .

---

(١) فريق النواب الاشتراكيين الديموقراطيين في الرايخستاغ .

(٢) مثل الماني يقصد منه أن ثمة حدوداً لجميع الأمور .

(٣) ان افتتاحية **فورفانتس** (في ١٢ شباط ١٨٩١) تعبر عنم الموقف الرسمي للجنة الحزب التنفيذية من كراسة ماركس **نقد برنامج غوتا** وقد دانت الافتتاحية بشدة رأي ماركس عن لاسال وايدت الحزب لقبوله بمسودة البرنامج بالرغم من نقد ماركس .

(٤) الطبعة الرابعة التي ظهرت عام ١٨٩١ من كتاب انجلز **أصل العائلة والملكية الخاصة والدولة** .

## ٢١٧

# أنجلز إلى ج . ميزا

[لندن] ، في ٢٤ آذار ١٨٩١

صديقي العزيز ميزا

علمنا بسرور بالغ من رسالتك المؤرخة في الثاني منه عن الصدور الوشيك لترجمتك الاسبانية لكتاب ماركس **بؤس الفلسفة** . وإنه من البدهي أننا نؤيد بلهفة هذا العمل الذي من المؤكد أنه سيكون له أفضل الأثر في تطور الاشتراكية في أسبانيا .

أنه لمن المؤكد أن النظرية البرودونية ، وقد تزعزعت أسسها بفضل كتاب ماركس ، قد اختفت عن وجه الأرض بعد سقوط كومونة باريس . بيد أنها لما تبرح الترسانة الكبرى التي يتزود منها البورجوازيون الراديكاليون شبه الاشتراكيين في أوروبا الغربية بالعبارات التي يسحرون العمال بها . وبما أن عمال هذه البلدان ورثوا عبارات برودونية مماثلة عن أسلافهم ، فإن أسلوب الراديكاليين في الحديث لا يزال يضرب على وتر حساس بين العديدين منهم . وتلك هي الحال في فرنسا حيث البرودونيون الوحيدون الموجودون بعد هم البورجوازيون الراديكاليون الذين يزعمون أنهم اشتراكيون . وإذا لم أكن مخطئاً فإن لديكم أنتم أيضاً في صاحبكم كورتيس وفي صحافتكم جمهوريين يسمون أنفسهم اشتراكيين لأنهم يرون في الأفكار البرودونية وسيلة مناسبة تماماً من أجل معارضة الاشتراكية الصحيحية التي هي التعبير العقلاني والسليم لمطامح البروليتاريا باشتراكية بورجوازية ، اشتراكية مزيفة النوايا .

مع تحياتي الأخوية

ف . أنجلز

## ٢١٨

# أنجلز إلى ك . كاوتسكي

رايد ، في ٢٩ حزيران ١٨٩١

عزيزي كاوتسكي

هربت هنا إلى عند بومبس لبضعة أيام؛ فالعمل المنهال علي أرهقني جدا. وكنت سعيداً وراضياً وفي وسط حفلة زواج جماعي[1] عندما أطبق علي برنامج الحزب[2]، ولم يكن بدٌ من تناوله. وأردت بادىء الأمر أن أجرب وأصوغ المقدمة بصورة أدق نوعاً ما، لكنني لم أفعل ذلك أبداً من جراء نقص الوقت، وفضلاً عن ذلك فقد بدا لي أنه من الأهم تحليل النقائص في القسم السياسي التي كان يمكن ولا يمكن اجتنابها جزئياً، نظراً لأني بعملي هذا وجدت فرصة من أجل تسديد ضربة شديدة إلى الانتهازية المصالحة لصحيفة فورفارتس وإلى «نقل» كل الفوضى القذرة القديمة[3] frish- fromm- frohlich- frei إلى المجتمع الاشتراكي. وفي هذه الأثناء بلغني أنك تقترح مقدمة جديدة عليهم؛ نعم الأمر .....

## ٢١٩

## أنجلز إلى كاوتسكي

### لندن، في ١٤ تشرين الأول ١٨٩١

اكتشفت بصورة غير متوقعة، لدهشتي العظيمة، هذه الكلمات «كتلة رجعية واحدة» في نص فورفارتس عن مسودتك[4]، وأني لأكتب إليك في هذا الشأن في الحال، وإن كنت خائفاً من أن يكون الأوان قد فات. أن هذه العبارة التحريضية تفسد، مثل نغمة ناشزة حادة، كل ذلك الانتظام المتناسق للموضوعات العلمية المصوغة باقتضاب وبكل وضوح. ذلك أنها عبارة تحريضية ومنحازة حتى الدرجة القصوى، وبالتالي مغلوطة كلياً في ذلك الشكل المطلق بصورة قاطعة، وهو الشكل الوحيد الذي يعطيها بعض الوزن.

مغلوطة لأنها تحول **اتجاهاً تاريخياً** مضبوطاً في ذاته إلى **حقيقة واقعة**. فحالما تبدأ

---

(١) كان انجلز يشتغل في كتابه **اصل العائلة**.

(٢) المقصود مسودة برنامج الحزب الاشتراكي الديموقراطي الالماني المتخذ في مؤتمر ايرفورت الحزبي في تشرين الأول ١٨٩١.

(٣) البسيطة ـ المرحة ـ الصاخبة ـ الحرة ـ شعار جمعية رياضية المانية شهيرة.

(٤) مسودة برنامج ايرفورت.

الثورة الاجتماعية تتدخل جميع الأحزاب الأخرى على أنها كتلة رجعية في معارضتنا ولعل **هي كذلك** منذ الآن ، وقد ضيعت كل إمكانية من أجل أي عمل تقدمي كان ، وإن لم تكن كذلك بالضرورة . بيد أننا لا نستطيع **في اللحظة الحالية** أن نقول ذلك ، على الأقل لا نقوله بذلك اليقين الذي نعلن به المبادىء البرنامجية الأخرى . فقد تقوم بعض الشروط حتى في ألمانيا قد **تضطر** الأحزاب الأخرى اليسارية ، بالرغم من بؤسها ، لأن تكنبس جزءاً من ذلك الهراء ضد البورجوازي والبيروقراطي والاقطاعي الذي لا يبرح قائماً هناك على نطاق واسع . وفي هذه الحال فهي ليست إذن كتلة رجعية في حال من الأحوال .

وما دمنا لم نبلغ ما يكفي من القوة كي نستلم دفة الدولة بأنفسنا ونحقق مبادئنا ، فلا يمكن أن يجري الحديث بكل دقة عن كتلة رجعية **واحدة** معارضة لنا . وإلا فإن الأمة بأسرها سوف تنقسم إلى أغلبية رجعية وأقلية عاجزة .

أيكون الناس الذين حطموا نظام الدول الصغيرة في ألمانيا ، والذين منحوا البورجوازية فسحة من أجل القيام بالثورة الصناعية ، والذين أدخلوا الانتظام إلى تسهيلات المواصلات بالنسبة إلى الأشخاص والأشياء على حد سواء ، وحين فعلوا ذلك كان لا بد لهم من منحنا حرية أكبر في الحركة ـ أيكونون قد فعلوا ذلك على اعتبارهم «كتلة رجعية» ؟

أيكون الجمهوريون البورجوازيون الفرنسيون الذين هزموا في ١٨٧١ ـ ١٨٧٨ بصورة حاسمة الملكية وحكم الأكليروس وضمنوا حرية الصحافة والتنظيم والاجتماع حتى درجة لم يسبق لها مثيل في فرنسا ما قبل الثورة ، والذين طبقوا التعليم الاجباري وعمموه وحسنوه حتى درجة نستطيع معها نحن في ألمانيا أن ننتفع من مثالهم ـ أيكونون قد تصرفوا على اعتبارهم كتلة رجعية ؟

والأنكليز الذين ينتسبون إلى أي من الحزبين الرسميين ، والذين وسعوا الاقتراع بصورة هائلة ، وضاعفوا عدد الناخبين خمس مرات ، وساووا بين المناطق الانتخابية ، وطبقوا التعليم الالزامي وحسنوه ، والذين يقترعون في كل دورة ليس إلى جانب الاصلاحات البورجوازية فحسب ، بل كذلك في مصلحة تنازلات جديدة أبداً للعمال ـ لقد عملوا ببطء ، ولكن ليس من يستطيع أن يدينهم ارتجالاً على اعتبارهم

«كتلة رجعية واحدة» .

وباختصار فإننا لا نملك الحق في تقديم اتجاه يتحقق بصورة تدريجية على اعتباره حقيقة واقعة منذ الآن ، وبصورة خاصة لا نملك هذا الحق طالما أن هذا الاتجاه ، في انكلترا مثلاً ، لن يصبح قط حقيقة ناجزة بصورة مطلقة . وحين يحدث الانقلاب هنا فإن البورجوازية سوف تكون مستعدة دائماً بعد لأي شكل من الاصلاحات الصغيرة . والأمر الوحيد هو أنه لم يعد ثمة مغزى بعد الآن من الاصرار على إصلاح مفصل لنظام تمت الاطاحة به .

إن هراء التحريض اللاسالي مسوغ في ظل **بعض الظروف** ، وان يكن عندنا موضعاً لسوء الاستعمال حتى درجة هائلة ، ومثال ذلك منذ الأول من تشرين الأول ١٨٩٠(١) في فورفارتس . **بيد أنه لا مكان له في البرنامج** ، لأنه سوف يكون فيه مغلوطاً ومضللاً بصورة مطلقة . لسوف يكون في هذا البرنامج أشبه بزوجة المصرفي بيثمان على الشرفة التي كانوا يريدون تشييدها لمنزله : «إذا شيدتم لي شرفة فسوف تجلس زوجتي عليها وتفسد الواجهة برمتها» .

لا أستطيع الحديث عن أية تغييرات أخرى في نص **فورفارتس** . لقد فقدت الصحيفة ، ولا بد من إرسال الرسالة .

إن مؤتمر الحزب قد بدأ في يوم مجيد . فالرابع عشر من تشرين الأول هو ذكرى معركتي إيينا واومسترليتز حيث انهارت بروسيا القديمة السابقة للثورة . الا فليباشر الرابع عشر من تشرين الثاني ١٨٩١ ، بالنسبة إلى ألمانيا المحوَّلة بروسياً ، «إيينا الباطنة» التي تنبأ ماركس بها !

المخلص

**ف . أنجلز**

---

(١) في الأول من تشرين الأول ١٨٩١ ألغى قانون الطوارىء ضد الاشتراكيين في المانيا .

# ٢٢٠

# أنجلز إلى ن . ف . دانييلسون

**[لندن] ، في ٢٩ ـ ٣١ تشرين الأول ١٨٩١**

سيدي العزيز

حين وصلت رسالتك المؤرخة في الحادي والعشرين من أيلول كنت مسافراً في اسكوتلندا وايرلندا ، اليوم فقط وجدت الوقت والفراغ كي أرد عليها .

إن رسالتك المؤرخة في العشرين من كانون الثاني قد ضاعت حقاً ، وهذا ما آسف له بصورة مضاعفة ، أولاً لأن المعلومات الهامة المحتواة فيها مُنعت عني طوال هذه الفترة المديدة ، وثانياً لأن فقدانها كلفك عناء كتابتها لي مرة أخرى . شكراً جزيلاً !

إن «Zuchtung von Millionaren(١)» ، حسب تعبير بسمارك ، يبدو في الحقيقة أنه يتقدم في بلادك بخطوات عملاقة . إن مثل هذه الأرباح التي تبينها إحصائياتكم الرسمية ليس لها مثيل في هذه الأيام في مصانع النسيج الأنكليزية والفرنسية أو الألمانية.إن أرباحاً متوسطة بقدر ١٠ أو ١٥ ، وفي الحد الأقصى ٢٠ بالمائة ، و ٢٥ ـ ٣٠ بالمائة في سنوات الازدهار الاستثنائية جداً جداً ، تعتبر جيدة . وفي طفولة الصناعة الحديثة وحدها كان في مقدور مؤسسات تعمل بأحدث الآلات وأفضلها ، منتجة سلعها بقدر من العمل أقل **حتى** درجة كبيرة من العمل الذي كان ضرورياً اجتماعياً في ذلك الحين . أن تحقق مثل هذه المعدلات من الربح . وفي الوقت الحاضر لا تجُنى مثل هذه الأرباح إلا في المشاريع المضاربة بنجاح على اختراعات جديدة ، يعني في مشروع واحد من كل مائة مشروع ، في حين أن معظم المشاريع الباقية تخفق بصورة ذريعة .

إن البلد الوحيد حيث أرباح مماثلة ، أو مماثلة تقريباً ، هي في الوقت الحاضر ممكنة في الصناعات الرئيسية هو الولايات المتحدة الأمريكية . فقد كان هناك لتعرفات الحماية بعد الحرب الأهلية ، ولتعرفة ماك كنلي حالياً ، نتائج مماثلة ، ولا بد أن تكون الأرباح هائلة ، وهي كذلك بالفعل . إن حقيقة أن هذه الأوضاع تتوقف كلياً على التشريع الجمركي الذي يمكن تبديله من يوم إلى آخر تكفي لتمنع أي توظيف كبير

---

(١) تنشئة اصحاب الملايين .

للرأسمال **الأجنبي** (كبير بالنسبة لمقدار الرأسمال المحلي الموظف) في هذه الصناعات ،وبذلك لتبعد المصدر الرئيسي للمزاحمة وتخفيض الأرباح .

إن وصفك للتبدلات المدخلة إلى حياة كتلة الشعب بفضل هذا الاتساع للصناعة الحديثة ولدمار الصناعة المنزلية التي تسد حاجات **استهلاك المنتجين المباشر** ، وشيئاً فشيئاً دمار الصناعة المنزلية العاملة لمصلحة الشاري الرأسمالي أيضاً ، يذكرني بصورة حية بفصل مؤلفنا عن Herstellung des inner Markts(1) ، وبما حدث في كل مكان تقريباً في أوروبا الوسطى والغربية من ١٨٢٠ حتى ١٨٤٠. وإن لهذا التغيير عندكم ، بطبيعة الحال ، نتائج مغايرة حتى درجة ما . إن الفلاح الملاك الفرنسي والألماني يعاني بقسوة ، وهو يتقلب طوال جيلين أو ثلاثة أجيال بين يدي المرابي قبل أن يصبح ناضجاً بصورة تامة لأن يطرد بواسطة البيع من أرضه وبيته ، على الأقل في المناطق حيث لم تتغلغل الصناعة الحديثة.وفي ألمانيا تبقى طبقة الفلاحين في نجوة من البلاء بفضل مختلف أنواع الصناعات المنزلية ـ غلايين ، **دمى** ، سلال ... الخ ـ العاملة لحساب الرأسماليين ، فأوقات فراغهم لا قيمة لها عندهم بعد ما يحرثون حقولهم الصغيرة ؛ إنهم يعتبرون أن كل كوبيك يحصلون عليه لقاء العمل الاضافي ربح صاف ، ومن هنا كانت الأجور الخفيضة بصورة مدمرة والأسعار البخسة بصورة لا تصدق لمثل هذه المنتجات الصناعية في ألمانيا .

أما عندكم ، فلا بد من التغلب على مقاومة الأوبشينا(2) (بالرغم من أنه لا بد لي من القول إنها تتراجع حتى درجة كبيرة في الصراع المستمر ضد الرأسمالية الحديثة) ، وهناك ما تصفه من مورد الأرض الزراعية التي تخص الملاكين الكبار ، وذلك في رسالتك المؤرخة في الأول من أيار ـ وهي وسيلة من أجل تأمين فضل القيمة للملاك ، ولكن كذلك من أجل تمكين الفلاح من مواصلة وجوده المتزعزع **من حيث هو فلاح** . وإن الكولاك أيضاً ، بقدر ما يتبين لي ، يفضلون على العموم أن يحتفظوا بالفلاح بين براثنهم من حيث هو sujet à exploitation(3) ، بالأحرى من تدميره بصورة نهائية

---

(١) انشاء السوق الداخلية .

(٢) موضوع استثمار .

(٣) الجماعة الريفية .

واستملاك أراضيه . وهكذا فإنه يخطر لي أن الفلاح الروسي ، حيث لا يكون مطلوباً كشغيل للمصنع أو المدينة ، سوف يعاني الأمرين أيضاً ، وسوف يقتل مرات عديدة قبل أن يموت فعلاً .

إن الأرباح الهائلة التي تحصل عليها البورجوازية الفتية في روسيا ، وتبعية هذه الأرباح للمحصول الجيد (الحصاد) ، وهو ما تعرضه جيداً ، تفسر أشياء عديدة كانت تظل لولا ذلك غامضة . وهكذا فما الذي يجب أن أستخلصه من هذا التقرير الصباحي لمراسل صحيفة لندنية من أوديسا : إن الطبقات التجارية الروسية تستولي عليها فيما يبدو فكرة واحدة ، ألا وهي أن الحرب هي الترياق الحقيقي الوحيد للأزمة وفقدان الثقة المتعاظمين أبداً اللذين تعاني منهما جميع الصناعات الروسية في الوقت الراهن ـ ما الذي يجب أن أستخلصه منه وكيف أفسره إن لم يكن بهذه التبعية التامة لصناعة قائمة على التعرفة حيال سوق داخلية وحيال مواسم المناطق الزراعية التي تتوقف عليها القوة الشرائية لزبائنها الوحيدين ! وإذا اخفقت هذه السوق ، فما الذي يبدو في أنظار السذج أكثر طبيعية من توسيعها بفعل حرب ظافرة ؟

إن ملاحظاتك عن التناقض الظاهري القائم في أن موسماً جيداً لا يعني بالضرورة عندكم تخفيضاً لأسعار القمح ملاحظات بالغة الأهمية . فحين ندرس العلاقات الاقتصادية الفعلية في مختلف البلدان والمراحل المختلفة من الحضارة ، فلشد ما تتراءى التعميمات العقلانية للقرن الثامن عشر مغلوطة ومعيبة ـ بصورة خاصة آدم سميث العجوز الطيب الذي أخذ شروط أدنبره ولوثيان(١) على اعتبارها الشروط الطبيعية للكون بأسره ! حسناً ، لقد كان بوشكين عارفاً بذلك من قبل :

ما حاجتها (الدولة) إلى الذهب .
ما دامت تملك المواد الأولية ؟
لقد أخفق الأب في فهم ابنه
ورهن كل قصبة من أرضه(٢)

المخلص

ب.ف. روشر

---

(١) منطقة خصبة في اسكوتلندا .

(٢) من اوجين اونيبغيين ـ والأبيات بالروسية في النص الأصلي .

سوف أتناول يوم الاثنين المقبل الكتاب الثالث من جديد ـ وأرجو ألا أتوقف عنه حتى أنهيه .

لقد تأخرت هذه الرسالة حتى هذا اليوم ، الحادي والثلاثين من تشرين الأول ، بنتيجة عائق حدث في هذه الأثناء .

## ٢٢١

## انجلز إلى ك . شميدت

### لندن في تشرين الثاني ١٨٩١

... من المؤكد أن الاستغناء عن هيغل مستحيل ، ولا بدّ من بعض الوقت كذلك من أجل هضم الرجل ، ان **المنطق** القصير في الموسوعة يشكل بداية حسنة تماماً ، لكن يجب أن تتناول الطبعة من المجلد السادس من **الأعمال** وليس في الطبعة المنفصلة التي أصدرها روزنكرانز (١٨٤٥) ، لأن في الطبعة السابقة إضافات ايضاحية أكثر حتى درجة كبيرة مأخوذة من المحاضرات ، حتى اذا كان ذلك الحمار هيننغ غالباً ما لا يفهمها هو نفسه .

ان لديك في المقدمة النقد ، أولاً (الفقرة **٢٦** ، الخ .) لنص وولف عن لبنتز (الميتافيزياء بالمعنى **التاريخي**) ، ومن ثم للتجريبية الانكليزية الفرنسية (الفقرة **٣٧** ، الخ .) ومن بعد لكانط (الفقرة ٤٠ وما يليها) ، وأخيراً لصوفية جاكوب (الفقرة **٦١**) . وفي القسم الأول (الوجود) لا تطل التفكير كثيراً في الوجود والعدم ، فالفقرات الأخيرة عن الكيفية ثم عن الكمية والمقياس أروع جداً ، بيد أن عقيدة الماهية هي الشيء الرئيسي : تعرية التناقضات المجردة بكل تهافتها الخاص حيث لا يكاد المرء يحاول أن يتشبث بالمظهر الواحد وحده حتى يتحول دون أن يكون ملحوظاً إلى مظهر آخر ، الخ . وفي الوقت نفسه تستطيع دائماً أن تتحقق من ذلك بأمثلة حسية : ومثال ذلك أن لديك ، أنت بوصفك عريساً ، مثالاً لامعاً على لصوق الهوية والخلاف في نفسك وفي عروسك . وانه لمن المحال بصورة مطلقة أن يؤكد المرء ما إذا كان الحب الجنسي لذة لأن الهوية هي في الخلاف أم لأن الخلاف هو في الهوية . احذف الخلاف (في الجنس في هذه الحالة) أو الهوية (الطبيعة البشرية للاثنين) ، فماذا يتبقى لك ؟ اني

لأتذكر كم شغلني هذا اللصوق للهوية والخلاف بادىء الأمر ، بالرغم من أننا لا نستطيع قط أن نخطو خطوة دون أن نتعثر به .

لكنه لا يجوز لك في حال من الأحوال أن تقرأ هيغل كما فعل الهر بارث ذلك ، يعني في سبيل اكتشاف القياسات والمغالطات الفاسدة العفنة التي استخدمها كرافعات في بناءاته الخاصة . ذلك عمل صبياني خالص . انه لأمر أهم حتى درجة كبيرة أن تكتشف الحقيقة والنبوغ اللذين ينطويان تحت الشكل الخاطىء وضمن الارتباطات المصطنعة . وهكذا فان الانتقالات من مقولة ، أو من تناقض إلى المقولة التالية أو التناقض التالي هي دائماً على وجه التقريب أعتباطية ـ غالباً ما تتم بواسطة تورية ، كما بالنسبة للموجب والسالب ، الفقرة ١٢٠ ، حيث «zugrunde gehn»(١) كما يستطيع هيغل أن يبلغ مقولة «Grund»(٢).إن إطالة التدقيق في هذا الأمر مضيعة للوقت .

وبما أن كل مقولة عند هيغل تمثل مرحلة في تاريخ الفلسفة (كما يشير إلى ذلك عامة) ، فانك تحسن صنعاً إذا قارنت مع محاضراته عن تاريخ الفلسفة (وهي تشكل أحد ألمع مؤلفاته) . وأستطيع أن أوصيك **بعلم الجمال** من أجل الاستجمام . فعندما تدخل في الموضوع سوف يأخذك الذهول .

إن جدلية هيغل مقلوبة رأساً على عقب لأنه من المفترض أن تكون «تطور الفكر الذاتي» الذي ليست جدلية الحقائق بالتالي إلا انعكاساً له ، في حين أن الجدلية في رؤوسنا هي في واقع الأمر مجرد انعكاس للتطور الفعلي الجاري في عالم الطبيعة والتاريخ البشري وهي تخضع للأشكال الجدلية .

وإذا قارنت التطور من السلعة إلى الرأسمال عند ماركس بالتطور من الوجود إلى الماهية عند هيغل فسوف تحصل على موازاة جيدة تماماً : فهناك التطور المشخص كما يجري في الوقائع ؛ وهنا البناء التجريدي ، حيث أفكار عبقرية جداً وتحولات بالغة الأهمية في بعض المواضع ، مثلاً تحول الكيفية إلى الكمية والعكس بالعكس ، تتحول إلى التطور الذاتي الظاهري للفكرة الواحدة إلى الفكرة الأخرى ـ تحولات من النوع الذي يستطيع المرء أن يصطنع اثني عشرية منها ...

---

(١) كلاهما يغنيان .

(٢) العقل .

# ١٨٩٢

## ٢٢٢

## انجلز إلى ف . أ . سورج

**لندن ، في ٦ كانون الثاني ١٨٩٢**

... ليس في أميركا بعد مكان من أجل حزب **ثالث** فيما أعتقد . أن تباعد المصالح حتى في **نفس** الفئة الطبقية الواحدة كبير جداً في تلك المنطقة الهائلة بحيث أن عصباً ومصالح مختلفة كل الاختلاف هي ممثلة في كل من الحزبين الكبيرين ، وذلك تبعاً للمحلة ، وجميع شرائح الطبقة المالكة على وجه التقريب لها ممثلوها في كل من الحزبين بنسبة كبيرة جداً ، بالرغم من أن الصناعة الكبيرة تشكل **اليوم** نواة الجمهوريين عامة ، بالضبط كما أن الملكية العقارية الكبيرة في الجنوب تشكل نواة الديموقراطيين . وان الطريقة الاتفاقية ظاهرياً التي حدثت فيها هذه الخليطة هي ما يوفر التربة الرائعة لفساد الحكومة واستغلالها اللذين يزدهران هناك على نطاق واسع جداً . وأعتقد أن الزمن من أجل حزب ثالث ، مع تطور **هادىء** ، لن يحين هناك إلا حين تصبح الأرض ـ الأراضي العامة ـ في أيدي المضاربين كلياً ، وبذلك يصبح الاستقرار على الارض أصعب أكثر فأكثر أو يسقط فريسة للابتزاز . ان **الأرض** أساس المضاربة ، وحمى المضاربة وإمكانيتها في أميركا هما الرافعتان الرئيسيتان اللتان تحتفظان بالعمال من أصل أميركي تحت سيطرة البورجوازية ، ولن يكون لنا موطىء قدم مكين في أميركا الا حين يصبح فيها جيل من العمال أبناء البلد الذين لا حاجة بهم إلى توقع **أي شيء بعد الآن** من المضاربة . ولكن من ذا يستطيع بالطبع أن يعتمد على التطور **الهادىء** في أميركا ؟ ان هناك قفزات اقتصادية أشبه بالقفزات السياسية في فرنسا ـ ومن المؤكد أنها تُحدث نفس النكسات المواقتة . ان المزارعين الصغار والبورجوازيين

الصغار لن يتمكنوا أبداً من تشكيل حزب قوي ؛ انهم يتألفون من عناصر تتغير بسرعة فائقة ـ فالمزارع كثير التنقل ، يشتغل مزرعتين أو ثلاث أو أربع مزارع بصورة متعاقبة في ولايات وأراض مختلفة؛ان الهجرة والافلاس يسببان التبدل في الاشخاص في كلا الفريقين ، بينما التبعية الاقتصادية حيال الدائنين تمنع كل استقلال ذاتي ـ لكن ما يعوض عن ذلك هو أنهم يشكلون عنصراً رائعاً للسياسيين الذين يقامرون على استيائهم كيما يبيعوهم لواحد من الحزبين الكبيرين في وقت لاحق .

ان عناد اليانكيين ، الذين يحيون حتى الأوراق النقدية الخضراء[1] المغشوشة ، هو نتيجة لتخلفهم النظري وازدرائهم الأنكلوسكسوني تماماً للنظرية عموماً . وانهم ليعاقبون على ذلك بايمان متطير بسائر الترهات الفلسفية والاقتصادية ، وبالتعصب الديني ، وبالتجارب الاقتصادية الحمقاء التي تعود على أي حال بفائدة عميمة على بعض العصابات البورجوازية ...

## ٢٢٣

# انجلز إلى أ . بيبل

**لندن ، في ١٩ شباط ١٨٩٢**

... من المؤكد أن الوضع في ألمانيا يفسد في الوقت الراهن : ولا بدّ أن تمضي الأمور بعيداً إذا انفجرت الاتجاهات المعارضة مراراً وتكراراً بين الليبراليين الوطنيين وإذا كان في مقدور ريختر أن يحلم بحزب ليبرالي كبير ألماني . ان المجتمع الرأسمالي الذي يخضع بعد الدولة صورياً لنفوذه ملزم بأن يترك الحكم الفعلي للملكية وراثية تحالفها عصبة من الاقطاعيين العسكريين البيروقراطيين وبأن يكتفي بالفكرة القائلة ان مصالحه الخاصة هي التي تقرر الأمور حتى درجة كبيرة . ان هذا المجتمع ، بالنظر إلى وضعه في ألمانيا ، يتذبذب بين اتجاهين : من جهة واحدة ائتلاف بين جميع شرائح المجتمع الرسمية والمالكة ضد البروليتاريا . وهذا الاتجاه يؤول مع مرور الزمن إلى «كتلة رجعية واحدة» وتظل له السيطرة آخر الأمر في حالة التطور الهادىء . ومن جهة ثانية فإن ثمة

---

(١) أوراق نقدية غير قابلة للتحويل أصدرتها الحكومة الأمريكية إبان الحرب الأهلية .

اتجاهاً يطرح باستمرار في جدول الأعمال ذلك النزاع القديم الذي لم يحل قط من جراء الجبن ، النزاع بين الملكية بذكرياتها عن الحكم المطلق والأرستقراطية العقارية والبيروقراطية التي تعتبر نفسها متفوقة على سائر الأحزاب ، وفي تعارض معها جميعاً البورجوازيـة الصناعية التي تعاني مصالحها المادية يومياً وفي كل ساعة بين أيدي تلك العناصر البالية . وأما أي من هذين الاتجاهين يتفوق في أي وقت ، فهذا ما يتوقف على المصادفات ، المتعلقة بالأشخاص أو المحلات .

ويبدو في الوقت الحاضر أن صعود الاتجاه الثاني بوشك أن يبدأ ، وفي هذه الحال فإن البارونات الصناعيين الذين من طراز ستام والمساهمين في الشركات الصناعية سوف ينحازون طبعاً ، بصورة رئيسية ، إلى جانب الرجعية التي عفا الزمان عليها . لكن هذا الارتداد للنزاع القديم الخاص بعام ١٨٤٨ الذي تكرر طرحه عدداً لامتناهياً من المرات لا يمكن أن يصبح بالغ الخطورة إلا إذا ارتكبت الحكومة والأرستقراطية العقارية ، وقد انتشتا بنجاحاتهما حتى الوقت الحاضر ، بعض الحماقات البالغة . ولا أعتبر أن هذا الأمر مستحيل نظراً لأن الرغبات الشخصية الغريبة العابرة في الدوائر العليا تجد التأييد في قناعة الاقطاعيين العسكريين المتعاظمة بأن الصناعة آخر الأمر **سوف تعجز عن تحمل** الضرائب المفروضة على الخامات والأغذية . وأما إلى أي حد سوف يتطور هذا النزاع فهذا ما يتوقف كما قلت على الأشخاص الذين تحشرهم الصدفة فيه .

وأنه لأمر ذو دلالة هنا حقيقة سريان مفعول الطريقة القديمة في صنع الأمور : إنهم يصيبون الخرج لكن يقصدون إصابة الحمار (أو كليهما بالأحرى) . انهم يوجهـون الضربة إلى الاشتراكية الديموقراطية ، لكن البوروجوازية تنال على أي حال جرعة لا بأس بها أيضاً ؛ سياسياً بادىء الأمر ، بخصوص مبادئها الليبرالية التـي كانـت تظهرها بسخاء خلال السنوات الستين المنصرمة ، وبخصوص الحصة الزهيدة التي هي من نصيبها **بصورة مباشرة** في الحكم ؛ لكن اقتصادياً أيضاً في وقت لاحق ، إذا جرت الأمور على ما يرام ، إذ يضحى بمصالحها على مذبح مصالح الملكية العقارية .

وهكذا يبدو أن انعطافاً حاداً إلى اليمين قيد التحضير ، وذريعته الحاجة إلى سحق **حركتنا الطليعية** ...

# ٢٢٤

## انجلز إلى ن . ف . دانييلسون

**لندن ، في ١٥ آذار ١٨٩٢**

سيدي العزيز

اني خجلان تقريباً من الرد على رسالتيك اللطيفتين والهامتين المؤرختين في ١٢ و ٢١ تشرين الثاني الماضي ، إلا أنني كنت مغموراً بالعمل ، وأجد أن الكتابة على ضوء المصباح لما تبرح تسيء إلى عينيّ (اللتين تخدمانني جيداً لولا ذلك) ، بحيث أن هذا العمل الاضافي وقصر النهار في شتائنا يجب أن يكونا عذري عندك .

في الحقيقة أنكم تجتازون مرحلة عظيمة الأهمية بالنسبة إلى بلادكم ، وهي أهمية عظيمة لا يمكن على وجه التقريب المبالغة فيها . ويبدو لي من رسالتيك أنك لا تعتبر المحصول الرديء الحالي مجرد طارىء بل النتيجة الضرورية ، أو العنصر المشارك الذي لا مفرّ منه للتطور الاقتصادي الذي دخلته روسيا منذ ١٨٦١ . وهذا هو رأيي أيضاً ، بقدر ما يستطيع المرء أن يحكم عن بعد . فمع عام ١٨٦١ دخلت روسيا في تطور الصناعة الحديثة على نطاق جدير بأمة كبرى ، لقد نضجت القناعة بأنه ليس في مقدور أي بلد في الوقت الراهن أن يحتل مركزاً لائقاً بين الأمم المتحضرة دون أن يمتلك آلات صناعية تعمل على البخار ودون أن يؤمن ، حتى درجة كبيرة على الأقل ، حاجاته الخاصة من السلع المصنّعة . ولقد تصرفت روسيا بناء على هذه القناعة ، وتصرفت بطاقة عظيمة . أما أنها أحاطت نفسها بحاجز من تعرفات الحماية فذلك أمر طبيعي جداً ؛ فالسياسة الانكليزية ألزمت بهذه السياسة جميع البلدان الكبيرة تقريباً ؛ وحتى ألمانيا ، حيث تطورت une grande industrie (١) بكل نجاح في ظل **تجارة حرة بصورة مطلقة على وجه التقريب** ، قد انضمت إلى الجوقة وتحولت إلى نصيرة للحماية ، وذلك لمجرد تسريع عملية ما سماه بسمارك die Zuchtung von Millonuren (٢) واذا كانت ألمانيا قد سلكت هذه الطريق حتى دون أية ضرورة ، فمن

---

(١) صناعة كبيرة .

(٢) انظر الرسالة ٢٢٠ .

ذا يلوم روسيا لأنها فعلت ما كان ضرورة بالنسبة إليها حالما تقرر سلوك الطريق الصناعية الجديدة ؟

ويبدو لي أن وضعكم الراهن يجد له مثيلاً حتى درجة ما في وضع فرنسا في ظل لويس الرابع عشر . فههنا أيضاً وضعت المانيفاكتورات في حالة من الحيوية بفعل نظام الحماية الذي وضعه كولبير ، وتبين خلال ٢٠ ـ ٣٠ عاماً أن صناعة مانيفاكتورية وطنية ، في ظل الظروف السائدة وقتذاك ، لا يمكن خلقها إلا على حساب طبقة الفلاحين . ان natural wirtschaft(١) الفلاحين قد حطم واستعيض عنه بـ geldwirtschaft(٢) ، وخُلقت السوق الداخلية ، وفي الوقت نفسه دُمرت من جديد على وجه التقريب ، على الأقل بصورة مؤقتة ، بفضل هذه العملية والعنف الذي لم يسبق له مثيل ، هذا العنف الذي فرضت به الضرورة الاقتصادية نفسها ، وبفعل زيادة الضرائب في المال وفي الرجال ، وهي الزيادة التي فرضها وقتذاك ادخال الجيوش الدائمة بالتطوع ، كما يفرضها اليوم تطبيق النظام العسكري البروسي الخاص بالخدمة العسكرية الشاملة . وحين بار محصول أو محصولان أخيراً قامت اذن تلك الحالة العمومية من الانزعاج في مختلف أرجاء البلاد ، وهي التي نجدها موصوفة عند بواغيللوبير ومارشال فوبان .

لكن هناك فارقاً هائلاً ، وهو الفارق بين «الماتيفاكتورة» القديمة و«الصناعة الكبيرة» الحديثة الذي هو (في تأثيره في الفلاح وفي المنتج الزراعي على نطاق ضيق وبوسائل انتاجه الخاصة) مثل الفارق بين البارودة القديمة ذات الماسورة اللينة لعام ١٦٨٠ والبندقية الحديثة متعددة الطلقات عيار ٧,٥٠مم لعام ١٨٩٢ . وفيما عدا ذلك ، فبينما كانت الزراعة على نطاق ضيق لا تبرح في ١٦٨٠ النمط الطبيعي للأنتاج ، وما كان يمكن أذن للزراعة الواسعة أن تكون سوى استثناء صاعد ، لكنه استثناء دوماً ، فان الزراعة الواسعة بالآلات هي القاعدة الآن ، وهي تصبح أكثر فأكثر النمط الوحيد للأنتاج الزراعي . وهكذا يبدو أن الفلاح في الوقت الراهن قد قضي عليه .

---

(١) الاقتصاد الطبيعي .

(٢) الاقتصاد المالي .

انك تذكر ما قال مؤلفنا في الرسالة عن جوكوفسكي(١) ـ أنه اذا استمر الخط الذي بوشر في ١٨٦١ فلا بدّ أن تلقى الأوبشينا الفلاحية الهلاك . وانه يبدو لي أن ذلك هو في سياق التحقيق في الوقت الراهن . انه ليبدو ان تلك اللحظة تقترب ، في بعض المناطق على الأقل ، حيث مجمل المؤسسات الاجتماعية القديمة للحياة الفلاحية الروسية لا تفقد قيمتها فحسب بالنسبة الى الفلاح الفرد ، بل تصبح غلاً ، بالضبط مثلما فعلت في أزمان سابقة في أوربا الغربية . واني لأخاف أن نكون مضطرين لمعاملة الأوبشينا على أنها حلم ماض وأن نتعامل في المستقبل مع روسيا الرأسمالية . ومما لا ريب فيه أن فرصة كبرى تضيع هكذا ، لكنه لا حيلة للمرء حيال الحقائق الاقتصادية . وان الشيء العجيب الوحيد هو أن نفس الأشخاص في روسيا الذين لا يكلون مطلقاً عن الدفاع عن التفوق الذي لا يقدر بثمن للمؤسسات البدائية الروسية بالمقارنة مع مؤسسات الغرب المتفسخ يبذلون قصارى جهدهم كي يدمروا هذه المؤسسات البدائية ويستعيضوا منها بمؤسسات الغرب المتفسخ !

لكنه إذا كان الفلاح الروسي محكوماً عليه بالتحول إلى بروليتاري صناعي أو زراعي ، فإن الملاك العقاري محكوم عليه فيما يبدو هو الآخر . إن المعلومات التي جمعتها تشير إلى أن هذه الطبقة مدينة أكثر من الفلاحين ولابدّ لها أن تبيع بصورة تدريجية . وإنه ليبدو أن طبقة جديدة من أصحاب الاراضي تتقدم بين تينك الطبقتين ، واولئك هم كولاك القرية أو بورجوازية المدينة ـ ولعلهم آباء أرستقراطية عقارية روسية مقبلة ؟ ؟

إن بوادر محصول السنوات الأخيرة أخرج هذه الامور جميعاً إلى وضح النهار . وأنا أوافق كلياً على رأيك بأن الاسباب اجتماعية كلياً . وأما القضاء على الأحراج ، فذلك شرط حيوي للمجتمع البورجوازي بالضرورة مثله كمثل دمار الفلاحين . وليس هناك بلد أوروبي «متحضر» إلا وأحس به ، وأميركا(٢) تحس به ، وكذلك روسيا من دون

---

(١) الاشارة الى الرسالة التي حررها ماركس الى هيئة تحرير **حوليات الوطن** . انظر الرسالة رقم ١٥٧ .

(٢) رأيت ذلك بنفسي في أميركا قبل أربع سنوات . وإن جهوداً كبيرة تبذل هناك من أجل مناهضة نتائجه وإصلاح الخطأ . [**ملاحظة من أنجلز**] .

ريب في الوقت الراهن . وهكذا فإن القضاء على الاحراج هو في رأيي عامل اجتماعي أساساً كما هو نتيجة أجتماعية . بيد أنه في الوقت نفسه ذريعة مشتركة جداً عند الفرقاء أصحاب المصلحة كي يلقوا باللوم من أجل الكوارث الاقتصادية على عاتق سبب لايمكن ظاهرياً تحميل مسؤوليته لأي أمرىء كان .

وفي رأيي أن رداءة الموسم لم تفعل إلا إبراز ما كان من قبل في حالة الكمون . بيد أنها عجلت بصورة رهيبة في سرعة العملية الجارية . إن الفلاح في موسم البذار هذا الربيع سوف يكون أضعف بصورة لا متناهية منه في موسم البذار في الخريف الفائت : ولسوف يدعى إلى استعادة قواه في ظروف غير مواتية أسوأ حتى درجة كبيرة منها فيما مضى . إن مملقاً غارقاً في الديون حتى أذنيه ، من دون ماشية ، ماعساه يفعل ـ حتى في الاماكن التي استطاع فيها أن يقضي الشتاء دون أن يضطر إلى مغادرة أرضه ؟ وبالتالي فإنه يبدو لي أنه لابدّ من انقضاء سنين قبل أن يتم التغلب كلياً على هذه الكارثة ، وأنه حين تُبلغ تلك النقطة ستكون روسيا بلاداً مختلفة كل الاختلاف حتى عما كانت عليه في الاول من كانون الثاني ١٨٩١ . ولسوف نضطر لأن نتعزى بفكرة أن هذه الاشياء جميعاً لابدّ آخر الامر أن تخدم قضية التقدم البشري .

أرسلت لك في الخريف الماضي كتاباً صغيراً : Ursprung der Familie (١) ، الطبعة الرابعة . لقد كان مسجلاً ، وكان عنواني على الغلاف ؛ وبما أنه لم يرد إلي ، فأرجو أن تكون استلمته .

أشكرك جزيل الشكر من أجل الصحف والمجلات العديدة المرسلة ـ إن تلك الخاصة بمندلييف تبعث على الاهتمام بصورة خاصة . لكني اسف أني لا استطيع حالياً أن أمنحها كل الانتباه الذي تستحقه ، وذلك من جراء العمل المرهق . أما مبلغ سرعتي في العمل الاضافي فهذا ماسوف تدركه حين أخبرك بأني منذ عيد رأس السنة حتى الآن ـ وهو على العموم أهدأ وقت لدي ـ لم أتمكن من تخصيص دقيقة واحدة للكتاب الثالث .

---

(١) أصل العائلة

إن تهانئك قد أرسلت كما هو واجب إلى باريس . مع أطيب تمنياتي ، المخلص لك دائماً

**ب .ف . روشر**

لا أخبار من صديقنا المشترك(١) ؟

## ٢٢٥

## انجلز إلى ن .ف . دانييلسون

**لندن ، في ١٨ حزيران ١٨٩٢**

... أكان في مقدور روسيا ، في عام ١٨٩٠ ، أن توجد وأن تحافظ على مركزها في العالم من حيث هي بلد زراعي خالص ، تحيا على تصدير قمحها وشراء المنتجات الصناعية الاجنبية به ؟ واعتقد أننا نستطيع هنا أن نجيب بكل أمان : **كلا** . إن أمة من مائة مليون إنسان تلعب دورا هاماً في التاريخ العالمي لا تستطيع ، في الشروط الاقتصادية والصناعية الراهنة ، أن نستمر في الحالة التي كانت روسيا فيها حتى حرب القرم . إن تطبيق المحركات البخارية والآلات العاملة ، ومحاولة إصطناع النسيج والمنتجات المعدنية بوسائل الانتاج الحديثة ، على الأقل من أجل الاستهلاك الداخلي ، كان **لا بدّ** أن تُبذل عاجلاً أم آجلاً ، لكن في جميع الاحوال في فترة مابين ١٨٥٦ و ١٨٨٠ . ولو لم تجرِ هذه المحاولة لتعرضت صناعتكم الرعوية المحلية للدمار على أي حال بفعل المزاحمة الآلية الانكليزية ، وأصبحت روسيا أخيراً ـ الهند ، بلاد خاضعة اقتصادياً للورشة المركزية الكبرى التي هي انكلترا . وإن الهند بالذات قد ردت بتعرفات الحماية ضد السلع القطنية الانكليزية ، كما عمدت بقية المستعمرات البريطانية جميعاً ، حالما حققت الحكم الذاتي ، إلى حماية مانيفاكتوراتها الداخلية ضد المزاحمة الجارفة للبلد الأم . إن الكتاب الانكليز المعنيين لا يستطيعون أن يفهموا السبب في أن مثالهم الخاص عن التجارة الحرة يُرْفَض في كل مكان وتُفرض تعرفات الحماية بدلاً عنه . ومن الطبيعي أنهم لا **يجرؤون** أن يفهموا أن هذا النظام الوقائي

---

(١) هـ . لوباتين .

الذي بات اليوم عمومياً على وجه التقريب هو وسيلة ـ أكثر أو أقل ذكاء ، وفي بعض الحالات حمقاء بصورة مطلقة ـ للدفاع الذاتي ضد هذه التجارة الحرة الانكليزية بالذات التي آلت بالاحتكار المانيفاكتوري الصناعي إلى سمته . (حمقاء على سبيل المثال في حالة ألمانيا التي أصبحت بلداً صناعياً كبيراً في ظل التجارة الحرة وحيث الحماية تمتد إلى المنتج الزراعي والخامات ، وبذلك رفعت تكاليف الانتاج الصناعي !) ولست اعتبر هذا اللجوء العمومي إلى الحماية صدفة مجردة ، بل رد فعل ضد احتكار انكلترا الصناعي الذي لا يطاق ، وشكل رد الفعل هذا يمكن ، كما قلت ، أن يكون منافياً بل أسوأ من ذلك ، لكن الضرورة التاريخية لمثل رد الفعل هذا تبدو لي واضحة وأكيدة .

إن سائر الحكومات ، حتى إذا كانت مطلقة كلياً ، ليست هي en dernier lieu(١) إلا منفذة الضرورات الاقتصادية للوضع الوطني . وإنّ في مكنتها أن تفعل ذلك بطرق مختلفة ، جيدة ورديئة ولا مبالية ؛ وفي مكنتها أن تعجل أو تعوق التطور الاقتصادي وعواقبه السياسية والحقوقية ، لكنه لا بدّ لها مع مرور الزمن من اتباعه . أما ما إذا كانت الوسائل التي نفذت بها الثورة الصناعية في روسيا هي الأفضل لهذه الغاية ، فتلك مسألة بحد ذاتها يمكن أن تؤول بنا بعيداً جداً إذا ناقشناها . وإنه ليكفي من أجل غرضي إذا استطعت أن أبرهن على أن هذه الثورة الصناعية ، بحد ذاتها ، كانت أمراً لا مفر منه ...

## ٢٢٦

## انجلز إلى ك . كاوتسكي

### رايد ، في ٤ أيلول ١٨٩٢

... لو كنت هنا خلال الانتخابات الأخيرة لتحدثت عن الفابيين بصورة مغايرة.ثمة أمر قد تقرر بصورة جامعة في تكتيكنا من أجل سائر البلدان والأزمان الحديثة ، ألا وهو الوصول بالعمال إلى نقطة تكوين حزبهم المستقل الخاص ، المعارض لجميع

---

(١) آخر الأمر.

الأحزاب البورجوازية . وخلال الانتخابات الأخيرة اتخذ العمال الانكليز للمرة الاولى ، وربما بصورة غريزية فحسب ، تحت ضغط مجرى الأحداث ، خطوة حاسمة في هذا الاتجاه ، وكانت هذه الخطوة ناجحة بصورة تبعث على الذهول وأسهمت في تطور عقول العمال أكثر مما فعل أي حدث آخر خلال السنوات العشرين الأخيرة . وما الذي فعله الفابيون ، لا هذا الفابي أو ذاك ، بل الجمعية بكاملها ؟ لقد بشرت ومارست **انتساب العمال إلى الليبراليين** ، فوقع ما كان متوقعاً : عين الليبراليون لهم أربعة مقاعد من المحال كسبها ففشل المرشحون الفابيون بصورة جلية . وإن الأديب المتناقض شو ـ وهو موهوب جداً وذكي على اعتباره أديباً لكنه عديم المنفعة بصورة مطلقة على اعتباره اقتصادياً ورجل سياسة ، وإن يكن شريفاً وليس وصولياً ـ قد كتب إلى بيبل أنهم إذا لم يتبعوا هذه السياسة الخاصة بفرض مرشحيهم على الليبراليين فلن يجنوا شيئاً سوى الهزيمة والخزي (وكأن الهزيمة ليست في كثير جداً من الأحيان أشرف من النصر ) وهؤلاء هم تابعوا سياستهم وجنوا الهزيمة والخزي على حد سواء .

تلك هي النقطة الأساسية في الموضوع كله . ففي ظرف برز العمال فيه للمرة الأولى بصورة مستقلة تنصحهم الجمعية الفابية بالبقاء ذيلا لليبراليين . وأنه لمن الواجب أن يخُبر الاشتراكيون في القارة بهذا الامر صراحة . أما السكوت عن ذلك فمعناه المشاركة في اللوم . وهذا هو السبب في أسفي لعدم ظهور الجزء الأخير من مقالة ايفلنغ(١) . إنه لم يكن post festum ، لم تكن فكرة متخلفة ، بل لقد أهمل أمره بكل بساطة في العجلة الهادفة إلى إخراج المقالة . وليست المقالة كاملة بدون وصف لموقف المنظمتين الاشتراكيتين جميعاً تجاه الانتخابات ، وقراء **الحياة الجديدة** يملكون الحق في الاطلاع على ذلك .

أعتقد أني أخبرتك بنفسي في رسالتي الاخيرة بأن الأعضاء الاقليميين في الاتحاد الاشتراكي الديموقراطي وفي الجمعية الفابية على حد سواء كانوا أفضل من الهيئة المركزية : بيد أن ذلك لا جدوى منه طالما أن موقف الهيئة المركزية يقرر موقف

---

(١) مقالة بقلم إليانور وادوارد ايفلنغ بعنوان «الانتخابات في بريطانيا العظمى» وقد نشرت في **الحياة الجديدة**

الجمعية . ولست أعرف أحداً من الشبان الرائعين الآخرين باستثناء بانر . ومن العجيب بما فيه الكفاية أن بانر لم يأت قط لرؤيتي منذ انضمامه إلى الجمعية الفابية . وأعتقد أن السبب في ذلك اشمئزازه من الاتحاد الاشتراكي الديموقراطي والحاجة إلى الانتساب إلى منظمة ما ، وربما بعض الاوهام أيضاً . بيد أن السنونو الواحد لا يصنع صيفاً .

إنك تجد في الجمعية الفابية شيئاً ناقصاً ، والأمر على النقيض من ذلك،فهؤلاء الناس متكونون بصورة زائدة : هذه عصابة من «الاشتراكيين» البورجوازيين من مختلف المقاييس ، من الوصوليين حتى الاشتراكيين العاطفيين وأصحاب النزعة الخيرية ، وليس ما يوحدهم سوى خوفهم من حكم العمال المتوعد وهم يفعلون كل ما في طاقتهم لكي يعطلوا خطرهم بجعل قيادتهم **الخاصة** مضمونة ، القيادة التي يمارسها «المثقفون». وإذا هم قبلوا في وقت لاحق عمالاً قليلين في مجلسهم المركزي كيما يكون في الامكان أن يلعبوا هناك دور العامل ألبير لعام ١٨٤٨ ، دور الاقلية الساقطة في الاقتراع دائماً ، فلا يجوز أن يخدع هذا السلوك كائناً من كان .

إن الوسائل التي تستخدمها الجمعية الفابية هي بالضبط تلك الوسائل التي يستخدمها السياسيون الفاسدون ، المال ، والمكائد ، والوصولية . تلك هي الطريقة الانكليزية التي من المفروغ منه وفقاً لها إن كل حزب سياسي (ويفترض أن الأمر مختلف بين العمال وحدهم !) يدفع لعملائه بطريقة أو أخرى أو يكافئهم بالمناصب . إن هؤلاء الناس غارقون حتى أعناقهم في مكائد حزب الاحرار ، وهم يشغلون مناصب في حزب الاحرار ، مثل سدني ويب الذي هو على العموم سياسي بريطاني حقيقي . إن هؤلاء القوم يفعلون كل ما يجب أن يحذر العمال ضده .

وبالرغم من ذلك كله فلست أطلب منك أن تعامل هؤلاء الناس كأعداء وكذلك لا يجوز لك في رأيي أن تحميهم من النقد ، بالضبط مثلما لا تحمي أي أمرىء آخر : وإن هذا بالضبط ما يبدو أنه كان المقصود من حذف الفقرات المتعلقة بهم في مقالة آل ايفلنغ . لكن إذا كنت تود أن يعطيك آل ايفلنغ مقالة عن تاريخ المنظمات الاشتراكية الانكليزية المختلفة ومواقفها فما عليك إلا أن تقول ذلك وسوف اقترح عليهما ...

## ٢٢٧

## انجلز إلى ف . مهرنغ

**لندن ، في ٢٨ أيلول ١٨٩٢**

الهر مهرنغ المحترم

أرسل كاوتسكي إليّ جزءاً من إحدى رسائلك مع استفسار موجه إلي . إذا كنت تعتقد أنك لا تستطيع مطلقاً أن تكتب إلي لأني قبل سنوات عديدة تركت رسالتين من رسائلك دون أن أرد عليهما ، فأنا لا أملك الحق في الشكوى في هذا الشأن . ففي ذلك الحين كنا ، كما ترى ، في معسكرين مختلفين ، وكان القانون المناهض للاشتراكية فعالاً ، وكان هذا يلزمنا بهذه القاعدة : من ليس معنا هو ضدنا ، وفضلاً عن ذلك ، فإذا تذكرت بصورة صائبة فقد قلت أنت نفسك أنك لا تستطيع أن تتوقع جواباً. بيد أن ذلك كان قبل زمن طويل جداً ، ومنذ ذلك الحين حدث أن أصبحنا في نفس المعسكر ،وقد نشرت أعمالاً ممتازة في **الحياة الجديدة** ، في حين لم أكن في حال من الاحوال شحيحاً في تقديري لها ، في رسائل إلى بيبل على سبيل المثال . ولذا فإني أنتهز بسرور فرصة الرد عليك مباشرة .

إن الادعاء بأن اكتشاف النظرة المادية في التاريخ يجب أن ينسب إلى الرومانسيين البروسيين من المدرسة التاريخية هو في الحقيقة شيء جديد بالنسبة إلي . إن لدي شخصيا كتاب مارفيتز **ميراث** . وقد قرأت الكتاب بكامله قبل سنوات قليلة ولم اكتشف فيه شيئاً سوى أمور رائعة عن الفروسية والاعتقاد الذي لا يتزعزع في القوة العجائبية لخمس ضربات سوط موجهة من رجل نبيل إلى رجل من العامة . وفيما عدا ذلك فقد بقيت غريباً تماماً عن هذا الأدب منذ ١٨٤١ ـ ١٨٤٢ ـ أنا لا أمنحه إلا الانتباه الأكثر سطحية ـ ومن المؤكد أني لا أدين له بأي شيء على الاطلاق في الحقل موضوع البحث . ولقد تعرف ماركس في الأيام التي قضاها في بون وبرلين إلى أدب آدم مولر وإلى كتاب الهر فون هاللر Restauration ، الخ ؛ وهو لا يتحدث إلا بازدراء عظيم عن هذه المحاكاة التفهة والمتعجرفة والشفهية للرومانسيين الفرنسيين جوزيف دي ميتر والكاردينال بونالد . لكنه حتى إذا صادف مقاطع من نمط المقطع المستشهد

به من لافيرن ـ بيغيلن[1] ، فلا يمكن أن تكون قد تركت فيه أدنى انطباع في ذلك الحين حتى إذا افترضنا أنه فهم جيداً ما يقصد أن يقوله هؤلاء الناس . لقد كان ماركس هيغلياً في ذلك الحين وكان ذلك المقطع هرطقة خالصة بالنسبة إليه . ولم يكن يعرف شيئاً على الاطلاق عن الاقتصاد السياسي وما كان يمكن أن تكون لديه أية فكرة عن معنى عبارة مثل Wirtschaftsform[2] . وهكذا فإن الفقرة المقصودة ، حتى إذا كان قد عرفها ، لا بدّ أن دخلت من أذنه الواحدة وخرجت من أذنه الثانية دون أن تترك أثراً ملموساً في الذاكرة . بيد أني أشك شكاً عظيماً في إمكانية العثور على آثار لمثل هذه الآراء في أعمال المؤرخين الرومانسيين الذين قرأهم ماركس بين ١٨٣٧ و ١٨٤٢ .

ومما لا ريب فيه أن الفقرة جديرة بالاهتمام حتى درجة فائقة ، لكني أود أن يتم التحقق من الشاهد . ولست أعرف الكتاب ، لكن مؤلفه مألوف لدي من حيث هو نصير «للمدرسة التاريخية» . وإن الفقرة تنحرف في نقطتين عن التصور الحديث : ١ً ـ في استخلاص الانتاج والتوزيع من البنية الاقتصادية بدلاً من استخلاص البنية الاقتصادية ، على العكس من ذلك ، من الانتاج ؛ و٢ً ـ في الدور الذي تعينه للاستخدام المناسب للبنية الاقتصادية التي يستطيع المرء أن يأخذها على أنها تعني أي شيء يمكن تصوره ، وذلك حتى يتعلم المرء من الكتاب نفسه ما يقصده المؤلف .

ومهما يكن من أمر ، فإن الشيء الأبعث على الدهشة هو أن التصور الصحيح عن التاريخ يصادف in abstracto لدى أولئك الناس بالذات الذين كانوا يشوهون التاريخ أكثر ما يشوهونه in concreto نظرياً وعملياً على حد سواء . وكان في مكنة هؤلاء الناس أن يروا على مثال الاقطاعية كيف أن شكل الدولة هنا ينشأ من البنية الاقتصادية لأن الأشياء واضحة وغير مقنعة هنا ، كما لو أنها على راحة يدك إذا جاز التعبير . وأقول «كان في مكنتهم» لأنه إذا تركنا جانباً الفقرة غير المحققة المذكورة أعلاه ـ أنت نفسك تقول إنها أعطيت إليك ـ فلم يكن بمقدوري قط أن أكتشف المزيد عنها سوى أن منظري الاقطاعية هم بكل تأكيد أقل تجريداً من الليبراليين

---

(١) موريتز فون ـ بيغلن: أسس العلم الاجتماعي .

(٢) شكل الاقتصاد .

البورجوازيين . وإذا ما عمد الآن أحد هؤلاء إلى المضي إلى أبعد من ذلك وتعميم هذا التصور عن الروابط بين انتشار الثقافة وشكل الدولة من جهة واحدة والبنية الاقتصادية داخل المجتمع الاقطاعي من جهة ثانية بتوسيعه بحيث يشمل سائر أشكال الاقتصاد والدولة ، فكيف نفسر بعدئذ العمى التام للرومانسي نفسه حالما تطرح على بساط البحث البنى الاقتصادية الأخرى ، مثلاً البنية الاقتصادية البورجوازية وأشكال الدولة المقابلة لمراحل تطورها المختلفة : الكومونة الطائفية الوسيطية ، والملكية المطلقة ، والملكية الدستورية ، والجمهورية ؟ إنه لمن الصعب جمع هذه الأمور معاً . وأن الرجل الذي يعتبر البنية الاقتصادية أساس التنظيم الاجتماعي والحكومي بأكمله ينتسب إلى مدرسة تعني بالنسبة إليها الملكية المطلقة للقرنين السابع عشر والثامن عشر ، بصورة مسبقة ، سقوط الانسان،خيانة للعقيدة الصحيحة عن الدولة .

وصحيح أنها تقول فضلاً عن ذلك إن شكل الدولة يأتي به بصورة محتومة البنية الاقتصادية **واستخدامها** المناسب مثلما يأتي بالطفل الاتحاد الجنسي بين الرجل والمرأة . وفيما يخص الشهرة العالمية لعقيدة المدرسة التي ينتسب المؤلف إليها ، فلا أستطيع أن أفسر ذلك إلا كما يلي : إن البنية الاقتصادية الحقيقية هي البنية الاقطاعية . لكن بقدر ما يتآمر ضدها خبث الانسان لا بدّ من «استخدامها بصورة مناسبة» بحيث يمكن أن يكون وجودها مأموناً ضد تلك الهجمات ويحافظ عليه إلى الأبد وبحيث يقابلها «شكل الدولة» ، الخ ، باستمرار ، يعني يجب أن ترد بقدر الامكان إلى الوضع الذي كانت فيه في القرن الثالث عشر او الرابع عشر . وعندئذ يتحقق على حد سواء أفضل العوالم وأروع النظريات التاريخية في وقت واحد ويرجع تعميم لافيرن ـ بيغلن من جديد إلى مضمونه الحقيقي : أن المجتمع الاقطاعي ينجب نظاماً سياسياً اقطاعياً .

وحتى أحصل على مزيد من المعلومات لا أستطيع إلا أن أفترض أن لافيرن ـ بيغلن ما كان يعرف ما كان يكتب . وفي الأمثال أن بعض الحيوانات تعثر كذلك على اللآلىء في بعض المناسبات وهذه الحيوانات ممثلة بقوة بين الرومانسيين

البروسيين . وفي جميع الأحوال لا بدّ دائماً من المقارنة مع النماذج الفرنسية للتأكد مما إذا لم يكن ذلك مستعاراً أيضاً .

ولا يبقى لي إلا أن أعبر عن شكري لاستلفاتك انتباهي إلى هذه النقطة التي لا أستطيع لسوء الحظ أن أمضي فيها إلى أبعد من ذلك في الوقت الراهن .

المخلص

**ف . أنجلز**

## ٢٢٨

## أنجلز إلى ف . أ . سورج

**لندن ، في ٣١ كانون الأول ١٨٩٢**

عزيزي سورج

بضعة سطور أخرى قبل أن ينتهي العام . تلقيت رسالتيك المؤرختين في ١٨ تشرين الثاني ١٨٩٢ و ١٦ كانون الأول . شكراً . هل تلقيت رزمة الكتب التي بعثت بها إليك بالبريد في أيلول والتي تضم **شرط الطبقة العاملة** ، الطبعة الجديدة ، **والاشتراكية الطوباوية والعلمية** ، المترجم من قبل إيفلنغ مع مقدمة بقلمي ؟ إن لم تتلقاها فسوف أرسل إليك رزمة ثانية مسجلة .

هنا في أوروبا العجوز الأمور أكثر حيوية منها في بلدك «الشاب» الذي لايبرح راغباً عن الخروج من مرحلة مراهقته . إنه لأمر ملحوظ ، وطبيعي كلياً ، كم تتجذر بثبات المستبقات البورجوازية حتى في الطبقة العاملة في مثل هذا البلد الشاب الذي لم يعرف الاقطاعية قط والذي شب على أسس بورجوازية منذ البداية . إن العامل الأميركي يتوهم ، من جراء معارضته بالذات للبلد الأم ـ الذي لا يبرح متوشحاً بقناعه الاقطاعي ـ أن النظام البورجوازي التقليدي الذي ورثه هو شيء تقدمي ويتفوق بطبيعته ولسائر الأزمان . هو non plus ultra . بالضبط كما أن المذهب التطهري في نيو انكلاند ، وهو السبب في وجود المستعمرة برمتها ، قد أصبح بناء على ذلك الأساس بالذات إرثاً متوارثاً ويكاد لا ينفصل عن النزعة الوطنية المحلية . ويستطيع الأمريكيون أن يجهدوا ويناضلوا ما شاؤوا ، لكنهم لا يستطيعون بكل بساطة أن

يخصموا مستقبلهم ـ وهو الكبير بصورة عملاقة ـ مثل سند مالي ! لا بدّ لهم أن ينتظروا اليوم الذي يستحق فيه ؛ ولأن مستقبلهم على هذا القدر من الضخامة ، فلا بدّ لحاضرهم من الانشغال بصورة رئيسية في العمل التحضيري لذلك المستقبل ، وهذا العمل هو ، كما هي الحال في كل بلد شاب ، من طبيعة مادية بصورة غالبة وينطوي على بعض التخلف الفكري ، والتعلق بالتقاليد المرتبطة بتأسيس القومية الجديدة . إن العرق الانكلوسكوني ـ هؤلاء الشليسويغ هولشتانيين كما كان ماركس يدعوهم دائماً ـ بطيء الذهن على أي حال ، وتاريخه في أوروبا وأميركا على حد سواء (النجاح الاقتصادي والتطور السياسي السلمي بصورة غالبة) زاد من ذلك أكثر فأكثر . وهذا ما لا يمكن أن تعالجه إلا الأحداث الكبرى ، وإذا ما أضيف إلى التحول الذي اكتمل على وجه التقريب للأراضي العامة إلى الملكية الخاصة توسع في الصناعة في ظل سياسة وقائية أقل جنوناً وكذلك الاستيلاء على الأسواق الأجنبية ، فقد تسير الأمور جيداً معكم أنتم أيضاً . إن الصراعات الطبقية هنا في انكلترا أيضاً قد كانت أشد هياجاً خلال مرحلة نمو الصناعة الكبيرة وهدأت بالضبط في مرحلة السيطرة غير المنازعة لانكلترا على العالم . وفي ألمانيا كذلك يتطابق تطور الصناعة الكبيرة منذ ١٨٥٠ مع صعود الحركة الاشتراكية ، ومن المرجح أن الأمر لن يكون مختلفاً في أميركا . أن تثوير جميع العلاقات التقليدية بفضل الصناعة إبان تطورها هو الذي يثوّر في الوقت نفسه عقول البشر .

وفضلاً عن ذلك فإن الأميركيين يزودون العالم الأوروبي منذ زمن طويل بالدليل على أن الجمهورية البورجوازية هي جمهورية رجال الأعمال الرأسماليين ، حيث السياسة عمل كمثل أي عمل آخر ؛ وإن الفرنسيين الذين عرف سياسيوهم البورجوازيون الحاكمون هذا الأمر طويلاً ومارسوه سراً يتعلمون الآن أخيراً ، من خلال فضيحة بناما(١) ، هذه الحقيقة على نطاق قومي . لكنه كي لا تتبجح الملكيات الدستورية بالمظاهر الفاضلة . فقد كان لكل منها بناماها الخاصة ـ انكلترا : فضائح

(١) وقعت فضيحة بناما في فرنسا في عام ١٨٨٢ . فبعد الانهيار المالي لشركة بناء القنال الفرنسية أميط اللثام عن لوحة فاضحة من الاحتيال والمقامرة الرأسماليين المترافقين بالفساد السياسي الكامل . ولقد اتضح أن جميع السياسيين الرئيسيين وسائر الصحف الفرنسية الكبرى قد تناولوا الرشوات .

جمعيات البناء ، وإحداها «المحرر» قد «حررت» كليا كتلة من المودعين الصغار من حوالي ٨٠٠٠٠٠٠ ليرة سترلينية من ودائع التوفير ؛ ألمانيا : فضائح بايار[١] ومدافع لدو[٢] (التي تثبت أن الضابط البروسي يسرق كما فعل دائماً ، لكن قليلاً ، قليلاً جداً ـ وهو الشيء الوحيد الذي هو متواضع فيه) ؛ إيطاليا : المصرف الروماني[٣] الذي تكاد فضيحته تضاهي فضيحة بناما ، وقد اشترى حوالي ١٥٠ نائباً وشيخاً . وقد بلغني أن وثائق في هذا الشأن على وشك أن تنشر في سويسرا ـ يجب على شلوتر أن يراقب كل ماينشر في الصحف عن البنك الروماني . وفي روسيا المقدسة يثور الأمير الروسي القديم ميشتشرسكي من جراء اللامبالاة التي استقبلت بها فضائح بناما في روسيا ولا يستطيع أن يجد لها تفسيراً سوى أن الفضيلة الروسية فسدت من جراء الأمثلة الفرنسية وأن «لدينا نحن أنفسنا أكثر من بناما واحدة في الوطن .» ...

---

(١) إن بايار ، المدير العام لمعامل فولاذ بوشوم ، قد حوكم بتهمة إخفاء موجودات الشركة بنية اختلاس الحكومة بعدم دفع الضرائب ، وتزوير الأختام ، وبيع خطوط من نوعية سيئة .

(٢) إن أصحاب معامل الذخيرة ل . لدو قد سلموا الدولة أسلحة من نوع رديء ، وقد رشوا موظفين من أصحاب المراتب العليا بغرض تحقيق ذلك .

(٣) إن كشفاً لحسابات البنك الروماني في عام ١٨٨٥ قد بين أن هذا المصرف أصدر شهادات ائتمان قيمتها ١٣٣ مليوناً بدلاً من ٧٠ مليوناً ودفع مبالغ طائلة كمكافآت لبعض النواب والشيوخ وغيرهم من المقربين من الحكومة .

# ١٨٩٣

## ٢٢٩

## انجلز إلى ف . أ . سورج

**لندن ، في ١٨ كانون الثاني ١٨٩٣**

... إن الفابيين هنا في لندن عصابة من الانتهازيين يملكون قدراً كافياً من الفهم كي يدركوا حتمية الثورة الاجتماعية ، لكنهم لا يستطيعون على الأرجح أن يكلفوا بهذه المهمة العملاقة البرولتياريا الخام وحدها ، وبالتالي فهم على ما يكفي من اللطف كي يتزعموها . ان الخوف من الثورة مبدؤهم الأساسي . انهم المثقفون par excellence . واشتراكيتهم هي الاشتراكية البلدية ؛ فليست الأمة بل **الجماعية** هي التي يجب أن تصبح مالكة وسائل الانتاج ، على أي حال في الوقت الحاضر . وان اشتراكيتهم هذه تمثل إذن من حيث هي العاقبة المتطرفة لكن المحتومة لليبرالية البورجوازية ؛ ومن هنا كان تكتيكهم بعدم معارضة الأحرار بصورة جازمة على اعتبارهم خصوماً بل دفعهم في اتجاه الاستنتاجات الاشتراكية ، وبالتالي التآمر معهم ، **تشريب** الليبرالية بالاشتراكية ـ عدم تقديم المرشحين الاشتراكيين ضد الأحرار بل تقييدهم إلى الأحرار ، وفرضهم على الأحرار ، والتزلف إلى هؤلاء كي يأخذوهم . أما أنهم حين يفعلون ذلك إما يُكذب عليهم ويُخدعون هم أنفسهم وإما يكذبون بشأن الاشتراكية ، فهذا بالطبع ما لا يدركونه هم أنفسهم .

وبحماسة عظيمة أنتجوا في ملء مختلف أصناف الهراء بعض الكتابات الدعائية الجيدة مع ذلك ، وفي الحقيقة أنها أفضل ما أنتجه الانكليز من نوعها ، لكنهم حالما ينصرفون إلى تكتيكهم الخاص بطمس الصراع الطبقي تفسد هذه الكتابات في الحال . ومن هنا كان حقدهم المتعصب على ماركس وعلينا جميعاً ـ بسبب الصراع الطبقي .

وان لهؤلاء الناس بالطبع أتباعاً بورجوازيين كثراً ، وبالتالي يملكون المال ....

## ٢٣٠

## انجلز الى أ . بيبل

**لندن ، في ٢٤ كانون الثاني ١٨٩٣**

... إني قلق جداً للحصول على النسخة الاختزالية لخطاب سنجر عن البورصة ؛ ان نصه جيد جداً في **فورفارتس** . بيد أن نقطة واحدة من هذا الموضوع يغض قومنا جميعاً النظر عنها بكل طيبة خاطر . إن البورصة مؤسسة حيث لا تستثمر البورجوازية العمال بل تستثمر **بعضها بعضاً** . ان فضل القيمة التي يجري انتقالها في البورصة من يد الى يد هي فضل قيمة **موجودة** مسبقاً ، نتاج استثمار **سابق** للعمل . ان فضل القيمة لا تستطيع أن تخدم أغراض احتيال البورصة إلا حين تكون عملية الاستثمار قد انتهت . ان البورصة لا تعنينا أولياً إلا بصورة غير مباشرة بالضبط كما أن تأثيرها، بارتكاسها على الاستغلال الرأسمالي للعمال ، لا يُشعر به إلا بصورة غير مباشرة ، إذ هو يفعل بطريقة ملتوية . أما المطالبة بأن يهتم العمال اهتماماً مباشراً ويظهروا استياءهم من الطريقة التي يُسلب بها الاقطاعيون العسكريون والمانيفاكتوريون والبورجوازيون الصغار في البورصة فمعناها المطالبة بأن يحمل العمال السلاح كي يحموا مستثمريهم المباشرين في امتلاكهم فضل القيمة التي سرقوها من هؤلاء العمال أنفسهم . لا ، شكراً . لكن من حيث هي الثمرة الأروع للمجتمع البورجوازي ، من حيث هي بؤرة الفساد الأقصى ، من حيث هي مستنبت فضيحة بناما وغيرها من الفضائح ـ وبالتالي أيضاً من حيث هي وسيط ممتاز من أجل مركزة الرساميل ، وتفكك وانحلال البقايا الأخيرة للروابط المتكونة بصورة طبيعية في المجتمع البورجوازي ، وفي الوقت نفسه من أجل محق جميع التصورات الأخلاقية سارية المفعول وتحويلها إلى نقائضها ، من حيث هي عنصر دمار لا يضاهى ، من حيث هي مسرع ليس أقوى منه للثورة العتيدة ـ ان البورصة بهذا المعنى التاريخي تعنينا كذلك بصورة مباشرة ....

# ٢٣١

# انجلز إلى هيئة تحرير الندوة البلغارية «الاشتراكي الديموقراطي»

## إلى هيئة تحرير ندوة «الاشتراكي الديموقراطي»(١)

**لندن ، في ٩ حزيران ١٨٩٣**

أيها الرفاق الحزبيون الأعزاء

أشكركم من صميم القلب لإرسالكم العدد الثاني من **الاشتراكي الديموقراطي** وأحاول أن أبينَّ لكم بالعبارة التي تتوّج رسالتي هذه اني شرعت على الأقل في فهم لغتكم . ان متطلبات الأممية تنمو كل عام ، وحتى عام ١٨٤٨ كان المرء يعتقد أنه حقق ما يكفي إذا كان يلم بعض الالمام باللغات الرئيسية في أوروبا الغربية والوسطى ، لكنه تم في الوقت الحاضر بلوغ نقطة حيث لا بدّ في سني المتقدمة أن أتعلم حتى الرومانية والبلغارية إذا كنت أريد أن أتتبع تقدم الاشتراكية في الشرق والجنوب الشرقي . ومهما يكن من أمر فاننا في الغرب بالرغم من ذلك كله نغتبط أيما اغتباط بمواقعتنا التقدمية في الجنوب الشرقي على الحدود الآسيوية التي تحمل بعيداً حتى البحر الأسود وبحر ايجه راية البروليتاريا الحديثة التي نشرها ماركس ـ لو أنه عاش حتى يرى ذلك ـ والتي ترد على اغراءات القيصرية الروسية وتهديداتها بمجابهة البيانات القيصرية بالأعمال الاشتراكية لأبطال البرولتياريا الروس : لقد سررت أيما سرور برؤية أعمال بليخانوف مترجمة إلى البلغارية .

عاشت الاشتراكية الأممية !

المخلص

**ف . انجلز**

---

(١) هذه العبارة بالبلغارية في النص الأصلي .

## ٢٣٢
## انجلز إلى ف . مهرنغ

**لندن ، في ١٤ تموز ١٨٩٣**

عزيزي الهر مهرنغ

هذه فرصتي الأولى اليوم لأشكرك على **أسطورة ليسنغ** الذي كنت لطيفاً جداً فأرسلته إلي . وما كنت أريد أن أقتصر في ردي على تعريف شكلي بتسلم الكتاب ، بل كان في نيتي في الوقت نفسه أن أضيف شيئاً عنه وعن محتوياته .. ومن هنا كان التأخير .

سوف أبدأ من النهاية ـ الملحق عن المادية التاريخية الذي رتبت فيه الأمور الرئيسية بصورة ممتازة ، وبصورة مقنعة بالنسبة إلى أي أمرىء غير مغرض . وإذا وجدت شيئاً أعترض عليه فهو أنك تمنحني من الجدارة أكثر مما أستأهل ، حتى إذا أخذنا بعين الاعتبار جميع الأشياء التي ربما أكون قد وجدتها بنفسي ـ في حينها ـ لكن التي اكتشفها ماركس بمزيد من السرعة بنظرته الأسرع ورؤيته الأعرض . وحين تتاح للمرء الفرصة السعيدة للعمل طوال أربعين سنة مع رجل مثل ماركس ، فان المرء عادة لا يحصل أثناء حياة هذا الرجل بالاعتراف الذي يحسب أنه يستحقه . ومن بعد ، حين يموت الرجل الأكبر ، فان الرجل الأصغر يبالَغ اذن في تقديره بكل سهولة ، وهذا ما يبدو لي أنه حالتي بالضبط في الوقت الحاضر : ان التاريخ سوف يصحح هذه الأمور جميعاً آخر الأمر ، ووقتئذ سوف يكون المرء قد قضى بكل هدوء ولن يعرف المزيد مطلقاً عن أي شيء كان .

وفيما عدا ذلك ، فان نقطة واحدة أخرى ناقصة ، وهي على أي حال نقطة قصرنا ماركس وأنا دائماً في التشديد عليها بصورة كافية في كتاباتنا ، ونحن جميعاً مذنبون بخصوصها على قدر المساواة . وأقصد من ذلك أننا جميعاً وضعنا ، ولم **يكن لنا بدٌّ** من وضع التشديد الرئيسي ، في المحل الأول ، على **اشتقاق** المفاهيم السياسية والحقوقية وغيرها من المفاهيم الايديولوجية ، واشتقاق الأفعال الحادثة بوساطة هذه المفاهيم ، من الوقائع الاقتصادية الأساسية . بيد أننا حين فعلنا ذلك أهملنا الجانب الصوري ـ الطرق والوسائط التي نشأت بها هذه المفاهيم ، الخ ـ على حساب المضمون . ولقد

(١) إن مقالة مهرنغ «في المادية التاريخية» قد نشرت عام ١٨٩٣ كملحق لكتاب **أسطورة ليسنغ** .

أعطى هذا خصومنا فرصة ميمونة من أجل سوء الفهم والتشويه ، وهو ما يشكل بول بارث مثالاً بارزاً عليه .

إن الايديولوجية عملية ينجزها ما يسمى المفكر بصورة شعورية ، هذا صحيح ، لكن بشعور خاطىء . إن القوى المحركة الفعلية الحافزة له تظل مجهولة منه ، وإلا فلن تكون بكل بساطة عملية ايديولوجية . ومن هنا فإنه يتوهم قوى محركة كاذبة أو ظاهرية . وبما أنها عملية فكرية فإنه يشتق شكلها ومضمونها على حد سواء من الفكر الخالص ، سواء أكان فكره أو فكر أسلافه . إنه يشتغل بمجرد مواد فكرية يقبلها دون تمحيص على اعتبارها نتاجاً للفكر ولا يستقصي أبعد من ذلك بحثاً عن مصدر أنأى مستقل عن الفكر . في الحقيقة أن ذلك أمر مفروغ منه بالنسبة إليه ، لأنه لما كان كل فعل **متوسطاً** له من قبل الفكر فأنه يبدو له في آخر تحليل **مؤسساً** على الفكر .

إن الأيديولوجي المؤرخ (والمؤرخ هنا يجب ان تكون عبارة تشتمل على الأيديولوجي السياسي والحقوقي والفلسفي ـ باختصار جميع المجالات المنتسبة إلى **المجتمع** وليس إلى الطبيعة وحدها) يملك على هذا الغرار في كل من مجالات العلم مواد تشكلت بصورة مستقلة انطلاقاً من فكر الأجيال السابقة وسارت في مجراها المستقل الخاص من التطور في عقول تلك الأجيال المتعاقبة . وصحيح أن الحقائق الخارجية المنتسبة إلى هذا المجال أو ذاك قد تمارس تأثيراً مقرراً مرافقاً في هذا التطور ، بيد أن الافتراض المسبق الضمني هو أن هذه الحقائق بالذات ليست هي كذلك سوى ثمار عملية فكرية ، بحيث تبقى ضمن ذلك الحقل الخاص بالفكر المجرد الذي يبدو أنه هضم بنجاح حتى الحقائق الأقسى .

إن هذا المظهر الخارجي الخاص بتاريخ مستقل لمؤسسات الدولة والأنظمة القانونية والتصورات الايديولوجية في كل ميدان منفصل هو الذي يدهش في المحل الأول معظم الناس . فإذا كان لوثر وكالفان «تغلبا» على الدين الكاثوليكي الرسمي أو هيغل «تغلب» على فخته وكانط أو روسو **بعقده الاجتماعي** الجمهوري «تغلب» بصورة غير مباشرة على مونتسكيو الدستوري ، فتلك عملية تظل ضمن اللاهوت والفلسفة أو العلوم السياسية ، وهي تمثل مرحلة في تاريخ هذه المجالات الفكرية الخصوصية ولا تتجاوز قط مجال الفكر . وما دام الوهم البورجوازي عن أبدية الانتاج الرأسمالي

وغائيته قد أضيف إلى ذلك أيضاً ، فإن التغلب على أنصار التجارة الحرة من قبل الفيزيوقراطيين وآدم سميث يعدّ هو الآخر من حيث هو مجرد انتصارٍ للفكر ؛ لا يعد من حيث هو انعكاس في الفكر للحقائق الاقتصادية المتغيرة ، بل من حيث هو الفهم الصحيح الذي تحقق آخر الأمر عن الشروط الفعلية القائمة في كل زمان وفي كل مكان ـ وفي الحقيقة أنه لو طبق ريشار قلب الأسد وفيليب أوغسطوس التجارة الحرة بدلاً من الانخراط في الحروب الصليبية لجُنّبنا خمسمائة سنة من البؤس والبلاهة .

هذا المظهر من القضية ، الذي لا أستطيع هنا أكثر من الاشارة إليه ، أعتقد أننا جميعاً أهملناه أكثر مما يستحق . تلك هي القصة القديمة : الشكل يهُمل دائماً بادىء الأمر من أجل المضمون . وكما أقول ، فهذا ما فعلته أنا الآخر ، ولم تستلفت الخطيئة نظري دائماً إلا في وقت متأخر . وهكذا فأنا لسنت بعيداً فقط عن لومك لهذا الأمر في حال من الأحوال ـ نظراً لأني أقدم الفرقاء المذنبين فمن المؤكد أنه ليس لي الحق في ذلك ؛ أن الأمر على النقيض من ذلك . أنني أود على أي حال أن ألفت انتباهك إلى هذه النقطة في المستقبل .

ويرتبط بذلك المفهوم الأبله للأيديولوجيين القائل ! إننا ، نظراً لأننا ننكر أي تطور تاريخي مستقل لمختلف المجالات الايديولوجية التي تلعب دوراً في التاريخ ، ننكر أيضاً **أي فعل لها في التاريخ** . وإن أساس ذلك هو التصور غير الجدلي المشترك عن السبب والنتيجة من حيث هما قطبان متعارضان بصورة جامدة والجهل التام بالتفاعل المتبادل . إن هؤلاء السادة غالباً ما ينسون عن قصد أنه إذا ما نشأ أي عنصر تاريخي عن عنصر آخر هو في آخر تحليل الأسباب الاقتصادية ، فإنه يتفاعل ، يستطيع أن يتفاعل على محيطه وحتى على الأسباب التي أدت إلى قيامه . ومثال ذلك بارث بخصوص الكهانة والدين ، وصفحتك ٤٧٥ . لقد كنت سعيداً جداً حين رأيت كيف وضعت هذا الفتى عند حده ، وتفاهته تتجاوز كل التوقعات ؛ وإنهم ليصنعون منه أستاذاً للتاريخ في لايبزغ ! ولا بد لي أن أقول أن ذلك العجوز فوتشسموث ـ وهو محدود أيضاً لكنه يقدر الحقائق عالياً ـ قد كان فتى مختلفاً كل الاختلاف .

وأما بالنسبة إلى البقية فلا أستطيع إلا أن أكرر عن الكتاب ما سبق فكررته مراراً عن المقالات لدى ظهورها في **الحياة الجديدة** ؛ ذلك حتى الآن أفضل عرض متوفر

لتكوين الدولة البروسية . وفي الحقيقة أن في مقدوري أن أقول كذلك أنه العرض الجيد الوحيد ، الذي يشرح بصورة مضبوطة في معظم المواضيع ترابطاتها حتى أدق التفاصيل . وإن المرء ليأسف فقط على أنك لم تتمكن أن تضمن فيها مجمل التطور اللاحق حتى بسمارك ويأمل بالرغم منه أن تتمكن من القيام بذلك في وقت آخر فتقدم لوحة متماسكة كاملة بدءاً من الناخب فريدريك وهلم حتى وهلم العجوز ، لقد قمت من قبل باستقصاءاتك الأولية ، وهي صالحة ومكتملة في معظمها على الأقل . ولا بد على أي حال من صنع هذا الأمر قبل فترة من تداعي الكوخ القديم المتهدم . إن تبديد الأساطير الملكية الوطنية ، وإن لم يكن مقدمة ضرورية بصورة مباشرة من أجل إلغاء الملكية التي تقنع السيطرة الطبقية (إن الجمهورية البورجوازية الخالصة في ألمانيا أصبحت باطلة حتى قبل ظهورها إلى الوجود) ، سوف يكون على أي حال إحدى الروافع الأشد فعالية لهذا الغرض .

ومن بعد فسوف تتوفر لك الفرصة والمزيد من الفسحة من أجل وصف تاريخ بروسيا المحلي من حيث هو جزء من البؤس العام الذي اجتازته ألمانيا . وهذه هي النقطة التي انفصل فيها حتى درجة ما من حين لآخر عن نظرتك ، وبالخاصة في تصور أسباب تمزيق ألمانيا وإخفاق الثورة البورجوازية الألمانية خلال القرن السادس عشر . وحين أنكب على إعادة صياغة المقدمة التاريخية لكتاب **حرب الفلاحين** ، وهو ما أرجو أن يحدث في الشتاء القادم ، فسوف يكون في مقدوري أن أشرح فيها النقاط موضوع البحث . ولا يعني هذا أني أعتبر النقاط التي أشرتَ إليها غير صحيحة ، لكني أضع نقاطاً أخرى إلى جانبها وأجمعها بصورة مختلفة حتى درجة ما .

في دراستي التاريخ الألماني ـ قصة حالة متواصلة من البؤس ـ وجدت دائماً أن مقارنة مع المراحل الفرنسية المقابلة تستطيع وحدها أن تعطي فكرة صحيحة عن النسب ، لأن ما حدث هناك هو النقيض المباشر لما يحدث في بلادنا : هناك إنشاء دولة قومية من الأجزاء المبعثرة للدولة الاقطاعية بالضبط في الوقت الذي نجتاز فيه مرحلة انحطاطنا الأعظم . هناك منطق موضوعي نادر خلال سياق العملية بأسرها ؛ وعندنا تمزق كئيب متعاظم . هناك ، إبان العصور الوسيطة ، يتمثل التدخل الأجنبي بالفاتح الانكليزي الذي يتدخل في مصلحة القومية البروفانسية ضد القومية الفرنسية

الشمالية : إن الحروب مع إنكلترا تمثل ، بطريقة ما ، حرب الثلاثين عاما التي تنتهي على أي حال بطرد الغزاة الأجانب وإخضاع الجنوب من قبل الشمال . ومن بعد يأتي الصراع بين السلطة المركزية وبورغنديا التابعة ، المعتمدة على أملاكها الأجنبية ، التي تلعب دور براندنبورغ ـ بروسيا ، وهو الصراع الذي ينتهي على أي حال بانتصار السلطة المركزية ويؤسس بصورة حاسمة الدولة القومية . وفي ذلك الحين بالضبط تنهار الدولة القومية كلياً في بلادنا (وذلك بقدر ما يمكن أن نسمي «المملكة الألمانية» ضمن الامبراطورية الرومانية المقدسة دولة قومية) ويبدأ نهب الأرض الألمانية على نطاق واسع . وإن هذه المقارنة لشديدة الأذلال بالنسبة إلى الألمان ، لكنها بالغة الفائدة لهذا السبب بالضبط . وبما أن عمالنا أرجعوا ألمانيا من جديد إلى مقدمة الحركة التاريخية فقد بات من الأسهل نوعاً ما بالنسبة إلينا أن نبتلع حقارة الماضي .

وإن صفة أخرى ذات مغزى بصورة خصوصية تميز تطور ألمانيا هي أن أياً من الدولتين الانفصاليتين اللتين اقتسمتا ألمانيا في آخر الأمر لم تكن دولة ألمانية خالصة ـ كانت كلتاهما مستعمرتين على أرض سلافية مغزوة : النمسا مستعمرة بافارية وبراندنبورغ مستعمرة سكسونية ـ وأنهما حصلتا على السلطة **ضمن** ألمانيا بالاعتماد فقط على دعم الأملاك الأجنبية غير الألمانية : النمسا على دعم المجر (إذا تركنا بوهيميا جانباً) وبراندنبورغ على دعم بروسيا . وعلى الحدود الغربية ، وهي الحدود التي كانت أشد عرضة للخطر ، لم يحدث شيء من هذا القبيل ؛ وعلى الحدود الشمالية تُرك للدانمركيين أمر حماية ألمانيا ضد الدانمركيين ؛ أما في الجنوب ، فقد كانت الأشياء الواجب حمايتها ضئيلة جداً بحيث أن حرس الحدود ، السويسريين ، نجحوا حتى في الانفصال عن السيطرة الألمانية !

بيد أنني انجرفت مع مختلف أنواع الشؤون العرضية . فليكن هذا الاستطراد برهاناً لك على مبلغ الاهتمام الذي أثاره عملك فيَّ .

لك مرة أخرى الشكر الخالص والتحيات من

المخلص

**ف . انجلز**

## ٢٣٣

# انجلز إلى ن . ف . دانييلسون

**لندن ، في ١٧ تشرين الأول ١٨٩٣**

سيدي العزيز

حين تلقيت رسالتك المؤرخة في ٢٥ تموز التي تعلن عن عودتك إلى الوطن كنت أنا نفسي على وشك السفر إلى الخارج لمدة شهرين وقد عدت لتوي . وهذا هو السبب في سكوتي الطويل .

شكري الجزيل من أجل النسخ من **الدراسات**(١) ـ وقد قدمت ثلاثاً منها إلى أصدقاء يعرفون كيف يقدرونها حق قدرها . واني لسعيد بأن أرى أن الكتاب أدى إلى قدر كبير من الاثارة ، بل الهياج في حقيقة الأمر ، كما يستحق جيداً . ولقد كان موضوع الحديث الرئيسي بين الروس الذين التقيتهم . وإن أحدهم قد كتب البارحة فقط : في بلادنا تجري مناقشة «مصير الرأسمالية في روسيا» (٢) . وفي الصحيفة البرلينية Sozial- Politisches Zentrablatt (٣) ، نشر سيد يدعى ب . ف . ستروفيه مقالة طويلة عن كتابك ؛ ولا بد لي أن أتفق معه في هذه النقطة الواحدة ، ألا وهي أن المرحلة الرأسمالية الحالية من التطور في روسيا تبدو لي أنا الآخر عاقبة لا مفرَّ منها للشروط التاريخية الناجمة عن حرب القرم ، والطريقة التي أنجز بها تغير عام ١٨٦١ في الشروط الزراعية ، والركودة السياسية في أوروبا عموماً . أما أين هو مخطىء بصورة جازمة فهو في مقارنته حالة روسيا الراهنة بحالة الولايات المتحدة بغرض دحض ما يسميه آراءك المتشائمة عن المستقبل . وهو يقول إن العواقب الشريرة للرأسمالية الحديثة في روسيا سوف يتم التغلب عليها بسهولة كما حدث في الولايات المتحدة . وإنه لينسى كلياً في هذا المجال أن الولايات المتحدة حديثة وبورجوازية من أصلها بالذات ؛ وأنها تأسست على يد بورجوازيين صغار وفلاحين هربوا من الاقطاعية الأوروبية كيما ينشئوا مجتمعاً بورجوازياً خالصاً . وأما في روسيا فإن لدينا قاعدة ذات

---

(١) نقولاي ـ ون : دراسات في اقتصادنا الاجتماعي ما بعد الاصلاح (١٨٩٣) .

(٢) هذه العبارة واردة بالروسية في النص الأصلي .

(٣) . Jahrgang ، العدد الأول ، الأول من تشرين الأول ١٨٩٣ [ملاحظة من أنجلز] .

طابع شيوعي بدائي ، لدينا Gentilgesellschaft[1] سابقاً للحضارة ، وصحيح أنه ينهار ، لكنه لا يبرح يخدم قاعدة ، الأساس الذي تعمل عليه وتتحرك الثورة الرأسمالية (ذلك أنها ثورة اجتماعية فعلية) . إن[2] Geldwirtschaft قائم في أميركا بصورة شاملة منذ أكثر من قرن كامل ، أما في روسيا فإن Naturalwirtschaft[3] قد كان القاعدة السائدة على وجه الحصر . ولذا فإنه من المعقول أن التبدل في روسيا لا بد أن يكون أعنف حتى درجة كبيرة ، وأوضح حتى درجة كبيرة ، ومترافقاً بآلام أعظم بصورة هائلة مما يمكن أن يحدث في أميركا .

لكنه لا يبرح يخيل إلي بالرغم من ذلك كله أن نظرتك إلى الأمور أقتم مما تبرره الحقائق . ومما لا ريب فيه أن الانتقال من الشيوعية الزراعية البدائية إلى التصنيع الرأسمالي لا يمكن أن يحدث دون تمزق كبير يتناول المجتمع ، دون زوال طبقات برمتها وتحولها إلى طبقات أخرى ؛ وأما ما ينطوي ذلك عليه بالضرورة من عذاب هائل وخسائر في البشر وفي القوى الانتاجية ، فهذا ما شاهدناه ـ على نطاق أضيق ـ في أوروبا الغربية . بيد أنه لا تزال هناك مسافة كبيرة بين هذا الأمر وبين الدمار التام لأمة عظيمة وذات مواهب فذة . إن الزيادة السريعة في السكان التي اعتدتم عليها قد يكبح جماحها ، كما أن القضاء عديم الرحمة على الغابات المترافق باغتصاب ملكية الملاكين العقاريين القدامى والفلاحين على حد سواء قد يسببان خسارة عملاقة في القوى الانتاجية ؛ بيد أن سكاناً يعدون أكثر من مائة مليون لا بد آخر الأمر ، على أي حال ، أن يوفروا سوقاً داخلية هائلة جداً من أجل صناعة كبيرة محترمة جداً ، وسوف تنتهي الأمور عندكم كما في كل مكان آخر إلى العثور على مستواها الخاص ـ إذا استمرت الرأسمالية الوقت الكافي في أوروبا الغربية .

وأنك لتعترف أنت نفسك بأن «الشروط الاجتماعية في روسيا بعد حرب القرم لم تكن ملائمة لتطور شكل الانتاج الذي ورثناه عن تاريخنا الماضي .» وسوف أمضي إلى أبعد من ذلك وأقول أنه ما كان يمكن في روسيا أكثر مما كان يمكن في أي مكان آخر تطوير شكل اجتماعي أعلى انطلاقاً من الشيوعية الزراعية البدائية ـ إلا إذا كان هذا

(١) المجتمع العشائري . (٢) الاقتصاد النقدي .

(٣) الاقتصاد الطبيعي .

الشكل الأعلى موجوداً من قبل في بلد آخر بحيث يخدم كنموذج . وبما أن هذا الشكل الأعلى هو ، حيثما كان ممكناً تاريخياً ، العاقبة الضرورية للشكل الرأسمالي للانتاج ولما يخلقه من تناحر ازدواجي اجتماعي ، فإنه لا يمكن تطويره بصورة مباشرة انطلاقاً من المشاعة الزراعية إلا محاكاة لنموذج موجود من قبل في مكان آخر : ولو أن غرب أوروبا كان ناضجاً ، في ١٨٦٠ ـ ١٨٧٠ ، لمثل هذا التحول ؛ ولو أن هذا التحول بوشر فيه إذن في انكلترا ، وفرنسا ، الخ ، فقد كان الروس دُعوا إذن لبيان ما الذي يمكن صنعه انطلاقاً من مشاعتهم التي كانت في ذلك الحين سليمة أكثر أو أقل . بيد أن الغرب ظل راكداً ، ولم تجر المحاولة لمثل هذا التحول ، وتطورت الرأسمالية بصورة متعاظمة . ولما لم يكن أمام روسيا خيار سوى هذا الخيار : إما أن تطور المشاعة الى شكل للانتاج قد كانت منفصلة عنه بعدد من الأطوار التاريخية ، ولم تكن الشروط ناضجة له وقتذاك حتى في الغرب نفسه ـ وهي بالتأكيد مهمة مستحيلة ـ وإما أن تتطور إلى الرأسمالية ، فماذا بقي أمامها إلا الفرصة الأخيرة ؟

وأما بالنسبة للمشاعة ، فإنها ليست ممكنة إلا بقدر ما تظل الفوارق في الثروة بين أعضائها زهيدة . ولا تكاد هذه الفوارق تكبر ، ولا يكاد بعض أعضائها يصبحون عبيداً مدينين للأعضاء الأغنى ، حتى لا يعود في قدرتها الاستمرار في الحياة . إن الفلاحين الكبار ومستغلي القرى في أثينا ، قبل سولون ، قد دمروا الجانس الاثيني بنفس تلك القسوة التي يدمر بها أشباههم في بلادكم المشاعة . وإني لأخشى أن تكون هذه المؤسسة قد حكم عليها بالزوال . لكن الرأسمالية ، من جهة أخرى ، تفتح آفاقاً جديدة وآمالاً جديدة . انظر إلى ما صنعته وتصنعه في الغرب . إن أمة كبيرة مثل أمتك تتجاوز جميع الأزمات . وليس هناك شر تاريخي كبير دون تقدم تاريخي يعدله . لكن طريقة العمل وحدها تتغير . Que les destinées s'accomplissent! (1)

المخلص دائماً

ل . ك .

حين يصبح الكتاب الثالث في المطبعة فسوف أعنى بأن أرسل إليك ما يصدر منه من الأوراق .

---

(١) فتأخذ المصائر مجراها !

## ١٨٩٤

## ٢٣٤

# انجلز إلى هـ . ستاركنبورغ

### لندن ، في ٢٥ كانون الثاني ١٨٩٤

سيدي العزيز

إليك الجواب عن أسئلتك :

١ ـ إن ما نفهمه من العلاقات الاقتصادية التي نعتبرها الأساس الحاسم لتاريخ المجتمع هو الأسلوب والطريقة اللذان ينتج البشر بهما في **مجتمع معين** وسائط معيشتهم ويتبادلون المنتجات فيما بينهم (بقدر ما يكون تقسيم العمل موجوداً) . وهكذا فإن **كل تقنية** الانتاج متضمنة هنا . ووفقاً لتصورنا فإن هذه التقنية تحدد كذلك أسلوب التبادل وطريقته ، وفضلاً عن ذلك توزيع المنتجات ، ومعه الانقسام **إلى طبقات** بعد انحلال المجتمع العشائري ، وبالتالي علاقات السيادة والعبودية ومعها الدولة ، والسياسة ، والقانون ، الخ . وفضلاً عن ذلك تشتمل العلاقات الاقتصادية على **القاعدة الجغرافية** التي تعمل على أساسها وتلك البقايا العائدة إلى المراحل الأبكر من التطور الاقتصادي التي نقلت فعلاً واستمرت في الوجود ـ وفي الأغلب من خلال العرف وحده أو بفعل العطالة ، وكذلك بالطبع البيئة الخارجية التي تحيط بهذا الشكل الاجتماعي .

وإذا كانت التقنية وقفاً حتى درجة كبيرة كما تقول على حالة العلم ، فالعلم يتوقف بصورة أعظم من ذلك أيضاً على **حالة** التقنية **ومتطلباتها** . فإذا كان المجتمع يتطلب حاجة تقنية ، فإن هذا يساعد العلم في التقدم أكثر مما تفعل عشر جامعات . إن توازن الموائع برمته (توريتشلي ، الخ .) قد قام بفعل ضرورة تنظيم الجداول الجبلية في ايطاليا في القرنين السادس عشر والسابع عشر . ونحن لم نعرف شيئاً معقولاً عن

الكهرباء إلا منذ اكتشاف قابليتها للتطبيق التقني . لكنها باتت لسوء الحظ عادة في ألمانيا أن يُكتب تاريخ العلوم وكأن هذه العلوم سقطت من السماء .

٢ ـ إننا نعتبر العلاقات الاقتصادية على أنها هي التي تقرر آخر الأمر التطور التاريخي . بيد أن العرق هو بحد ذاته عامل اقتصادي . وهنا لا بدّ على أي حال من أخذ نقطتين بعين الاعتبار :

آ ـ إن التطور السياسي والحقوقي والفلسفي والديني والأدبي والفني ، الخ ، يقوم على أساس التطور الاقتصادي . بيدَ أن هذه الأشياء جميعاً تؤثر في بعضها بعضاً كما تؤثر في الأساس الاقتصادي أيضاً . ولا يعني هذا أن الوضع الاقتصادي هو **السبب الفاعل وحده** ، في حين أن الأشياء الأخرى جميعاً ليست سوى سبب منفعل . إن هناك بالأحرى تفاعلاً على أساس الضرورة الاقتصادية التي تؤكد نفسها دائماً **آخر الأمر** . ومثال ذلك أن الدولة تمارس تأثيراً بواسطة تعرفات الحماية ، والتجارة الحرة ، والنظام الضرائبي الصالح أو الرديء ؛ بل إن العطالة القاتلة والعجز عند البورجوازي الصغير الألماني ، الناشئين عن الأوضاع الاقتصادية البائسة في ألمانيا من **١٦٤٨** حتى **١٨٣٠** والمتظاهرين أولاً في التقوية ، ومن بعد في العاطفية والخنوع المتذلل للأمراء والنبلاء ، لم يكونا دون نتيجة اقتصادية ، ولقد كان ذلك أحد المعوقات الكبرى في سبيل الابلال ولم يتزعزع حتى جاءت الحروب الثورية والنابليونية فجعلت من البؤس المزمن بؤساً حاداً ، وهكذا فليس الأمر أن الوضع الاقتصادي يؤدي إلى نتيجة أوتوماتية كما يحاول الناس هنا وهناك أن يتخيلوا بصورة مريحة . لا . ان البشر يصنعون تاريخهم بأنفسهم ، سوى أنهم يفعلون ذلك في بيئة معطاة هي التي تحدد ذلك التاريخ ، وعلى أساس العلاقات الفعلية القائمة مسبقاً ، وفي عدادها العلاقات الاقتصادية التي تظل ، مهما تأثرت بالعلاقات الأخرى ، السياسية والايديولوجية ، العلاقات الحاسمة في آخر تحليل ، التي تشكل المفتاح الذي يسيرها والذي يؤول وحده إلى الفهم .

ب ـ إن البشر يصنعون تاريخهم بأنفسهم ، لكنهم لا يصنعونه بعد بارادة جماعية ووفقاً لخط جماعي أو حتى في مجتمع معين ، محدد وواضح المعالم . إن مطامحهم تتصادم ، ولهذا السبب بالذات فإن جميع كتل هذه المجتمعات تخضع **للضرورة** التي

تكون الصدفة شكل ظهورها وفعلها المتمم . إن الضرورة التي تؤكد نفسها هنا ضد كل مصادفة هي مرة أخرى ، في آخر تحليل ، الضرورة الاقتصادية . وهنا يأتي دور ما يسمى الرجال العظام . أما أن هذا الرجل أو ذاك ، وعلى وجه الدقة رجلاً معيناً بالذات ، ينهض في زمن خصوصي في بلد خصوصي ، فهذا ما هو بكل تأكيد صدفة خالصة . لكن أبعده فلذا الطلب يقوم لبديل عنه ، وإذا هذا البديل يصادف ، أكان صالحاً أم طالحاً ، لكنه لا بدّ أن يصادف مع مرور الزمن . فإذا كان نابليون ، هذا الكورسيكي بالذات ، قد أضحى الدكتاتور العسكري الذي جعلته الجمهورية الفرنسية ضرورياً بعدما أنهكتها حروبها الخاصة ، فتلك كانت صدفة ؛ لكنه لو لم يتوفر نابليون هذا ، فلا بدّ أن آخر كان سيشغل مكانه ، وهو ما تثبته حقيقة أن الرجل كان يصادف حالما تمس الضرورة إليه : قيصر ، وأوغسطس ، وكرومويل ، الخ . وفيما اكتشف ماركس التصور المادي عن التاريخ ، فان تييري ، ومينييه ، وغيزو ، وجميع المؤرخين الانكليز حتى عام ١٨٥٠ ، يشكلون الدليل على السعي في اتجاه هذا التصور ، كما أن اكتشاف التطور نفسه من قبل مورغان يبرهن على أن الوقت كان ناضجاً من أجله وأنه كان لا بدّ بكل بساطة من اكتشافه .

كذلك هو الأمر بالنسبة إلى جميع المصادفات الأخرى ، والمصادفات الظاهرية ، في التاريخ . وبقد ما يكون المجال الخصوصي الذي نستقصيه بعيداً عن المجال الاقتصادي وقريباً من مجال الايديولوجية المجردة الخالصة ، فاننا نجد أنه يظهر أكثر فأكثر المصادفات في تطوره ، ويكون منحناه أشد تعرجاً . لكنك إذا رسمت الخط البياني للمحور المتوسط لهذا المنحني لوجدت أن هذا المنحني يمتد أقرب أكثر فأكثر من محور التطور الاقتصادي بقدر ما تطول المرحلة المأخوذة بعين الاعتبار وبقدر ما يعرض الحقل الموضوع تحت المعالجة .

وفي ألمانيا كان العائق الأكبر في سبيل الفهم الصحيح هو الاهمال غير المسؤول للتاريخ الاقتصادي من جانب الأدب . ولا تقتصر الصعوبة البالغة هنا على التخلص من عادة الأفكار عن التاريخ التي تشربها المرء في المدرسة ، بل هي أعظم من ذلك في مجال جمع المواد الضرورية من أجل القيام بذلك . ومثال ذلك من الذي قرأ على الأقل العجوز غ . فون غاليش الذي تتضمن مجموعته الجافة من المواد ، بالرغم من

كل شيء ، متاعاً كثيراً من أجل توضيح حقائق سياسية لا حصر لها !

وفيما عدا ذلك أعتقد أن المثال الرائع الذي قدمه ماركس في **١٨ برومير** يجب أن يزودك جيداً بالمعلومات بشأن أسئلتك ، وذلك بالضبط لأنه مثال عملي . وإني لأعتقد كذلك أني تطرقت إلى معظم النقاط في **أنتي ـ دوهرنغ** ، القسم الأول ، الفصول ٩ ـ ١١ ، والقسم الثاني ، الفصول ٢ ـ ٤ ، وكذلك في الفصل الأول من القسم الثالث ، أو المقدمة ، وكذلك في القسم الأخير من **فيورباخ** .

أرجو ألا تزن كل كلمة وردت أعلاه بمزيد من التدقيق ، لكن لا تنس الترابط العام ؛ واني لآسف لأني لا أجد متسعاً من الوقت كي أصوغ ما أكتبه إليك بمثل الدقة التي كنت سأضطر إليها من أجل النشر ...

## ٢٣٥

## انجلز إلى ف . توراتي(١)

**لندن ، في ٢٦ كانون الثاني ١٨٩٤**

عزيزي توراتي

إن الأوضاع في ايطاليا هي فيما يخيل إلي كما يلي :

إن البورجوازية التي صعدت إلى السلطة إبان التحرر الوطني وفي أعقابه لا هي تمكنت ولا هي كانت راغبة في إكمال انتصارها . فهي لم تدمر بقايا الاقطاعية كما أنها لم تعد تنظيم الانتاج الوطني على الأساس البورجوازي الحديث . ولما كانت عاجزة عن تزويد البلاد بحصة من الامتيازات النسبية والمؤقتة للنظام الرأسمالي فقد ألقت على كاهلها بجميع أعباء هذا النظام وسائر مساوئه . وكما لو أن هذه الأشياء لم تكن كافية ، فقد فقدت إلى الأبد ، بالألاعيب المصرفية الدنيئة ، أي احترام أو ثقة كانت تتمتع بهما بعد .

إن الشغيلة ـ من فلاحين وحرفيين وعمال زراعيين وصناعيين ـ قد وجدوا أنفسهم من جراء ذلك مسحوقين من جهة واحدة بالأسواء القديمة الموروثة ليس عن الأزمان

---

(١) هذه الرسالة كتبت أصلاً بالايطالية .

الاقطاعية وحدها ، بل حتى عن العصور القديمة (المحاصصة،والملكيات الكبيرة في الجنوب ، حيث تحل الماشية محل البشر) ؛ ومن جهة ثانية بأشره القوانين الضرائبية التي ابتدعها النظام البورجوازي في يوم من الأيام . تلك حالة يستطيع المرء تماماً أن يقول فيها مع ماركس : «ونحن نشكو ، في سائر الميادين الأخرى ، مثلنا مثل كل غرب أوروبا القارية ، لا من تطور الانتاج الرأسمالي فحسب ، بل من نقص هذا التطور في الوقت ذاته . ولا بدّ لنا أن نتحمل إلى جانب أنواء العصر الراهن سلسلة طويلة من الأدواء الوراثية الناشئة عن التفسخ المتصل لأساليب الانتاج المتخلفة ، بكل حاشيتها المحتومة من العلاقات السياسية والاجتماعية **البالية** التي تنشأ منها . وهكذا لا بدّ لنا أن نتألم لا من جهة الأحياء فحسب بل من جهة الموتى أيضاً . إن الميت يطبق على الحي le mort saisit le vif.(١)» .

إن الأوضاع تتجه نحو أزمة . والجماهير المنتجة تغلي في كل مكان ، وهي تهب هنا وهناك . أين ستقودنا هذه الأزمة ؟

من الواضح أن الحزب الاشتراكي فتي جداً بعد ، وهو من جراء الوضع الاقتصادي أضعف من أن يكون قادراً على الرجاء في انتصار الاشتراكية الفوري . وإن السكان الزراعيين ليتفوقون في مختلف أرجاء البلاد على سكان المدن ، كما أنه ليس في المدن إلا صناعات متطورة قليلة ، وبالتالي فالبروليتاريون **النموذجيون** قلة ، إن الحرفيين وصغار البقالين والعناصر التي تنتسب إلى أية طبقة ـ وهي كتلة تتذبذب بين البورجوازية الصغيرة والبروليتاريا ـ يشكلون الغالبية. تلك هي البورجوازية الصغيرة والمتوسطة للعصر الوسيط المنحطة والمنحلة ، ومعظمهم بروليتاريو المستقبل لكنهم ليسوا بروليتاريي الحاضر بعد . إن هذه الطبقة وحدها ، وهي تواجه باستمرار الدمار الاقتصادي وقد وقعت حالياً في براثن اليأس ، هي التي ستكون قادرة على تقديم كتلة المقاتلين وقادة الحركة الثورية على السواء . ولسوف يتأثر الفلاحون خطاها على هذه الدرب ، وهم المعوقون عن إظهار أية مبادرة فعالة بسبب تبعثر أراضيهم الشديد وأميتهم ، ومع ذلك سوف يكونون في جميع الأحوال أتباعاً أوفياء لا غنى عنهم .

---

(١) **رأس المال** ، الكتاب الأول ، القسم الأول ، منشورات دار اليقظة العربية ، دمشق ، ص : ١١ ـ ١٢ .

وفي حالة تحقق نجاح سلمي أكثر أو أقل سوف يحدث تغير في الوزارة بحيث يتسلم السلطة الجمهوريون «المتحالفون» ، أمثال كافالوتي وشركاهم ؛ وفي حالة ثورة سوف تقوم جمهورية بورجوازية .

وحيال هذه الامكانية ، ماذا يجب أن يكون واجب الحزب الاشتراكي ؟

منذ عام ١٨٤٨ كان التكتيك الذي حقق للاشتراكيين النجاحات الأعظم هو ذلك التكتيك المقرر في **البيان الشيوعي** :

«في مختلف مراحل التطور التي لا بدّ لنضال الطبقة العاملة ضد البورجوازية من اجتيازها يمثل الشيوعيون دائماً وفي كل مكان المصالح العامة للحركة بكاملها ... إن الشيوعيين يناضلون في سبيل بلوغ الأهداف الفورية وفي سبيل تحقيق المصالح المؤقتة للطبقة العاملة ؛ لكنهم يمثلون أيضاً ، في الحركة في الوقت الراهن ، مستقبل هذه الحركة ويعنون به» .(١)

ولذا فهم يلعبون دوراً فعالاً في كل طور من تطور الصراع بين الطبقتين دون أن يغيب قط عن نظرهم ان هذه الأطوار إنما هي مراحل مؤدية إلى الهدف الكبير الأول : الاستيلاء على السلطة السياسية من قبل البروليتاريا من حيث هو وسيلة لاعادة تنظيم المجتمع . إن مكانهم هو إلى جانب أولئك الذين يقاتلون في سبيل الحصول على مكاسب فورية في مصلحة الطبقة العاملة . وإنهم ليقبلون جميع هذه المكاسب السياسية أو الاجتماعية ، لكن **من حيث هي دفعات على الحساب** فقط . ولذا فهم يعتبرون كل حركة ثورية أو تقدمية خطوة في الاتجاه الذي يسيرون هم أنفسهم فيه . إن مهمتهم الخاصة هي حفز الأحزاب الثورية الأخرى قدماً ، وإذا ما انتصر أحدها الحفاظ على مصالح البروليتاريا . إن هذا التكتيك ، الذي لا يغيب عن نظره قط الهدف الكبير ، يوفر على الاشتراكيين خيبة الأمل التي لا بدّ بصورة محتومة أن تكون من نصيب الأحزاب الأخرى الأقل بصيرة سواء أكانوا جمهوريين أم اشتراكيين عاطفيين ، التي تخطىء فتأخذ ما هو مجرد مرحلة على أنه خاتمة مسيرتها المتقدمة .

ولنطبق هذا كله على ايطاليا .

---

(١) **البيان الشيوعي** ، منشورات دار دمشق ، دمشق ١٩٦٩ ، ص : ٦٢ .

إن انتصار البورجوازية الصغيرة المتفككة وطبقة الفلاحين قد يأتي الآن بوزارة من الجمهوريين «المتحالفين» . ولسوف يوفر لنا ذلك الاقتراع العام وحرية للحركة أعظم حتى درجة كبيرة (الصحافة ، والاجتماع ، والتجمع ، وإلغاء الرقابة البوليسية ، الخ .) ـ وهي أسلحة جديدة لا يجوز ازدراؤها .

أو قد يأتي لنا بجمهورية بورجوازية مع الأشخاص أنفسهم وبعض أنصار مازيني بينهم . ولسوف يزيد هذا حتى درجة كبيرة من حريتنا وحقل نشاطنا ، على الأقل في الوقت الحاضر . ولقد قال ماركس إن الجمهورية البورجوازية هي الشكل السياسي الوحيد الذي تمكن فيه مواصلة النضال بين البروليتاريا والبورجوازية حتى النهاية ، هذا إذا لم نقل شيئاً عن الانعكاسات التي ستترتب على ذلك في أوروبا .

وهكذا فإن انتصار الحركة الثورية الذي يهيأ حالياً لا بدّ أن يزيدنا قوة ويضعنا في بيئة أكثر ملاءمة . ولسوف نرتكب أفدح خطيئة إذا وقفنا جانباً ، إذا اقتصرنا في سلوكنا حيال الأحزاب «ذات العلاقة بنا» على نقد سلبي خالص . ولسوف تأتي لحظة يكون من واجبنا فيها أن نتعاون معها بصورة ايجابية . أية لحظة تمكن أن تكون تلك ؟

من المؤكد أنه ليس من شأننا بصورة مباشرة أن نهيىء حركة ليست هي بصورة حازمة حركة للطبقة التي نمثلها . وإذا كان الجمهوريون والراديكاليون يعتقدون أن ساعة العمل قد دقت ، فليطلقوا العنان لاندفاعهم . وأما نحن فما أكثر ما خدعنا بالوعود الطنانة لهؤلاء السادة كي نسمح لأنفسنا بالسقوط في الشرك مرة أخرى ، فلا يجوز لبياناتهم أو مؤامراتهم أن تحرك فينا ساكناً على الاطلاق وإذا لم يكن لنا بدّ من تأييد كل حركة شعبية **فعلية** فانه من واجبنا بصورة لا تقل عن ذلك أن نعني بألا يضحى بنواة حزبنا التي تكونت لتوها بصورة غير مجدية وبألا تهلك البروليتاريا في عصيانات محلية لا طائل منها .

لكنه إذا كانت الحركة ، على النقيض من ذلك ، قومية بصورة حقيقية فإن قومنا لن يظلوا مختبئين كما لن يحتاجوا إلى كلمة مرور ... ومهما يكن من شيء ، فيجب في مثل هذه الأحوال أن يكون مفهوماً بكل وضوح ، وهذا ما يجب أن نجاهر به ، أننا نسهم **من حيث نحن حزب مستقل** ، متحالف في الوقت الراهن مع الراديكاليين

والجمهوريين ، لكنه متميز منهم تماماً ؛ وأننا لا نغذي أية أوهام على الأطلاق بشأن نتيجة الصراع في حالة الظفر ؛ وأن هذه النتيجة ، وهي أبعد ما تكون عن إرضائنا ، لن تعني بالنسبة إلينا إلا مرحلة أخرى كسبت ، وقاعدة جديدة للعمليات من أجل انتصارات أخرى ، وأن سبلنا سوف تتباعد في يوم النصر بالذات ؛ وأننا سوف نشكل ابتداء من ذلك اليوم **المعارضة الجديدة** للحكومة الجديدة ، معارضة ليست هي رجعية بل تقدمية ، معارضة اليسار المتطرف ، التي سوف تندفع قدماً نحو انتصارات جديدة تتجاوز الأرض التي تم كسبها من قبل .

وقد تُمنح بعد النصر المشترك بعض المقاعد في الحكومة الجديدة ، لكنها سوف تكون **أقلية** دائماً . **وذلك هو الخطر الأعظم** ، فبعد شباط ١٨٤٨ ارتكب الديموقراطيون الاشتراكيون الفرنسيون (أولئك الذين من **الاصلاح ولودرو** - رولان ، وبلان ، وفلوكون ، الخ) خطيئة القبول بمثل هذه المناصب . ولما كانوا يشكلون أقلية في الحكومة فقد تقاسموا طوعاً المسؤولية عن جميع الدناءات والخيانة التي ارتكبتها الأكثرية ، المشكلة من الجمهوريين الخالصين ، ضد الطبقة العاملة ، بينما شل وجودهم في الحكومة شللاً تاماً النشاط الثوري للطبقة العاملة التي كانوا يدعون تمثيلها .

أعطيتك في كل ما تقدم رأيي الشخصي لأنك طلبته مني ، وقد فعلت ذلك بأعظم التردد . فبقدر ما يتعلق الأمر بالتكتيك العام اختبرت فعاليته طوال حياتي ، وهو لم يخذلني قط . وأما بخصوص تطبيقه على الشروط الراهنة فى ايطاليا ، فتلك قضية أخرى ، هذا ما يجب تقديره بصورة ميدانية من قبل أولئك الذين في خضم الأحداث .

**فريدريك أنجلز**

## ٢٣٦

## أنجلز إلى ب . لافارغ

**لندن ، في ٦ آذار ١٨٩٤**

... أجل ، ولكن لدينا جمهورية في فرنسا ، هذا ماسوف يخبرنا به الراديكاليون السابقون . ونحن نستطيع أن نستخدم الحكومة من أجل إجراءات اشتراكية .

بالنسبة للبروليتاريا لا تختلف الجمهورية عن الملكية إلا في أنها الشكل السياسي **الجاهز للاستخدام** من أجل حكم البروليتاريا المقبل . وأنتم تمتازون علينا في أنكم تملكونها أحياناً ، **ونحن** من جهتنا **لا بدّ لنا من إضاعة أربع وعشرين ساعة كي نصنعها** . بيد أن الجمهورية ،مثلها كمثل أي شكل آخر للحكم ، يحددها مضمونها . فبقدر ما هو شكل للديموقراطية البورجوازية فهي معادية لنا كأية ملكية (باستثناء **أشكال** هذه العداوة) . وبالتالي فانه وهم لا أساس له أن نعتبرها من حيث هي اشتراكية جوهراً في شكلها أو أن نكلفها بمهمات اشتراكية بينما هي خاضعة للبورجوازية . ولسوف يكون في مقدورنا أن ننتزع التنازلات منها ، لكنه لن يكون في مقدورنا **قط** أن نكلفها بتنفيذ ما هو شأننا وحدنا ، حتى إذا تمكنا من الاشراف عليها بواسطة أقلية هي على قدر كاف من القوة كي تتحول إلى أكثرية بين ليلة وضحاها ...

## ٢٣٧

# أنجلز إلى ف . أ . سورج

**لندن ، في ١٠ تشرين الثاني ١٨٩٤**

لا تبرح الحركة هنا تحمل بعض الشبه بالحركة الأميركية ، باستثناء أنها تتقدم عليكم **نوعاً ما** . إن الغريزة الجماهيرية بأنه من واجب العمال أن يشكلوا حزباً خاصاً بهم ضد الحزبين الرسميين تزداد قوة يوماً بعد يوم ؛ ولقد تظاهرت مرة أخرى بقوة أعظم من أي وقت مضى في الانتخابات البلدية في الأول من تشرين الثاني . بيد أن مختلف الذكريات التقليدية القديمة وانعدام الأشخاص القمينين بترجمة هذه الغريزة إلى عمل شعوري يضم البلاد بأسرها تشجع على استمرار التباس الفكر والانعزال المحلي للعمل في هذه المرحلة الأولية . وإن العصبية الأنكلوسكسونية تسود في الحركة العامة أيضاً . إن الاتحاد الاشتراكي الديموقراطي ، مثله كمثل حزب العمال الاشتراكي الألماني عندكم ، قد تدبر أمره ليحول نظريتنا إلى عقيدة جامدة لعصبة أرثوذكسية ؛ إنه انعزالي بصورة ضيقة الذهن وهو بفضل هايندمان يملك تقليداً عفناً تماماً في السياسة الدولية ، وهو تقليد يهتز بكل تأكيد من حين لآخر ، لكنه لم يقاطع كلياً

بعد . وإن حزب العمل المستقل غامض حتى الدرجة القصوى في تكتيكه ، وزعيمه كاير هاردي سكوتلندي بالغ المكر لا يجوز الوثوق للحظة واحدة بأحاييله الديماغوجية . وبالرغم من أنه الابن البائس لعامل منجم سكوتلندي فقد أسس صحيفة أسبوعية كبيرة ، **الزعيم العمالي** ، ما كان في الامكان إنشاؤها دون مبلغ كبير من المال ، وهو يحصل على هذا المال من التوري أو الاتحاد الليبرالي ، يعني من مصادر مناهضة لغلادستون ومناهضة للأنظمة الداخلية . ولا يمكن أن يكون ثمة ريب حول ذلك ، وعلاقاته الأدبية الشهيرة في لندن وتقاريره المباشرة ومواقفه السياسيةتؤكده جميعاً . وبنتيجة ذلك فانه قد يخسر بسهولة تامة مقعده في البرلمان في الانتخابات العامة لعام ١٨٩٥ من جراء تخلي الناخبين الايرلنديين والراديكاليين عنه ، وهو ما سوف يكون ضربة حظ موفقة ـ فالرجل هو العقبة الكبرى في الوقت الحاضر . إنه لا يظهر في البرلمان إلا في المناسبات الديماغوجية ، وذلك بغرض كسب الأهمية باستخدامه عبارات عن العاطلين عن العمل ـ دون أن يقوم بأي عمل على الاطلاق ـ أو بتوجيهه القذع إلى الملكة بمناسبة ولادة أحد الأمراء ، وهو شيء مبتذل ورخيص حتى الدرجة القصوى في هذا البلد ، وقس على ذلك . وفيما عدا ذلك فان ثمة عناصر جيدة جداً في الاتحاد الاشتراكي الديموقراطي وفي حزب العمل المستقل على حد سواء ، وبالخاصة في الأقاليم ، لكنها عناصر مبعثرة ، وقد تدبرت أمرها على الأقل كي تحبط سائر جهود الزعماء لتحريض كل من المنظمتين ضد الأخرى . وإن جون بورنز ليقف سياسياً لوحده على وجه التقريب ، متعرضاً للهجوم الخبيث من قبل هايندمان وكاير هاردي على حد سواء ، وهو يتصرف وكأنه يئس من التنظيم السياسي للعمال ، واضعاً آماله جميعاً في التريديونيون . ومن المؤكد أنه مرّ بتجارب رديئة مع ذلك التنظيم ، وقد يموت جوعاً لو أن اتحاد المهندسين لم يدفع له أجره البرلماني . انه مغرور ، وقد أتاح للأحرار ، يعني «الجناح الاجتماعي» للراديكاليين ، أن يقودوه أكثر مما يجب من أنفه ، وإنه ليعلق أهمية مبالغاً فيها على التنازلات المتفرقة العديدة التي فرضها ، لكنه بالرغم من ذلك كله الشخص الوحيد الشريف حقاً وفعلاً في الحركة بأكملها ، أقصد بين الزعماء ، وهو يملك غريزة بروليتارية بكل معنى الكلمة لا بدّ فيما أعتقد أن تقوده في اللحظة الحاسمة بمزيد من الصواب مما تفعل الحسابات الماكرة

والأنانية عند الآخرين .

وفي القارة يزيد النجاح الشهية لمزيد من النجاح ، وقد بات الامساك بالفلاح ، بالمعنى الحرفي للكلمة ، الزي الشائع . فأولاً لا يقتصر الفرنسيون ، في نانت ، على الاعلان بلسان لافارغ أنه ليس من شأننا (وهو ما كتبته لهم) أن نعجل بتدخلنا المباشر في دمار الفلاحين الصغار ، وهو ما تريده لنا الرأسمالية ، بل يضيفون أنه من واجبنا أن **نحمي** الفلاح الصغير بصورة مباشرة ضد الضرائب ، **والربا** ، والملاكين العقاريين . بيد أننا لا نستطيع أن نتعاون في هذا المضمار ، أولاً لأنه من قبيل السخف ، وثانياً لأنه محال . ومن بعد ، على أي حال ، يأتي فولمار في فرنكفورت ويبغي أن يرشي **طبقة الفلاحين بكاملها** ، وذلك بالرغم من أن الفلاح الذي يتعامل معه في بافاريا العليا ليس هو الفلاح الصغير المثقل بالدين الذي يعيش في منطقة الراين ، بل الفلاح المتوسط ، وحتى الفلاح الكبير ، الذي يستثمر اليد الزراعية المذكرة والمؤنثة ويبيع الماشية والحبوب بالجملة . ولا يمكن أن يتم ذلك دون التخلي عن المبدأ بأكمله . إننا لا نستطيع أن نكسب فلاحي الألب والفلاحين الكبار في سكسونيا الواطئة وشليسويغ ـ هولشتاين إلا اذا ضحينا بالأيدي الزراعية والعاملين الزراعيين المياومين لحسابهم ، وحين نفعل ذلك نخسر سياسياً أكثر مما نربح . ولم يتخذ مؤتمر الحزب في فرنكفورت موقفاً بشأن هذه المسألة ، وهذا في مصلحتنا بقدر ما سوف تدرس القضية بصورة شاملة في الوقت الحاضر . إن الأشخاص الذين كانوا هناك يعرفون الشيء القليل جداً عن طبقة الفلاحين وعن الشروط الريفية ، التي تختلف بصورة أساسية جداً في الأقاليم المختلفة ، بحيث ما كان في مقدورهم أن يفعلوا شيئاً باستثناء اتخاذ قرارات عشوائية . بيد أنه لا بدّ من تسوية المسألة ذات يوم على أي حال .

إن الحرب في الصين وجهت الضربة القاضية إلى الصين القديمة ، بحيث باتت العزلة مستحيلة ، لقد أصبح ادخال السكك الحديدية ، والآلات البخارية ، والكهرباء ، والصناعة الكبيرة الحديثة ، ضرورة ملحة ولو لأغراض الدفاع العسكري . بيد أن النظام الاقتصادي القديم الخاص بالزراعة الفلاحية الصغيرة ، حيث الأسرة تصنع كذلك منتجاتها الصناعية بنفسها ، يتحطم في الوقت نفسه ، ومعه كل النظام الاجتماعي القديم الذي جعل الكثافة السكانية النسبية أمراً ممكناً .

إن الملايين سوف يطردون ويجبرون على الهجرة ؛ وسوف تجد هذه الملايين طريقها حتى إلى أوروبا ، وبصورة كتلية . لكنه لن تقوم المزاحمة الصينية على نطاق جماهيري حتى تدفع سريعاً بالأزمة إلى أوجها في بلادكم وهنا أيضاً ، وبذلك فان غزو الرأسمالية للصين سوف يوفر في الوقت نفسه الحافز من أجل الاطاحة بالرأسمالية في أوروبا وأميركا ...

# ١٨٩٥

## ٢٣٨

## انجلز إلى ف . تونيز

**لندن ، في ٢٤ كانون الثاني ١٨٩٥**

... أثارت ملاحظاتك عن أوغست كونت اهتمامي . وبقدر ما يتعلق الأمر بهذا «الفيلسوف» ، ففي رأيي أنه لا بدّ بعد من القيام بعمل أساسي . لقد كان كونت طوال خمس سنوات سكرتيراً وصديقاً حميماً لسان سيمون الذي من المؤكد أنه كان يعاني من التخمة في الفكر . كان نابغة وصوفياً في آن واحد . ولم يكن من مواطن قوته أن ينشىء الوضوح والترتيب والنظام . وهكذا جرّ في كونت إلى أحضانه رجلاً لعله يستطيع بعد وفاة معلمه أن يقدم الى العالم هذه الأفكار الفائضة بطريقة منظمة . وكان يبدو أن دراسة كونت الرياضية وطريقته في التفكير تجعلانه مناسباً بصورة خصوصية لهذا العمل على خلاف التلامذة الآخرين الذين كانوا حالمين . وعلى حين غرة انفصل كونت عن «معلمه» وانسحب من المدرسة . ومن ثم ، بعد فترة طويلة من الزمن ، خرج «بفلسفته الوضعية» .

إن في هذا النظام ثلاثة عناصر مميزة : ١ً ـ مجموعة من الأفكار اللامعة التي يفسدها أكثر أو أقل على أي حال ، بصورة شبه دائمة ، القصور في الشرح ؛ ٢ً ـ طريقة في النظر الى الأشياء ضيقة ومرائية بصورة تتناسب مع ذلك ، الأمر الذي يتعارض بحدة مع ذلك التألق في الذهن ؛ ٣ً ـ تركيب ديني منظم تراتبياً ناشىء عن مصدر سان سيموني جامع ، لكنه خالص من كل صوفية ومتزن حتى الدرجة القصوى ، مع بابا حقيقي في قمته ، بحيث استطاع هكسلي أن يقول عن الكونتية إنها الكاثوليكية دون المسيحية .

وبعد فإني أراهنك على أن الرقم ٣ يزودنا بمفتاح التناقض بين رقم ١ و رقم ٢ ، وهو التناقض الذي لا يمكن فهمه لولا ذلك . لقد أخذ كونت جميع أفكاره اللامعة عن سان سيمون ، لكنه شوهها حين جمعها وصححها بطريقته الغريبة الخاصة ؛ فحين عراها من الصوفية التي كانت لاصقة بها جرها إلى مستوى أدنى ، معيداً صياغتها بطريقة مرائية كأفضل ما يستطيع . وإن الاصل السان سيموني يمكن ترسمه في العديد جداً منها ، وأنا على يقين من ان هذا الأمر سوف يكون ممكناً بعد في حالات أخرى إذا أمكن العثور على امرىء يعالج هذا العمل بصورة جدية . ومن المؤكد أن هذه الحقيقة كان يمكن اكتشافها قبل زمن طويل لو أن كتابات سان سيمون الخاصة لم تخنق كلياً بعد عام ١٨٣٠ بفعل الضجيج الذي أثارته المدرسة والديانة السان سيمونيتان اللتان شددتا وطورتا بعض جوانب تعاليم المعلم على حساب التصور الرائع من حيث هو كل واحد .

ومن بعد ، فإن هناك نقطة أخرى أود تصحيحها ، وهي الهامش في الصفحة ٥١٣(١) . فماركس لم يكن قط أميناً عاماً للأممية ، بل أمين عام لألمانيا وروسيا فحسب . كما أن أياً من أنصار كونت في لندن لم يسهم في تأسيس الأممية . إن البروفسور إ . بيسلي يستأهل مديحاً عظيماً لدفاعه عن الأممية في الصحافة في زمن الكومونة ضد الهجمات العنيفة التي تعرضت لها في ذلك الحين . وكذلك أيد فريدريك هاريسون الكومونة جهاراً . بيد أن الكونتيين بردت عواطفهم حتى درجة كبيرة حيال الحركة العاملة بعد ذلك بسنوات قليلة . كان العمال قد أصبحوا أقوياء جداً ، وبات الآن من الواجب الحفاظ على التوازن المناسب بين الرأسماليين والعمال (وجميعهم منتجون على أي حال حسب رأي سان سيمون) ، ولهذه الغاية كان لا بدّ من دعم الرأسماليين مرة أخرى . ومنذ ذلك الحين التف الكونتيون بالسكوت التام تلقاء مسألة العمل .

مع احترامي العميق

المخلص

**ف . إنجلز**

---

(١) يشير انجلز إلى الهامش الوارد في كتاب ف . تونيز **فلسفة التاريخ الجديدة عند هيغل وماركس وكونت** .

## ٢٣٩

# انجلز إلى ج . ف . بليخانوف

**لندن ، في ٢٦ شباط ١٨٩٥**

... لن يتوفر لي الوقت لأقرأ نقد كتابي(١) في **الثروة الروسية** ، فقد قرأت ما يكفي عن هذا الموضوع في عدد كانون الثاني لعام ١٨٩٤(٢) . وأما بخصوص دانييلسون ، فأخشى ألا تحقق معه أي نتيجة على الاطلاق . لقد بعثت إليه في رسالة المواد عن الشؤون الروسية المأخوذة من Internationales aus dem «Volk Staat» (٣) ، وبصورة خاصة ملحق عام ١٨٩٤(٤) الذي لم **يكتمل** ، وهو المقصود فيه مباشرة . ولقد تلقاه ، ولكن دونما غرض كما ترى ، إنه لمن المحال مناقشة الأمور مع ذلك الجيل من الروس الذي ينتسب إليه والذي لا يبرح يؤمن بالرسالة الشيوعية عفوياً التي تميز روسيا ، روسيا المقدسة الحقيقية ، من الشعوب الدينيوية الأخرى .

وفيما عدا ذلك ، ففي بلاد مثل بلادكم حيث طُعمت الصناعة الكبيرة الحديثة على الجماعة الفلاحية البدائية وحيث جميع الأطوار المتوسطة للحضارة ممثلة في الوقت نفسه ، في بلاد محاطة فضلاً على ذلك بجدار فكري صيني أكثر أو أقل فاعلية رفعه الطغيان ، لا يجوز أن يدهش المرء إذا هو صادف تراكيب الأفكار الأشد غرابة واستحالة . انظر الى ذلك الشيطان البائس فليروفسكي الذي يتوهم أن الموائد والأسرة تستطيع أن تفكر لكن لا تستطيع أن تتذكر . تلك مرحلة لا بدّ للبلاد من اجتيازها . وشيئاً فشيئاً ، مع نمو المدن ، تزول عزلة أصحاب الموهبة وتزول معها الانحرافات الذهنية الناجمة عن الوحدة ، وعن تفكك المعرفة المتفرقة لهؤلاء المفكرين العجيبين ، وكذلك حتى درجة ما اليأس القائم عند النارودنيين حين يرون آمالهم تضمحل . وفي الحقيقة أن النارودني الارهابي سابقاً سوف ينتهي بصورة مناسبة جداً لأن يصبح قيصرياً .

---

(١) الاشارة إلى مقالة بقلم ل . زاك «المادية التاريخية» حاول المؤلف فيها نقد كتاب انجلز **أصل العائلة والملكية الخاصة والدولة** .

(٢) اشارة إلى مجلة ميخائيلو فسكي **الأدب والحياة** .

(٣) مجموعة مقالات بقلم انجلز في مواضيع دولية منتقاة من صحيفة **فولكستات** .

(٤) ف . انجلز : كلمة ختامية لمقالة «في العلاقات الاجتماعية في روسيا» .

وكيما أستطيع التدخل في هذا السجال لا بدّ لي من قراءة أكوام من الكتب ، ومن بعد متابعته والرد عليه ، الأمر الذي سوف يستهلك وقتي كله لسنة كاملة ، ولعل النتيجة النافعة الوحيدة سوف تكون اذن معرفة باللغة الروسية أفضل كثيراً من معرفتي الراهنة . لكنه مطلوب مني أن أفعل الشيء نفسه لايطاليا بخصوص لوريا المحترم ، وأنا غارق في العمل في وضعي الراهن ...

## ٢٤٠

## انجلز الى ك . شميدت

**لندن ، في ١٢ آذار ١٨٩٥**

... تعطيني رسالتك بعض النور ، فيما أحسب ، عن كيفية انحرافك عن جادة الصواب بخصوص معدل الربح . واني لأصادف هناكَ نفس الطريقة في الانغماس في التفاصيل ، وهي التي ألقيت تبعة لومها على المنهج الانتقائي في التفلسف الذي قام بغزوات عديدة على الجامعات الألمانية منذ عام ١٨٤٨ والذي يفقد كل منظور عام وغالباً جداً ما ينتهي الى الاستغراق التأملي عديم الهدف والجدوى في التفاصيل ، وان كانط هو على وجه الدقة ، من بين الفلاسفة الكلاسيكيين ، من شُغلت به من قبل بصورة رئيسية ، وقد كان كانط مضطراً أكثر أو أقل ، من جراء مركز التفلسف الألماني في زمنه ومن جراء معارضته لليبزيانية ولف المتحذلقة ، أن يقدم بعض التنازلات الصورية الظاهرية لهذا التأمل الوولفياني . هكذا أفسر ميلك ، الذي يظهر كذلك في التذييل عن قانون القيمة في رسالتك ، إلى الاستغراق جداً في التفاصيل دون أن تعنى دائماً ، فيما يخيل إلي ، بالترابط من حيث هو كل واحد ، بحيث تنحط بقانون القيمة إلى مجرد الوهم ، الوهم الضروري ، نوعاً ما على طريقة كانط الذي يجعل من وجود الله احدى مسلمات العقل العملي .

ان الاعتراضات التي تثيرها على قانون القيمة تنطبق على جميع المفاهيم ، المأخوذة بعين الاعتبار من وجهة نظر الواقع . ان هوية الفكر والوجود ، كيما أعبر عن نفسي بالطريقة الهيغلية ، تتطابق في كل مكان مع مثالك عن الدائرة ومتعدد الأضلاع . ولكن كليهما ، مفهوم الشيء وواقعه ، يسيران جنباً إلى جنب مثل خطين

مقاربين ، يتقاربان دائماً ولا يلتقيان أبداً مع ذلك . ان هذا الفارق بين الاثنين هو بالضبط الفارق الذي يمنع المفهوم من أن يكون الواقع بصورة مباشرة وفورية ، والواقع من أن يكون بصورة فورية مفهومه الخاص . ولما كان المفهوم يملك الطبيعة الجوهرية للمفهوم ولا يستطيع بالتالي أن يتطابق بصورة مباشرة[1] prima facie مع الواقع ، الذي لا بدّ أن يجرّد انطلاقاً منه بادىء الأمر ، فهو شيء أكثر من الوهم ، الا اذا كنت تريد أن تنادي بجميع نتائج الفكر أوهاماً لأن الواقع لا يقابلها إلا بصورة غير مباشرة ، وحتى في هذه الحال بصورة مقاربة فقط .

أيختلف الأمر مع المعدل العام للربح ؟ انه لا يوجد ، في أية لحظة خصوصية ، إلا بصورة تقريبية فقط . فاذا هو تطابق مرة في مؤسستين حتى أضأل مثقال ، اذا أعطتْ كلتاهما **نفس معدل الربح بالضبط** في سنة معينة ، فلن يكون ذلك إلا مصادفة خالصة ؛ ففي حقيقة الأمر أن معدلات الربح تختلف من عمل إلى عمل ومن سنة الى سنة وفقاً للظروف المختلفة ، وليس للمعدل العام وجود إلا من حيث هو متوسط أعمال عديدة وسنوات عديدة . لكننا إذا طلبنا أن يكون معدل الربح ـ ولنقل ١٤,٨٧٦٩٣٤ ... متماثلاً بالضبط في كل عمل وكل سنة حتى الكسر المئوي ، وإلا اتهمناه بأنه وهم خالص ، فاننا نخطىء اذن بصورة فادحة في فهم طبيعة معدل الربح والقوانين الاقتصادية عامة ؛ فليس لأي منها حقيقة الا من حيث هو مقاربة ، اتجاه ، متوسط ، وليس من حيث هو واقع فوري . وان مرد ذلك من جهة واحدة الى حقيقة أن فعلها يرتطم بالفعل المتواقت لقوانين أخرى ، لكن من جهة أخرى إلى طبيعتها الخاصة من حيث هي مفاهيم .

أو خذ قانون الأجور ، تحقيق قيمة قوة العمل ، الذي لا يتحقق إلا من حيث هو متوسط ، وحتى في هذه الصورة ليس دائماً ، والذي يختلف في كل محلة ، وحتى في كل فرع ، وفقاً لمستوى الحياة المألوف . أو الريع العقاري ، الذي يمثل فضل قيمة زيادة على المعدل العام ، مشتقة من قوة طبيعية محتكرة . فهنا أيضاً لا وجود في حال من الأحوال لتطابق آلي بين فضل القيمة الحقيقية والريع الحقيقي ، بل متوسط تقريبي فحسب .

---

(١) بدهياً .

وينطبق الأمر نفسه بالضبط على قانون القيمة وتوزيع فضل القيمة بواسطة معدل الربح .

١ ـ ان كليهما لا يبلغان تحقيقهما التقريبي الأكمل الا على افتراض أن الانتاج الرأسمالي أقيم في كل مكان بصورة كلية ، يعني أن المجتمع أرجع إلى الطبقات الحديثة للملاكين العقاريين ، والرأسماليين (الصناعيين والتجار) ، والعمال ـ وقد تم التخلص من سائر الشرائح المتوسطة . إن هذا الشرط لم يتوفر بعد حتى في انكلترا ، ولن يتوفر ابداً ـ فنحن لن نسمح له ببلوغ هذا المدى .

٢ ـ ان الربح ، بما فيه الريع ، يتألف من أجزاء مركبة مختلفة : ـ

أ ـ الربح من الغش ـ الذي يشطب من المجموع الجبري للأرباح .

ب ـ الربح من زيادة قيمة المخزونات (مثلاً بقايا المحصول الأخير حين يكون المحصول التالي رديئاً) . ونظرياً **لابدّ** أيضاً أن يعدل آخر الأمر (بقدر ما لا يكون قد ألغي مسبقاً بانخفاض قيم البضائع الأخرى) إما باضطرار الشارين الرأسماليين لدفع ما يربحه البائعون الرأسماليون ، وإما في حالة وسائط معيشة العمال بالزيادة في الأجور مع مرور الزمن . ومهما يكن من أمر ، فان الأهم من بين هذه الزيادات في القيمة **لا تتحقق في الوقت المحدد** ، وبالتالي فالتسوية لا تحدث الا في متوسط عدة سنوات ، وبصورة ناقصة تماماً ، وبالخاصة على حساب العمال ؛ انهم ينتجون المزيد من فضل القيمة لأن قوة عملهم لا يدفع ثمنها بصورة كاملة .

ج ـ مجموع فضل القيمة ، الذي يطرح منه على أي حال ذلك القسم الذي **يقدَّم كهدية إلى الشاري** ، وعلى الأخص في الأزمات ، حين تنقص قيمة الانتاج الزائد الى مقدار العمل الضروري اجتماعياً الذي تتضمنه فعلياً .

وفي الحقيقة أنه يترتب على ذلك منذ البداية أن الربح الاجمالي وفضل القيمة الاجمالية لا يمكن أن يتطابقا الا بصورة تقريبية . لكنك حين تمضي فتأخذ بعين الاعتبار حقيقة أن فضل القيمة الاجمالية والرأسمال الاجمالي على حد سواء ليسا مقدارين ثابتين بل مقداران متحولان يتغيران من يوم الى آخر ، فان أي تطابق اذن مع معدل الربح من خلال دم/د(ر + ف) غير تطابق المجموعات المتقاربة ، وأي تطابق بين السعر الاجمالي والقيمة الاجمالية غير التطابق الذي يسعى باستمرار نحو الوحدة

ويبتعد أبداً عنها من جديد ، يبدو أمراً مستحيلاً كلياً . وبكلام آخر ، فان وحدة المفهوم والظاهرة تمثل من حيث هي عملية لا متناهية أساساً ، وتلك هي حقيقها ، في هذه الحالة كما في غيرها من الحالات .

هل تطابقت الاقطاعية قط مع مفهومها ؟ لقد تأسست في مملكة الفرنكيين الغربيين ، وطورت قدماً في نورماندي من قبل الغزاة النروجيين ، وأحسن اعدادها من قبل النورمانديين الفرنسيين في انكلترا وجنوب ايطاليا ، ولقد اقتربت من مفهومها أكثر من أي وقت آخر في مملكة اورشليم العابرة التي خلفت وراءها ، في **مجموعة قوانين اورشليم**(١) ، التعبير الأكثر مدرسية عن النظام الاقطاعي . أكان هذا النظام وهماً لأنه لم يحقق في شكله الكلاسيكي إلا وجوداً قصير العمر ، وذلك في فلسطين وحدها ، وحتى هذا على الورق وحده في الأغلب ؟

أم أن المفاهيم السائدة في العلوم الطبيعية أوهام لأنها لا تتطابق دائماً مع الواقع في حال من الأحوال ؟ فحالما نقبل بنظرية التطور لا تتوافق جميع مفاهيمها عن الحياة العضوية مع الواقع إلا بصورة تقريبية . والا ما أمكن أن يكون تحول . ويوم تتطابق المفاهيم والواقع بصورة تامة في العالم العضوي يتوقف التطور . ان المفهوم السمك يتضمن الحياة في المياه والتنفس بواسطة الغلاصم : من أين لك أن تنتقل من السمك الى الضفدعيات دون أن تفجر هذا المفهوم ؟ ولقد فجِّر بالفعل ، لأننا نعرف مجموعة كاملة من الأسماك تطورت مثاناتها الهوائية الى رئات ، فهي تستطيع أن تتنفس الهواء . وكيف تستطيع ، دون أن تجعل أحد المفهومين أو كليهما في نزاع مع الواقع ، أن تنتقل من الزواحف التي تضع بيوضاً الى الثديات التي تلد أولاداً أحياء ؟ وفي الحقيقة أن لدينا في احاديات المسلك شريحة كاملة من الثديات التي تضع بيوضاً ـ في عام ١٨٤٣ شاهدت بيوض البلاتيبوس في مانشستر وهزئت من مثل هذه السخافة بضيق ذهني متبجح ـ فكأن الحيوان الثدي يمكن أن يضع بيوضاً ـ واذا هذه الحقيقة قد ثبتت الآن ! وهكذا لا تصنع بمفهوم القيمة ما كان لا بدّ لي في وقت لاحق ان أسأل البلاتيبوس المغفرة عنه !

---

(١) مجموعة قوانين لمملكة أورشليم في القرنين الحادي عشر والثالث عشر .

إني لأجد كذلك في مقالة سومبارت عن الكتاب الثالث[1]، وهي ممتازة على أي حال ، هذا الميل الى تمديد نظرية القيمة ؛ من الواضح أنه كان هو الأخر يتوقع حلاً مختلفاً حتى درجة ما .

ان مقالتك في سنترالبلات[2] **جيدة جداً** في الحقيقة ، وقد برهنت فيها بصورة ممتازة على الفارق النوعي بين نظرية ماركس عن معدل الربح ـ بالتحديد الكمي ـ ونظرية الاقتصاد السياسي القديم . ان لوريا الشهير يرى في حكمته في الكتاب الثالث تخلياً مباشراً عن نظرية القيمة ، ومقالتك تأتي هنا في الوقت المناسب كرد جاهز . وان شخصين معنيان الآن بهذا الأمر . لابريولا في روما ولافارغ الذي **يتساجل** مع لوريا في **النقد الاجتماعي** . فاذا كان في امكانك بالتالي أن ترسل نسخة الى البروفسور أنطونيو لابريولا ، كورسو فيتوريو عمانوئيل ، ٢٥١ ، روما ، فانه سيبذل قصارى جهده كي ينشر ترجمة ايطالية لها ، ونسخة ثانية الى بول لافارغ ، لوبيرو ، سين ، فرنسا ، سوف تتيح له الاستشهاد بك . ولهذا السبب كتبت الى كليهما أن مقالتك تشتمل على رد جاهز على النقطة الرئيسية . واذا لم تستطع أن تبعث بهاتين النسختين فأرجو أن تخبرني بهذه الحقيقة .

لكن لا بدّ لي أن أختم هنا رسالتي ، والا ما انتهيت منها قط .

أفضل تمنياتي . .

المخلص

**ف . انجلز**

## ٢٤١

## انجلز الى ف . أدلر

**لندن ، في ١٦ آذار ١٨٩٥**

... بما أنك تريد أن تتعمق في الكتابين الثاني والثالث من **رأس المال** ، فسوف أعطيك بعض التنويهات لأسهل الأمر عليك .

---

(١) فرنر سومبارت : السهام في نقد النظام الاقتصادي عند كارل ماركس ؟

(٢) مقالة كونداد شميدت : . الكتاب الثالث من **رأس المال** .

الكتاب الثاني ، القسم الأول . اقرأ الفصل الأول بأكمله ، ومن بعد يمكنك أن تمضي بصورة أسهل بالفصلين الثاني والثالث ؛ الفصل الرابع بمزيد من الدقة من جديد وكأنه خلاصة ؛ الخامس والسادس سهلان ، وعلى الأخص السادس الذي يعالج قضايا ثانوية .

القسم الثاني . الفصول ٧ ـ ٩ هامة . وهامان بصورة خاصة الفصلان ١٠ و ١١ . وكذلك ١٢ و١٣ و ١٤ . ومن جهة جهة ثانية ، فان الفصول ١٥ و ١٦ و ١٧ لا تتطلب بادىء الأمر سوى تصفحها .

القسم الثالث تقرير ممتاز جداً عن تداول السلع والمال في المجتمع الرأسمالي ـ الأول منذ أيام الفيزيوقراطيين ـ ممتاز في مضمونه لكنه ثقيل بصورة مخيفة في شكله ؛ أولاً لأنه مجمع الى بعضه البعض من اعدادين للقضية بطريقتين مختلفتين ، وثانياً لأن الإعداد رقم ٢ قد أنجز بصورة قسرية خلال حالة من المرض كان الدماغ خلالها يعاني من أرق مزمن . ولسوف أحتفظ بهذا **حتى النهاية** ، بعدما أدرس الكتاب الثالث **للمرة الأولى** . وفضلاً عن ذلك ، فانه يمكن الاستغناء عنه في البداية بخصوص عملك .

ومن بعد الكتاب الثالث .

الأشياء الهامة هنا : في القسم الأول ، الفصول ١ حتى ٤ ؛ وعلى النقيض من ذلك ، الأقل أهمية فيما يتعلق بالترابط العام ، الفصول ٥ و٦ و ٧ ، التي لا تتطلب أن يصرف عليها بادىء الأمر وقت كثير .

القسم الثاني . **هام جداً** : الفصول ٨ و ٩ و ١٠ . تصفح الفصلين ١١ و ١٢ .

القسم الثالث . **هام جداً** : كل شيء ـ ١٣ ـ ١٥ .

القسم الرابع . كذلك هام جداً ، لكنه سهل القراءة ايضاً : ١٦ ـ ٢٠ .

القسم الخامس . هام جداً : الفصول ٢١ ـ ٢٧ . أقل من ذلك الفصل ٢٨ . الفصل ٢٩ هام . على العموم ، الفصول ٣٠ ـ ٣٢ ليست هامة من أجل غرضك ؛ ٣٣ و ٣٤ هامان حالما يعالج النقد الورقي ؛ ٣٥ عن المعدلات الدولية للمبادلة هام ؛ ٣٦ : **عظيم الأهمية لك** وسهل القراءة .

القسم السادس . الريع العقاري . ٣٧ و ٣٨ هامان . ٣٩ و ٤٠ أقل أهمية ،

لكن لا بدّ مع ذلك من أخذها . ٤١ ـ ٤٣ يمكن مطالعتها بقدر أكبر من السطحية . (الريع التفاضلي الثاني . حالات خاصة) . ٤٤ ـ ٤٧ هامة أيضاً ، لكن معظمها سهل المطالعة أيضاً .

القسم السابع . رائع جداً ، لكن من سوء الحظ غير كامل ؛ وعلاوة على ذلك ففيه آثار بارزة للأرق .

وهكذا فاذا درست الأشياء الرئيسية بصورة كاملة والأشياء الأقل أهمية سطحياً بادىء الأمر ، فيما أنت تتبع هذه الاتجاهات (الأفضل أن تعيد أولاً قراءة الأشياء الرئيسية في الكتاب الأول) ، فسوف تحصل على فكرة عامة عن الكل وتستطيع بعدئذ أن تدرس الأقسام التي أهملتها بمزيد من السهولة ...

## ٢٤٢

## انجلز الى ك . كاوتسكي

**لندن ، في ١ نيسان ١٨٩٥**

ايها البارون العزيز

استلمت بطاقتك البريدية . أدهشني شاهد في **فورفارتس** اليوم مقتطفاً من «مقدمتي» **وقد نشر دون معرفة سابقة مني** ، وشذب بحيث أبدو عابداً مسالماً للشرعية بأي ثمن كان(١) . ولذا فاني أفضل جداً الآن أن يظهر الشيء كله في **الحياة الجديدة** بحيث يزال هذا الانطباع المشين . ولسوف أصارح ليبكنخت برأيي في سلوكه في هذا الشأن ، وكذلك أولئك الذين ـ كائناً من كانوا ـ أعطوه الفرصة كي يقدم رأيي بصورة مشوهة حتى دون أن **يقولوا** لي كلمة واحدة عن ذلك ...

---

(١) ان زعيم الحزب الاشتراكي الديموقراطي الألماني ، حين نشر في **فورفارتس** المقدمة التي كتبها انجلز لكتاب ماركس **صراع الطبقات في فرنسا من ١٨٤٨ حتى ١٨٥٠** . وقد اسقط فقرات بالغة الأهمية بقاع نضالَ البروليتاريا الثوري . وبذلك زور آراء انجلز باضفاء السيماء الانتهازية عليها

## ٢٤٣

# انجلز الى ب . لافارغ

**لندن ، في ٣ نيسان ١٨٩٥**

ارتكب ليبكنخت لتوه حماقة كبرى بحقي . فقد تناول من **المقدمة** التي كتبتها لمقالات ماركس عن فرنسا للأعوام ١٨٤٨ ـ ١٨٥٠ كل ما يمكن أن يخدمه للدفاع عن تكتيكه القائم على **السلام بأي ثمن ومعارضة القوة والعنف** ، هذا التكتيك الذي يطيب له أن يبشر به منذ بعض الوقت ، وعلى الأخص حالياً حين تهيأ القوانين الزجرية في برلين . بيد أنني لا أبشر بهذا التكتيك إلا من أجل **ألمانيا الراهنة** ، وحتى في هذه الحال **بتحفظ هام** . ففي فرنسا وبلجيكا وايطاليا والنمسا قد لا يكون في الامكان اتباع هذا التكتيك بصورة تامة ، وفي ألمانيا قد يصبح غير قابل للتطبيق غداً ...

## ٢٤٤

# انجلز الى ك . كاوتسكي

**لندن ، في ٢١ أيار ١٨٩٥**

... لقد أخذت على عاتقك قبل فترة من الزمن أن تصدر تاريخاً للاشتراكية . ومن بين سائر الأحياء في ذلك الحين لم يكن هناك الا شخص واحد ـ أقول ذلك دون تردد ـ كان يبدو أن مشاركته في هذا المؤلف ضرورية بصورة مطلقة ، وهذا الشخص الواحد هو أنا ، بل لا بدّ لي أن أقول ان مثل هذا العمل مقدر له ، بدون مساعدتي ، أن يكون كثير الفجوات غاصاً بالعيوب . وأنت تعرف هذا الأمر جيداً قدر معرفتي به . لكني كنت أنا بالضبط ، وأنا وحدي ، الوحيد الذي **لم يُطلب** منه المشاركة من بين جميع الأشخاص الذين كان في الامكان الانتفاع منهم . ولا بدّ أن لديك أسباباً مقنعة جداً من أجل إبعادي بالذات . ولست أشكو من ذلك ، حاشاء . ان لديك الحق التام في أن تتصرف بالطريقة التي فعلت ، وكل ما أفعله هو تقرير حقيقة واقعة .

وان ما جرح كبريائي ، لبرهة وجيزة فقط على أي حال ، قد كان تلك السرية

العجيبة التي لففت الموضوع بها بقدر ما كان الأمر متعلقاً بي ، فيما كان العالم بأسره يتحدث عن الأمر . فأنا لم يبلغني خبر المشروع بأكمله الا عن طريق الآخرين والا عن طريق البيان المطبوع عن المشروع كما رُسمت خطوطه الكبرى . ولم تصدر كلمة واحدة عنك أو عن إيد ، فكأن ضميركما يوبخكما . ولا بدّ أن نضيف الى ذلك الاستفسارات من طرف خفي الصادرة عن مختلف أنماط الناس : ما رأيي في الأمر ، وما اذا كنت قد رفضت التعاون ، الخ . وأخيراً مع مرور الزمن ، حين لم يعد في الامكان الاستمرار في السكوت ، اضطر إيد العجوز الطيب الى الحديث عن هذا الموضوع ، بخجل وارتباك كان يمكن أن يكونا جديرين بقضية سيئة ـ ذلك أن شيئاً مغلوطاً لم يحدث باستثناء هذه المهزلة المضحكة التي كانت بالمناسبة مدعاة ، كما يمكن للويز أن تشهد على ذلك ، لقدر كبير من الانشراح بالنسبة الي .

حسناً ، لقد جابهتموني اذن بحقيقة واقعة : تاريخ للاشتراكية دون مشاركة مني . ولقد قبلت هذه الحقيقة منذ البداية دونما شكوى . بيد أنكم لا تستطيعون أن تغيروا حقيقة صنعتموها بأنفسكم ، كما لا تستطيعون تجاهلها اذا ناسبكم هذا في يوم من الأيام . وأنا الآخر لا أستطيع أن أغيرها . وبما أنكم أغلقتم الباب الأمامي الكبير في وجهي بعد تشاور تام في وقت كان يمكن لنصيحتي ومعونتي أن تعودا فيه عليكم بفائدة جوهرية ، فأرجو ألا تطلبوا مني الآن أن أتسلل من أحد الأبواب الخلفية الصغيرة كي أخرجكم من بعض المصاعب . وأعترف أنه لو انقلب دورانا لفكرت طويلاً جداً قبل أن أتقدم اليكم باقتراح مثل الأقتراح موضوع البحث (١) . أيكون حقاً على هذا القدر العظيم من الصعوبة فهم الحقيقة التالية ، ألا وهي أنه من واجب كل امرىء أن يتحمل عواقب أعماله الخاصة ؟ وبما أنك صنعت سريرك ، فان عليك أن تنام فيه . اذا لم تكن لي فسحة في هذا العمل ، فانما السبب في ذلك أنكم أردتم أن يكون الأمر كذلك .

---

(١) بينما كان **كاوتسكي** معارضاً لأن يقوم انجلز بادارة عمل إصدار **تاريخ الاشتراكية** ، فقد كان **راغباً** في الانتفاع من معرفة انجلز ، ولذا طلب منه تزويده ببعض المواد من أجل الفصل الخاص بتاريخ **الأممية** الأولى .

حسناً ، كذلك هو الأمر . والآن أرجو أن تتفضل فتقدم لي معروفاً بأن تعتبر هذا الرد لا عودة عنه . لتمت هذه الحادثة بأكملها وتدفن بقدر ما يتعلق الأمر بكلينا . كذلك لن أتحدث بشأنها إلى إيد ، إلا اذا بدأ هو نفسه الحديث عنها .

وفي هذه الأثناء أتهيأ لأن أرسل اليك عملاً من أجل **الحياة الجديدة** سوف يفرحَ قلبك : ملحقات وضمائم من أجل **رأس المال** ، الكتاب الثالث ، رقم ١ : «قانون القيمة ومعدل الربح» ، رد على شكوك سومبارت و ك . شميدت . وسوف يتبع رقم ٢ في وقت لاحق : دور البورصة المتغير حتى درجة كبيرة منذ كتب ماركس عنه في ١٨٦٥ . وسوف يكون للبحث صلة وفقاً للطلب والوقت المتوفر . ولو أن ذهني كان حراً لكانت المقالة الأولى قد انتهت .

وأما بخصوص كتابك (١) ، فأستطيع القول انه يتحسن بقدر ما يتقدم المرء في قراءته ، ومع ذلك فان افلاطون والمسيحية الباكرة معالجان بصورة غير ملائمة ، وفقاً للمشروع الأصلي . وان الشيع الوسيطية معالجة بصورة أفضل كثيراً ، و(٢) crescendo . والمعالجة الفضلى هي للطوريين ، ومونزر ، واللامعتمدين . وثمة تحاليل اقتصادية بالغة الأهمية جداً عن الأحداث السياسية ، يوازيها على أي حال تفاهات حيث توجد فجوات في البحث التحضيري . لقد تعلمت الشيء الكثير من الكتاب ؛ انه دراسة أولية لا غنى عنها من أجل مراجعتي الجديدة **لحرب الفلاحين** . ويبدو أن هناك نقيضتين هامتين : أ ـ دراسة ناقصة جداً لتطور ودور العناصر غير الطبقية ، الأشبه بالمنبوذين ، التي كانت خارج البنية الاقطاعية كلياً والتي كان لا بدّ أن تبرز بصورة محتومة كلما تكونت مدينة ، والتي كانت تشكل الشريحة الدنيا من السكان في كل مدينة وسيطية ، واما لم تكن تملك أية حقوق على الاطلاق فقد كانت منفصلة عن (٣)Markgenossenschaft ، عن التبعية الاقطاعية وعن النقابة الحرفية . وان هذا

---

(١) يشير انجلز إلى كتاب كاوتسكي رواد الاشتراكية الحديثة .

(٢) تدريجياً .

(٣) الجماعة القردية الوسيطية .

لصعب ، لكنه القاعدة الرئيسية ، لأن هذه العناصر أصبحت بصورة تدريجية ، مع ارتخاء الروابط الاقطاعية ، ما قبل البروليتاريا ، هذه التي صنعت في عام ١٧٨٩ الثورة في أزقة باريس والتي امتصت جميع المنبوذين في المجتمع الاقطاعي والنقابي الحرفي . أنت تتحدث عن البروليتاريين ـ والتعبير ملتبس ـ وتضم إليهم الحائكين الذين تصف أهميتهم بصورة مضبوطة ـ لكنك لا تستطيع أن تحتوي هؤلاء في «بروليتارياك» الا ابتداء من وجود الحائكين المياومين اللاطبقيين على هامش النقابات الحرفية ، والا بقدر ما كان لمثل هؤلاء وجود . لا يبرح هناك فسحة كبيرة للتحسين .

٢ ـ لم تدرك بصورة جامعة مركز ألمانيا في السوق العالمية ، بقدر ما يمكن الحديث عن مثل هذا المركز ، مركزها الاقتصادي الدولي في أواخر القرن الخامس عشر . إن هذا المركز وحده يفسر السبب في أن الحركة البورجوازية العامية في شكلها الديني ، التي سقطت في إنكلترا والبلدان الواطئة وبوهيميا ، قد تمكنت من تحقيق بعض النجاح في ألمانيا في القرن السادس عشر ؛ لقد انتصرت تحت قناعها الديني ، فيما احتفظ بنجاح المضمون البورجوازي للقرن التالي وللبلدان الممتدة على طول الطرقات التجارية العالمية الجديدة التي نشأت في هذه الأثناء : هولندا وانكلترا . هذا موضوع طويل أرجو أن أعالجه in extenso[1] في حرب الفلاحين . لو كنت مستعداً له فقط !

...[2]

---

(١) مطولاً .

(٢) بعد أشهر قليلة ، في السادس من آب ١٨٩٦ ، قضى انجلز نحبه .

# فهرس الاسماء

الحكومة المؤقتة في ١٨٤٨ . أيد بقوة سحق انتفاضة حزيران للبروليتاريا الباريسية .

**ارغو ، انطون موريس كونت دي ابولينير** (١٧٨٢ ـ ١٨٥٨) ـ رجل دولة فرنسي ، وحاكم مصرف فرنسا .

**أرجير ياديس ، باناجيونيس** (١٨٤٩ ـ ١٩٠١) ـ اشتراكي فرنسي ، بلانكي .

**أتوود ، توماس** (١٧٨٣ ـ ١٨٥٦) ـ صيرفي وعالم اقتصادي ورجل سياسة انكليزي .

**أوير ، ايغناس** (١٨٤٦ ـ ١٩٠٧) اشتراكي ديموقراطي الماني واحد قادة الحزب الديموقراطي الاشتراكي .

**اوغسطس (اوكتافيوس)** (٦٣ قبل المسيح ـ ٤بعد الميلاد) ـ امبراطور روماني من عام ٢٧ قبل الميلاد حتى عام ٤ بعد الميلاد .

**اوريتز ، زيبي** (١٦١٨ـ ١٧٠٧) ـ عاهل من ١٦٥٨ ـ ١٧٠٧ من الاسرة المالكة للمغول في الهند .

**افلينيغ ، ادوارد** (١٨٥١ ـ ١٨٩٨) ـ كاتب وداعية اشتراكي انكليزي . زوج اليانور ابنة ماركس . احد مؤسسي العصبة الاشتراكية ، ومنظم للحركة الجماهرية للعمال غير المؤهلين..

**افيلينيغ ، اليانور** ـ انظر ماركس اليانور .

**افينل ، جورج** (١٨٢٨ ـ ١٨٧٦) مؤرخ وداعية فرنسي .

**ارستوخان** (٤٤٦ ـ ٣٨٥ قبل الميلاد) ـ مسرحي اغريقي شهير ومؤلف مسرحيات سياسية .

**ايكاروس ، جوهان جورج** (١٨١٨ ـ ١٨٨٩) ـ مناضل في الحركة العمالية الالمانية والعالمية ؛ عضو رابطة العادلين ومن بعد عصبة الشيوعيين . هاجر الى لندن حيث اصبح احد قادة الجمعية الثقافية للعمال الالمان فيها . عضو المجلس العام للاممية الاولى ، وقد اسهم في الحركة النقابية الانكليزية .

**ايد** ـ انظر برنشتاين ، ادوارد .

**آيشهوف ، وهلم** (١٨٣٣ ـ ١٨٩٥) ـ اشتراكي الماني ، عضو الاممية الاولى اعتباراً من ١٨٦٨ .

**أينهورن ، ادوارد** (ايغناز) (١٨٢٥ ـ ١٨٧٥) ـ اقتصادي وداعية هنغاري ، ديموقراطي بورجوازي صغير ، ساهم في ثورة ١٨٤٨ ـ ١٨٤٩ . من بعد مهاجر .

**أيزرمان** ـ عامل ، نجار الماني ، نصير لكارل غرون في الاربعينات من القرن التاسع عشر .

**ايلجين، جيمس بروس** (١٨١١ ـ ١٨٦٣) ـ دبلوماسي انكليزي . مندوب مطلق الصلاحية في الصين .

**اليزابيت** (١٥٣٣ ـ ١٦٠٣) ـ ملكة انكلترا بين (١٥٥٨ ـ ١٦٠٣) .

**عمانوئيل** ـ انظر فيكتور عمانوئيل الثاني .

**إنجل ، جوهان جاكوب** (١٧٤١ ـ ١٨٠٢) ـ كاتب وناقد وفيلسوف الماني . مربي ملك بروسيا المقبل فريدريك غليوم الثالث .

**إنجلز ، فريد ريخ** (١٧٩٦ ـ ١٨٦٠) ـ والد فريدريك انجلز .

**إنجلز ، فريدريك** (١٨٢٠ ـ ١٨٩٥) ـ احد مؤسسي الاشتراكية العلمية ورفيق كارل ماركس .

**أبقراط** (حوالي ٣٤١ ـ حوالي ٢٧٠ قبل الميلاد) ـ فيلسوف مادي اغريقي .

**ايرمين ، غوتفريد** ـ احد اصحاب معمل «ايرمين وانجلز» في مانشتر .

**ارنست ، اوغست** (١٧٧١ ـ ١٨٥١) ـ ملك هانوفر( ١٨٣٧ ـ ١٨٥٠) .

ارنست ، بول( ١٨٦٦ ـ ١٩٣٣) صحفي وناقد وكاتب مسرحي الماني . انضم الى الاشتراكية الديموقراطية في اواخر الثمانينات من القرن التاسع عشر ، احد قادة« «الشبان» ، طرد من الحزب الاشتراكي الديموقراطي في ١٨٩١ .

**إيزخليوس** (٥٢٥ ـ ٤٥٦ قبل الميلاد) ـ كاتب مسرحي وواحد من كتاب المأساة الاغريقيين الثلاثة الكبار .

**ايستر ، دي ، كارل لودفيغ جوهان** (١٨١١ ـ ١٨٥٩) ـ اشتراكي وديموقراطي الماني وعضو فرع كولونيا لعصبة الشيوعيين . لعب دورا هاما في عصيان بادي في ١٨٤٩ .

**إيستروب ، جاكوب** (١٨٢٥ ـ ١٩١٣) ـ رجل دولة دانمركي محافظ ، وزير الداخلية (١٨٦٥ ـ ١٨٦٩) ووزير المالية ورئيس الوزراء( ١٨٧٥ ـ ١٨٩٤) .

**إيبسن ، هنريك** (١٨٢٩ ـ ١٩٠٦) ـ شاعر وكاتب مسرحي نرويجي .

**ايماندت ، بيتر** ـ مدرس الماني ديموقراطي شارك في ثورة (١٨٤٨ ـ ١٨٤٩) . بعد هزيمة الثورة هاجر الى سويسرا ، ثم الى لندن . عضو عصبة الشيوعيين ومن انصار ماركس وانجلز .

**اينريغ** ـ انظر لاسال ، فرديناند .

**اوكونيل ، دانييل** (١٧٧٥ ـ ١٨٤٧) محام وسياسي بورجوازي ايرلندي ، زعيم الجناح اليميني الليبرالي من حركة التحرر الوطنية .

**اوكونور ، فيارغوس ادوارد** (١٧٩٤ ـ ١٨٥٥) ـ احد قادة الجناح اليسري للحركة الميثاقية . مؤسس ورئيس تحرير **نجمة الشمال** . من انصار الاصلاح بعد ١٨٤٨ .

**اودجر ، جورج** (١٨٢٠ ـ ١٨٧٧) ـ احد القادة الاصلاحيين في اتحادات العمال الانكليز ، عضو المجلس العام للاممية الاولى (١٨٦٤ ـ ١٨٧١) . في عام ١٨٧١ اتخذ موقفا مناهضا لكومونة باريس ، وترك المجلس العام الذي دان خيانته ، ومن بعد واصل افتراءاته ضد قادة الاممية والكومونة .

**اودونوفان ، روسا جيريمي** (١٨٣١ ـ ١٩١٥) ـ احد مؤسسي وزعماء رابطة الفينيين الايرلنديين ، اعتقل في ١٨٦٥ وحكم بالسجن المؤبد . نال العفو عام ١٨٧٠ فرحل الى الولايات المتحدة حيث قاد منظمة الفينيين .

**اورليان** ـ العائلة المالكة الفرنسية بين (١٨٣٠ ـ ١٨٤٨) .

**اورسيني ، فيليس** (١٨١٩ ـ ١٨٥٨) ـ ثوري ايطالي ، ديموقراطي وجمهوري بورجوازي ، ووجه بارز من وجوه النضال في سبيل التحرر الوطني وتوحيد ايطاليا . اعدم لمحاولته اغتيال نابليون الثالث .

**اوتو ـ فالستر ، اوغست** ـ اشتراكي ديموقراطي وصحفي الماني .

**اوين ، روبرت** (١٧٧١ ـ ١٨٥٨) اشتراكي طوباوي انكليزي .

ـ ب ـ

**بار ، لويس** (١٨٢١ ـ ١٨٩٧) ـ مصنعي الماني ، مدير مصانع الصلب في بوهوم .

**بابوف ، فرانسوا نويل الملقب غراكوس** (١٧٦٠ ـ ١٧٩٧) ـ ثوري فرنسي بارز ، ممثل للشيوعية الداعية الى المساواة ، منظم «مؤامرة الاسوياء» .

**بادينغه** ـ لقب اطلقه المعارضون على نابليون الثالث .

**باهر ، هيرمان** (١٨٦٣ ـ ١٩٣٤) ـ داعية بورجوازي ، ناقد ، قصصي وكاتب مسرحي نمساوي .

**باكونين ، ميخائيل الكساندروفيتش** (١٨١٤ ـ ١٨٧٦) ـ ثوري وناشر روسي اسهم في ثورة ١٨٤٨ ـ ١٨٤٩ في المانيا ، منّظر الفوضوية ، عضو في الاممية الاولى ، حيث كان الداعداء ماركس والماركسية ، طرد من الاممية في مؤتمر لاهاى في ١٨٧٢ لنشاطه الانقسامي .

**بالان ، هيرمان لودفيغ** (١٨٢٢ ـ ١٨٧٤) ـ سياسي الماني ، سفير في بروكسل .

**بلزاك ، اونوريه دي** (١٧٩٩ ـ ١٨٥٠) ـ روائت فرنسي ومؤسس المدرسة الواقعية .

**بانر ، روبرت** ـ اشتراكي اسكوتلندي ، وعضو جمعية الفابيين . في ١٨٨١ طلب مساعدة ماركس وانجلز من اجل تأسيس الحزب الاشتراكي في اسكوتلندا .

**باروش ، بيير جول** (١٨٠٢ ـ ١٨٧٠) ـ سياسي فرنسي بونابرتي .

**بارو ، اوديلون** (١٧٩١ ـ ١٨٧٣) ـ سياسي بورجوازي فرنسي .

**بارث ، ارنست اميل بول** (١٨٥٨ ـ ١٩٢٢) ـ عالم اجتماعي وفيلسوف بورجوازي الماني .

**بارتيلمي ، عمانوئيل** (١٨٢٠ ـ ١٨٥٥) ـ عامل فرنسي ، بلانكي ، عضو الجمعيات الثورية السرية في عهد ملكية تموز وابان عصيان حزيران ١٨٤٨في باريس . هاجر الى انكلترا .

**باسلي ، اميل جوزيف** ( ١٨٥٤ ـ ١٩٢٨) ـ اشتراكي ونقابي فرنسي ، عامل منجم في الاصل ، انتخب عدة مرات عضوا في مجلس النواب .

**باستيا ، كلود ـ فريدريك** (١٨٠١ ـ ١٨٥٠) ـ اقتصادي فرنسي مبتذل ، بشر بتناسق المصالح الطبقية في المجتمع البورجوازي .

**باستيا ، جول** (١٨٠٠ ـ ١٨٧٩) ـ سياسي وداعية فرنسي ، وزير الخارجية في ١٨٤٨ .

**بودان ، اوجين** (١٨٥٣ ـ ١٩١٨) ـ اشتراكي فرنسي ، عضو في كومونة باريس . نائب بعد ١٨٨٩ .

**باكس ، ارنست بلفور( ١٨٥٤ ـ ١٩٢٦)** ـ اشتراكي ومؤرخ وفيلسوف انكليزي ، احد مؤسسي الحزب الاشتراكي البريطاني .

**بومارشييه ، بيير او غستان (١٧٣٢ ـ ١٧٩٩)** ـ كاتب فرنسي مسرحي شهير .

**بوروغارد ، بيير غوستاف (١٨١٨ ـ ١٨٩٣)** ـ جنرال اميركي من قادة قوات الجنوب اثناء حرب الانفصال .

**بيبل ، اوغست (١٨٤٠ ـ ١٩١٣)** ـ وجه معروف للاشتراكية الديموقراطية الالمانية ولحركة العمال العالمية ، رفيق ماركس وانجلز في السلاح . عضو في الاممية الاولى ، مهنته الاصلية خراط ، اسس مع ليبكنخت حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي الالماني عام ١٨٦٩ ، نائب في الرايخستاغ عدة مرات . مناضل ضد الاصلاحية والتصحيحية ، وان يكن قد ارتكب اخطاء في اخريات حياته .

**بيكر ، بيرنهارد (١٨٢٦ ـ ١٨٨٢)** ـ داعية الماني لاسالي .

**بيكر ، هيرمان هنريخ** (لقب ببيكر الاحمر) **( ١٨٢٠ ـ ١٨٨٥)** ـ داعية ورجل قانون الماني .

**بيكر ، جوهان فيليب (١٨٠٩ ـ ١٨٨٦)** ـ مناضل في حركة العمال الالمانية والاممية ، عضو في الاممية الاولى ، رفيق ماركس وانجلز في السلاح .

**بيكرات ، هيرمان فون (١٨٠١ ـ ١٨٧٠)** ـ مصرفي الماني . احد قادة البورجوازية الرينانية .

**بيسلي ، ادوارد سبنسر (١٨٣١ ـ ١٩١٥)** ـ روائي وسياسي انكليزي وبورجوازي راديكالي ، دافع في الصحافة الانكليزية عن الكومونة والاممية الاولى .

**بيكهلي ، جوزيبي** ـ صحفي ايطالي بورجوازي ديموقراطي . ساهم في حملات غاريبالدي . رئيس تحرير عدة صحف جمهورية .

**بيهر** ـ ناشر في برلين .

**بيندكس ، رودريخ (١٨١١ ـ ١٨٧٣)** ـ كاتب ومسرحي الماني .

**بيرليخنجن ،غوتزفون(١٤٨٠ ـ ١٥٦٢)** ـ فارس الماني حاول استخدام حرب الفلاحين لعام ١٥٢٥ لمصالحه الانانية . خان الفلاحين في اللحظة الحرجة .

**بيرمباخ ، ادولف** (١٨٢١ ـ ١٨٧٥) ـ رجل قانون كولونيالي ، عضو عصبة الشيوعيين ، شاهد الدفاع في محاكمة الشيوعيين في كولونيا .

**برنار ، سيمون فرانسوا** (برنار عضو النادي السياسي) (١٨١٧ ـ ١٨٦٢) ـ سياسي فرنسي ، جمهوري .

**بيرنييه ، فرانسوا** (١٦٢٥ ـ ١٦٨٨) ـ رحالة وطبيب فرنسي .

**برنشتاين ، ادوارد** (١٨٥٠ ـ ١٩٣٢) ـ اشتراكي ديموقراطي الماني ، داعية ورئيس تحرير **الاشتراكي الديموقراطي**. مندوب إلى المؤتمرين الاشتراكيين العماليين الاميين في ١٨٨٩ و ١٨٩٣ ، بشر بالتصحيحية بعد وفاة انجلز .

**بيرييه ، بيير انطوان** (١٧٩٠ ـ ١٨٦٨)ـ محام وسياسي فرنسي .

**بيتا** ، (تصغير لاسمه الحقيقي بيتزيخ) ، **هنريخ** ـ صحفي الماني ديموقراطي بورجوازي صغير .

**بيثمان** ـ مصرفي من فرانكفورت على الماين .

**بيغو ، ليون** (١٨٢٦ ـ ١٨٧٢) ـ محام وداعية فرنسي ، جمهوري يساري ، دافع عن اعضاء الكومونة امام محكمة فرساي بعد سقوط الكومونة .

**بسمارك ، اوتو ادوارد** (١٨١٥ ـ ١٨٩٨) ـ رجل دولة ودبلوماسي بروسي الماني ، ممثل للملاكين العقاريين الكبار،رئيس وزراءبروسيامن(١٨٦٢ ـ ١٨٧٢)، مستشار الاتحاد الالماني الشمالي (١٨٦٧ ـ ١٨٧١) ومستشار الامبراطورية ، حقق توحيد المانيا بالقوة تحت لواء بروسيا . (١٨٧١ ـ ١٨٩٠) .

**بلان ، لويس** (١٨١١ ـ ١٨٨٢) ـ بورجوازي صغير واشتراكي فرنسي ، مؤرخ ، عضو الحكومة المؤقتة ، كان يؤيد سياسة المصالحة مع البورجوازية .

**بلانك ، كارل اميل** (١٨١٧ ـ ١٨٩٣) ـ تاجر الماني ، صهر فريدريك انجلز .

**بلانكي ، لويس اوغست** (١٨٠٥ ـ ١٨٨١) ـ ثوري فرنسي و شيوعي طوباوي ، منظم الجمعيات السرية والمؤامرات ، اسهم بنشاط في ثورتي ١٨٣٠ و١٨٤٨ ؛ قضى سنوات طويلة في السجن .

**بليخرودر ، جرسون فون** (١٨٢٢ ـ ١٨٩٣) ـ مالي الماني ، صيرفي بسمارك الخاص ، ومستشار غير الرسمي للشؤون المالية ووسيطه في مضاربات مختلفة .

بلاند ، كارل (١٨٢٦ ـ ١٩٠٧) ـ صحفي ديموقراطي وبورجوازي صغير الماني ؛ قومي ليبرالي فيما بعد .
بلوخ ، جوزيف (١٨٧١ ـ ١٩٣٦) ـ اشتراكي ديموقراطي الماني .
بلوس ، ولهلم (١٨٤٩ ـ ١٩٢٧) ـ مؤرخ وداعية الماني .
بونييك ، اوتوبارون فون ـ وجه الماني شهير ،خالقى محاضرات عن الاشتراكية في جامعة برسلو .
بوافان ، شامبو لويس (١٨٢٣ ـ ١٨٩٩) ـ قانوني ومؤرخ فرنسي .
بولت ، فريدريك ـ مناضل في حركة العمال الامريكيين ، من اصل الماني .
بونالد ، لويس غابرييل فيكونت امبرواز (١٧٥٤ ـ ١٨٤٠) ـ سياسي وداعية فرنسي .
بونابرت ، جيروم (١٧٨٤ ـ ١٨٦٠) ـ الاخ الاصغر لنابليون الاول ، ملك وستفاليا بين (١٨٠٧ ـ ١٨١٣) .
بونابرت ، جوزيف شارل بول (أمير نابليون) (١٨٢٢ ـ ١٨٩١) ابن عن نابليون الثالث .
بونابرت ، لويس ـ انظر نابليون الثالث .
بونابرت ـ السلالة الامبراطورية الفرنسية .
بونهورست ، ليونارد فون (مواليد . ١٨٤٠) ـ اشتراكي ديموقراطي الماني .
بونييه ، شارل (مواليد ١٨٦٣) صحفي اشتراكي فرنسي .
بون ، مارتان جيمس ـ شخصية بارزة في الحركة العمالية الانكليزية ، ميكانيكي ، عضو المجلس العام للاممية الاولى .
بوكهايم ، سيغيسموند لودفيك (١٨٢٥ ـ ١٨٨٥) ـ داعية ديموقراطي الماني .
بولانجيه ، جورج ارنست جان ماري (١٨٣٧ ـ ١٨٩١) ـ قائد فرنسي ومغامر سياسي ؛ وزير للحرب ؛ حاول إقامة دكتاتورية عسكرية في فرنسا .
بوسكيه ، آبل ـ فوضوي فرنسي ؛ طرد من الاممية على اعتباره عميلاً للشرطة .
بوسترابا ـ لقب لنابليون الثالث .
بوير ، انطوان (١٨٥٠ ـ ١٩١٨)ـاشتراكي فرنسي ، عضو مجلس النواب عدة مرات .

**براك ، وهلم** (١٨٤٢ ـ ١٨٨٠) ـ اشتراكي ديموقراطي الماني ، احد مؤسسي وقادة الحزب العمالي الاشتراكي الديموقراطي . كان مقرباً من ماركس وانجلز ، كافح اللاساليين وجميع العناصر الانتهازية في الحزب .

**براست ، اوغست** (١٨١٨ ـ ١٨٧٦) ـ صحفي الماني شارك في ثورة ١٨٤٨ ـ ١٨٤٩ .

**براون ، هنريخ** (١٨٥٤ ـ ١٩٢٧) ـ صحفي الماني اشتراكي ديموقراطي ، إصلاحي .

**براي ، جون فرنسيس** (١٨٠٩ ـ ١٨٩٥) ـ اقتصادي انكليزي واشتراكي طوباوي .

**بريكنريدج ، جون كابل** (١٨٢١ ـ ١٨٧٥) ـ رجل دولة اميركي ينتمي إلى الحزب الديموقراطي ، احد قادة ثورة اصحاب العبيد في الجنوب ؛ جنرال في جيش الجنوب ؛ وزير للحرب .

**برايت ، جون** (١٨١١ ـ ١٨٨١) ـ سياسي انكليزي .

**بريسو ، جاك بيير** (١٧٥٤ ـ ١٧٩٣) ـ شخصية هامة في ثورة **١٧٨٩** الفرنسية . يعقوبي في البدء ، ثم جيروندي .

**برود هورست ، هنري** (١٨٤٠ ـ ١٩١١) ـ سياسي انكليزي واحد قادة النقابات العمالية .

**برولي ، جاك فيكتور ابرت** (١٨٢١ ـ ١٩٠١) ـ سياسي وناشر ومؤرخ فرنسي .

**بروس ، بول** (١٨٥٤ ـ ١٩١٢) ـ اشتراكي بورجوازي صغير وعالم اجتماعي فرنسي . اشترك في كومونة باريس . هاجر بعد سقوطها ، وانضم إلى الفوضويين . بعد عودته إلى فرنسا اصبح احد قادة الحزب العمالي ، وكان مناهضاً للماركسية .

**بروان ، جون** (١٨٠٠ ـ ١٨٥٩) ـ مزارع اميركي ، ومن ابرز انصار الغاء العبودية . حارب ضد انصار العبودية وقاد الزنوج وحوكم واعدم .

**براون ، فيلارد** ـ صحفي اشتراكي اميركي .

**بروتوس ، لوسيوس جونيوس** (توفي حوالي ٥٠٩ قبل الميلاد) ـ حسبما تقول الاسطورة : امر بقتل ابنيه اللذين تآمرا ضد الامبراطورية الرومانية .

**بوشيز ، فيليب جوزيف** (١٧٩٦ ـ ١٨٦٥) ـ مؤرخ وسياسي فرنسي وبورجوازي جمهوري .

**بوخنر ، لودفيغ** (١٨٢٤ ـ ١٨٩٩) ـ عالم حياتي وفيلسوف الماني .

**بورنز ، جون ايليوت** (١٨٥٨ ـ ١٩٤٣) ـ رجل دولة انكليزي ، واحد قادة التريديونيون ، ومن قادة اضراب عمال الارصفة .

**بورنز ، ليزي** (١٨٢٧ ـ ١٨٧٨) ـ عاملة ايرلندية ، زوجة فريدريك انجلز الثانية .

**بورجرز ، هنريخ** (١٨٢٠ ـ ١٨٧٨) ـ داعية راديكالي الماني .

**بوركلي ، كارل** (١٨٢٣ ـ ١٩٠١) ـ اشتراكي بورجوازي صغير ، داعية وعالم اقتصاد سويسري .

**بير ، روبرت** (اسمه الحقيقي باير ، كارل روبيرفون) (١٨٣٥ ـ ١٩٠٢) ـ روائي الماني .

**باليكاو، شارل غليوم ماري ابولينير انطوان . كونت** (١٧١٦ ـ ١٨٧٨) ـ جنرال فرنسي بونابرتي . وزير الحربية ورئيس الحكومة (آب وأيلول ١٨٧٠)

**بالمرستون ، هنري جون تمبل ، لورد** (١٧٨٤ ـ ١٨٦٥) ـ رجل دولة انكليزي ، ثوري في البدء ، ثم انضم إلى الهويغ ، وكان رجعياً .

**بابريتز ، ايفغينيا ادواردوفنا** (١٨٥٣ ـ ١٩١٩) ـ مغنية روسية ، وكانت على صلة «برابطة المترجمين والناشرين» التي نشرت مؤلفات عديدة لماركس وانجلز .

**باتن ، فيليب فان** ـ بورجوازي اميركي انضم إلى الحركة الاشتراكية واصبح سكرتيراً لحزب العمال .

**بيليسييه ، جان جاك** (١٧٩٤ ـ ١٨٦٤) ـ ماريشال فرنسا . اسهم في غزو الجزائر ، واشتهر بقسوته ، واصبح حاكماً عاماً للجزائر .

**بيليتان ، شارل** (١٨٤٦ ـ ١٩١٥) ـ صحفي وسياسي فرنسي ، من الجناح اليساري للحزب الراديكالي .

**بيليتان ، اوجين** (١٨١٣ ـ ١٨٨٤) ـ داعية وسياسي فرنسي ، وعضو حكومة الدفاع الوطني (١٨٧٠ ـ ١٨٧١) .

**بيريت ، هنري** ـ مناضل بارزفي حركة العمال السويسريين ، واحد قادة الاممية في سويسرا . تعاون مع الباكونينيين .

**بيرتز ،جورج هنريخ** (١٧٩٥ ـ ١٨٧٦) ـ مؤرخ الماني .

**بيتي ، وليام (١٦٢٣ ـ ١٦٨٧) ـ اقتصادي واحصائي انكليزي بارز، وابو** الاقتصاد الكلاسيكي في انكلترا .

**بيوس ، التاسع (١٧٩٢ ـ ١٨٧٨)** ـ بابا رومية من عام **١٨٤٦ ـ ١٨٧٨** .

**بيبر ، وهلم** (مواليد حوالي **١٨٢٦**) ـ فقيه وصحفي الماني .

**بيت ، وليم الملقب بيت الثاني (١٧٥٩ ـ ١٨٠٦)** ـ رجل دولة انكليزي ، ومن قادة حزب التورين .

**بطرس الاول الكبير (١٦٧٢ ـ ١٧٢٥)** ـ قيصر ثم امبراطور روسيا من **١٦٨٢ ـ ١٧٢٥** .

**بيغو** ، ريتشارد (حوالي **١٨٢٨ ـ ١٨٨٩**) ـ داعية بورجوازي ايرلندي ، ورئيس تحرير صحفية **الايرلندي** ونصير للفينيين .

**بندار** ، (حوالي **٥٢٢** ـ حوالي **٤٤٢** قبل الميلاد) ـ شاعر غنائي يوناني .

**بليخانوف ، جيورجي فالا نتينوفيتش (١٨٥٦ ـ ١٩١٨)** ـ شخصية هامة في الحركة العمالية الروسية والعالمية . احد اوائل المدافعين عن الماركسية في روسيا . مؤسس حركة «تحرير العمل» . مناضل ضد الشعبية وضد التصحيحية .

**بلون ـ بلون**ـانظر بونابرت ، جوزيف شارل بول . امير نابليون .

**بومبي ، كنوس الملقب بالكبير** (**١٠٦ ـ ٤٨** قبل الميلاد) ـ جنرال ورجل دولة روماني .

**بوب ، جون (١٨٢٢ ـ ١٨٩٢)** ـ جنرال اميركي من انصار الحزب الجمهوري . اشترك في حرب الانفصال وكان من قادة جيش الشماليين .

**بوتر ؛ جورج (١٨٣٢ ـ ١٨٩٣)** ـ احد قادة نقابات العمال الانكليز . مهنته نجار . من مؤسسي صحيفة **بيهايف** ، وقد كان من انصار الاتفاق مع البورجوازية .

**بوشكين ، اسكندر سرجييفيتش (١٧٩٩ ـ ١٨٣٧)** ـ شاعر روسي كبير .

**باودرلي ، تيرنس فنسنت (١٨٤٩ ـ ١٩٢٤)** ـ احد القادة الانتهازيين في حركة العمال في الولايات المتحدة .

**بروتوت ، اوجين (١٨٣٩ ـ ١٩٢١)** ـ محام وطبيب وصحفي فرنسي . عضو الكومونة . مناهض للاممية في وقت لاحق .

**برودون ، بيير جوزيف** (١٨٠٩ ـ ١٨٦٥) ـ داعية واقتصادي واجتماعي فرنسي ، مفكر البورجوازية الصغيرة .

**بومبس** ـ انظر روشر ، ماركس ايلين .

**بوتكامير ، روبرت فون** (١٨٢٨ ـ ١٩٠٠) ـ رجل دولة رجعي الماني وأحد ممثلي البيروقراطية البروسية .

**بيات ، فيليكس** ، (١٨١٠ ـ ١٨٨٩) ـ داعية وكاتب مسرحي وسياسي فرنسي ديموقراطي بورجوازي صغير .

ـ ت ـ

**تاسيتوس** ، (**بوبليوس كورنيليوس تاسيتوس**) (حوالي ٥٥ ـ حوالي ١٢٠) ـ مؤرخ لاتيني شهير .

**تين ، هيبوليت ادولف** (١٨٢٨ ـ ١٨٩٣) ـ روائي وفيلسوف فرنسي .

**تالانديه ، بيير تيودور الفريد** (١٨٢٢ ـ ١٨٩٠) ـ صحفي وبورجوازي صغير ديموقراطي فرنسي .

**تشيرنيشفسكي ، الكسندر ايفانوفتش** (١٧٨٦ ـ ١٨٥٧) ـ جنرال ورجل دولة روسي . وزير للحربية .

**تشيرنيشفسكي ، نيقولاي غافريلوفيتش** (١٨٢٨ ـ ١٨٩٣) ـ ثوري ديموقراطي واشتراكي طوباوي روسي : كاتب وعالم وناقد ادبي . أحد رواد الاشتراكية الديموقراطية الروسية .

**تيشوف ، غوستاف اودولف** (١٨١٣ ـ ١٨٩٣) ـ ضابط بروسي وديموقراطي بورجوازي صغير .

**تيليرنغ** (**موللر ، تيليرنغ**) **ادوارد فون** (ولد حوالي ١٨٠٨) ـ حقوقي وداعية ، ديموقراطي بورجوازي صغير الماني . نشر في الصحافة افتراءات ضد ماركس وانجلز .

**تينر ، بيير بول اوجين** (١٨٣٩ ـ ١٨٩٠) ـ بورجوازي جمهوري وداعية فرنسي .

**تسيندورف هيرمان** (١٨٣١ ـ ١٨٩٥) مدع عام بروسي ، اشرف على الملاحقات القانونية بحق الاشتراكيين الديموقراطيين.

**تيش ، البرت فريديريك فيليكس** (١٨٣٩ ـ ١٨٨٠) ـ مناضل في حركة العمال الفرنسيين . برودوني . عضو الكومونة وعضو المجلس العام للاممية الاولى .

**تيير ، ادولف** (١٧٩٧ ـ ١٨٧٧) ـ مؤرخ بورجوازي ورجل دولة فرنسي . رئيس للوزراء ورئيس للجمهورية . جلاد كومونة باريس .

**تييري ، اوغستان** (١٧٩٥ ـ ١٨٥٦) ـ مؤرخ بورجوازي ليبرالي فرنسي .

**تيغرييه . كريستوف** (١٨٤١ ـ ١٨٩٥) ـ اشتراكي فرنسي ، عضو في حزب العمال الفرنسيين .

**توكفيل ، الكسي كليريل دي** (١٨٠٥ ـ ١٨٥٩) مؤرخ وسياسي فرنسي .

**تولان ، هنري لويس** (١٨٢٨ ـ ١٨٩٧) ـ عامل حفر فرنسي برودوني يميني ، من قادة فرع الاممية في باريس ، وقد خان الكومونة وانضم إلى فرساي .

**تولك ، كارل وهلم** (١٨١٧ ـ ١٨٩٣) ـ اشتراكي ديموقراطي الماني .

**تونييس ، فرديناند** (ولد عام ١٨٥٥) ـ بورجوازي صغير وفيلسوف الماني

**تورنس ، روبرت** (١٧٨٠ ـ ١٨٦٤) ـ اقتصادي بورجوازي انكليزي ، وقد عمم نظرية ريكاردو .

**توريتشيلي ، ايفانجيليستا** (١٦٠٨ ـ ١٦٤٧) ـ فيزيائي ورياضي ايطالي بارز .

**تريدون ، ادم ماري غوستاف** (١٨٤١ ـ ١٨٧١) ـ سياسي وداعية فرنسي . بلانكي . عضو الاممية وعضو في الكومونة .

**قريبة ، جرسون** (ولد عام ١٨٥١) ـ اشتراكي ديموقراطي دانمراكي ومناهض للانتهازية .

**تروشو ، لويس جول** (١٨١٥ ـ ١٨٩٦) ـ جنرال وسياسي فرنسي من انصار آل اورليان .

**توراتي ، فيليبو** (١٨٥٧ ـ ١٩٣٢) ـ مناضل بارز في حركة العمال الايطاليين ومن مؤسسي الحزب الاشتراكي الايطالي .

**توسي** ـ انظر ماركس اليانور .

**تايلور ، ادوارد بورفيب** (١٨٣٢ ـ ١٩١٧) ـ عالم عراقة انكليزي .

**جيب ، اوغست** (١٨٤٢ ـ ١٨٧٩) ـ اشتراكي ديموقراطي الماني .

**جيزر ،برونو**(١٨٤٦ ـ ١٨٩٨) ـ اشتراكي ديموقراطي الماني ، تحول إلى الانتهازية .

**جورج الثاني** (١٦٨٣ ـ ١٧٦٠) ـ ملك انكلترا بين **١٧٢٧ ـ ١٧٦٠** .

**جورج ، هنري** (١٨٣٩ ـ ١٨٩٧) ـ داعية واقتصادي بورجوازي اميركي ، من انصار تأميم الاراضي من قبل الدولة البورجوازية كحل لجميع تناقضات النظام الرأسمالي .

**جيرهارد ، شارل فريدريك** (١٨١٦ ـ ١٨٥٦) ـ كيميائي فرنسي .

**جيرستنبرغ ، ايزيدور** ـ مصرفي انكليزي .

**جيبون ، ادوارد** (١٧٣٧ ـ ١٧٩٤) ـ مؤرخ بورجوازي انكليزي شهير .

**جينو ، فيليب** (١٨٢٠ ـ ١٨٦٠) ـ اشترك في حركة العمال البلجيكيين الديموقراطيين . عضو عصبة الشيوعيين .

**جيراردان ، اميل دي** (١٨٠٦ ـ ١٨٨١) ـ داعية بورجوازي وسياسي فرنسي متقلب .

**جاكوب ، فردريخ هنريخ** (١٧٤٣ ـ ١٨١٩) ـ فيلسوف مثالي الماني .

**جاكوبي ، ابراهام** (١٨٣٠ ـ ١٩١٩) ـ طبيب الماني وعضو عصبة الشيوعيين واحد المتهمين في محاكمة كولونيا . من انصار الماركسية والعاملين على نشرها بعد الهجرة إلى اميركا .

**جوريس ، جان ليون** (١٨٥٩ ـ ١٩١٤) ـ مؤرخ ومناضل بارز في الحركة الاشتراكية الفرنسية والعالمية .زعيم الجناح الاصلاحي في الحزب الاشتراكي الفرنسي ، ومن بعد الجناح اليميني فيه . اغتاله بعض الشوفينيين .

**جوهان** (١٧٨٢ ـ ١٨٥٩) ـ ارشيدوق النمسا من جزيران ١٨٤٨ حتى كانون الاول ١٨٤٩ .

**جونستون ، جيمس فنليي**(١٧٦ ـ ١٨٥٥) ـ كيميائي الماني مختص في الكيمياء الزراعية .

**جوفرين ، جول فرانسوا الكسندر** (١٨٤٦ ـ ١٨٩٠) ـ اشتراكي فرنسي ومن قادة الجناح الانتهازي (الامكاني) في حزب العمال الفرنسيين .

**جوليميير** ـ انظر سكورليمر ، كارل .

**جوهيني ، هنري** (١٧٧٩ ـ ١٨٩٦) ـ جنرال في الجيش الفرنسي ، سويسري الاصل . صاحب مؤلفات عسكرية .

**جونس ، ارنست شارل** (١٨١٩ ـ ١٨٦٩) ـ مناضل بارز في حركة العمال الانكليز ، شاعر بروليتاري ومن قادة الجناح اليساري في الحركة الميثاقية .

**جونس** ، ريتشارد (١٧٩٠ ـ ١٨٥٥) ـ اقتصادي بورجوازي انكليزي .

**جوس** ، فريتز (توفي حوالي ١٥١٧) ـ شخصية وردت في مأساة لاسال **فرانزفون سيكيجين** ، وهو منظم الاتحادات الفلاحية السرية والمؤامرات في المانيا الجنوبية في مطلع القرن السادس عشر .

**جول ، جيمس بريسكوت** (١٨١٨ ـ ١٨٨٩) ـ فيزيائي مشهور .

**جوردان ، جان باتيست** (١٧٦٢ ـ ١٨٣٣) ـ ماريشال فرنسا في عهد نابليون .

**جورد ، انطوان** (١٨٤٨ ـ ١٩٢٣) ـ مستخدم فرنسي في التجارة ومناضل في حزب العمال الفرنسي .

**جوكوفسكي ، جولي غالاكتيونوفيتش** (١٨٢٢ ـ ١٩٠٧) ـ ناشر واقتصادي مبتذل روسي ، كاتب مقالة «كارل ماركس وكتابه عن الرأسمال» حيث هاجم الماركسية .

## ـ ح ـ

**حنه** (١٦٦٥ ـ ١٧١٤) ـ ملكة انكلترا من **١٧١٥** حتى **١٧١٤** .

## ـ د ـ

**دانا ، تشارلز اندرسون** (١٨١٩ ـ ١٨٩٧) ـ صحفي تقدمي اميركي .

**دانييل** ، رولان (١٨١٩ ـ ١٨٥٥) ـ طبيب الماني ، عضو عصبة الشيوعيين ومن قادتها . متهم في محاكمة كولونيا .

**دانييلسون ، نقولاي فرانتسييفيتش** (١٨٤٤ ـ ١٩١٨) ـ كاتب واقتصادي روسي ، ومن منظري المذهب الشعبي .اول من ترجم كتاب ماركس **رأس المال** إلى الروسية .

**دانتي ، اليجييري** (١٢٦٥ ـ ١٣٢١) ـ شاعر ايطالي كبير ، مؤلف **الملهاة الالهية** .
**دانتون ، جورج جاك** (١٧٥٩ ـ ١٧٩٤) ـ احد الوجوه البارزة في الثورة الفرنسية وقائد الجناح اليميني لليعاقبة .
**داروين ، تشارلز روبرت** (١٨٠٩ ـ ١٨٨٢) ـ عالم طبيعي انكليزي كبير ، وابو المذهب التطوري . مؤلف **اصل الانواع** .
**ديفيس، جون** (١٥٦٩ ـ ١٦٢٦) ـ شاعر ورجل دولة انكليزي . المدعي العام في ايرلندا ومن انصار استعمارها .
**ديفيس ، توماس اوسبورن** (١٨١٤ ـ ١٨٤٥) ـ شاعر وداعية وسياسي ايرلندي .
**دايفيس ، جيفرسون** (١٨٠٨ ـ ١٨٨٩) ـ سياسي اميركي من انصار الحزب الديموقراطي . نظم ثورة انصار العبودية في الجنوب .
**ديك ، فيرنتز** (١٨٠٣ ـ ١٨٧٦) ـ رجل دولة هنغاري .
**ديلكلوز ، لويس شارل** (١٨٠٩ ـ ١٨٧١) ـ صحفي وسياسي فرنسي ، ثوري بورجوازي صغير ، عضو الكومونة . قتل على المتاريس في ايار ١٨٧١ .
**ديموث ، هيلين** (لينشن ، نيم) (١٨٢٣ ـ ١٨٩٠) ـ امرأة مقربة جداً من عائلة ماركس ومخلصة لها ، وكانت تعنى بالشؤون المنزلية وتعتبر واحدة من الاسرة . بعد وفاة ماركس عاشت في دار انجلز .
**ديباس ، لوسيان هيكتور** (١٨٤٣ ـ ١٩١١) ـ كاتب وداعية فرنسي بورجوازي ، جمهوري معتدل .
**ديررور ، سيمون** (١٨٣٨ ـ ١٩٠٠) ـ مناضل في حركة العمال الفرنسيين . عضو الاممية والكومونة .
**ديكارت ، رينيه** (١٥٩٦ ـ ١٦٥٠) ـ فيلسوف وعالم فرنسي . مؤسس المذهب العقلاني الحديث . مؤلف **المقالة في المنهج**
**دوفيل ، غابريئيل** (ولد عام ١٨٥٤) ـ اشتراكي فرنسي مناضل في حركة العمال الفرنسيين .
**ديتز ، جوهان هنريخ وهلم** (١٨٤٣ ـ ١٩٢٢) ـ اشتراكي ديموقراطي الماني .
**ديتزجن ، جوزيف** (١٨٢٨ ـ ١٨٨٨) ـ عامل دباغة الماني ، اشتراكي ديموقراطي .

فيلسوف تعلم ذاتياً وتوصل بتفكيره الخاص إلى مبادىء المادية الجدلية .

**دزرائيلي ، بنجامين لورد بيكونسفيلد** (١٨٠٤ ـ ١٨٨١) ـ رجل دولة وكاتب انكليزي . زعيم حزب المحافظين .

**دوبروليوبوف ، نقولاي الكسندروفيتش** (١٨٣٦ ـ ١٨٦١) ـ ناقد ادبي وداعية روسي وفيلسوف مادي .

**دورموا ، جان** (١٨٥١ ـ ١٨٩٨) ـ عدّان فرنسي اشتراكي .

**درونك ،ارنست**(١٨٢٢ ـ ١٨٩١) ـ داعية الماني «اشتراكي حقيقي» في البداية ، ثم عضو في عصبة الشيوعيين .

**دوشاتولييه ، ارمان رينيه** (١٧٩٧ ـ ١٨٨٥) ـ مؤرخ واقتصادي فرنسي .

**دوفي ، جيمس** (١٨٠٩ ـ ١٨٧١) ـ ناشر ايرلندي .

**دوفورني دوفيلييه ، لويس بيير** (١٧٣٩ ـ ١٧٩٦) ـ سياسي فرنسي اباق الثورة في اواخر القرن الثامن عشر .

**دوهرنغ ، اوجين كارل** (١٨٣٣ ـ ١٩٢١) ـ فيلسوف واقتصادي الماني ، ممثل الاشتراكية البورجوازية الصغيرة ، رجعي في الفلسفة ، وقد كتب انجلز ضده كتابه الشهير **انتي دوهرنغ** .

**دوميي ، جان باتيست** (ولد عام ١٨٤١) ـ ميكانيكي فرنسي ، وعضو مجلس النواب . من انصار الامكانيين .

**دانكر ، فرانتز غوستاف** (١٨٢٢ ـ ١٨٨٨) ـ سياسي بورجوازي وناشر الماني .

**دونوايه ، شارل** (١٧٨٦ ـ ١٨٦٢) ـ اقتصادي مبتذل وسياسي فرنسي .

**دوبين ، اندريه ماري جان جاك** (١٧٨٣ ـ ١٨٦٥) ـ سياسي وناقد فرنسي .

**دوبون ، دولور ، جاك شارل** (١٧٦٧ ـ ١٨٥٥) ـ سياسي ليبرالي فرنسي .

**دوفال ، لويس** (ولد عام ١٨٤٠) ـ مؤرخ فرنسي .

ـ ر ـ

**رافلز ، توماس ستامفورد** (١٧٨١ ـ ١٨٢٦) ـ حاكم جافا بين (١٨١١ ـ ١٨١٦) .

**رانك** ، آتور (١٨٣١ ـ ١٩٠٨) ـ داعية وسياسي فرنسي من انصار الحزب الجمهوري .

رام ، **هرمان** ـ اشتراكي ديموقراطي الماني .

**رانكيه** ، **ليوبولد** (١٧٩٥ ـ ١٨٨٦) ـ مؤرخ رجعي الماني .

**راتفيه** ، **غابرييل** (١٨٢٨ ـ ١٨٧٩) ـ ثوري فرنسي ، بلانكي ، عضو الكومونة ، عضو المجلس العام للاممية .

**رومر** ، **فريدريخ فون** (١٧٨١ ـ ١٨٧٣) ـ مؤرخ وسياسي رجعي الماني .

**رافو** ، **فرانز** (١٨١٠ ـ ١٨٥١) ـ سياسي وديموقراطي بورجوازي صغير الماني .

**ريكلوس** ، **ايلي** (١٨٢٧ ـ ١٩٠٤) ـ عالم عراقة وداعية فرنسي اشتراكي طوباوي .

**رينهاردت** ، **ريتشارد** (١٨٢٩ ـ ١٨٩٨) ـ شاعر الماني ، صديق لعائلة ماركس .

**ريتلينغر** ـ السكرتير الخاص لـ ج-فافر .

**رويتر** ، **بول جوليوس** (١٨١٦ ـ ١٨٩٩) ـ مؤسس وكالة رويتر في لندن .

**رينولدز** ، **جورج وليم** (١٨١٤ ـ ١٨٧٩) ـ سياسي وصحافي انكليزي ، وديموقراطي بورجوازي صغير .

**ريبو** ، **الكسندر فيليكس جوزيف** (١٨٤٢ ـ ١٩٢٣) ـ رجل دولة فرنسي ، احد قادة الجمهوريين اليمينيين .

**ريكاردو** ، **دافيد** (١٧٧٢ ـ ١٨٢٣) ـ اقتصادي انكليزي ، واحد كبار ممثلي الاقتصاد السياسي الكلاسيكي البورجوازي .

**ريتشارد** ، (١٤٦٤ ـ ١٥٣١) ـ ناخب واسقف تريف بين (١٥١١ ـ ١٥٣١) .

**ريتشارد الاول الملقب قلب الاسد** ـ (١١٥٧ ـ ١١٩٩) ـ ملك انكلترا بين (١١٨٩ ـ ١١٩٩) .

ريشار ، **البير** (١٨٤٦ ـ ١٩٢٥) ـ صحفي فرنسي ، من زعماء فرع الاممية في ليون ، وكان من انصار باكوين ثم من انصار بونابرت بعد سقوط الكومونة .

**ريختر** ، **اوجين** (١٨٣٨ ـ ١٩٠٦) ـ احد قادة (حزب المفكرين الاحرار) الالماني الذي كان يعبر عن افكار البورجوازية الليبرالية . عدو للاشتراكية .

**رينغز** ، **ل ـ ف** ـ عضو عصبة الشيوعيين ، ومن انصار ماركس وانجلز .

روبرت ، وليم (١٨٠٦ ـ ١٨٧١) ـ رجل قانون انكليزي ، من انصار الحركة الميثاقية .

**رودبرتوس (جاجزتزف) ، جوهان كارل** ، (١٨٠٥ ـ ١٨٧٥) ـ اقتصادي وسياسي الماني . بشر بالافكار الرجعية عن «اشتراكية الدولة» .

**روبسيير ، ماكسيميليان دي** (١٧٥٨ ـ ١٧٩٤) احد اقطاب ثورة ١٧٨٩ .

**روبان ، بول** (ولد عام ١٨٣٧) ـ مدرس فرنسي باكونيني .

**روش ، ارنست** (ولد عام ١٨٥٠) ـ صحفي اشتراكي فرنسي .

**روشفور ، هنري** (١٨٣٠ ـ ١٩١٣) ـ صحفي وكاتب وسياسي فرنسي ، جمهوري يساري .

**رودولف الاول** (١٢١٨ ـ ١٢٩١) ـ امبراطور الامبراطورية الجرمانية المقدسة بين عامي (١٢٧٣ ـ ١٢٩١)

**رومانوف** ـ العائلة المالكة الروسية بين (١٦١٣ ـ ١٩١٧) .

**روشر ، وهلم** (١٨١٧ ـ ١٨٩٤) ـ اقتصادي مبتذل الماني .

**روشر ، ماري هيلين** ـ ابنه اخ انجلز وربيبته .

**روشر ب ـ و** ـ احد اسماء انجلز المستعارة .

**روزنبرغ ، وهلم لودوفيغ** (ولد عام ١٨٥٠) ـ اشتراكي اميركي وصحافي .

**روسنكرانز ، كارل** (١٨٠٥ ـ ١٨٧٩) ـ فيلسوف هيغلي الماني ومؤرخ للآداب .

**روسر ، بيتر جيرهارد** (١٨١٤ ـ ١٨٦٥) ـ مناضل في حركة حركة العمال الالمان .

**روتشيلد ، جيمس** (١٧٩٢ ـ ١٨٦٨) ـ رئيس بنك روتشيلد في باريس .

**روسو ، جان جاك** (١٧١٢ ـ ١٧٧٨) ـ فيلسوف كبير في عصر الانوار ، ديموقراطي ، مفكر البورجوازية الصغيرة .

**روفيه ، بيير موريس** (١٨٤٢ ـ ١٩١١) ـ رجل دولة فرنسي جمهوري بورجوازي .

**روج ، ارنولد** (١٨٠٢ ـ ١٨٨٠) ـ داعية الماني ومن الهيغليين الشباب ، وقد اصدر مع ماركس في ١٨٤٤ «الحوليات الالمانية الفرنسية» . اصبح في وقت لاحق من انصار بسمارك .

**روستوف ، فريدريخ وهلم** (١٨٢١ ـ ١٨٧٨) ـ ضابط وكاتب عسكري الماني .

ـ ز ـ

**زاغولاييف ، ميكائيل اندريفيتش** (١٨٣٤ ـ ١٩٠٠) ـ داعية روسي .

**زاسوليتش ، فير ايفانوفيتش** (١٨٤٩ ـ ١٩١٩) ـ بارزة في الحركة الشعبية ثم الاشتراكية الديموقراطية الروسية .

**زولا ، أميل** (١٨٤٠ ـ ١٩٠٢) ـ روائي فرنسي .

**ـ س ـ**

**سرفانتس ، ساندرا ، ميغل دي** (١٥٤٧ ـ ١٦١٦) ـ كاتب واقعي اسباني كبير ، مؤلف دون كيشوت .

**سادت ،اوتوجوزيف ارنولد** (١٨١٦ ـ ١٨٨٦) موظف في القضاء البروسي . رئيس النيابة العامة في كولونيا بدءاً من عام ١٨٤٨ . المدعي العام في محاكمة الشيوعيين في كولونيا .

**سان جوست ، لويس انطوان دي** (١٧٦٧ ـ ١٧٩٤) ـ احد اقطاب ثورة ١٧٨٩ الفرنسية .

**سان سيمون ، كلود هنري** (١٧٦٠ ـ ١٨٢٥) ـ اشتراكي طوباوي فرنسي .

**سامتر ،ادولف** (١٨٢٤ ـ ١٨٨٣) ـ اقتصادي بورجوازي الماني من انصار ريكاردو .

**ساران ، برنار** (١٧٩٥ ـ ١٨٧٤) ـ سياسي وداعية فرنسي من الجمهوريين المعتدلين .

**ساسانيون** ـ العائلة المالكة التي حكمت فارس بين ٢٢٦ ـ ٦٥١ .

**سوسييه ،فيليكس غوستاف** (١٨٢٨ ـ ١٩٠٥) ـ جنرال وسياسي رجعي فرنسي .

**سيي، جان باتيست** (١٨٦٧ ـ ١٨٣٢) ـ اقتصادي مبتذل فرنسي .

**سيي، جان باتيست ليون** (١٨٢٦ ـ ١٨٩٦) ـ اقتصادي ورجل دولة فرنسي معتدل ، وزير للمالية ، مناهض للاشتراكية والحركة العمالية .

**سكابر ، كارل** (١٨١٢ ـ ١٨٧٠) ـ شخصية بارزة في الحركة العمالية الالمانية والعالمية .

**سكول** ـ عامل فرنسي عضو في فرع ليون للاممية .

**سيريليه ، اوغست** (ولد عام ١٨٤٠) ـ شخصية بارزة في الحركة العمالية الفرنسية والعالمية .
**سيرتوريوس كنتوس** (حوالي ١٢٣ ـ ٧٢ قبل الميلاد) ـ جنرال ورجل سياسة روماني .
**سيكَيجين ، فرانزفون** (١٤٨١ ـ ١٥٢٣) ـ فارس الماني .
**سيبل ، كارل** (١٨٣٦ ـ ١٨٦٨) ـ شاعر الماني .
**سيمون ، جول** (١٨١٤ ـ ١٨٩٦) ـ رجل دولة فرنسي ، فيلسوف واقعي وبورجوازي جمهوري .

**سينجر ، بول** (١٨٤٤ ـ ١٩١١) ـ مناضل في حركة العمال الالمان .
**سيسموندي ، جان شارل سيموند دي** (١٧٧٣ ـ ١٨٤٢) ـ اقتصادي سويسري .
**سلور ، بالتازار** ـ زميل فرانزفون سيكيجن ورفيقه في السلاح .
**سميث ، آدم** (١٧٢٣ ـ ١٧٩٠) ـ اقتصادي انكليزي .
**سويتبر ، ادولف** (١٨١٤ ـ ١٨٩٢) ـ اقتصادي بورجوازي واحصائي الماني .
**سولون** ، (حوالي ٦٣٨ ـ ٥٥٨ قبل الميلاد) ـ مشرع اثينا الاعظم .
**سومبارت** ، ورنر (١٨٦٣ ـ ١٩٤١) ـ اقتصادي مبتذل الماني .
**سومييه ، انطوان** (١٨١٢ ـ ١٨٦٦) ـ مؤرخ فرنسي .
**سونيان ، ليوبولد** (١٨٣١ ـ ١٩٠٩) ـ ديموقراطي الماني .
**سونينسشاين ، وليام** (١٨٥٥ ـ توفي بعد ١٩١٧) ـ ناشر انكليزي ، نشر الطبعة الانكليزية الاولى من **رأس المال** وغير ذلك من اعمال ماركس وانجلز .
**سورج ، فريدريخ ادولف** (١٨٢٨ ـ ١٩٠٦) ـ شخصية بارزة في الحركة العمالية والاشتراكية الاممية ، ورفيق ماركس وانجلز في السلاح . عضو في الاممية ومن مؤسسي حزب العمال الاشتراكي في الولايات المتحدة والرابطة الاممية للعمال .
**سبارتاكوس** (توفي حوالي ٧١ قبل الميلاد) ـ مصارع روماني ، وقائد احدى اكبر ثورات العبيد في العصور القديمة .
**سبينوزا ، باروخ** (بنديكت) (١٦٣٢ ـ ١٦٧٧) ـ فيلسوف واقعي هولندي مشهور .

**ستانيسلاس ، اوغست** (بونياتوفكسي) (١٧٣٢ ـ ١٧٩٨) ـ ملك بولونيا بين ١٧٦٤ ـ ١٧٩٥ .

**سكارتز ، اوغست** ـ مناضل ثوري ، انتسب الى عصبة الشيوعيين .

**سكيدو ـ فيروني ، د . ك . (اسمه الحقيقي فيركس ، فيدور ايفانوفيتش) بارون** (١٨١٢ ـ ١٨٧٢) ـ صحفي روسي ليبرالي .

**ستيفن ، وهلم** ـ ضابط بروسي سابق وصديق لماركس وانجلز .

**ستيفن ، جيمس** (١٨٢٥ ـ ١٩٠١) ـ ثوري بورجوازي صغير ايرلندى وزعيم منظمة الفينيين .

**ستيوات ، جيمس** (١٧١٢ ـ ١٧٨٠) ـ اقتصادي بورجوازي انكليزي .

**ستيبر ، وهلم** (١٨١٨ ـ ١٨٨٢) ـ قائد الشرطة السياسية في بروسيا واحد منظمي محاكمة الشيوعيين في كولونيا وشاهد رئيسي فيها .

**ستراسبرغ ، برتل هنري** (١٨٢٣ ـ ١٨٨٤) ـ صاحب السكك الحديدية ، من اصل الماني ، عاش في انكلترا .

**ستروفيه ، بيوتر بيرنغاردوفيتش** (١٨٧٠ ـ ١٩٤٤) ـخاقتصادي وداعية بورجوازي روسي .

**ستوم ، كارل** (١٨٦٣ ـ ١٩٠١) ـ صناعي الماني من الد اعداء الحركة العمالية .

**ستومبف ، بول** (حوالي ١٨٢٧ ـ ١٩١٣) ـ مناضل في حركة العمال الالمان . عضو عصبة الشيوعيين والاممية الاولى والحزب الاشتراكي الديموقراطي الالماني .

**سوينتون ، جون** (١٨٣٠ ـ ١٩٠١) ـ اشتراكي اميركي من اصل سكوتلندي . صحفي وصديق لماركس .

**سيبل ، هنريخ فون** (١٨١٧ ـ ١٨٩٥) ـ مؤرخ بورجوازي وسياسي الماني .

**سيلا ، لوسيوس كورنيليوس** (١٣٨ ـ ٧٨ قبل الميلاد) ـ جنرال ورجل دولة روماني ، ثم دكتاتور .

## - ش -

**شامبيون ، هنري هاجد** (١٨٥٩ ـ ١٩٢٨) صحفي وناشر وداعية اشتراكي انكليزي .

**شانغاربيه ، نقولاس ـ آن ـ تيودول** (١٨٩٣ ـ ١٨٧٧) ـ جنرال وسياسي بورجوازي فرنسي من انصار الملكية .

**شارلمان** (١٥٠٠ ـ ١٥٥٨) ـ امبراطور الامبراطورية الجرمانية المقدسة من( ١٥١٩ ـ ١٥٥٦) ، وملك اسبانيا من( ١٥١٦ ـ ١٥٥٦) .

**شترنر ، ماكس** (اسمه الحقيقي شميدنر ، غاسبار) ( ١٨٠٦ ـ ١٨٥٦) ـ فيلسوف الماني هيغلي .

**شربولييه ، انطوان اليزيه** (١٧٩٧ ـ ١٨٦٩) ـ اقتصادي سويسري من تلامذة سيسموندي .

**شافل ، البرت ايبرهارد فريدريخ** (١٨٣١ ـ ١٩٠٣) ـ اقتصادي بورجوازي الماني .

**شيلر ، فريدريخ** (١٧٥٩ ـ ١٨٠٥) ـ وكاتب مسرحي الماني كبير .

**شيلي ، فكتور** (١٨١٠ ـ ١٨٧٥) ـ ديموقراطي الماني .

**شيلدن ، ماتياس جاكوب** (١٨٠٤ ـ ١٨٨١) ـ عالم نباتي الماني .

**شلوسر ، فريدريخ كريستوف** (١٧٧٦ ـ ١٨٦١) ـ مؤرخ بورجوازي ليبرالي الماني .

**شلوتر ، هيرمان** (توفي عام ١٩١٩) ـ اشتراكي وديموقراطي الماني .

**شميدت ، كونراد** (١٨٦٣ ـ ١٩٣٢) ـ اقتصادي وفيلسوف الماني .

**شناك فريدريخ** ـ صحفي الماني .

**شول** ـ عامل فرنسي عضو في فرع ليون للاممية .

**شورلمان ، كارل** (جوليميير) (١٨٣٤ ـ ١٨٩٢) ـ كيميائي الماني .

**شرام ، كارل اوغست** ـ اشتراكي ديموقراطي الماني اصلاحي .

**شرام رودولف** (١٨١٣ ـ ١٨٨٢) ـ صحفي ديموقراطي وبورجوازي صغير الماني .

**شولز ، لويس** ـ تاجر كولونيالي بورجوازي ديموقراطي .

**شولز ـ ديليزخ ، فراز هيرمان (١٨٠٨ ـ ١٨٨٣)** ـ سياسي الماني .
**شوان ، تيودور** (١٨١٠ ـ ١٨٨٢) ـ عالم حياتي الماني .
**شوايتزر ، جوهان باتيست فون (١٨٣٣ ـ ١٨٧٥)** ـ احد كبار ممثلي اللاسالية في المانيا .
**شكسبير ، وليم** (١٥٦٤ ـ ١٦١٦) ـ شاعر وكاتب مسرحي انكليزي كبير .
**شو ، برنارد** (١٨٥٦ ـ ١٩٥٠) ـ صحفي وكاتب مسرحي انكليزي .
**شيرمان ، وليم تيكومسه (١٨٢٠ ـ ١٨٩١)** جنرال وسياسي اميركي .

## ـ غ ـ

**غامبيتا ، ليون (١٨٣٨ ـ ١٨٨٢)** ـ سياسي فرنسي ، جمهوري بورجوازي .
**غاريبالدي ، جوزيبي (١٨٠٧ ـ ١٨٨٢)** ـ ثوري ديموقراطي ايطالي ، تزعم في ١٨٥٠ ـ ١٨٦٠ نضال الشعب الايطالي في سبيل التحرر الوطني والوحدة القومية .
**غارنييه ـ باجيه ، لويس انطون( ١٨٠٣ ـ ١٨٧٨)** ـ سياسي فرنسي ، جمهوري بورجوازي .
**غلادستون ، وليم ايفارت (١٨٠٩ ـ ١٨٩٨)** ـ رجل دولة انكليزي وزعيم حزب الاحرار
**غلايت ـ بيزواين ، الكسندر اوليفييه** (١٨٠٠ ـ ١٨٧٧) ـ محام وسياسي فرنسي ، جمهوري بورجوازي .
**غنيسنو ، اوغست ، كونت نيدهارت دي** (١٧٦٠ ـ ١٨٣١) ـ جنرال وسياسي بروسي .
**غوته ، جوهان وولف غانغ (١٧٤٩ ـ ١٨٣٢)** ـ كاتب ومفكر الماني كبير .
**غوغ ، اماند** (١٨٢٠ ـ ١٨٩٧) ـ صحفي ديموقراطي بورجوازي صغير الماني .
**غولوفين ، ايفان غافريلوفيتش** . (١٨١٦ ـ ١٨٨٦) ـ مالك عقارى ليبرالي روسي .
**غوربونوفا ، مينا كار لوفنا** (١٨٤٠ ـ ١٩٣١) ـ اقتصادية واحصائية روسية اديبة .

**غولد ، جاي** (١٨٣٦ ـ ١٨٩٢) ـ مليونير امريكي .
**غرانجر، ارنست هنري** (ولد عام ١٨٤٤) ـ صحافي اشتراكي فرنسي .
**غرانت ، اوليس سيمبسون** (١٨٢٢ ـ ١٨٨٥) ـ جنرال دولة اميركي .
**غراتان ، هنري** (١٧٤٦ ـ ١٨٢٠) ـ سياسي ايرلندي .
**غراي ، جون** (١٧٩٨ ـ ١٨٥٠) ـ اقتصادي واشتراكي طوباوي انكليزي .
**غرينلبرجر ، كارل** (١٨٤٨ ـ ١٨٩٧) ـ اشتراكي ديموقراطي الماني .
**غريم ، جاكوب** (١٧٨٥ ـ ١٨٦٣) ـ فقيه وكاتب الماني .
**غروف ، وليام روبرت** (١٨١١ ـ ١٨٩٦) ـ فيزيائي وقانوني انكليزي .
**غروسيه ، باسكال** (١٨٤٤ ـ ١٩٠٩) ـ صحفي سياسي فرنسي .
**غرون كارل** (١٨١٧ ـ ١٨٨٧) ـ صحفي بورجوازي صغير الماني من ممثلي «الاشتراكية الحقيقية» .
**غيسد ، جول** (اسمه الحقيقي ماتيو جول باسيل) ( ١٨٤٥ ـ ١٩٢٢) ـ شخصية هامة في الحركة الاشتراكية للعمال الفرنسيين والعالميين .
**غويبرت دي نوايدن** (١٠٥٣ ـ ١١٢٤) ـ لاهوتي ومؤرخ فرنسي والناطق باسم الارستقراطية الاقطاعية .
**غليوم الاول** (١٧٩٧ ـ ١٨٨٨) ـ ملك بروسيا بين( ١٨٦١ ـ ١٨٨٨) وامبراطور المانيا بين( ١٨٧١ ـ ١٨٨٨) .
**غليوم الخامس** (١٨١٩ ـ ١٨٧٨) ـ ملك هانوفر .
**غليوم شاك ، جرترود** ـ اشتراكي الماني ومن العاملين البارزين في الحركة العمالية الالمانية .
**غيزو ، فرانسوا بيير غليوم** (١٧٨٧ ـ ١٨٧٤) ـ مؤرخ بورجوازي ورجل دولة فرنسي .
**غوليخ ،غوستاف فون**(١٧٩١ ـ ١٨٤٧) ـ مؤرخ واقتصادي الماني .
**غومبرت ، ادوارد** (توفي عام ١٨٩٣) ـ طبيب الماني صديق ماركس وانجلز .

## - ف -

**فيليب الثاني** (١٥٢٧ ـ ١٥٩٨) ملك اسبانيا بين ١٥٥٦ ـ ١٥٩٨ .

**فيليب الثاني او فيليب اوغست** (١١٦٥ ـ ١٢٢٣) ـ ملك فرنسا بين( ١١٨٠ ـ ١٢٢٣) .

**فالوكس ، فريدريك ألفريد** (١٨١١ ـ ١٨٨٦) ـ سياسي وكاتب فرنسي .

**فوشيه ، جوليوس** (١٨٢٠ ـ ١٨٧٨) ـ صحافي واقتصادي مبتذل الماني .

**فافر ، جول** (١٨٠٩ ـ ١٨٨٠) ـ محام وسياسي فرنسي .

**فشنر ، غوستاف تيودور** (١٨٠١ ـ ١٨٨٧) ـ فيزيائي وفيلسوف واقعي الماني .

**فيرول ، جوزيف انطـون جان فريدريك ارنست** (١٨٥٣ ـ ١٩٢١) ـ طبيب وسياسي وصحفي اشتراكي فرنسي .

**فيري ، جول فرانسوا كاميل** (١٨٣٢ ـ ١٨٩٣) محام وصحافي وسياسي فرنسي .

**فيورباخ ، لودفيغ** (١٨٠٤ ـ ١٨٧٢) ـ فيلسوف مادي الماني بارز .

**فخته ، جوهان غوتليب** (١٧٦٢ ـ ١٨١٤) ـ فيلسوف مثالي ذاتي الماني .

**فيشر ، ريتشارد** (١٨٥٥ ـ ١٩٢٦) ـ اشتراكي ديموقراطي الماني .

**فليروفكسي** (اسمه الحقيقـي بـيرفي ، فاسيلي ماسيليفيتش) ـ اقتصـادي وعالـم اجتماعي روسي .

**فلـوكون ، فردينـان** (١٨٠٠ ـ ١٨٦٦) ـ صحفـي وسياسي فرنسي ، ديموقراطـي بورجوازي صغير .

**فونتان ، جوزيبه** ـ شارك في ثورة ١٨٤٨ في ايطاليا .

**فورستر ، شارل ـ لاهوتي** ورحالة انكليزي .

**فولد ، اخيل** (١٨٠٠ ـ ١٨٦٧) ـ مصرفي ورجل دولة فرنسي .

**فوكس ، بيتر**(اسمه الحقيقي بيترفوكس ، اندريه) (توفي عام **١٨٦٩**) ـ مناضل في حركة العمال الانكليز .

**فوربيه ، شارل** (١٧٧٢ ـ ١٨٣٧) ـ اشتراكي طوباوي فرنسي .

**فوكس ، شارل جيمس** (١٧٤٩ ـ ١٨٠٦) ـ رجل دولة انكليزي .

**فراس ، كارل نيكولاوس** (١٨١٠ـ ١٨٧٥) ـ عالم نباتي وزراعي الماني .

**فرانكل ، ليو** (١٨٤٤ ـ ١٨٩٦) ـ شخصية هامة في الحركة العمالية الهنغارية والعالمية .

**فرانزشن** ـ انظر كوغلمان فرانزيسكا .

**فريدريك ، شارل** (١٨٢٨ ـ ١٨٨٥) ـ امير بروسي وأحد الجنرالات الأشهر .

**فريدريك الأول ، باربا روس** (حوالي ١١٢٢ ـ ١١٩٠) ـ امبراطور روماني جرماني عام ١١٥٢ .

**فريدريك الثاني الأكبر** (١٧١٢ ـ ١٧٨٦) ـ ملك بروسيا بين ١٧٤٠ ـ ١٧٨٦ .

**فريدريك ، غليوم** (١٦٢٠ ـ ١٦٨٨) ـ الناخب عن براندبورغ بين ١٦٤٠ ـ ١٦٨٨ .

**فريدريك غليوم الثالث** (١٧٧٠ ـ ١٨٤٠) ـ ملك بروسيا بين (١٧٩٧ ـ ١٨٤٠) .

**فريدريك غليوم الرابع** (١٧٩٥ ـ ١٨٦١) ـ ملك بروسيا بين (١٨٤٠ ـ ١٨٦١) .

**فرايليغراث ، فرديناند** (١٨١٠ ـ ١٨٧٦) ـ شاعر الماني وعضو في عصبة الشيوعيين .

**فرايسنت ، (شارل لويس دي سولس دي)** (١٨٢٨ ـ ١٩٢٣) ـ رجل دولة ودبلوماسي فرنسي .

**فريبورغ** ، إ.إ ـ مناضل في حركة العمال ، برودوني يميني ، وأحد قادة فرع باريس من الأممية .

**فروست ، جون** (١٧٨٤ ـ ١٨٧٧) ـ راديكالي بورجوازي صغير انكليزي .

**فايان ، ادوارد ماري** (١٨٤٠ ـ ١٩١٥) ـ اشتراكي فرنسي عضو في كومونة باريس .

**فاهلتيك ، كارل جوليوس** (١٨٣٩ ـ ١٩١٥) ـ اشتراكي ديموقراطي الماني يميني

**فانوربيلت ، وليام هنري** (١٨٢١ ـ ١٨٨٥) ـ مليونير أميركي ، ملك السكك الحديدية .

**فان هايد غهيم (والتر)** (ولد حوالي ١٨٤٧) ـ رجل بوليس تمكن من التغلغل في فرع باريس للأممية .

**فارلين ، لويس اوجين** (١٨٣٩ ـ ١٨٧١) ـ شخصية هامة في حركة العمال الفرنسيين ، برودوني يساري .

**فوكانسون ، جاك دي** (١٧٠٧ ـ ١٧٩٢) ـ طبيب فرنسي .

**فرموريل ، اوغست جان ماري** (١٨٤١ ـ ١٨٧١) ـ صحفي فرنسي ، تلميذ لبرودون ، عضو كومونة باريس .

**فيزينييه ، بيير** (١٨٢٦ ـ ١٩٠٢) ـ صحفي بورجوازي صغير فرنسي .

**فكتور عمانوئيل الثاني** (١٨٢٠ ـ ١٨٧٨) ـ ملك سردينيا بين (١٨٤٩ ـ ١٨٦١) ثم ملك ايطاليا بين (١٨٦١ ـ ١٨٧٨) .

**فينوا ، جوزيف** (١٨٠٠ ـ ١٨٨٠) ـ جنرال بونابرتي فرنسي .

**فيشر ، فريدريخ تيودور** (١٨٠٧ ـ ١٨٨٨) ـ فيلسوف هيغلي الماني .

**فوغل فون فالكنشتاين ، ادوارد** (١٧٩٧ ـ ١٨٨٥)ـجنرال الماني .

**فوغت ، اوغست** (حوالي ١٨٣٠ ـ حوالي ١٨٨٣) ـ عامل الماني . عضو في رابطة الشيوعيين .

**فوغت ، كارل** (١٨١٧ ـ ١٨٩٥) ـ عالم طبيعيات الماني . ديموقراطي بورجوازي صغير ، مادي مبتذل .

**فولمار ، جورج هنريخ** (١٨٥٠ ـ ١٩٢٢) ـ اشتراكي ديموقراطي الماني .

**فولتير (اسمه الحقيقي فرانسوا ماري ارويت)** (١٦٩٤ ـ ١٧٧٨) ـ فيلسوف نابغة فرنسي من عصر الأنوار .

**فاشموث ، ارنست ولهلم غوليب** (١٧٨٤ ـ ١٨٦٦) ـ مؤرخ بورجوازي الماني .

**فاغنر ، هيرمان** (١٨١٥ ـ ١٨٨٩) ـ صحفي وسياسي الماني .

**فاغنر ادولف** (١٨٣٥ ـ ١٩١٧) ـ اقتصادي بورجوازي مبتذل الماني .

**فالايك ، بنيدكت فرانزليو** (١٨٠٢ ـ ١٨٧٠) ـ سياسي راديكالي وبورجوازي الماني .

**فالستر** ـ انظر اوتوفالستر اوغست .

**فالتر** ـ انظر فان هايد غهيم .

**فاتو ، لويس (دونونفيل)** (ولد عام ١٨٢٤) ـ صحفي فرنسي شارك في الحركة الثورية في فرنسا .

ـ ق ـ

**قيصر** (غايوس جوليوس فايزر) (حوالي ١٠٠ ـ ٤٤ قبل الميلاد) ـ قائد عسكري ورجل دولة وكاتب روماني .

**قيصر ، ماكس** (١٨٥٣ ـ ١٨٨٨) ـ اشتراكي ديموقراطي الماني .

ـ ك ـ

**كيسني ، فرانسوا** (١٦٩٤ ـ ١٧٧٤) ـ اقتصادي فرنسي .

**كاكادو** ـ انظر ، لافارغ ، لورا .

**كانيتز ، هانز وهلم اسكندر ، كونت** (١٨٤١ ـ ١٩١٣) ـ سياسي الماني ، أحد قادة حزب المحافظين .

**كانت ، عمانوئيل** (١٧٢٤ ـ ١٨٠٤) ـ أبو الفلسفة الكلاسيكية الألمانية .

**كارييف ، نقولاي ايفانوفيتش** (١٨٥٠ ـ ١٩٣١) ـ مؤرخ وداعية بورجوازي ليبرالي روسي .

**كوفمان ، هيلاريون اغناتييفيتش** (١٨٤٨ ـ ١٩١٦) ـ اقتصادي بورجوازي روسي .

**كاوتسكي ، كارل** (١٨٥٤ ـ ١٩٤٨) ـ داعية اشتراكي ديموقراطي الماني ورئيس تحرير **الحياة الجديدة** . انضم إلى الماركسية ، ثم أصبح زعيم الاتجاه الانتهازي .

**كاوتسكي ، لويز** (١٨٦٠ ـ توفيت بعد ١٩٣٧) ـ اشتراكية نمساوية ، سكرتيرة انجلز منذ عام ١٨٩٠ .

**كاوتسكي ، نينا** (١٨٣٧ ـ ١٩١٢) ـ اديبة المانية ، والدة ك . كاوتسكي .

**كيلي فيشتيفتسكي ، فلورنس** ، (١٨٥٩ ـ ١٩٣٢) ـ اشتراكية اميركية .

**كينكل ، غوتفريد** (١٨١٥ ـ ١٨٨٢) ـ صحفي وشاعر الماني ، ديموقراطي بورجوازي صغير .

**كليست روتزوف ، هانز هزغو** (١٨١٤ ـ ١٨٩٢) ـ سياسي بروسي .

**كلينفر** ، **كارل** ـ عامل عدان الماني ، عضو في عصبة الشيوعيين .
**كرابولينسكي** ـ لقب لنابليون الثالث .
**كريغ** ، **هيرمان** (١٨٢٠ ـ ١٨٥٠) ـ داعية الماني .
**كوبن** ، **كارل فريدريخ** (١٨٠٨ ـ ١٨٦٣) ـ داعية راديكالي ومؤرخ الماني هيغلي .
**كوسيوزكو** ، تادوز (١٧٤٦ ـ ١٨١٧) ـ شخصية هامة في حركة التحرر الوطنية في بولونيا .
**كوسوث** ، **لاجوس (لودفيك)** (١٨٠٢ ـ ١٨٩٤) ـ قائد حركة التحرر الوطنية في المجر .
**كوغلمان** ، **جرترود** ـ زوجة لودفيغ كوغلمان .
**كوغلمان** ، **غرانزشن** ـ ابنة لودفيغ كوغلمان .
**كوغلمان** ، **لودفيغ** (١٨٣٠ ـ ١٩٠٢) ـ طبيب الماني ، عضو في الأممية الأولى ، صديق لماركس وانجلز .

**ـ ل ـ**

**لابريولا** ، **انطونيو** (١٨٤٣ ـ ١٩٠٤) ـ فيلسوف وداعية ايطالي اشتراكي .
**لاكامبر** ، **سيريل** ـ طبيب فرنسي ، صديق حميم لبلانكي .
**لاشيز** ، **جان بينوا** (ولد عام ١٨٥٩) ـ اشتراكي فرنسي ، عضو في حزب العمال الفرنسي .
**لافارغ** ، **لورا** (١٨٤٥ ـ ١٩١١) ـ ابنة كارل ماركس ، مناضلة في حركة العمال الفرنسيين . زوجة بول لافارغ .
**لافارغ** ، **بول** (١٨٤٢ ـ ١٩١١) مناضل في حركة العمال الفرنسيين والعالميين ، داعية ماركسي .
**لافاييت** ، **ماري جوزيف** (١٧٥٧ ـ ١٨٣٤) ـ جنرال فرنسي ، أحد قادة البورجوازية خلال ثورة ١٧٨٩ .
**لامارتين** ، **الفونس دي** (١٧٩٠ ـ ١٨٦٩) شاعر ومؤرخ وسياسي فرنسي . وزير للخارجية عام ١٨٤٨ حيث كان الموجه الفعلي للحكومة المؤقتة .

**لانج ، فريدريخ البرت** (١٨٢٨ ـ ١٨٧٥) ـ فيلسوف الماني ، كانطي جديد ، عدو للمادية والاشتراكية .

**لانكستر ، ادوين راي** (١٨٤٧ ـ ١٩٢٩) ـ عالم حياتي انكليزي .

**لاروك ، جان** ـ شخصية بارزة في حركة العمال الفرنسيين . أحد قادة فرع بوردو للأممية .

**لاسال ، فرديناند** (١٨٢٥ ـ ١٨٦٤) ـ اشتراكي بورجوازي صغير الماني ، محام ، أحد مؤسسي الرابطة العامة للشغيلة الالمان عام ١٨٦٣ ، وهي الرابطة التي لعبت دوراً حاسماً في الحركة العمالية . لكن لاسال قادها في الطريق الانتهازية ، مما حمل ماركس وانجلز على تسليط نار نقدهما عليه .

**لوران ، اوغست** (١٨٠٧ ـ ١٨٥٣) ـ كيميائي فرنسي .

**لافرن ـ بيغلن** ـ موريتزفون مؤرخ واقتصادي الماني .

**لافروف ، بيوتر لافروفيتش** (١٨٢٣ ـ ١٩٠٠) ـ داعية وعالم اجتماع روسي ، وأحد منظّري المذهب الشعبي . عضو في الأممية الأولى ، شارك في كومونة باريس .

**لوبلان ، البر فيليكس** (ولد عام ١٨٤٤) ـ مهندس ، مناضل في حركة العمال الفرنسيين ، ناصر الباكونينيين . عضو فرع باريس للأممية ، اشترك في كومونة باريس ، انقلب أخيراً نصيراً للبونابرتية .

**لودرو ـ رولان ، الكسندر اوغست** (١٨٠٧ ـ ١٨٧٤) ـ داعية وسياسي فرنسي ، أحد قادة الديموقراطيين البورجوازيين الصغار . رئيس تحرير **الاصلاح** .

**لي ، روبرت ادوارد** (١٨٠٧ ـ ١٨٧٠) ـ جنرال اميركي ، زعيم الجنوبيين في حرب الانفصال .

**لوفيرا** ، ١ ـ قنصل فرنسا في فيينا بين (١٨٧٠ ـ ١٨٧١) ٧

**لوفور ، هنري** (١٨٣٥ ـ ١٩١٧) ـ محام وصحفي فرنسي ، جمهوري بورجوازي .

**ليبنز غوتفريد وهلم** (١٦٤٦ ـ ١٧١٦) ـ رياضي وفيلسوف مثالي الماني .

**لولوبيز ، فكتور** (ولد حوالي ١٨٣٤) ـ مغترب فرنسي في لندن . عضو المجلس العام للأممية الذي طرد منه لمكائده وافتراءاته .

**ليو ، هنريخ** (١٧٩٩ ـ ١٨٧٨) ـ مؤرخ وداعية الماني ، مدافع عن الافكار السياسية والدينية الرجعية .

**لورو ، بيير** (١٧٩٧ ـ ١٨٧١) ـ داعية بورجوازي صغير فرنسي ، اشتراكي طوباوي ، وأحد ممثلي الاشتراكية المسيحية .

**لوسيب ، فرديناند دي** (١٨٤٩ ـ ١٩٢٣) ـ رجل اعمال فرنسي ، أحد مدراء شركة قنال بناما . حكم عليه بالسجن بتهمة الاحتيال .

**ليسنغ ، غوتولد ايفرايم** (١٧٢٩ ـ ١٧٨١) ـ كاتب وناقد وفيلسوف الماني .

**ليسنر ، فريدريخ** (١٨٢٥ ـ ١٩١٠) ـ مناضل في الحركة العمالية الألمانية والعالمية . خياط في الأصل ، عضو عصبة الشيوعيين ، وعضو المجلس العام للاممية ، ومن انصار ماركس وانجلز الحازمين .

**ليفي ، غوستان** ـ اشتراكي الماني من مقاطعة الراين ثم مناضل بارز في الرابطة العامة للشغيلة الألمان .

**ليبغ جوستوس فون** (١٨٠٣ ـ ١٨٧٣) ـ عالم الماني ، أحد مبدعي الكيمياء الزراعية .

**ليبكنخت ، ناتالي** (١٨٣٥ ـ ١٩٠٩) ـ زوجة و . ليبكنخت اعتباراً من ١٨٦٨ .

**ليبكنخت ، وهلم** (١٨٢٦ ـ ١٩٠٠) ـ وجه بارز في الحركة العمالية الالمانية والعالمية .

**لينغه ، سيمون نقولا هنري** (١٧٣٦ ـ ١٧٩٤) ـ محام وداعية ومؤرخ واقتصادي فرنسي ، من خصوم الفيزوقراطيين .

**لنكولن ، ابراهام** (١٨٠٩ ـ ١٨٦٥) ـ رجل دولة أميركي بارز ، أحد قادة الحزب الجمهوري . رئيس الولايات المتحدة بين (١٨٦١ ـ ١٨٦٥) .

**ليساغاراي ، بروسبر أوليفييه** (١٨٣٨ ـ ١٩٠١) ـ صحفي ومؤرخ فرنسي ، اشترك في كومونة باريس .

**ليست ، فريدريخ** (١٧٨٩ ـ ١٨٤٦) اقتصادي مبتذل الماني .

**ليزي** ـ انظر بورنز ، ليزي .

**لوك ، جون** (١٦٣٢ ـ ١٧٠٤) ـ فيلسوف ازدواجي انكليزي واقتصادي بورجوازي .

**لونغيه ، شارل** (١٨٣٣ ـ ١٩٠٣) ـ مناضل برودوني في حركة العمال الفرنسيين ، صحفي ، عضو المجلس العام للاممية وعضو كومونة باريس ، زوج جيني ماركس .

**لوباتين ، غيرمان الكسندروفيتش** (١٨٤٥ ـ ١٩١٨) ـ ثوري روسي شعبي ، عضو المجلس العام للاممية لأولى ، صديق ماركس وانجلز ، ترجم الى الروسية الكتاب الاول من **رأس المال** .

**لوربا ، اشيل** (١٨٥٧ ـ ١٩٢٦) ـ عالم اجتماعي واقتصادي رجعي ايطالي .

**لوفي ايزيدور** (١٨٤٨ ـ ١٩١٠) ـ صناعي الماني ، رئيس الشركة التجارية الكبرى لصنع الأسلحة .

**لوفي ، وهلم** (١٨١٤ ـ ١٨٨٦) ـ سياسي الماني ديموقراطي وبورجوازي صغير .

**لوفنتال** ـ ناشر الماني في الأعوام ٤٠ ـ ٥٠ من القرن التاسع عشر .

**لويز** ـ انظر كاوتسكي ، لويز .

**لويس الرابع عشر** (١٦٣٨ ـ ١٧١٥) ـ ملك فرنسا بين (١٦٤٣ ـ ١٧١٥) .

**لويس الخامس عشر** (١٧١٠ ـ ١٧٧٤) ـ ملك فرنسا بين (١٧١٥ ـ ١٧٧٤) .

**لويس فيليب** (١٧٧٣ ـ ١٨٥٠) ـ دوق اورليان ، ملك الفرنسيين بين ١٨٣٠ ـ ١٨٤٨ .

**لوبوك ، جون** (١٨٣٤ ـ ١٩١٣) ـ عالم اجناس وآثار انكليزي ، دارويني ، مؤلف كتب مكرسة للمجتمع البدائي .

**لوبني ، توماس كلارك** (١٨٢١ ـ ١٩٠١) ـ ثوري ايرلندي ، فيني ، داعية اشتراك في تحرير صحفية **الايرلندي** .

**لوكرافت** ، **بنيامين** (١٨٠٩ ـ ١٨٩٧) ـ أحد قادة الاصلاحيين للنقابات الانكليزية ، عضو المجلس العام للاممية الاولى . نجار . خان مبادئه ، استقال من الاممية متخذاً موقفاً معادياً من كومونة باريس .

**لوكولوس ، لوسيوس ليسينوس** (حوالي ١٠٦ ـ حوالي ٥٧ قبل الميلاد) ـ جنرال وسياسي روماني .

**لودفيغ الثالث** (١٨٠٦ ـ ١٨٧٧) ـ حاكم هيس ، واعتبارا من ١٨٤٨ الدوق الكبير هيس ـ دارمشتادت .

**لوثر ، مارتن** (١٤٨٣ ـ ١٥٤٦) ـ اصلاحي كبير ، مؤسس البروتستانتية في ألمانيا . ايديولوجي البورجوازية الصغيرة . ناصر الأمراء ضد الثوار في حرب الفلاحين .

**لوتزوف ، ادولف فون** (١٧٨٢ ـ ١٨٣٤) ـ ضابط روسي شارك في الحرب ضد فرنسا البونابرتية .

ـ م ـ

**ماك كالوش ، جون رامسي** (١٧٨٩ ـ ١٨٦٤) ـ اقتصادي بورجوازي انكليزي .

**ماكيافيلي ، نيكولو** (١٤٦٩ ـ ١٥٢٧) ـ سياسي ومؤرخ وكاتب ايطالي ، أحد مفكري البورجوازية في فجر الرأسمالية . مؤلف كتاب الأمير .

**ماك كينلي ، وليام** ، (١٨٤٣ ـ ١٩٠١) ـ رجل دولة اميركي ، أحد قادة الحزب الجمهوري .

**ماك ماهون ، ماري ـ آدم ـ باتريك ـ موريس دي** (١٨٠٨ ـ ١٨٩٣) ـ سياسي رجعي فرنسي ، ماريشال بونابرتي وأحد جلادي كومونة باريس .

**محمد** (حوالي ٥٧٠ ـ ٦٣٢) ـ مبشر ديني عربي ، مؤسس الاسلام .

**ميستر ، جوزيف دي** (١٧٥٣ ـ ١٨٢١) ـ كاتب فرنسي ملكي ، وعدو لدود لثورة ١٧٨٩ .

**مالون ، بينوا** (١٨٤١ ـ ١٨٩٣) ـ اشتراكي فرنسي ، عضو في الاممية الأولى ، شارك في كومونة باريس .

**مالتوس، توماس روبرت** (١٧٦٦ ـ ١٨٣٤) ـ كاهن انكليزي وعالم اقتصادي ، مفكر الارستقراطية العقارية المتبرجزة . شارح نظرية فرط السكان الداعية الى التشاؤم .

**مان ، توم** (١٨٥٦ ـ ١٩٤١) ـ شخصية في حركة العمال الانكليز . موسيقي في الأصل .

**مانينغ ، هنري ادوارد** (١٨٠٨ ـ ١٨٩٢) ـ رجل كنيسة انكليزي ، اسقف وستمنستر اعتباراً من ١٨٦٨ ، كاردينال اعتباراً من ١٨٧٥ .

**مانتوفيل ، اوتو تيودور فون** (١٨٠٥ ـ ١٨٨٢) ـ رجل دولة بروسي . ووزير داخلية .

**مارشان ، لويس** ـ باكونيني فرنسي ، أرسلته كومونة باريس الى بوردو ثم هاجر الى سويسرا . طرد من الأممية .

**ماري ، الكسندر ـ توماس** (١٧٩٥ ـ ١٨٧٠) ـ محام وسياسي فرنسي ، جمهوري بورجوازي .

**مار ، ولهلم** (١٨١٩ ـ ١٩٠٤) ـ داعية صحفي بورجوازي صغير الماني .

**ماراست ، ارمان** (١٨٠١ ـ ١٨٥٢) ـ صحفي وداعية سياسي فرنسي ، من قادة الجمهوريين ، رئيس تحرير صحيفة **ناسيونال** .

**مارتنس ، يواكيم فريدريخ** (حوالي ١٨٠٤ ـ ١٨٧٧) ـ نجار الماني ، عضو عصبة العادلين .

**مافيتز ، فريدريخ اوغست لودفيك فون** (١٧٧٧ ـ ١٨٣٧) ـ جنرال وسياسي بروسي .

**ماركس اليونور** (توسي) (١٨٥٥ ـ ١٨٩٨) ـ ابنة ماركس الصغرى ، زوجة ا. ا.فيلينغ ، مناضلة مندفعة في الحركة العمالية الانكليزية والعالمية .

**ماركس ، جيني** (اسم العائلة فون وستفالن) (١٨١٤ ـ ١٨٨١) ـ زوجة ماركس .

**ماركس ، جيني** (١٨٤٤ ـ ١٨٨٣) ـ ابنة كارل ماركس الكبرى ، صحفية ، وجه بارز في الحركة العمالية العالمية . لعبت دوراً كبيراً في نضال الشعب الايرلندي في سبيل حريته ، تزوجت من شارل لونغيه عام **١٨٧٢** .

**ماركس ، لورا** ـ انظر لافارغ ، لورا .

**مورر ، جورج لودفيك** (١٧٩٠ ـ ١٨٧٢) ـ مؤرخ الماني ، درس النظام الاجتماعي الالماني في العصور القديمة والعصر الوسيط . له دراسة ثمينة عن المارش .

**ماير ، كارل** (١٨١٩ ـ ١٨٨٩) ـ ديموقراطي بورجوازي صغير الماني .

**مايون ، ريتشارد** (١٧٩٦ ـ ١٨٦٨) ـ رئيس بوليس لندن اعتباراً من ١٨٥٠ .

**مازيني ، جوزيبي** (١٨٠٥ ـ ١٨٧٢) ـ ثوري ايطالي ، ديموقراطي بورجوازي ، أحد قادة حركة التحرر الوطنية في ايطاليا .

**ماك كليلان ، جورج برينتون** (١٨٢٦ ـ ١٨٨٥) ـ جنرال اميركي ومقاول في السكك الحديدية . من أنصار المواطأة مع العبوديين في الجنوب .

**مياغر ، توماس فرنسيس** (١٨٢٣ ـ ١٨٦٧) ـ مناضل في حركة التحرر الوطنية الايرلندية .

**ميشتشرسكي ، فلاديمير بيتروفيتش** (١٨٣٩ ـ ١٩١٤) ـ أمير وداعية رجعي روسي .

**مهرنغ ، فرانز** (١٨٤٦ ـ ١٩١٩) ـ داعية ومؤرخ وحقوقي . مناضل بارز في حركة العمال الالمان . قائد الجناح اليساري في الحزب الاشتراكي الديموقراطي . أسهم في تأسيس الحزب الشيوعي .

**ميسنر ، اوتوكارل** (١٨١٩ ـ ١٩٠٢) ـ ناشر من هامبورغ ، اصدر **رأس المال** وكتبا أخرى لماركس وانجلز .

**مندلسون ، موزينس** (١٧٢٩ ـ ١٧٨٦) ـ فيلسوف بورجوازي ، رجعي الماني .

**ميساي لومبارت ، جوزيه** (١٨٤٠ ـ ١٩٠٤) ـ مناضل في الحركة العمالية والاشتراكية الاسبانية .

**ماير ، رودولف هيرمان** (١٨٣٩ ـ ١٨٩٩) ـ داعية واقتصادي بورجوازي الماني .

**مايز ، سيغفريد** (حوالي ١٨٤٠ ـ ١٨٧٢) ـ مناضل في حركة العمال الالمان والاميركيين . مناهض للا سالية . عضو الأممية . اسهم في تأسيس فروع الأممية في الولايات المتحدة .

**مينيه ، فرانسوا ـ اوغست ـ ماري** (١٧٩٦ ـ ١٨٨٤) ـ مؤرخ بورجوازي فرنسي ذو اتجاه ليبرالي .

**ميخائيلوفسكي ، نقولاي كوستانتينوفيتش** (١٨٤٢ ـ ١٩٠٤) ـ داعية وناقد أدبي روسي . فيلسوف وضعي . من المنظّرين البارزين للمذهب الشعبي الليبرالي .

**ميل ، جميس** (١٧٧٣ ـ ١٨٣٦) ـ اقتصادي وفيلسوف انكليزي ، معمم نظرية ريكاردو .

**ميل ، جون ستوارت** (١٨٠٦ ـ ١٨٧٣) ـ اقتصادي وفيلسوف وضعي انكليزي .

**ميليران ، ايتيلين الكسندر** (١٨٥٩ ـ ١٩٤٣) ـ رجل دولة فرنسي ، راديكالي

بورجوازي صغير ثم اشتراكي . تزعم الاتجاه الانتهازي في الحزب الاشتراكي الفرنسي .

**ميلنر ، جورج** ـ مناضل في حركة العمال الانكليز ، من أصل ايرلندي .

**ميكيل ، جوهان** (١٨٢٨ ـ ١٩٠١) ـ سياسي الماني ، عضو عصبة الشيوعيين ، ومن بعد قومي ليبرالي .

**ميرابو اونوريه ـ غابرييل** (١٧٤٩ ـ ١٧٩١) ـ وجه بارز في ثورة ١٧٨٩ في فرنسا .

**متريدات السادس ، اوباتور** (١٣٢ ـ ٦٣ قبل الميلاد) ـ ملك آسيا الصغرى . قاوم الرومان في ثلاث حروب .

**موليشوت ، جاكوب** (١٨٢٠ ـ ١٨٩٣) ـ فيزيولوجي وفيلسوف الماني . من الممثلين البارزين للمادية المبتذلة .

**مولتكه ، هلموث كارل بيرنهارد فون** (١٨٠٠ ـ ١٨٩١) ـ جنرال ثم ماريشال بروسي . كاتب رجعي من منظّري النزعة العسكرية والشوفينية البروسية .

**مونتيل ، ارمان الكسيس** (١٧٦٩ ـ ١٨٥٠) ـ مؤرخ فرنسي .

**مونتسكيو ، شارل لويس** (١٦٨٩ ـ ١٧٧٥) ـ عالم اجتماعي واقتصادي وكاتب فرنسي من عصر الأنوار . منظر الملكية الدستورية .

**مور ، صموئيل** (حوالي ١٨٣٠ ـ ١٩١٢) ـ حقوقي انكليزي ، عضو في الأممية الأولى . ترجم الى الانكليزية كتاب **رأس المال** (مع ا.فيلنغ) و**بيان الحزب الشيوعي** . صديق لماركس وانجلز .

**مورو دي جونيس ، الكسندر** (١٧٧٨ ـ ١٨٧٠) ـ اقتصادي فرنسي ، مؤلف عدة مؤلفات مكرسة للاحصاء .

**مورو ، اميل اندريه** (ولد عام ١٨٣٧) ـ سياسي فرنسي راديكالي بورجوازي .

**مورغان ، ليفي هنري** (١٨١٨ ـ ١٨٨١) ـ عالم اميركي كبير في العراقة والآثار ومؤرخ الجماعية البدائية .

**مورلي ، صموئيل** (١٨٠٩ ـ ١٨٨٦) ـ ليبرالي انكليزي ، عضو في البرلمان .

**مورني ، شارل ـ اوغست ، لويس جوزيف ، دوق دي** (١٨١١ ـ ١٨٦٥) ـ

سياسي بونابرتي فرنسي . أحد منظمي انقلاب الثاني من كانون الأول ١٨٥١ .

**موزر ، جوستس** (١٧٢٠ ـ ١٧٩٤) ـ داعية ومؤرخ الماني .

**موست ، جوهان** (١٨٤٦ ـ ١٩٠٦) ـ فوضوي الماني ، انضم في الستينات إلى الحركة العمالية .

**موتيرشيد ، توماس** ـ عامل نسيج انكليزي ، عضو المجلس العام للاممية الأولى .

**مولبرجر ، ارتور** (١٨٤٧ ـ ١٩٠٧) ـ داعية الماني برودوني .

**مولر ، آدم هنريخ** (١٧٧٩ ـ ١٨٢٩) ـ داعية واقتصادي الماني ، دافع عن مصالح الارستقراطية الاقطاعية .

**مونزر ، توماس** (حوالي ١٤٩٠ ـ ١٥٢٥) ـ ثوري الماني ، قائد وايدولوجي الفلاحين والعامة خلال الاصلاح وحروب الفلاحين عام ١٥٢٥ ، وقد نادى بأفكار اشتراكية المساواة الطوباوية .

## ـ ن ـ

**نابليون الأول بونابرت** (١٨٦٩ ـ ١٨٢١) ـ امبراطور الفرنسيين بين (١٨٠٤ ـ ١٨١٤ و١٨١٥) .

**نابليون الثالث** (لويس ـ نابليون بونابرت) (١٨٠٨ ـ ١٨٧٣) ـ ابن أخ نابليون الأول ، رئيس الجمهورية الثانية (١٨٤٨ ـ ١٨٥١) . امبراطور الفرنسيين بين (١٨٥٢ ـ ١٨٧٠) .

**نيتشاييف ، سرغي غيناديييفيتش** (١٨٤٧ ـ ١٨٨٢) ـ ثوري متآمر بروسي ، كان على صلة وثيقة بباكونين .

**نيوفينهويس ، فرديناند دوميلا** (١٨٤٦ ـ ١٩١٩) ـ مناضل في حركة العمال الهولنديين ، أحد قادة الحزب الأشتراكي الديموقراطي الهولندي .

**نيم** ـ انظر ديموث ، هيلين .

**نوبيلينغ ، كارل ادوارد** (١٨٤٨ ـ ١٨٧٨) ـ فوضوي الماني ، حاول عام ١٨٧٨ اغتيال غليوم الأول ، وكانت تلك الذريعة التي اتخذتها الحكومة لاصدار القوانين الاستثنائية المناهضة للاشتراكيين .

**نوالياك ، بينين فيكتور ايمي** ـ أحد مصدري الكراريس في مرحلة الثورة البورجوازية الفرنسية في نهاية القرن الثامن عشر .
**نوثجونغ ، بيتر** (حوالي ١٨٢٣ ـ ١٨٦٦) ـ خياط الماني،عضو رابطة العمال في كولونيا وعضو العصبة الشيوعية ، وأحد المتهمين في محاكة كولونيا .
**النفيري** (١٢٨٠ ـ ١٣٣٢) ـ مؤرخ عربي .

ـ هـ ـ

**هابسبورغ** ـ الأسرة المالكة النمسوية بين (١٢٧٣ ـ ١٩١٨) .
**هالر ، كارل لودفيغ فون** (١٧٦٨ ـ ١٨٥٤) ـ حقوقي ومؤرخ سويدي ، ومن دعاة العبودية والحكم المطلق .
**هاردي ، جميس كاير** (١٨٥٦ ـ ١٩١٥) ـ شخصية بارزة في حركة العمال الانكليز ، مؤسس ورئيس حزب العمال في اسكوتلندا والحزب العمالي المستقل . اصلاحي .
**هاركنس ، مرغريت** (اسمها المستعار جون لدو) ـ اديبة انكليزية اشتراكية ، عضوة الاتحاد الاشتراكي الديموقراطي ، مؤلفة روايات مكرسة للأوضاع العمالية .
**هارني ، جورج جوليان** (١٨١٧ ـ ١٨٩٧) ـ مناضل في حركة العمال الانكليز ، أحد رؤوساء الجناح الأيسر للميثاقية .
**هاريس ، جورج** ـ مناضل في حركة العمال الانكليز ، عضو المجلس العام للاممية الأولى .
**هاريسون ، فريدريك** (١٨٣١ ـ ١٩٢٣) ـ حقوقي ومؤرخ انكليزي ، راديكالي بورجوازي ، من أنصار الفلسفة الوضعية . عضو الأممية الأولى .
**هارتمان ، ليف نقولايفيتش** (١٨٥٠ ـ ١٩٠٨) ـ ثوري روسي شعبي .
**هاسنكليفر ، وهلم** (١٨٣٧ ـ ١٨٨٩) ـ اشتراكي ديموقراطي الماني ، من انصار لاسال .
**هاسلمان ، وهلم** (ولد عام ١٨٤٤) ـ أحد قادة الرابطة العامة للشغيلة الالمان المؤسسة من قبل لاسال .
**هاتزفيلد ، صوفي فون** (١٨٠٥ ـ ١٨٨١) ـ صديقة ونصيرة للاسال .

**هوبت ، هيرمان وهلم** (ولد حوالي ١٨٣١) ـ عامل تجاري الماني ، عضو عصبة الشيوعيين ، متهم في محاكة الشيوعيين في كولونيا حيث غدر برفاقه .

**هاوسمان ، اوجين جورج** (١٨٠٩ ـ ١٨٩١) ـ سياسي بونابرتي فرنسي ، محافظ السين .

**هاكساوزن ، اوغست فريهر فون** (١٧٩٢ ـ ١٨٦٦) ـ صناعي وكاتب بروسي . مؤلف كتاب عن بقايا النظام الجماعي في العلاقات الزراعية في روسيا . مؤيد لنظام العبودية .

**هيبرت ، جاك رونيه** (١٧٥٧ ـ ١٧٩٤) ـ وجه بارز مناضل في ثورة **١٧٨٩** الفرنسية . زعيم الجناح اليساري لليعاقبة .

**هيغل ، جورج وهلم فريدريخ** (١٧٧٠ ـ ١٨٣١) ـ فيلسوف مثالي الماني .

**هايني ، هنرخ** (١٧٩٧ ـ ١٨٥٦) ـ شاعر كبير ثوري الماني .

**هاينزن ، كارل** (١٨٠٩ ـ ١٨٨٠) ـ صحفي راديكالي الماني ، ديموقراطي بورجوازي صغير ، مناهض لماركس وانجلز .

**هيلد ، ادولف** (١٨٤٤ ـ ١٨٨٠) ـ اقتصادي مبتذل الماني ، استاذ في جامعة بون .

**هيلفالد ، فريدريخ فون** (١٨٤٢ ـ ١٨٩٢) ـ عالم عراقة وجغرافي ومؤرخ نمساوي .

**هلمولتز ، هيرمان لودفيك فرديناند** (١٨٢١ ـ ١٨٩٤) ـ عالم طبيعيات الماني ، مادي النزعة .

**هيلفيتيوس ، كلود ادريان** (١٧١٥ ـ ١٧٧١) ـ فيلسوف مادي فرنسي ، أحد مفكري البورجوازية الثورية في القرن الثامن عشر .

**هينيسي ، جون** (١٨٣٤ ـ ١٨٩١) ـ سياسي ايرلندي ، عضو البرلمان المحافظ . من أنصار الاصلاحات الصغيرة في ايرلندا .

**هيننغ ، ليوبولد** (١٧٩١ ـ ١٨٦٦) ـ فيلسوف هيغلي الماني .

**هنري الرابع** (١٥٥٣ ـ ١٦١٠) ـ ملك فرنسا بين (١٥٨٩ ـ ١٦١٠)

**هبنر ، ادولف** (١٨٤٦ ـ ١٩٢٣) ـ اشتراكي ديموقراطي الماني ، احدَ محرري صحيفة **فولكستات**

**هراقليطس** ، (حوالي ٥٤٠ ـ حوالي ٤٨٠ قبل الميلاد) ـ فيلسوف اغريقي . أحد مؤسسي الجدلية .

**هرتزن ، الكسندر ايفانوفيتش** (١٨١٢ ـ ١٨٧٠) ـ ثوري ديموقراطي وفيلسوف مادي . داعية وكاتب روسي .

**هيس ، موزيس** (١٨١٢ ـ ١٨٧٥) ـ داعية بورجوازي صغير الماني وأحد أهم ممثلي الأشتراكية الحقيقية ، ثم لاسالي .

**هيلديتش** ، ريتشارد ـ اقتصادي انكليزي .

**هينس ، اوجين** (١٨٣٩ ـ ١٩٢٣) ـ أحد منظمي فروع الأممية الأولى في بلجيكا .

**هيرش ، كارل** (١٨٤١ ـ ١٨٩٠) ـ صحفي اشتراكي ديموقراطي الماني .

**هوبس ، توماس** (١٥٨٨ ـ ١٦٧٩) ـ فيلسوف انكليزي ، ممثل المادية الميكانيكية .

**هوخبرغ ، كارل** (١٨٥٣ ـ ١٨٨٥) ـ اشتراكي اصلاحي الماني ، ابن أحد التجار الأغنياء . اسس وموّل صحفاً عديدة ذات نزعة اصلاحية .

**هوفمان ، اوغست وهلم** (١٨١٨ ـ ١٨٩٢) ـ كيميائي الماني .

**هوهنزولرن** ـ سلالة الناخبين لمدينة برادبورغ بين (١٤١٥ ـ ١٧٠١) وملوك بروسيا بين (١٧٠١ ـ ١٩١٨) وأباطرة المانيا بين (١٨٧١ ـ ١٩١٨) .

**هود ، جون بل** (١٨٣١ ـ ١٨٧٩) ـ جنرال اميركي حارب الى جانب الجنوبيين في حرب الانفصال .

**هورن ، ادوارد** (اسمه الحقيقي اينهورن) (١٨٢٥ ـ ١٨٧٥) ـ اقتصادي وداعية هنغاري ، ديموقراطي بورجوازي صغير شارك في ثورة ١٨٤٨ ـ ١٨٤٩ .

**هورنر ، ليونهارد** (١٧٨٥ ـ ١٨٦٤) ـ عالم جيولوجي ومناضل اجتماعي انكليزي ، مفتش المعامل ، دافع عن مصالح العمال .

**هوفيلاك ، الكسندر ـ آبل** (١٨٤٣ ـ ١٨٩٦) ـ سياسي راديكالي فرنسي ، اشتراكي اعتباراً من ١٨٨٩ .

**هوبرت ، أدولف** ـ لاجيء فرنسي في لندن ، عضو الأممية الأولى .

**هوتن ، اولريخ فون** (١٤٨٨ ـ ١٥٢٣) ـ شاعر الماني أنسي النزعة ونصير للاصلاح .

**هكسلي ، توماس هنري** (١٨٢٥ ـ ١٨٩٥) ـ عالم طبيعيات انكليزي وعالم أحياء صديق لتشارلز داروين وتلميذه . صاحب افكار مادية .

**هايندمان ، هنري مايرز** (١٨٤٢ ـ ١٩٢١) ـ اشتراكي انكليزي ، مؤسس ورئيس الاتحاد الديموقراطي . انتهج سياسة انتهازية .

**ـ و ـ**

**ويد ، جون** (١٧٨٨ ـ ١٨٧٥) ـ داعية بورجوازي ، اقتصادي ومؤرخ انكليزي .

**ويكفيلد ، ادوارد جيبون** (١٧٩٦ ـ ١٨٦٢) ـ رجل دولة واقتصادي انكليزي .

**والبول ، سبنسر هورانس** (١٨٠٦ ـ ١٨٩٨) ـ رجل دولة انكليزي .

**ويب ، سبوني جيمس** (١٨٥٩ ـ ١٩٤٧) ـ شخصية سياسية انكليزية ، أحد مؤسسي الجمعية الفابية .

**ويرث ، جورج** (١٨٢٢ ـ ١٨٥٦) ـ داعية وشاعر بروليتاري الماني ، عضو عصبة الشيوعيين .

**ويتلنغ ، وهلم** (١٨٠٨ ـ ١٨٧١) ـ ممثل بارز لحركة العمال الالمان في بداياتها ، منظّر لشيوعية المساواة الطوباوية . مهنته خياط .

**وستون ، جون** ـ مناضل في حركة العمال الانكليز ، عضو المجلس العام للأممية الأولى .

**وستفالن ، ادغار فون**(١٨١٩ ـ حوالي ١٨٩٠) ـ شقيق جيني ماركس ، عضو لجنة المراسلات الشيوعية في بروكسل .

**وستفالن ، فرديناند فون** (١٧٩٩ ـ ١٨٧٦) ـ رجل دولة رجعي بروسي ، وزير الداخلية بين (١٨٥٠ ـ ١٨٥٨)

**وستفالن ، لودفيك فون** (١٧٧٠ ـ ١٨٤٢) ـ المستشار السري في تريف ، والد جيني ماركس .

**ويديمير جوزيف** (١٨١٨ ـ ١٨٦٦) ـ مناضل في حركة العمال الالمان

والأميركيين ، عضو عصبة الشيوعيين .أول من نشر الماركسية في الولايات المتحدة . صديق في السلاح لماركس وانجلز .

**والتي، ريتشارد** (١٧٨٧ ـ ١٨٦٣) ـ عالم عراقة وفيلسوف واقتصادي انكليزي .

**ويليامس** ، آ ـ لقب لماركس .

**ويليتش ، اوغست** (١٨١٠ ـ ١٨٧٨) ـ ضابط بروسي ، استقال لأسباب سياسية عضو عصبة الشيوعيين .

**ويليس ، روبرت** (١٨٠٠ ـ ١٨٧٥) ـ عالم ميكانيك انكليزي .

**ويرث ، موريتز** (١٨٤٩ ـ توفي بعد ١٩١٦) ـ داعية الماني .

**وولف ، كريستيان فريهر فون** (١٦٧٩ ـ ١٧٥٤) ـ فيلسوف وميتافيزيائي الماني

**وولف ، ديربليند** ـ انظر غليوم الخامس .

**وولف ، فرديناند** («دير روت وولف») (١٨١٢ ـ ١٨٩٥) ـ داعية الماني ، عضو عصبة الشيوعيين .

**وولف ، لويجي** ـ عسكري ايطالي ، نصير لمازيني . عضو منظمة العمال الايطاليين في لندن . عضو المجلس العام للأممية الأولى .

**وولف ، وهلم** (١٨٠٩ ـ ١٨٦٤) ـ ثوري بروليتاري الماني ، عضو اللجنة المركزية لعصبة الشيوعيين،مهنته معلم .

**ورتز ، شارل ادولف** (١٨١٧ ـ ١٨٨٤) ـ كيميائي فرنسي ، أحد واضعي النظرية الذرية .

## ـ ي ـ

**يورك ، تيودور** (توفي عام ١٨٧٥) ـ مناضل في حركة العمال الالمان ، لاسالي .

**يونغ ، جورج** (١٨١٤ ـ ١٨٨٦) ـ داعية الماني هيغلي . ديموقراطي بورجوازي صغير .

**يونغ ، هيرمان** (١٨٣٠ ـ ١٩٠١) ـ شخصية بارزة في الحركة العمالية السويسرية والعالمية . عضو المجلس العام للاممية الأولى .

**يونغ ، ادولف فريدريخ** ـ عامل الماني ومناضل بارز في رابطة العادلين ثم عضو عصبة الشيوعيين .

# المحتويات

صفحة

## ١٨٦٥



## ١٨٦٦

## ١٨٦٧



## ١٨٦٩

### ١٨٨٠



### ١٨٨١



### ١٨٨٢



### ١٨٨٣